



اِخْتِيَارُ

مِصْبَاةُ السُّلْطَانِ

مِنْ رِجَالِ الْبُلَاغَةِ الْوَالِدِيَّةِ

لِكَمَالِ الدِّينِ مِهْمَبِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مِهْمَبِ الْعَطْرَانِيِّ

٦١٩-٦٢٦

تحقيق

الدكتور محمد هادي الأحمدي



بیتنا



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

اختيار مصباح السالكين

فَرْكَلَامُ مَوْلَانَا وَمَا مَنَا مَيِّمُو مَنِينِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ

(شرح نهج البلاغة الوسيط)

تأليف

الفقيه الحكيم

الشيخ ميثم بن علي بن ميثم البحراني

٦٣٦ - ٦٨٩

تحقيق و تقديم و تعليق

الدكتور الشيخ

محمد باقر الأسدي

کتابخانه

مركز تحقيقات کامپيوتری علوم اسلامي

شماره ثبت: ٠٠٢٥١١

تاريخ ثبت:



مركز تحقيقات كميوتور علوم اسلامي



بيادار آيت الله العظمى
آية الله العظمى الخميني

اختيار مصباح المالکين	الكتاب:
الشيخ ميشم بن علي بن ميشم البحراني	المؤلف:
الدكتور الشيخ محمد هادي الاميني	تحقيق:
مجمع البحوث الاسلامية ص. ب ۳۶۶۳-۹۱۳۷۵- مشهد- ايران	الناشر:
الطبعة الأولى ۱۴۰۸ هـ. ق ۱۳۶۶ هـ. ش	التاريخ:
۳۰۰۰ نسخة	العدد:
مؤسسه الطبع والنشر التابعة للآستانة الرضوية المقدسة	الامور الفنيہ والطبع:

حقوق الطبع محفوظة

كلمة المجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اليه مصائر الخلق، وعواقب الأمر، نحمده ونستعينه
استعانة راج لفضله، مؤمل لنفعه، ونؤمن به ايمان من أخلص له موحدا، ولاذ
به راغبا مجتهدا والصلاة والسلام على محمد رسوله الصفي، وأمينه الرضي،
صلى الله عليه وعلى آله الهداة الطاهرين.

انه لمن العوائد الربانية والالطاف التي لا تعد، مقرونة بالأنفاس الطهر
لثامن الحجج عليه آلاف التحية والثناء، ومشفوعة بنفح الرضا لولي الله
الأعظم- أرواحنا له الفداء- أن وفق السنه تعالي (مجمع البحوث الاسلاميه
التابع للاستانة الرضويه المقدسه) لمواصله حركته العلميه ونشاطه الثقافي،
في رفد المكتبة الاسلاميه بأمهات المصادر الإسلاميه التي تعتبر الوثائق
الناطقه واللسان المعبر عن ثقافة الاسلام الكبرى، في مختلف أبعاد الفكر
والمعرفة.

فمن بين التحف الثمينه التي قدمها- المجمع- بالأمس القريب كتاب
«خصائص الائمة» عليهم السلام تأليف السيد الشريف الرضي- رضي الله
عنه- المتوفي ٤٠٦ هـ.

وقد عبرت الأمة الاسلاميه عبر طلاب المعرفة ورواد الفضيله عن
صحوتها الجديدة وتعلقها بفكر الاسلام الذي طرحته مدرسة أهل البيت عليهم
السلام، حيث تلاقفت هذا السفر القيم بكل شوق.

هذا- ومجمع البحوث الإسلامية- انطلاقاً من أهدافه الكبرى في نشر الوعي الإسلامي بين شباب الإسلام ومنتسبي مدرسة أهل البيت (ع) سيواصل تقديمه لأمثلة هذه الكتب بعونه تعالى، ولكل ما تحتاجه مسيرة الأمة وحركة الإسلام المعاصرة.

وما هذا الكتاب الذي يقدمه مجمع البحوث إلا واحداً من المصادر المهمة والشروح المعتمدة لنهج البلاغة ذلك هو (اختيار مصباح السالكين) الشرح الوسيط لنهج البلاغة تأليف الحكيم المتأله والفيلسوف المحقق كمال الدين الشيخ ميثم بن علي بن ميثم البحراني المتوفي ٦٨٩هـ، حيث صنفه رحمه الله خلال تنقلاته في ربوع إيران في القرن السابع الهجري. وكان هذا السفر الكريم يرقد بين زوايا المكتبات وينتظر ان يرى النور كما سبق ان طبع شرحه الكبير في خمس مجلدات قبل ذلك.

أما وقد حقق إليه أمل الآملين بطبع هذين الشرحين الكبير والوسيط لابن ميثم، فتمنى ونسأله تعالى أن يوفقنا للعثور على الشرح الصغير للشارح نفسه، وطبعه حتى يكمل وينجز عمل ابن ميثم وما استهدفه من أعماله القيمة حول نهج البلاغة.

انه نعم المولى ونعم النصير، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

مجمع البحوث الإسلامية



إلهي ... إنك لم تنزل برأبي أيام حياتي ، فلا تقطع برك عني بعد مماتي .
إلهي ... إن كنت غير مستوجب لمعروفك ، فكن أنت أهلاً للتفضل عليّ .
إلهي ... إن غفرت فبفضلك ، وإن عذبت فبعدلك ، فيا من لا يرجي إلا فضله ، ولا يخشى
إلا عدله ، أؤمن علينا بفضلك ، ولا تستقص علينا بعدلك .
إلهي ... آمناً من عقوبتك ، واسبغ علينا نعمتك ، ودوام عافيتك ، ومحبة طاعتك ، و
اجتناب معصيتك .
إلهي ... أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ ، وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً
ترضاه .

الاهداء :

الى ...



صاحب الولاية، وسيد الامة... وأبي الأئمة... ووصي المصطفى بالحق، و حامل عبأ
الولاية الكبرى، سيدى الإمام أقيير المؤمنين علي بن أبي طالب... عليه صلوات الله
ورحمته وبركاته.

ارفع بضاعتي المزجاة، ومجهودي الضئيل، وصحائف ولائي الخالص، راجياً
التفضل بالقبول، فهو منتهى الفوز، وغاية الأمل واقصى ما يطمح اليه:

عبدكم
محمد هادى الأميني

المدخل

لا أحسب كتابًا على امتداد التاريخ، و عبر القرون و الأحقاب... منذ أن تدرج الإنسان على الأرض... وضعت حول جوانبه و مفاهيمه و بحوثه و مطالبه و مواضيعه أمهات الكتب و الدراسات و الشروح، بعد القرآن الكريم مثل كتاب (نهج البلاغة) فهو لاحتوائه على «٢٤٢» خطبة و كلامًا، و ٧٨ كتابًا و رسالة، و ٤٩٨ كلمة، من يواقيت الحكمة و درر البيان، و جوامع الكلم... أشغل الشخصية الإسلامية... وحوّل نحوه الجامعات و الأكاديميات العلمية و الأدبية و الفلسفية... و أخذ بمجامع العقول و الأفكار و القلوب... منذ أن قالها و أنشأها و صاغها و ارتجلها، عملاق الفصاحة، و عبقرى البلاغة، و سيد البيان، و أمير الأدب الإمام أمير المؤمنين عليّ بن ابي طالب عليه سلام الله و رحمته و بركاته.

و الواقع أنّ الكتاب هذا... في حروفه... كلماته... جمالاته... سطورته... جاذبيّة خاصة... والكثير من قوّة الجذب التي لا عهد لنا بها إلا في القرآن الكريم... فهو كالمسك ما كرّته يتضوّع، و لذلك نجد بينه و بين القرآن تشابهًا، و ترادفا في الهدف، و الغاية، و الغرض، و اللفظ، و المعنى، و السياق، و البيان، و الشكل... و لهذا يعتقد الكثير من أئمة البيان و الكلام، أنّ نهج البلاغة وليد القرآن فحسب.

ولا غرو، ولا مغالاة في القول هذا، بعد أن وجدنا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، حفظ القرآن كلّهُ، فوقف على أسراره، و إعجازه، و حكمه، و ظاهره، و باطنه، و ناسخه، و منسوخه، و محكمه، و متشابهه، و كافة جزئياته و كلياته، و سار القرآن في جسمه، و اختلط به لحمه، و دمه، و مشى في عروقه، ثم وجدنا الجميع في نهج البلاغة... مع تبيانه الصريح، و إعلانه الرصين في عدّة مواضع صارخًا: سلوني قبل أن تفقدوني... سلوني عن

كتاب الله، فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار، في سهل أم في جبل^١.
 أو ما رواه المأمون، عن الرشيد، عن المهدي، عن المنصور، عن أبيه، عن علي بن
 العباس، عن عبدالله بن عباس، قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: كفوًا عن ذكر علي
 ابن أبي طالب، فلقد رأيت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيه خصالا لأن تكون
 لي واحدة منهن في آل الخطاب أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، كنت أنا، و
 أبوبكر، وأبو عبيدة، في نفر من أصحاب رسول الله (ص) فانتهيت إلى باب أم سلمة، و
 عليّ قائم على الباب، فقلنا: أردنا رسول الله (ص)؟ فقال: يخرج إليكم، فخرج
 رسول الله (ص) فثرنا إليه، فآتكا على علي بن أبي طالب، ثم ضرب بيده على منكبه، ثم
 قال: إنك مخاصم تخاصم، أنت أول المؤمنين إيمانًا، وأعلمهم بأيام الله، وأوفاهم بعهده
 وأقسمهم بالسوية وأرفهم بالرعية وأعظمهم رزية، وأنت عاضدي وغاسلي ودافني،
 والمتقدم إلى كل شديدة وكريهة، ولن ترجع بعدي كافرًا، وأنت تتقدمني بلواء الحمد، و
 تذود عن حوضي، ثم قال ابن عباس من نفسه: ولقد فاز عليّ عليه السلام، بصهر
 رسول الله (ص)، وبسطة في العشيرة، وبذلا للماعون وعلما بالتنزيل وفتحاً للتأويل و
 نبلاً للأقران^٢.

مرکز تحقیق و ترویج علوم اسلامی

ومن هنا نرى الغزالي^٣ بعد تلاوته الحديث هذا، يقول: قد علم الأولون والآخرون،
 أنّ فهم كتاب الله منحصر إلى علم عليّ، ومن جهل ذلك فقد ضلّ عن الباب الذي من
 ورائه يرفع الله عن القلوب الحجاب، حتى يتحقق اليقين الذي لا يتغير بكشف الغطاء^٤.

١ - الغدير ٣: ٩٥ - الأحاديث الواردة في علم أمير المؤمنين - ورأي الصجابة فيه وان اول من اعترف له
 بالاعلمية نبي الاسلام صلى الله عليه وآله وسلم. مستدرک الصحيحين ٣: ٤٩٩. كنز العمال ٦: ١٣. جمع الجوامع
 كما في ترتيبه ٦: ٣٩٨. مسند احمد بن حنبل ٥: ٢٦. الرياض النضرة ٢: ١٩٤. مجمع الزوائد ٩: ١٠١، ١١٤. مناقب
 الخوارزمي: ٤٩.

٢ - حلية الاولياء ١: ٦٦. الرياض النضرة ٢: ١٩٨. عن الحاكمي. مطالب السؤل: ٣٤. كنز العمال ٦: ٣٩٣.
 كفاية الطالب: ١٩٧. اسد الغابة ٥: ٥٢٠. مجمع الزوائد ٩: ١١٣. الاستيعاب ٢: ٤٦٢. بسنده عن سعيد بن وهب.
 ذخائر العقبى: ٦١ وقال: اخرجها الطبراني.

٣ - أبو حامد حجة الاسلام محمد بن محمد بن محمد الغزالي الشافعي الطوسي المتوفى ٥٠٥ هـ.

٤ - فيض القدير ٣: ٦٤.

هذا بالإضافة إلى عشرات الأحاديث، والروايات الصحيحة الثابتة عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، في علم علي عليه السلام وقضائه وأدبه وحكمته ودينه وإيمانه وتكامله في كافة الجوانب العلمية والاخلاقية والسياسية والاجتماعية، فهو نسيج وحده بعد المشرع الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، في جميع المثل والقيم الانسانية، ولذلك يمكن القول بصراحة أن نهج البلاغة... وليد القرآن، من دون منازع ومن غير افتقار إلى دليل وحجة وبرهان، ولم يكن القول هذا بابتداع واختلاق منبعت عن التعصب والانحياز، والغلو وإنما هو عقيدة أئمة الأدب وفقهاء البيان والبلاغة وأحبار الحكمة، والفلسفة، وجهابذة النحو والمنطق واللغة، منذ إنشاء نهج البلاغة وصوغه وإنشاده وتكوينه.

لقد تلقّت رجالات الفصاحة وفقهاء البيان وأحبار الحكمة والفلسفة كتاب نهج البلاغة، بالإكبار والتجليل، ووقفت خاشعة ذاهلة أمام أسلوبه الرصين وبيانه السحريّ ونهجه البليغ وسبكه العذب ومعنويته الحية، وراحت تدرسه وتحلّله، وتضع له شروحا وتفسير جمة، وترجمته إلى اللغات الحية، ووضعت حوله دراسات وبحوث شتى، فبلغ ما ينيف على ٣٥٠ شرحا وترجمة باللغتين العربية والفارسية^٥، وعلى هذا يمكن القول: أن المؤلفات والكتب الخاصة، بكتاب نهج البلاغة تشكل وحدها مكتبة عامرة ولعلّ الله يوفق من يجمع هذه الدراسات والكتب في خزانة خاصة، أو يضع لها ثبنا ومعجما خاصا، خدمة للعلم والأدب والتأريخ:

كتاب كأن الله رصع لفظه
حوى جگمأ كالدر ينطق صادقاً
بجوهر آيات الكتاب المنزل
ولا فرق إلا أنه غير منزل

* * *

هذا ومن الذين شرحوا كتاب نهج البلاغة، فقيه الحكماء وفيلسوف الفقهاء وفخر العلماء والأدباء وأفضل المتقدمين والمتأخرين، كمال الدين ومفيد الدين الشيخ ميشم

٥ - الغدير ٤: ١٨٦.

٦ - هذا وقد تُرجم نهج البلاغة إلى اللغات الحية كالانكليزية والفرنسية والهندية والتركية وغيرها.

ابن علي بن ميثم البحراني ... رضي الله عنه، فقد صنّف لهذا الكتاب شروحا ثلاثة، بأسلوب علمي بليغ ونهج فلسفي قويم، كانت موضع التقدير والإكبار والبحث والتدريس.

ولد ونشأ هذا العيلم التحرير في البحرين، وترعرع في أحضان العلم والفقه، لأن أسرته كانت من الأسر الشهيرة العريقة، فنشأ في حجر أبيه المقدس وبذل في تربيته الجهد، واستفرغ في تأديبه وتهذيبه وسعه وبوأة من علمه وحكمته في تثقيفه مَبَوِّاً صدق مبارك، يفتح له سبل الحجى ويدفعه إلى أوج الهدى والتقى، فأخذ أُولاعِلوم اللّغة والصرف والنحو وفنون اللسان، وحصل في الصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع وعلم المنطق، على درجة وامتياز رفيع.

لقد أخذ هذه العلوم عن أساتذة مهرة بررة من علماء البحرين، اختارهم له والده، وكان يقف على دروسه معهم لا يبالو جهداً في تشويقه وتشجيعه وتنشيطه وتمرينه، ولا يدخر وسعا وفراغاً في إرهاف عزمه واغوائه في الامعان بالبحث والمناقشة.

وكان منذ نعومة أظفاره وأول نشأته بعيد الهمة، تواقاً إلى المعرفة والكمال، ونزاعاً إلى الفضيلة والعبقرية، فحسّر عن ساعد الجد والاجتهاد وجتد نفسه في التحصيل، حتى بزّ أقرانه وزملائه، وجلى وفاز دونهم في جميع المجالات بالقدر المعلى، وفشى ذكره في التحصيل على السنة الخاصّة والعامة، من أهل بلده، وخالط صيته العقل والفضل والهدى والرأى وحسن السمّت في تلك الأرجاء وعند الجميع، فكان المثل الأعلى في الحوزات العلمية وأوساط الشبيبة في حمد السيرة وطيب السريرة وجمال الخلق وكمال الخلق وحبّ الخير.

غير أنه آثر العزلة واختارها وأحبّها وهام بها لأنه بلغ مقام الأئس على حدّ قول علماء الاخلاق، وقد قالوا: إن من بلغ مقام الأئس غلب على قلبه حبّ الخلوة والعزلة عن الناس، لأنّ المخالطة مع الناس تشغل القلب عن التوجه التام إلى الله، فلا بدّ من بيان أنّ الأفضل من العزلة والمخالطة أيهما، فإنّ العلماء في ذلك مختلفون والأخبار أيضاً في ذلك مختلفة، ولكل واحد منهما أيضاً فوائد ومفاسد، وقد أجمعت كلمتهم على تفضيل العزلة على المخالطة مطلقاً، لوجود فوائد، منها، الفراغ للعبادة، والذكر والفكر والاستيناس

بمناجاة الله والإشتغال باستكشاف أسرار الله في ملكوت السماوات والأرض والتخلّص عن المعاصي التي يتعرّض الإنسان لها غالباً بالمخالطة^٧.

و مهما يكن من أمر فإن المترجم له... أثر العزلة إلى أن تخلّص منها على أثر مكاتبات جرت بينه وبين علماء العراق، فغادر مسقط رأسه متوجّهاً إلى العراق و إيران، بغية زيارة الأعتاب المقدّسة و مرقد أهل البيت الطاهرين عليهم السلام في النجف الاشرف، و كربلاء، والكاظمية، و سامراء، و خراسان، و قم، و من ثمّ الاجتماع بالعلماء و الفقهاء في الحوزات العلمية آنذاك .

لقد استغرقت رحلته هذه، سنين عدّة و عاد إلى البحرين، و كانت أوقاته منقسمة حتى في السفر بين المحراب و المطالعة و التدريس و الكتابة و البحث و الارشاد، ففي سفره صنّف الشروح الثلاثة لكتاب نهج البلاغة، كما كانت مجالس تزاوره في رحلته مدارس سيارة، يجد الطالب فيها ما يبتغيه من فنون العلم، و الحكمة و الأدب و ما إلى ذلك من مواعظ تسمو بالانسان إلى حيث الملكوت و الروحانية... و هو في كل هذا كما يشهد عليه بيانه، واضح الأسلوب، فخم العبارة، مشرق الديباجة، يعبر عن كوامن نفسه بأبلغ بيان، و يعبر عن ضميره بأجلى العبارات الحسان، فيبلغ بقوله و كلامه أعماق القلوب من خواصّ الناس و عوامهم، يخاطب كلاً منهم بما يناسب مع شعوره، و يتفق مع عقليته و مبلغه من الفهم و العلم و الإدراك بكلام هو أندى على الأفتدة من زلال السماء... فكان منتجوعاً رواد مجالسه على اختلاف طبقاتهم، ينقلون عنه بما إلتمسوه من ضوال الحكمة و جزيل الفوائد العلمية و جليل العوائد العملية.

إنّ الشيخ ميثم... كرم الله وجهه، كان رحلة في العلم، كما كان قبلة في العمل و العبادة، و إماماً في الحكمة و الفقه، و علماً في الشريعة، تمتّ به النعمة، و هادياً إلى الله و جبت به الحجّة، و مفرعاً في العلم تلقى إليه المقاليد، و مرجعاً في أحكام الله و قوانينه يناط به التقليد، و ثبتاً في السنن و حجّة في الأخبار، و جهبذاً في الوقائع و حوادث السنين و أحوال الغابرين، طويل الباع في الحكمة، و بحرّاً في الاخلاق و تهذيب النفس، لا يسبر غوره و لا ينال دركه.

و هذا إن دلّ على شيءٍ فإنّما يدلّ على شخصيّة شيوخيّه و مناعة أساتذته الفطاحل، في العلوم الإسلاميّة إلى جانب شدّه للعلم حيازيماً، وإرهاقيه له عزائمه، وإرصاده الأهب لأخذه بجميع فنونه عن تلكم الجهابذ، وخوضه عباب البحار، ولذلك عنت أساتذته بأمره إلى الغاية، واهتمّت بشأنه كل الإهتمام.

شيوخيّه:

يكتنف حياة هذا العملاق... الكثير من الغموض مع الأسف الشديد، ولم يتوصّل المؤرّخون إلى جذور حياته و مراحل دراسته بصورة وافية، ليضعوا أمام القارئ صورة صحيحة عنه، فالجوانب من حياته مجهولة، ومنها شيوخيّه و أساتذته الذين تخرّج عليهم، إذ لا مشاحة أنّه تتلمذ على فحول الفقه و عمالقة الكلام و أساطين الفلسفة والحكمة و أرباب الجدل و المناقشة، فهو في الواقع حصيلة و خميرة أدمغة الفطاحل، و عصارة الحكماء و مجموعة ثقافات الفقهاء و المجتهدين، بيد أنّ المؤرخين لم يذكروا منهم غير إثنين أو ثلاث وهم:

١ - أبو السعادات أسعد بن عبد القاهر بن أسعد الإصبهاني المتوفى بعد ٦٣٥هـ. من كبار المحققين و الفقهاء و المتضلعين في الدراية و الحديث و الفقه و أصوله، و كانت له حوزات تدريسيّة غاصّة بالعلماء و الأدباء، منهم الخواجه نصير الدين محمد الطوسي، و السيد رضي الدين علي بن طاوس و أمثالهما و قد ترجم له أصحاب المعاجم و أثنوا عليه.

من تصانيفه الكثيرة: «إكسير السعادتين»، فيه الكثير من الكلمات القصار لأئمة المؤمنين عليه السلام. «توجيه السؤلات في حلّ المشكلات». «منبع الدلائل و مجمع الفضائل». «شرح الولاء في شرح الدعاء». «مجمع البحرين و مطلع السعادتين». «مجمع الدلائل»^٨.

٨ - أعيان الشيعة ١١: ٢٠٠. إيضاح المكنون ١: ٣٣٦، ٣٥٣، ٥٧٣. الفوائد الرضوية: ٤٣. روضات الجنات ١: ١٠٢. الأنوار الساطعة في المائة السابعة: ١٧. ربحانة الادب ٧: ١٢٤. تنقيح المقال ١: ١٢٤. أمل الآمل ٢: ٣٢. الذريعة ٢: ٢٧٨.

٢ - جمال الدين علي بن سليمان بن يحيى بن محمد بن قائد بن صباح البحراني

مات...

الفقيه والحكيم الرباني والعالم الصمداني، أستاذ العلوم العقلية والنقلية، والمتضلّع في الحكمة والفلسفة، ومن مؤلفاته «الإشارات» في علم الكلام، شرحه تلميذه الشيخ ميثم. شرح قصيدة ابن سينا «العينية» في النفس. «مفتاح الخير في شرح رسالة الطير» لابن سينا، وقد أرسل الشرح هذا، إلى تلميذه الخواجه نصيرالدين محمد الطوسي، وطلب منه شرحه، فأجابه نصيرالدين الطوسي إلى ذلك بعد أن افتتح شرحه بالأبيات والمقدمة التالية:

أتاني كتاب في البلاغة منتبه
فمنظومه كالدرج جاد^٩ نظامه
دقيق المعاني في جزالة^{١٠} لفظه
كفانية حار العقول بحسنها
أتى عن كبير ذي فضائل جمّة
فأصبحت مشتاقا إليه مشاهدا^{١١}
رجا الطرف أيضا كالفؤاد لقاء
قرأت من العنوان حين فتحته
ولمّا بدالي ذكركم في مسامعي
فصادفت هذا البيت في شرح قصتي

وردت رسالة شريفة ومقالة لطيفة مشحونة بفرائد الفوائد، مشتملة على صحائف اللطائف، مستجمعة لعرائس النفائس، مملوءة من زواهر الجواهر من الجناب الكريم السيدي السندي العالمي العاملي الفاضلي المفضل المحققي المدققي^{١٢} الجمالي

٩ - في نسخة: حاد.

١٠ - نسخة: في وجازة.

١١ - في نسخة: وشاهدا.

١٢ - نسخة: السيد السند العالم الفاضل المفضل المحقق المدقق.

الكمالي، أدام الله كماله وحرس الله جماله... إلى الداعي الضعيف المحروم اللهيف محمد الطوسي، فأقتبس من شرار ناره نكت الزبور، وآنس من جانب طوره أثر النور، فوجدها بكرًا حملت حرّة كريمة وصادفها صدفاً تضمنت درةً يتيمة، هي أوراق مشتملة على رسائل في ضمنها مسائل أرسلها، وسأل عنها من كان أفضل زمانه وأوحد أقرانه الذي نطق الحق على لسانه ولاحت الحقيقة من بيانه ورأيت المورد- أدام الله أفضاله- قد سألتني الكلام فيها وكشف القناع عن مطاويها وأين أنا من المبارزة مع فرسان الكلام والمعارضة مع البدر التمام وكيف يصل الأعرج إلى قلة الجبل المنيع، وأنسى يدرك الظالع شأو الضليع، لكنني لحرصني على طلب التوصل الروحاني إليه، بإجابة سؤاله وشغفي بنيل التوصل الحقيقي لديه، بإيراد الجواب عن مقاله، إجترأت فامتثلت أمره، واشتغلت بمرسومه، فإن كان موافقاً لما أراده، فقد أدركت طلبتي، وإلا فليعذرني، إذ قدمت معذرتي، والله المستعان وعليه التكلان^{١٣}.

٣- الخواجه نصيرالدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسي الجهرودي المتوفى

٦٧٢.

الفيلسوف المحقق، أستاذ البشر وأعلم أهل البدو والحضر، سلطان العلماء والمحققين وأفضل الحكماء والمتكلمين، ممدوح الآفاق ومجمع مكارم الأخلاق الذي لا يفتقر إلى التعريف لغاية شهرته، مع أنّ كل ما يقال فيه فهو دون رتبته.

له مؤلفات: منها، «تجريد الكلام». «التذكرة النصيرية» في علم الهيئة. «الأخلاق الناصرية». «آداب المتعلمين». «أوصاف الأشراف». «قواعد العقائد». «تحرير المجسطي». «تحرير أصول الهندسة لاقليدس». «تلخيص المحصل». «حلّ مشكلات الإشارات لابن سينا». إلى غيره من الحواشي والرسائل والأشعار بالفارسية والعربية.

أجمع المؤرخون أنّ الخواجه نصيرالدين الطوسي، تتلمذ على كمال الدين ميشم في

١٣- أحوال وآثار خواجه نصير الدين طوسي: ٤٧٦.

الفوائد الرضوية: ٣٠١. تذكرة المتبحرين: ٤٨٧. ربحانة الادب ٥: ٨٦. مستدرک الوسائل ٣: ٤٦٢.

الذريعة ٢١: ٣٢٩. الانوار الساطعة في المائة السابعة: ١٠٥. لباب الالقاب: ٤٨. الكنى والالقاب ٣: ١٢٢.

الفقه وتتلّمذ كمال الدين على الخواجه في الحكمة.

وقد صرح بهذا المترجم له... في نسخة إجازته الكبيرة لسادات بني زهرة، فقال عند ذكر اسم مولانا الخواجه مالفظه:

- وكان هذا الشيخ أفضل أهل عصره في العلوم العقلية، وله مصنّفات كثيرة في العلوم الحكمية والشرعية على مذهب الإمامية، وكان أشرف من شاهدناه في الأخلاق (نور الله ضريحه) قرأت عليه (الهيئات الشفاء) لأبي علي بن سينا وبعض التذكرة في الهيئة تصنيفه، ثم أدركه الأجل المحتوم..

ومن شعره قوله:

لو أنّ عبداً أتى بالصالحات غداً
وصام ما صام صوّماً بلا ملل
وحجّ كم حجة لله واجبة
وطار في الجوّ لا يأوى إلى أحد
وأكسى اليتامى من الديباج كلهم
وعاش في الناس آلقاً مؤلفة
ما كان في الحشريوم المنتقياً
وودّ كل نبى مرسل وولسي
وقام ما قام قوّاماً بلا كسل
وطاف بالبیت حافٍ غير منتعل
وغاص في البحر مأموناً من البلل
واطعمهم من لذيذ البرّ والعسل
عار من الذنب معصوماً من الزلل
الا بحبّ أمير المؤمنين عليّ^{١٤}

تلاميذه :

لم يكن من المؤسف كلّ لدينا مرجع ينبأ عن مدرسة المترجم له... وحوزته العلمية والدراسية وتلاميذه حتى بصورة موجزة، غير أنّ الكثيرين من أصحاب السير والتاريخ والتراجم ذكروا أنّ بعضاً من الفقهاء والمحدثين، رووا عنه وأنّ الشيخ ميثم... رضي الله

١٤ - الكنى واللقاب ٣: ٤٣٣. أمل الآمل ٢: ٢٩٩. البداية والنهاية ١٣: ٢٦٧. تأسيس الشيعة: ٣٩٥.
تحفة الاحباب: ٣٤٨. روضات الجنات ٦: ٣٠٠. تنقيح المقال ٣: ١٧٩. جامع الرواة ٢: ١٨٨. ربحانة الادب
٢: ١٧١. الذريعة ٣: ٣٥٢. شذرات الذهب ٥: ٣٣٩. العبر ٥: ٣٠٠. فوات الوفيات ٢: ١٤٩. الفوائد الرضوية:
٦٠٣. لؤلؤة البحرين: ٢٤٥. مجالس المؤمنين ٢: ٢٠١. المستدرک ٣: ٤٦٤. الوافي بالوفيات ١: ١٧٩.
نقد الرجال: ٢٤٥. آثار و احوال خواجه: ٦٠٠.

عنه، منح لهم إجازة الرواية والحديث في العراق، حين سفره إليه وهم:

١ - غياث الدين السيد عبدالكريم بن أحمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن أحمد

ابن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد الطاوس الحسيني الداودي الحلبي
المتوفى ٦٩٣.

نادرة الزمان وأعجوبة الدهر الخوان، صاحب المقامات والكرامات، الزاهد
العابد، إنتهت إليه رياسة السادات، وذوي النواميس إليه، و كان أوحده زمانه،
حفظ القرآن في مدة يسيرة، وله إحدى عشرة سنة، و اشتغل بالكتابة، واستغنى عن المعلم
في أربعين يوماً، و عمره أربع سنين، له تصانيف، منها: «الشمل المنظوم في مصتفي
العلوم» و «فرحة الغري»^{١٥}.

٢ - سعيد الدين محمد بن علي بن محمد بن جهيم الأسدي الحلبي الربيعي مات...
كان عالماً، صدوقاً، فقيهاً، شاعراً، و جيهاً، أديباً، عارفاً بالأصولين، و قيل: أن
هولاكو حين أنفذ الخواجة نصير الدين الطوسي إلى الحلة. فاجتمع عنده فقهاؤها فأشار
إلى المحقق جعفر بن الحسن بن سعيد^{١٦} و سأل من أعلم هذه الجماعة بالأصولين؟ فأشار
إلى العلامة الحلبي و إلى الفقيه مفيد الدين محمد بن جهيم، فقال: هذان أعلم الجماعة
بعلم الكلام و أصول الفقه^{١٧}.

٣ - سيد الدين العلامة يوسف بن زين الدين علي بن محمد بن المطهر الحلبي

المتوفى ٧٢٦

١٥ - معجم المطبوعات النجفية: ٢٦٣. روضات الجنات ٤: ٢٢١. أمل الآمل ٢: ١٥٨. تنقيح المقال ٢: ١٥٩.
جامع الرواة ١: ٤٦٣. الذريعة ١٦: ١٥٩. سفينة البحار ٢: ١٢٢. الفوائد الرضوية: ٢٣٨. الكنى واللقاب
٣٤١: ١. لؤلؤة البحرين: ٩٠. مستدرک الوسائل ٣: ٤٤١. نامه دانشوران ١: ١٨٢. ریحانة الادب ٨: ٧٥. هدية
الأحباب: ٧٢. ايضاح المكنون ٢: ٥٧. هدية العارفين ١: ٦١٠.

١٦ - أبوالقاسم جعفر بن الحسن بن أبي زكريا يحيى بن الحسن بن سعيد الهذلي الحلبي المتوفى ٦٧٦.
روضات الجنات ٢: ١٨٢. أعيان الشيعة ١٥: ٣٧١. كشف الظنون: ١٩٢٢. ايضاح المكنون ٢: ٤٢، ٤٣،
٥٠٧، ٦٩٥. الفوائد الرضوية: ٦٢. الكنى واللقاب ٣: ١٥٤. ریحانة الادب ٥: ٢٣١. هدية الأحباب: ٢٣٣.
المستدرک ٣: ٤٧٣.

١٧ - أحوال و آثار: ٣٨ - ٣٩. الانوار الساطعة: ١٥٥. الفوائد الرضوية: ٤٥٠. أمل الآمل ٢: ٢٥٣.
ريحانة الأدب ٧: ٤٥٧.

والدالعلامة الحلبي المتوفى ٧٢٦، كان فقيهاً، محققاً، مدرّساً، عظيم الشأن، وهو من مشايخ ولده، وقد أكثر النقل عنه في كتبه.

وقيل: أبوالمظفر سديد الدين الشيخ الأجل، الأكمل، الفقيه المتكلم الأصولي، والد إمامنا العلامة على الإطلاق وأستاذه الأقدم في الفقه والأدب والأصول والأخلاق، قال شيخنا السعيد الشهيد قدس الله روحه في إجازته لابن الخازن: والشيخ الأعظم فخرالدين بن الإمام الأعظم الحجة أفضل المجتهدين جمال الدين أبي منصورالحسن بن الإمام الحجة الفقيه سديدالدين أبي المظفر بن الإمام المرحوم زين الدين علي بن المطهر أفاض الله على ضرايحهم المراحم الربانية، وحيّاهم بالنعيم الهنيئة، ومنه يظهر أنّ زين الدين علي جدّ العلامة كان أيضاً من العلماء المبرزين^{١٨}.

هذا ما وقفنا عليه في المراجع، وما جاء عن تلاميذه والرواة عنه، وقد أسلفنا القول في ترجمة الخواجة نصيرالدين الطوسي أنّ المؤرخين أجمعوا على أنّ نصيرالدين الطوسي، تتلمذ على كمال الدين ميثم في الفقه، وتتلّمذ كمال الدين علي الخواجة في الحكمة.



كمال الدين في المعاجم :

لم تزل مآثر هذا الحكيم المتكلم... الفكرية، وشخصيته العلمية الفذة، موضع التبجيل، والتقدير، ورهن التكريم والتقدير، منذ حياته، وقلّما تجد مؤلفاً وعالمًا في اتي حقل كان، لم يستفد من فيض علمه الرصين، وبيانه المحكم العذب ومداده القوي الأمين، السائل الذي لا ينضب، وهذا ما لا يخفى على أحد مهما أوتي من حول في الحكمة، وقوة في الكلام، ويبدو من تقصي أخباره، ومطالعة ما وصل إلينا من كتبه ورسائله، أنّه تأدّب، وتتلّمذ على أعظم الشيوخ في كافة المجالات. وإليك بعض ما جاء عنه في المعاجم، وهو إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على ما تكنه

١٨- احوال وآثار: ٢١٦، ٢٣٨. الفوائد الرضوية: ٧١٧. الانوار الساطعة: ٢٠٩. أمل الآمل ٢: ٣٥٠.

روضات الجنات ٨: ٢٠٠. تنقيح المقال ٣: ٣٣٦.

وعد كاتب مقدمة كتاب- قواعد المرام في علم الكلام- العلامة الحلبي الحسن بن يوسف من جملة تلاميذ ابن

ميثم... وهو اشتباه ينم عن عدم تتبع الكاتب وعدم معرفته بالرجال، وكم له في المقدمة من هنات واغاليط.

العلماء، والمؤرخون والادباء، له من التقدير والتبجيل والثناء العاطر.

قال المحقق الفقيه السيد محمد باقر الموسوي الخوانساري الاصبهاني المتوفى

١٢٢٦ ما لفظه:

كان من العلماء الفضلاء، المدققين متكلماً ماهراً، له كتب منها: شروح نهج البلاغة، كبير ومتوسط وصغير، و«شرح المائة كلمة»، ورسالة في الإمامة، ورسالة في الكلام ورسالة في العالم وغير ذلك.

يروى عنه السيد عبدالكريم بن أحمد بن طاوس وغيره، وكذا في «أمل الآمل»، وقال صاحب اللؤلؤة، بعد عدّه من جملة مشايخ العلامة أعلى الله مقامهما ومقامه، أما الشيخ ميثم المذكور، فإنه العلامة الفيلسوف المشهور، وقال شيخنا العلامة الشيخ سليمان بن عبدالله البحراني عطرالله مرقدّه، في رسالته المسماة (السلافة البهية في الترجمة الميثمية)^{١٩}: هو الفيلسوف المحقق والحكيم المدقق، قدوة المتكلمين، و زبدة الفقهاء والمحدثين، العالم الرباني، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، غوّاص بحرا المعارف ومقتنص شوارد الحقائق واللطائف، ضمّ إلى الإحاطة بالعلوم الشرعية و احراز قصبات السبق في العلوم الحكيمة والفنون العقلية، ذوقاً جيداً في العلوم الحقيقية، والأسرار العرفانية، كان ذا كرامات باهرة ومآثر زاهرة، ويكفيك دليلاً على جلالة شأنه، و سطوع برهانه، اتّفاق كلمة أئمة الأعصار وأساطين الفضلاء في جميع الأمصار، على تسميته بالعالم الرباني، وشهادتهم له بأنه لم يوجد مثله في تحقيق الحقائق، وتنقيح المباني، والحكيم الفيلسوف سلطان المحققين، واستاذ الحكماء والمتكلمين، نصير الملة والدين محمد الطوسي شهد له بالتبحر بالحكمة والكلام، ونظم غرر مدائحه في أبلغ نظام.

و استاذ البشر، والعقل الحاد يعشر، سيّد المحققين، الشريف الجرجاني^{٢٠} علي

١٩ - طبعت هذه الرسالة في اول كتاب - الكشكول - ص ٤١ - ٥٣.

٢٠ - الشريف المير السيد علي بن محمد بن علي الجرجاني الحسيني الحنفي الاسترآبادي المتوفى ٨١٦.

الكنى والالقباب ٢: ٣٥٨. بغية الوعاة: ٣٥١. الضوء اللامع ٥: ٣٢٨. هدية العارفين ١: ٧٢٨. البدرالطالع ١:

٤٨٨. الفوائد البهية: ١٢٥. ايضاح المكنون ١: ١٤٠، ٥٦٧، ٢٢٩: ٢، ٥٧٣، ٧١٥. روضات الجنات ٥: ٣٠٠.

مجالس المؤمنين ٢: ٢١٨.

جلالة قدره في أوائل (فنّ البيان من شرح المفتاح) قد نقل بعض تحقیقاته الأنيقة، وتدقیقاته الرشیقة، عبّر عنه ببعض مشایخنا، ناظماً نفسه في سلك تلامذته، ومفتخراً بالانخراط في سلك المستفيدين من حضرته، المقتبسين من مشكاة فطرته.

والسيد السند الفيلسوف الأوحّد، مير صدرالدين محمد الشيرازي، أكثر النقل عنه في حاشية (شرح التجريد) سيّما في مباحث الجواهر والأعراض، والتقط فرائد التحقيقات التي أبدعها عطرالله مرّقه، في كتاب (المعراج السماوي) وغيره من مؤلفاته، لم تسمح بمثله الأعصار ما دارالفلک الدوّار، وفي الحقيقة من اطّلع على (شرح نهج البلاغة) الذي صنّفه للصاحب خواجه عظاملك الجويني^{٢١} وهو عدّة مجلدات شهد له بالتبرّز في جميع الفنون الاسلامية، والأدبية والحكمية، والأسرار العرفانية^{٢٢}.

وقال الفقيه الشهيد، القاضي نورالله بن السيد شريف الدين الحسيني المرعشي التستري المقتول عام ١٠١٩ هـ بالفارسية مالفظة:

الشيخ الحكيم، المتكلم، الفقيه، الأديب، مفيد الدين ميثم البحراني قدس الله سره.

غواص بحر معارف، ودر جمع علوم ماهر، وعارف، ومحقق طوسي او را حكيم گفته، و گوهر مدح او بنان بيان سفته و مير صدرالدين محمد شيرازي در حاشيه شرح تجريد خصوصا در مبحث جواهر، از زواهر افادات او كه در كتاب معراج سماوي، و غير آن از مصنّفات او مذکور است استفاده نموده، و بمواقع تحقیقات آن حكيم محقق استناد جسته، و سيد المحققين قدس سره الشريف در أوائل فن بيان از «شرح مفتاح» نزد نقل بعضی كه از او نموده تعبیر از او بعض مشایخنا فرموده، والحق شرح نهج البلاغة كه بنام خواجه عظاملك جويني، نوشته در علوّ شأن او در حكمت و تصوّف و كلام، و ساير علوم

٢١ - الخواجه علاء الدين صاحب الديوان عطا ملك بن بهاء الدين محمد بن محمد بن محمد الجويني المتوفى ٦٨١.

الانوار الساطعة: ٩٧. شذرات الذهب: ٥: ٣٨٢ وفيه: توفي سنة ٦٨٣. فوات الوفيات ٢: ٤٥٢. ریحانة الادب ٤٤٤:١.

٢٢ - روضات الجنات ٧: ٢١٦.

أهل اسلام دليلى تمامست^{٢٣}.

وترجم له العلامة المتتبع الفقيه السيد محسن بن السيد عبدالكريم الأمين العاملي المتوفى ١٣٧١ هـ.

فقال: الشيخ كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني المعاصر للخواجه نصيرالدين الطوسي في الرياض: هو صاحب «شروح نهج البلاغة» المعروفة، الكبير والصغير والوسيط وغيرها، وليس هو من أولاد ميثم التمار وإن ظن ذلك. وفي «أنوار البدرين» أثنى عليه المحقق الطوسي، ثناءً عظيماً، وعبر عنه المحقق الشريف في «شرح المفتاح» في أوائل علم البيان، ببعض مشايخنا، وأثنى عليه صدرالمحققين مير صدرالدين الشيرازي، في «حواشي التجريد»، في مباحث الجواهر و أعجب بما أورده في المعراج السماوي.

رأيت في بعض الرسائل، أنه تتلمذ على المحقق الطوسي، في الحكمة، وتلمذ عليه المحقق في العلوم الشرعية ولم استثنته، روى عنه العلامة جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهر^{٢٤}، وقبره متردد بين بقعتين، ثناتهما مشهورة بأنها مشهده، إحداهما في جبانة الدويخ، واخرى في هلتا من الماحوز، ورأيت في رسالة للكفعمي في وفيات العلماء أنه مات في دارالسلام ببغداد^{٢٥} والله أعلم بحقيقة الحال.

وذكره الشيخ فخرالدين الطريحي في (مجمع البحرين) وأثنى عليه ثناءً جميلاً، وذكر أنه ورد إلى الحلة السيفية و كانت له مع علمائها قصة عجيبة. واستجاز منه كثير من علمائها، كالعلامة الحلبي، والسيد عبدالكريم بن طاوس.

و ألف الشيخ سليمان البحراني، في أحواله رسالة سماها «السلافة البهية في الترجمة الميثمية» وذكر القصة المذكورة صاحب «مجالس المؤمنين»^{٢٦}.

٢٣ - مجالس المؤمنين ٢: ٢١٠.

٢٤ - الصحيح ان العلامة يوسف بن علي بن محمد بن المطهر الحلبي روى عنه لاولده العلامة جمال الدين الحسن.

٢٥ - الصواب وفاته في البحرين وقد فصلنا القول فيه وفي قبره عند البحث عن وفاته.

٢٦ - الصحيح ان الترجمة الوافية هذه جاءت في -لؤلؤة البحرين- لافي -مجمع البحرين-.

وقال عنه سليمان بن عبدالله البحراني: في «السلافة البهية في الترجمة الميثمية»، هو الفيلسوف المحقق والحكيم المدقق، قدوة المتكلمين، وزبدة الفقهاء والمحدثين، العالم الرباني، غواص بحر المعارف، ومقتنص شوارد الحقائق واللطائف، ضم إلى الاحاطة بالعلوم الشرعية، وإحراز قصبات السبق في العلوم الحكمية، والفنون العقلية، ذوقا جيدا في العلوم الحقيقية، والأسرار العرفانية، وأكثر النقل عنه في حاشية التجريد، السيد الفيلسوف مير صدر الدين الشيرازي^{٢٧}.

و كتب عنه المحدث المؤرخ الشيخ عباس بن محمد رضا بن «أبوالقاسم القمي» المتوفى ١٣٥٩، بالفارسية.

فقال: عالم رباني، فيلسوف محدث، محقق وحكيم متأله، مدقق جامع معقول و منقول، استاذ الفضلاء الفحول، همان عالمي كه صنديد ارباب فنون، وجهابذة اساتيد علوم، به تقديم وي در اصول عقلي و نقلی اذعان آورده اند، و جمله از افاضل از مجلس تحقيق وي فيوضات گرفته اند، و اوست صاحب شروح ثلاثه بر نهج البلاغة، «شرح كبيرش» بر نهج البلاغة بطبع رسیده.

شيخ آواه سليمان بن عبدالله در وصف آن گفته: و هو حقيق بأن يكتب بالنور على الأحداق، لا بالحبر على الأوراق و شرح صد كلمه، والمعراج السماوي، و رسائلی در إمامت، و در علم، و در وحی و الهام، و در كلام و شرح اشارات استاد خود شيخ علي بن سليمان بحراني و غير ذلك.

روایت می کند از میثم مذکور آیه الله علامه حلی^{٢٨}، و سید عبدالکریم بن طاوس، و روایت می کند او از جناب خواجه نصیر طوسی، و عالم رباني کمال الدین علي بن سليمان بحراني، و از ابن میثم مذکور نقل می کند حکایت معروفه.

و شيخ سليمان بحراني رسالة در أحوال او نوشته مستی بـ «السلافة البهية في الترجمة الميثمية»، و در آنجا نقل کرده که محقق طوسي، و مير سيد شريف جرجاني، و مير صدر الدين محمد شيرازي، و غير ايشان از أساطين حکماء و متكلمين شهادات

٢٧ - اعيان الشيعة ٤٩ : ٩٨ .

٢٨ - أسلفنا القول في الهامش رقم ٢٤ ان الذي بروى عنه والذالعلامة الحلي يوسف، لالعلامة الحسن.

داده اند بتبحر ابن میثم، در حکمت و کلام، و میرین از تحقیقات رشیکه او نقل کرده اند^{۲۹}.

وقال المحدث القمي أيضا في ترجمته له:

كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، العالم الرباني، والفيلسوف المتبحر المحقق، والحكيم المتأله المدقق، جامع المعقول والمنقول، استاذ الفضلاء الفحول، صاحب الشروح على نهج البلاغة.

يروى عن المحقق نصيرالدين الطوسي، والشيخ كمال الدين علي بن سليمان البحراني، ويروي عنه آية الله العلامة، والسيد عبدالكريم بن طاوس.

قيل أنّ الخواجه نصيرالدين الطوسي، تتلمذ على كمال الدين ميثم في الفقه، وتلمذ كمال الدين علي الخواجه في الحكمة^{۳۰}.

وترجم له العلامة الحجة الفقيه السيد حسن بن السيد هادي بن محمد علي الصدر المتوفى ۱۳۵۴ هـ.

فقال: منهم، الشيخ ميثم بن علي بن ميثم البحراني، المعاصر للسكاكي صاحب «المفتاح»، كان علامة في العلوم العقلية والنقلية، وعليه قرأ المحقق نصيرالدين الطوسي، وسيأتي ذكره في أئمة علم الكلام، صنّف في علم البيان، والمعاني كتابه «تجريد البلاغة»، وعليه شروح، منها شرح الفاضل المقداد السيوري، من علماء الإمامية سمّاه «تجريد البراعة في شرح تجريد البلاغة»^{۳۱}.

وقال أيضا:

ومنهم: الشيخ كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، المعروف بالعالم الرباني، له التبرّز في جميع الفنون الإسلامية والأدبية، والحكمة والكلام، والأسرار العرفانية، أتفقت كلمة الكلّ على إمامته في الكلّ.

قال الشيخ العلامة سليمان بن عبدالله البحراني، في «السلافة البهية في الترجمة

۲۹ - الفوائد الرضوية: ۶۸۹.

۳۰ - الكنى والالقباب ۱: ۴۳۳.

۳۱ - تأسيس الشيعة: ۱۶۹.

الميثمية» ما لفظه بحروفه: هو الفيلسوف المحقق، والحكيم المدقق، قدوة المتكلمين و زبدة الفقهاء والمحدثين، العالم الرباني، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، غوّاص بحر المعارف، ومقتنص شوارد الحقائق واللطائف، ضمّ إلى الإحاطة بالعلوم الشرعية، وإحراز قصبات السبق في العلوم الحكيمية، والفنون العقلية ذوقاً جيداً في العلوم الحقيقية، والأسرار العرفانية، كان ذا كرامات باهرة، ومآثر زاهرة، ويكفيك دليلاً على جلاله شأنه و سطوع برهانه، اتفاق كلمة أئمة الأعصار، وأساطين الفضلاء في جميع الأمصار على تسميته بالعالم الرباني، وشهادتهم له بأنه لم يوجد مثله في تحقيق الحقائق، وتنقيح المباني، والحكيم الفيلسوف سلطان المحققين، واستاذ الحكماء والمتكلمين نصير الملة والدين محمد الطوسي، شهد له بالتبحر في الحكمة، والكلام، و نظم غرر مدائحه في أبلغ نظام، واستاذ البشر والعقل الحادي عشر، سيّد المحققين الشريف الجرجاني، على جلاله قدره، في أوائل فنّ البيان من «شرح المفتاح»، قد نقل بعض تحقیقاته الأنيقة، وتدقيقاته الرشيقة، عبّر عنه ببعض مشايخنا ناظماً نفسه في سلك تلامذته، ومفتخراً بانخراطه في سلك المستفيدين من حضرته، المقتبس من مشكاة فطرته، والسيّد السند الفيلسوف الأوجده، مير صدر الدين الشيرازي، أكثر النقل عنه في حاشية شرح التجريد، سيّما في مباحث الجواهر والأعراض، والتقط فرائد التحقيقات التي أبدعها - عطر الله مرقده - في كتاب «المعراج السماوي»، وغيره من مؤلفاته لم تسمح بمثله الأعصار، مادار الفلك الدوار، وفي الحقيقة من اطلع على شرح نهج البلاغة، الذي صنّفه للصاحب خواجه عطاء ملك الجويني، وهو عدّة مجلدات شهد له بالتبرّز في جميع الفنون الإسلامية، ثم حكى حكايته المشهورة المعروفة بقوله: كلي يا كمي^{٣٢}... ثم ذكر مصنفاته، وقال: وله من المصنّفات البديعة، والرسائل الجليلة، ما لم يسمح بمثلها الزمان، ولم يظفر بمثلها أحد من الأعيان، منها «شرح نهج البلاغة»، وهو حقيق بأن يكتب بالنور على الأحداق لا بالحبر على الأوراق، وهو في عدّة مجلدات.

قلت: هو شرح علمي في أربع مجلدات، ومنها شرحه «الصغير على نهج البلاغة»،

٣٢ - ستايفيك الحكاية في فصل - مع علماء العراق.

جيد مفيد جداً، رأيته في حدود الحادية والثمانين بعد الألف^{٣٣}.

وقال عنه الفقيه المحدث المتبّع الميرزا حسين بن الشيخ محمد تقي بن علي

النوري الطبرسي المتوفى ١٣٢٠هـ. في كتابه ما لفظه:

الحكيم المتأله كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، صاحب الشروح

الثلاثة على نهج البلاغة، وشارح مائة كلمة، من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام، قد

أفرد في شرح حاله بالتأليف، المحقق البحراني الشيخ سليمان، وسمّاه

«السلافة البهية»، وقال أيضاً في الفصل الذي ألحقه به، في ذكر علماء البحرين: و

منهم، العالم الربّاني، والعارف الصمداني، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني،

وهو المشهور في لسان الأصحاب بالعالم الربّاني، والمشار إليه في تحقيق الحقائق، و

تشيد المباني ثم ذكر بعض مناقبه وفضائله ومؤلفاته^{٣٤}.

وذكره المولى ملاحبيب الله الشريف الكاشاني. مات ١٣٤٠هـ.

فقال: كمال الدين، ومفيد الدين، وهو ميثم بن علي بن ميثم البحراني، شارح

«نهج البلاغة»، كان فيلسوفاً، حكيماً محققاً، مدققاً وفضله أشهر من أن يذكر، ولكنه

كان خاملاً غير طالب للشهرة والرياسة^{٣٥}.

إلى غير هذا من كلمات الثناء، والتعظيم لمقامه العلمي، ومكانته الفكرية

السامية، الخارجة عن حدود الذكر والبيان والإحصاء، وكلها بأجمعها تدلّ دلالة واضحة

على حيويته العلمية، وفتوته الثقافية النادرة، التي دفعته إلى قمة المجد والعظمة،

والخلود، وسيبقى عنواناً خالداً تترنم به الحياة إلى الأبد... وإلى النهاية... حتى يرث الله

الأرض ومن عليها.

تأليفه :

لم يكن مفيد الدين البحراني... مكثراً في التصنيف والتأليف، بصورة واسعة كغيره

٣٣- تأسيس الشيعة: ٣٩٣. لقد تحدث عن ابن ميثم... السيد الحسن الصدر في موضعين من كتابه.

٣٤- مستدرک الوسائل ٣: ٤٦١.

٣٥- لباب الألقاب: ١٨ و ٣١.

من العلماء، والمحققين، لأنه كان منصرفاً إلى التدقيق، والتتبع والبحث، لذلك كانت مؤلفاته قليلة في العدد، وضخمة ووافرة من الناحية المعنوية، والحقيقة تهيمن عليها الحكمة، والفلسفة الإسلامية التي كانت انشودة المترجم له... طوال حياته بصورة كاملة. أما تصانيفه حسب ما صرح بها المؤرخون والباحثون فهي على الترتيب كما يلي:

١ - «استقصاء النظر في إمامة الأئمة الإثني عشر»:

بحث إستدلالي في الكلام، ذكره صاحب مجمع البحرين ٦: ١٧٢، وقال: لم يعمل مثله. الذريعة ٢: ٣٢.

٢ - «البحر الخضيم»:

في الالهيات. ذكره الشيخ سليمان الماحوزي في رسالته، عن علماء البحرين. الذريعة ٣: ٣٧.

٣ - «رسالة في الوحي والإلهام»:

والفرق بينهما، والإشراق ظاهراً. الذريعة ٢٥: ٦١. روضات الجنات ٧: ٢١٩.

٤ - «شرح الإشارات»:

إشارات استأذه العالم قدوة الحكماء وإمام الفضلاء، الشيخ السعيد الشيخ علي بن سليمان البحراني المتوفى... وهو في غاية المتانة والدقة، على قواعد الحكماء المتألهين. روضات الجنات ٧: ٢١٩. الذريعة ١٣: ٩١.

٥ - «شرح المائة كلمة»:

سمّاه «منهاج العارفين في شرح كلمات أمير المؤمنين عليه السلام» أوله: يا ذاالجلال، يا حيّ، يا قدوس، يا سلام. طبع في طهران سنة ١٣٩٠ ويقع في ٢٧٢ صفحة بالقطع الوزيري، تحقيق وتقديم العلامة الباحثة المغفور له السيد مير جلال الدين الحسيني الأرموي - المحدث. والكتاب من المطبوعات النادرة، تفضل بنسخة منه لمكتبتي الخاصة نجل الفقيد الاستاذ المحقق السيد علي المحدث... رحم الله الوالد، وبارك في الولد.

٦ - «شرح نهج البلاغة»:

صرح أكثر المؤرخين، أنّ له ثلاثة شروح على (نهج البلاغة) «شرح كبير»، و

«شرح متوسط»، و «شرح صغير».

أما «الشرح الكبير» فيقع في خمس مجلدات ويسمى (مصباح السالكين) طبع في طهران عام ١٢٧٦ هـ. بقطع كبير على نفقة الملا محمد باقر. و أعيد طبعه في خمس مجلدات سنة ١٣٧٨ بالقطع الوزيري، مع مقدمة بقلم (الخاتمي)^{٣٦} ولا علاقة لها بالكتاب، وليست فيها تعرفه، ودراسة عن المؤلف أو الكتاب.

و «الشرح المتوسط»، وهو الذي بين يديك، ويسمى «اختيار مصباح السالكين» و أو له: سبحان من حسرت أبصار البصائر عن كنه معرفته، وقصرت ألسن البلغاء عن أداء مدحته، و كيفية صفته، وشهدت مع ذلك بداية العقول بربوبيته. وتوجد منه نسخ خطية تحدثنا عنها في فصل خاص من المقدمة.

أما «الشرح الصغير» فلم أقف عليه، غير أن مؤلف «روضات الجنات»^{٣٧} ذكره في المجلد ٧: ٢١٩ و قال: و من مصنفاته البديعة شرحه «الصغير على نهج البلاغة»، جيد، مفيد جداً، رأيت في حدود سنة الحادية والثمانين بعد الألف.

كما أن صاحب «الذريعة» في المجلد ١٤: ١٤٩ ذكر لكamal الدين ميشم... ثلاثة شروح، حسب ما عثر عنه الشيخ سليمان بن عبدالله الماحوزي المتوفى سنة ١١٢١ في رسالته المختصرة في ترجمة علماء البحرين، عند ترجمة الشيخ ميشم.

٧ - «القواعد الالهية في الكلام والحكمة» :

ويسمى أيضا - «قواعد المرام في الحكمة والكلام» - طبع أخيراً على هامش كتاب (منتخب الطريحي) أو له: ألحمد لله الولي الحميد... وقد ألفه لأبي المظفر عز الدين عبدالعزيز بن جعفر^{٣٨}... مرتباً على قواعد، ومقدمات وتوجد منه نسخ مخطوطة في خزائن الكتب في طهران. وأعيد طبعه للمرة الثانية في ٣٩٨ هـ. بمدينة قم - بالقطع الوزيري ٢٩٩.

٣٦ - هو الشيخ محمد رضا بن الشيخ حسن البروجردي المتوفى ١٤٠١ هـ. كان عالماً جليلاً مجتهداً ورعاً زاهداً و من اساتذة الفقه والاصول، له كتابات و رسائل. معجم رجال الفكر والأدب في النجف: ١٤٦.

٣٧ - كما نص عليه غيره من الفقهاء والمحدثين.

٣٨ - الملك العالم العادل عز الدنيا والدين أبي المظفر عبدالعزيز بن جعفر النيسابوري المتوفى ٦٧٢.

الحوادث الجامعة: ٢٧٧. الانوار الساطعة: ٨٩. الذريعة: ١٧: ١٧٩.

٨ - «المعراج السماوي»:

ينقل عنه كثيرًا السيد عليخان المدني في تصانيفه. الذريعة ٢١: ٢٣٠.

٩ - «نجاة القيامة في تحقيق الإمامة»:

أوله: (الحمد لله مفيض الوجود، وواهب وجود كل موجود) رتبته على مقدمة وثلاثة أبواب، ألفه لعزالدين أبي المظفر عبدالعزیز بن جهنم النيسابوري، وقال في المقدمة -: أنه لما ورد نيسابور مجتازًا، واتصل به أكرمه، وأشار إليه بتأليف كتاب في الإمامة، فأراد الاعتذار عنه بمشقة السفر، وما يستلزمه من تشعب الذهن، ومفارقة الأهل والولدان، لكنه امتثله أداء لحقوقه-. الذريعة ٢٤: ٦١.

هذا ولم يكن غير التصانيف المذكورة كتابًا في المعاجم، وربما كانت للمترجم له... رسائل أخرى لم يقف أصحاب المعاجم والسير عليها.

مع علماء العراق:

هناك في طوايا معاجم السير والتاريخ، قصة أو حكاية تطرق إلى ذكرها كل من تصدى لترجمة شيخ الحكمة والعلوم الشرعية كمال الدين ميشم... كرم الله وجهه... وهي تتم عن عقيدته الراسخة، وإيمانه الصادق، وعدم اغتراره بزخارف الدنيا وزينتها، وفراره ونفرته من الشهرة والجاه، لأنهما من المهلكات العظيمة، وطالبهما طالب الآفات الدنيوية والآخروية، ومن اشتهر اسمه وانتشر صيته، لا يكاد أن تسلم دنياه وعقباه، إلا من شهره الله لنشر دينه، من غير تكلف، طلب للشهرة منه، ولذا ورد في ذمهما ما لا يمكن إحصاؤه من الآيات والأخبار فقال الله سبحانه: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ٣٩-١٥.

وهذا بعمومه متناول لحب الجاه، لأنه أعظم لذة من لذات الحياة الدنيا، وأكبر زينة من زينتها.

وقال رسول الله (ص): حب الجاه والمال، ينبتان النفاق في القلب، كما ينبت

الماء البقل.

وقال: ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم، بأكثر فساداً من حبّ الجاه والمال في دين الرجل المسلم.

وقال: حسب امرئ من الشرّ الآ من عصمه الله، أن يشير الناس إليه بالأصابع.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: تبذل ولا تشتهر، ولا ترفع شخصك لتذكر، وتعلم واكتم، واصمت تسلم، تسرّ الأبرار وتغيظ الفجار.

وقال الإمام الباقر عليه السلام: لا تطلبنّ الرياسة، ولا تكن ذنباً، ولا تأكل الناس بنا فيفقرك الله.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: إياكم وهؤلاء الرؤساء الذين يترأسون، فوالله ما خفقت النعال خلف رجل الآ هلك وأهلك.

وقال عليه السلام: ملعون من ترأس، ملعون من همّ بها، ملعون من حدث بها نفسه^{٤٠}.

والأخبار بهذه المضامين كثيرة، وكثرة آفاتها لا يزال أكابر العلماء، وأعظم الأتقياء، يفرون منها فرار الرجل من الحية السوداء، ومنهم المترجم له رضي الله عنه... فقد ذكر أرباب المعاجم والتاريخ، أنه في أوائل الحال كان معتكفاً في زاوية العزلة والخمول، مشغلاً بتحقيق حقائق الفروع والأصول، فكتب إليه فضلاء الحلة والعراق، صحيفة تحتوي على عدله، وملامته على هذه الأخلاق، وقالوا: العجب منك أنك مع شدة مهارتك في جميع العلوم والمعارف، وحادقتك في تحقيق الحقائق، وإبداع اللطائف، قاطن في ظلوع الاعتزال، ومخيم في زاوية الخمول الموجب لخمود نار الكمال...؟

فكتب في جوابهم هذه الأبيات :

طَلَبْتُ فُنُونَ الْعِلْمِ أَبْغِي بِهَا الْعُلَى
فَقَصَّرَ بِي عَمَّا سَمُوتَ بِهِ الْقُلُ
تَبَيَّنَ لِي أَنَّ الْمَحَاسِنَ كُلَّهَا
فُرُوعٌ وَأَنَّ الْمَالَ فِيهَا هُوَ الْأَصْلُ

فلما وصلت هذه الأبيات إليهم، كتبوا إليه: إنك أخطأت في ذلك خطأ ظاهراً، و

٤٠ - جامع السعادات ٢: ٣٤٧.

حكمتك باصالة المال عجب، بل اقلب تُصَب.

فكتب في جوابهم هذه الأبيات، وهي لبعض الشعراء المتقدمين:

قَدْ قَالَ قَوْمٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ مَا الْمَرْءُ إِلَّا بِأَكْبَرِيهِ
فَقُلْتُ قَوْلَ امْرِئٍ حَكِيمٍ مَا الْمَرْءُ إِلَّا بِدَرْهَمِيهِ
مَنْ لَمْ يَكُنْ دِرْهَمٌ لَدَيْهِ لَمْ تَلْتَفِتْ عِرْسُهُ إِلَيْهِ

ثم إنه - عطر الله مرقده - لما علم أن مجرد المراسلات والمكاتبات لا تنفع الغليل، ولا تشفي العليل، توجه إلى العراق لزيارة الأئمة المعصومين عليهم السلام، وإقامة الحجّة على الطاعنين، ثم أنه بعد الوصول إلى تلك المشاهد العلية، لبس ثياباً خشنة عتيقة، وتزيّياً بهيئة رثة بالاطراح والإحقر خليقة، ودخل بعض مدارس العراق المشحون بالعلماء والحدّاق، فسلم عليهم فردّ بعضهم عليه السلام بالاستفسال والانتفاع التام، فجلس عطر الله مرقده، في صفّ التعال ولم يلتفت إليه أحد منهم، ولم يقضوا واجب حقه، وفي أثناء المباحثة وقعت بينهم مسألة مشكلة دقيقة، كلت فيها أفهامهم، وزلت فيها أقدامهم، فأجاب روح الله روحه، وتابع فتوحه، بتسعة أجوبة في غاية الجودة، والدقة، فقال له بعضهم بطريق السخرية والتهكم: أخالك طالب علم؟ ثم بعد ذلك أحضر الطعام، فلم يواكلوه قدس سره... بل أفردوه بشيء قليل على حدّة، واجتمعوا هم على المائدة، فلما انقضى ذلك المجلس، قام قدس سره.

ثم إنه عاد في اليوم الثاني إليهم، وقد لبس ملابس فاخرة بهية، وأكمام واسعة، وعمامة كبيرة، وهيئة رائعة فلما قرب وسلم عليهم، قاموا تعظيماً له، واستقبلوه تكريماً، وبالغوا في ملاطفته، ومطايبته، واجتهدوا في تكريمه، وتوقيره واجلسوه في صدر ذلك المجلس المشحون بالأفاضل، والمحقّقين، والأكابر المدقّقين، ولما شرعوا في المباحثة والمذاكرة تكلم معهم بكلمات عليّة، لا وجه لها عقلاً ولا شرعاً، فقابلوا كلماته العليّة بالتحسين، والتسليم، والإذعان على وجه التعظيم، فلما حضرت مائدة الطعام، بادروا معه بأنواع الأدب، فألقى الشيخ قدس سره... عن كنهه في ذلك الطعام، مستعباً على أولئك الأعلام، وقال: كلى يا كمي... فلما شاهدوا تلك الحالة العجيبة، أخذوا في التعجب والاستغراب، واستفسروه قدس سره... عن معنى ذلك الخطاب؟ فأجاب عطر الله مرقده...

بأنكم إنما أتيتم بهذه الأطعمة النفيسة، لأجل اكمامي الواسعة، لا لنفسي القدسية اللامعة، وإلا فأنا صاحبكم بالأمس، وما رأيت تكريماً ولا تعظيماً، مع أنني جئتكم بالأمس بهيئة الفقراء، وبتحية العلماء، واليوم جئتكم بلباس الجبارين، وتكلمت بكلام الجاهلين فقد رجحت الجهالة على العلم، والغنى على الفقر، وأنا صاحب الأبيات التي في إصالة المال، وفرعية الكمال التي أرسلتها إليكم، وعرضتها عليكم، وقابلتموها بالتخطئة، وزعمتم انعكاس القضية.

فاعترف الجماعة بالخطأ في تخطئتهم، واعتذروا بما صدر منهم من التقصير في شأنه قدس سره.

* * *

ذكر القصة هذه، بعض من المؤرخين، وبعضهم أشار إليها بالقول بأن له حكاية لطيفة... كلي يا كمي... واني أشك في حقيقتها، وأصلها بصورة عامة، لأن العلماء على الإطلاق بعيدون كل البعد، عن مثل هذه الخلّة والسنة والسيره، سيما علماء العراق وفي طليعتهم، علماء الشيعة الإمامية في الخلّة، وبقية العواصم العلمية في العراق... فالقصة مختلفة للحظ من كرامة العلماء فحسب، ولكن بشكل أدبي... وقيمة كل امرئ عند العلماء ما يحسنه ويعلمه ويتقنه، وإني أدرجت القصة للتأريخ، والإعلام بأنها مصطنعة، ولا مكانة لها من الصواب.

مصادر ترجمة المترجم له ...

تصدى المؤرخون، والأدباء لترجمة الحكيم الفقيه كمال الدين ميشم... فأفرد كل واحد ترجمة له تتفاوت في البسط والإيجاز... ولما كان منهجي في تحقيق وتقديم أمثال هذه الكتب والمؤلفات من وضع ثبت خاص يضم مصادر ترجمة المؤلف... لذلك اتبعت الطريقة تلك هنا، وأفردت له هذا الفهرست الذي ضم بعض المصادر المترجمة للمؤلف كرم الله وجهه... باللغتين العربية والفارسية حسب ترتيب الحروف، مع تعيين اسم المؤلف للكتاب، وذكر المجلد والصفحة.

أحوال وآثار خواجه نصير الدين محمد تقي مدرس رضوى: ٢٠٠.

خير الدين الزركلي ٢٩٣/٨	الاعلام
السيد محسن الأمين العاملي ٩٨/٤٩	أعيان الشيعة
الشيخ الحر العاملي ٣٣٢/٢	أمل الآمل
الشيخ علي البلادي : ٦٢	أنوار البدرين
الشيخ آغا بزرك الطهراني /١٨٧	الأنوار الساطعة
إسماعيل پاشا البغدادي /٧٢/١٦٤/٤٥٠/٥٧١/وج ٦٢٥/٢.	إيضاح المكنون
المجلسي محمد باقر ١/المقدمة ط الجديد	بحار الأنوار
السيد حسن الصدر /١٦٩/ ٣٩٣	تأسيس الشيعة
الشيخ عبدالنبي الكاظمي ٥٤٨/٢	تكملة الرجال
الشيخ عبدالله المامقاني ٢٦٢/٣	تنقيح المقال
الشيخ آغا بزرك الطهراني ١٤/١٤٩ وفي سائر مجلداته	الذريعة
السيد محمد باقر الخوانساري ٢١٦/٧	روضات الجنات
الشيخ محمد علي المدرّس ٢٤٠/٨	ريحانة الأدب
المحدث القمي الشيخ عباس ٥٢٦/٢	سفينة البحار
الشيخ سليمان بن عبدالله البحراني	السلافة البهية
الشيخ ميثم البحراني - المقدمة -.	شرح المائة كلمة
السيد حسن الصدر /١٠١	الشيعة وفنون الاسلام
الشيخ عبدالحسين الأميني ١٨٨/٤	الغدِير
حسين علوي آوي - المقدمة - /١٨ بقلم محمد تقى دانش پڑوه	فرمان مالك اشتر
الشيخ عباس القمي /٦٨٩	الفوائد الرضوية
... ج ١٨٠٧/٥	فهرست كتابخانه وزيرى
محمد تقى دانش پڑوه /٢٨٠	فهرست ميكر و فيلمهاى كتابخانه
ابن ميثم - المقدمة -.	مركزى دانشگاه تهران
السيد علي اكبر البرقي القمي /١١٨	قواعد المرام في علم الكلام
	كاخ دلاويز

خانبابا مشار/ ٨٥٢	كتابهائى چاپى عربى
الشيخ رضا استادي/ ٤٠ و ٥٧	كتابنامه نهج البلاغه
السيد اعجاز حسين الكنتوري	كشف الحجب والاسرار
الحاج خليفة مصطفى بن عبدالله/ ١٩٩١	كشف الظنون
الشيخ يوسف البحراني ٤١/١	الكشكول
الشيخ عباس القمي ٤٣٣/١	الكنى والألقاب
الملاحبيب الله الكاشاني/ ١٨ و ٣١	لباب الألقاب
على اكبر دهخدا - حرف الميم - ٢٦٢	لغت نامه
الشيخ يوسف بن احمد البحراني/ ٢٥٣	لؤلؤة البحرين
القاضي نورالله التستري ٢١٠/٢	مجالس المؤمنين
الشيخ فخرالدين الطريحي ١٧٢/٦	مجمع البحرين
الميرزا حسين النوري الطبرسي ٤٦١/٣	مستدرک الوسائل
السيد عبدالزهراء الحسينى ٢٢٣/١	مصادر نهج البلاغه
الشيخ ميثم بن علي البحراني ١/المقدمة	مصباح السالكين
يوسف سرگيس/ ١٨٢٢	معجم المطبوعات العربية
عمر رضا كحالة ٥٥/١٣	معجم المؤلفين
لعدة من المؤلفين ٢٥٨/٣	نامه دانشوران
السيد عبدالله انواري/ ٣١٧/٧ و ١٩٨/٨ و ١٢٤/٩	نسخ خطى كتابخانه ملي
المحدث القمي/ ٩٢	هدية الأحاب
البغدادي ٤٨٦/٢	هدية العارفين

ولا شك أن هناك مصادر أخرى وردت فيها ترجمة المؤلف ... لأن الفهرست هذا لم يكن مستجمعا لكافة المصادر... والكمال لله سبحانه وحده... ولا يفوتنا القول بأن رسالة (السلافة البهية في الترجمة الميثمية) للشيخ سليمان بن عبدالله البحراني مطبوعة في المجلد الأول ص ٤١ من كتاب (الكشكول) للشيخ يوسف البحراني.

وفاته ... مدفنه :

بعد جهاد علمي طويل... ونضال فكري... وعُمر مفعم بالمآثر والخيرات العلمية والأدبية، والزاخر بالباقيات الصالحة التي ما زالت موضع الفائدة، والنفع الكثير، توفي كمال الدين ميثم... في البحرين سنة ٦٨٩ هـ. وذهب بعضهم إلى أنه مات سنة ٦٧٩ هـ وهو لا شك تصحيف حصل من بعض النساخ لأنه كان حيًّا في ٦٨١ هـ وقد فرغ في تلك السنة من شرحه الصغير لكتاب «نهج البلاغة».

قال السيد الأمين: إن قبره متردد بين بقعتين ثناهما مشهورة بأنها مشهده، إحداهما في «جبانة الدونج»^{٤١}، وأخرى في «هلتا» من الماحوز. والصحيح أن قبره في قرية «هلتا» أما صاحب القبر في قرية الدونج فهو مدفن جده ميثم... كما دفن الشيخ سليمان بن عبدالله البحراني صاحب رسالة «السلافة البهية في الترجمة الميثمية» في قبره، لأنه من قرية «الدونج»... وفي هذا الصدد، قال صاحب الرسالة المذكورة.

وإن كان الغالب على الظن إنه في «هلتا» لوفور القرائن على ذلك من ظهور آثار الدعوات، وتوافر المنامات ومن غريب ما اتفق من المنامات في ذلك، أن بعض المؤمنين، من أهل الماحوز من لاسواد له، وهو متمسك بظاهر الخبر، رأى في المنام أن الشيخ كمال الدين مضطجع فوق ساحة قبره الذي في «هلتا» مسجى بثوب، وقد كشف الثوب عن وجهه، قال: فشكوت إليه ما نلقى من الأعراب، فأجابني بقوله: وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ^{٤٢}. ثم سألته عن قوله تعالى: انظَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكذِّبُونَ انطلقوا إلى ظل ذي ثلث شعب (الآية)^{٤٣} فقال: إن النواصب، ومن يشاكلهم في عقائدهم الفاسدة، ينطلقون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد كظهم^{٤٤} العطش

٤١ - الجبانة: بالفتح ثم التشديد. الصحراء. واهل الكوفة والبصرة يسمون المقابر جبانة. ودونج. وهلتا من

قرى ماحوز.

٤٢ - سورة الشعراء: ٢٢٧.

٤٣ - سورة المرسلات: ٢٩، ٣٠.

٤٤ - كظ - كظا: الأمر غمه وكرهه وبهظه وحناق به.

والحرّ، فيطلبون منه السقيا، والإستظلال، فيقول لهم: (إنطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون)، يعني، علياً عليه السلام، فينطلقون إلى عليّ عليه السلام، فيقول لهم: (إنطلقوا إلى ظلّ ذي ثلث شعب) يعني، به الثلاثة الملتصقة... و كان ذلك في سنة ١١٠٢ هـ، ثم إن الرجل سألني عن تفسير هذه الآية، ولم يكن يحضرني ماورد عن أهل البيت عليهم السلام فيها، فأخبرته بتفاسير، فقال: أها تفسير غير هذا؟ ففتشنا تفسير الشيخ الثقة الجليل أبي الحسن علي بن ابراهيم بن هاشم، فوجدت التفسير الذي حكاه عن منامه مروياً فيه عنهم -عليهم السلام- وهذا من أغرب المنامات-^{٤٥}.

اختيار مصباح السالكين :

لا ريب في أن لكمال الدين ميثم... رضي الله عنه، ثلاثة شروح لنهج البلاغة، كما نصّ عليها أكثر الفقهاء، والمحدثين، والمؤرخين، منهم ألقية المحقق الشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملي المتوفى ١١٠٤ هـ. فقال عند ترجمته له: كان من العلماء الفضلاء المدققين، متكلماً، ماهراً، له كتب منها كتاب «شرح نهج البلاغة»، «كبير»، و «متوسط»، و «صغير»، و «شرح المائة كلمة»^{٤٦}.

أما الكبير فقد طبع باسم شرح نهج البلاغة في إيران، بالقطع الكبير مجلد واحد سنة ١٢٧٦ هـ. ق. كاغد أسمر حجر، وأعيد طبعه للمرة الثانية في خمس مجلدات بالقطع الوزيري، كما فصلنا القول عنه في حق تأليفه.

و«الوسيط» فهو منتخب من شرحه الكبير وأسماء (اختيار مصباح السالكين) كما قال به في نهاية خطبة الكتاب ولفظه: (لكنه اشتمل مع ذلك على كثير من أسباب الخطب، وموجبات الرسائل، والكتب، فكبر لذلك حجمه، و كاماه كثير من الطباع، وإن كثر علمه، فأشار إليّ خلد الله إقباله، وضاعف جلاله، أن ألخص منه مختصراً جامعاً لزبد فصوله، خالياً من زيادة القول و طوله، ليكون تذكرة لولديه أسعد الله جدّهما، وشيد مجدهما، فيسهل عليهما ضبط فوائده، والوقوف على غاياته، ومقاصده، وعلى من عساه

٤٥ - مستدرک الوسائل ٣ : ٤٦١ . الفوائد الرضوية : ٦٩٠ .

٤٦ - أمل الآمل ٢ : ٣٣٢ .

يحدو حدوهما في اقتناء الفضائل، والتوسل إلى تحصيلهما بأعظم الوسائل، فبادرت إلى امتثال أمره العالي بالسمع والطاعة).

وقد فرغ منه في آخر شوال سنة إحدى وثمانين وستمائة (٦٨١) كما جاء في آخر الكتاب.

توجد من الكتاب عدة نسخ مخطوطة ومنها:

نسخة في مكتبة حالت أفندي (تركيا) كما في فهرستها.

واخرى في خزانة مجد الدين بن صدر الأفاضل النصيري.

ونسخة في مكتبة الفاضلية (مشهد - خراسان) وبعد هدم المدرسة وتداعبها انتقلت

مخطوطاتها القيمة إلى مكتبة الإمام الرضا عليه السلام وفي ضمنها هذه النسخة وهي

برقم ٢٠٥٦.

واخرى في مخطوطات مكتبة مدرسة المروى بطهران. في صناديق متروكة لا

يستفاد منها.

ونسخة في مكتبة الحاج آقا حفيد السيد حجة الاسلام الشفتى باصفهان، رآها

صاحب (كشف الظنون) وذكره في كتابه ص ١٩٩١، ورآها الشيخ سليمان الماحوزي

عام ١٠٨١ هـ.

وكانت في مكتبة الشيخ يوسف البحراني المتوفى ١١٨٦ منه نسخة ضاعت في أيام

حياته (٤٧).

ونسخة عتيقة في مكتبة العلامة الجليل الشيخ كاظم مدير شانه چي في مشهد-

خراسان، وعليها تاريخ التصحيح والقراءة والمقابلة في سنة ٧١٦ هجرية. وقد صورت

(المكتبة المركزية التابعة لجامعة طهران) منها بالميكرو فيلم، وهي في خزانها برقم

٢١٧١. وفي المكتبة الرضوية تحت رقم ٢/٦٦.

ونسخة اخرى في مكتبة مدرسة سليمان خان في (مشهد-خراسان) كتبت حدود عام ٩٠٨.

واخرى منه في مكتبة الفقيه آية الله الحاج آغا السيد حسين الخادمي الاصفهاني

المتوفى ١٤٠٥ هجرية وهي نسخة صحيحة تقع في ٥٠٩ ص بالقطع الوزيري ٢١×١٤

في كل صفحة ٢١ سطرًا طوله ١٠/٥ سم، وجاء في آخرها ما نصه:

٤٧ - الدرية ٢١: ١١٠.

- هذا اختيار مصباح السالكين لنهج البلاغة من كلام مولانا وإمامنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ورجاؤنا في الله سبحانه إذ وفقني لأتمامه أن يجعله خالصاً لوجهه، ويسعدنا في الدارين بمنه و لطفه، وفرغ من اختصاره أفقر عباد الله تعالى ميشم بن علي بن ميشم البحراني عفا الله عنه، في آخر شوال سنة إحدى وثمانين وستمائة (٦٨١) بحول الله وحسن توفيقه، والحمد لله كما هو أهله وصلى الله على سيدنا نبي الرحمة محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً...

عملي في تحقيق الكتاب

والذي اعتمده من نسخ الكتاب المخطوطة نسخة تفضل عليّ بها سماحة العلامة الحجة السيد محمد علي الروضاتي الاصفهاني...، وقابلت نصوصها من البداية إلى النهاية، مع نصوص شرحه الكبير المطبوع، إلى جانب مقابلتها مع نسخة العلامة الشيخ مدير شانه چي... ورمزت اليها بحرف ش. ولا شك في أن تصحيح الكتب وتحقيقها وتدقيقها من أشق الأعمال وأكبرها تبعاً منذ القدم إلى يومنا هذا، بيد أنني بحول الله وقوته ومثته ولطفه البعيم اجتهدت في تصحيح الكتاب ومقابله بالقدر الذي يتطلبه التحقيق... وهنا أحب القول أنني لم أحرز الكمال في التحقيق ولا أدعيه لأن الكمال لله وحده... ولا شك أن فيه بعض العثرات والتقصير.

وأسأل الله المبتدي لنا بنعمه قبل استحقاقنا، أن يديمها علينا مع تقصيرنا في الاتيان على ما أوجب به من شكره بها أن جعلنا في خیرامة أخرجت للناس، وأن يرزقنا فهما في كتابه، وستة نبيه، ونهج حجته وخليفة رسوله بالحق... قولاً وعملاً يؤدي به عنا حقه، ويوجب لنا نافلة مزیده.

هذا وفي الوقت الذي أقدم هذا الجهد... ارجو العلي القدير أن يوفقنا لما فيه الخير والصلاح... والله جل شأنه الحمد أولاً وآخراً.

محمد هادي الأميني

عفي الله عنه وعن والديه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سبحان من حسرت أبصار البصائر عن كنه معرفته، وقصرت ألسن البلغاء عن أداء مدحته، و كيفية صفته و شهدت مع ذلك بداية العقول بربوبيته، وجلال ألوهيته، و اقرت كثرة ما عداه باحديته و وحدانيته، و اعترفت حاجتها اليه، بغناؤه و واجبيته، و نطقت انواع مخلوقاته بعلو شأنه، و تمام قدرته، و نبهت بدائع مصنوعاته على كمال علمه، و بلاغ حكمته، و اشارت بحدوثها الى قدمه، و وجوب أزليته، سبحانه جليلا عن احاطة الزمان، عليا عن الكون و المكان، متقدسا عن الشبيه و النظير، متنزها عن المسعين و الظهير، فسبحانه من عظيم لا ينبغي التسبيح الا لمجده (تسبح له السموات السبع و الأرض و من فيهن) «و ان من شئ الا يُسبح بحمده»^١، اسبحة تسبيحا يليق بجلاله، و قدسه، أحمده حمدا كما هو اهله، و كما اثني على نفسه، و اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له، شهادة مويّدة بالبرهان، مؤكّدة لحقيقة^٢ الايمان، و اشهد ان محمدا عبده المصطفى من نوع الانسان، المبعوث الى الأسود، و الاحمر، باشرف الأديان، صلى الله عليه، و على آله البررة الكرام، مصابيح الظلام، و ينابيع الاحكام، و على أصحابه أفضل الصلاة، و سلم عليهم اكمل السلام.

و بعد: فلما كان من تمام نعم الله على، و كمال احسانه الي، اتصالي بخدمة حضرة من تجلت بنجوم كرمه و جوه المكارم، و تحلت بعقود نعمه صدور المراحم، و تزينت بذكره فروع المنابر، و اشرقت بجوده سماء المآثر، ذى المناقب و المحامد

(١) سورة الاسراء / ٤٤.

(٢) في نسخة ش: بحقيقة.

والمفاخر، وارث المجد الأقدم كابرا عن كابر، مولى ملوك العرب والعجم، صاحب ديوان ممالك العالم، علاء الحق والدين، غياث الاسلام والمسلمين عطا ملك بن صاحب المعظم السعيد الشهيد، بهاء الدنيا والدين، محمد الجويني، لازالت أوامر اقلامه نافذة في الآفاق، ولا بَرِحَتْ اظْلَمَةٌ اعلامه على العباد ممتدة الرواق، ما استبدل الله بقوم قوما، و أم يوم في الزمان يوما، و جدت ملكا يملأ العيون جماله، والقلوب هيئته و جلاله، والنفوس علمه و كماله، والخلائق انعامه و افضاله، و وجدته لشرف همته العلية، و صفاء نفسه القدسية، قد ألهم بعضهم ما روى من الاحاديث الصحاح عن النبي صلى الله عليه وآله، وتفخيم ما نقل عن علي عليه السلام في كتاب (نهج البلاغة) وغيره من فنون الكلام، و اسند اليه، و جعل دأبه الكريم بث محاسن تلك الاخبار، والاشتهار بنشر تلك الآثار، والحث على تأويلها، و اظهار كنوزها، والامر بتعلمها واستكشاف رموزها و نسبة من تولى تأديبه الى التقصير، لاشتغاله بغيرها من كتب الادب، والتأسف لقطع وقته بما عداها، ككتاب «اليمينى»^٢، و «مقامات الحريري»، و سائر منشور كلام العرب، لكون هذه الالفاظ في نظم جواهرها لا تخلو عن سعى و تكلف، و في ابرازها بهيئة تستلذها النفس لا تخلو عن عسر و تكلف، و لكونها في وضعها خالية عن مطالب أولى الهمم العالية، و المقاصد الحقيقية الباقية، مقصورة على حكايات مضحكة، و اوضاع اكاذيب ملهية، تكدر لوح النفس والخيال، و تمنع عن قبول الحق والترقى في معارج الكمال، و تكسب نفس المرتاض بها رذيلة الكذب، و توجب للتأظر فيها محبة اللهو واللعب، و تصدّه عن اكتساب الاخلاق المحموده، و تلفت وجهه عن سمة القبلة المقصودة، فكل منها كشيح خلا عن الروح، و ظن حيا او «كسرابٍ بقيةٍ يحسبه الظمآن ماءً حتى اذا جاءه، لم يجدهُ شيئاً»^٣.

و اما الالفاظ النبوية، والكلمات العلوية، فانها موارد عين صافية آمن كدرها، و غذب و ردها، و صدرها، و هى عين الحكمة التى من اوتيتها فقد اوتى خيرا كثيرا، «عينا

(١) نسخة من: بنشر فضائل تلك.

(٢) ابونصر محمد بن عبد الجبار العيني اليميني المتوفى ٤٢٧ الكاتب المنشئ الرازى الخراساني.

(٣) سورة النور / ٣٩

يشربُ بها عباد الله يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا»^١، وفي وضعها من البلاغة البديعة، والفصاحة التي هي مقتضى الطبيعة، التركيب الموجز والاسلوب المعجز، ما يشنف الاسماع، ويجل عن سائر الاساليب والاوزاع، وفي علمها من التجلّي بالانوار الالهية ما يهدى الى سبيل الرّشاد، ومن التحلّي بملكات الحكم والفضائل الخلقية افضل زاد، ليوم المعاد، وهي قواعد الدين القويم و اساسه، و عليها مداره و منها اقتباسه، و فيها بغية كل اديب، و منها بلاغة البليغ، و فصاحة الخطيب، و اليها نسبة العالم الحكيم، و عنها يؤخذ كل خلق كريم، و السابق اليها سابق بالخيرات، و المقصر عنها ظالم لنفسه لما حرّمها من الكلمات، فكيف يقاس بها قول القائل، أو يعدل عنها الى غير طائل.

ثم استدرك الفارط فيها لكرامتها لديه، فالزم بملازمتها والتمسك بها، ولديه الأميرين الكبيرين المعظمين العالمين الفاضلين الكاملين، جلالى الدولة وعضدى الملة، الذين لم يزالا من سنى الطفولية سالكين لاحمد المناهج فى اكتساب الكمالات النفسانية، حتى بلغت بهما الهمم ما لم تبلغه همم الكهول فى الاستكمال بالفضائل الانسانية، نظام الدنيا والدين، أبا منصور محمد، ومظفر الدين والدنيا^٢، ابا العباس علياً، لازالت الافلاك بدوام دولة علائهما دائرة، ولا برحت شمس اقبالهما فى بروج شرفهما سائرة، و نديهما الى حفظ فصوصها، و حرصهما على اقتباس انوار نصوصها، و اشغل بها من لاذ بخدمتهما من البطانة والاتباع، و قصد بذلك احياء ميّت السنة و عموم الانتفاع، و رأيت تشوق خاطره المحروس الى شرح كتاب (نهج البلاغة) و ايضاح دقائقه، و الاشارة الى اسراره وحقائقه، فوجدت السعى فى ذلك من اعظم القربات لاداء شكره، و أشرف الوسائل الى خدمته لمعرفته بقدره.

اذ كان الناس قبله اعزاله انصاره، و امدّ فضله، بين جاهل ما بهذا الكتاب، من الحكمة و فصل الخطاب، يطرحه لجهله و قصوره، و بين معاند للحق عادل عن الصواب يجتهد فى اخفاء شرفه، و اطفاء نوره، الى ان وقفت انظاره الصائبة على ما فيه من لطائف النكات، و اطلعت افكاره الثاقبة على ما اشتمل عليه من غامض الاسرار و بين الآيات،

(١) سورة الانسان / ٦.

(٢) نسخة ش: مظفر الدنيا والدين.

فنجم لذلك نجم سعوده، وتوجه لشرفه في درج صعوده، فخدمت مجلسه العالى بشرح مناسب لعلوهمته، موافق لكمال بغيته، و اودعت فيه من المباحث الالهية واللطائف الحكمية، مالا يوجد مجموعا فى كتاب، ولا يحيط به الافراد أولوالالباب، لكنه اشتمل مع ذلك على كثير من لباب^١ الخطب، وموجبات الرسائل والكتب، فكبر لذلك حجمه، وكاماه^٢ كثير من الطباع وان كثر علمه، فأشار اليّ خلدالله اقباله وضاعف جلاله^٣ ان الخّص منه مختصرا جامعا لزبد فصوله، خاليا من زيادة القول وطوله، ليكون تذكرة لولديه، أسعدالله جدهما، وشيد مجدهما، فيسهل عليهما ضبط فوائده والوقوف على غاياته ومقاصده، وعلى من عساه يحذو حذوهما فى اقتناء الفضائل، والتوسل الى تحصيلهما باعظم الوسائل، فبادرت الى امتثال امره العالى بالسمع والطاعة، وبذلت فى تهذيبه وتنقيحه جهد الاستطاعة، وسألت الله تعالى ان يوفقنى لا تمام ارادته، ويسعد اولياءه ببقاء دولته، ودوام سعادته، انه اكرم من سئل واولى من اقل.



مركز تحقيقات كميوتير علوم اسلامي

(١) فى ش: اسباب الخطب.

(٢) كاماه، وكأمه، واكاماه: كرهه. مله.

(٣) نسخة ش: اقتداره.

خطبة الكتاب

قال السيد الشريف ذوالحسين رضى الدين محمد بن الحسين الموسوى^١ قدس الله روحه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أما بعد الحمد لله الذى جعل الحمد ثمناً لنعمائه، ومعاذ أمن بلائه، ووسيلة الى جنانه، وسبباً لزيادة احسانه، والصلاة على رسوله نبي الرحمة وامام الائمة وسراج الامة، المنتخب من طينة الكرم، وسلالة المجد الأقدم، ومفرس الفخار المعرق، وفرع العلاء المثمر المورق، وعلى اهل بيته مصابيح الظلم، وعصم الامم، ومنار الدين الواضحة، ومثاقيل الفضل الراجحة صلى الله عليهم اجمعين، صلاة تكون ازاء لفضلهم، ومكافاة لعملهم، وكفاءة لطيب فرعهم واصلهم، ما انارفجر ساطع، وخوى نجم طالع.

فأني كنت فى عنفوان السن^٢ وغضاضة الغصن، ابتدأت بتأليف كتاب فى خصائص الائمة عليهم السلام يشتمل على محاسن اخبارهم، وجواهر كلامهم، حدانى عليه غرض ذكرته فى صدر الكتاب، وجعلته امام الكلام، وفرغت من الخصائص التى تخص امير المؤمنين علياً عليه السلام^٣ وعاقت عن اتمام بقية الكتاب محاجزات الايام، و

(١) المتوفى ٤٠٦ هجر. راجع كتاب - مصادر ترجمة الشريف الرضى - ط ايران ١٤٠١ هجر.

(٢) فى نسخة ش: السن.

(٣) طبع فى النجف عام ١٣٦٨ ويقع فى ١٠٠ صفحة بصورة مغلوطة ومصحفة، واعادت مؤسسة مجمع البحوث الاسلامية فى مدينة مشهد - خراسان، طبعه مع التصحيح والتحقيق من على نسخة الامام الفقيه ابى الرضا السيد فضل الله بن علي الحسينى الراوندى الكاشانى.

مماطلات الزمان، و كنت قد بويت ما خرج من ذلك أبوابا، و فصلته فصولا، ف جاء في آخرها فصل يتضمّن محاسن ما نقل عنه عليه السلام من الكلام القصير في المواعظ و الحكم و الامثال والآداب دون الخطب الطويلة والكتب المبسوطة، فاستحسن جماعة من الأصدقاء والاخوان ما اشتمل عليه الفصل المقدم ذكره معجبين بدائعه، و متعجبين من نواصحه، و سألوني عند ذلك ان أبدا بتأليف كتاب يحتوى على مختار كلام مولانا امير المؤمنين عليه السلام في جميع فنونه، و متشعبات غصونه، من خطب و كتب، و مواعظ و أدب علما ان ذلك يتضمن من عجائب البلاغة، و غرائب الفصاحة، و جواهر العربية، و ثواقب الكلم الدينية والدينية، ما لا يوجد مجتمعا في كلام، ولا مجموع الاطراف في كتاب، اذ كان امير المؤمنين عليه السلام مشرع الفصاحة و موردها، و منشأ البلاغة و مولدها، و منه عليه السلام ظهر مكنونها، و عنه اخذت قوانينها، و على امثلته هذا كل قائل خطيب، و بكلامه استعان كل واعظ بليغ، و مع ذلك فقد سبق و قصروا، و تقدم و تاخروا، لان كلامه عليه السلام، الكلام الذي عليه مسحة من العلم الالهى، و فيه عبقة من الكلام النبوى، فأجبتهم الى الابتداء بذلك عالما بما فيه من عظيم النفع، و منشور الذكر، و مذخور الأجر، و اعتمدت به ان ابين من عظيم قدر امير المؤمنين عليه السلام في هذه الفضيلة مضافة الى المحاسن الدثرة، و الفضائل الجمّة، و انه عليه السلام انفراد ببلوغ غايتها من جميع السلف الأولين الذين انما يؤثر عنهم منها القليل النادر، و الشاذ الشارد.

و اما كلامه، فهو من البحر الذي لا يساجل، و الجمّ الذي لا يحافل، و اردت ان يسوغ لى التمثيل فى الافتخار به عليه السلام بقول الفرزدق:

اولئك آبائى فجننى بمثلهم
اذا جمعتنا يا جرير المجمع

و رأيت كلامه عليه السلام يدور على اقطاب ثلاثة: اولها الخطب و الاوامر، و ثانيها الكتب و الرسائل، و ثالثها الحكم و المواعظ، فأجمعت بتوفيق الله تعالى على الابتداء باختيار محاسن الخطب، ثم محاسن الكتب، ثم محاسن الحكم و الادب، مفردا لكل صنف من ذلك باباً، و مفضلاً فيه اوراقاً لتكون مقدمة لاستدراك ما عساه يشذ عنى عاجلا و يقع اللى آجلا، و اذا جاء شىء من كلامه عليه السلام الخارج فى اثناء حوار، او

جواب سؤال او غرض آخر من الاغراض فى غير الانحاء التى ذكرتها، وقررت القاعدة عليها نسبته الى أليق الابواب به، واشدها ملامحة لغرضه، وربما جاء فيما اختاره من ذلك فصول غير متسقة، و محاسن كلم غير منتظمة، لآنى اورد التكت واللمع، ولا اقصد التالى والنسق.

ومن عجائبه عليه السلام التى انفرد بها، وأمن المشاركة فيها ان كلامه عليه السلام الوارد فى الزهد والمواعظ، والتذكير والزواج اذا تأمله المتأمل، وفكر فيه المتفكر، وخلع عن قلبه انه كلام مثله ممن عظم قدره، ونفذ أمره، واحاط بالرقاب ملكه، لم يعترضه الشك فى انه من كلام من لاحظ له فى غير الزهادة ولاشغل له بغير العباداة، قد قبع فى كسريبت او انقطع فى سفح جبل لا يسمع الآ حسه، ولا يرى الآ نفسه، ولا يكاد يوقن بانه كلام من ينغمس فى الحرب مصلتاسيفه فيقظ الرقاب، ويجدل الأبطال، ويعود به ينطف دماً، ويقطر مهجاء، وهو مع تلك الحال زاهد الزهاده، وبدل الأبدال، وهذه من فضائله العجيبة، و خصائصه اللطيفة التى جمع بها بين الأضداد، وآف بين الاشتات، وكثيراً ما أذاكر الاخوان بها، واستخرج عجبهم منها، وهى موضوع للعبرة بها، والفكرة فيها.

وربما جاء فى اثناء هذا الاختيار اللفظ المرذد، والمعنى المكرر، والعذر فى ذلك ان روايات كلامه عليه السلام تختلف اختلافاً شديداً، وربما آتفق الكلام المختار فى رواية فنقل على وجهه، ثم وجد بعد ذلك فى رواية اخرى موضوعاً غير موضعه الاوّل اما بزيادة مختارة او بلفظ احسن فى العبارة، فتقتضى الحال ان يعاد استظهار الاختيار، وغيره على عقائل الكلام، وربما بعد العهد ايضا بما اختير اولا فاعيد بعضه سهوا ونسيانا لا قصدا واعتماداً.

ولا ادعى مع ذلك اننى احيط باقطار جميع كلامه عليه السلام حتى لا يشد عنى منه شاد ولا يند ناد، بل لا ابعد ان يكون القاصر عنى فوق الواقع اليّ، والحاصل فى ربقتى دون الخارج من يدي، وما عليّ الآ بذل الجهد، وبلاغ الوسع، وعلى الله سبحانه وتعالى نهج السبيل، ورشاد الدليل ان شاء الله.

ورأيت من بعد تسمية هذا الكتاب (نهج البلاغة) اذ كان يفتح للناظر فيه ابوابها، و

(١) فى ش: وما دعى.

يقرب عليه طلابها، وفيه حاجة العالم والمتعلم، وبغية البليغ والزاهد، ويمضى في اثنا عشر
من الكلام في التوحيد والعدل، وتنزيه الله سبحانه وتعالى عن شبه الخلق ما هو بلال
كل غلة^٢ و جلاء كل شبهة.

ومن الله سبحانه استمد التوفيق والعصمة، واتنجز التسديد والمعونة، واستعيذه من
خطأ الجنان قبل خطأ اللسان، ومن زلة الكلام قبل زلة القدم، وهو حسبي ونعم الوكيل.

أقول:

المعاذ: الملجأ، والوسيل جمع: وسيلة، والمعرق: ذوالعرق^٣ والاصل في الكرم،
والمنازل علم الطريق وهو مستعار لاهل البيت عليهم السلام باعتبار هدايتهم للخلق، و
اراد هنا جمع منارة على غير قياس ولذلك انت صفتة، والموازاة: المحاذاة، وكفاء الشيء
مثله، وخوى النجم^٤: سقط للمغيب، و عنفوان السن: اوله، و كنى بغضاضة الغصن عن:
الشباب، و حدانى: بعثنى، والمحازرات: الممانعات كان الأيام تدفعه عن العمل و
هو يدفعها، و معجبين: مكشرين عجب غيرهم، والبدايع: الاشياء الحسنة المعجبة، و
ناصر كل شىء: خالصه، و معلما مفعول له. والمسحة من الشىء: الاثر منه. و عقب به:
الطيب لصق^٥. و اعتمدت: قصدت. والدثرة والجمّة: الكثيرة. و يؤثر: يروى.
والمساجلة: المغالبة والمفاخرة فى السقى، والسجل: الدلو العظيمة فيها الماء. ولا يحافل:
اي يكاثربكثرة من الفضائل. والاجماع: تصميم العزم. والحوار: الخطاب والجواب،
والانحاء: المقاصد، والملامحة: المشابهة، وقبع القنفذ: أدخل رأسه فى جلده، و كسر
البيت: الشقة التى تلى الارض من حيث يكسر جانباه من اليمين والشمال، و أصلت
السيف: جرده. والقظ: القطع عرضا، والقّد: القطع طولاً. وجد له: ألقاه على الجدالة و
هى: الأرض، و ينطف بالضم: يسيل، والمهجة: الدم، والأبدال: قوم صالحون ولا تخلوا

(١) نسخة ش بزياة: عجيب.

(٢) فى ش بزياة: وشفاء كل علة.

(٣) فى ش: ذوالعرض.

(٤) فى نسخة ش: اذا سقط.

(٥) فى ش: لزق.

الارض منهم واحداً بدل الآخر، وعقيلة كل شيء: اكرمه وأحسنه، والأقطار: الجوانب.
ونذ البعير يتد: نفر و شرد. والربق بكسر الراء وسكون الباء: حبل فيه عرى تشد به البهم،
والمنهج، الطريق الواضح، ومقاصد الخطبة واضحة وباللّٰه التوفيق.



مركز تحقيقات كميوتور علوم رسدي

باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام

وأوامره. ويدخل في ذلك المختار من كلامه الجارى مجرى الخطب فى المقامات المحصورة، والمواقف المذكورة والخطوب الواردة

١ - وَمِنْ خُطْبَةِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

بذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض، وخلق آدم. وفيها ذكر الحج.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ، وَلَا يُحْصَى نِعْمَاهُ الْعَادُونَ، وَلَا يُؤَدَى حَقُّهُ الْمُجْتَهِدُونَ، الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهَمِّ، وَلَا يَنَالُهُ عَوْصُ الْفِظَنِ الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ، وَلَا نَعَتْ مَوْجُودٌ، وَلَا وَقْتُ مَعْدُودٌ، وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ: فَظَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ، وَنَشَرَ الرِّيَّاحَ بِرَحْمَتِهِ، وَوَدَّ بِالصُّخُورِ مَيِّدَانَ أَرْضِهِ. أَوَّلَ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَالَ مَعْرِفَتِهِ التَّصَدِيقُ بِهِ، وَكَمَالَ التَّصَدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ، وَكَمَالَ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ، وَكَمَالَ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ؛ لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمُوصُوفِ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ: فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ مُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ نَتَّاهُ، وَمَنْ نَتَّاهُ فَقَدْ جَزَّاهُ، وَمَنْ جَزَّاهُ فَقَدْ جَهَلَهُ، وَمَنْ جَهَلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ، وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهَ، وَمَنْ حَدَّهَ فَقَدْ عَدَّهَ، وَمَنْ قَالَ «فَيْمَ؟» فَقَدْ ضَمَّنَهُ، وَمَنْ قَالَ «عَلَامَ؟» فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ. كَأَنَّ لَأَعْنَ حَدَثَ مَوْجُودٌ لَأَعْنَ عَدَمٌ، مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لَأَبْمَقَارَتِيَّةٍ، وَغَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لَأَبْمَزَاتِيَّةٍ، فَاعِلٌ لَأَبِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَالْآلَةِ، بَصِيرٌ إِذْ لَا مَنظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ مَتَّوْحِدٌ إِذْ لَأَسْكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ وَلَا يَسْتَوْجِشُ لِفَقْدِهِ.

أقول :

التصدير بذكر الله تعالى واجب، لأنه المبدأ الاوّل لجميع الموجودات بالذات فهو المستحق لقدمه فى المراتب الأربع من الموجودات. والحمد يرادف الشكر وقد يفيد ما هو اعمّ منه وهو التعظيم المطلق. والمدحة فعلة من المدح، وهى الهيئة التى للممدوح يكون المدح عليها، وقد اشار الى جملة من صفات جلاله ونعوت كماله.

فالاول من صفات جلاله: عدم بلوغ القائلين مدحته، وهو اشارة الى تنزهه تعالى عن اطلاع العقول البشرية على كنهه وصفه، كما هو أهله لما علمت ان ذلك انما يمكن بالاطلاع على كنه ذاته تعالى، ليستلزم ذلك معرفة مالها من صفات الجلال ونعوت الكمال، ومعرفة الامور كماهى، انما يمكن فيما تركب منها، ولما تنزه قدسه تعالى عن ذلك لاجرم كانت عقول البشر قاصرة عن هذا المقام، بل كلّ مرتبة وصلت اليها من اطوار الثناء بحسب قوتها وامكانها، فورائها اطوار اخر لا تتناهى، كما قال سيّد المرسلين صلى الله عليه: لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك، وخصّ القائلين دون المادحين بالذكر، لكونه ابلغ فى التنزيه لانّ القائلين اعمّ من المادحين، وسلب مدح الاعم مستلزم سلب مدح الاخصّ من غير عكس.

الثاني: عدم احصاء العاذين لنعماته، وذلك لكثرتها وعدم تناهيتها، واليه الاشارة بقوله تعالى: (وإنّ تعدّوا نعمة الله لا تُحصوها)^١.

الثالث: عدم اداء المجتهدين لحقه، وذلك لانه لما ثبت انّ نعمه^٢ لا تحصى لزم من ذلك عدم تمكن المنعم عليه من مجازاتها واداء حقه فيها، ولانّ التوفيق لاداء حقه نعمة اخرى منه، ولا يمكن جزاء نعمته بنعمته، واداء حقه بما يوجب حقاً آخر، و فى الاثر انّ هذا الخاطر خطر لداود عليه السلام فقال: (يا ربّ كيف اشكرک وانا لا- استطيع ان اشكرک الا بنعمة ثانية من نعمک) فاوحى الله تعالى اليه: (اذا عرفت انّ النعم متى رضيت منك بذلك شكراً).

الرابع: كونه لا يدركه بعد الهمم البعيدة، والهمة هى العزم الجازم وبعدها تعلقها

(١) سورة ابراهيم / ٣٤.

(٢) فى نسخة شر: نعمة الله.

بعليات الامور دون محقراتها، اى: لا تدركه النفوس ذوات الهمم البعيدة وان امعنت في الطلب كنه حقيقته، وقدم الصفة للعناية بها.

الخامس: كونه لا يناله غوص الفطن، اى الفطن الغائصة واستعار لفظ الغوص هنا لتعمق الافهام الثاقبة فى بحار صفات جلاله التى لا قرار لها ولا غاية، واعتباراً نعت كماله التى لا تقف عند حدّ ونهاية.

السادس: كون صفته لا حدّ لها اى: ليس لما تعتبر، عقولنا له من الصفات نهاية معقولة يكون حدّاً لها، ويحتمل ان يريد أنه لا صفة له فتحد كقولهم.

ولا ارى الضبّ بها ينحجر اى: لا ضبّ بها فينحجر. وقوله: حدّ محدود، كقولهم: شعر شاعر.

السابع: ولا لمطلق ما يوصف به، ايضاً نعت بجمعه وينحصر فيه.

الثامن: ولا لصفته وقت معدود، اى: داخل فى العدد، وذلك لتقدسه تعالى عن احاطة الزمان المتأخر عنه بمراتب.

التاسع: وكذلك ولا أجل ممدود، لكونه تعالى واجب الوجود دائماً.

العاشر: من نعت كماله،^٢ فطر الخلاق بقدرته، والفطر: الشق والابداع واستعار و صفة لايجاد الخلق ملاحظة لما يتوقم من شقّ ظلمة العدم بنور وجودهم.

الحادى عشر: كونه نشر الرياح برحمته، اى: بسطها لكونها سبباً عظيماً لبقاء انواع الحيوان والنبات، وصلاح الأمزجة ونموها، واسنده الى رحمته، لشمولها هذا العالم، و من آثارها حملها السحاب المترع بالماء على وفق الحكمة ليصيب الارض الميتة فينبت بها الزرع وتملاء الضرع، كقوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ)^٣ واستقراء كلام العرب يدل على استعمالهم لفظ الرياح فى الرحمة، والريح فى العذاب.

الثانى عشر: كونه وتدّ بالصخور ميدان ارضه، اى ارضه المائدة فقدم الصفة لانّ ذكرها اهمّ، لكونها سبباً فى نصب الجبال، وهو كقوله تعالى: (وَالْقَى فِي الارضِ رَاسِيَ

(١) فى ش: فى العذ.

(٢) فى نسخة ش: كونه فطر

(٣) سورة الفرقان / ٤٨.

أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ^١ وبيان ذلك من وجهين:

أحدهما: أن الأرض كرة، وهذه الجبال جارية مجرى خشونات وتضريسات في وجهها، فلولم تكن هذه الجبال حتى كانت الأرض كرة حقيقية خالية عنها، لكانت بحيث تتحرك بالاستدارة بأدنى سبب لأن الجرم البسيط المستدير يجب تحركه على نفسه، أما إذا حصلت هذه الجبال على سطحها وكلّ منها يتوجّه بطبعه و ثقله العظيم نحو مركز العالم، فإنه يجري مجرى الوتد الذي يمنع كرة الأرض من الاستدارة.

الثاني: ما قيل أن اطلاق لفظ الأوتاد عليها، استعارة والمقصود من جعلها كالأوتاد في الأرض لكي يهتدى بها على طرقها، فلا تزيع جهاته المشتبهة بأهلها، ولا تميل بهم عن مقاصدها.

الثالث عشر: كون معرفته تعالى أول الدين الواجب لزومه.

واعلم أن المعرفة على مراتب فأدناها ان يعرف العبد أن له صانعاً.

الثانية، أن يصدق بوجوده.

الثالثة، أن يترقى بجذب العناية الإلهية إلى توحيده، وتنزيهه عن الشركاء.

الرابعة مرتبة الاخلاص له، بالزهد الحقيقي وهو تنحية كل ما سواه، عن سنن

الايثار.

الخامسة مرتبة نفي الصفات عنه وهي غاية العارف.

و كل مرتبة من المراتب الأولى مبدء لما بعدها، و كل من الأربع الأخيرة كمال لما

قبلها، وقد اشار الى هذه المراتب بقوله: و كمال معرفته التصديق به... الى قوله:

نفي الصفات عنه.

وينحل هذا القياس الى قياسات تُشبه قياسات المساوات لعدم الشركة بين

مقدمتين^٢ كل منهما في تمام الأوسط، فيحتاج في انتاج كل منهما الى قياس آخر،

والمطلوب من التركيب الأول وهو قوله: و كمال معرفته التصديق به، و كمال التصديق به

توحيده، أن كمال معرفته توحيده.

(١) سورة النحل / ١٥

(٢) في ش: مقدمتي.

و من تركيب هذه النتيجة مع قوله: و كمال توحيدہ الاخلاص له، و من تركيب هذه مع قوله: و كمال الاخلاص له نفى الصفات عنه، ان كمال معرفته نفى الصفات عنه و هو المطلوب.

اذا عرفت ذلك فنقول: يحتمل أن يريد بالمعرفة التي هي أول الدين، المعرفة الناقصة التي هو أول متحصل في النفس من مراتب المعرفة، و يحتمل أن يريد بها التامة اذ هي العلة الأولى في التصور الاجمالي للسالكين و غاية في السلوك، و في اطلاق الكمال ها هنا تنبيه على ان معرفته تعالى بكنه حقيقته غير ممكنة، لانها مقولة بالاشد والاضعف فلم تكن ممكنة الا بحسب رسوم ناقصة تركبت من اسلوب و اعتبارات اضافية تلزم معقوليته^١ تعالى.

و لما لم تكن متناهية لم^٢ تقف المعرفة بحسبها عند كل حد، بل كانت متفاوتة بالزيادة والنقصان والجلاء والخفاء.

و اما بيان المقدمة الأولى من القياس المذكور، فلان المتصور لمعنى الصانع عارف به من تلك الجهة معرفة ناقصة اذ هي من ضرورة كونه موجداً للعالم فكان اعتبار التصديق بوجوده كمالاً لتلك المعرفة.

و اما الثانية فلان وجود الواجب تلزمه الوحدة المطلقة اذ لو كان مشتركاً بين اثنين لزم ان يتميز كل منهما بأمر وجودي وراء ما به الاشتراك، فيلزمهما التركيب المستلزم للامكان، فاذا التصديق بوجوده يلزمه توحيدہ و تصور اللازم كمال لتصور ملزومه.

و اما الثالثة فلان اعتبار الغير معه تعالى في المحبة والقصد اليه، والاعتماد عليه شرك خفي ينافي التوحيد الحق وان لم يكن منافياً فهو نقصان فكان عدمه، والاخلاص لله كمال التوحيد له^٣.

و اما الرابعة فقد بينا عليه السلام بقياس برهاني مطوي النتائج استنتج منه، ان كل من وصف الله سبحانه فقد جهله.

(١) في ش: الله تعالى.

(٢) في ش بزيادة: لم يمكن أن تقف.

(٣) في نسخة ش: كمال توحيدہ.

وقوله لشهادة كل صفة... الى قوله: غير الصفة.

توطيد للقياس ببيان المغايرة بين الصفة والموصوف، والشهادة هاهنا شهادة الحال فإن حال الصفة تشهد بحاجتها الى الموصوف، وحال الموصوف يشهد بالاستغناء عنها، والحالان يشهدان بمغايرتهما لأن اختلاف اللوازم يدل على اختلاف الملزومات، فاما صحة المقدمات.

بيان الاولى: ان الصفة لما ثبت كونها مغايرة للذات لزم كونها زيادة عليها فلزم اقترانها بها عند فرضها صفة لها.

وبيان الثانية: ان من قرن ذاته بشيء او اشياء فقد اعتبر في مفهومه امرين او اموراً فكانت فيه كثرة.

وبيان الثالثة: ان كل ذي كثرة فهو مركب و كل مركب فهو ذو جزء.

وبيان الرابعة: ان كل ذي جزء فهو ممكن لافتقاره الى جزئه الذي هو غيره، والحاكم بان له جزءاً، حاكم بكونه ممكناً واجبا لذاته فكان جاهلاً به، ونتيجة القياس اذن ان من وصف الله سبحانه، فقد جهله وتبين به المطلوب وهو ان كمال الاخلاص له نفى الصفات عنه، اذ الاخلاص^٢ ينافي الجهل به، فينا في ملزوم الجهل وهو اثبات الصفة له فيتحقق اذن نفيها.

الرابع عشر: كونه غير مشاراليه، و اراد مطلق الاشارة و بين ذلك بقياس هو قوله: و من اشاراليه... الى قوله: فقد عدّه.

بيان الاولى، ان الاشارة اما حسية او عقلية، اما الحسية فانها تستلزم الوضع والكون في المحلّ او الحيز وما كان كذلك فلا بد وان يكون له حد او حدود، و اما الاشارة العقلية فلان المشير الى حقيقة شيء زاعماً انه وجدّه، و تصوّره، فقد اوجب له حداً يقف ذهنه عنده، ويميزه به عن غيره.

وبيان الثانية: ان من حدّه بالاشارة الحسية فقد جعله مركباً من أمور معدودة، اذ الواحد في الوضع ليس مجرد وحدة فقط والا لم تتعلق الاشارة الحسية به، بل لا بد معها من

(١) في ش: تعالى.

(٢) في ش بزيادة: له

امور اخرى مشخّصة مخصّصة له، فكان في نفسه معدوداً لكثرتة من تلك الجهة، ومن حدّه بالاشارة العقلية فلا بدّ ان يحكم بتركيبه لما علمت انّ كل محدود مركب في المعنى، فكان ايضاً ذا كثرة معدودة فاذن الاشارة المطلقة ممتنعة في حقّه تعالى مستلزمة للجهل به.

الخامس عشر: كونه تعالى غير حال في شيء وبينه بقوله: ومن قال فيم فقد ضمّنه، وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه، ومن ضمّنه فقد احوجه الى المحل المنافي لوجوب وجوده: اما الصغرى فلأن فيما سؤال عن الظرف ولا يصحّ ذلك الا في المحل. و اما الكبرى فلأن الحال في المحل ان لم يجب كونه فيه جاز استغناؤه عنه، والغنى عن المحل يستحيل ان يعرض له، وان وجب كونه فيه كان محتاجاً اليه فكان ممكناً وهذا خلف.

السادس عشر: كونه تعالى ليس في مكان ولا في جهة، و اشار اليه بقوله: ومن قال... الى قوله: منه، وهو في قوة ضمير كالذي قبله، وتقدير كبراه، ومن أخلى منه فقد كذّبه، اما الصغرى فلأن السؤال بعلام يستلزم كونه في جهة فوق وذلك يستلزم اخلاء سائر الجهات عنه، و اما الكبرى فلقوله تعالى: (وهو الله في السموات وفي الارض)^١ و قوله: (وهو معكم أينما كنتم)^٢ فالمخصّص له بجهة كاذب^٣ لذلك. واما خصّص عليه السلام جهة العلوّ بالانكار لكونها هي المتوهمة لله تعالى دون غيرها.

السابع عشر: كونه كائناً لا عن حدث.

واعلم، انّ الحدوث يقال في الاصطلاح العلمي على معنيين بالاشتراك، احدهما الحدوث الذاتي، وهو كون الشيء من حيث هو لا يستحق من ذاته وجوداً ولا عدماً، انما يستحق احدهما بأمر خارج عن ذاته وهو معنى يلزم الامكان.

وثانيهما^٤ الحدوث الزماني، وهو كون الوجود مسبوqاً بالعدم سبقاً زمانياً، وهو

(١) سورة الانعام /٣.

(٢) سورة الحديد/٤.

(٣) في ش: مكذب.

(٤) في نسخة ش: والثاني.

أخص من الامكان و يقابله القدم بمعنيين، اذا عرفت ذلك فاعلم، أنه عليه السلام نزهه من هذه القرينة عن الحدوث بالمعنى الاوّل اذ كان تعالى واجب الوجود بذاته، ودلّ بالكائن على وجوده المجرد عن الزمان، و خرج الزمان عن مفهوم كان بالدليل العقلي المانع من لحوق الزمان له، و كان هنا تامة.

الثامن عشر: كون وجوده لا عن عدم، وهو اشارة الى تقدّسه عن لحوق الحدوث له بالمعنى الثاني، وقد استلزم هذان الوصفان اثبات الازلية والقدم بمعنييه له.

التاسع عشر: كونه مع كل شيء لا بمقارنة.

واعلم أنّ كونه مع غيره نسبة تعرض له بالقياس الى جميع مخلوقاته، اذ كلّها منه و يصدق عليه ذلك بمعنى: أنّ ذاته المقدّسة مساوية متصلة العلم بكّلها و جزئها، لقوله تعالى: (وهو معكم) الآية، لاعلى وجه المصاحبة في زمان او محلّ او مجاورتها في مكان.

ولما كان مفهوم المقارنة تعتبر فيه الزمان والمكان لا جرم نزه تلك المعية عنها بقوله: لا بمقارنة.

العشرون: كونه غير كل شيء لا بمزايلة، ولما كانت المزايلة وهي المفارقة اضافة لا تعقل الا بالقياس الى مقارنة و كان في وجوده تعالى و غيريته للأشياء منزهاً عن لحوق هاتين الاضافتين لا اعتبار الزمان والمكان في مفهوميهما، لا جرم نفاها عن غيريته للأشياء كما نفى المقارنة عن معيته لها بل غيريته للأشياء بذاته المقدّسة.

الحادي والعشرون: كونه فاعلا لا بمعنى الحركات والآلة، اي: لا تدخل الحركة و الآلة في فاعليته لكونهما من خواصّ الاجسام المنتزه قدسه عنها، ولأنه لو وقف فعله على الآلة لكان بدونها غير مستقل فيكون ناقصاً بذاته مستكملاً بغيره، وهو محال.

الثاني والعشرون؛ كونه بصيراً، الى قوله: خلقه واراد اثبات البصر له حيث لا مبصر ولما كان تعالى منزهاً عن الادراك بآلة البصر، فمعنى كونه بصيراً كونه عالماً

(١) في هامش النسخة ما لفظه:

الفرق بين البصر والبصير، والعليم والعالم، والقدير والقادر، هو أنّ البصر الذي من شأنه ذلك وان لم يكن هناك ما يبصر اليه، والبصير هو الذي يدرك بالبصر ما يكون موجوداً، وكذا القول في العليم والعالم والقدير والقادر.

بالمبصرات، واطلاق لفظ البصير عليه مجاز اطلاقاً لاسم المسبب على السبب،
واشارياً: الى اعتبار الازل فانه اذن لا مخلوق لما ثبت ان العالم حادث.

الثالث والعشرون، كونه متوحداً، الى قوله: لفقده، وهو وصف بتفرد بالوحدانية
لذاته ازلاً، اذ المتوحد المطلق من له الوحدانية لذاته، و اشارياً: لاعتبار الازل ايضاً.
ولما ثبت ان العالم حادث ثبت انه لا سكن في الازل يقارنه، ولانه ليس من شأنه
ان يكون له أنيس ينفرد عنه ويستوحش لفقده، اذ الاستيناس والتوحش يتعلقان بميل
الطبع ونفرته التابعة للمزاج، وقد تنزه تعالى عن ذلك فهو المتفرد بالوحدانية المطلقة
لابلقياس الى شئ.

الفصل الثاني، في نسبة ايجاد العالم الى قدرته تعالى جملة وتفصيلاً، والاشارة الى
كيفية ذلك في معرض مدحه تعالى وذلك قوله:

أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءً، وَأَبْتَدَأَهُ أَبْتِدَاءً، بِأَلْوَانٍ أَجَالَهَا، وَلَا تَجْرِبَةَ أَسْتَفَادَهَا وَلَا حَرَكَةَ
أَحْدَثَهَا، وَلَا هَمَامَةَ نَفْسٍ أَضْطَرَبَ فِيهَا. أَجَالَ الْأَشْيَاءَ لِأَوْقَاتِهَا وَلَا عَمَّ بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا، وَغَرَزَ
غَرَائِزَهَا، وَالزَمَهَا أَشْبَاحَهَا عَالِمًا بِهَا قَبْلَ أَبْتِدَائِهَا مُحِيطًا بِحُدُودِهَا وَأَنْتَهَائِهَا عَارِفًا بِقَرَائِنِهَا
وَأَحْتَائِهَا. ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ فَتَقَّ الْأَجْوَاءَ وَسَقَّ الْأَرْجَاءَ، وَسَكَاتِكَ الْهَوَاءِ فَأَجْرَى فِيهَا مَاءً
مُتَلَاطِمًا تَيَّارُهُ، مُتْرَاكِمًا زَخَارُهُ. حَمَلَهُ عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ، وَالزَّرْعِ الْقَاصِفَةِ فَأَمَرَهَا
بِرَدِّهِ وَسَلَطَهَا عَلَى شَدِّهِ، وَقَرَّنَهَا إِلَى حَدِّهِ الْهَوَاءَ مِنْ تَحْتِهَا فَتَيَّقُ وَالْمَاءَ مِنْ فَوْقِهَا دَفِيقُ ثُمَّ
أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحًا أَعْتَقَمَ مَهَبَهَا وَأَدَامَ مُرَبَّهَا، وَأَعَصَفَ مَجْرَاهَا، وَأَبْعَدَ مَنَشَأَهَا، فَأَمَرَهَا
بِتَضْفِيقِ الْمَاءِ الزَّخَارِ، وَأَثَارَةِ مَوْجِ الْبِحَارِ، فَمَخَضَتْهُ مَخَضَ السَّقَاءِ، وَعَصَفَتْ بِهِ عَضْفَهَا
بِالْفَضَاءِ. تَرَدُّ أَوَّلُهُ إِلَى آخِرِهِ، وَسَاجِيَةٌ إِلَى مَائِرِهِ حَتَّى عَبَّ عُجَابُهُ. وَرَمَى بِالزَّبَدِ رَكَامَهُ،
فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنْفَتِقٍ وَجَوٍّ مُنْفَهَقٍ، فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ، جَعَلَ سُفْلَاهُنَّ مَوْجًا مَكْفُوفًا
وَعُلْيَاهُنَّ سَقْفًا مَحْفُوظًا، وَسَمَكًا مَرْفُوعًا، بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعُمُهَا، وَلَا دِسَارٍ يَنْظُمُهَا ثُمَّ زَيَّنَّهَا
بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ، وَضِيَاءِ النُّوَاقِبِ، وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجًا مُسْتَطِيرًا وَقَمَرًا مُنِيرًا: فِي فَلَكٍ دَائِرٍ،
وَسَقْفٍ سَائِرٍ، وَرَقِيمٍ مَائِرٍ. ثُمَّ فَتَقَّ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ الْعُلَا، فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَارًا مِنْ مَلَائِكَتِهِ،
مِنْهُمْ سُجُودٌ لَا يَرْكَعُونَ، وَرُكُوعٌ لَا يَتَّصِبُونَ، وَصَافُونَ لَا يَتَزَايَلُونَ، وَمُسَبِّحُونَ لَا يَسْأَمُونَ.

لَا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ، وَلَا سَهْوُ الْعُقُولِ، وَلَا فَتْرَةُ الْأَبْدَانِ، وَلَا غَفْلَةُ النَّسِيَانِ. وَمِنْهُمْ
 أَمْنَاءُ عَلَى وَحْيِهِ، وَالسِّبْغَةُ إِلَى رُسُلِهِ، وَمُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَأَمْرِهِ، وَمِنْهُمْ الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ،
 وَالسِّدْنَةُ لِأَبْوَابِ جَنَائِهِ وَمِنْهُمْ الثَّابِتَةُ فِي الْأَرْضِينَ السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ، وَالْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ
 الْعُلْيَا أَعْتَاقُهُمْ. وَالْخَارِجَةُ مِنَ الْأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ، وَالْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَاْفُهُمْ. نَاكِسَةُ
 دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ مُتَلَفَعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ، مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ الْعِزَّةِ،
 وَأَسْتَارُ الْقُدْرَةِ. لَا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ، وَلَا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمَصْنُوعِينَ، وَلَا
 يَحْدُونَهُ بِالْأَمَاكِينِ، وَلَا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنِّظَائِرِ.

أقول :

انشأؤه الخلق وابتدأؤه آياه ايجاده له على غير مثال سبق من غيره.

وقوله : بلا روية أجالها، الى قوله: اضطرب فيها. تنزيه لعلمه تعالى وافعاله عن
 كفيات علوم الناس وشرائط افعالهم، والروية الفكر، واجالها تقلبها في طلب أصلح
 الاراء والوجوه فيما يقصد من المطالب، والتجربة مشاهدات من الانسان تتكرر فيستفيد
 عقله منها علما كلياً، والهمامة الاهتمام بالأمر، وبرهان امتناع هذه الكفيات على علومه
 تعالى وافعاله، أما الروية والتجربة فلكونها من خواص الانسان وبواسطة آلات جسمانية
 ممتنع عليه تعالى، وكذلك الحركة من عوارض الجسمية.

وأما الهمة فلكونها عبارة عن الميل النفساني الحازم الى فعل الشيء مع التألم والغم
 بسبب تصور فقده، وذلك في حق الله تعالى محال^١.

وقوله : أجال الاشياء لأوقاتها، اي: ادار كل ذي وقت الى وقته، وربطه به دون ما
 قبله وما بعده من الاوقات، وكتبه في لوحه المحفوظ وعلمه المبين، واللام في لاقواتها
 للتعليل اذ كان كل وقت يستحق بحسب علم الله وحكمته ان يكون فيه ما ليس في
 غيره، وروى احوال بالحاء، اي: حوّل كلاً الى وقته، وروى اجل أي: جعلها ذات آجال
 لا يتقدم عليها ولا يتأخر عنها.

وقوله: ولأائم بين مختلفاتها: تنبيه على كمال قدرته تعالى، والملائمة الجمع و

١- في ش: ممتنع.

ذلك كجمعه في الامزجة بين العناصر الأربعة على اختلافها وتضادها، وبين الأرواح اللطيفة والتفوس المجردة، وبين هذه الأبدان المظلمة الكثيفة على وفق حكمته وكمال قدرته.

وقوله: وعرز غرائرها، اي: اثبتتها فيها ورکزها، وعريزة كل شيء طبيعته وخلقته و ما جبل عليه من خاصة او لازم كالتعجب والضحك للانسان، والشجاعة للأسد، والجبن للأرنب، والمكر للشعلب.

وقوله: وألزمها اشباحها، اي: اشخاصها اذ كانت كل طبيعة كلية انما توجد في شخص، وروى اسناخها، والسنخ الأصل اي: جعلها لازمة لأصلها وهي طبائع الموجودات وماهياتها، والضمير في قوله: والزمها، عائد الى الغرائز ويجوز ان يعود الى الاشياء، ويكون المعنى انه تعالى لما عرّز غرائز الاشياء ألزمها بعد كونها كلية اشخاصها.

وقوله: عالماً الى قوله: احنائها: فاحاطته بذلك علمه بما ينحلّ اليه ماهياتها من اجزائها وينتهي به منها، وهي حدودها، أو بما ينتهي به وبعدها من الأفعال والنهايات¹ وقرائنها ما يقرب منها ويلانمها كالتنفس للبدن، وبعض الطبائع لبعض الاشياء دون بعض، و احناؤها ونواحيها و جوانبهما، وبيان ذلك تبيان: انه تعالى عالم بكل معلوم من الكليات والجزئيات وقد بين ذلك في العلم الالهي.

وقوله: ثم انشأ، الى قوله: سبع سماوات:

كالتفصيل لخلق العالم وابتدائه، والأجواء: جمع جَوّ وهو الفضاء الواسع، والأرجاء جمع رجاء مقصور، وهو: الناحية، والسكائك: جمع سكاكة كذوابة وذوائب وهو: الفضاء ما بين السماء والأرض والهواء: المكان الخالي.

واعلم ان خلاصة ما يفهم من هذا الفصل انه قد كان قبل وجود العالم فضاء واسع، هو الخلاء في عرف المتكلمين فأنشأ الله تعالى فيه احياء اجسام العالم، وفتقها اي: شقها واعدها لخلق الأجسام وتكوينها فيها، ثم خلق ماءً متلاطماً تياره اي: متردداً معظمه، و متراكماً زخاره اي: ممتلئ بعضه فوق بعض، فأجازه فيها اي: اجراه، وروى احاره اي:

¹ - في نسخة ش كذا: اوبهما ينتهي به منها وهي حدوده اوبهما وافق به ولائمها من الافعال.

اداره فيها، وخلق له ريحا عاصفا، زعزعا اى: شديدة تحمله و تحفظه من جميع جوانبه، متسلطة على شدة و ضبطه فى مقارته بمقتضى امره تعالى و قدرته، و جعلها مقرونة الى حده بحيث لا يتوسط بينهما جسم آخر، فصار الماء من فوق الريح متدفقا والخلاء من تحته منفقا واسعا ثم خلق سبحانه ريحا اخرى لتمويج ذلك الماء و تحريكه، فأرسلها و اعتم مهبها الى شدة هبوبها و ضبطه، وأرسله بمقدار مخصوص على وفق الحكمة، و روى و اعقم مهبها اى: جعل مجراها عقيماً لانبث به يعوقها عن الجريان اولشدة جريانها، ثم ادم مربتها الى اقامتها و ملازمتها لتحريك الماء و اعصف جريها و أبعد مبدأ نشوها بحيث لا يمكن الوقوف عليه و هو قدرته تعالى، ثم أمرها بتصفيق ذلك الماء الزخار شديد الإمتلاء و إثارة امواجه، فمخضته كمخض السقاء و عصفت به كعصفها ترده اوله على آخره، و ساجيه على مائره اى: ساكنه على متحركه، فلما عب عبايه اى: علامعظمه و رمى بالزبد ركامه اى متراكمه، رفع الله تعالى ذلك الزبد فى هواء منفق اى خلاء واسع، و كون منه السماوات العلى.

و اعلم انه قد أشير الى مثل ذلك فى القرآن الكريم كقوله تعالى (ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ)^١ والمراد بخار الماء، و ذهب الى مثله بعض الحكماء القدماء و لفظ القرآن ايضاً موافق لشارته عليه السلام لأن الزبد ايضاً بخار الماء، و هذا الظاهر لاينا فى كلام المتكلمين فى أن الاجسام مؤلفة من الأجزاء التى لا تتجزئ لجواز أن يخلق الله تعالى اول الاجسام من تلك الجواهر ثم يتكون باقى الاجسام عن الاجسام الأولى.

و اما الحكماء فلما لم يكن الترتيب الذى اقتضته هذه الظواهر فى تكوين الاجسام موافقاً لمقتضى ادلتهم، لتأخر وجود العناصر عن وجود السماوات، لاجرم احتاجوا الى تأويلها توفيقاً بينها و بين رأيهم فى ذلك، و قد نبهنا فى «الشرح الكبير» على ما يصلح ان يكون تأويلاً على قواعدهم، أو قريباً مما يصلح لذلك^٢.

وقوله : و جعل سفلاهن... الى قوله: بالنظائر.

كالتفسير لقوله، فسوى لأن التسوية عبارة عن التعديل والوضع والهيئة التى عليها

١ - سورة فصلت / ١١.

٢ - الشرح الكبير / ١٤٢ ط ايران.

السموات بما فيهنّ كما شرحه، واستعار لفظ الموج للسماء ملاحظة للمشابهة بينهما في العلو واللون، ومكفوفاً ممنوعاً من السقوط.

وقوله : وعلياهنّ سقفاً محفوظاً، والسقف: اسم للسماء، وحفظه من الشياطين، قال ابن عباس: كانت الشياطين لا تحجب عن السماوات، وكانوا يتخبّرون أخبارها، فلما ولد عيسى عليه السلام، منعوا من ثلث سماوات، فلما ولد محمّد عليه السلام منعوا من السماوات كلّها، فما منهم احد استرق السمع الأرمي بشهاب.

فذلك معنى قوله تعالى (وَحَفِظْنَاَهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ. الْآمِنْ اسْتَرَقَّ السَّمْعُ)^٢ الآية، وسمك البيت: سقفه، وقوله: بغير عمد، تنبيه على عظمة قدرة الله تعالى، وعلوها عن الحاجة في مثل هذا البنيان، وقيامه الى عمد، وتنزيه لها عن مماثلة القدر البشرية في حاجتها الى ذلك فيما يُنسبُ اليها، والدمار، كالمسمار ونحوه، وإنما سميت الشهب ثواقب لأنها يثقب بنورها الهواء، واستعار لفظ السراج للشمس باعتبار إضاءتها لهذا العالم كإضاءة السراج للبيت، والمستطير: المنتشر، والرقيم: من أسماء الفلك، سقى به لرقمه بالكواكب كالثوب المنقوش، واللوح المكتوب.

واعلم أنّ مجموع هذه الإستعارات تستلزم تشبيه ملاحظة هذا العالم بأسره ببيت واحد في غاية الحسن والزينة، فالسماء وهو سقفه كقبة خضراء نصبت على الأرض، وحبب ذلك السقف عن مردة الشياطين كما يحمي عرف البيت من مردة اللصوص، وزيّن بترصيع الكواكب الثاقبة فهو كسقف من زمرد رصع بالؤلؤ لؤلؤ والمرجان، وجعل من جملة كوكبين هما أعظم الكواكب جرماً بحسب الرؤية وأكثرها إشراقاً، جعل أحد هما ضياء النهار، والآخري ضياء الليل، ثم جعل ذلك سقوفاً وطبقات أسكن في كلّ طبقة منها ملاً من ملائكته، وخواص ملكه، وجعل تلك السقوف متحركة بما فيها من الكواكب كما أشار إليه بقوله: في فلك دائر، الى قوله: مائر... وجعل حركاتها أسباباً معدّة لتلون الكائنات في هذا العالم ليكون أثره تعالى ابداع، وحكمته في خلقته ابلغ، والضمير في قوله: وزينها، يعود الى السبع سماوات، وذلك لاينا في قوله تعالى: (وزيننا

١- في ش: الصلاة والسلام.

٢- سورة الحجر/١٧-١٨.

السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ) ^١ فَإِنَّ السَّمَاءَ الدُّنْيَا وَإِنْ لَمْ يَكُن فِيهَا إِلَّا الْقَمَرُ فَإِنَّ سَائِرَ الْكَوَاكِبِ أَيْضًا زِينَةٌ لَهَا فِي الْأَوْهَامِ الْبَشَرِيَّةِ الَّتِي وَرَدَ أَكْثَرَ الْخُطَابِ الشَّرْعِيِّ بِحَسِبِهَا. وَقَوْلُهُ: ثُمَّ فَتَقَ ... إِلَى قَوْلِهِ: الْعَلِيِّ، أَشَارَ إِلَى تَسْوِيَةِ السَّمَاوَاتِ إِشَارَةً جَمِيلَةً فَكَانَتْ قَدْرًا أَوْلَى خَلْقِهَا كَرَّةً وَاحِدَةً كَمَا عَلَيْهِ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (أُولَئِكَ يَرِئُونَ كُفْرًا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا) ^٢ ثُمَّ أَشَارَ إِلَى تَفْصِيلِهَا وَتَمْيِيزِ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ بِالْفَتْقِ، وَاسْتِكْرَامِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ مَلَأً مِنْ مَلَائِكَتِهِ، ثُمَّ إِلَى تَفْصِيلِ الْمَلَائِكَةِ وَرَاتِبِهِمْ مُوَافِقَةً لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَالْأَطْوَارِ: الْحَالَاتِ الْمَخْتَلِفَةِ وَالْأَنْوَاعِ الْمُتَبَايِنَةِ، وَذَكَرَ مِنْهُمْ أَنْوَاعًا وَأَشَارَ بِالسُّجُودِ وَالرُّكُوعِ وَالصُّفِّ وَالتَّسْبِيحِ إِلَى تَفَاوُتِ رَاتِبِهِمْ فِي الْعِبَادَةِ وَالْخُضُوعِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّ كَلًّا مِنْهُمْ بِمَرْتَبَةٍ مُعَيَّنَةٍ مِنَ الْكَمَالِ فِي الْعِلْمِ، وَالْقُدْرَةِ، لَيْسَتْ لِمَنْ دُونِهِ، وَكُلٌّ مِنْ كَانَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَكْثَرَ كَانَتْ عِبَادَتُهُ أَعْلَى وَطَاعَتُهُ أَوْفَى. ثُمَّ إِنَّ السُّجُودَ وَالرُّكُوعَ وَالصُّفِّ وَالتَّسْبِيحَ عِبَادَاتٍ مُتَعَارِفَةً بَيْنَ النَّاسِ مُتَفَاوِتَةً فِي اسْتِزَامِ كَمَالِ الْخُضُوعِ وَالْخُشُوعِ، وَلَا يُمْكِنُ حَمْلُهَا فِي حَقِّ الْمَلَائِكَةِ عَلَى ظَوَاهِرِهَا لِاخْتِصَاصِ آيَاتِهَا بِبَعْضِ الْحَيَوَانِ، فَتَعَيَّنَ حَمْلُهَا عَلَى غَيْرِ ظَوَاهِرِهَا، وَالْأَشْبَهَ حَمْلَ الْمَرَاتِبِ الْمَذْكُورَةِ وَتَفَاوُتِهَا عَلَى تَفَاوُتِ كَمَالَاتِهِمْ فِي الْخُضُوعِ وَالْخُشُوعِ لِكِبْرِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى إِطْلَاقًا لِاسْمِ الْمَلْزُومِ عَلَى لَازِمِهِ.

فَالسُّجُودُ، مَرْتَبَةٌ الْمُقْرَبِينَ، وَالرُّكُوعُ مَرْتَبَةٌ حَمَلَةَ الْعَرْشِ، وَالصَّافُونَ مَرْتَبَةٌ الْحَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ، قِيلَ: أَنَّهُمْ يَقِفُونَ صَفُوفًا لِإِدَاءِ الْعِبَادَةِ كَمَا حَكَى الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَنْهُمْ: (وَأَنَا لِنَحْنُ الصَّافُونَ) وَ (وَأَنَا لِنَحْنُ الْمَسْبُوحُونَ) ^٣ وَجَاءَ فِي الْخَبَرِ: أَنَّ حَوْلَ الْعَرْشِ سَبْعِينَ أَلْفَ صَفِّ قِيَامٍ قَدْ وَضَعُوا أَيْدِيَهُمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ، رَافِعِينَ أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ، وَمِنْ وَرَائِهِمْ مِائَةٌ أَلْفَ صَفِّ قَدْ وَضَعُوا الْإِيمَانَ عَلَى الشَّمَائِلِ مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ يَسْبُحُ.

وَالْمَسْبُوحُونَ، يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ هُمُ الصَّافُونَ لِأَمْرٍ وَالْوَاوُ وَإِنْ اقْتَضَتْ الْمَغَايِرَةَ إِلَّا أَنَّهُمْ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُمْ صَافُونَ غَيْرِهِمْ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُمْ مَسْبُوحُونَ، وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَرِيدَ نَوْعًا آخَرَ، وَأَمَّا

١ - سورة فصلت / ١٢.

٢ - سورة الانبياء / ٣٠.

٣ - سورة الصافات / ١٦٥، ١٦٦.

عدم غشيان النوم والسهو والغفلة والنسيان وفترة الأبدان لهم، فإنّ ذلك من لواحق الأجسام الحيوانية، والملائكة منزّهون^١ عنها فلزم سلبها عنهم.

وأما الامناء على وحيه، فيشبه أن يكونوا داخلين في الأقسام السابقة، وأما ذكرهم ثانياً باعتبار وصف الأمانة واداء الرسالة، والقضاء هنا الأمر المقضى، يقال: هذا قضاء الله اى: مقضيه، وأما الحفظة فمنهم حفظة العباد كما قال تعالى: (وَيُرْسَلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً)^٢.

قال ابن عباس: إنّ مع كل إنسان ملكين، أحدهما على يمينه، والآخر على يساره، فإذا تكلم الإنسان بحسنة كتبها من على يمينه، وإذا تكلم بسيئة قال من على اليمين لسن على اليسار: انتظر لعله يتوب منها، فإن لم يتب كتبت عليه. وأما السدنة فهم خزّان الجنة، وقوله: ومنهم الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم، الى قوله: اكتافهم.

فاعلم أنّ الأوصاف هذه وردت في صفة الملائكة الحاملين للعرش فى كثير من الأخبار، فيشبه ان يكونوا هم المقصودون بها هاهنا، روى عن ميسرة^٣ أنّه قال: أرجلهم فى الأرض السفلى، ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم، وهم أشدّ خوفاً من أهل السماء السابعة، وأهل السماء السابعة أشدّ خوفاً من أهل السماء السادسة، وهكذا إلى سماء الدنيا.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله وآله وسلم: لما خلق الله تعالى حملة العرش، قال لهم: احمّلوا عرشي فلم يطيقوا، فقال لهم: قولوا: لا حول ولا قوة الا بالله، فلما قالوا ذلك استقلّ فنذت أقدامهم فى الأرض السابعة على متن الثرى فلم تستقرّ فكتب فى قدم كل ملك منهم اسماً من أسمائه فاستقرت أقدامهم.

وقوله: المناسبة لقوائم العرش اكتافهم، يريد أنّهم مشبهون ومناسبون لقوائم

١ - فى نسخة ش: متنزهون.

٢ - سورة الانعام / ٦١. وفى نسخة (له) معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله. ومنهم حفظة

على العباد كما قال تعالى ...

٣ - ابو جميلة ميسرة بن يعقوب الطهورى الكوفى ... صاحب راية على بن أبى طالب عليه السلام.

العرش في استقرارهم وثباتهم عن التزاييل من تحته أبداً الى ما شاء الله، ولفظ الأكتاف مجاز في القوى والقدر التي حملت الملائكة جرم العرش، وشبهها بقوائم العرش المعهود، ووجه الشبه إستقلالها بحمله كالقوائم، والضميران في أبصارهم وأجنحتهم راجعان الى العرش، وفي الخبر عن وهب بن منبه^١ قال: ان لكل ملك من حملة العرش ومن حوله أربعة اجنحة اما جناحان فعلى وجهه مخافة أن ينظر الى العرش فيصعق، واما جناحان فيهفو بهما ليس لهم كلام الا التسبيح والتحميد.

وكتى عليه السلام، بنكس أبصارهم: عن كمال خشيتهم لله تعالى واعترافهم بقصور أبصار عقولهم عن ادراك ما وراء كمالاتهم المقدرة لهم وضعفها عما لا يحتمله من أنوار الله وعظمته تعالى، وان شعاع أبصار ادراكهم منته واقف دون حجب عزته.

ويحتمل أن يريد بلفظ الأجنحة قواهم وكمالاتهم التي يطبسون بها في بيداء جلال الله استعارة، وزيادة الاجنحة: كناية عن تفاوت مراتبهم في الكمال، ولما كان الطائر عند قبض جناحه كالمتلقع اي: الملتحف به، احتمل ان يكون وصف التلقع لهم إستعارة لقصور قواهم، وقدرتهم المشبهة للأجنحة وقبضها عن التعلق بمعلومات الله ومقدوراته. وقوله: مضروبة... التي قوله: القدرة، اشارة الى قصور القوى البشرية عن إدراكهم عن الجسمية والجهة وقربهم من عزة مبدعهم الاولي. وقوله: ولا يتوهمون ربهم بالتصوير: تنزيه لهم عن الادراكات الوهمية والخيالية لمبدعهم عز سلطانه، اذ الوهم انما يتعلق بالمحسوسات ذوات المقادير والأحياء المنزهة قدسه تعالى عنها، وهم مبرؤون عن الأوهام والخيالات البشرية، ولذلك قوله: ولا يجرون عليه صفات المصنوعين الى آخره.

لان كل ذلك بقياس وهمي ومحازكة خيالية له بمصنوعاته المحتاجة الى الامكنة ولها نظائر واشباه، وهم مبرؤون عن الوهم والخيال، وبالله التوفيق.

منها في كيفية خلق آدم عليه^٢ السلام، وفي هذا الفصل فصلان الفصل الاوّل قوله في خلق آدم عليه السلام:

١- ابو عبدالله وهب بن منبه بن كامل بن سيع بن ذى كنانة اليماني مات ١١٦ هـ ضربه يوسف بن عمر بن محمد الثقفي الاموي حتى مات. تهذيب التهذيب ١١/١٦٨.
٢- في نسخة ش / الصلاة.

ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزَنِ الْأَرْضِ وَ سَهْلَيْهَا، وَعَذْبِهَا وَسَبْخِهَا، تُرْبَةً سَنَّتَهَا بِالْمَاءِ حَتَّى
 خَلَصَتْ. وَلَاظْهًا بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزُبَتْ. فَجَبَّلَ مِنْهَا صُورَةَ ذَاتِ أَحْنَاءٍ وَوُضُوءٍ، وَأَغْضَاءٍ وَ
 فُضُوءٍ: أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ وَأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلَصَلَتْ لِيُوقِتَ مَعْدُودٍ، وَأَمَدٍ مَعْلُومٍ؛ ثُمَّ
 نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَمَثَلَتْ إِنْسَانًا ذَا أذْهَانٍ يُجِيلُهَا، وَفَكَرَرَ يَتَصَرَّفُ بِهَا، وَجَوَارِحَ
 يَخْتَدِمُهَا، وَأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا، وَمَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَالْأَذْوَاقِ وَالْمَشَامِ، وَالْأَلْوَانِ
 وَالْأَجْنَاسِ، مَعْجُونًا بِطَيْبَةِ الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالْأَشْبَاهِ الْمُوتَلِفَةِ، وَالْأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ
 وَالْأَخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَةِ، مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وَالْبَلَّةِ وَالْجُمُودِ؛ وَأَسْتَادَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمَلَائِكَةَ
 وَدِيْعَتَهُ لَدَيْهِمْ، وَعَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ، فِي الْإِدْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ، وَالْخُشُوعِ لِتَكْرَمَتِهِ؛ فَقَالَ
 سُبْحَانَهُ: (أَسْجُدُوا لِآدَمَ) فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ اعْتَرَتْهُ الْحَيْيَةُ وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ الشَّقْوَةُ، وَتَعَزَّزَ
 بِخَلْقَةِ النَّارِ وَأَسْتَهْوَنَ خَلْقَ الصَّلْصَالِ؛ فَأَعْطَاهُ اللَّهُ النَّظْرَةَ اسْتِحْقَاقًا لِلشُّخْطَةِ، وَأَسْتِشْمَامًا
 لِلْبَلْبِيَةِ، وَأَنْجَازًا لِلْعِدَّةِ؛ فَقَالَ (إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ) ثُمَّ أَسْكَنَ سُبْحَانَهُ
 آدَمَ دَارًا أَرْغَدَ فِيهَا عَيْشَتَهُ، وَأَمَّنَ فِيهَا مَحَلَّتَهُ، وَحَدَّرَهُ إِبْلِيسَ وَعَدَاوَتَهُ، فَأَعْتَرَتْهُ عَدُوُّهُ نَفَاسَةً
 عَلَيْهِ بِدَارِ الْمُقَامِ وَمُرَافَقَةِ الْأَبْرَارِ، فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشُكِّهِ، وَالْعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ، وَأَسْتَبَدَّلَ بِالْجَدَلِ
 وَجَلًّا، وَبِالْإِعْتِرَارِ نَدْمًا ثُمَّ بَسَطَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ، وَلِقَاءِهِ كَلِمَةَ رَحْمَتِهِ، وَوَعْدَهُ الْمَرَدِّ
 إِلَى جَنَّتِهِ، وَأَهْبَطَهُ إِلَى دَارِ الْبَلْبِيَةِ، وَتَنَاسَلَ الذُّرِّيَّةُ.

أقول :

إِنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ قَد كَرَّرَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ، فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ فِي سَبْعِ سُورٍ، وَهِيَ: الْبَقْرَةُ،
 وَالْأَعْرَافُ، وَالْحَجَرُ، وَبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالْكَهْفُ، وَطه، وَص، وَذَلِكَ لِمَا تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنْ
 تَذْكَيرِ الْخَلْقِ وَتَنْبِيهِهِمْ مِنْ مِرَاقِدِ الطَّبِيعَةِ الَّتِي جَذِبَهُم إِلَيْهَا ابْلِيسَ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْ فِتْنَتِهِ،
 وَحَزَنِ الْأَرْضِ: خِلَافِ السَّهْلِ، وَالْمَسْنُونِ مَاسِنٍ بِالْمَاءِ أَى: أَرْسَلَ عَلَيْهِ فَصَارَ طِينًا، وَلَزُبَتْ
 بِالْكَسْرِ: لَصِقَتْ، وَصَلَصَلَتْ: انْتَنَت، وَقِيلَ صَوَّتْ لِيَسْبَهَا، وَلَاظْهًا بِالْبَلَّةِ: خَلَطَهَا
 بِالرُّطُوبَةِ، وَجَبَّلَ: خَلَقَ، وَالْأَحْنَاءُ: الْجَوَانِبُ، وَالْوُضُوءُ الْمَفَاصِلُ: جَمْعُ كَثْرَةِ لَوْصَلِ، وَ
 جَمْعُ الْقَلَّةِ: أَوْصَالٌ، وَأَصْلَدَهَا أَى: جَعَلَهَا صَلْبَةً مَلْسَاءً، وَيَخْتَدِمُهَا: يَسْتَعْمِدُهَا.
 وَاعْلَمْ أَنَّ قَوْلَهُ: لَزُبَتْ، إِشَارَةٌ إِلَى امْتِزَاجِ الْعُنَاصِرِ، وَخُصَّ الْمَاءُ وَالْأَرْضُ لِأَنَّهُمَا

الأصل فى تكوين الأعضاء المشاهدة التى تدور عليها صورة الانسان، ونبه باختلاف أجزائها على كون ذلك مبادئ اختلاف الناس فى ألوانهم، واخلاقهم، كماورد فى الخبر فجاء منهم الأسود والأحمر.

وقوله: خلصت، ولزبت: اشارة الى بلوغها فى الاستعداد الغاية التى معها تكون صورة مايتكوّن منها. وقوله: فجبل، الى قوله: استمسكت، اشارة الى خلق الصورة الانسانية بتمامها، والضمير فى «منها» راجع الى التربة، وفى أجمدها، وأصلدها، راجعان الى الصورة وأعضائها، فالأجماد لغاية الاستمساك، راجع الى بعضها كاللحم والأعصاب وأشباههما، والأصلاد لغايته راجع الى بعض آخر كالعظام، واسند ذلك الى المدبر الحكيم، لانه العلة الأولى وان كانت هناك أسباب قريبة طبيعية معدة لذلك.

وأراد بالوقت المعلوم، الوقت الذى يعلم الله تعالى انحلال هذا التركيب فيه، والضمير فى قوله: فيها، راجع الى الصورة كما قال الله تعالى: (ونفخت فيه من روحي) ١ واستعار وصف النفخ لافاضة النفس على البدن واشتعال نورها المعقول فيه كما يشعل النار نافخها، والروح يحتمل أن يراد به جبريل، ونسبته الى الله ظاهرة: ويحتمل أن يراد به وجود الله، ونعمته، وأتمما يسمى روحاً لانه مبدأ كل حياة وبه قوام كل شىء، ونسبته الى الله ظاهرة، ومن للتبعيض ويحتمل أن يراد به النفس الإنسانية ويكون من زائدة، ونسبت الى الله لشرفها وبدائها عن المواد فلها مناسبة مع علتها الاولى.

وقوله: ذا اذهان، اشارة الى: القوى الباطنية المدركة، واجالتها: تحريكها فى المدركات، وكذلك قوله: وفكر يتصرف بها، ولم يرد القوة المفكرة فإنها فى الانسان واحدة، بل اراد حركات تلك القوة فيما يتصرف فيه وهى متعدّدة فلذلك جمعها، والجوارح اشارة الى: عامة الأعضاء اذ كانت كلّها خدماً للنفس، والأدوات كاليد، والرجل، والمعرفة التى يفرّق بها هى: قوّة العقل بما لها من المعارف الأولى وهى البديهيات اذ كان الحقّ والباطل من الأمور الكلية التى لا يدركها الا العقل، وقوله: والأذواق، الى قوله: والأجناس: تنبيه على ان للانسان آلات يدرك بكلّ منها واحدة من هذه الأربعة، وآخر الأجناس لانّ المدرك لها هو العقل اذ كانت أموراً كلية لكن بواسطة

احساس الحواس المشار اليها بمحسوساتها، ونصب معجوناً على الحال، وطينة الألوان مادتها التي خالطت بدن الانسان فاستعدت بها لقبول الألوان المختلفة وهي معنى: عجنها بها.

والأشياء المؤتلفة كالعظام والأسنان، والأضداد المتعادية كالكيفيات الأربع التي ذكرها، وهي الحرارة، والبرودة، والبلّة وهي: الرطوبة، والجمود وهي: اليبوسة، والأخلاق المتباينة هي: الدّم، والبلغم، والصفراء، والسوداء.

وأما المسأة والسرور فهما من الكيفيات النفسانية، وأما عهد الله الى الملائكة ووصيته اليهم فهو قوله تعالى: (فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)^٢ والاستيذاء ذلك منهم هو قوله بعد خلقه: (اسجدوا لآدم) واتفق الناس على ان سجودهم لآدم لم يكن سجود عبادة لانها لغير الله كفر، لكن قال بعضهم: ان آدم كان كالقبلة والسجود لله، وتكون اللام كهى فى قول الشاعر فى حق علي عليه السلام: أليس أول من صلى لقبلكم^٤.

وقيل: كان السجود تعظيماً لآدم، وكان ذلك سنة الامم السالفة فى تعظيم أكابرها، وقيل: بل السجود فى اللغة: الخضوع والانقياد، ثم اختلفوا فى المأمورين بالسجود، فقيل: هم الملائكة الذين اهبطوا مع ابليس لأن الله لما خلق السموات والأرض وخلق الملائكة أهبط منهم ملاً الى الارض يسمون بالجن كانوا أخف الملائكة عبادة،

١ - فى نسخة ش: باطن.

٢ - سورة الحجر / ٢٩.

٣ - فى ش بزيادة: الصلاة و.

٤ - الشعر هذا اختلف فى نسبه، فقيل انه لأبى الفضل العباس بن عبدالمطلب رضى الله عنه، قالها عند بيعة

ابى بكر يعرض بها ويمدح عليا عليه السلام، والأبيات هي:

ما كنت أحسب ان الأمر متصرف	عن هاشم ثم منها عن ابى الحسن
ليس أول من صلى لقبلكم	واعلم الناس بالقرآن والسنن
وآخر الناس عهداً بالنبي ومن	جبريل عون له فى الغسل والكفن
من فيه ما فيهم لا يمترون به	وليس فى القوم ما فيه من الحسن
ما ذا الذى ردكم عنه فنعلمه	ها ان بيعتكم من أول الفتن

ونسبها بعض الى حسان بن ثابت. وآخرون الى عتبة بن أبى لهب. الغدير ٧/٩٣.

فأعجب إبليس بنفسه وتداخله الكبير، واطلع الله تعالى على ذلك فقال له ولجنده: ﴿أنتي خالق بشراً من طين﴾ الآية.

وقيل: هم كل الملائكة لقوله تعالى: (كلهم اجمعون)، وكذلك اختلفوا في إبليس فقالت المعتزلة: أنه لم يكن من الملائكة لقوله تعالى: (كان من الجن) وهم ليسوا من الملائكة لقوله تعالى: (أهلأء آتاكم كانوا يعبدون)، وقول الملائكة: (بل كانوا يعبدون الجن).

وأقول: يشبه ان يكون الخلاف لفظياً لأنه اذا ثبت ان الجن ملائكة اهبطوا الى الأرض لم يكن بين كونه من الجن، و كونه من الملائكة منافاة، وأما الخطاب والجواب فجازان يكون مع الملائكة السماوية.

وقوله: الآ إبليس وقبيله، الى قوله: الصلصال، فقبيله: جماعته من الجن والشياطين، واعترتهم الحمية وغشيتهم، وذلك من قوله تعالى: (الآ إبليس أبى واستكبر) الآية، وتعززهم بخلقه النار قوله: (انا خيرٌ منه خلقتنى من نارٍ) واستضعافهم لخلق الصلصال، كقوله: (اسجد لبشر خلقته من صلصال) واعطاؤه النظرة هو قوله تعالى: (انك من المنظرين)، والنظرة بكسر الظاء: الامهال، وهنا حذف تقديره، فسأل النظرة فأعطاه ذلك فى قوله: (قال انظرنى) الآية، وقوله: استحقاقاً للسخطة اشارة الى قوله تعالى: (ولا تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم) الآية، وانجاز العدة كقوله تعالى: (انك من المنظرين) الآية. والخلف فى خبر الله تعالى محال. واستتماماً للبيّة اى: بيّة بنى آدم به واختبارهم بعصيانه اوطاعته. واسكان آدم، الى قوله: محلته، كقوله تعالى: (فقلنا يا آدم اسكن) الى قوله: (سئتما). والدار: الجنة. وتحذيره آياه كقوله تعالى: (فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك) الى قوله: (فتشقى) وقوله: فاغتره، الى قوله: الأبرار كقوله تعالى: (فوسوس اليه) الآية، والوسوسة: القاء ما يتوهم نافعاً الى النفس مما يخالف او امر الله تعالى، وتزيينه لها ذلك، وقيل: فى سبب عداوته له أنه الحسد بما اكرمه الله تعالى به من اسجاد الملائكة له، وتعليمه مالم يطلعوا عليه واسكانه الجنة، وهو المشار اليه بالنفاسة هنا، واصل النفاسة: البخل، يقال: نفست عليه بكذا اى: بخلت، وقيل: السبب تباين صليهما ولذلك اثر قوى فى العداوة والمجانبة، ويبيعه اليقين بشكه،

والعزيمة بوهنه، كقوله: (فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً) قيل: ومعنى ذلك ان آدم كان في الجنة على حال يعلمها يقيناً وما كان يعلم عيشه في الدنيا فبدل ذلك اليقين بما شكك فيه ابليس بقسمه. وقوله (اتى لكما من التاصحين) وقيل: بل كان يتيقن عداوته فشكك في ذلك بما حكاه من التصح عن نفسه. وقيل: بل كان يتيقن عهد الله اليه بملازمة طاعته و امره، فلما وسوس له الشيطان نسي ذلك العهد فذلك قوله تعالى: (ولقد عهدنا الى آدم) الآية. وكذلك بدل عزمته الجازمة على المحافظة على طاعة الله، والصبر عليها بالضعف عن ذلك واستبداله بالجذل وهو السرور ووجلاً كما دل عليه بقوله تعالى: (قالا ربنا، الى قوله: الخاسرين) وقوله: ثم بسط الله، الى قوله: رحمته كقوله تعالى: «فتلقى آدم» الآية. ولقاء اياها افاضها عليه والهمه اياها واستعدا بها لقبوله رحمة الله.

وروى عن ابن عباس انه قال: علم الله آدم وحواء امر الحج، والكلمات التي تقال فيه، فحجاً، فلما فرغا اوحى الله اليهما اتى قبلت توبتكما.
وعن عائشة: لما اراد الله تعالى ان يتوب على آدم طاف بالبيت سبعاً، والبيت يومئذ ربوة حمراء فلما صلى ركعتين استقبل البيت وقال: اللهم انك تعلم سرى و علانيتى فاقبل معذرتى، وتعلم حاجتى فاعطني سؤلى، وتعلم ما فى نفسى فاغفرلى ذنوبى، اللهم اتى اسألك ايماناً تباشربه قلبى، ويقيناً صادقاً حتى اعلم انه لن يظيبنى الا ما كتبت لي، وارضنى بما قسمت لى، فأوحى الله اليه: يا آدم قد غفرت لك ذنبك ولن يأتينى احد من ذريتك يدعونى بمثل ما دعوتنى به الا غفرت ذنوبه، وكشفت همومه، ونزعت الفقر من بين عينيه، وجاءته الدنيا وهولاً يريدها.

ووعده المرء الى جنته لقوله تعالى (فاما يايتيكم منى هدى) الآية. واهباطه الى دارالبلىة وتناسل الذرية فاستبدل بالجذل ووجلاً و بالاغترارندماً، ثم اناب الى الله فبسط له الى آخره، وانما جعل تناسل الذرية فى معرض ذم الحال وان كان من كمالات الدنيا لحقارة ذلك بالنسبة الى الكمال،والخير الذى كان فيه آدم فى الجنة.

١- فى نسخة ش: واستبد بها.

٢- فى ش بزياة: فمن اتبع هداي.

وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وُلْدِهِ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرَ خَلْقِهِ عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ فَجَهِلُوا حَقَّهُ وَاتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ وَاجْتَالَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ وَأَقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ، فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ لِيَسْتَأْذِنُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُشِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ وَيُرُوهُمْ الْآيَاتِ الْمُقَدَّرَةَ: مِنْ سَقْفِ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، وَمِهَادِ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ وَأَجَالَ تُفْنِيهِمْ، وَأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ، وَأَحْدَاثَ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ؛ وَلَمْ يُخَلِّ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنَزَّلٍ، أَوْ حُجَّةٍ لَارِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ: رُسُلٌ لَا تَقْصُرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، وَلَا كَثْرَةُ الْمُكْذِبِينَ لَهُمْ: مِنْ سَابِقِ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ، أَوْ غَابِرِ عَرَفَهُ مَنْ قَبْلَهُ: عَلَى ذَلِكَ نُسِلَتِ الْقُرُونُ، وَمَضَتِ الدُّهُورُ، وَسَلَفَتِ الْآبَاءُ وَخَلَفَتِ الْأَبْنَاؤُ، إِلَى أَنْ بَعَثَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِإِنجَازِ عِدَّتِهِ، وَتَمَامِ نُبُوَّتِهِ، مَاخُودًا عَلَى التَّبَيُّنِ مِثَاقَهُ، مَشْهُورَةً سِمَاتُهُ كَرِيمًا مِيلَادُهُ. وَأَهْلُ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، وَأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ وَطَوَائِفٌ مُشْتَعِلَةٌ، بَيْنَ مُشَبِّهِ اللَّهِ بِخَلْقِهِ أَوْ مُلْحِدٍ فِي اسْمِهِ، أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِهِ، فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ. ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِقَاءَهُ، وَرَضِيَ لَهُ مَا عِنْدَهُ، وَأَكْرَمَهُ عَنْ دَارِ الدُّنْيَا، وَرَغِبَ بِهِ عَنْ مُقَارَنَةِ الْبُلُوَى، فَحَبَّضَهُ إِلَيْهِ كَرِيمًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَخَلَقَ فِيكُمْ مَا خَلَقَ الْأَنْبِيَاءَ فِي أُمَّمِهَا - إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلًا: بِغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ، وَلَا عِلْمٍ قَائِمٍ: كِتَابَ رَبِّكُمْ فِيكُمْ: مُبَيَّنًّا حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ، وَفَرَائِضَهُ وَفَضَائِلَهُ، وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ، وَرُخْصَهُ وَعَزَائِمَهُ، وَخَاصَّهُ وَعَامَّهُ، وَعِبْرَهُ وَأَمْثَالَهُ، وَمُرْسَلَهُ وَمَحْدُودَهُ، وَمُحْكَمَهُ وَمُتَشَابِهَهُ، مُفَسِّرًا مُجْمَلَهُ، وَمُبَيَّنًّا غَوَامِضَهُ، بَيْنَ مَاخُودِ مِيثَاقِ فِي عِلْمِهِ، وَمُوسِعٍ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ. وَبَيَّنَّ مُثَبَّتٍ فِي الْكِتَابِ قَرُضَهُ وَمَعْلُومٍ فِي السُّنَّةِ نَسْخَهُ، وَوَاجِبٍ فِي السُّنَّةِ أَخْذَهُ، وَمُرْخَصٍ فِي الْكِتَابِ تَرْكُهُ، وَبَيَّنَّ وَاجِبٍ بِوَقْتِهِ، وَزَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ. وَمُبَيَّنَّ بَيْنَ مَحَارِمِهِ: مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ، أَوْ صَغِيرٍ أَرْصَدَ لَهُ عُقْرَانَهُ. وَبَيَّنَّ مَقْبُولٍ فِي أَذْنَاهُ، مُوسِعٍ فِي أَفْصَاهُ.

أقول :

الضمير في ولده راجع الى آدم عليه السلام، واصطفاهؤه تعالى للانبيااء اعدادهم لافاضة الكمال النبوي عليهم، واخذه على الوحي ميثاقهم هوالمشاراليه بقوله (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ) وقوله (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ) الآية، وقوله: لما بدل تنبيه^١ على وجه الحكمة في بعثة الانبياء وسببها، وعهدالله الذي بدّلوه هوالمشاراليه بقوله: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) الآية.

قال ابن عباس: لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ مَسَحَ عَلَى ظَهْرِهِ فَأَخْرَجَ مِنْهُ كُلَّ نَسَمَةٍ هُوَ خَالِقُهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ: (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا: بَلَىٰ) فنودي يومئذ: جفت القلم بما هو كائن الى يوم القيامة.

واعلم انه لما كان الانسان تمام العالم^٢ في الوجود الخارجى فكذلك في التقدير الالهى المطابق له، ولذلك كان به تمام التقدير وجفاف القلم، ولما كان من شأن الخلق بحسب ما ركب فيهم من القوى البدنية المتنازعة الى كمالاتها ان ينحرفوا عن الاستقامة الى عهدالله ويتخذوا الانداد معه، ويجهلوا حقه للغفلة بحاضر لذاتهم عن دوام شكره، وان يحتالهم الشياطين اى: يقتطعهم عن معرفته لاجرم وجب في الحكمة الالهية ان يختص صنفاً منهم بكمال اشرف يقتدر معه امناء ذلك الصنف على تكميل الناقصين ممن دونهم، وهم صنف الانبياء عليهم السلام والغاية منهم ما اشار اليه عليه السلام بقوله: ليستأدوهم ميثاق فطرته اى: يطلبون منهم اداء ما عهد اليهم به حين خلقهم من العبودية والاستقامة عليها ويذكّرهم ما نسوه من نعمته ويحتجوا عليهم بتبليغ الرسالات ويشيروا لهم جواهر الادلة على وحدانيته تعالى وتفردّه باستحقاق العبادة فما هو مركز في فطرتهم وفي قوتها^٣ علمه كالمدفون فيها والمغطفى بشوائب الهيات البدنية وقوله: يرشدوهم الى وجوها، ليستدلوا بما يشاهدونه من الحكمة فى خلق السموات والارض وامر معاشهم واسباب حياتهم وموتهم مما عدّوه. وقوله: ولم يخل الله الى قوله:

١- في نسخة ش بزيادة: يدل.

٢- في ش: العالمين.

٣- في نسخة ش بزيادة: على.

وخلقت الانبياء، اشارة الى: بيان عنايته بالخلق في تواتر الرسل اليهم لغاية جذبهم الى جناب عزته، كقوله تعالى: (وان من امة الا خلا فيها نذير)^١ ثم من لطفه تعالى انه لما كان من ضرورة النبي ان يموت ولا يمتد زمانه، انزل عليه كتابا يكون باقياً بعده ماشاء الله، يكون مشتملاً على كل المطالب والمصالح النازمة لهذا العالم بحيث لو كان النبي عليه السلام موجوداً لم يزد على ما تضمنه من الدعاء فيه الى عبادته تعالى وتذكير الخلق منسى عهده، وقصص اخبار الماضين والعبير اللاحقة للاولين، وفيه الحجج البالغة والدلائل القاطعة وغير القاطعة مما يصلح العباد في امر المعاش والمعاد، ومعنى قوله: أرسل الى قوله: لهم انهم، وان كانوا قليلى العدد بالنسبة الى كثرة الخلق المكذبين لهم كما هو المعلوم من حال كل نبي بعث الى امة، فان ذلك لا يوليهم قصوراً عن اداء ما كلفوا من تبليغ الرسالة وحمل الخلق على ما يكرهون مما هو مصلحة لهم، و«من» في قوله: من سابق^٣ للتبيين، والمراد ان السابق منهم قد اطلع الله تعالى على العلم بوجود اللاحق له، فبعضهم كالمقدمة لوجود البعض وتصديقه، كعيسى عليه السلام اذ قال: (ومبشراً برسول)^٤ الآية ومن لاحق سماه من قبله كمحمد صلى الله عليه وآله.

وقوله: وعلى ذلك، اى: الاسلوب والنظام الالهى مضت الامم خلقاً عن سلف، وقد ساق عليه السلام فى هذه الخطبة من لدن آدم الى ان انتهى الى بعثة محمد عليه السلام، اذ هو الغاية من طينة النبوة وخاتم التبيين. ثم اشار الى بعض غايات بعثته وهى انجاز عذبه لخلق ببعثته على السنة الرسل السابقين، واتمام نبوته لغايتها، ومأخوذاً على النبيين ميثاقه حال وذلك الاخذ هو المشار اليه، بقوله تعالى: (واذا اخذ الله ميثاق النبيين)^٥ الى قوله (ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه)^٦ وسماته علامات نبوته فانها كانت ظاهرة فى الميثاق، وفى احوال تعرفها الرهبان والكهان وعلماء اهل الكتاب، وكرم

١ - سورة فاطر / ٢٤.

٢ - فى نسخة ش بزيادة: على.

٣ - فى ش هكذا: من سابق راجعة الى النبيين.

٤ - سورة الصف / ٦ وفى ش بزيادة: يأتى من بعدى اسمه احمد.

٥ و ٦ - سورة آل عمران / ٨١.

ميلاده طهارة أصله عن الفساد، ونبه على فضل بعثته بذكر احوال الناس حين البعثة من اختلاف الآراء، وتشّتت الأهواء، وتفرّق الأديان والمذاهب بين من عليه اسم الملة، وهم المذاهب الثلاثة وبين غيرهم من عبدة الأصنام والمعظلة وقد نبهنا على اصناف منهم في الاصل، والمشبهة: بقية اصحاب الملل.

فإنّ الغالب عليهم التجسيم، وتشبيه الصانع ببعض مصنوعاته، والملحد في اسمه من عدل باسمائه عن الحق بتحريفها عما هو عليه الى اسماء اشتقوها لأوثانهم منها: كالكالات من الله، والعزى من العزيز، ومناة من المتان، والمشير الى غيره كالدهرية وغيرهم من عبدة الأوثان والكواكب.

وقوله: وخلف فيكم، الى قوله: قائم، وذلك انه لما كان النبي ليس مما يتكوّن وجوده مثله في كل وقت وجب ان يشرع للناس بعده من أمورهم سنة باقية باذن الله، وامره ووحيه، والغاية من ذلك هو استمرار الخلق على معرفة الصانع ودوام ذكره، وذكر المعاد مع انقراض القرن الذي يلي النبي ومن بعده مع ما وجب ان يأتيهم به من الكتاب من عند الله الوافي لجميع المطالب الالهية ولا بد ان يعظم أمره، ويسنّ على الخلق دراسته و تعليمه ليدوم به التذكّر لله سبحانه، والملا الأعلى من ملائكته، واشرف الكتب المنزلة، والسنن ما خلفه رسول الله صلى الله عليه وآله في أمته من الكتاب العزيز وسنته الكريمة كما تحقّق ذلك العلماء العارفون بأسرار الكتب الالهية والتواميس الشرعية.

ولفظ العلم: مستعار لما يهتدى به الخلق من قوانين الشرائع. وقوله: كتاب ربكم: بدل من ما، والمراد «بما» نوع ما خلفت الانبياء في اممها من الحق وذلك هو ما يشتمل عليه الكتاب مما لا يخالف فيه نبي نبياً من القوانين الكلية، كالتوحيد، وأمر المعاد، و تحريم الكبائر، ومبيّنا نصب على الحال عن خلف، وذو الحال ضمير للنبي صلى الله عليه وآله. وقوله: حلاله، الى آخره: تفصيل لما اشتمل عليه الكتاب من القوانين الكلية التي عليها مدار اصول الفقه، فمنها الاحكام الخمسة الشرعية. و اشار بحلاله: الى المباح والمكروه منها. وبحرامه: الى المحظور، وبفضائله: الى المندوب، وبفرائضه: الى الواجب، ومنها الناسخ والمنسوخ، والنسخ عبارة عن: رفع، مثل الحكم الثابت بالتصّر المتقدّم بحكم آخر مثله. فالناسخ هو: الحكم الرافع والمنسوخ هو: الحكم المرفوع وهما

في الكتاب العزيز كقوله تعالى: (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا)^١ الى قوله (وعشراً) فإنه ناسخ لقوله تعالى: (متاعاً الى الحول غير اخراج)^٢.

ومنها رخصه وعزائمه، والرخصة عبارة عن: الاذن في الفعل مع قيام السبب المحرّم له لضرورة لقوله تعالى: (فمن كان منكم مريضاً او على سفر فعذّة من ايام اخر)^٣ والعزيمة ما كان من الاحكام الشرعية جارياً على وفق سببه الشرعي كقوله تعالى: (اقيموا الصلاة)^٤ ومنها عامة وخاصة، والعام هو اللفظ المستغرق بوضعه الواحد لجميع ما يصلح له، كقوله تعالى: (فسجد الملائكة كلّهم أجمعون)^٥ والخاص هو: ما لم يتناول الجميع بالنسبة الى ما تناوله، كقوله: (الآ ابلّيس)، ومنه عبرة، والعبرة: الاسم من الاعتبار و اشتقاقها من العبور لأنّ ذهن الانسان ينتقل فيها من امر الى امر، وهي كماورد فيه من قصص الاولين بالمصائب النازلة بهم التي تنقل ذهن الانسان باعتبارها الى تقديرها في نفسه وحاله، فيحصل بذلك انزجاره و رجوعه الى الله، كقوله تعالى: (فأخذهُ اللهُ نكال الآخرة و الأولى إن في ذلك لعبرة لمن يحشى)^٦ ونحوه.

ومنها امثلة^٧ وهي كقوله تعالى (أما مثل الحياة الدنيا كما انزلناه)^٨ الآية. و منها المرسل والمحدود، وهما في عرف اصول الفقه المطلق والمقيّد، مثال المطلق قوله تعالى في كفارة الظهار: (فتحرير رّقة من قبل أن يتامسا)^٩ والمقيّد كقوله: (فتحرير رّقة مؤمنة)^{١٠} وقد ذكرنا الفرق بين المطلق والعام في الأصل.

١ - سورة البقرة / ٢٣٤.

٢ - سورة البقرة / ٢٤٠.

٣ - سورة البقرة / ١٨٤.

٤ - وردت هذه الجملة في ١٣ آية.

٥ - سورة الحجر / ٣٠. و سورة ص / ٧٣.

٦ - سورة النازعات / ٢٥ و ٢٦.

٧ - في ش: امثاله.

٨ - سورة بونس / ٢٤.

٩ - سورة المجادلة / ٣.

١٠ - سورة النساء / ٩٢.

ومنها محكمة ومتشابهة، والمحكم فى الاصطلاح العلمى هو: راجح الافادة لاحد مفهوماته المحتملة لارادة منه من دون قرينة. فمنه النص وهو: الراجح المانع من النقيص كقوله تعالى: (وَاللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) ومنه الظاهر وهو: الراجح غيرالمانع من النقيص كقوله تعالى: (أَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ) فانه ظاهر العموم فى جميعهم و ان احتمال بعضهم، ويقابله المتشابه وهو غير راجح الافادة لاحد مفهوماته، فمنه المجمل وهو غير راجح الافادة لاحدها ولا مرجوحها^١ كقوله تعالى (ثلثة قروء) فانه محتمل للحيض والطهر على سواء. ومنه المتأول وهو: غير راجح الافادة لكنته مرجوحها كقوله تعالى: (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ) اذ المراد غير ظاهره، وهو المراد بالمبين اذ يتن بغير لفظه، والتفسير هو: التبيين، والغوامض: دقائق المسائل، ونسب بيان هذه الامور الى الرسول عليه^٢ السلام لكونه هوالموضح لها بسنته.

وقوله: بين مأخوذ الى آخره، تفصيل لاحكام الكتاب باعتبار آخر و ذكر منها اقساماً:

احداها، ما أخذ على الخلق ميثاق تعلمه ولم يوسع لهم فى جهله، كوحداية الصانع فى قوله تعالى: (فَاعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) وقوله: (وَلْيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ).
وثانيها، ما لا يتعين على الكافة العلم به، بل يعذر بعضهم فى جهله كآيات المتشابهات، و اوائل السور كقوله: (كهيعص) و (يس).

وثالثها، ما هو مثبت فى الكتاب فرضه، معلوم فى السنة نسخه كقوله تعالى: (وَاللّٰتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نَسَائِكُمْ) الى قوله: (سبيلا)^٣ فكانت الشيب اذا زنت فى بدوالاسلام تمسك فى البيوت^٤ الى الممات، والبكر تؤذى بالكلام ونحوه بمقتضى هاتين الآيتين، ثم نسخ ذلك فى حق الشيب بالرجم، وفى حق البكر بالجلد والتعذيب بحكم السنة.

١ - فى نسخة ش: مرجوحاً.

٢ - فى ش: الصلاة والسلام.

٣ - سورة النساء / ١٥.

٤ - فى ش، البيت:

ورابعها، ما هو مثبت في السنة أخذه مأذون في الكتاب في تركه^١ كالتوجه الى بيت المقدس في اول الاسلام بحكم السنة ثم نسخ بقوله تعالى: (فول وجهك شطر المسجد الحرام) الآية.

وخامسها، ما يجب لوقته، ويزول في مستقبله كواجب الحج.

وقوله: ومباين بين محارمه عطف على المجزورات السابقة، والمحارم محال حكم الحرمة اى: وحكم مباين بين محاله اى: مفروق بينها بالشدة والضعف والوعيد على بعضها، والغفران لبعضها، وقوله: من كبير: تفصيل لها وما اوعده عليه نيرانه كالقتل في قوله تعالى: (ومن يقتل مؤمناً متعمداً) الآية، والصغير: الذى ارصد له غفرانه.

قال الفقهاء: كالتطيف بالحبّة وسائر الصغائر وارضاد الغفران لها في الكتاب العزيز كقوله تعالى: (ان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) ونحوه من آيات وعده بالمغفرة^٢.

منها:



وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ، الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنَامِ، يَرِدُونَهُ رُؤُودَ الْأَنْعَامِ، وَ يَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وُلُوءَ الْحَمَامِ، جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلَامَةً لِيَتَوَاضِعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ، وَأَدْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ، وَ اخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَاعًا أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ، وَوَقَّفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ، وَتَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ: يُحْرِزُونَ الْأَرْبَاحَ فِي مَشَجِرِ عِبَادَتِهِ، وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَ مَوْعِدِ مَغْفِرَتِهِ، جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْإِسْلَامِ عِلْمًا، وَلِلْعَائِدِينَ حَرَمًا، فَرَضَ حَجَّهُ، وَأَوْجَبَ حَقَّهُ، وَ كَتَبَ عَلَيْكُمْ وَقَادَتَهُ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: (وَنِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ).

اقول:

أشار في هذا الفصل الى وجوب حج البيت الحرام ومنة الله تعالى على خلقه

١- في ش بزيادة او ذلك.

٢- في ش: على المغفرة.

بذلك، و الى بعض اسرار وضعه، والحرام: إِمَّا بِمَعْنَى الْمَحْرَمِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (عِنْدَ بَيْتِكَ الْمَحْرَمِ) فَإِنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَحْرَمُ فِيهِ مَا تَسْتَحِلُّ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْقَتْلِ، وَالْقِتَالِ، وَإِمَّا بِمَعْنَى الْحَرَمِ كَزَمَانٍ وَزَمَنٍ، لِكَوْنِهِ آمِنًا لِمَنْ دَخَلَهُ وَامْنًا لَهُ، وَوَجْهٌ شَبِهَ وَرُودَ النَّاسِ لَهُ بِوُرُودِ الْإِنْعَامِ أَزْدِحَامِهِمْ عَلَيْهِ وَمَحَبَّتِهِمْ لَهُ كَأَزْدِحَامِ الْإِبِلِ الْعَطَاشِ عَلَى الْمَاءِ.

وقوله: وَيَأْلَهُونَ إِلَيْهِ، أَي يَشْتَدُّ وَجْدَهُمْ بِهِ فِي كُلِّ عَامٍ، وَيَشْتَاقُونَ إِلَيْهِ وَرُودَهُ كَمَا يَشْتَاقُ الْحَمَامُ السَّاكِنُ بِهِ إِلَيْهِ عِنْدَ خُرُوجِهِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ: جَعَلَهُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ: لِعَزَّتْ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَقْلَ لَمَّا لَمْ يَكُنْ لِيَهْتَدِيَ إِلَى اسْرَارِ أَعْمَالِ الْحَجِّ لَمْ يَكُنْ الْبَاعِثُ عَلَيْهَا فِي أَكْثَرِ الْخَلْقِ إِلَّا الْأَمْرَ الْمَجْرَدَ، وَقَصْدَ امْتِثَالِهِ مِنْ حَيْثُ هُوَ وَاجِبُ الْإِتِّبَاعِ فَقَطْ وَفِيهِ كَمَالُ الرِّقِّ وَخُلُوصُ الْإِنْقِيَادِ لِلَّهِ، فَمَنْ فَعَلَ مَا أَمْرُهُ مِنْ أَعْمَالِ الْحَجِّ كَذَلِكَ فَهُوَ الْمَخْلُصُ الَّذِي ظَهَرَتْ عَلَيْهِ عِلَامَاتُ الْمَخْلُصِ الْمَتَوَاضِعِ الْمَذْعَنِ لِجَلَالِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

ولمَّا كَانَ تَعَالَى عَالَمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ لَمْ يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ أَنَّ تِلْكَ الْعِلَامَةَ مِمَّا يَسْتَفِيدُ بِهَا عُلَمَاءُ بِأَحْوَالِ عِبِيدِهِ مِنْ طَاعَتِهِمْ وَمَعْصِيَتِهِمْ، فَهِيَ عِلَامَةٌ لِغَيْرِهِمْ مِنَ النَّاسِ، وَقَوْلُهُ: وَاخْتَارَ، إِلَى قَوْلِهِ: دَعْوَتِهِ، فَالْإِسْمَاعُ: جَمْعُ سَامِعٍ وَهُمْ الْحَاجُّ^١ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَإِذْ نَادَى فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَا أُنَاسُ اتَّقُوا اللَّهَ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) وَفِي الْخَبَرِ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا فَرَّغَ مِنْ بِنَاءِ الْبَيْتِ جَاءَهُ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَمْرَهُ أَنْ يُؤَدِّنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: وَمَا يَبْلُغُ صَوْتِي، قَالَ اللَّهُ: إِذْنٌ وَعَلِيٌّ الْبَلَاغُ، فَعَلَا إِبْرَاهِيمُ الْمَقَامَ، وَاشْرَفَ بِهِ، حَتَّى صَارَ كَأَطْوَلِ الْجِبَالِ، وَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا وَشَرْقًا وَغَرْبًا وَنَادَى يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْحَجُّ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ فَاجِيبُوا رَبَّكُمْ، فَأَجَابَهُ مَنْ كَانَ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ، وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ... وَفِيهِ إِشَارَاتٌ لَطِيفَةٌ نَبَّهْنَا عَلَيْهَا فِي الْأَصْلِ^٢.

منها ان اجابة من كان فى الاصلاب والارحام اشارة الى ما كتب بقلم القضاء فى اللوح المحفوظ من طاعة المطيع لهذه الدعوة على لسان ابراهيم عليه السلام، ومن بعده من الانبياء وهم المراد بالسمع الذين اجابوا دعوته لحجهم وصدقوا ما بلغه عن ربه تعالى، وفى قوله: وقفوا مواقف انبيائه، وشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه، استدراج حسن للطباع

١ - فى نسخة ش: الحجاج.

٢ - شرح نهج البلاغة الكبير ١/ ٢٢٣.

اللطيفة وجذب لها الى هذه العبادة بذكر التشبيه بالأنبياء والملائكة.

واعلم ان الطواف المطلوب هو طواف القلب بحضرة الربوبية، وان البيت مثال ظاهر في عالم الشهادة لتلك الحضرة التي هي عالم الغيب، كما ان الانسان الظاهر في هذا العالم مثال للانسان الباطن الذي لا يشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب، وان عالم الشهادة مرقاة ومدرج الى عالم الغيب لمن فتح له باب الرحمة، والى هذه الموازنة وقعت الاشارة النبوية، فان البيت المعمور في السماء بازاء الكعبة وان طواف الملائكة به كطواف الانس بهذا البيت، ولك ان تسمى ذلك البيت والحضرة المقدسة بالعرش ولما قصرت مرتبة اكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف امروا بالتشبه بهم بحسب الامكان، وعدوا بان من تشبه بقوم فهو منهم، وكثيرا ما يزداد ذلك التشبه الى ان يصير المتشبه في قوة المشبه به، والذي يبلغ تلك المرتبة فهو الذي يقال ان الكعبة تزوره وتطوف به على ما رواه بعض المكاشفين لبعض اولياء الله.

وقوله: يحرزون، الى قوله: مغفرتة... استعارة لفظ المتجر للحركات في العبادة، و لفظ الارباح لثمرتها في الآخرة من كرامة الله. ولما كان الاسلام والحق هو الطريق الى الله تعالى استعار لفظ العلم للحج بالنسبة اليه، لان به يكون سلوك طريق الله، القبلة في الاسلام كالعلم للطريق، والوفادة القدوم للاسترفاد، ولفظه مستعار للحج لانه قدوم الى بيت الله طلباً لفضله وثوابه، والآية لبيان سبب وجوبه وهي خبر في معنى الامر، وباللغة التوفيق.

٢ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بَعْدَ انصرافه من صفين

أَحْمَدُهُ أَسْتِثْمَامًا لِنِعْمَتِهِ، وَأَسْتِثْلَامًا لِعِزَّتِهِ، وَأَسْتِغْصَامًا مِنْ مَعْصِيَتِهِ وَأَسْتَعِينُهُ فَاقَةً إِلَى كِفَايَتِهِ؛ إِنَّهُ لَا يَفْضِلُ مَنْ هَدَاهُ، وَلَا يَلِيْلُ مَنْ عَادَاهُ وَلَا يَفْتَقِرُ مَنْ كَفَاهُ؛ فَإِنَّهُ أَرْجَحُ مَا وُزِنَ، وَأَفْضَلُ مَا خُزِنَ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً مُتَّحِنًا إِخْلَاصُهَا، مُعْتَقِدًا مُصَاصُهَا نَتَمَسِّكُ بِهَا أَبَدًا مَا أَبْقَانَا، وَنَدَّخِرُهَا لِأَهْوَالِ مَا يَلْقَانَا، فَإِنَّهَا عَزِيمَةُ الْإِيمَانِ، وَقَاتِحَةُ الْإِحْسَانِ، وَ

مَرْضَاةَ الرَّحْمَنِ، وَمَدْحَرَةَ الشَّيْطَانِ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالذِّينِ الْمَشْهُورِ، وَالْعِلْمِ
 الْمَأْتُورِ وَالْكِتَابِ الْمَسْطُورِ، وَالتَّوْرِ السَّاطِعِ، وَالضِّيَاءِ اللَّامِعِ، وَالْأَمْرِ الصَّادِعِ، إِزَاحَةً
 لِلشُّبُهَاتِ، وَاجْتِجَاجاً بِالْبَيِّنَاتِ، وَتَحْذِيرًا بِالْآيَاتِ، وَتَخْوِيفًا بِالْمَثَلَاتِ وَالنَّاسُ فِي فِتْنِ
 أَنْجَذَمَ فِيهَا حَبْلُ الدِّينِ، وَتَزَعَزَعَتْ سَوَارِي الْيَقِينِ، وَاخْتَلَفَ النَّجْرُ، وَتَشَّتْ الْأُمُرُ، وَ
 ضَاقَ الْمَخْرَجُ وَعَمِيَ الْمَصْدَرُ، فَالْهُدَى خَامِلٌ، وَالْعَمَى شَامِلٌ: عُصِيَ الرَّحْمَنُ، وَنُصِرَ
 الشَّيْطَانُ، وَخُذِلَ الْإِيمَانُ، فَانْهَارَتْ دَعَائِمُهُ، وَتَنَكَّرَتْ مَعَالِمُهُ، وَدَرَسَتْ سُبُلُهُ، وَعَفَّتْ
 شُرُكُهُ: أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ، وَوَرَدُوا مَتَاهِلَهُ، بِهِمْ سَارَتْ أَعْلَامُهُ وَقَامَ لُؤَاؤُهُ،
 فِي فِتْنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا، وَوَطَّشَتْهُمْ بِأُظْلَافِهَا، وَقَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا، فَهَمَّ فِيهَا تَائِهُونَ
 حَائِرُونَ جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ، فِي خَيْرِ دَارٍ، وَشَرِّ جِيرَانٍ نَوْمُهُمْ سُهَادٌ، وَكُحْلُهُمْ دُمُوعٌ، بِأَرْضِ
 عَالِمِهَا مُلْجَمٌ، وَجَاهِلِهَا مُكْرَمٌ.

اقول :



جعل عليه السلام لحمدته تعالى غايتين :

احداهما، الاستتمام لنعتمه لاستعداد العبد بشكرها للمزيد منها.

الثانية، الاستسلام لعزته وهو: الانقياد لها بكمال الحمد على النعمة وقوله تعالى :
 (لَئِنْ شَكَرْتُمْ) الآية، برهان الاولى وفيه تنبيه على الثانية، ولما كانت هاتان الغايتان
 لاتمام لهما بدون عصمته عن ورطات المعاصي والمعونة بكفايته على الدواعي المهلكة،
 جعل طلب العصمة غاية اخرى هي الوسيلة الى الاولتين، وعقب ذلك الحمد بطلب المعونة
 منه على تمام الاستعداد لما طلب،^١ و اشار الى علة تلك الاستعانة وهي الفاقة الى كفاية
 دواعي التفريط والافراط بالجدبات الالهية.

وقوله : انه لا يضل، الى قوله : كفاه، تعليل لاستعانته على تحصيل الكفاية بكونها
 مانعة من دواعي التفريط والافراط، فيستقيم العبد بها على سواء الصراط، وذلك
 هدى الله الذي لا ضلال معه، وبكونها مانعة من الفقر الى غيره تعالى، ومن معاداته

١ - هذه الجملة: وعقد ذلك الحمد- لما طلب. غير موجودة في ش.

المستلزمة لعدم النجاة من عباده، ولفظ المعادة مجاز فيما يلزمها من البعد عن الرحمة. ولايئل اى: لاينجو. وقوله: فانه ارجح، قيل: الضمير راجع الى ما دلّ عليه قوله احمده من المصدر على طريقة قولهم: من كذب كان شرّاً له، ويحتمل ان يعود الى الله. ولفظا الخزن والوزن: مستعاران لعرفانه، والمعقول منه الراجح فى ميزان العقل على كلّ معلوم والمخزون فى اسرار النفوس القدسية.

وقوله: فى الشهادة ممتحناً اخلاصها اى: مختبر نفسه فى اخلاصها، وعرائها عن الشبهة والشرك الخفى، ومصاص الشىء: خالصه. وقوله: نتمسك بها الى آخره، و مدحرة الشيطان اشارة الى: وجوب التمسك بها. والاهويل: الامور المخوفة فى الآخرة وعلل ذلك الوجوب بأوصاف اربعة.

وهى كونها عزيمة الايمان اى: عقيدته المطلوبة لله من خلقه و ما زاد عليها كمال لها. ثم كونها فاتحة الاحسان اذ بها يستعدّ لاحسان الله فى الدارين ثم كونها مرضاة الرحمن اى: محلّ رضاه، ثم كونها مدحرة للشيطان اى: محلّ دحره وهو طرده و ابعاده، و ذلك ان غاية الشيطان من الانسان الشرك بالله، والكلمة باخلاص تنفيه بأقسامه، و تبعد الشيطان عن مراده. و استعار لفظ العلم والنور والضياء: لما جاء به الرسول عليه السلام من الكتاب و السنة لهداية الخلق به فى ظلمات الجهل الى صراطه^١. والامر الصادع الذى شقّ عصا المشركين وصدع صفاتهم. وقوله: ازاحة الى قوله: بالمثلات، اشارة الى: وجوه مقاصد البعثة فاهمّها ازاحة الشبهات عن قلوب الخلق، ثم الاحتجاج عليهم بالبيّنات الواضحة والمعجزات، ثم تحذيرهم بالآيات المنذرة والجذب بها الى المطالب منهم، ثم تخويفهم بالمثلات: جمع مثلة بفتح الميم وضمّ الثاء، اى: العقوبات النازلة بالامم السالفة. وقوله: والناس فى فتن الى آخره، يشبه أن يكون كلاماً ملتقطاً جمعه السيّد على غير نظام، والواو يحتمل ان يكون للحال والعامل ارسله، والفتن المذكورة هى فتن العرب فى الجاهليّة و حال البعثة. و خيردار يعنى: مكة. وشرجيران يعنى: قريشاً. والعالم الملجم: هو من كان عالماً بصدق الرسول وبعثته فهو ملجم بلجام التقيّة والخوف. والجاهل المكرم: هو من كذبه و نأبذه، ويحتمل ان يكون الواو للابتداء. والذمّ لأهل

١ - فى شر: صراط الله.

زمانه، وما هم فيه من الفتن بسبب تفرق كلمتهم. وذكر من المذام التي حصل الناس عليها اموراً يرجع حاصلها الى ترك مراسم الشريعة وارتكاب طريق الباطل، واستعار لفظ الحبل: لما يتمسك به من الدين، ووصف الجذم وهو القطع: لتركهم التمسك به، ولفظ السواري: لقواعد الدين كالجهد، ووصف التزعزع: لعدم استقامته بهم وتخاذلهم عنه، واولاهل الدين الذين بهم يقوم وتزعزعها لموتهم او خمولهم خوفاً من الظالمين. والنجر: الاصل و اراد به ما كان يجمع الناس من الدين الذي تفرقوا عنه، وغظت على اعينهم ظلمات الشبهات عليه، فضاقت المخرج منها عليهم وعمى مصدرهم عنها اي: وعموا عن المصدر، واسنده الى المفعول مجازاً، وخمول الهدى: سقوط انوار الدين بينهم وعدم استضائتهم بها فهم مشمولون بالعمى عنه. ونصرة الشيطان: اتباع آرائه وبذلك يكون عصيان الله، وخذلان الايمان به، وانهيار دعائمه اي: سقوطها ومعالم الايمان: آثاره. و تنكرها: انمحاؤها من القلوب.

والشرك: جمع شركة بفتح الشين والراء، وهي معظم الطريق و اراد بها ادلة الدين وأراد بعفائها عدم الاثر بها لعدم سالكها، ومسالك الشيطان ومناهله: ما يجرحهم اليه من الملاهي و اعلامه و لوائه. اما المقادة اليه او شبههم القائدة الى الباطل. وقوله: في فتن داستهم، متعلق بقوله: سارت ان اتصل الكلام او بغير ذلك مما لم يذكره السيد، واستعار للفتن وصف الدوس والوطى، و رشح بذكر الاخفاف والاضلاف. والسنايك: وهي رؤس الحوافر جمع سنيكة ملاحظة لشبهها بالحيوانات المشار اليها فيما تطاءه، وتيههم اي في ظلمات الجهل، وفتنتهم ابتلاؤهم بذلك. وقيل: اراد بخير، دار الشام لانها الأرض المقدسة، وبشر جيران يعنى: القاسطين. وقوله: نومهم سهاد، و كحلهم دموع: كناية عن شدة اهتمامهم بأحوالهم وعدم استقرارهم من الفتن. وقوله: بارض عالمها ملجم يعنى: نفسه، وجاهلها مكرم: يريد معاوية. وقيل: اراد بخير، دارالعراق، وشر جيران: اصحابه المستصرخ بهم لتخاذلهم عن اجابته للجهد.

ومنها يعنى آل النبي عليه الصلاة والسلام:

هُم مَوْضِعُ سِرِّهِ، وَوَجْهُ أَمْرِهِ، وَعَيْبَةُ عِلْمِهِ، وَمَوْئِلُ حُكْمِهِ، وَكُهُوفُ كُتُبِهِ، وَجِبَالُ دِينِهِ: بِهِمْ

أَقَامَ أَنْجِنَاءَ ظَهْرِهِ، وَأَذْهَبَ أَرْبَعَادَ فَرَائِصِهِ.

أقول :

اللبجاء والملجأ والموئيل: المرجع، وذلك أنهم ناصروه، واستعار لفظ العيبة لهم باعتبار حفظهم لاسراره وعلومه وهم مرجع حكمه اى: حكمته اذا ضلت عنها الخلق، فمنهم تطلب، وكذلك لفظ الكهوف، والجبال باعتبار عصمة الدين بهم من الاضمحلال، والضمير فى اقام،: لله تعالى لانه هو الذى جعلهم اعوانا وانصارا. وكنى بظهره عن ضعفه فى اول الاسلام وبارتعاد فرائصه عن خوفه. والفريضة: اللحمة بين الجنب والكتف لا تزال ترعد من الذابة، والضمائر المفردة كلها لله الا فى ظهره وفرائصه فانها للرسول عليه السلام، وقيل: الجميع عائد الى الرسول، الا فى كتبه وهو ضعيف.

ومنها: ^١

زَرَعُوا الْفُجُورَ، وَسَقَوْهُ الْغُرُورَ، وَحَصَدُوا الثُّبُورَ، لَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ، وَلَا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَدًا: هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ، وَعِمَادُ الْيَقِينِ: إِلَيْهِمْ يَفِيُّ الْعَالِي، وَبِهِمْ يُلْحَقُ النَّالِي. وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلَايَةِ، وَفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوَرَاثَةُ؛ الْآنَ إِذْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ، وَنُقِلَ إِلَى مُنْتَقَلِهِ.

أقول :

قيل: اراد معاوية واهل الشام، وقيل: اهل الجمل، وقيل: الخوارج، وهى محتملة واستعار لفظ ^٢الزرع: لاعتبار تأصيلهم بالفتنة والخلاف له، ووصف السقى: لتماديهم فى غفلتهم عن الحق، ووصف حصد الثبور لهلاكهم وقتلهم بسيفه وهو ثمرة ذلك الزرع اولهالكهم الاخرى. والثبور: الهلاك، وقوله: لا يقاس الى قوله احد... خرج مخرج الجواب لمفاخرة سبقت من معاوية او غيره. وقوله: ولا يسوى، الى آخره، اشارة الى:

١- فى نسخة ش بزيادة: فى المناقين.

٢- فى ش: وصف.

فضلهم على غيرهم من وجوه: الأول، كونهم اسباباً لنعمة الله على الخلق وارشادهم اليه، والمنعم افضل من جهة ما هو منعم خصوصاً بمثل هذه النعمة التي لا يمكن جزاؤها.

الثاني، كونهم اسباباً واصلاً للدين.

الثالث، كونهم عماد اليقين لانهم اسباب ازالة ما يضعفه من الشبهات، فيهم يقوم كالعماد ولفظه مستعار.

الرابع، كونهم على الصراط السوي، والمنهج الحق اليهم يرجع من غلا فيه و تجاوزه، وبهم يلحق من فرط فيه وتخلف عنه.

الخامس، كونهم أهل خصائص الولاية من العلوم، ومكارم الاخلاق والآيات والكرامات.

السادس، ان فيهم وصية رسول الله صلى الله عليه وآله، ووراثته وهو ظاهر.

وقوله: الآن، الى آخره، يريد بالحق الخلافة، وفيه ايماء الى انها كانت في غير اهلها قبله.



٣- ومن خطبة له عليه السلام المعروفة بالسفسقية

أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى :
يَتَحَدَّرُ عَنِّي السَّيْلُ، وَلَا يَرْقَى إِلَى الطَّيْرِ؛ فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْبًا وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحًا. وَ
ظَفِيفْتُ أُرْتِي بَيْنَ أَنْ أُصُولَ بِيَدِ جَدَاءَ، أَوْ أُضْبِرَ عَلَى طِخْيَةِ عَمِيَاءَ، يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَ
يَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ. فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْبَبِي،
فَصَبْرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَدَى، وَفِي الْحَلْقِ شَجَا؛ أَرَى تُرَائِي نَهَبًا، حَتَّى مَضَى الْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ،
فَأَذَلِّي بِهَا إِلَى فُلَانٍ بَعْدَهُ (ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الْأَعْمَشِيِّ)
شَتَانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا وَيَوْمُ حَيَّانَ أُحْيِي جَابِرِ

١ - في نسخة ش بزيادة: وتعرف بالمقصصة.

فِيَا عَجَبًا!! بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ، إِذْ عَقَدَهَا لِأَخْرَبَعَدَ وَقَاتِهِ، لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا
 ضَرَعَيْهَا! فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ يَغْلُظُ كَلَامُهَا، وَيَخْشُنُ مَسْهَا، وَيَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا، وَ
 الْأَعْتِدَارُ مِنْهَا، فَصَاحِبُهَا كَرَاجِبِ الصَّعْبَةِ إِنْ أَشْتَقَ لَهَا خَرَمَ، وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ، فَمُنَى
 النَّاسُ لَعَمْرُ اللَّهِ بِخَبِيطِ وَشِمَاسِ، وَتَلُونِ وَاعْتِرَاضِ؛ فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ، وَشِدَّةِ
 الْمِخْنَةِ؛ حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ، زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ، فَيَا لِلشُّورَى!
 مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ، حَتَّى صِرْتُ أُفْرَنُ إِلَى هَذِهِ التَّظَايِرِ!! لَكِنِّي
 أَسْفَفْتُ إِذْ أَسْفَوَا، وَطِرْتُ إِذْ طَارُوا؛ فَصَنَى رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِعْفِيهِ، وَمَالَ الْآخِرُ لِضِهْرِي، مَعَ
 هُنَّ وَهَنٍ، إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجًا حِضْنِيهِ، بَيْنَ نَيْلِيهِ وَمُعْتَلْفِيهِ، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ
 يَخْضِمُونَ مَالَ اللَّهِ خِضْمَةَ الْإِبِلِ نَيْتَةَ الرَّبِيعِ، إِلَى أَنْ أَنْكَثَ فَتَلُّهُ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ، وَ
 كَبْتُ بِهِ بَطْنَتَهُ. فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَالنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إِلَيَّ؛ يَتَسَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ؛
 حَتَّى لَقَدْ وُطِيَءَ الْحَسَنَانِ، وَشَقَّ عِظْفَايَ، مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيبَةِ الْعَنَمِ فَلَمَّا نَهَضْتُ
 بِالْأَمْرِ نَكَّثَتْ طَائِفَةٌ، وَمَرَقَتْ الْآخَرَى، وَقَسَطَ آخَرُونَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا كَلَامَ اللَّهِ حَيْثُ
 يَقُولُ: (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ
 لِلْمُتَّقِينَ) بَلَى! وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا، وَلَكِنَّهُمْ حَلَبَتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ، وَرَاقَهُمْ
 زِبْرُجُهَا. أَمَا وَالَّذِي فَتَقَّ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ
 النَّاصِرِ، وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ لَا يَقَارُوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ، وَلَا سَعَبِ مَظْلُومٍ لِأَلْقَيْتُ
 حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوْلِهَا، وَلَا لَفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَرْهَدَ عِنْدِي مِنْ
 عَفْظَةِ عَنَزِ.

قالوا: و قام إليه رجل من أهل السواد عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته فناوله
 كتابا، فأقبل ينظر فيه، قال له ابن عباس رضى الله عنهما: يا أمير المؤمنين، لو اطردت
 خطبتك من حيث أفضيت.

فقال: هيئات يابن عباس، تلك شقشقة هدرت ثم قرئت

قال ابن عباس: فوالله ما أسفت على كلام قط كأسفى على هذا الكلام أن لا يكون
 أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث أراد.

قوله عليه السلام في هذه الخطبة: كراكب الصعبة ان اشق لها حرم وان اسلس لها تقحّم....

يريد انه اذا شدد عليها في جذب الزمام وهي تنازعه راسها حرم انفها، وان ارخى لها شيئاً مع صعوبتها تقحمت به فلم يملكها، يقال: اشق الناقة اذا جذب راسها بالزمام و دفعه، وشقها ايضاً، ذكر ذلك ابن السكيت في اصلاح المنطق، واما قال عليه السلام: اشق لها، ولم يقل اشنقها لانه جعله في مقابلة قوله: اسلس لها، فكأنه عليه السلام، قال: ان رفع اشق لها بالزمام يعنى: امسكه عليها.
اقول:

ان هذه الخطبة وما يشبهها مما يتضمّن شكايته في امر الخلافة قد انكرها جماعة من اهل السنة حتى قالوا: انه لم يصدر عنه عليه السلام شكائه في هذا الامر اصلاً، ومنهم من نسب هذه الخطبة خاصة الى السيد الرضى رحمه الله. والحق ان ذلك افراط في القول لان المنافسة التي كانت بين الصحابة في امر الخلافة معلومة بالضرورة لكل من سمع اخبارهم، و تشاجرهم في السقيفة، وتخلّف عليّ ووجوه بنى هاشم عن البيعة امر ظاهر لا يدفعه الا جاهل او معاند، و اذا ثبت انه عليه السلام نafs في هذا الامر كان الظن غالباً بوجود الشكاية منه، وان لم يسمع ذلك منه، فضلاً عن ان الشكاية بلغت مبلغ التواتر المعنوي في الالفاظ لشهرتها، و كثرتها تعلم بالضرورة انها لا تكون باسرها كذباً بل لابد ان يصدق بعضها فثبتت فيه الشكاية على ان هذه الخطبة نقلها من يوثق به من الادباء والعلماء قبل مولد الرضى بمدة و وجدت بها نسخة موثوقاً بنقلها، عليها خط الوزير ابن الفرات و كان قبل مولد الرضى بنيف وستين سنة و لنرجع الى المتن^١.

فنقول: المراد بفلان ابوبكر. وفي بعض النسخ لقد تقمّصها ابن ابي قحافة، والضمير في تقمّصها راجع الى الخلافة لعهدا اولسبقت ذكرها، واستعار لفظ التقمّص لتلبسه بها. والواو في «وانه» واوالحال، ومثل نفسه منها^٢ بالقطب من الرحا في انها لا تستقيم بدونه، واكد ذلك بالكناية عن علوه وشرفه مع فيضان العلوم والفضائل عنه

١ - يراجع بشأن مصادر الخطبة الششقية كتاب الغدير ٧/ ٨٢-٨٧.

٢ - في ش: فيها.

بوصفين من اوصاف الجبل المنيع العالى و هما كونه ينحدر عنه السيل ولا يرقى اليه الطير.
وسدلت اى: ارخيت دونها ثوباً كناية عن احتجابه عن طلبها بحجاب الزهد فيها
والاعراض عنها.

وقوله: وطويت عنها كشحاً، كناية: عن امتناعه منها كالماكول المعاف الذى يطوى
البطن دونه. والكشع بالفتح: الخاصرة، وقيل: انه اراد التلفت عنها، كما يفعل المعرض
عمن الى جانبه كما قال:

طوى كشحه عنى واعرض جانباً

وقوله: وطفقت. الى قوله: عمياء، اى: جعلت افكر فى امرى هل اصول عليهم بيد
جذء، بالدال، والذال، اى: مقطوعة وهى كناية عن عدم الناصر له، او ان اصبر على طخية
عمياء، اى: ظلمة لا يهتدى فيها للحق، و كنى بها عن التباس الامور فى الخلافة قبله
كناية بالمستعار و كنى عن شدة ذلك بقوله: يهرم، الى قوله: ربه، و اراد بكدح المؤمن
فيها شدة سعيه واجتهاده فى لزوم الحق والذب عنه. وقوله: فرايت ان الصبر على هاتا
احجى، ترجيح لقسم الصبر على قسم المنافرة، وهاتا لغة فى هذى. واحجى: اليق، اليق
بالحجى و هو العقل لما فى المنافرة من انشباب عصا المسلمين اى: اجماعهم وابتلافهم
مع غضاضة^١ الاسلام و كثرة اعدائه. والقذى: ما يقع فى العين فيؤذيها كالغبار ونحوه.

والشجى: ما ينشب فى الحلق من عظم ونحوه فيغص به، و هما كنايتان عن الغم و
مرارة الصبر والتألم من الغبن. و ترائه، قيل: هو ما خلفه رسول الله صلى الله عليه وآله لابنته
كفدك لأن مال الزوجة فى حكم مال الرجل. والتهب: اشارة الى منع الخلفاء الثلاثة
لها بالخبر الذى رواه ابوبكر (نحن معاشر الانبياء لانورث، ما تركناه فهو صدقة) وقيل:
اراد منصب الخلافة و يصدق عليه لفظ الارث كما فى قوله تعالى: (يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ
يعقوب)^٢ اى: العلم و منصب النبوة. والماضي الاوّل: ابوبكر، وسبيله طريق الاخرة و
هو: الموت. و فلان بعده: عمر، و ادلى بكذا: ألقاه اليه، و كنى بذلك عن نصّ ابى بكر
بالخلافة بعده. و اما البيت فهو لأعشى قيس واسمه ميمون بن جندل من قصيدة يمدح بها

١ - الغضاضة: الضعف.

٢ - سورة مريم / ٦.

عامراً ويهجو علقمة أولها:

شافتك من قتلة اطلالها بالشط والوترالى حاجر
وحيان، وجابر، ابنا السمين بن عمر من بنى حنيفة. و كان حيان صاحب الحصن
باليمامة سيداً مطاعاً يصله كسرى فى كل سنة، و كان فى نعمة ورفاهية، و كان الأعشى
يناديه، و اراد ما ابعده ما بين يومى على كور المطية أداب، و انصب فى الهواجر، و بين
يومى منادماً حيان اخا جابروادعا فى نعمة و خفض.

و روى ان حيان، عاتب الاعشى فى تعريفه بأخيه فاعتذر ان القافية جرت به الى ذلك
فلم يقبل عذره. و اليوم الاول، رفع بانه فاعل اسم الفعل، و الثانى عطف عليه، و عرض
البيت تمثيل حاله بحاله القائل، و الفرق بين ايامه مع رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم،
و حاله معه فى العزة و قرب المنزلة و الحصول على العلوم و مكارم الاخلاق، و ايامه
فى القوم و حاله من المتاعب و المشاق و مقاساة المحن. و قيل: اراد الفرق بينه و بين القوم
فى ظفرهم و فوزهم به، و فوات مطلوبه هو و حصوله على الحرمان و المشقة.

و قوله: فيا عجباً الى بعد وفاته، الضمير راجع الى ابي بكر و استقالته هو قوله:
(اقبلونى فليست بخيركم)^١ و وجه التعجب هو استقالته منها فى الحياة لثقلها مع تحملها لها
فى الممات ايضا بعقدها لغيره. و اللام فى «لشد» للتأكيد و استعارتها لفظ الضرع لشبهها
بالناقة و انما وصف تشظره، و هو اخذ كل منهما شطراً، لا اشتراكهما فى امر الخلافة، و
اخذهما لها فكانت هما اقتسماها اقتسام الحالين اخلاف الناقة. و الحوزة: الناحية: و كتى
بها بوصف خشنها عن طباع عمر، فانها كانت توصف بالجفاوة و بغلظ كلمها: عن غلظته
فى المواجهة بالقول و غيره. و الكلم: الجرح، و بخشونة مَسَّها: عن عدم لينه لمن يلتمس
منه أمراً، و بكثرة العثار و الاعتذار منها: عما كان يتسرع اليه من الاحكام ثم يعاود النظر
فيها فيجدها غير صائبة فيحتاج الى العذر منها كقصة المجهضة و غيرها.

و الضمير فى «منها» يعود الى الحوزة، و قوله: فصاحبها اى: ان المصاحب لتلك
الطبيعة الغليظة الخشنة كراكب الناقة التى لم ترض. و قوله: ان اشق، الى قوله: تقخم،
هو: وجه الشبه، و المعنى: ان مصاحبه ان اكثر انكاره ما يتسرع اليه اذى الى مشاقته، و

١ - هذا القول متواتر عن ابي بكر. الغدير ٧/ ١٢٨ بطرق صحيحة ثابتة.

فساد الحال بينهما، وان سكت عنه ادى ذلك الى الاختلال بالواجب، كما ان ركب الصعبة ان اشق لها و والى جذب الزمام فى وجهها خرم انفها، وان أسلس لها فى قيادها تقحمت به فى المهالك، وركبت به العسف. وقيل: الضمير فى صاحبها يعود الى الخلافة، و صاحبها هو من تولى أمرها، ووجه شبهه براكب الصعبة ان الخليفة يحتاج الى مداراة الخلق و جذبهم عن طرفى الافراط والتفريط الى حاق الوسط فلا يشدد عليهم فى طلب الحق التشديد الموجب لعجزهم وقصورهم وفساد الامر بينه وبينهم، كمن اشق الصعبة ولا يهملهم فيتعدوا الواجب ويهلك بهلاكهم كمن اسلس لها. وقيل: اراد بصاحبها نفسه لانه ايضا بين خطرين، اما ان يبقى ساكتا عن طلب الأمر فيتقحم بذلك فى موارد الذل كما يتقحم مسلسل قياد الصعبة. واما ان يتشدد فى طلبه فيشق بذلك عصا الاسلام فيكون كمن اشق لها فخرم انفها.

وقوله: فمنى الناس اى: ابتلوا، واستعار لفظ الخبط والشماس وهو: نفار الدابة والتلون، والاعتراض وهو المشى فى عرض الطريق لما كان يقع من تغير اخلاق الرجل و اختلاف حركاته، كالفرس الذى لم يرض، وقيل: اراد ما ابتلى به الناس من تفرق الكلمة واضطراب الامر لذلك بعد رسول الله عليه السلام. والمدة: مدة البلاء و شدة المحنة لفوات حقه.

وقوله: حتى مضى، اى: الثانى، والجماعة الذين جعلها فيهم هم اهل الشورى. والشورى: مصدر كالنجوى، و خلاصة خبرهم: انه لما طعن عمر دخلت عليه وجوه الصحابة و سألوه ان يستخلف رجلاً برضاه، فقال: لا احب ان اتحملها حياً وميتاً، فقالوا: الا تشير علينا؟ فقال: ان احببتهم؟ فقالوا: نعم، فقال: الصالحون لهذا الامر سبعة و هم: سعيد بن زيد، وانا مخرجه منهم لانه من اهل بيتى، وسعد بن ابى وقاص، و عبدالرحمن بن عوف، وطلحة، وزبير، وعثمان، وعلی. فاما سعد فيمنعنى منه عنفه، و من عبدالرحمن انه قارون هذه الامة، و من طلحة فتكبره، و من الزبير فشحه، و من عثمان حبه لقومه، و من على حرصه على هذا الأمر، و أمر أن يصلّى صهيّب بالناس ثلاثة ايام، و يخلوا الستة فى بيت ثلاثة ايام فان اتفقت خمسة على رجل و ابى واحد قتل، و ان اتفقت ثلاثة و ابيت ثلاثة فليكن الناس مع الثلاثة الذين فيهم عبدالرحمن.

و يروى: فاقتلوا الثلاثة الذين ليس فيهم عبدالرحمن. فلما خرجوا واجتمعوا للأمر، قال عبدالرحمن: ان لي ولسعد من هذا الامر الثلث فنحن نخرج انفسنا منه، على ان نختار خيركم للامة فرضى القوم غير علي، فانه قال: أرى وانظر. فلما أيس عبدالرحمن من رضى علي رجع الى سعد، وقال له: هلم نعين رجلا فنبايعه، والناس يبايعون من بايعته، فقال سعد: ان بايعك عثمان فانا لكم ثالث، و ان اردت ان تولي عثمان فعلي احب الي. فلما أيس من رضى سعد رجع فأخذ بيد علي فقال: ابايحك على ان تعمل بكتاب الله، و سنة رسوله، و سيرة الشيخين ابي بكر و عمر، فقال: تبايعني على ان اعمل بكتاب الله، و سنة رسوله، واجتهد برأى فترك يده. و اخذ بيد عثمان، وقال له: مقالته لعلي، فقال: نعم فكرر القول على كل منهما ثلاثا، فأجاب كل بما اجاب به أولا فبعدها. قال عبدالرحمن: هي لك يا عثمان و بايعه ثم بايعه الناس.

ثم اردف حكاية الحال باستغاثة الله للشورى، والاستفهام على سبيل التعجب و عروض الشك للناس في مساواته بالاول، التي ان قرن بالجماعة المذكورين في الفضل والاستحقاق. و أسف الطائر: قارب الأرض بطيرانه، و كنى بذلك عن مقاربتة لهم، و اتباعه اياهم في مرادهم، والصغوة الميل، والضغن: الحقد، والذي ضغن هو سعد، لانه كان منحرفا عنه عليه السلام، و تخلف عن بيعته، بعد قتل عثمان، والذي مال لصوره هو عبدالرحمن و كانت بينه و بين عثمان مصاهرة لان عبدالرحمن كان زوجاً لام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط، و هي اخت عثمان لأمه اروى بنت كرز.

وقوله: مع هن و هن يريد ان ميله لم يكن لمجرد المصاهرة بل لاسباب اخرى كنفاسة عليه، أو حسد له فكنى بهن و هن عنها. و ثالث القوم: عثمان، والحضن: الجانب، والنفج: كالنفخ. والنثيل: الروث. والمعتلف: ما يعتلف به من المأكول، و كنى بذلك عن انه لم يكن همته الا التوسع ببيت المال، والاشتغال بالنعم بالمأكل والمشارب، ملاحظا في ذلك تشبيهه بالبعير والفرس المكرم. و بنو ابيه: بنو امية و كنى بالخضم و هو: الاكل بكل الفم عن كثرة توسعهم بمال المسلمين كما نقلناه في الاصل. و كنى بانتكاث فتله عن انتقاض الامور عليه، و ما كان يبرمه من الآراء دون الصحابة. و

١- في ش: فقال.

استعار لفظ الاجهاز الذي يفهم منه سبق الجراح والاثخان بضرب ونحوه لقتله المسبوق بمشق اسلات الاسنة، وكذلك وصف الكبو الذي هو حقيقة في الحيوان: لفساد امره بعد استمراره كالكبو بعد استمرار الفرس من العدو. وكتى ببطنته عن: توسعه بيت المال ايضا. و اسند الكبو اليها لانها السبب الحامل على فساد امره، والواو في «والناس» للحال، و خبر المبتداء محذوف دل عليه متعلقه و هو الي اي: مقبلون ونحوه، و فاعل راعنى اما ما دلت عليه هذه الجمل من المصدر، اي: فما راعنى الا اقبال الناس الي واثيالهم علي. والانشال: تتابع الشئ يتلو بعضه بعضا و هو كقوله تعالى: (ثم بدلهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه^١) و اما الجملة الاسمية و ينثالون: اما حال من راعنى، او خبر ثان للمبتدأ و الاشارة الى حال الناس وقت بيعته، و شبههم في ازدحامهم عليه يومئذ يريدون بيعته، بعرف الضبع في تكائفه، و قيام شعره.

و العرب تسمى الضبع عرفاً لعظم عرفها. والحسنان ولداه عليهما^٢ السلام. و قيل:

الابهامان والحسن الابهام وانشد للشنفرى:

مهزومة الكشحين خرماء الحسن.

اراد انهم وطئوا ابهاميه، و شقوا عطفه، و هوردائه المجتبي به. و روى عطفى و هما: جانباردائه او جانبا قميصه. و مجتمعين حال و شبههم بربضة الغنم و هى القطعة المجتمعة رابضة لاجتماعهم حوله. والطائفة الناكثة: اصحاب الجمل لنكثهم بيعته. و المارقه: الخوارج لمروقهم من الدين كمروق السهم من الرمية و هو لفظ الخبر التبوى. و القاسطون اصحاب معاوية لبغيهم. و القسط: الخروج عن سنن العدل، و حليت: زانت. و قوله: اما و الذي الى آخره،: اشارة الى الاعذار الحاملة له على قبول الخلافة بعد تخلفه عنها.

و فلق الحبة: خلقها، و قيل: هو: شقها الذي في وسطها، و قد نبهنا على الحكمة فيه فى الأصل. و اشار الى ثلاثة اعذار و هو حضور الحاضرين لمبايعته. و قيام الحجّة عليه بوجود الناصرين للحق معه. و ما اخذ على العلماء من العهد على انكار المنكر و الامر

١ - سورة يوسف / ٣٥.

٢ - في ش بزيادة: الصلاة.

بالمعروف عند التمكّن. والمقارة: الموادة والمسالمة. والعذران الاولان شرطان في الثالث. وكتى بكظة الظالم و هي: بطنته وشبعه عن قوّة ظلمه لانّ قدرته مظنة ذلك، وبسغب المظلوم وهو: جوعه عن كونه مظلوماً. والضمير في حبلها و غاربها للخلافة ملاحظاً في استعارتها: تشبيه الخلافة بالناقة. وكتى بذلك عن تركها كارسال الناقة لترعى اى: كنت اترك آخرًا كما تركت اولًا. والفيت الشىء: وجدته. والعفظة: الحبة، وقيل: العطسة. ويفهم منه انه عليه السلام كان مطالباً للدنيا لكن ليس لها بل لنظام الخلق، وامتثالاً لأوامر الله في اجراء امورهم، على قانون العدل كما هو مقصود بعثة الانبياء و انزال الكتب. و اطردت مقالتك، اى: اجريتها. و افضيت وصلت و«لو» للتحضيض. والشقشقة: اللحمه التي تخرج من فم البعير عند هياجه.

٤ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بِنَا أَهْتَدَيْتُمْ فِي الظُّلْمَاءِ، وَتَسَمَّيْتُمْ العُلَيَاءِ، وَبِنَا أَنْفَجَرْتُمْ عَنِ السَّرَارِ، وَقَرَّ سَمْعٌ لَمْ يَفْقَهُ الوَاعِيَةَ، وَكَيْفَ يُرَاعِي الثَّبَاتَ مَنْ أَصَمَّتْهُ الصَّيْحَةُ، رُبِطَ جَنَانٌ لَمْ يُفَارِقْهُ الخَفَقَانُ؛ مَا زِلْتُ أَنْتَظِرُ بِكُمْ عَوَاقِبَ القَدْرِ، وَأَتَوَسَّمُكُمْ بِحِلْيَةِ الْمُغْتَرِّينَ سَتَرِي عَنْكُمْ جَلْبَابُ الدِّينِ، وَبَصْرِيكُمْ صِدْقُ النِّيَّةِ، أَقَمْتُ لَكُمْ عَلَى سَنَنِ الحَقِّ فِي جَوَادِ المَضَلَّةِ حَيْثُ تَلْتَقُونَ وَلَا دَلِيلَ، وَتَحْتَفِرُونَ وَلَا تُمِيهُونَ، اليَوْمَ أَنْطِقُ لَكُمْ العَجَمَاءَ ذَاتِ البَيَانِ، غَرَبَ رَأْيُ أَمْرِي، تَخَلَّفَ عَنِّي، مَا شَكَّكَتُ فِي الحَقِّ مُذْ أَرَيْتُهُ، لَمْ يُوجِسْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ خَيْفَةً عَلَى نَفْسِهِ: أَشْفَقَ مِنْ غَلَبَةِ الجُهَالِ وَدُولِ الضَّلَالِ. اليَوْمَ تَوَاقَفْنَا عَلَى سَبِيلِ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، مَنْ وَثِقَ بِمَاءٍ لَمْ يَظْمَأْ.

اقول:

استعار لفظ الظلماء للجهل الحاجب لأبصار البصائر عن ادراك الحق، و وصف التسّم لما حصلوا عليه من شرف الاسلام وعلو الرتبة، و وصف الانفجار لظهورهم في انوار الاسلام من شرار الشرك. والسرار: الليلة والليلتان في آخر الشهر يستتر القمر فيهما و

يخفى، و لفظه مستعار للشرك والجهل السابق. والوقر: الثقل فى السمع و هو دعاء على سمع لا يفقه صاحبه بسماعه، علما من مقاصد الكتب الالهية وحق له الصمم لعدم فائدة خلقه منه. والنبأ: الصوت الخفى، و كتى بها عن دعائه لهم الى الحق. وبالصيحة عن خطاب الله ورسوله، و هى فى معرض العذر لنفسه فى عدم نفع دعائه لهم، اى: اذا كانت دعوة الله ورسوله التى اصمتكم بقوتها لم تستجيبوا لها، فكيف تراعون دعوتى لكم هى كالنبأ من الصيحة.

و قوله: ربط دعاء للقلوب التى تخفق خوفاً من الله بالثبات والسكينة اى: ثبت قلب كان كذلك، و روى ربط بالبناء للمفعول اى: ربط الله. وقوله: اتوسمكم اى: اتعرفكم. والمغترين الغافلين عن عواقب الأمور اى: ما زلت اعرفكم بصفات الغدر فى البيعة والنكث لها. والجلباب: الملحفة، واستعار لفظه للدين باعتبار ستره و حجبه عن العنف بهم، و حملهم على المشقة او ستره عن علمهم فى قوته وبأسه، و لولم يكن ذلك الستر لعرفوه بذلك. و روى ستركم عتى، اى: عصم الدين متى دماءكم واتباع مُدْبِرِكُمْ. وقوله: و بصرنيكم اى: عرفني بكم صدق نيّتى، و اخلاصى لله، و ما يؤول اليه عاقبة امركم كما قال^١ صلى الله عليه و آله: (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله) ثم اشار الى فضيلته ليقتدوا به، بقوله: اقمتم لكم على سنن الحق اى: طريقه، و هى الكتاب والسنة. و فى جواد المضلة و هى الشبه اذ كان عليه السلام العالم بالكتاب و الموضح لطرق الحق منه لطرق الباطل، و الهادى فيهما، و ذلك حيث يلتقون فى ظلمة الجهل فلا يبصرون دليلاً سواه، و يطلبون ماء الحياة بالبحث و الفحص من اودية القلوب فلا يجدون بها ماء الآ معه. و ما هت البئر: خرج ماؤها. و استعار^٢ الاحتفار للبحث عن مظان العلم و لفظ الماء له. و كتى بالعجماء: عن الحال التى يشاهدونها من العبر الواضحة و عن كمال فضله و هذا من الله^٣. فانّ هذه الامور وان لم يكن لها نطق الا أنّها مبيّنة بلسان حالها ما ينبغى ان يقال فى الافصاح عن ذلك لأوامر الله، ورسوله، فلذلك كانت ذات بيان. و

١ - فى ش بزيادة: رسول الله.

٢ - نسخة ش: واستعار لفظ الاحتفار.

٣ - فى ش: وهدايته الى الله.

انطاقها هو تنبيه عليها اذ عبر بلسان مقاله عما كانت يقتضيه و يشاهده من نظر اليها بعين الاعتبار وهو كقولهم: سل الارض من شق انهارك، و اخرج ثمارك، فان لم تُجِبْكَ حواراً اجابتك اعتباراً.

و روى بعضهم: انطق بفتح الهمزة على ان العجماء صفة مصدر محذوف، اى: الكلمات العجماء ونحوه، و اراد بها ما ذكر فى هذه الخطبة من الرموز و استعارلها لفظ العجماء و كونها ذلت البيان لما فيها من الفوائد، و عزب الرأى: ذهب. و قوله: ما شككت فى الحق مذ أريته: تنبيه على وجوب عزوب رأى من تخلف عنه. و قوله: لم يوجس الى قوله: الضلال، اى: لم يجس موسى فى نفسه خوفاً اشد عليه من خوف غلبة الجهال على الدين، و فتنة الخلق بهم، و اراد انى كذلك، و اوجس: احس. و الشفقة الخوف، و قيل: اشفق فى تقدير الاستدراك بعد النفى اى: لكن اشفق وليس هي افعال التفضيل.

و قوله: اليوم توافقنا للخطاب لمقابلته، والمراد: انى واقف على سبيل الحق و هم واقفون على سبيل الباطل. و قوله: من وثق بماء لم يظماً، مثل نبه به على وجوب الثقة بما عنده، اى: ان سكنتم الى قولى، و وثقتم به كنتم اقرب الى الهدى و السلامة كما ان الوثائق بالماء فى اداوته آمن من العطش و خوف الهلاك بخلاف من لم يثق بذلك. و استعار لفظ الماء: لما اشتمل عليه من العلم و كيفية الهداية به الى الله فانه الماء الذى لا يظماً فيه.

٥ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و خاطبه العباس، و أبوسفیان بن حرب فى أن يبايعا له بالخلافة.

أَيُّهَا النَّاسُ، شُقُّوا أَمْوَاجَ الْفَيْسَنِ بِسُفْنِ النَّجَاةِ، وَ عَرِّجُوا عَنْ طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ وَضَعُوا تَيْبَانَ الْمَفَاخِرَةِ أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحِ، أَوْ اسْتَسَلَّمَ فَأَرَّاحَ. هَذَا مَاءٌ آجِنٌ، وَ لُقْمَةٌ يَعْصُ بِهَا آكِلُهَا. وَ مُجْتَنَى الثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتِ إِيْتَاعِهَا كَالزَّرْعِ بِغَيْرِ أَرْضِيهِ. فَإِنْ أَقْلُ يَقُولُوا: حَرَصَ عَلَى

الْمُلْكِ ، وَإِنْ أَسْكُتُ يَقُولُوا: جَزَعٌ مِنَ الْمَوْتِ هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتْيَا وَالَّتِي ، وَاللَّهُ لَا يُبْزُ أَبِي
ظَالِبٍ آتَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطُّفْلِ بِشَدَى أُمِّهِ ، بَلِ أَنْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ
لَأَضْطَرَبْتُمْ أَضْطِرَابَ الْأُرْشِيَّةِ فِي الطُّورِ الْبَعِيدَةِ .

اقول :

السبب أنه لما بويع ابوبكر بالسقيفة اراد ابوسفيان الفتنة بين المسلمين، فقال:
للعباس ان هولاء قد ذهبوا بالأمر عن هاشم الى تيم، وانه ليحكم فيناغداً هذا اللفظ الغليظ
من بنى عدى، فقم نبايع علياً فانت عم رسول الله، وانا رجل مقبول القول في قريش، فان
دافعونا قاتلناهم وقتلناهم، فأتيا علياً فحضه ابوسفيان على الأمر وعلم عليه السلام من حاله
انه يريد الفتنة فأجابه بهذا الكلام.

و استعار لفظ الامواج: لقيام الفتنة كالبحر في هياجه وتموجه، و لفظ سفن النجاة:
للمهادنة والمسالمة لاستلزامها السلامة كالسفينه. والتعريض: العدول عن الطريق. و لفظ
التيجان لما يفتخر به قريش على تيم لما في ذلك من اثاره الاحقاد. ثم اشار بعد النهي
عن المنافرة والمفاخرة الى ما ينبغي ان يكون حال طالب الخلافة عليه ليفوز بمطلوبه،
او ينجو من الفتنة فحكم بالفوز لمن نهض في طلبه بجناح. و استعار لفظ الجناح: للأعوان
والانصار لان بهم النهوض، و حكم بالنجاة للمستسلم عند عدم الجناح و كلاهما فلاح. و
قوله: ماء آجن الى اكلها: تنبيه على ان المطالب الدنيوية و ان عظمت فهي مشوبة
بالكدر، و استعار لفظ الماء الآجن واللّمة الموصوفة لها: لمتاع الدنيا باعتبار ما فيها من
شائبة التكدير بالمحن من المنافسات ونحوها، و قصد بذلك التنفير عنها تسكيناً للفتنة.

وقوله: و مجتنى الثمرة، الى قوله: ارضه: تمثيل لحاله في طلبه للأمر في غير وقته
بمن وكذ. و ايناع الثمرة: ادراكها، و وجه تشبيهه بالزراع في غير ارضه: انه في محل ان
يمنع من التصرف و يبطل سقيه، و غرض التشبيه التنفير عن التشبه بمن هذه حاله. و إن
أقل، اى: اطلب الأمر و ان اسكت: اى عنه، و هيهات اى: بعد جزعى من الموت بعد
تعاقب الشدائد على، و بعد اللتيا واللتى: كالمثل واصله ان رجلاً تزوج قصيرة ضئيلة
الخلقة فقاسى منها شدائد فطلقها، و تزوج طويلة فقاسى منها اضعاف ذلك فطلقها، و

قال: بعد اللّتى واللّتى لا تزوج ابدأ فكّنى بهما عن الشدائد المتعاقبة. و كونه عليه السلام
 آنس بالموت من الطفل بئدى امه ظاهر من حاله، اذ كان رئيس اولياء الله وقد علمت أنّ
 محبة الموت انس لهم لكونه وسيلة لهم الى لقاء محبوبهم الاعظم، وانسهم به انس
 عقلى ثابت فكان اشدّ من انس الطين بالندى لكونه عن ميل شهوانى فى معرض التغيّر
 والزوال. قوله: بل اند مجت الى آخره: اشارة بعد نفى الجزع من الموت، و اشارة الى
 سبب آخر لسكونه، وهو العلم الذى انطوى عليه، والاندماج: الانطواء وذلك علمه بعواقب
 الامور وادبارها، وما ينتظر من الوقائع والفتن ممّا علمه بتعليم الله ورسوله. ونبه على عظمة
 ذلك بقوله: لوبحت به الى آخره.

و اشار باضطرابهم على ذلك التقدير الى تشبّت آرائهم عند علمهم بما سيقع من
 ذلك، من انتقال الأمر الى بنى امية ومدة دولتهم فإنّ ذلك يكون سبباً لبقائهم، ووجه
 الشبه باضطراب الارشية فى الطوى البعيدة: شدة الاضطراب لأنّ البئر كلما كانت اعماق
 كان اضطراب الرشاء فيها اشدّ لطوله. والرشاء: جبل البئر. والظوى: البئر المطوية. وقيل:
 اراد بالعلم المنطوى عليه: علم الآخرة وما بعد الموت، لانه لو شرح لهم ذلك لاضطربوا
 اشدّ اضطراب خوفاً من الله، و اذهلوا عما هم فيه من المنافسة فى الدنيا.

٦ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما أشير عليه بأن لا يتبع طلحة والزبير ولا يرصد لهما القتال

وَاللّٰهُ لَا أَكُونُ كَالضَّبُعِ: تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّدْمِ، حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا ظَالِمُهَا، وَيَخْتَلِهَا
 رَاصِدُهَا؛ وَلَكِنِّي أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى الْحَقِّ الْمُدْبِرِ عَنِّي، وَبِالسَّامِعِ الْمُطِيعِ الْعَاصِيِ
 الْمُرِيبِ أَبَدًا، حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمِي. فَوَاللّٰهِ مَا زِلْتُ مَدْفُوعًا عَنْ حَقِّي مُسْتَأْثَرًا عَلَيَّ مُنْذُ
 قَبْضِ اللَّهِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَتَّى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا.

١- فى ش: استدراك .

اقول :

المنقول ان الذي اشار عليه بذلك كان ابنه الحسن عليه السلام.

واللدم بسكون الدال: ضرب الحجر او غيره على الارض وليس بالقوى. ويحكى ان الصبغ تستغفل في جحرها بمثل ذلك لتسكن حتى تصطاد. والختل: الخديعة، والاستيثار بالشيء: الانفراد به، ومفهوم التشبيه انه لو اُخِر القتال لكان ذلك سبباً لتمكّن الخصم من خداعه. والمريب: الشاك في وجوب طاعته. وفسر الأبد: بمدّة العمر لانه الأبد الممكن له واردف ذلك بالشكاية في دفعه عن حقه والاستبداد به دونه من حين قبض رسول الله.

٧ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مَلَكَاً، وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَاقاً، فَبَاضَ وَفَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ، وَدَبَّ وَدَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ، فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ، وَنَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ فَرَكِبَ بِهِمُ الزَّلْزَلُ وَزَيَّنَ لَهُمُ الْخَطْلَ، فَعَلَّ مَنْ قَدْ شَرَّكَهُ الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِيهِ وَنَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ.

اقول: روى ملاكا: وملاك الأمر ما يقوم به. والاشراك جازان يكون جمع شريك كشريف واشراف، او جمع شرك وهو: حبائل الصائد^٢. والفصل ذم للمخالفين له و استعار لهم لفظ الاشراك باعتبار انهم اسباب لدعوة الخلق الى مخالفة الحق، فكان الشيطان يصطاد الخلق بواسطة طاعتهم له وتصرفه فيهم. ووصف البيض والافراخ له باعتبار ملازمته لصدورهم ملاحظا في ذلك تشبها بالطائر وتشبيه صدورهم بالوكر. و وصف الديدب والبرج له باعتبار ملازمته لهم كالولد لحجر والده، و كنى بنظره بأعينهم، ونطقه بألسنتهم عن وجوه تصرفه فيهم وركوبه بهم الزلل وتزيينه لهم الخطل وهو: الفساد من القول اشارة الى ثمرة متابعتة. وانتصب فعل على المصدر اي: فعلوا كذلك^٣.

١ - نسخة ش بزيادة: الصلاة.

٢ - في ش: الصيد.

٣ - نسخة ش: ذلك.

٨ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
يعنى به الزبير فى حال اقتضت ذلك

يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ وَلَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ؛ فَقَدْ أَقْرَبَ بِالْبَيْعَةِ، وَادَّعَى الْوَلِيَجَةَ فَلْيَأْتِ عَلَيْهَا
بِأَمْرِ يُعْرَفُ؛ وَإِلَّا فَلْيَدْخُلْ فِيمَا خَرَجَ مِنْهُ.

أقول :

الوليجة: الدخيلة فى الأمر. واصل الفصل احتجاج على الزبير بلزوم البيعة له، و
اشار الى غدر الزبير و هوزعمه انه بايع بيده ولم يبايعه بقلبه، وهوالتعريض فى العهود
والايمان وهما من الزبير ان ذلك امر تقبله الشريعة، وأجابه عليه السلام بضمير صغراه،
قوله: فقد اقر بالبيعة وادعى الوليجة اى: اقربما يلزمه شرعاً وادعى انه اضمر فى باطنه ما
يفسده، و تقدير الكبرى و كل من فعل ذلك احتج الى بيته لدعواه. و اشار الى النتيجة
بقوله: فليأت الى آخره.

٩ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَقَدْ أَرَعَدُوا وَأَبْرَقُوا، وَمَعَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ الْفَشْلُ؛ وَلَسْنَا نُرْعَدُ حَتَّى نُوقِعَ، وَلَا نُسِيلُ حَتَّى نُمَطِّرَ.

أقول :

الإشارة الى اصحاب الجمل فى معرض ذقهم. والارعاد والابراق: كنايةتان
عن التهديد والوعيد الصادر منهم له. والفشل: الضعف و اراد ان مع وعيدهم و تهديدهم
ضعفهم عما توقعوا به من الحرب: وكما ان فضيلة السحاب أن يقترن وقوع المطر منه
برعده و برقه وسيله بمطره، اشار الى انه: كذلك فى مقارنة وعيده لهم بايقاع الحرب بهم
وسيل عذابه لهم بامطاره عليهم.

١ - فى ش بزياة: الصلاة.

١٠ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ، وَأَسْتَجَلَبَ خَيْلَهُ وَرَجُلَهُ، وَإِنَّ مَعِيَ لَبَصِيرَتِي :
مَا لَبَّسْتُ عَلَى نَفْسِي، وَلَا لَبِيسَ عَلَيَّ . وَإِنَّمُ اللَّهُ لَأَفْرَطُنَّ لَهُمْ حَوْضًا أَنَا مَا يَحُهُ : لَا يُصْدِرُونَ
عَنَّهُ، وَلَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ.

اقول :

مداره على ثلاثة امور:

أولها: الذم لأصحاب الجمل والتنفير عنهم بكونهم من حزب الشيطان. والاستجلاب
بمعنى: الجمع.

والثاني، التنبيه على فضيلة نفسه وعدم جواز التلبيس منه وعليه بشبهة قتل عثمان و
نحوه، وهو قوله: وَإِنَّ مَعِيَ إِلَى قَوْلِهِ: عَلَيَّ.

والثالث، الوعيد لهم بالحرب المهلكة. واستعار وصف افراط الحوض وهو ملاءه:
لجمع الجند، وتهيئة اسباب الحرب، يقال: افطرت الحوض افطره بالضم اي: ملئته. و
ماتحه: مستقى الماء منه^١. وكتى به عن كونه هو المتولى لذلك بنفسه. وعنى بقوله:
لَا يُصْدِرُونَ عَنْهُ أَنَّ الْوَارِدَ مِنْهُمْ لَا يَنْجُو فَهُوَ كَمَنْ يَفْرُقُ فِيهِ. وبقوله: وَلَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ أَنَّ مَنْ
نَجَا مِنْهُمْ لَا يَطْمَعُ فِي مِثْلِ مَا طَمَعُوا فِيهِ خَوْفًا فَلَا يَعُودُ. واصل ايم: ايمن، جمع يمين
حذفت النون تخفيفًا كما في قوله: لَمْ يَكْ . وقيل: هو اسم برأسه وضع للقسم والحقيقة في النحو.

١١ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لابنه محمد بن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل

تَزُولُ الْجِبَالُ وَلَا تَزُلُّ عَضُّ عَلِيٍّ نَاجِدِكَ ، أَعْرِ اللَّهَ جُمُجُمَتَكَ ، تَدُ فِي الْأَرْضِ

١ - في نسخة ش: يستقى فيه.

٢ - في ش: وتحقيقه في النحو.

قَدَمَكَ ، أَرَمَ بِبَصْرِكَ أَقْصَى الْقَوْمِ ، وَغَضَّ بِبَصْرِكَ ، وَأَعْلَمَ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ.

اقول :

اشار الى آداب الحرب فنهى عن الفرار واكّده، والتقدير لو زالت الجبال لا تزل، و هي نهى على تقدير أمر محال، وذلك مستلزم النهى على كل حال بطريق الاولى. والناجذ: السن بين الناب والضرس، وللعض عليه فائدتان، احدهما ربط الجأش و تماسك اجزاء البدن المتجزية. والثانية تصلب عضل الرأس فيقاوم^١ ما عساه يقع من الضرب فيه. واستعار وصف اعارة جمجمته لله، قال: ومن ذلك تثبيت لمحمد رضى الله عنه، واشعار له بأنه لا يقتل فى ذلك الحرب. ويد فى الأرض قدمك، اى: اجعله كالوتد فى الثبات. وفائدة رمية ببصره اقصى القوم: ان يعلم على ماذا يقدم. وغض ببصره بعد ذلك: ليكون علامة للسكينة ولأن ادامة النظر الى وقوع السيوف مظنة الرهبة وربما خيف على البصر وبرهان علمه بان النصر من الله قوله تعالى: (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ^٢) ونحوه.



١٢ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَمَّا أَظْفَرَهُ اللَّهُ بِأَصْحَابِ الْجَمَلِ ، وَقَدْ قَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : وَدِدْتُ أَنْ أَخِي فَلَانَا كَانَ شَاهِدَنَا لِيرَى مَا نَصْرَكَ اللَّهُ بِهِ عَلَى أَعْدَائِكَ فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَهْوَى أَخِيكَ مَعْتَا؟ فَقَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَقَدْ شَهِدْنَا وَلَقَدْ شَهِدْنَا فِي عَسْكَرِنَا هَذَا أَقْوَامٌ فِي أَضْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ ، سَيَرَعُفُ بِهِمُ الزَّمَانُ ، وَيَقْوَى بِهِمُ الْإِيمَانُ

اقول :

أراد بالحضور: الحضور القوي، او ان محبته قائمة مقام حضوره، والشهود: من كان

١ - في ش: بتقاوم.

٢ - سورة محمد - ص - / ٧.

بعد فى الامكان وقوة أن يشهد نصرته من شيعته اذ هو بمنزلة الحاضر اطلاقاً للفظ ما بالفعل على ما بالقوة مجازاً. واستعار لفظ الرعاف لوجودهم ونسبه الى الزمان لكونه من اسباب وجودهم.

١٣ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فى ذم أهل البصرة

كُتِبَتْ جُنْدُ الْمَرْأَةِ، وَاتَّبَاعَ الْبَهِيمَةِ: رَغَا فَأَجَبْتُمْ، وَعُقِرَ فَهَرَبْتُمْ، أَخْلَاقُكُمْ دِقَاقٌ، وَعَهْدُكُمْ شِقَاقٌ، وَدِينُكُمْ نِفَاقٌ، وَمَاؤُكُمْ زُعَاقٌ، وَالْمُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مُرْتَهَنٌ بِذَنْبِهِ، وَالشَّائِخُ عَنْكُمْ مُتَدَارِكٌ بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِ، كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُمْ كَجُوجِ سَفِينَةٍ، قَدْ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهَا الْعَذَابَ مِنْ فَوْقِهَا وَمِنْ تَحْتِهَا وَغَرِقَ مَنْ فِي ضَمْنِهَا
وفى رواية: وَآيُمُ اللَّهِ لَتَغْرَقَنَّ بِلَدَّتِكُمْ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَسْجِدِهَا كَجُوجِ سَفِينَةٍ، أَوْ نَعَامَةٍ جَائِمَةٍ.

وفى رواية: كَجُوجِ طَيْرٍ فِي لُجَّةِ بَحْرِ

اقول :

اراد بالمرأة: العائشة^١ اذ كانت واسطة عقدهم فى الحرب، وبالبهيمة: جملها فانهم كانوا محيطين به مجيبين لرغائه، وهاربين لعقره. وكتى برغائه: عن دعوتها، اوكونه سببا لاجتماعهم مادام واقفا. ودقة اخلاقهم: صفرها وحقارتها، و اراد انهم على رذائل الاخلاق، و شقاق العهد: نكثهم له لبيعته عليه السلام، و عهودهم مع امرائه^٢ و ولايته. والزعاق: المالح و ذكره فى معرض ذمهم تنفيرا عنهم. و ارتهان: المقيم بينهم بذنبه لاكتسابه رذائل اخلاقهم^٣ ولذلك كان الشاخص عنهم اى: الراحل متداركا برحمة الله

١ - فى ش: عائشة.

٢ - نسخة ش: امرأة.

٣ - بزيادة كلمة - غالباً - فى نسخة ش.

لسلامته من اثمهم^١، وشبه نفسه في مشاهدته بنور بصيرته لمسجدهم في السماء بالمشاهد لذلك، والحاضر لرؤيته بعين الحس في الجلاء والظهور، وجوع: السفينة، والظائر: صدره، والجائمة: الباركة، والمنقول: ان البصرة غرقت ايام القادر بالله مرة، ومرة في ايام القائم بامر الله غرقت باجمعها وغرق من في ضمنها، وخربت دورها حتى لم يبق الا علو مسجدها الجامع حسب ما اخبر به عليه السلام، و كان غرقها من قبيل البحر ومن ناحية الجبل المعروف بجبل الشام .

ومن كلام له عليه السلام في مثل ذلك.

أَرْضُكُمْ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمَاءِ، بَعِيدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، خَفَّتْ عُقُولُكُمْ وَسَفِهَتْ حُلُومُكُمْ فَأَنْتُمْ غَرَضٌ لِنَابِلٍ، وَأَكْلَةٌ لَأَكِيلٍ، وَفَرِيَسَةٌ لِمَصَائِلٍ.

اقول :

اما قربها من الماء فظاهر، واما بعدها من السماء فقليل: اراد بالسماء المطر، فان امطارها قليلة. وقيل: اراد انهم لردالتهم بعداء عن السماء اي: الرحمة. اوسماء الجود الآلهي، وخفة عقولهم اي: العملية ضعفها عن درك المصالح وتسرعهم الى الباطل، و سفه الحلم: تبديله بضده واستعماله في غير موضعه، و كنى بكونهم غرضاً لنابل الى آخره: عن كونهم مظنة لأطماع الناس فيهم وقصدتهم بالبلاء لضعفهم ونقصان عقولهم، و استعار لفظ الغرض والفريسة لهم. ووجه الاستعارة ظاهر.

١٤ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان

وَأَللهُ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تَزَوَّجَ بِهِنَّ النَّسَاءُ، وَمِثْلِكَ بِهِنَّ الْإِمَاءُ، لَرَدَدْتُهُنَّ فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً، وَ

١ - كلمة: لسلامته من اثمهم. غير موجودة في ش.

مَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضِيقُ.

اقول:

قد كان عثمان أقطع أقاربه من ارض بيت المال قطائع فردها عليه السلام حين ولى الأمر، ووجه سعة العدل: بالقياس الى الجور ان الانسان يتمكن من التصرف به اكثر من التصرف بالجور، لان التصرف بالعدل محل لرضى من يعتقد كونه مظلوماً. ورضا الظالم لعلمه بانه عند انتزاع الحق منه آخذ لما ليس له، ويؤكد ذلك بالوعيد للظالمين، فالظالم وان قام سلطانه حين انتزع الحق منه، وضاق العدل عليه فهو محل الرضى. بخلاف الجور فانه اضيق عليه في الدنيا والآخرة لسد الاوامر والتواهي الشرعية عليه وجوه التصرف الباطل، وانما انتزع منه قهراً ولانه اذا نزل عليه عدل اعتقد انه اخذ منه ما ينبغي أخذه منه، واذا نزل عليه جور اعتقد انه اخذ منه ما لا ينبغي أخذه، ولا شك ان اخذ ما لا ينبغي اخذه أصعب على النفس وأضيق من اخذ ما ينبغي.

ونخص قطائع عثمان دون قطائع غيره بالرد لاختلاف غرضى الإمامين.

مركز تحقيق التراث
١٥ - وَمِنْ خُطْبِهِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما بويع بالمدينة

ذِمَّتِي بِمَا أَقُولُ رَهِيئَةً (وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ) إِنْ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ الْعِبْرُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ
مِنَ الْمَثَلَاتِ حَاجَزَتُهُ التَّقْوَى عَنِ تَقْحُمِ الشُّبُهَاتِ. أَلَا وَإِنَّ بَلِيَّتَكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ
بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَتُبْلَبُنَّ بَلْبَةً، وَلَتُعْرَبُنَّ غَرَبَةً وَ
لَتَسَاطُنَّ سَوْطَ الْقَيْدِ، حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلَاكُمْ وَأَعْلَاكُمْ أَسْفَلَكُمْ؛ وَلَيَسْبِقَنَّ سَابِقُونَ
كَانُوا قَصْرُوا، وَلَيَقْصُرَنَّ سَبَاقُونَ كَانُوا سَبَقُوا، وَاللَّهُ مَا كَتَمْتُ وَشَمَعْتُ، وَلَا كَذَبْتُ كِذْبَةً،
وَلَقَدْ نُبِّئْتُ بِهَذَا الْمَقَامِ وَهَذَا الْيَوْمِ؛ أَلَا وَإِنَّ الْخَطَايَا خَيْلٌ شُمُسُ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وَ
خُلِعَتْ لُجْمُهَا فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ أَلَا وَإِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا دُلُّلٌ؛ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وَأَعْطُوا
أَرْمَتَهَا، فَأُورِدَتْهُمْ الْجَنَّةَ، حَقٌّ وَبَاطِلٌ، وَلكُلِّ أَهْلٍ، فَلَيْنُ أَمْرَ الْبَاطِلِ لَقَدِيمًا فَعَلَّ، وَلَيْنُ قَلَّ

الْحَقُّ فَلَرُبَّمَا وَكَلَّ وَ لَقَلَّمَا أَذْبَرَ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ قَالَ الشَّرِيفُ: أَقُولُ: إِنَّ فِي هَذَا الْكَلَامِ
الْأَدْنَى مِنْ مَوَاقِعِ الْإِحْسَانِ مَا لَا تَبْلُغُهُ مَوَاقِعُ الْإِسْتِحْسَانِ، وَإِنَّ حَظَّ الْعَجَبِ مِنْهُ أَكْثَرُ مِنْ
حَظِّ الْعَجَبِ بِهِ؛ وَفِيهِ مَعَ الْحَالِ الَّتِي وَصَفْنَا زَوَائِدُ مِنَ الْفَصَاحَةِ لَا تَقُومُ بِهَا لِسَانٌ،
وَلَا يَطَّلِعُ فَجَّهَا إِنْسَانٌ، وَلَا يَعْرِفُ مَا أَقُولُ إِلَّا مَنْ ضَرَبَ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ بِحَقٍّ، وَجَرَى فِيهَا
عَلَى عِرْقٍ. (وَمَا يَغْلِبُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ).

اقول :

الذمة: العهد. والزعيم: الكافل. والمثلات: العقوبات. والحجز: المنع. وتفتحم
في الأمر: رمى بنفسه فيه. وأشار الى وجوب الاعتبار لوجوب التقوى. وإن العبرة بما تفعله
الدنيا من عقوبة من اغتربها وتبدل حالاتها عليهم مستلزمة في الاعتبار تصور مثل ذلك في
نفسه، وذلك مستلزم لافاضة تقوى الله عليه، المستلزمة لتوقفه وامتناعه من أن يلقي نفسه
في تلك الأمور الزائلة والشبهات الباطلة، وهي احوال الدنيا المشبهة للحق والعقل،
الخارج من اسر الهوى قوى على نقد الحق وتمييزه من الشبهات، وأكد ذلك برهن ذمته و
كفالاته به.

مركز تحقيقات كويتية علوم إسلامية

ثم نبههم على أنهم في الشبهات مغمورون ليبادروا الى تقوى الله وهو قوله: (إلا وإن
بليتكم قد عادت)، و اراد بالبليّة: ما هم عليه من اختلاف الأهواء عن الشبهات التي
يلقيها اليهم الشيطان، وذلك أمر يشبه ما كانوا عليه حين بعثه الرسول صلى الله عليه وآله،
ثم توعدهم بعاقبة ذلك ونزول ثمرته بهم، والبليلة: الاختلاط. والغريبة: نخل الدقيق و
غيره، وذلك اشارة الى ما يفعله بنوامية بهم من خلط بعضهم ببعض، ورفع أراذلهم و
حط أكابرهم، كما يفعل بالقدر سائطها. ولفظ الغريبة: مستعار لالتقاط احادهم بالقتل
والاذى كما فعلوا بكثير من الصحابة والتابعين.

وقوله: وليسبقن، الى قوله: سبقوا، اشارة الى ما علمه من اسرار القدر في تقصير
من كان له سبق في الدين، وتقدم رتبة فيه، او الى سبق من كان قصر فيه في اوله أو سبق
من كان قاصراً في اول الاسلام عن الخلافة والامارة في آخر الزمان اليها، وبقصر من سبق
اليها عن بلوغها. ثم اشار الى ذلك الاخبار انه مما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله،

واقسم أنه لم يكتم منه وشمة اى: كلمة مما اخبره به وتعين عليه ان يوثره عنه. والوشمة بالشين المعجمة: الكلمة، وأنه لم يكذب فيه، وهذا المقام مقام بيعة الخلق له، وهذا اليوم اى: يوم اجتماعهم عليه، واستعار لفظ الخيل: بوصف الشماس، وخلع اللجم للخطايا باعتبار ورودهم بها النار بسرعة كالفرس الجموح براكبه المتقحم^١ به فى المهالك. ولفظ المطايا: بصد تلك الأوصاف للتقوى الموصلة لصاحبها الى الجنة كراكب المطية الذلول يصل الى غايته بها بسهولة واختيار.

وقوله: حق وباطل، اى: فى الوجود فلكل واحد منهما اهل كقول التنبى صلى الله عليه وآله: «كلّ ميسر لما خلق له». وقوله: فلئن امر الباطل اى: كثر الى قوله: ولعلّ، كالاعتذار لنفسه ولأهل الحق فى قلته، وتوبيخ لأهل الباطل على كثرته. وفى قوله: ربما ولعلّ ترخّ، واطماع لعود الحق الى الكثرة بعد قلته ترغيباً فى لزومه كيلا يضمحل بالتخاذل عنه، والاحسان فى كلام السيد: مصدر أحسن اذا فعل حسناً، ومواقع الاحسان: الكلمات الحسنة منه^٢، ومواقع الاستحسان: الكلم المستحسنة له، لأنها لا تبلغ محاسن كلامه ولا تحيط بها. وقوله: وان حظ الى قوله: به، اى: ان تعجب الفصحاء من حسنه أكثر من عجبهم بأنفسهم باستخراج محاسنه، لأن فيه محاسن لا يمكنهم التعبير عنها، وان تعجبوا منها.

ومن هذه الخطبة:

شُغِلَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ أَمَامَهُ، سَاعٍ سَرِيْعٍ نَجَا، وَظَالِبٍ بَطِيءٍ رَجَا، وَمُقَصَّرٍ فِي النَّارِ هَرَى. الْيَمِينُ وَالشَّمَالُ مَضَلَّةٌ، وَالطَّرِيقُ الْوَسْطَى هِيَ الْجَادَّةُ عَلَيْهَا بَاقِي الْكِتَابِ وَآثَارُ النَّبُوَّةِ، وَمِنْهَا مَنْفَعُ السُّنَّةِ، وَإِلَيْهَا مَصِيرُ الْعَاقِبَةِ؛ هَلَكَ مَنْ ادَّعَى، وَخَابَ مَنْ افْتَرَى. مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَنْ لَا يَعْرِفَ قَدْرَهُ لَا يَهْلِكُ عَلَى التَّقْوَى سِنْخُ أَضَلِّ، وَلَا يَنْظَمُ عَلَيْهَا زَرْعُ قَوْمٍ. فَاسْتَرُوا بَيْنُوتِكُمْ، وَأَضْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ، وَالتَّوْبَةُ مِنْ وَرَائِكُمْ، وَلَا يَحْمَدُ حَامِدٌ إِلَّا رَبَّهُ، وَلَا يَلْمُ لَائِمٌ إِلَّا نَفْسَهُ.

١ - نسخة ش: المقتحم.

٢ - نسخة ش: له.

اقول :

معنى القضية الأولى أنّ من كانت الجنة والنار امامه كان له بهما شغل عن غيرهما، و شغله بهما ملاحظتهما والهمة بما يكون وسيلة اليهما، واستعار لفظ الامام لهما: باعتبار كونهما غايتين ينتهى اليهما، وبناء الفعل للمفعول اذ الغرض ذكر الشغل دون المشغل. وقوله: ساع، الى قوله: النار: قسمة للناس بالنسبة الى ما وجب عليهم من الشغل المشار اليه الى ثلاثة اقسام ووجه القسمة أنّ الناس اما طالبون لله ولما عنده، او غير الطالبين، والطالبون اما مجتهدون فى الوصول اليه، او متأنون، والاول هم السابقون المقربون. والثالث المقصرون الذين وقف بهم الشيطان حيث اراد، وظاهر كونهم فى النار. واما الثانى فذو وصفين يتجادبان به من جهتي السفالة والعلو فسلكه الى الله وان ضعف جاذب له الى الجنة، ويد الشيطان جاذبة له الى النار الا ان رجاءه الله ومسكنه به اذا انضاف الى حركته البطيئة فى سبيل الله كانت السلامة عليه اغلب.

وانما خصّ الثانى بالرجاء لانه عمدته دون عمله لضعفه، ونحوه قوله تعالى: (فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ) ^١. وقوله: اليمين والشمال ^٢ الى آخره، الجادة: اشار باليمين والشمال الى طرفي الافراط والتفريط من الفضائل النفسانية، والطرق الوسطى الى العدل منهما. وهو الحصول على نفس الفضيلة من غير انحراف عنها الى اطراف الرذائل منها وهى الصراط المستقيم فى الدنيا ^٣، والجادة الواضحة لمن اهتدى وعلينا باقى الكتاب الكريم من المقاصد الالهية: وآثار النبوة، ومنقذ السنة: اى طريقها ومخرجها و اليها تصير عاقبة الخلق فى الدنيا والآخرة، فانّ من العدل بدأت السنة وانتشرت فى الخلق، و اليه مرجع امورهم وعواقبها.

قوله: هلك من ادعى: تعريض لمعاوية ودعواه الامامة، واللفظ عام، خرج على سبب خاص اى: هلك من ادعى ما ليس له بحق وخاب من كذب فى دعواه، والخبية: دعاء او خبر بعدم حصول الخير فى الآخرة. وقوله: من ابدى، الى قوله: قدره، اراد من

١ - سورة فاطر / ٣٢.

٢ - بزيادة - مضافة - فى نسخة ش.

٣ - فى ش: والآخر.

تجرّد لظاهر الحق في مقابلة كل باطل سمعه او رآه من الجاهلين و حملهم على مرّ الحق و صعبه في كل وقت كان في مظنة الهلاك بأيديهم وألسنتهم، وكأنه ايماء الى نفسه في معرض الاعتذار في مقابلة معاوية وغيره على باطلهم، وجهل المرء بقدره ومرتبته من الناس جهل فاحش لاستلزامه رذائل صعبة كالعجب والكبر ونحوهما من المهلكات. وقوله: لا يهلك، الى قوله: قوم: فالسنخ الاصل وذلك لان التقوى كالارض الحرة لا يهلك ما غرس من اصل، و كالماء العذب ما يظماً عليه ما زرع و هو ترغيب فيها لغاية ما يشمره من الخير الاخرى، و امرهم بالاستتار ببيوتهم اى: لزومها قطعاً لمادة الفتنة من الاجتماع للمنافرات والمفاخرات، و نبههم على الرجوع الى التوبة و انها مقبولة منهم و كونها وراء لهم باعتبار رجوع العاصي اليها عما هو متوجّه بقلبه اليه من المعصية. و قيل: وراء بمعنى: امام والاول اشبه.

١٦ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في صفة من يتصدى للحكم بين الأمة وليس لذلك بأهل

إِنَّ أَبْغَضَ الْخَلَائِقِ إِلَى اللَّهِ رَجُلَانِ: رَجُلٌ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ فَهُوَ جَائِرٌ عَنْ قُضْدِ السَّبِيلِ، مَشْغُوفٌ بِكَلَامٍ بَدْعَةٍ، وَدُعَاءِ ضَلَالَةٍ، فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنْ افْتَتَرَ بِهِ، ضَالٌّ عَنْ هُدًى مَنْ كَانَ قَبْلَهُ، مُضِلٌّ لِمَنْ افْتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ، حَمَالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ، رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ. وَرَجُلٌ قَمَشَ جَهْلًا مُوضِعٌ فِي جُهَالِ الْأُمَّةِ عَادٍ فِي أَعْبَاشِ الْفِتْنَةِ، عَمَّ بِمَا فِي عَقْدِ الْهُدْنَةِ قَدْ سَمَّاهُ أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِمًا وَلَيْسَ بِهِ، بَكَرَفَ اسْتَكْبَرَتْ مِنْ جَمْعٍ مَاقَلَّ مِنْهُ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ، حَتَّى إِذَا ارْتَوَى مِنْ آجِنٍ، وَاكْتَتَرَ مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ؛ جَلَسَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِيًا ضَامِنًا لِتَخْلِيصِ مَا التَّبَسَّ عَلَى غَيْرِهِ؛ فَإِنْ نَزَلَتْ بِهِ إِحْدَى الْمُبْهَمَاتِ هَيَّا لَهَا حَشْوًا رَثًا مِنْ رَأْيِهِ، ثُمَّ قَطَعَ بِهِ، فَهُوَ مِنْ لَبْسِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ: لَا يَدْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ: فَإِنْ أَصَابَ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ، وَإِنْ أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ، جَاهِلٌ خَبَاطٌ جَهَالَاتٍ عَاشٍ رَكَّابٌ عَشَوَاتٍ لَمْ يَعْصُ عَلَى الْعِلْمِ بِضُرْسٍ قَاطِعٍ يُدْرِي الرُّوَايَاتِ إِدْرَاءَ الرِّيحِ الْهَشِيمِ لِأَمْلِيءٍ وَاللَّهِ بِإِضْدَارِ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ، وَلَا هُوَ أَهْلٌ لِمَا فُوِّضَ إِلَيْهِ لَا يَخْسِبُ الْعِلْمُ

فِي شَيْءٍ مِّمَّا أَنْكَرَهُ، وَلَا يَرَى أَنَّ مِنْ وِرَاءِ مَا بَلَغَ مَذْهَبًا لِغَيْرِهِ، وَإِنْ أَظْلَمَ أَمْرًا كُنْتُمْ بِهِ لِمَا
يَعْلَمُ مِنْ جَهْلِ نَفْسِهِ، تَضْرُخُ مِنْ جَوْرِ قَضَائِهِ الدَّمَاءُ، وَتَعِجُ مِنْهُ الْمَوَارِيثُ إِلَى اللَّهِ أَشْكَو مِنْ
مَغْشَرٍ يَعْشُونَ جُهَالًا، وَيَمُوتُونَ ضَلَالًا لَيْسَ فِيهِمْ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقًّا
تِلَاوَتِهِ، وَلَا سِلْعَةٌ أَنْفَقُ بَيْعًا وَلَا أَعْلَى ثَمَنًا مِنَ الْكِتَابِ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلَا عِنْدَهُمْ
أَنْكَرُ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَلَا أَعْرَفُ مِنَ الْمُنْكَرِ.

أقول:

البغض من الله يعود الى علمه بمخالفة العبد لأوامره، واطلاقه مجازاً إطلاقاً لاسم
اللازم على ملزومه. ووكله الله الى نفسه، جعل اعتماده عليها، ومشغوف: معجب.
والقمش: الجمع. والموضع بكسر الضاد: المسرع اى: انه يسرع فى جهال الامة الى
ما يسرعون اليه. وروى موضع بفتحها اى: انه ليس من اشراف الناس و اغباش الفتنة:
اوائل ظلماتها، وروى غار اى: غافل فى ظلمات الخصومات لا يهتدى لوجه تخليصها. و
روى اغطاش الفتنة والغطش ايضا: الظلمة. والهدنة: الصلح اى: اعمى البصيرة عن وجه
المصلحة فى المصالحة بين الناس، واشباه الناس: الجهال المشبهون للكاملين^١
فى الصورة الحسية دون الصورة التمامية التى هى كمال العلوم، ومكارم الاخلاق. وروى
جمع منوتاً على ان الجملة بعده صفة له، «وما» مصدرية او بمعنى: الذى، وجمع
بمعنى: مجموع. وروى مضافا ويقدر ان بعد ما على طريقة قولهم: تسمع بالمعيدي خير
من أن تراه^٢. واستعار وصف التبكير: للسبق فى اول العمر الى جميع الشبهات، والآراء
الباطلة. واستعار لفظ الماء الآجن: للجهل والاعتقادات الفاسدة، ووصف الارتواء
لتمليه منها، والمبهمات: القضايا الملتبسة التى تدق فيها الحق. والمحشو: الكلام
الكثير لافائدة فيه. والرت: الضعيف. ونسج العنكبوت: مثل للامور الواهية، ووجه
التمثيل ان ذهن الجاهل اذا قصد حلّ مبهمة^٣ كثرت عليه الشبهات فيلتبس على ذهنه

١- فى ش: الكامل.

٢- مثل يضرب. مجمع الامثال ١/ ١٢٩.

٣- فى ش: مهمة.

وجه الحق، ولا يخلص اليه منها فمثله في الشبهات الواهية كالذباب في نسج العنكبوت لا يمكن على ضعفه ان يتخلص منه. وخباط جهالات: كثير الخطب فيها. وروى جهلات^١ جمع جهلة: فعلة من الجهل. والعشوة: مصدر قولك عشوت ضوء النار اذا تبيته على ضعف واراد: انه لا يستنتج نور الحق في ظلمات الشبهات الا على ضعف لنقصان ضوء بصيرته. و لم يعض على العلم بفرس قاطع: كناية عن عدم اتقانه للقوانين الشرعية، واصله ان الانسان يمضغ الشيء ثم لا يجيد مضغه.

و اذ راؤه للروايات تصفحها وقراءتها مع عدم فهمها والانتفاع بها، و كونه لا يحسب العلم في شيء مما انكره، اى: لا يعده شيئاً ولا يدخله في الحساب بل ينكره كسائر ما انكره، وأراد علم الاصولين وغيرهما دون الفروع. وروى يحسب بكسر السين من الحساب وهو: الظن اى: لا يظن العلم الذى هو وراء اعتقاده فضيلة يجب اعتقادها. و استعار وصف الصراخ، والعجيج، وهو: رفع الصوت لنطق الدماء، والمواريث بلسان حالها متظلمة شاكية. و يحتمل ان يريد اهل الدماء فحذف المضاف: و الى الله اشكو، او ابرأ. وقوله: ليس فيهم، الى آخره، اى: اذا فسر الكتاب على وجهه رخص عندهم واطرحوه لمخالفته اغراضهم، و اذا جرف عن مواضعه ووافق اغراضهم شروه بأعلى ثمن. ولا انكر من المعروف لقلته و عدمه بينهم، ولا اعرف من المنكر لكثرة وجوده والفهم له.

١٧ - وَمَنْ كَلَامٌ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فى ذم اختلاف العلماء فى الفتيا

تَرِدُ عَلَى أَحَدِهِمُ الْقَضِيَّةُ فِى حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ، ثُمَّ تَرِدُ تِلْكَ الْقَضِيَّةُ بِعَيْنِهَا عَلَى غَيْرِهِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِخِلَافِهِ، ثُمَّ يَجْتَمِعُ الْقَضَاءُ بِذَلِكَ عِنْدَ الْإِمَامِ الَّذِى اسْتَقْضَاهُمْ فَيُصَوِّبُ آرَاءَهُمْ جَمِيعًا، وَاللَّهُمَّ وَاحِدٌ وَنَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ! وَكِتَابُهُمْ وَاحِدٌ! أَفَأَمْرَهُمْ اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِخْتِلَافِ فَأَطَاعُوهُ؟ أَمْ نَهَاَهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ؟ أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ دِينًا نَاقِصًا فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إِتْمَامِهِ؟ أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَهُ فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى؟ أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ

١ - بزيادة - وجهالات - فى ش.

دِينًا تَامًا فَقَصَرَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ تَبْلِيغِهِ وَأَدَائِهِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: (مَا فَرَّظْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) وَقَالَ: (فِيهِ تَبَيَّنَ لِكُلِّ شَيْءٍ) وَذَكَرَ أَنَّ الْكِتَابَ يُصَدَّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَأَنَّهُ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا). وَإِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أُنِيقٌ وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ، لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ، وَلَا تَنْقُضِي غَرَائِبُهُ وَلَا تُكْشِفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِهِ.

أقول :

في هذا الفصل تصريح بأنه عليه السلام كان يرى إن الحق في جهة، وأنه ليس كل مجتهد في الفروع مصيبًا كما يراه الجمهور من الأصوليين، والمسألة مشهورة في أصول الفقه.

وقوله: ترد، الى قوله: جميعًا: صورة حالهم التي ينكرها، وهو قوله: وآلهم، الى قوله: واحد شروع في بطلان ما يرونه، وهو صغيرى ضمير تقدير كبراه و كل قوم كانوا كذلك فلا يجوز ان يختلفوا في حكم شرعى، وتكون آرائهم المختلفة صائبة. وقوله: فأمرهم الله، الى آخره: بيان للصغرى وتقديره ان ذلك الاختلاف اما ان يكون بأمر من الله أطاعوه فيه، أو بنهى منه عصوه فيه، أو بسكوت عن الأمرين، وعلى التقدير الثالث فجاوز اختلافهم في دينه. والحاجة الى ذلك اما ان يكون مع نقصانه او مع تمامه. وتقدير الرسول في أدائه وعلى الوجه الاوّل فالاختلاف انما يجوز على أحد وجهين: اما ان يكون ذلك الاختلاف تماما لذلك النقصان، او على وجه أعم من ذلك وهو كونهم شركاؤه في الدين فعليه ان يرضى بما يقولون، ولهم ان يقولوا اذ شأن الشريك ذلك، فهذه وجوه خمسة. و حصر الاقسام الثلاثة الاخيرة ثابت بحسب استقرار وجوه الحاجة الى الاختلاف، والاقسام كلها باطلة. و اشار الى بطلانها ببقية الكلام.

اما بطلان الاوّل فلان مستند الدين هو كتاب الله وهو يصدق بعضه بعضًا، فلا اختلاف فيه فلا يكون مبدأً للاختلاف فليس اختلافهم مستنداً الى الكتاب فلا يكون من الدين. و اما الثانى فلان عدم جواز المعصية لله بالاختلاف مستلزم لعدم جواز

١ - بزيادة - الصلاة - في ش.

الاختلاف. واما الثالث وهو نقصان دين الله فلقوله تعالى: (ما فرطنا في الكتاب من شيء) ١. واما الرابع والخامس فظاهر البطلان ولا يمكن دعواهما، فلذلك لم يحتج الى بطلانهما، ثم نبههم الى ٢ ان القرآن واف بجميع المطالب، اذا تدبروا معناه فيحرم عليهم قول لا يستند اليه وذلك في قوله: ظاهره انيق اى: حسن معجب بأنواع البيان، وباطنه عميق لا ينتهى الى جواهر اسراره الآ اولوالألباب، ولا تفنى الامور المعجبة منه ولا تنقضى النكت الغريبة فيه ولا تكشف ظلمات الشبه الآبه.

١٨ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

قاله للأشعث بن قيس وهو على منبر الكوفة يخطب، فمضى فى بعض كلامه شيء اعترضه الأشعث فقال: يا أمير المؤمنين هذه عليك لالك فخفض عليه السلام إليه بصره ثم قال:

مَا يُدْرِيكَ مَا عَلَيَّ مِمَّالِي! عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَلَعْنَةُ اللَّاعِنِينَ، حَائِكُ بَنُ حَائِكٍ مُتَافِقٌ
 ابْنُ كَافِرٍ وَاللَّهُ لَقَدْ أَسْرَكَ الْكُفْرُ مَرَّةً وَالْإِسْلَامُ أُخْرَى فَمَا فَدَاكَ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَالِكَ وَ
 لِأَحْسَبُكَ، وَإِنَّ أَمْرًا دَلَّ عَلَيَّ قَوْمِهِ السَّيْفُ، وَسَاقَ إِلَيْهِمُ الْحَتْفُ، لَحَرِيٌّ أَنْ يَمُفَّتَهُ
 الْأَقْرَبُ، وَلَا يَأْمَنُهُ الْأَبْعَدُ.

قال السيد: يريد عليه السلام أنه أسرف في الكفر مرة وفي الإسلام مرة، واما قوله عليه السلام: دل على قومه السيف فأراد به حديثا كان للأشعث مع خالد بن الوليد باليمامة عرف فيه قومه ومكربهم حتى اوقع بهم خالد و كان قومه بعد ذلك يسمونه «عُرْفُ النَّارِ» وهو: اسم للغادر عندهم.

اقول: روى أنه عليه السلام كان فى خطبته يذكر امر الحكمين، فقام اليه رجل من أصحابه، وقال: نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها فما ندرى اى الأمرين ارشد؟ فصفق عليه السلام احدى يديه على الاخرى وقال: هذا جزاء من ترك العقدة، فظن الأشعث أنه

١ - سورة الانعام / ٣٨.

٢ - فى نسخة شر: على.

اراد هذا جزائي؟ فقال: الكلمة فأشار الى جهله بقوله: وما يدريك اذ ليس للجاهل ان يعترض على مثله بما لا يعلمه، واستحق اللعن لأنه كان من المنافقين. واستعاره ولأبيه لفظ الحائك لأن كندة معروفة بالحياكة وهي مظنة نقصان العقل. وقيل: لأن الأشعث و أباه كانا ينسجان في أول أمرهما برود اليمن، وعيره بهالدنائتها. قوله: ولقد أسرك، الى قوله: حسبك: تأكيد لنقصان فطنته وأنه وجد نفسه مرتين في الأسر ولم يعقل وجه الخلاص. وما فداك اي: لم ينجك من الوقوع ولا يحمل على الفداء بعد الأسر، لأنه فدى نفسه كما نقل.

أما أسر الكفر له فلأن مرادًا لما قتلت أباه خرج ثائرًا بدمه فاسر، فدى نفسه بثلاثة آلاف بعير. وأما اسر الإسلام له فلأنه لما ارتد بحضر موت بعد رسول الله صلى الله عليه و آله بعث اليه ابوبكر بن زياد بن ابيه، ثم بعكرمة بن ابي جهل في جيش من المسلمين فالتجأ الى حصن قومه فاسره زياد و قدم به على ابي بكر فاستبقاه وزوجه اخته أم فروة، وله قصة طويلة اشرفنا اليها في الاصل^٢. وقوله: وإن امرأ، الى قوله: الأبعد: اشارة الى غدره بقومه حين حصرهم زياد فطلب الأمان لنفسه، ولنفر يسير من قومه، فظن الباكون أنه أخذ الأمان لجمعهم، فخرجوا فقتلوا صبرًا. والحنف: الهلاك.

وأما قول السيد أنه اراد حديثًا كان للأشعث مع خالد بن الوليد باليمامة فلم اقف على شئ من ذلك في وقائع خالد باليمامة، وحسن الظن به يقتضى صدق نقله. وأما استعارتهم لعرف النار فلأن العرف: عبارة عن كل عال مرتفع. ولما كان الغدر طباعا له وهو مستلزم للنار صار كالعلم على النار قائدًا لمن أتبعه اليها كاعلام الطريق^٣.

١٩ - وَمِنْ حُطْبَةِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فَإِنَّكُمْ لَوْ عَايَيْتُمْ مَا قَدْ عَايَيْنَ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ لَجَزِعْتُمْ وَوَهَلْتُمْ وَسَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ وَلَكِنْ

١ - نسخة ش هكذا: لنقصان فطنته اذ اوقع نفسه مرتين.

٢ - شرح نهج البلاغة الكبير ١ / ٣٢٥.

٣ - في ش: كالأعلام للطريق.

مَحْجُوبٌ عَنْكُمْ مَا قَدْ عَايَنُوا، وَقَرِيبٌ مَا يُطْرَحُ الْحِجَابُ، وَلَقَدْ بَصَّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ، وَأَسْمِعْتُمْ إِنْ سَمِعْتُمْ، وَهَدَيْتُمْ إِنْ أَهْتَدَيْتُمْ، بِحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ لَقَدْ جَاهَرْتَكُمْ الْعِبْرُ وَزَجَرْتُمْ بِمَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ، وَمَا يُبَلِّغُ عَنِ اللَّهِ بَعْدَ رُسُلِ السَّمَاءِ إِلَّا الْبَشَرُ.

أقول:

الوهل بالتحريك: الفزع. وروى و هلعتم، والهلع: افحش الجزع، وأعلم أن الإنسان مادام ملتحقاً بجلباب البدن فإنه محجوب بظلمات هيأته ومعارضات أوهامه و خيالاته عن مشاهدة عالم الغيب، وذلك الحجاب أمر قابل للزيادة والتقصان، والناس فيها على مراتب ولو قد نضى^١ هذا الجلباب وطرح عن اعين بصائرهم ذلك الحجاب، لشاهدوا من احوال الآخرة وأحوالها ما شاهده من دخل إليها كقوله تعالى: (فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد)^٢ فجزعوا حينئذ وفرعوا وسمعوا الداعي لله و اطاعوا.

وقوله: ولكن، الى قوله: الحجاب: إشارة الى سبب غفلتهم وهو الحجب المذكورة والتهديد بقرب زواله بالموت، وما مصدرية في موضع رفع بالابتداء. وقوله: ولقد بصرتهم، الى قوله: اهتديتم: تنبيه على طريق الهداية وأنها قد اوصلت اليهم ما ينتفع به لو انتفعوا به، و مجاهرة العبر لهم وضوحها وظهور دلالتها، وما فيه مزدجر كالنواهي المؤكدة بالوعيدات الهائلة والعقوبات الحاضرة كقوله تعالى: (ولقد جاءهم من الأنبياء ما فيه مزدجر)^٣ وقوله: وما يبلغ الى آخره، أي: ليس في الامكان طريق وراء ما جذبتهم به الى الله على السنة رسله، وليس يمكن ان تبلغكم رسالاته بعد رسل السماء وهم الملائكة الآهم، فلا عذر لكم في التخلف عن دعوتهم. وباللّه التوفيق.

٢٠ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَإِنَّ الْغَايَةَ أَمَامَكُمْ وَإِنَّ وِرَاءَكُمْ السَّاعَةَ تَخْذُوكُمْ؛ تَخَفُّوْا تَلْحَقُوا فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوْلِكُمْ آخِرُكُمْ.

١ - في ش: ولو قد نضى عنهم هذه الجلباب.

٢ - سورة القمر / ٤.

٣ - سورة ق / ٢٢.

قال السيد: أقول: إن هذا الكلام لو وزن، بعد كلام الله سبحانه و بعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله، بكلّ كلام لمال به راجحاً، وبرز عليه سابقاً. فأما قوله عليه السلام: «تخففوا تلحقوا» فما سمع كلام أقلّ منه مسموعاً ولا أكثر محصولاً وما أبعدها من كلفة وأنفع نطقها من حكمة، وقد نبهنا في كتاب «الخصائص» على عظم قدرها و شرف جوهرها.

أقول: أراد بالغاية حال الآخرة من جنة تطلب، اونار تهرب عنها، ممّا هو متوجّه اليه و غاية للانسان ينتهى اليها، و بذلك الاعتبار صدق عليها أنّها أمام، واستعار لفظه لها، والساعة: القيامة والموت، و كونها وراء باعتبار كونها مهروباً منها، والمهروب منه خلف الهارب، فاستعار لفظه لها و وصفها بصفة السائق وهو الهداء. و اشار بالتخفيف الى الزهد الحقيقي الذي به يتخفف المسافر الى الله من أثقال الدنيا، و أوزارها المانعة من الصعود الى حضرته المقدسة، و بذلك يلحق المسافر بمنازل السابقين الأولين. والكلمتان في قوة شرط و جزاء. و قوله: فانّما ينتظر بأولكم آخركم، اي: أنّما ينتظر بالقيامة الكبرى على أولكم، و من سبق منكم و وصول كل الى ما يستحقّه من كمال رحمة او عذاب لحوق الآخرين الذين لم يموتوا. و وصف الانتظار مستعار لكمال مطلوب الله سبحانه من الخلق باسمهم، وهو وصولهم الى ساحل عزته اذ كان نظر عنايته اليهم واحداً، واستعار السيد لفظ التظفة، وهو الماء القليل الصافي لما فيها من الحكمة. و بالله التوفيق.

٢١ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ذَمَّرَ حِزْبَهُ، وَاسْتَجَلَبَ جَلْبَهُ. لِيَعُودَ الْجَوْزُ إِلَى أَوْطَانِهِ، وَيَرْجِعَ الْبَاطِلُ إِلَى نِصَابِهِ. وَاللَّهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَرًا، وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَصِيفًا. وَإِنَّهُمْ لَيَتَلَبُّونَ حَقًّا هُمْ تَرَكُوهُ، وَدَمًا هُمْ سَفَكُوهُ؛ فَلَيْنُ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ لَنَصِيبَهُمْ مِنْهُ، وَلَيْنُ كَانُوا وَلَوْهُ دُونِي فَمَا التَّبَعَةُ إِلَّا عِنْدَهُمْ، وَإِنَّ أَعْظَمَ حُجَّتِهِمْ لَعَلَى أَنْفُسِهِمْ! يَرْتَضِعُونَ أَمَا قَدْ فَظَمْتَ وَيُحْيُونَ بِدَعَاةٍ قَدْ أُمِيتَتْ!! يَا خَيْبَةَ الدَّاعِي! مَنْ دَعَا؟ وَالْإِمَامَ أَجِيبْ؟ وَإِنِّي

لَرَأِضٍ بِحُجَّةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَعِلْمِهِ فِيهِمْ؛ فَإِنْ أَبَوْا أَغْظَيْتُهُمْ حَدَّ السَّيْفِ وَكَفَى بِهِ شَافِيًا
مِنَ الْبَاطِلِ، وَنَاصِرًا لِلْحَقِّ، وَمِنَ الْعَجَبِ بَعْثُهُمْ إِلَى أَنْ أُبْرَزَ لِلظَّعَانِ! وَأَنْ أَضْبِرَ لِلْجِلَادِ:
هَبِلَتْهُمْ الْهَبُولُ لَقَدْ كُنْتُ وَمَا أُهْدَدُ بِالْحَرْبِ، وَلَا أَرْهَبُ بِالضَّرْبِ، وَإِنِّي لَعَلَى يَقِينٍ مِنْ
رَبِّي، وَغَيْرِ شُبْهَةٍ مِنْ دِينِي.

أقول: ذمراً بالتخفيف والتشديد: حثُّ. والجلب: الجماعة من الناس تجمع وتؤلف،
والنصاب: الأصل، والمنكر الذي إدعوه عليه قتل عثمان. والسكوت عن النكير على قاتليه.
ولما كان عليه السلام بريئاً من دمه صدق أنهم ما أنكروا عليه منكراً فعله، وتركهم لذلك
الحق، وسفكهم لذلك الدم هو مشاركتهم فيه، فإن المشهور أن طلحة كان من المحرضين
على قتله والساعين في ذلك.

قوله: فلئن كنت، الى قوله قبلهم: اقامة للحجة على دفع مقالتهم، وتقديرها أنهم
دخلوا في قتل عثمان، وكل من دخل فيه بالاستقلال او الشركة فليس له ان يطلب غيره
بدمه^١ او يطلب شريكه دون نفسه. واستعار لفظ الإرتضاع: لطلبهم منه عليه^٢ السلام ما
كانوا يعهدونه من الصلوات من عثمان، ولفظ الأم: للخلافة، فبيت المال لبنها، والمسلمون
أولادها المرتضعون، ووصف الفطم: لمنعه عليه^٣ السلام لهم من ذلك، والبدعة التي
يحيونها هو التفضيل اذ كان بخلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وآله. وامايتها: تركها.
قوله: يا خيبة الداعي، الى قوله: اجيب: خرج مخرج التعجب من عظم خيبة الدعاة الى
قتاله ومن دعا. والى ما اجيب: استفهام على سبيل الإستحقاق للمدعويين لقتاله الناصرين
للداعي، اذ كانوا عوام الناس، وللمدعوييه وهو الباطل الذي دعوا لنصرته، ويحتمل ان
يكون لتعظيم المدعوي الى قتالهم يعنى نفسه عليه^٤ السلام. والمدعوييه وهو الحرب، و
حجة الله امره الصادر بقتال الفئة الباغية كقوله تعالى: (فإن بعت إحداهما)^٥ الآية، وكل

١ - عبارة - دخل فيه بالاستقلال او الشركة فليس له ان يطلب غيره - غير موجودة في نسخة ش.

٢ - في ش بزيادة: الصلاة.

٣ - نسخة ش بزيادة: الصلاة.

٤ - بزيادة: الصلاة. في ش.

٥ - سورة الحجرات / ٩.

أمر الله او نهى له فهو حجة له، و كل حجة للحق فهي حجة الله^١.
 والهبول: الثواكل، وهو مما تدعوا به العرب. قوله: لقد كنت وما اهدد بالحرب
 اى: من حيث كنت لا اخشى من وعيد الحرب واليقين من الله بما وعد المتقين، وذلك
 موكد لعدم خشيته من الحرب والقتال. وبالله التوفيق.

٢٢ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ كَقَطْرَاتِ الْمَطَرِ: إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا
 قَسَمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نَقْصَانٍ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ لِأَخِيهِ غَفِيرَةً فِي أَهْلِ أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ،
 فَلَا تَكُونَنَّ لَهُ فِئْتَةً: فَإِنَّ الْمَرْءَ الْمُسْلِمَ مَا لَمْ يَغْشَ دَنَاءَةً تَظْهَرُ فَيَخْشَعُ لَهَا إِذَا ذُكِرَتْ، وَ
 تُغْرَى بِهَا لِيَأْمُ النَّاسِ؛ كَانَ كَالْفَالِجِ الْيَاسِرِ الَّذِي يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ تُوجِبُ لَهُ
 الْمَغْنَمَ، وَيُرْفَعُ بِهَا عَنَّهُ الْمَغْرَمُ، وَكَذَلِكَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ الْبَرِيُّ مِنَ الْخِيَانَةِ يَنْتَظِرُ مِنَ اللَّهِ
 إِحْدَى الْحُسْنَيْنِ إِمَّا دَاعِيَ اللَّهِ فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ، وَإِمَّا رِزْقَ اللَّهِ فَإِذَا هُوَ ذُو أَهْلٍ وَمَالٍ، وَ
 مَعَهُ دِينُهُ وَحَسْبُهُ، إِنَّ الْمَالَ وَالْبَيْتَ حَرْثُ الدُّنْيَا، وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ حَرْثُ الْآخِرَةِ، وَقَدْ
 يَجْمَعُهُمَا اللَّهُ لِأَقْوَامٍ، فَأَحْذَرُوا مِنَ اللَّهِ مَا حَذَرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ، وَأَخْشَوْهُ خَشِيَةً لَيْسَتْ بِتَغْذِيرٍ،
 وَاعْمَلُوا فِي غَيْرِ رِيَاءٍ وَلَا سُمْعَةٍ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَعْمَلْ لِغَيْرِ اللَّهِ يَكِلْهُ اللَّهُ لِمَنْ عَمِلَ لَهُ نَسَأُ اللَّهُ
 مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَمُعَايِشَةَ السُّعْدَاءِ، وَمُرَافِقَةَ الْأَنْبِيَاءِ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَسْتَغْنَى الرَّجُلُ، وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ، عَنْ عَشِيرَتِهِ، وَدِفَاعِهِمْ عَنْهُ
 بِأَيْدِيهِمْ وَأَسْتَيْتِهِمْ، وَهُمْ أَغْظَمُ النَّاسِ حِيْظَةً مِنْ وَرَائِهِ، وَالْمُهْمُ لِشَعْبِهِ، وَأَعْظَمُهُمْ عَلَيْهِ عِنْدَ
 نَازِلَةٍ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ. وَلِسَانُ الصَّدَقِ يَجْعَلُهُ اللَّهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَالِ يُورَثُهُ غَيْرُهُ.

اقول :

مدار الفصل على تأديب الفقراء بترك الحسد (ونحوه). وفيه تأديب للاغنياء

١ - في ش هكذا جاء بعد الآية: وكل امر له او نهى له وكل حجة للخلق فهي حجة الله.

بالشفقة على الفقراء)^١ و مواساتهم و تزهد بجمع المال. و قدّم مقدّمة حاصلها الاشارة الى أنّ كلّما يتجدّد من زيادة او نقصان فيما يكون به صلاح الخلق في معاشهم و معادهم من مال، او جاه، او اهل، فإنّه عن قسمة ربّانية و الامر الذي هو بحكم القدرة الالهية على الممكنات بالوجود المعبر عنه بقوله تعالى: (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)^٢ و نزوله: حصوله لكلّ نفس بما قسم لها و هو القدر في قوله تعالى: (وَمَا نُزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ)^٣ و المراد بالسّماء: سماء الجود الإلهي، و بالارض: ارض قوابل الجود في هذا العالم، و يحتمل ان يراد ظاهرهما لأنّ السّماوات بحركاتها شرائط معدّة لما يحدث في الارض فكانت مبادئ على بعض الوجود لنزول الأمر، فجاز نسبه اليها. و وجه التشبيه بقطر المطر: أنّ حصوله لكلّ نفس مما يختلف بالاصابة و عدمها، و بالزيادة و النقصان كالقطر بالنسبة الى البقاع و هو تشبيه للمعتول بالمحسوس.

قوله: فاذا رأى أحدكم، الى قوله: فتنة. و الغفيرة: الدناءة و فيه تأديب لمن حصل في حقّه النقصان من أحد الامور المذكورة بالنتهي عن الفتنة بحال من حصلت له الزيادة في احدهما. و الفتنة: الإبتلاء اي: فلا يبتلى نفسه بغبطته و حسده.

قوله: فإنّ المرء الى قوله: حسيه: تنبيه على فضيلة الإنتهاء عن الفتنة باحد الامور المذكورة فنبه على كونها دنايا. بقوله: ما لم يغش دناءة وما: بمعنى المدة، و كالفالج: خبر إنّ و تظهر صفة لدناءة، و يخشع: عطف على تظهر. و الكلام في معرض التعليل، و معناه: أنّ المسلم مهمالم يرتكب امراً حسيماً يظهر عنه و يلزمه بارتكابه الخجل من ذكره، و الحياء من التعبير به، و يغرى به لئام الناس و عوامهم في فعل مثله، و قيل: في هتك ستره به يشبه الفالج الياسر اي: الفائز اللاعب بالميسر، و هو: لعب مخصوص كانت العرب تلعب به، و قد شرحنا كيفيته في الاصل^٤. و وجه الشبه أنّ الفائز الياسر قبل فوزه في لعبه، ينتظر اول فوزه به من قدّاحه، و هي الخشبات التي يلعب بها، و وجه فوزه انه

١ - العبارة الموجودة بين القوسين غير موجودة في نسخة ش.

٢ - سورة النحل / ٤٠.

٣ - سورة الحجر / ٢١.

٤ - ج ٢ / ٧.

يستوجب المغنم في بعض السهام، وينفى عنه بخروجها المغرم، وبعضها يوجب غنما و
 غرماً، وبعضها لا يوجب غنماً ويوجب غرماً، كذلك المسلم البريء من الخيانة الضابط
 لنفسه عن ارتكاب مناهي الله في صبره عنها ينتظر احدي الحسنين في الدنيا، اما أن
 يدعو الله اليه بالقبض عن الشقاء في هذه الدار فما عند الله خير له فيفوز اذن بالتعيم
 المقيم.

ولما كان مستلزماً لعدم خسرانه ظهر حسن تشبيهه بالياسر الفالج في فوزه المستلزم
 لعدم غرمة. واما ان يفتح الله عليه أبواب رزقه فيصبح وقد جمع الله بين المال و البنين مع
 حفظ الحسب والدين فيفوز الفوز العظيم.

قوله: إن المال، الى قوله: لأقوام: تنبيه على تحقير المغشيات الدنيوية بالتسبة الى
 متاع الآخرة. قوله: وقد يجمع الله لأقوام: تنبيه على وجوب التوكل على الله اذ كان
 جمعها غير ممكن إلا منه، ثم أكد ذلك بالتحذير مما حذر الله من نفسه والأمر بالخشية
 الصادقة البريئة من التعذير وهو اظهار العذر من غير عذر، والعمل لله البريء من الرياء، و
 جذب اليه بضمير صفراء. قوله: فإنه، الى قوله: له، وتقدير كبراه و كل من وكله الى من
 عمل له غير الله فهو من الخاسرين، ومعاشية السعداء: العيش معهم. قوله: آتيا الناس الى
 قوله: غيره: تأديب للاغنياء بالمعونة للفقراء لينتظم شمل المصلحة من الطرفين، و
 استدرجهم بضميرين صغرى الأول أنهم لا يستغنون عنهم، وان كانوا اصحاب ثروة اذ
 صاحب المال احوج الى الاعوان للذّب عنه، وتقدير الكبرى أن وكل من لا يستغنى عنه،
 فواجب مواساتهم. والحيلة بكسر الحاء وسكون الياء: الحفظ. وألهم لشعته: أجمعهم
 لما يعرف من حاله، وصغرى الثانية قوله: ولسان الصدق الى آخره، وتقدير كبراه و كل
 ما كان خيراً من المال فالأولى بذل المال لا اكتسابه، ولسان الصدق هو الذكر الجميل.

وَمِنْهَا:

أَلَا يَتَعَدَّلْنَ أَحَدُكُمْ عَنِ الْقَرَابَةِ يَرَى بِهَا الْخَصَاصَةَ أَنْ يَسُدَّهَا بِالَّذِي لَا يَزِيدُهُ إِنْ
 أَمْسَكَهُ، وَلَا يَنْقُصُهُ إِنْ أَهْلَكَهُ، وَمَنْ يَنْقَبِضْ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ فَإِنَّمَا تَقْبِضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ
 وَاحِدَةٌ، وَتَقْبِضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَيْدٍ كَثِيرَةٌ؛ وَمَنْ تَلَنْ حَاشِيَتَهُ يَسْتَدِيمُ مِنْ قَوْمِهِ الْمَوَدَّةَ.

قال الشريف: أقول: الغفيرة ههنا الزيادة والكثرة، من قولهم للجمع الكثير: الجَم الغفير، والجَماء الغفير. ويروى «عفوة من أهل أو مال» والعفوَةُ الخيار من الشيء، يقال: أكلت عفوَةَ الطعام، أى: خياره، وما أحسن المعنى الذى أرياده عليه السلام بقوله: «و من يقبض يده عن عشيرته إلى تمام الكلام، فَإِنَّ الْمُمْسِكُ خَيْرُهُ عَنِ عَشِيرَتِهِ إِنَّمَا يُمْسِكُ نَفْعَ يَدٍ وَاحِدَةٍ. فَإِذَا أَحْتَجَّ إِلَى نُصْرَتِهِمْ وَأَضْطَرَّ إِلَى مُرَافَدَتِهِمْ قَعَدُوا عَنِ نُصْرِهِ، وَتَشَاقَلُوا عَنِ صَوْتِهِ فَمُنِعَ تَرَافُدِ الْأَيْدِي الْكَثِيرَةِ، وَتَنَاهَضَ الْأَقْدَامَ الْجَمَّةَ.

أقول: الخصاصة: الفقر. والفصل من تمام ما قبله وحاصله: النّهى عن العدول عن سد خلة الأقرباء ذوى الحاجة بالفاضل من المال. وقوله: يرى، فى موضع النصب على الحال وان كسرهما فى موضع الجر بدلا من القرابة. وقوله: لا يزيد الى قوله: اهلكه، أى: لا يزيد امساكه فى صلاح حاله ولا ينقص اتلافه من ذلك إذ الفضل الزائد فى حال الانسان على القدر الذى يدفع ضرورته بحسب الشريعة ليس زيادته ولا نقصانه فى صلاح حاله وفساده فيها. واما قوله: ومن يقبض الى آخره، فقد اشار السيد رحمه الله وهو ظاهر. وقوله: ومن تلن حاشيته الى آخره: تأديب بالتواضع ولين الجانب فان ذلك يستلزم الألفة من الناس وهى موجبة للمودة.

٢٣ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَلَعَمْرِي مَا عَلَيَّ مِنْ قِتَالٍ مَنِ خَالَفَ الْحَقَّ، وَخَابَطَ الْعَيَّ، مِنْ إِذْهَانٍ وَلَا إِيهَانٍ، فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ مِنْ اللَّهِ، وَأَمْضُوا فِي الَّذِي نَهَجَهُ لَكُمْ، وَقُومُوا بِمَا عَصَبَهُ بِكُمْ. فَعَلَيْ ضَامِنٍ لِقَلْبِكُمْ آجِلًا، إِنْ لَمْ تُمْنَحُوهُ عَاجِلًا.

أقول: الإذهان: المداهنة والمصانعة، والإيهان: مصدر اوهنه أى: اضعفه. وفى

١ - فى ش بزياة: معتبرا.

هذا الفصل ردّ لقول من يقول أنّ مصانعة عليه السلام لمحاربيه أولى من محاربتهم، فقال: أنّه ليس يجب عليّ في قتالهم مصانعة من جهة الدين ولا في ضعف عن ذلك، و وصفهم بمخابطة الغيّ والبغى لقيام عذر، إذ كان قتال من هذه صفته واجباً. والفرار الى الله: الأقبال عليه وتوجيه السير اليه وهو على مراتب: أولها، الفرار من بعض آثاره الى بعض كالفرار من أثر غضبه إلى أثر رحمته.

الثانية، أن يفرّ العبد عن مشاهدة الأفعال ويترقّى في درجات القرب والمعرفة إلى مصادر الأفعال، وهي الصفات فيفرّ من بعضها الى بعض كما يستفاد من سخط الله بعفوه والسخط والعفو صفتان.

الثالثة، أن يترقّى عن مقام الصفات الى ملاحظة الذات فيفرّ منها إليها، وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وآله هذه المراتب حين أمر بالقرب في قوله تعالى: (وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ)^٢ فقال في سجوده: أعوذ بعفوك من عقابك. والعفو كما يكون صفة للعافي كذلك قد يراد به الأثر الحاصل عن صفة العفو. ثمّ لما قرب فغنى عن مشاهدة الأفعال وترقى الى مصادرهما وهي الصفات، قال: واعوذ برضاك من سخطك، وهما صفتان. ثمّ لما ترقى عن مقام مشاهدة الصفات واقترب الى ملاحظة الذات، قال: واعوذ بك منك. وهذا فرار منه اليه، وهو مقام الوصول الى ساحل العزة. ثمّ للسباحة في لجة الوصول درجات أخر لا تتناهى.

ولذلك لما قرب ازداد صلى الله عليه وآله قرباً، قال: لا احصى ثناء عليك، وهو حذف لنفسه عن درجة الاعتبار واعراض عن التبجح بزينة الحقّ في ذاته، وكان قوله بعد ذلك: أنت كما أثبتت على نفسك، كمالاً للإخلاص وتجريداً له، وعند ذلك يقول: إنّ قوله عليه السلام: وفرّوا الى الله من الله: امر بالترقى الى المرتبة الثالثة من المراتب المذكورة.

وما نهجه لهم واوضحه: هو السبيل العدل، والضراط المستقيم، وقد علمت أنّ غاية سلوك سبيل الله بالعبادة تطويع النفس الأمانة بالسوء للنفس المطمئنة، وحينئذ تعلم

١ - في ش زيادة: الصلاة.

٢ - سورة العلق / ١٩.

أن هذه الأوامر الثلاثة هي التي عليها مدار الرياضة. فالأمر بالتقوى يستلزم الزهد الحقيقي، وهو معين على حذف الموانع الداخلية والخارجية، والأمر بسلك سبيل الله معين على تطويع النفس الأمانة، والأمر بالفرار إلى الله أمر بتوجه السير إليه، وهذه الأعراض الثلاثة التي يتوجه نحوها الرياضة المستلزمة لكمال الاستعداد للوصول إليه تعالى، ولذلك قال عليه السلام بعدها: فعلي ضامن لفلجكم آجلا إن لم تمنحوه عاجلاً. والفلج: الفوز، والمنحة: العطيّة، وذلك بشرط الاستعداد بلزوم الأوامر المذكورة.

٢٤ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقد تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد وقدم عليه عاملاه على اليمن، وهما عبيد الله بن عباس، وسعيد بن نمران لما غلب عليهما بشر بن أبي أرطاة، فقام عليه السلام على المنبر ضجراً بشاغل أصحابه عن الجهاد ومخالفتهم له في الرأي، فقال:-

مَا هِيَ إِلَّا الْكُوفَةُ أَقْبَضُهَا وَأَنْسَطُهَا، إِنْ لَمْ تَكُونِي إِلَّا أَنْتِ تَهْبُ أَغَاصِيرُكَ .
فَقَبَّحَ اللَّهُ .

وتمثل بقول الشاعر:

لَعَمْرُ أَبِيكَ الْخَيْرِ يَا عَمْرُو إِنِّي
عَلَى وَضْرٍ مِنْ ذَا الْإِنَاءِ قَلِيلِ
ثم قال عليه السلام:

أَنْبِتُ بُشْرًا قَدْ أَطْلَعَ الْيَمَنَ، وَإِنِّي وَ اللَّهِ لِأُظُنُّ أَنَّ هَوْلَاءِ الْقَوْمِ سَيَدَاؤُنَ مِنْكُمْ:
بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَيَّ بَاطِلِهِمْ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَن حَقِّكُمْ، وَبِمَعْصِيَتِكُمْ إِمَامَكُمْ فِي الْحَقِّ، وَطَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ فِي الْبَاطِلِ، وَبِأَدَائِهِمْ الْأَمَانَةَ إِلَى صَاحِبِهِمْ وَخِيَانَتِكُمْ وَبِصَلَاحِهِمْ فِي بِلَادِهِمْ وَفَسَادِكُمْ. فَلَوْ أَنْتَمْتُمْ أَحَدَكُمْ عَلَيَّ فَعَبٍ لَخَشِيتُ أَنْ يَذْهَبَ بِعِلَاقَتِيهِ! اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلَلْتُهُمْ وَمَلُونِي وَسَيَّمْتُهُمْ وَسَيَّمُونِي، فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَأَبْدِلْهُمْ بِي شَرًّا مِنِّي، اللَّهُمَّ مَثْ قُلُوبَهُمْ كَمَا يُمَاتُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، أَمَا وَ اللَّهِ لَوِدِدْتُ أَنْ لِي بِكُمْ أَلْفَ فَارِسٍ مِنْ بَنِي فِرَاسِ بْنِ غَنَمٍ.

هَذَا لِكَ، لَوَدَّعَوْتُ، أَتَاكَ مِنْهُمْ

فَوَارِسُ مِثْلُ أَرْمِيَةِ الْحَمِيمِ

ثم نزل عليه السلام من المنبر.

قال السيد: قلت أنا: والأرمية جمع رمى وهو السحاب، والحميم ههنا: وقت الصيف، وإنما خص الشاعر سحاب الصيف بالذكر لأنه أشد جفولا وأسرع خفولا لأنه لا ماء فيه. وإنما يكون السحاب ثقيل السير لا متلائه بالماء، وذلك لا يكون في الأكثر إلا في زمان الشتاء، وإنما أراد الشاعر وصفهم بالسرعة إذا دعوا، والإغاثة إذا استغيثوا، والدليل على ذلك قوله هنا لك لو دعوت أتاك منهم.

أقول: الضمير في قوله، وإنما هي الكوفة وإن لم يسبق ذكرها لكونها المعهودة في الخطاب، ونحوه قوله تعالى: (كَلَّا إِنَّهَا لَأُظْفَىٰ نَزَاةً لِلشَّوَىٰ) ^١ ويحتمل أن يكون ضمير الشأن، ويفهم من الكلام حصر ما بقي من البلاد التي تعتمد عليها في الحرب وغيره في الكوفة على سبيل التحقير لها بالنسبة إلى ملك الإسلام، وقبضها وبسطها: كناية عن وجه التصرف فيها. والضمير بعد الأ بدل مما قبلها، والجملة الفعلية بعده في موضع الحال وخبر كان محذوف. ولفظ الأعاصير: يحتمل أن يكون حقيقة لأن الكوفة معروفة بهبوب الأعاصير فأتى بذلك في معرض ذمها وتحقيرها. ويحتمل أن يكون مستعارًا لما يحدث من آراء أهلها المختلفة التي هي منبع الفتنة، ووجه المشابهة الازعاج والأذى والاستصغار آياها تمثل بالبيت - لعمرابيك الخير-.

ووجه التمثيل أن الكوفة تشارك الوضر وهو: الذرن الباقي في الاناء (بعد الأكل في القلة والحقارة فهو يقول: إني على بقية من هذا الأمر كالوضر في الاناء) ^٢. ومن روى الآلاء وهو: شجر حسن المنظر مرّ الطعم، وإنما أراد أنني على بقية من هذا الأمر كالقدر الحاصل لناظر الآلاء من حسنه مع عدم الانتفاع به. وخص الكوفة دون البصرة لأن جمهور من كان يعتمد عليه من العسكر أهلها.

أقول: انبأت شروع في بيان عرضه وهو: استنفارهم إلى الجهاد ^٣. وبسر بالسين

١ - سورة المعارج / ١٦.

٢ - في ش: إلى جهاد عدوهم.

٣ - الجملة بين القوسين غير موجودة في ش.

المهملة: ابن ابي ارطاة من أصحاب معاوية. واطلع اليمن: غشها. والادالة: الغلبة، و ذكر من أسباب ما ظن وقوعه منهم اربعة من قبلهم هي أسباب الانقهار. و اربعة من قبل الخصم هي أسباب القهر، ورتب كل أمر عقيب ضده ليظهر لهم المناسبة بين أفعالهم و أفعال خصومهم. والقعب: قدح ضخم، و دعائه عليه السلام بوجود الأشرار جائز بشرط المصلحة في تخويفهم بذلك أو لأنه علم عدم صلاحهم كما دعا نوح عليه السلام على قومه: (إِذْ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي -إلى قوله- لَا تَدْرِعَلِي الْأَرْضِ مِنَ الْكٰفِرِينَ دَيَّارًا) ٢ و كما دعا لوط عليه السلام. والميث: الإذابة.

و روى ان اليوم الذي دعا عليهم فيه، ولد فيه الحجاج، و فعله باهل الكوفة ظاهر. و قوله: أما والله الى آخره: تحقير لهم بتفضيل غيرهم عليهم ليستثير طباعهم بذلك. و بنو فراس: من تغلب ابوهم غنم بفتح الغين، و هو: غنم بن تغلب بن وائل، و خصهم لشهرتهم بالشجاعة والحمية. و معنى البيت هو ما اشار إليه السيد رحمه الله ٣.

٢٥ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ، وَأَمِينًا عَلَى التَّنْزِيلِ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّدَيْنِ، وَفِي شَرِّدَارٍ مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ، وَحَيَاتٍ صُمِّ تَشْرُبُونَ الْكِدْرَ، وَتَأْكُلُونَ الْجَسْبَ، وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ، وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ، الْأَضْنَامُ فِينَكُمْ مَنُصُوبَةٌ، وَالْآثَامُ بِكُمْ مَقْصُوبَةٌ.

أقول: اقتصر حال العرب وما كانوا عليه في الجاهلية من الشدة و سوء الحال في المعاش والمعاد في معرض الإمتنان عليهم بمقدم محمد صلى الله عليه وآله. و شر دار: ارض الحجاز لشدة الحال بها. و منيخون: مقيمون. و الحية الصماء، قيل: هي التي

١ - في ش: بوجود.

٢ - سورة نوح / ٢٦.

٣ - في نسخة ش: رحمة الله عليه.

لا تنزجر بالصوت كأنها لا تسمع. وقيل: هي الصلبة الشديدة. والجشب: الطعام الغليظ الخشن. وقيل: هو الذى لا ادم معه، ومعصوبة: مربوطة.

ومنها.

فَنظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ،
وَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَدَى، وَشَرِبْتُ عَلَى الشَّجَى، وَصَبَرْتُ عَلَى أَخْذِ الْكَظْمِ، وَعَلَى أَمْرٍ مِنْ
ظَمِ الْعَلْقَمِ.

اقول: الفصل من حمل اقتصاص حاله بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فى طلب
الخلافة فى معرض الشكاية، وأهل بيته بنو هاشم. وضننت: بخلت. والاغضاء: ادناء
بعض الجفون من بعض. وكتى بأخذ الكظم وهو مجرى نفسه. وبالأمر من العلقم:
عن الغم والتأثر بسبب غلبه على مطلوبه.



منها يذكر فيها عمرو بن العاص:

وَلَمْ يُبَايِعْ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَى الْبَيْعَةِ ثَمَنًا، فَلَا ظَفِيرَتُ يَدِ الْبَائِعِ، وَخَزِيَتُ أَمَانَةٍ
الْمُبْتَاعِ، فَخَذُوا لِلْحَرْبِ أَهْبَتَهَا، وَأَعِدُّوا لَهَا عُدَّتَهَا، فَقَدْ شَبَّ لَظَاهَا، وَعَلَا سَنَاهَا،
وَأَسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ فَإِنَّهُ أَدْعَى إِلَى النَّصْرِ.

اقول: الثمن الذى اشترطه عمرو على معاوية بيعته آياه ومشايعته على حرب عليّ
عليه السلام طعمة مصر، ولم يبايعه حتى كتب له كتابا. والمبتاع: معاوية والبائع لدينه
هو: عمرو. وخزيت امانة المبتاع، يعنى: معاوية فيما ولى من امر المسلمين اذ كانت
امانة فى يده. وخزيتها: ذلها وهوانها، ومبايعة عمرو كانت امانة لقيام الحرب فلذلك
كتى عنها بقوله: فقد شبَّ لظاها، وعلا سناها، اى: ضوؤها كناية باستعارة لفظ النار. و
استشعروا الصبر: اتخذوه شعارًا.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَتَحَهُ اللَّهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ: وَهُوَ لِبَاسُ
التَّقْوَى، وَدِرْعُ اللَّهِ الْحَصِينَةُ، وَجُنَّتُهُ الْوَيْقَةُ، فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ الدَّلِّ، وَ
شَمَلَةَ الْبَلَاءِ، وَدَيَّتْ بِالصَّغَارِ وَالْقَمَاءِ، وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْأَسْدَادِ، وَادْبِيلَ الْحَقُّ مِنْهُ
بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ، وَسِيَمَ الْخُسْفِ، وَمُنِعَ النَّصْفَ، أَلَا وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ
الْقَوْمِ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَسِرًّا وَإِعْلَانًا، وَقُلْتُ لَكُمْ: انْغَرَوْهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْرَوْكُمْ فَوَاللَّهِ مَا غَزَى قَوْمٌ
فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا فَتَوًّا كَلْتُمْ، وَتَخَاذَلْتُمْ حَتَّى شَتَّتِ الْغَارَاتُ عَلَيْكُمْ، وَمَلَكَتْ عَلَيْكُمْ
الْأَوْطَانَ، وَهَذَا أَخُو غَامِدٍ وَقَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الْأَنْبَارَ، وَقَدْ قَتَلَ حَسَّانَ بْنَ حَسَّانَ الْبَكْرِيَّ، وَ
أَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا، وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ،
وَالْآخَرَى الْمُعَاهِدَةَ، فَيَتَنَزَّعُ حِجْلَهَا وَقَلْبَهَا وَقَلَائِدَهَا وَرِعَائِهَا، مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالِاسْتِرْجَاعِ
وَالِاسْتِرْحَامِ، ثُمَّ أَنْصَرَفُوا وَافْرِينَ مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلِمٌ، وَلَا أُرِيقَ لَهُمْ دَمٌ، فَلَوْ أَنَّ أَمْرًا
مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسْفًا مَا كَانَ بِهِ مَلُومًا، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيرًا؛ فَيَاعَجَبًا - وَاللَّهِ -
يُمِيتُ الْقَلْبَ وَيَجْلِبُ إِلَيْهِمْ أَجْتِمَاعُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَتَفَرُّقُكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ فَكَبَحًا
لَكُمْ وَتَرَحًا، حِينَ صِرْتُمْ غَرَضًا يُرْمَى؛ يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغَيَّرُونَ، وَتُغْرُونَ وَلَا تَغْرُونَ، وَ
يُعْصَى اللَّهُ وَتَرْضَوْنَ؛ فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الصَّيْفِ قُلْتُمْ هَذِهِ حَمَارَةُ الْقَيْظِ،
أَمَهَلْنَا يُسَبِّحُ عَنَّا الْحَرُّ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ قُلْتُمْ: هَذِهِ صَبَارَةُ الْقُرْأَمَهْلِنَا
يَنْسَلِخُ عَنَّا الْبَرْدُ، كُلُّ هَذَا فِرَارًا مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرْأَمَهْلِنَا إِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرْتَفِرُونَ فَأَنْتُمْ وَاللَّهِ
مِنَ السَّيْفِ أَفْرُ، يَا أَشْبَاهَ الرَّجَالِ وَلَا رِجَالَ! جُلُومُ الْأَطْفَالِ، وَعُقُوقُ رَبَّاتِ الْجِبَالِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي
لَمْ أَرْكُمُ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ! مَعْرِفَةُ اللَّهِ جَرَّتْ نَدْمًا، وَأَعْقَبَتْ سَدْمًا قَاتِلَكُمْ اللَّهُ!! لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيْحًا،
وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظًا، وَجَرَعْتُمُونِي نُعْبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاسًا وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعِضْيَانِ
وَالْخِذْلَانِ، حَتَّى قَالَتْ قُرَيْشٌ: إِنَّ ابْنَ أَبِي ظَالِبٍ رَجُلٌ شَجَاعٌ، وَلَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ.
لِيهِ أَبُوهُمْ!! وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاسًا، وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَامًا مِنِّي؟! لَقَدْ نَهَضْتُ
فِيهَا، وَمَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ، وَهَا أَنَا ذَا قَدْ ذَرَفْتُ عَلَى السَّيْنِ، وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ!!

اقول: الخطبة مشهورة ذكرها المبرد وغيره، و اشار الى فضائل الجهاد ترغيبا فيه، واستعار لفظ الباب: للدخول به الجنة، و لفظ اللباس والدرع والجنة وهى: الترس لأن الإنسان يتقى به العدو، و عذاب الآخرة. و ديت اي: ذل. والصغار: الذل والضيم. والقماء: ممدود الحقارة والذل ايضا. و اسدل الرجل بالبناء: للمفعول اذا ذهب عقله، و غفل عن مصالحه، وهو كقوله تعالى: (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ) ^١ و ادبل الحق من فلان: غلبه عليه عدوه، و سامه خسفا أي: اولاه ذلًا. والنصف بكسر النون: الاسم من الانصاف و لزوم الامور المذكورة عن ترك الجهاد ظاهر.

وقوله: آلا و آنى، الى آخره: ذكر لغرضه وهو الحث على الجهاد، والتوبيخ على تركه. و عقر الشىء: اصله، و اخوغامد هو: سفيان بن عوف الغامدى، و غامد قبيلة من اليمن من ازد، شنوه، و شن الغارة و اشنتها: فرقها من كل جانب. و المسالح جمع مسلحة وهى: الحدود والاطراف من البلاد، يرتب فيها اصحاب السلاح كالثغور، و المعاهدة الذمية. والحجل: الخلخال. والقلب: السوار. والرعات جمع رعة بفتح الراء والعين و سكونها وهى: القرط. والرعات: ايضا ضرب من الخرز والحلى. و الاسترجاع: ترديد الصوت فى البكاء. و الاسترحام: مناشدة الرحم، و افرين: غانمين. والكلم: الجرح. و جدير: اولى. و عجبا: نصب على المصدر و المنادى محذوف اي: يا قوم و نحوه، و كرر المصدر ليحسن وصفه. و الترح: الحزن. و حمارة القيظ بتشديد الراء: شدة حره. و سبخ الحر: فتر. و صبارة القرب بتشديد الراء: شدة البرد، و كنى بالقريح: شدة التألم اذ هو غاية ألم العضو. و الحجال جمع حجلة وهى: بيت العروس يزىن بالستور والثياب، و وجه شبه حلومهم بحلوم الأطفال: سرعتها عن أدنى سبب لا يصلح ان يقنع به العاقل كحلومهم عن اهل الشام بخدعة رفع المصاحف. و وجه شبه عقولهم بعقول ربات الحجال، اي: النساء ضعفها عن ادراك وجوه المصالح. و السدم: الحزن عن التدم. و شحنتم: ملأتم. و التغب جمع نغبة بضم النون وهى: الجرعة. و التهمام بفتح التاء: التهم. و لله أبوهم: كلمة من ممدوح العرب. و المراس: العلاج. و ذرقت بتشديد الراء: زدت. و قوله: لا رأى لمن لا يطاع، مثل، قيل: اول من سمع منه هو عليه السلام.

أَمَا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أُذْبِرَتْ، وَآذَنْتَ بَوْدَاعٍ، وَإِنَّ الآخِرَةَ قَدْ أُشْرِفَتْ بِاطْلَاعِ؟ أَلَا وَ
 إِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ، وَغَدَا السَّبَاقَ، وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ وَالْغَايَةُ النَّارُ: أَفَلَا تَأْتُبُ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ
 مَنِيئَتِهِ؟ أَلَا عَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُوسِهِ؟ أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامِ أَمَلٍ مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ، فَمَنْ عَمِلَ
 فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ نَفَعَهُ عَمَلُهُ، وَلَمْ يَضُرَّهُ أَجَلُهُ، وَمَنْ قَصَرَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ
 حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ خَسِرَ عَمَلُهُ وَضُرَّهُ أَجَلُهُ، أَلَا فَأَعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ كَمَا تَعْمَلُونَ فِي الرَّهْبَةِ؟ أَلَا
 وَإِنِّي لَمْ أَزْكَالْجَنَّةِ نَامَ ظَالِبُهَا، وَلَا كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا أَلَا وَإِنَّهُ مَنْ لَا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ
 الْبَاطِلُ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَقِمْ بِه الْهُدَى يَجْرِبِ الضَّلَالُ إِلَى الرَّدَى، أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ أَمِرْتُمْ
 بِالظُّغْنِ، وَذُلِّتُمْ عَلَى الزَّادِ، وَإِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اتِّبَاعَ الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ،
 تَزَوَّدُوا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَحْرِيزُونَ أَنْفُسَكُمْ بِهِ غَدًا.

قال السيد رضي الله عنه، وأقول إنه لو كان كلام يأخذ بالأعناق إلى الزهد في الدنيا
 ويضطر إلى عمل الآخرة لكان هذا الكلام، وكفى به قاطعا لعلائق الآمال، وقادحا زناد
 الاتعاظ والازدجار، ومن أعجبه قوله عليه السلام «أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ وَغَدَا السَّبَاقَ وَ
 السَّبَقَةُ الْجَنَّةُ وَالْغَايَةُ النَّارُ» فإن فيه - مع فخامة اللفظ، وعظم قدر المعنى، وصادق
 التمثيل، وواقع التشبيه - سراً عجيباً. ومعنى لطيفاً، وهو قوله عليه السلام: «والسبقة
 الجنة، والغاية النار» فخالف بين اللفظين لاختلاف المعنيين، ولم يقل «السبقة النار»
 كما قال «السبقة الجنة»؛ لأن الاستباق إنما يكون إلى أمر محبوب، وغرض مطلوب،
 وهذه صفة الجنة وليس هذا المعنى موجوداً في النار نعوذ بالله منها، فلم يجز أن يقول
 «والسبقة النار» بل قال «والغاية النار»؛ لأن الغاية ينتهي إليها من لا يسره الانتهاء ومن
 يسره ذلك، فصلح أن يعربها عن الأمرين معاً، فهي في هذا الموضع كالمصير والمآل،
 قال الله تعالى: (قُلْ تَمَتُّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ) ولا يجوز في هذا الموضع أن يقال:
 سبقتكم - بسكون الباء - إلى النار، فتأمل ذلك فباطنه عجيب وغوره بعيد. وكذلك أكثر
 كلامه عليه السلام، وفي بعض النسخ، وقد جاء في رواية أخرى «والسبقة الجنة»
 - بضم السين - والسبقة عندهم: اسم لما يجعل للسابق إذا سبق من مال أو عرض،

والمعنيان متقاربان لأن ذلك لا يكون جزاء على فعل الأمر المذموم، وإنما يكون جزاء على فعل الأمر المحمود.

اقول: هذا الفصل مشتمل على التنفير عن الدنيا والترغيب في الآخرة، والاستعداد لها بالتوبة والاعمال الصالحة. وآذنت: أعلمت بتغييراتها أنها زائلة، ولفظ الوداع: مستعار لذلك و اشراف الآخرة قربها من كل شخص ونبه على وجوب الاستعداد بذكر ما يستعد لأجله وهو السباق، وذكر ما يستبق اليه في قوله: الا وانّ اليوم الى قوله: النار. والمضمار: المدة التي تضمرفيها الخيل للسباق اي: يعلف ويسمن ثم يردّ الى القوة و هي اربعون يوما، واستعار لفظه: لمدة الحياة باعتبار انّ الإنسان يستعدّ فيها بالتقوى لتكمل قوته العقلية فيكون من السابقين الى لقاء الله كما يستعدّ الفرس بالتضمير لسبق مثله.

والسباق: مصدر كالمسابقة، وهو ايضا جمع سبقة كنطفة ونطاف. والسبقة بضم السين وفتحها: ما يستبق اليه من الخطر. وروى السباق مرفوعا ولا وجه له الا ان يكون مضافا اليه اقيم مقام مضاف هو الخبر اي: وقت السباق، او ان يكون السباق: جمع سبقة، وكتى بغد: عن يوم القيامة، وتمام المعنى هو ما اشار اليه السيد رحمه الله.

و نام في الموضوعين مفعول ثان لارى، والمفعول الاوّل هو المشبه بالجنة او النار. و الضمير في قوله: وانه، ضمير الشأن، واستعار لفظ الظعن: للسفر الى الله تعالى، بالكفر في ملكوت سماواته وارضه، وعوالم خلقه. والزاد الذي دلّوا عليه: هو التقوى بقوله تعالى: (وتزودوا)^١ الآية. ولما كان حاصل التقوى^٢ يعود الى خشية الله ولزوم الاعمال الصالحة ولم تكن ذلك الا في الدنيا بحركات الفكر في العبرة بها وحركات الجوارح بالعبادة فيها قال: في الدنيا من الدنيا، وظاهر انّ التقوى يحرز الانسان نفسه بها من عذاب الله يوم القيامة.

١ - سورة البقرة / ١٩٧.

٢ - الجملة الواقعة بين القوسين لم تكن في نسخة ش.

أَيُّهَا النَّاسُ الْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ، كَلَامُهُمْ يُوهِي الصَّمَّ الصَّلَابَ، وَفِعْلُهُمْ يُظْمِعُ فِيكُمْ الْأَعْدَاءَ! تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ: كَيْتَ وَكَيْتَ، فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ قُلْتُمْ: حَيْدِي حَيَادٍ! مَا عَزَّتْ دَعْوَةٌ مِنْ دَعَاكُمْ وَلَا اسْتَرَّاحَ قَلْبٌ مِنْ قَاسَاكُمْ أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلِ! دِفَاعَ ذِي الدِّينِ الْمَطْطُولِ لَا يَمْتَنِعُ الضَّمِيمُ الدَّلِيلُ. وَلَا يُدْرِكُ الْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ، أَيْ دَارَ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْتَعُونَ وَمَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ؟ الْمَغْرُورُ وَاللَّهُ مِنْ غَرَّرَ تَمُوهُ، وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَقَدْ فَازَ وَاللَّهُ بِالسَّهْمِ الْأَخِيْبِ، وَمَنْ رَمَى بِكُمْ، فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقِ نَاصِلٍ أَصْبَحَتْ وَاللَّهُ لَا أَصْدِيقُ قَوْلِكُمْ، وَلَا أَظْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ، وَلَا أُوْعِدُ الْعَدُوَّ بِكُمْ مَا بِالْكُفْرِ! مَا دَوَاؤُكُمْ! مَا طِبُّكُمْ! الْقَوْمُ رِجَالٌ أَمْثَالِكُمْ! أَقُولُ بِغَيْرِ عَمَلٍ؟ وَغَفْلَةٌ مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ؟ وَظَمْعًا فِي غَيْرِ حَقٍّ؟!

أقول: نَبَّهَهُمْ عَلَى مَا يَسْتَقْبِحُ فِي الدِّينِ، وَحَسَنَ السَّيْرَةَ مِنْ أَحْوَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ، أَمَا أَحْوَالِهِمْ فَاجْتِمَاعُهُمْ مَعَ تَفَرُّقِ آرَائِهِمْ الْمَوْجِبِ لِتَخَاذُلِهِمْ عَنِ الْجِهَادِ، وَأَمَا أَقْوَالِهِمْ فَكَلَامُهُمْ بِوَعِيدِ الْعَدُوِّ بِالْحَرْبِ الَّذِي تَضَعُفُ مَعَهُ الْقُلُوبُ الضَّالَّةُ لظَنِّهَا صِدْقَهُ، وَاسْتِعَارَ لَفْظَ الصَّمِّ مِنَ الْحِجَارَةِ: لِلْقُلُوبِ الْقَوِيَّةِ، وَأَمَا أَعْمَالُهُمْ فَهُوَ التَّخَاذُلُ وَالْفِرَارُ مِنَ الْعَدُوِّ. وَقَوْلُهُ: حَيْدِي حَيَادٍ، كَالْمَثَلِ يَقُولُهُ الْعَرَبُ عِنْدَ الْفِرَارِ وَمَفْهُومُهَا: تَنَحَّيْ عَنَّا آيَتَهَا الْحَرْبِ، وَهِيَ كَقَوْلِهِمْ: فَيَحِي فَيَاحَ، وَفَيَاحَ اسْمٌ: لِلْحَرْبِ. وَأَعَالِيلُ جَمْعُ أَعْلَالٍ جَمْعُ عِلَّةٍ: اسْمٌ لِمَا يَتَعَلَّلُ بِهِ وَيَعْتَذِرُ. وَأَضَالِيلُ جَمْعُ اضْلالٍ جَمْعُ ضَلَّةٍ: اسْمٌ لِلضَّلَالِ، وَأَعَالِيلُ: خَبْرٌ مَبْتَدَأٌ مَحذُوفٌ: أَيِ اعْذَارِكُمْ أَعَالِيلُ بَاطِلَةٌ سَبَبُهَا الضَّلَالَةُ، عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِفَاعٌ: مَصْدَرٌ وَهُوَ صِفَةٌ مَشْبَهَةٌ بِهِ، وَوَجْهَ الشَّبْهِ كَثْرَةُ الْمُدَافَعَةِ. وَارَادَ بَدَارَهُمْ: دَارَ السَّلَامِ. وَالسَّهْمُ الْأَخِيْبُ، مِنْ سَهَامِ الْمَيْسِرِ وَالَّذِي لَا فَرَضَ فِيهِ وَلَا غَنَمَ بِهِ كَالَّتِي تَسْمَى أَوْغَادًا وَفِيهَا خَيْبَةٌ وَغَرَمٌ كَمَا عِلْمٌ فِي الْأَصْلِ، وَكُنِيَ بِذَلِكَ: عَنِ حَصُولِهِمْ فِي سَهْمِهِ وَعَدَادِهِمْ مِنْ قَوْمِهِ. وَالْأَفْوَقُ التَّاصِلُ،: السَّهْمُ الَّذِي لَا فَوْقَ لَهُ وَلَا نِصْلَ، وَاسْتِعَارَ لَفْظَهُمْ بِاعْتِبَارِ أَنَّهَا لَأَغْنَاءُ بِهِمْ فِيمَا يَرِيدُهُ مِنْهُمْ كَالسَّهْمِ الْمَذْكُورِ. وَقَوْلُهُ: بِغَيْرِ عَمَلٍ: وَعَدَّهُمْ لَهُ بِالنَّهْوِضِ إِلَى الْحَرْبِ خَلْفَهُمْ. وَرَوَى بِغَيْرِ عِلْمٍ أَيِ: بِغَيْرِ اعْتِقَادٍ لِذَلِكَ، وَلَانِيَّةٍ فِيهِ، وَالْغَفْلَةُ مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ هِيَ الْمَذْمُومَةُ إِذْ

قد يعرض لذوى الورع غفلة عن مصالحهم الدنيوية وتكون محمودة لهم ومنهم وهم
 البئلة الذين اشار اليهم الرسول صلى الله عليه وآله بقوله: (اكثراهل الجنة البله) اى:
 سليموا الصدر من الاهتمام بالدنيا ووجه تحصيلها. وأراد غفلتهم عن مصلحة الجهاد، و
 طمعاً بغير حقّ أى: فيما كانوا يتوقعونه منه من التفضيل والزيادة على عطائهم كما فعل من
 قبله.

٢٩ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فى معنى قتل عثمان

لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلًا؛ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِرًا غَيْرَ أَنَّ مَنْ نَصَرَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ
 يَقُولَ: خَذَلَهُ مَنْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ، وَمَنْ خَذَلَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: نَصَرَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي، وَأَنَا
 جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرُهُ: أَسْأَثَرُ فِإَسَاءِ الْأَثَرِ وَجَزَعْتُمْ فِإَسَاثُمُ الْجَزَعِ، وَلِلَّهِ حُكْمٌ وَأَقِيعُ
 فِي الْمُسْتَأْثِرِ وَالْجَازِعِ.

مركز تحقيقات كويتى علوم إسلامية

اقول: مفهوم الفصل التبرى من دم عثمان، والدخول فيه بأمر ونهى^١ فى صورة
 شرطيتين يستنتج منهما نقيض ملزوميتهما باستثناء نقيض لازميتهما، والملازمة عرفية
 فيهما اذ الأمر بالقتل يسمّى قاتلا عرفا. و التاهى عنه يسمّى ناصرا. وقوله: غير ان من
 نصره، الى قوله: خير متى، فهو فى معرض الجواب لمن انكر بحضرته قعوده وجميع اكابر
 الصحابة عن نصره عثمان.

وقال: أنهم لو نصروه وهم اكابر الصحابة لما اجترأ عليه طغام الأمة وان كانوا أرادوا ان
 الحق قتله، فقد كان يتعين عليهم ان يعرفوا الناس ذلك لترتفع الشبهة فأجابه بذلك و
 مفهوم القضيتين اتى لو سلمت اتى خاذل له فان الخاذلين له كانوا افضل من الناصرين،:
 اذ الخاذلون اكابر الصحابة والناصرون بنو امية واتباعهم، وليس لهم ان يدعوا الأفضلية
 على الخاذلين. ولا للخاذلين ان يعترفوا بالمفضولية وهو فى قوة صغرى ضمير تقدير

١- فى ش: او نهى.

كبراه، وكلّ من كان خاذلوه أفضل من ناصريه لم يجزلائمة خاذليه، وتخصيصهم بالتعنيف امره، لأنهم افضل، والأفضل اولى ان يستتبع.

وقوله: وأنا، الى قوله: الجزع،: تنبيه على ان عثمان وقاتليه كانوا على طرف الافراط، اما عثمان ففى استبداده، واستيثاره برأيه فيما الأمة شركاء فيه، حتى أدّى ذلك الى قتله، واما قاتلوه فلافراطهم فى الجزع من فعله، حتى خرجوا عن فضيلة التثبّت و ما ينبغى لهم من انتظار اصلاح الحال بينهم وبينه. وقيل: اسأتم الجزع عليه بعد قتله، و أثرتم الفتنة. وقوله: والله حكم، الى آخره،: اشارة الى حكم قدره النازل فى عثمان بقتله، وفى قاتليه بجزعهم منه، وقتلهم له، او بجزعهم عليه، واثارتهم الفتنة بسببه، ويحتمل ان يريد الحكم فى الآخرة بما يلحقها من سعادة او شقاوة. وبالله التوفيق.

ومن كلام له عليه السلام لما انفذ عبدالله بن عباس الى الزبير قبل وقوع الحرب يوم الجمل ليستفيئه الى طاعته، قال عليه السلام:

٣٠ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

لابن العباس لما أرسله الى الزبير يستفيئه الى طاعته قبل حرب الجمل

لَا تَلْقَيْنَ ظَلْحَةً فَإِنَّكَ إِنْ تَلَقْتَهُ تَجِدُهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصًا قَرْنَهُ يَرْكَبُ الصَّغْبَ وَيَقُولُ:
هُوَ الدَّلُولُ. وَلَكِنْ أَلِقَ الزُّبَيْرَ فَإِنَّهُ أَلَيْنُ عَرِيكَةً فَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ: عَرَفْتَنِي
بِالْحِجَازِ وَأَنْكَرْتَنِي بِالْعِرَاقِ، فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا قَالَ الشَّرِيفُ: أَقُولُ: هُوَ أَوَّلُ مَنْ سَمِعَتْ مِنْهُ
هَذِهِ الْكَلِمَةُ، أَعْنَى «فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا».

اقول: قوله، عاقصا قرينه: هو وجه الشبه بالثورة و كنى به عن تكبره وخشونة جانبه،
واصراره على الحرب. والعقص: التواء القرنين. و كنى بقوله: يركب، الى قوله: الدلول:
عن تهوّه فى ركوب الامور الصعبة. و العريكة: الطبع و كان الزبير الين طبعًا، وذكر

١ - بزيادة: الصلاة. فى نسخة ش.

٢ - فى نسخة ش بزيادة: الصلاة.

التسبب تذكيراً بالرحم و كونه ابن خاله لأن صفة أم الزبير اخت ابى طالب و بنت عبدالمطلب. و قوله: فما عدا مما بدا،: مثل يضرب لمن يفعل فعلاً باختياره ثم يرجع عنه و ينكره، والمعنى: فما جاوزتك عن بيعتى مما بدا لك و ظهره من الأمور. و قيل: المعنى: فما صرفك و منعك عن ما كان بدامنك من اظهار طاعتي و بيعتى.

٣١ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ، وَزَمَنٍ كَنُودٍ يُعَدُّ فِيهِ الْمُحْسِنُ مُسِيئًا، وَيَزْدَادُ الظَّالِمُ عُتُورًا، لَأَنْتَفِعَ بِمَا عَلِمْنَا، وَلَا نَسْأَلَ عَمَّا جَهِلْنَا، وَلَا نَتَخَوُّ قَارِعَةً حَتَّى تَحُلَّ بِنَا فَالْنَّاسُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ: مِنْهُمْ مَنْ لَا يَمْتَنِعُهُمُ الْفَسَادُ إِلَّا مَهَانَةً نَفْسِيهِ، وَكَلَالَةً حَدِّهِ، وَنَضِيبُ وَفْرِهِ؛ وَمِنْهُمْ الْمُضِلُّ لِسَيْفِهِ، وَالْمُعْلِنُ بِشَرِّهِ، وَالْمُجْلِبُ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ، قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ، وَأَوْبَقَ دِينَهُ، لِحُطَامِ يَنْتَهزُهُ، أَوْ مِقْتَبِ يَقُودُهُ، أَوْ مِثْبَرٍ يَفْرَعُهُ. وَلَبَسَ الْمَشْجُرُ أَنْ تَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِكَ ثَمَنًا، وَمِمَّا لَكَ عِنْدَ اللَّهِ عَوْضًا؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ، وَلَا يَطْلُبُ الآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا: قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ، وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ، وَشَمَّرَ مِنْ ثَوْبِهِ، وَزَخَرَفَ مِنْ نَفْسِهِ لِلْأَمَانَةِ، وَاتَّخَذَ سِتْرًا لِلَّهِ ذَرِيعَةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ أَبْعَدَهُ عَنِ طَلَبِ الْمُلْكِ ضُوءُهُ نَفْسِيهِ، وَأَنْقَطَاعُ سَبَبِهِ، فَقَصَرَتْهُ الْحَالُ عَلَى حَالِهِ، فَتَحَلَّى بِاسْمِ الْقِنَاعَةِ، وَ تَزَيَّنَ بِلِبَاسِ أَهْلِ الزَّهَادَةِ، وَ لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ فِي مَرَاحٍ وَلَا مَغْدَى. وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذِكْرَ الْمَرْجِعِ، وَأَرَاقَ دُمُوعَهُمْ خَوْفُ الْمَحْشَرِ، فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍ؛ وَخَائِفٍ مَقْمُوعٍ، وَسَاكِتٍ مَكْمُومٍ، وَدَاعٍ مُخْلِصٍ، وَثُكْلَانَ مُوجِعٍ. قَدْ أَحْمَلَتْهُمْ التَّقِيَّةُ، وَشَمَلَتْهُمْ الدَّلَّةُ، فَهُمْ فِي بَحْرِ الْجَوَاحِرِ، أَفْوَاهُهُمْ ضَامِرَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ قَرِحَةٌ. وَقَدْ وَعَظُوا حَتَّى مَلُّوا، وَ قُهِرُوا حَتَّى ذَلُّوا، وَقُتِلُوا حَتَّى قَلُّوا. فَلْتَكُنِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ أَصْغَرَ مِنْ حُدَالَةِ الْقَرِظِ وَ قُرَاضَةِ الْجَلَمِ، وَاتَّعِظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَارْفُضُوهَا دَمِيمَةً: فَإِنَّهَا رَفِضَتْ مَنْ كَانَ أَشْغَفَ بِهَا مِنْكُمْ.

قال السيد رضى الله عنه: وهذه الخطبة ربما نسبها من لا علم له إلى معاوية، وهى من كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذى لا يشك فيه، وأين الذهب من الرغام، والعذب

من الأجاج؟ وقد دلّ على ذلك الدليل الخريّ، ونقده الناقد البصير عمرو بن بحر الجاحظ؛ فإنه ذكّر هذه الخطبة في كتاب البيان والتبيين، وذكر من نسبتها إلى معاوية، ثم قال: هي بكلام عليّ عليه السلام أشبه وبمذهبه في تصنيف الناس. وبالإخبار عمّا هم عليه من القهر والإذلال، ومن التقيّة والخوف. أليقُ قال: ومتى وجدنا معاوية في حال من الأحوال يسلك في كلامه مسلك الزهاد، ومذاهب العبّاد؟!!

اقول: العنود: الجائر، والكنود: الكفور، والعتوّ: الكبر، والقارعة: الخطب العظيم. و نسبة الخير الى بعض الأزمنة، والشّر الى بعضها نسبة صحيحة لأنّ الزمان من الأسباب المعدّة لحصول ما يحصل في هذا العالم من الحوادث والأمر المعدودة خيرا وشرًا. وقد تتفاوت الأزمنة في الاعتداد لقبول الخير والشرف في بعضها يكون بحسب الاستقرار الخير غالبا خصوصا في زمن قوّة الدين والتواميس الشرعيّة الناطمة للعالم، وفي بعضها يكون الشّر غالبا. وَعَدُّ المحسنِ مسيئا كالمصدق مراثيا وزيادة عتو الظالم اي: تجبره لضعف سلطان الدين، وعدم انتفاع العالم بعلمه فيه عدم علمه على وفق علمه، وعدم سؤال الجاهل عمّا جهله لقلّة الرغبة في العلم والانتفاع به، وعدم تخوف الناس من الأمر المخوف حتّى ينزل بهم، كناية عن عدم فكرهم فيما يصلح حال عاقبتهم وهو ايماء الى ما يستقبلونه من فتنة بني امية وغيرها.

فاما قسمته للناس فسياقها الى آخر الكلام، يقتضى خمسة اقسام وإنما افرد الأربعة لاشتراكها في غرض الدّم وافرد الخامس لاختصاصه بالمدح، ووجهه أنّ الناس إما يريدون للدنيا اوله، والأولون إما قادرون عليها أو ليس، والثاني اما غير محتالين لها او محتالون، والثاني إما يؤهلوا انفسهم للملك والامارة او ليس فهذه اقسام خمسة. فالأول، المريدون للدنيا القادرون عليها، وهم: المشار اليهم في القسم الثاني من قسمته بقوله: فمنهم المصلّت الى قوله: يفرعه، وهم الذين اطلقوا عنان النفس من الشهوة والغضب في تحصيل ما تخيلوه كمالا. واصلات السيف: تجريده وكتى به عن التغلب والقهر بالظلم وغيره. والإجلاب بالخيل والرجل كناية عن: جمع اسباب الظلم والغلبة، واشترط نفسه: اعلمها ونصبها لذلك حتّى صار معروفا به. وأوبق دينه: اهلكه. والحطام: متاع الدنيا، والانتهار: الإختلاس والإستلاب بقدر الإمكان. والمقنّب بكسر الميم وفتح النون: الجمع

من الخيل. وفرع المنبر وافترع: علاه.

وخصص الأمور الثلاثة لأنها الاغلب في مطالب الدنيا. وقوله: ولبس المتجر، الى آخره: تنبيه لهذا الصنف على خسرانهم في افعالهم الشبيهة بالتجارة الخاسرة. الصنف الثاني، المريدون لها غير القادرين عليها ولا محتالين لها وأشار اليه، بقوله: ومنهم من لا يمنعه الى قوله: وفره، وكتى: بكلال حدّه عن عدم صراحته في الامور وضعفه عنها، ونضيض وفره: قلة ماله.

الصنف الثالث، غير القادرين عليها مع احتيالهم لها واعداد انفسهم لاموردون الملك، و اشار اليهم بقوله: ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة اى: بالعبادة رياءً و سمعة قوله: الدنيا، وتطأ منه من شخصه: دخوله في شعار الصالحين، وستر الله الذى حمى به اهل التقوى من موارد الهلكة قد يتزياً به غيرهم ويجعلونه ذريعة الى معصيته، و زخرف من نفسه زينها.

الصنف الرابع، غير القادرين عليها، المحتالون لها المؤهلون انفسهم للملك والامرة، وأشار اليهم بقوله: ومنهم من افعده الى آخره، وضئلة نفسه: حقارتها، وتخيّل العجز عن المطلوب، وانقطاع السبب كفتة المال وعدم الاعوان، وقصرته الحال اى: حال القدر على حاله التى لم يبلغ معها ما اراد، فلزم الحيلة الجاذبة لرغبة الخلق اليه من التحلى بالقناعة، والتزىن بلباس الزهاد، وكتى: بكونه ليس من ذلك فى مراح ولا مغدئى عن كونه من الزاهدين فى شئ.

الصنف الخامس المريدون لله تعالى، و اشار اليهم بقوله: وبقي رجال، الى آخره، و غصّ أبصارهم ذكر المرجع اى: كفهم عن الالتفات الى الدنيا لاشتغال سريرتهم بأحوال الآخرة. والشريد الناد: المطرود الذاهب لوجهه، إما لانكاره المنكر اولقطة صبره على مشاهدته. ومقموع: مذلل مقهور. والكعام: شئ يجعل فى فم البعير عند الهياج، فاستعار لفظه للساكت خوفاً كأنه شد فوه. وثكلان: موجع إما لمصابه فى الدين او لكثرة اذاه من الظالمين. ويحتمل ان يكون ذلك تفصيلا لحال المثقين بالنسبة الى خوف المحشر اذ فعل كلّ منهم ما هذه صفته. واستعار لفظ البحر الاجاج: لما هم فيه من الدنيا وأحوالها، باعتبار عدم التذاذهم بها فهى كالبحر المالح عند راكبه، لا يلتذّ به وان

اجهده العطش. وضامزة بالزاء المعجمة ساكنة، ومن روى بالراء فأراد أنها: ذاهلة لكثرة صيامهم وبعد افواههم من المضغ. وقرح قلوبهم لخوفهم من الله. والحثالة: الشفل. والقرظ: ورق السلم يدبغ به. والجلم: المقص. وبالله التوفيق.

٣٢. وَمَنْ خُطِبَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

عند مسيره لقتال اهل البصرة.

قال عبدالله بن العباس رحمه الله: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بنى قارو هو يخصف نعله فقال لى: ما قيمة هذه النعل؟ فقلت لا قيمة لها. فقال عليه السلام: والله لى أحب إلى من إمرتكم إلا أن أقيم حقاً، أو أدفع باطلا، ثم خرج فخطب الناس فقال:-

إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابًا وَلَا يَدْعِي نُبُوَّةً، فَسَاقَ النَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ، وَبَلَّغَهُمْ مَنَجَاتَهُمْ فَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ، وَأَطْمَأَنَّتْ صَفَاتُهُمْ. أَمَا وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَفِي سَاقَتِهَا حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَائِيرِهَا: مَا ضَعَفْتُ وَلَا جَبَنْتُ وَإِنَّ مَسِيرِي هَذَا لِيَمِثِلُهَا فَلَا تَقْبَلَنَّ الْبَاطِلَ حَتَّى يَخْرُجَ الْحَقُّ مِنْ جَنِبِهِ. مَالِي وَلِقْرَيْشٍ! وَاللَّهِ لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِينَ وَلَا قَاتِلْتُهُمْ مُفْتُونِينَ، وَإِنِّي لَصَاحِبُهُمْ بِالْأَمْسِ: كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمْ الْيَوْمَ!

اقول: ذوقار موضع قريب من البصرة. وخصف النعل: خرز.

وأنما لم يكن العرب يومئذ تقرأ كتاباً لأن ما كانت اليهود تدعيه من التورات، والتصارى تدعيه من الانجيل، ليس هو ما انزل على موسى، وعيسى، منهما لتبدل لهما و تحريفهما، او اراد بالعرب جمهورهم و كانوا معظلة و عبدة او ثان. وقوله: فساق الناس: الى غايتهم من الاسلام بعضا بالترغيب و بعضا بالترهيب. ومحلَّتهم: منزلتهم فى الناس التي ساقهم القدر اليها. ومنجاتهم: هو الدين والاسلام، اذ هو محل نجاتهم من عذاب الله. و كنى باستقامة قناتهم: عن استقامة دولتهم و انتظام امورهم. و باطمئنان صفاتهم عن

١- بزيادة: الصلاة. في ش.

استقرارهم في دارهم، وثبات احوالهم بعد اضطرابها. والضمير في ساقها: لكتائب الحرب. وتولت بهذا فيرها اي: بأجمعها وهو مع قوله: وان مسيرى هذا، لمثلها في معرض التهديد بالحال السابقة له. وكنى بنقيب الباطل: للغاية المذكورة عن ازاحته، و تخليص الحق من شائبه. وقوله: مالي و لقريش: استفهام انكار لما بينه وبينهم مما يوجب معاندته و جحد فضله. وقوله: والله الى آخره: توبيخ برذيلة الكفر في معرض ذكر سبب قتالهم لظهور عذره فيه، و تهديدهم بالقتل على الفتنة في الدين و بتذكيرهم انه ذاك المعهود مكروه اللقاء.

٣٣ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في استنصار الناس إلى أهل الشام

أف لكم، لقد سميت عتابكم!! أرضيتُم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً؟ وبالذلل من العز خلفاً؟ إذا دعوتكم إلى جهاد عدوكم دارت أعينكم كأنكم من الموت في غمرة، و من الذُّهول في سكرة، يُرْتَجِعُ عَلَيْكُمْ حَوَارِي فَتَعْمَهُونَ. فَكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَالِيسَةٌ فَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ، مَا أَنْتُمْ لِي بِثِقَةٍ سَجِيسَ اللَّيَالِي، وَمَا أَنْتُمْ بِرُكْنٍ يُمَالُ بِكُمْ، وَلَا زَوَافِرٍ عِزٍ يُفْتَقَرُ إِلَيْكُمْ مَا أَنْتُمْ إِلَّا كَابِلٍ ضَلَّ رُعَاتُهَا، فَكُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ انْتَشَرَتْ مِنْ آخَرٍ، لَبِئْسَ - لَعَمْرُ اللَّهِ - سَعْرُ نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ تُكَادُونَ وَلَا تَكِيدُونَ، وَتُنْقِصُ أَطْرَافَكُمْ فَلَا تَمْتَعِضُونَ لَا يَتَامُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ سَاهُونَ، غُلِبَ وَاللَّهِ الْمُتَخَاذِلُونَ، وَإِنَّمَا اللَّهُ إِنِّي لِأُظُنُّ بِكُمْ، أَنْ لَوْ حِمِسَ الْوَعْيُ وَأَسْتَحَرَّ الْمَوْتُ قَدْ انْفَرَجْتُمْ عَنْ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ انْفِرَاجَ الرَّاسِ. وَاللَّهُ إِنْ أَمْرًا يُمَكِّنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ يَغْرُقُ لَحْمَهُ، وَيَهْشِمُ عَظْمَهُ، وَيَفْرِي جُلْدَهُ؛ لِعَظِيمِ عَجْزِهِ، ضَعِيفٌ مَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ أَنْتَ فَكُنْ ذَلِكَ إِنْ شِئْتَ فَأَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ ذُونَ أَنْ أُعْطِيَ ذَلِكَ ضَرْبٌ بِالْمَشْرِفِيَّةِ تَطِيرُ مِنْهُ فَرَّاشُ الْهَامِ، وَتَطْيِخُ السَّوَاعِدُ وَالْأَقْدَامُ، وَيَفْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يَشَاءُ.

أيها الناس، إن لي عليكم حقاً، و لكم على حق: فأما حقكم على فالنصيحة لكم، و توفير قبيلكم عليكم، و تعليمكم كيلاً تجهلوا، و تأديبكم كيماً تعلموا، و أما حقى عليكم

فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ، وَالتَّصِيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ وَالْمَغِيبِ، وَالْإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ، وَالطَّاعَةُ حِينَ أَمْرُكُمْ.

أقول: هذه الخطبة بعد وقعة الخوارج بالتهروان.

وَأَفْ: كلمة تَضَجَّر. وغمرة الموت: سكرته. والذَّهول: السهول. ويرتَج: يفلق. والحوار: الخطاب. وتعمهون: تتحيرون. والسما لوس: المجنون مختلط العقل. وسجيس الليالى: ابدأ مدى الليالى. والزوافر جمع زافرة وزافرة الرجل: انصاره. وسعر جمع سعير، واسعار النار: تهيجها. والامتعاض: الغضب. وحمس الوغى: اشتد الحرب، و شبه انفراجهم عنه عند اشتداد الحرب: بانفراج الرأس عن البدن في عدم عودهم اليه. و قيل: بانفراج بعضى اعضائه (عظامه) عن بعض. وقيل: انفراج من يريد ان يتحوّل برأسه. و عرقت اللحم اعرقه، بالضم: اذا لم يبق على العظم منه شيئاً. والمشرقية: سيوف منسوبة الى «مشارف»، قرية فى ارض العرب تدنو من الريف. و فراش الهام: العظام الرقيقة تلى القحف.

و مدار الفصل على توبيخهم لعودهم عن دعائه الى قتال عدوهم، ونسبتهم الى الخمول والذلة، و تخويف عاقبة الأمر و اعذاره اليهم فى خروجه مما وجب عليه لهم مع تخلفهم عن اداء ما وجب عليهم له، و الفصل واضح.

٣٤ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بعد التحكيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَإِنْ أَتَى الدَّهْرُ بِالْخَطْبِ الْفَادِحِ، وَالْحَدِيثِ الْجَلِيلِ. وَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَيْسَ مَعَهُ إِلَهٌ غَيْرُهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمُجَرَّبِ تُورِثُ الْحَسْرَةَ، وَتُعْقِبُ النَّدَامَةَ. وَقَدْ كُنْتُ أَمْرُكُمْ فِي هَذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي وَنَخَلْتُ لَكُمْ مَخْرُونَ رَأْيِي، لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقْصِيرِ أَمْرٍ؛ فَأَيُّكُمْ عَلَى إِبَاءِ الْمُخَالِفِينَ الْجُفَاءَ، وَالْمُتَابِدِينَ الْعُصَاةَ، حَتَّى آرْتَابَ النَّاصِحُ بِنُصْحِهِ،

وَضَنَّ الزَّنْدُ بِقَدْحِهِ، فَكُنْتُ وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُوهُوَ أَرْنَ:-
أَمَرْتُكُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى فَلَمْ تَسْتَبِيهُوا النَّصْحَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ

اقول هذه الخطبة بعد ان بلغه تمام حيلة عمرو بن العاص، على ابي موسى الا شعري
في الحكومة.

والخطب: الامر العظيم. وفدحه: أثقله. ومفهوم قوله: وان أتى، الحمد على كل
حال. وقوله: لو كان يطاع لقصير أمر: مثل يُضْرَبُ لمن يخالف الناصح فيندم. وقصير
هذا: هو قصير بن سعد اللخمي مولى جديمة الابرش، بعض ملوك العرب واصله: ان
جديمة كان قتل أبا الزباء ملكة الجزيرة، فبعث اليه ليتزوجها حيلة عليه، وسألته القدوم
عليها فأجابها الى ذلك وخرج في ألف فارس وخلف باقي جنوده مع ابن اخته عمرو بن
عدى، وكان قصير اشار الى جديمة ان لا يتوجه اليها فلم يقبل رأيه فلما قرب جديمة
من الجزيرة استقبله جنود الزباء بالعدة، ولم يرمهم^١ اكراماً له فأشار عليه قصير بالرجوع
عنها فلم يقبل، فلما دخل عليها غدرت به وقتلته فعندها قال قصير: لا يطاع لقصير امر،
فذهبت مثلاً لكل ناصح عُصِي، وهو مصيب في رأيه، وارتاب الناصح بنصحه، يعنى:
نفسه لا طباق اصحابه على مخالفته لأن المشوريات امور مظنونة^٢ وقد يتغير الظن بتغير
الامارات. وقيل: يحمل ذلك على المبالغة، لأنه عليه السلام منزّه عن الشك فيما رآه
صواباً.

وقوله: وَضَنَّ الزَّنْدُ بِقَدْحِهِ، قيل: هو مثل يُضْرَبُ لمن يبخل بفوائده. والبيت لدريد
ابن الصمة من قصيدة له في الحماسة اولها:
نصحت لعارض واصحاب عارض

وانما قال: اخو هوازن: لنسبته اليهم، فان دريد بن الصمة من بنى جشم بن معاوية
ابن بكر بن هوازن، كقوله تعالى: (واذكر أخادعاد)^٣ ووجه تمثيله نفسه معهم بهذا القائل

١- في نسخة ش: يرمهم.

٢- في ش: مصونة.

٣- سورة الاحقاف / ٢١.

مع قومه اشتراكهما في النصيحة و عصيانهما المستعقب لندامة قومهم و هلاكهم، والذي كان اشار به عليه السلام هو: ترك الحكومة، والصبر على قتال اهل الشام.

٣٥ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في تخويف أهل النهروان

فَأَنَا نَذِيرُكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا صَرَغِي بِأَثْنَاءِ هَذَا النَّهْرِ، وَبِأَهْضَامِ هَذَا الْغَائِطِ عَلَى غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، وَلَا سُلْطَانَ مُبِينٍ مَعَكُمْ: قَدْ طَوَّحْتُ بِكُمْ الدَّارَ وَآخَتَبْتُكُمْ الْمِقْدَارَ، وَقَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هَذِهِ الْحُكُومَةِ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْمُنَابِذِينَ، حَتَّى صَرَفْتُ رَأْيِي إِلَى هَوَاكُمْ، وَأَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَخِفَاءِ الْهَامِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ وَلَمْ آتِ - لَا أَبَاكُمْ - بِجُرْأٍ، وَلَا أَرَدْتُ لَكُمْ ضُرًّا.

أقول: الخطاب للخوارج الذين قتلهم بالنهروان، وقد كان القضاء الآلهى سبق فيهم بما كان من الخروج على لسان الرسول صلى الله عليه وآله. روى أنه بينا هو يقسم قسما جاءه رجل من بنى تميم يقال له ذوالخويصرة، فقال: اعدل يا محمد، فقال صلى الله عليه وآله: قد عدلت، فقال: بالله اعدل، يا محمد، فأنك لم تعدل، فقال صلى الله عليه وآله: وملك من يعدل اذا لم أعدل؟ فقال عمر: يا رسول الله ائذن لى فى ضرب عنقه، فقال: دعه فسيخرج من ضئضى هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، يخرجون على خير فرقة من الناس تحتقر صلاتكم فى جنب صلاتهم، و صومكم عند صومهم يقرؤون القرآن لا يتجاوزوا زواقيهم، فيهم رجل اسود مخدج اليد احدى يديه كأنها ثدى امرأة ابضعة، قديقتله اولى الفريقين بالحق.

وعن عائشة، عن الرسول صلى الله عليه وآله: يقتلهم خير الخلق والخليقة واقربهم الى الله وسيلة. و الاهضام جمع هضم وهو المطمئن من الارض. وكذلك الغائط: ما سفل منها. و طوحت بكم أى: توهتكم. و اراد بالدار: الكوفة، و اوطانهم بها كأنها قذفتهم و رمت بهم المرامى. و احتبلهم المقدار: وقعوا فى حباله. و استعمار و وصف

الاحتبال: لاحاطته بهم، وعدم خلاصهم من حكمه، وحقه الهام: كناية عن رذيلة الطيش. والسفه: ضد الحلم. وقوله: لا أبا لكم، قال الجوهري: كلمة مدح. وقيل: كلمة ذم. وقيل: دعاء بالذل لكونه لازما دعاء الاب. والبجر: الأمر العظيم.

٣٦ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يجرى مجرى الخطبة

فَقُمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا، وَتَطَلَّعْتُ حِينَ تَعْتَعُوا، وَنَطَقْتُ حِينَ تَمَنُّوا وَمَضَيْتُ بِثُورِ اللَّهِ حِينَ وَقَفُوا. وَكُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوْتًا، وَأَعْلَاهُمْ فَوْتًا فَطَرْتُ بَعِنَانِهَا، وَأَسْتَبَدَّدْتُ بَرَهَانِهَا، كَالجَبَلِ لَا تُحَرِّكُهُ الْقَوَاصِفُ، وَلَا تُزِيلُهُ الْعَوَاصِفُ: لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِي مَهْمَزٍ، وَلَا لِقَاتِلٍ فِي مَغْمَزٍ، الدَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخَذَ الْحَقُّ لَهٗ، وَالْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخَذَ الْحَقُّ مِنْهُ، رَضِينَا عَنِ اللَّهِ قَضَاءَهُ، وَسَلَّمْنَا لِلَّهِ أَمْرَهُ، أَتُرَانِي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؟ وَاللَّهُ لَأَنَا أَوْلُ مَنْ صَدَقَهُ فَلَا أَكُونُ أَوْلَ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ. فَتَنْظَرْتُ فِي أَمْرِي فَإِذَا طَاعَتِي قَدْ سَبَقَتْ بِيَعْتِي، وَإِذَا الْمِيثَاقُ فِي عُنُقِي لِيَعِيرِي.

أقول: قال بعض الشارحين هذا الفصل فيه فصول اربعة التقطها الرضى رحمه الله من كلام طويل، قاله بعد وقعة النهروان ذكر فيه حاله منذ توفى رسول الله صلى الله عليه وآله الى آخر وقت.

الاول، قوله: فقمتم بالامر، الى قوله: برهانها، وفيه ذكر فضيلته بالنسبة الى سائر الصحابة، وهى الشجاعة والذب عن رسول الله صلى الله عليه وآله فى مواضع الحاجة حين ضعفهم وجبنهم. ثم البلاغة والفصاحة عن مشكلات الدين حين تعتوا، وكتى عن قيامه بذلك: بالنطق. والتعتة: الاضطراب فى الكلام عن العى، والحصر ثم التطلع وهو: الاشراف من عال، وكتى به: عن الاهتمام العالى بما ينبغى تحصيله، والقيام فيه من الجهاد فى دين الله حين تقبوا عنه. والتقبع: التقبص. وقبع القنفذ، اذا أدخل رأسه فى جلده. وكتى به: قصورهم وقعودهم عن مقاماته، ومضيت بنور الله قيل: فى جملة

سورة براءة، و هي نورالله للمشركين حين وقف عنها كثير من الصحابة، ويحتمل ان يريد مضيت في سبيل الله عن نورالعلم حين وقف عنها كثير من الجاهلين وعمى عن مواردها. و كنى بكونه اخفضهم صوتاً: عن رباطة جأشه في الامور وثباته فيها، ومن كان كذلك كان اشد سبقا في المعالى، و اقوى سعياً في درجات الكمال، بحيث لا يلحق. و مثل نفسه في ذلك بالمجرى في البرهان الذى لا يشق غباره.

و استعار اوصافه من الطيران بالعنان و الاستبداد بالرهان. و الضمير فيهما للفضيلة التى يسبق عليها.

الثانى، كالجبل، الى قوله: آخذ الحق منه، و يحكى قيامه بأعباء الخلافة حين انتهائها اليه، و جريه فيها على قانون العدل، و شبه نفسه فى الثبات على الحق بالجبل، و اشار الى وجه الشبه بقوله: لا تحركه، الى قوله: العواصف، و المهمز و المغمز: العيب.

الثالث، قوله: رضينا عن الله قضاءه، الى قوله: كذب عليه. قيل: ذلك فى معرض تفرسه فى طائفة من قومه أنهم يتهمونه فيما يخبرهم عن النبى صلى الله عليه وآله من الامم المستقبله، حتى كان فيهم من يواجهه بذلك. و ذكر الرضا بالقضاء: تسليه لنفسه عن هذا التكذيب باسناده الى القضاء الالهى.

الرابع، قوله: فنظرت، الى آخره، و فيه احتمالان احدهما قال بعض الشارحين: انه مقطوع من كلام يذكر فيه حاله بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، و انه كان معهوداً اليه ان لا ينازع فى امر الخلافة بل ان حصل له بالرفق و الآفليمسك. فقوله: فاذا طاعتى قد سبقت بيعتى، اى: طاعتى لرسول الله صلى الله عليه وآله فيما امرنى به من ترك القتال. قد سبقت بيعتى للقوم فلا سبيل الى الامتناع منها لادائها الى المشاقه.

قوله: و اذا الميثاق، اى: ميثاق رسول الله وعهده الى بعدم المشاقه. و قيل الميثاق: ما لزمه من بيعة ابى بكر بعد وقوعها اى: فاذا ميثاق القوم قد لزمنى.

الاحتمال الثانى: ان يكون ذلك فى معرض تضجره من ثقل اعباء الخلافة، و يكون المعنى انى نظرت فاذا طاعة الخلق لى قد سبقت بيعتى منهم، و اذا ميثاقهم قد صار فى عنقى فلم اجد بداً من القيام بأمرهم.

١ - بزيادة كلمة: صلى الله. فى ش.

٣٧ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ الشُّبْهَةُ شُبْهَةً لِإِنَّهَا تُشْبِهُ الْحَقَّ: فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ فِضِيَاءٌ وَهُمْ فِيهَا الْيَقِينُ، وَدَلِيلُهُمْ سَمْتُ الْهُدَى، وَأَمَّا أَعْدَاءُ اللَّهِ فَدَعَاؤُهُمْ فِيهَا الضَّلَالُ، وَدَلِيلُهُمُ الْعَمَى، فَمَا يَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ مَنْ خَافَهُ، وَلَا يُعْطَى الْبَقَاءَ مَنْ أَحَبَّهُ.

أقول: استعار لفظ الضياء لليقين بالله ورسوله، وما جاء به من الغيب، باعتبار هدايتهم بذلك في طريق الحق كالضياء. ولفظ الدليل: لقصد هدى الله في سبيله، باعتبار هداية القصد لهم كالدليل الهادي. وتجاوز بلفظ الضلال في المضل، وهو: دعاء الكفار اطلاقاً لاسم اللازم على ملزومه، واستعار لفظ العمى: للجهل. ولفظ الدليل له باعتبار كونه قائدهم الذي به يقتدون. وقوله: فما ينجو، الى آخره: يشبه ان يكون كلاماً منقطعاً عما قبله.



٣٨ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

مُنِيْتُ بِمَنْ لَا يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ، وَلَا يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ، لَا أَبَالِكُمْ مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَضْرِكُمْ رَبِّكُمْ؟ أَمَا دِينَ يَجْمَعُكُمْ، وَلَا حِمِيَّةَ تُحْمِشُكُمْ أَقْوَمُ فِيكُمْ مُسْتَضْرِحًا، وَأُنَادِيكُمْ مُتَغَوِّثًا، فَلَا تَسْمَعُونَ لِي قَوْلًا، وَلَا تُطِيعُونَ لِي أَمْرًا، حَتَّى تَكْشَفَ الْأُمُورَ عَنْ عَوَاقِبِ الْمَسَاءَةِ، فَمَا يُدْرِكُ بِكُمْ ثَأْرٌ وَلَا يُبَلِّغُ بِكُمْ مَرَامًا؛ دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَضْرِ إِخْوَانِكُمْ فَجَزَّ جَرْتُمْ جَزَّ جَرَّةَ الْجَمَلِ الْأَسْرَى، وَتَشَاقَلْتُمْ تَشَاقَلَ النَّضْوِ الْأَذْبَرِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَدَائِبٌ ضَعِيفٌ (كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ).

قال السيد رحمه الله: قوله عليه السلام، متدائب، اي: مضطرب من قولهم تذاعبت الريح، اي: اضطرب هبوبها، ومنه سمي الذئب ذئباً لاضطراب مشيته.

أقول: منيت: ابتليت. وتحمشكم: تغضبكم. والتغوث: طلب النصرة بالنداء.

والثار: الذحل. والجرجرة: ترديد الصوت البعير عند عسفه. والسر: داء يأخذ البعير في سرته. والتضو: البالى من تعب السير. واستعار لهم وصف الجرجرة: باعتبار تضجرهم من دعوتهم الى الحرب. وشبه ذلك منهم بجرجرة الجمل الاسر، وتثاقل التضو الادبر، اى: فى شدة التضجر والضعف^١.

٣٩ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فى الخوارج لما سمع قولهم: لا حكم إلا لله؛ قال عليه السلام:

كَلِمَةٌ حَقٌّ يُرَادُ بِهَا الْبَاطِلُ!! نَعَمْ إِنَّهُ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، وَلَكِنْ هُوَ لَاءِ يَقُولُونَ: لَا أَمْرَةَ إِلَّا لِلَّهِ، وَإِنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، يَفْعَلُ فِي أَمْرِهِ الْمُؤْمِنُ، وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ، وَيُبَلِّغُ اللَّهُ فِيهَا الْأَجَلَ، وَيُجْمَعُ بِهِ الْفَىءُ، وَيُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ، وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ، وَ يُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ وَيُسْتَرَاخَ مِنْ فَاجِرٍ.

وفى رواية اخرى أنه عليه السلام لما سمع تحكيمهم قال: حُكْمَ اللَّهِ أَنْتَظِرُ فِيكُمْ.

وقال: - أَمَّا الْإِمْرَةُ الْبَرَّةُ فَيَعْمَلُ فِيهَا التَّقَى؛ وَأَمَّا الْإِمْرَةُ الْفَاجِرَةُ فَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا الشَّقَى، إِلَى أَنْ تَنْقَطِعَ مُدَّتُهُ، وَتَدْرِكُهُ مَنِيَّتُهُ.

اقول: قول كلمة حق اى: هذه كلمة حق ارادوا بها باطلا، وهو: أنه ليس للعبد ان يحكم بغير ما نصّ كتاب الله عليه، فإن اكثر الاحكام الفروعية غير منصوص عليها مع انها احكام الله، بل يكون منتزعة بحكم الاجتهاد. وقوله: نعم: تقرير لحقيقتها، ولما كان من لوازم اعتقادهم أنه لا حكم غير ما نصّ الله عليه نفى الامرة لأن استنباط الاحكام والتظنر فى وجوه المصالح، من لوازم الامرة التى هى حال الامير فى رعيته، ونفى اللازم يستلزم نفى الملزوم. ولما كانوا قد نفوا الامرة قال: ولكن هؤلاء يقولون لا امرة و كذبهم، بقوله: ولا بد للناس الى آخره. وجملة الكلام فى صورة قياس استثنائى، هكذا اذا قالوا: لا حكم إلا لله كما تصوّروه فقد قالوا بنفى الامرة لكن اللازم باطل، فالقول بنفى الحكم

١ - كلمة: والضعف. غير موجودة فى نسخة ش.

الآله كما تصوّروه باطل.

وقوله: لا بدّ في قوّة استثنائي: نقيض لازم المتصلة، وطبيعة وجود هذا العالم يشهد بضرورة الحاجة الى إمام كما قال الشاعر:
تُهدى الامور باهل الرأى ما صلحت
فان تولت فبالأشرار تنقاد
وقوله: حتى يستريح، غاية من قوله: ويقا تل به العدو الى قوله: من القوى. والباقي ظاهر.

٤٠ - وَمِنْ حُطْبَةِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إِنَّ الْوَفَاءَ تَوَامُ الصِّدْقِ، وَلَا أَعْلَمُ جَنَّةَ أَوْقَى مِنْهُ وَلَا يَغْدِرُ مَنْ عَلِمَ كَيْفَ الْمَرْجِعُ. وَ لَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ، قَدْ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ الْغَدْرَ كَيْسًا وَنَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلَى حُسْنِ الْحِيَلِ، مَا لَهُمْ؟ قَاتِلَهُمُ اللَّهُ! قَدِيرِي الْحَوْلِ الْقَلْبِ وَجَهَ الْحِيَلِ وَدُونَهُ مَانِعٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ فَيَدْعُهَا رَأَى عَيْنٍ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا وَيَنْتَهزُ فُرْصَتَهَا مَنْ لَا حَرِيَجَةَ لَهُ فِي الدِّينِ.

مركز تحقيقات علوم اسلامی

أقول: الوفاء فضيلة نفسانية ينشأ من لزوم العهد الذي ينبغي والبقاء عليه. والصدق: فضيلة تحصل عن لزوم الأقوال المطابقة، وهما داخلتان تحت فضيلة العفة فلذلك استعار لهما لفظ التوأم، باعتبار اقترانهما تحت فضيلة واحدة ونشوءهما عنها كالأم. وقوله: ولا اعلم جنة اوقى منه، أى: ليس الفضائل المتعلقة بالمعاملات، والشركة المدنية شئ اشدّ وقاية من عذاب الآخرة منه. فانه اصل عظيم يستلزم فضائل كثيرة. والجنة: ما استترت به من سلاح، ولفظه مستعار. وقوله: ولا يغدر، الى قوله: المرجع: لانّ علمه بكيفية المعاد الى الله يستلزم إمتناعه مما يبعد منه من رذيلة الغدر ونحوها. وخصّ الغدر بالذكر: لانه في معرض مدح الوفاء.

والصدّ تظهر حسنه الصدّ

وقوله: ولقد، الى قوله الحيلة: ذلك لعدم تمييز اكثرهم بين الغدر والكيس

١ - في ش هذه الكلمة ساقطة.

لاشتراكهما في التفظن لوجه الحيلة والخداع، وإن تمييز الغدرباثة استعمال الفطنة في تحصيل وجه حيلة يخالف القانون الشرعى والمصلحة العامة. والكيس يتميز باستعمال الذكاء فى استخراج وجوه المصالح التى تنبغى والوقوف عليها، ونسبة الناس لهم الى الكيس، وحسن الحيلة كما نُسب عمرو بن العاصر ومعاوية، ولم يعلموا أنه لا خير فى حيلة جرت الى الرذيلة. وقاتل الله لهم: ابعادهم عن رحمته. والحوال القلب: كثير التحول والتقلب فى استنباط الآراء الصالحة ووجه المصالح، و اراد نفسه فان فطنته فى ذلك اتم الفطن لكن محافظته على حدود الله تحجزه عن كثير من التصرف، فيترك الحيلة رأى عينه خوفا من الله. و انتهاز الفرصة: المبادرة الى الامر وقت امكانه. والحريجة: التحرز من الحرج، وهو الاثم.

٤١ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

أَيْهَا النَّاسُ، إِنَّ أَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اثْنَانِ: اتِّبَاعُ الْهَوَى، وَطُولُ الْأَمَلِ، فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ، أَلَا، وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَذَاءً، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ أَصْطَبَّتْهَا صَابَتُهَا، أَلَا وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَ لِكُلِّ مِنْهُمَا بَشُونٌ، فَكُونُوا مِنْ أِبْنَاءِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا أَبْنَاءَ الدُّنْيَا فَإِنَّ كُلَّ وَلَدٍ سَيَلْحَقُ بِأُمِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابٌ، وَعَدَا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ.

نَفَّرَ عَنْ اتِّبَاعِ الْهَوَى وَطُولِ الْأَمَلِ، بِضَمِيرَيْنِ صَغِيرَيْنِ الْأَوَّلِ، قَوْلُهُ: وَأَمَّا إِلَى قَوْلِهِ: الْحَقُّ، وَهُوَ طَاعَةُ اللَّهِ. وَصَغِيرَى الثَّانِي قَوْلُهُ: وَأَمَّا، إِلَى قَوْلِهِ: الْآخِرَةَ. وَأَرَادَ طُولَ الْأَمَلِ فِي الدُّنْيَا وَتَقْدِيرَ الْكَبْرَى فِيهِمَا، وَكُلُّ مَا كَانَ كَذَلِكَ فَالْوَاجِبُ تَرْكُهُ، وَمِنَ الصَّغِيرَيْنِ يَتَبَيَّنُ أَنَّهُمَا أَخَوْفٌ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَخَافَ. وَحَذَاءً: خَفِيفَةٌ مُسْرَعَةٌ لَا يَتَعَلَّقُ أَحَدٌ مِنْهُمَا بِشَيْءٍ. وَالصُّبَابَةُ: بَقِيَّةُ الْمَاءِ فِي الْإِنَاءِ، وَاسْتِعَارَ لَفْظَهَا: لَمَّا بَقِيَ لِكُلِّ مِنَ الدُّنْيَا. وَ لَفْظُ «الْبَنُونِ»: لِلنَّاسِ، وَ لَفْظُ «الْأُمَّ»: لِلدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، بِاعْتِبَارِ رَغْبَةِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا وَأَهْلِ الْآخِرَةِ إِلَيْهَا،

١ - فى ش: مسرعة.

كالولد لأمه، و أمرهم ان يكونوا من أهل الآخرة لأنها افضل، وهو ناصح مشفق، و نبه على ذلك بضمير صغراه قوله: فآن الى قوله: القيامة.

ولما كانت الدنيا يومئذ بمعزل^١ عن الخلق: كان اختيارها سفهاً لاستلزام ذلك عزبة أهلها، و شقاؤهم ببعدها، و تقدير الكبرى و كل من سيلحق بأمه يوم القيامة فلا بد أن يستعد لها بما يقربه منها، و يصلح حاله معها ليأمن سوء الحضن^٢ و يزول عنه بؤس الغربية. و كتى باليوم: عن مدة الحياة، و بغد: عما بعدها. و اليوم اسم ان و خبرها محذوف اقيم عمل مقامه اى: وقت العمل. و كذلك قوله: و غداً حساب: و فائدتهما التنبيه على وقتى العمل و عدمه لغاية المبادرة اليه وقت امكانه.

٤٢ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

وقد أشار عليه أصحابه بالاستعداد للحرب بعد إرساله جرير بن عبد الله البجلي



إِنَّ اسْتِعْدَادِي لِحَرْبِ أَهْلِ الشَّامِ وَجَرِيرٌ عِنْدَهُمْ إِغْلَاقٌ لِلشَّامِ، وَصَرَفٌ لِأَهْلِهِ عَنِ خَيْرٍ إِنْ أَرَادُوهُ. وَ لَكِنْ قَدَوَقْتُ لِحَرْبِهِ وَقْتًا لَا يُقِيمُ بَعْدَهُ إِلَّا مَخْذُوعًا أَوْ عَاصِيًا. وَالرَّأْيُ عِنْدِي مَعَ الْأَنَاةِ فَأَزُودُوا، وَلَا أَكْرَهُ لَكُمْ الْإِعْدَادَ وَ لَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هَذَا الْأَمْرِ وَعَيْنَهُ، وَ قَلْبُ ظَهْرَهُ، وَ بَطْنَهُ، فَلَمْ أَرَلِي إِلَّا الْقِتَالَ أَوْ الْكُفْرَ، إِنَّهُ قَدْ كَانَ عَلَى النَّاسِ وَإِ أَلِ أَخَذَتْ أَخْدَانًا، وَ أُوْجَدَ لِلنَّاسِ مَقَالًا، فَقَالُوا، ثُمَّ نَقَمُوا فَغَيَّرُوا.

أقول: إنما كان استعداده إغلاقاً للشام حينئذ، لأن أهل الشام حين كان جرير عندهم في مقام التروى في اتباعه او مخالفته، فلودهمهم بالاستعداد لبلغهم ذلك و اصروا على الخلاف، و ذلك مضاداً للحزم، و إنما حصر تاخر جرير في المانعين المذكورين لأن الموانع الاختيارية إما منهم و غالب الظن هو خداعه حتى يستحکم امرهم، و إقامته و

١ - عبارة، في نسخة ش.

٢ - في ش: الظن.

غالب الظن عصيانه اذ لا يتصور من جرير في مثل هذا الأمر المهم ان يعدل عنه الى شغل اختياري لنفسه او لغيره الا أن يكون عاصياً. وقوله: والرأى، مع الأناة: لأنها مظنة الفكر فى الاهتداء الى وجوه المصالح. و ارودوا: امهلوا، ونبه بقوله: ولا اكره لكم الإعداد، على ان يكونوا فى يطة من هذا الأمر او على الاستعداد الباطن. واستعار لفظ العين، والانف، والظهر، والبطن: لوجوه الاراء اللائقة بحاله معهم فى الحرب والسلم، وإنما يلزم من ترك قتالهم الكفر لأنه حينئذ يكون راضيا بوقوع المنكرات مع قدرته على انكارها و متهاونا بأمر الله ورسوله فيها وذلك كفر.

وقيل: لأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان أمره بقتال الناكثين، والقاسطين، و المارقين، فكان تركه مخالفة لما علمه بالضرورة من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو كفر. وقوله: إنه قد كان، الى آخره: تنبيه على وجه عذره عما نسبته اليه معاوية من دم عثمان، و اراد بالوالى: عثمان والاحداث التى كان احداثها هى ما نسب اليه من الامور التى انكروها. و أوجد للناس مقالا^١ى: جعل لهم بتلك الاحداث محل قول فى حقه، فقالوا ثم انكروا ما فعل فغيروه، والمشهور من تلك الاحداث عشرة ذكرناها فى الاصل^١.

مركز تحقيقات كويت علوم دينية ٤٣ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيبانى الى معاوية، و كان قد ابتاع سبى بنى ناجية من عامل أمير المؤمنين عليه السلام و أعتقه، فلما طالبه بالمال خاس به و هرب الى الشام:-

قَبَّحَ اللَّهُ مَصْقَلَةَ فَعَلَ فِعْلَ السَّادَاتِ، وَفَرَّ فِرَارَ الْعَبِيدِ، فَمَا أَنْطَقَ مَا دَحَهُ حَتَّى أَسْكَّتَهُ، وَلَا صَدَّقَ وَاصِفَهُ حَتَّى بَكَّتَهُ، وَلَوْ أَقَامَ لِأَخَذْنَا مَيْسُورَهُ وَانْتَهَرْنَا بِمَالِهِ وَفُورَهُ.

أقول: مصقلة هذا: كان عاملا لعلي عليه السلام على اردشير خرة^٢. وبنو ناجية:

١ - الشرح الكبير ٢ / ١٤٤.

٢ - معجم البلدان ١ / ١٤٦.

قبيلة كانوا على دين النصرانية فأسلم كثير منهم: ثم ارتدوا عن الاسلام فقتل منهم معقل ابن قيس و كان بعثه عليه السلام اليهم فى الفى فارس، وسبى بعضهم فاجتاز بالسبى على مصقلة فاستغاثوا اليه، فاشتراهم بخمسمائة الف درهم، ونفذ بعض المال، ثم خاس ببعضه اى: لم يف به فبعث عليه السلام يتهدده ويطالبه فهرب الى معاوية. وقبحه الله: نجاه عن الخير. وفعله فعل السادة: نخوته على الاسارى و شراؤهم. و فراره فرار العبيد: هربه. وقوله: فما انطق مادحه حتى اسكته: تبكيت له بسرعة الحاقه الفضيلة بالرديلة حتى كانه جمع بينهما، وهما انطاق مادحه بفدائه الاسرى مع هربه قبل تمام انطاقه، و تصديقه لوصفه: بفعل الجميل مع فعل القبيح الذى كان كذبه به ولامه على مدحه. والتبكيت: كالتقريع والتعنيف. و وفوره: زيادته.

٤٤ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَلَا مَخْلُوفٍ مِنْ نِعْمَتِهِ، وَلَا مَأْيُوسٍ مِنْ مَغْفِرَتِهِ، وَلَا مُسْتَنْكَفٍ مِنْ عِبَادَتِهِ، الَّذِي لَا تَبْرُحُ مِنْهُ رَحْمَةٌ، وَلَا تُفْقَدُ لَهُ نِعْمَةٌ. وَالدُّنْيَا دَارٌ مَنِي لَهَا الْفَنَاءُ، وَالْأَهْلِيهَا مِنْهَا الْجَلَاءُ، وَهِيَ حُلُوةٌ خَصْرَةٌ، وَقَدْ عَجَلَتْ لِلظَّالِمِ، وَالتَّبَسَّتْ بِقَلْبِ النَّاطِرِ، فَارْتَجَلُوا عَنْهَا بِأَحْسَنِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ: وَلَا تَسْأَلُوا فِيهَا فَوْقَ الْكَفَافِ، وَلَا تَطْلُبُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ الْبَلَاغِ.

أقول: القنوط: اليأس. والاستنكاف: الاستكبار. ومنى: قدر. و كنى بحلاوتها وخضرتها عن زينتها بمتاعها. والتبست بقلب الناظر، اى: خالطت قلبه بمحبتها. واحسن ما بحضرتكم من الزاد: التقوى والاعمال الصالحة. والكفاف: ما كف عن المسئلة. والبلاغ: ما بلغ مدّة الحياة. والفصل ظاهر.

٤٥ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

عند عزمه على المسير إلى الشام

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعَثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَسُوءِ الْمُنْظَرِ فِي الْأَهْلِ
وَالْمَالِ. اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَأَنْتَ الْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ وَلَا يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ ؛ لِأَنَّ
الْمُسْتَخْلَفَ لَا يَكُونُ مُسْتَضْعَبًا، وَالْمُسْتَضْعَبَ لَا يَكُونُ مُسْتَخْلَفًا.

أقول: و عثاء السفر: مشقته و تعبته. والكآبة: الحزن، و في قوله: ولا يجمعهما
غيرك: تنزيه الله عن الجهة، والجسمية اذ كان اجتماع الامرين في الجسم الواحد محال
كما علله عليه السلام.

٤٦ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

في ذكر الكوفة

كَأَنِّي بِكَ يَا كُوفَةَ تُمَدِّينَ مَدَّ الْأَيْدِيمِ الْعُكَاظِيَّ، تُعْرِكِينَ بِالتَّوَارِي، وَتُرْكِبِينَ بِالزَّلَازِلِ،
وَإِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِكَ جَبَّارُ سُوءٍ إِلَّا أَبْتَلَاهُ اللَّهُ بِشَاغِلٍ، وَرَقَاهُ بِقَاتِلٍ.

أقول: الخطاب لشاهد الحال الكوفة اي: كأني حاضر بك و مشاهد لك . و تمدين
و تعركين و تركبين أحوال. و استعار وصف المد و العرك لفعل الظلمة بأهلها كفعل
دابع الأديم من مده و عركه و وجه الشبه شدة المد. و عكاظ: اسم موضع بناحية مكة
كانت العرب تجتمع به كل سنة و يقيمون به سوقاً مدة شهر، و يتناشدون الأشعار و
يتفاخرون و في ذلك يقول ابو ذؤيب:

إذا بنى القباب على عكاظ
وقام البيع و اجتمع الألوف
و رفع ذلك بالاسلام، و المصائب و الفتن التي وقعت بالكوفة مشهورة،
و الجبابرة الذين ارادوا بها سوءاً مثل زياد بن ابيه، روى أنه كان جمعهم في المسجد لسبِّ

عليّ والبراءة منه، يبتليهم بذلك و يقتل من يعصيه فيه، فيبناهم مجتمعون اذ خرج حاجبه فأمرهم بالانصراف وقال: إن الامير مشغول عنكم، وكان قد رمى في تلك الحال بالفالج. و منهم ابنه عبيدالله، وأصابه الجذام. ومنهم الحجاج وتولدت في بطنه الحيات واحترق دبره حتى هلك. ومنهم عمرو بن هبيرة، وابنه يوسف ورميا بالبرص. ومنهم خالد القسرى وضرب وحبس حتى مات جوعاً. وممن رمى بالقتل عبيدالله بن زياد لعنه الله، ومصعب بن الزبير، ويزيد بن المهلب، والمختار بن ابى عبيدة الثقفى، وأحوالهم مشهورة.

٤٧ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

عندالمسير إلى الشام

الْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا وَقَبَ لَيْلٌ وَغَسَقَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا لَاحَ نَجْمٌ وَخَفَقَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرِ
مَفْقُودِ الْإِنْعَامِ وَلَا مُكَافِئِ الْإِفْضَالِ.
أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَعَثْتُ مُقَدَّمَتِي، وَأَمَرْتُهُمْ بِلُزُومِ هَذَا الْمِلْطَاطِ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرِي، وَقَدْ
أَرَدْتُ أَنْ أَقْطَعَ هَذِهِ النَّظْفَةَ إِلَى سِرْدَمَةَ مِنْكُمْ مُوْطِنِينَ أَكْتَفَ دَجْلَةَ، فَأَنْهَيْتُهُمْ مَعَكُمْ إِلَى
عَدْوِكُمْ، وَأَجْعَلُهُمْ مِنْ أَمْدَادِ الْقُوَّةِ لَكُمْ.

قال الشريف: أقول: يعنى عليه السلام بالملطاط السميت الذى أمرهم بنزوله وهو شاطئ الفرات، ويقال ذلك لشاطئ البحر، وأصله ما استوى من الأرض. ويعنى بالنظفة ماء الفرات. وهو من غريب العبارات وعجيبها.

أقول: حمد الله تعالى باعتبار تكرر وقتين ودوام حالين. ووقب الليل: دخل. و غسق: اظلم. وخفق النجم: غاب. ومقدمته التى بعثها هى زياد بن النضر، وشريح بن هانى، فى اثنى عشر ألف فارس. والشردمة: النفر اليسير. والاكفاف: النواحي. و موطينين بكسر الطاء: مستوطنين و اراد اهل المدائن.

٤٨ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَطَّنَ خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ، وَذَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ الظُّهُورِ، وَامْتَنَعَ عَلَى عَيْنِ
الْبَصِيرِ؛ فَلَا عَيْنَ مَنْ لَمْ يَرَهُ تُنْكِرُهُ، وَلَا قَلْبَ مَنْ أَثْبَتَهُ يُبْصِرُهُ: سَبَقَ فِي الْعُلُوفِ شَيْءٌ أَعْلَى
مِنْهُ. وَقَرُبَ فِي الدُّنُوفِ شَيْءٌ أَقْرَبُ مِنْهُ. فَلَا اسْتِعْلَاؤُهُ بِأَعْدَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا
قُرْبُهُ سَاوَاهُمْ فِي الْمَكَانِ بِهِ، لَمْ يُطْلِعِ الْعُقُولَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ، وَلَمْ يَخْجُبْهَا عَنْ وَاجِبِ
مَعْرِفَتِهِ، فَهُوَ الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلَامُ الوجودِ، عَلَى إِقْرَارِ قَلْبِ ذِي الْجُحُودِ- تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ
الْمُشَبِّهُونَ بِهِ، وَالْجَاحِدُونَ لَهُ- عُلُوقًا كَبِيرًا.

اقول: بطونه لخفيات الأمور: نفوذ علمه تعالى فيها، يقال: بطنت الامر اذا علمت
باطنه. واعلام ظهوره: آياته وآثاره الظاهرة في العالم الدالة على وجوده الظاهر في كل
صورة منها كقوله تعالى: (سَتْرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ) الآية. وكونه لا ينكره
عين من لا يبصره لشهادته فطرته بحاجته الى مدبر حكيم، وكذلك لا يبصره قلب من
اثبتته اي: لا يبصره بعين حسه اولا تدرك حقيقته، وفي هذين السلبين: تنبيه على الفرق
بين مدركات العقل، ومدركات الحس، إذ ليس كل معقول يجب أن يكون محسوسًا،
والسلبان: متلازمان متعاكسان، وسبقه لاشياء في العلوه هو: السبق بالشرف والعلية
دون المكان والجهة والزمان، وقربه لها من دنوه منها قربه بعلمه وجوده، وتصريفه لها
بخفى لطفه، وهو اقرب الى العبد من نفسه لعلمه بهادونه، ولم يباعده عن شىء من
خلقه استعلاؤه عنه، إذ ليس علوا مكانيا ولا قربهم يساواهم في المكان به اذ ليس قربا
حسيا، وعدم اطلاع العقول على تحديد صفة إماما لأنه لا صفة له فيحد، اولاته لا يتناهى
اعتبار صفاته، وقد سبق بيانه، ولم يحجب العقول عن واجب معرفته، لشهادة فطرته
بوجود صانعها وهو: القدر الواجب الضرورى لها. ولفظ اعلام الوجود مستعار
لآثاره الموجودة الدالة على وجوده، وكمال قدرته وعلمه.

وانما قال: على اقرار قلب ذى الجحود: لأن كثيرا من الناس ربما جحد بطريق

عادته او تربيته، كالمعظمة، وعبدة الاصنام، فاذا راجع قلبه او نبه عليه عاد معترفاً بوجوده.
 وروى ان زنديقا دخل على الصادق عليه السلام فسأله عن دليل اثبات الصانع
 فأعرض عليه السلام عنه، ثم التفت إليه وسأله من أين اقبلت وما قصتك؟ فقال الزنديق:
 انى كنت مسافراً فى البحر فعصفت علينا الريح وتلعبت بنا الامواج فانكسرت سفينتنا
 فتعلقت بساحة منها، ولم يزل الموح تقلبها حتى قذفت بى الى الساحل فنجوت عليها،
 فقال له عليه السلام: رأيت الذى كان قلبك اذا انكسرت السفينة وتلاطمت عليكم
 الامواج فزعاً اليه مخلصاً له فى التضرع طالبا منه النجاة؟ فهو الهك، فاعترف الزنديق
 بذلك، وحسن اعتقاده وذلك من قوله تعالى: (واذا مسكم الضرفى البحر) الآية. وباللله
 التوفيق.

٤٩ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إِنَّمَا بَدُّوا وَقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءُ تَتَّبِعُ، وَأَحْكَامُ تُبْتَدَعُ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ، وَيَتَوَلَّى
 عَلَيْهَا رِجَالٌ رَجَالًا عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ، فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخَفْ عَلَى
 الْمُرْتَادِينَ، وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ، وَلَكِنْ يُؤَخِّدُهُمْ
 هَذَا ضِعْفٌ، وَمِنْ هَذَا ضِعْفٌ فَيَمْرُجَانُ! فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، وَ
 يَتَجَوَّزُونَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُسْتَى.

اقول: لما كان نظام العالم انما هو بوجود الشرائع والسنن الالهية، وكانت هي
 مبادئ نظامه لزم فيما خالفها من الآراء المبتدعة والاهواء المتبعة ان يكون اسبابا لخراب
 العالم، ومبدءاً للفتن كآراء البغاة والخوارج. وقوله: فلو، الى آخر قوله: المرتادين: اشارة
 الى سبب اتباع الناس للآراء الفاسدة وهو امتزاج الباطل بالحق، فان المقدمات اذا
 كانت كلها باطلة تبين فساد الحجة بأدنى سعي، ولم يخف على الطالبين فسادها، ولو
 ان الحق، الى قوله: المعاندين: وذلك لوضوح الحق حينئذ. والضعف: القبيضة

من الحشيش و نحوه، فاستعير لفظه، للنصيب من الحق والباطل، وذلك كشبهة قتل عثمان التي تمسك بها الناكثون، والقاسطون، فإن فيها مقدمة صادقة هي: كون امام المسلمين قُتِلَ مظلوماً، ومقدمة كاذبة وهي: نسبة ذلك القتل اليه عليه السلام، تارة بأنه اجلب عليه، وتارة بأنه خذله، وهنا لك اي: عند امتزاج الحق والباطل فيستولى الشيطان على اوليائه، فيزين لهم اتباع من ينطق بتلك الشبهة ونحوها، وينجو من سبقت عناية الله له بتمييز الحق من الباطل، وبالله التوفيق.

٥٠ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

لما غلب أصحاب معاوية أصحابه عليه السلام على شريعة

الفرات بصفين ومنعواهم الماء

قَدْ اسْتَظَعْمُوكُمُ الْقِتَالَ فَأَقْرُوا عَلَيَّ مَذَلَّةً، وَتَأَخَّرَ مَحَلَّةً؛ أُرْوُوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تُرْوُوا مِنَ الْمَاءِ؛ فَالْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ وَالْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ. أَلَا وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادَ لُمَّةً مِنَ الْغَوَاةِ. وَعَمَسَ عَلَيْهِمُ الْخَبْرَ، حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ الْمَنِيَّةِ.

اقول: استعار وصف الاستطعام لطلبهم القتال بالتحرش بهم، والمحلة: المنزلة و تأخيرها عن رتبة اهل الشرف والشجاعة. ونفر عن ترك القتال بضمير صغراه قوله: فالموت، الى قوله: مقهورين: و اراد موت الذل والقهر وتقدير كبراه، و كل من كان فيه الموت فينبغي أن يهرب منه، و رغب فيه بضمير صغراه، قوله: والحياة في موتكم قاهرين: و اراد حياة العزبين العرب والذكر الجميل بالحمية لله، وتقدير الكبرى وكل من كانت فيه الحياة فينبغي ان يرغب فيه. واللمة بالتخفيف: الجماعة القليلة. وعمس بالتخفيف والتشديد: عمى و لبس، والخبر شبهة عثمان و قتله.

٥١ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يجرى مجرى الخطبة وقد تقدم مختارها برواية ونذكرها هنا برواية اخرى لتغاير الروايتين

أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّمَتْ وَآذَنْتْ بِوَدَاعٍ، وَتَنَكَّرَ مَعْرُوفُهَا، وَأَذْبَرَتْ حَدَاءَ فَهْيَ تَحْفِرُ
بِالْفَنَاءِ سُكَّانَهَا، وَتَحْدُو بِالْمَوْتِ جِيرَانَهَا، وَقَدْ أَمَرَتْ مِنْهَا مَا كَانَ حُلُوءًا، وَ
كَدَرَتْ مِنْهَا مَا كَانَ صَفُوءًا، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا سَمَلَةٌ كَسَمَلَةِ الْإِذَاوَةِ، أَوْ جُرْعَةٌ كَجُرْعَةِ الْمَقْلَةِ،
لَوْ تَمَرَزَهَا الصُّدَيَّانُ لَمْ يَنْقَعْ، فَأَزْمَعُوا عِبَادَ اللَّهِ الرَّحِيلَ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ الْمَقْدُورِ عَلَى أَهْلِهَا
الرِّوَالِ، وَلَا يَغْلِيَنَّكُمْ فِيهَا الْأَمَلُ وَلَا يَطْوِلَنَّ عَلَيْكُمْ الْأَمَدُ، فَوَاللَّهِ لَوْ حَسَنْتُمْ حَيْنَ الْوَلَةِ
الْعِجَالِ، وَدَعَوْتُمْ بِهَدِيلِ الْحَمَامِ، وَجَارْتُمْ جُورَ مُتَبَتِّلِ الرَّهْبَانِ، وَخَرَجْتُمْ إِلَى اللَّهِ مِنْ
الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ، الَّتِي مَسَّ الْقُرْبَةَ إِلَيْهِ فِي أَرْتِفَاعِ دَرَجَةٍ عِنْدَهُ، أَوْ غُفْرَانَ سَيِّئَةٍ أَحْصَتْهَا
كُتُبُهُ، وَحَفِظَهَا رُسُلُهُ، لَكَانَ قَلِيلًا فِيمَا أَرْجُو لَكُمْ مِنْ ثَوَابِهِ، وَأَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ عِقَابِهِ.
وَاللَّهُ لَوْ أَنَّمَا تَقْلُوبُكُمْ أَنْمِيَانًا، وَسَأَلْتُمْ عُيُونُكُمْ، مِنْ رَغْبَةٍ إِلَيْهِ أَوْ رَهْبَةٍ مِنْهُ دَمًا، ثُمَّ
عُمِّرْتُمْ فِي الدُّنْيَا مَا الدُّنْيَا بِأَقْيَمَةَ، مَا حَزَّتْ أَعْمَالُكُمْ، وَلَوْ لَمْ تُبْقُوا شَيْئًا مِنْ جُهْدِكُمْ، أَنْعَمَهُ
عَلَيْكُمْ الْعِظَامُ وَهَدَاهُ إِيَّاكُمْ لِلْإِيمَانِ.

مركز تكملة علوم راسدية

اقول: آذنت: اعلمت. وتنكر معروفها: تغير ما يأنس به كل احد منها ويعرفه و
تبدله وقتا فوقتا وحالا فحالا من صحة اوجاه او مال ونحوه. وحداء: خفيفة مسرعة
لا يدركها احد، واستعار لفظ الحفر وهو: السوق الحثيث ووصف الحداء لها باعتبار
سوقها لاهلها الى غايتهم منها وهو الموت، ومصاحبته لهم كالسائق والحادي. ومرارة ما
كان حلوًا منها وتكدير ما كان صفوًا بالقياس الى كل شخص من أهلها كالصحة
بالسقم، واللذة بالألم. والسملة بفتح الميم: البقية من الماء في الاناء. والمقلة بفتح الميم
وسكون القاف: حصاة يقسم بها الماء عند قلته يعرف بها مقدار ما يسقى كل شخص.
والتمرز: تمصص الماء قليلا قليلا. والصديان: العطشان. ونقع ينقع: سكن عطشه: وقد
شبه بقيتها ببقية الماء في الاناء، ونبه على وجه الشبه بقوله: لو تمرزها الصديان لم ينقع،

١ - في ش: واحد.

و كَتَى بِهِ: عن غاية قَلَّتْهَا، وَقَلَّةُ الْبَقَاءِ فِيهَا. وَالْإِزْمَاعُ: تَصْمِيمُ الْعِزْمِ وَالرَّحِيلِ عَنْهَا أَي: بِالسَّفَرِ إِلَى اللَّهِ. وَقَوْلُهُ: فَوَاللَّهِ، إِلَى قَوْلِهِ: عِقَابُهُ: تَنْبِيهُ عَلَى عَظِيمِ ثَوَابِ اللَّهِ وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَرْجَى مِنْهُ، وَعَلَى عَظِيمِ عِقَابِهِ، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَخَافَ مِنْهُ.

وَالْوَلَّهَ الْعَجَالَ جَمَعَ وَإِلَيْهِ، وَعَجُولٌ، وَهُمَا: مِنَ الْأَبْلِ وَالنُّوقِ الَّتِي تَفْقَدُ أَوْلَادَهَا. وَهُدِيلُ الْحَمَامَةِ: نُوحُهَا. وَالْجَوَارُ: الصَّوْتُ الْمَرْتَفِعُ. وَالتَّبْتُلُ: الْإِنْقِطَاعُ إِلَى اللَّهِ بِالْإِخْلَاصِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ الَّذِي أَرْجُوهُ مِنْ ثَوَابِهِ لِلْمُتَقَرَّبِ إِلَيْهِ مِنْكُمْ أَكْثَرَ مِمَّا يَتَصَوَّرُهُ الْمُتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِتَقَرُّبِهِ بِجَمِيعِ أَسْبَابِ الْقُرْبَةِ. وَالَّذِي أَخَافُهُ مِنْ عِقَابِهِ أَكْثَرَ مِنَ الْعِقَابِ الَّذِي يَتَوَهَّمُ أَنَّهُ يَدْفَعُهُ عَنْ نَفْسِهِ بِذَلِكَ، فَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الزِّيَادَةِ فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ يَخْلُصَ بِكُلِّيَّتِهِ فِي التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ، لِيَصِلَ إِلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِمَّا يَتَوَهَّمُ أَنَّهُ يَصِلُ إِلَيْهِ مِنَ الْمَنْزِلَةِ عِنْدَهُ.

وَيَنْبَغِي لِلْهَارِبِ إِلَيْهِ مِنْ ذَنْبِهِ أَنْ يَخْلُصَ فِي الْفِرَارِ إِلَيْهِ لِيَخْلُصَ مِنْ هَوْلِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِمَّا يَتَوَهَّمُ أَنَّهُ يَدْفَعُهُ عَنْ نَفْسِهِ بِوَسِيلَةٍ، فَإِنَّ الْأَمْرَ فِيمَا يَرْجَى وَيَخَافُ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ أَعْظَمُ مِمَّا يَتَصَوَّرُهُ عَقُولُ الْبَشَرِ مَا دَامَتْ فِي عَالَمِ الْغُرْبَةِ. وَقَوْلُهُ: وَتَاللَّهِ، إِلَى آخِرِهِ. تَنْبِيهُ عَلَى عَظَمَةِ نِعْمَتِهِ تَعَالَى عَلَى الْخَلْقِ، وَأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ جَزَاؤُهَا بِأَبْلَغِ السَّعْيِ. وَإِنْ مَاتَتْ قُلُوبُكُمْ: ذَابَتْ خَوْفًا مِنْهُ. وَالغَمَّةُ: مَفْعُولُ جَزَتْ، وَهُدَاهُ فِي مَحَلِّ النِّصْبِ عَطْفًا عَلَيْهِ، وَافْرَدَ الْهُدَى بِالذِّكْرِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَنْعَمِ اللَّهِ لَشَرْقِهِ أَذْهُوَ الْمَقْصُودُ مِنْ كُلِّ نِعْمَةٍ أَفَاضَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ.

٥٢ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

مِنْهَا فِي ذِكْرِ يَوْمِ النُّحْرِ وَصِفَةِ الْأُضْحِيَّةِ

وَمِنْ كَمَالِ الْأُضْحِيَّةِ اسْتِشْرَافُ أُذُنِهَا، وَسَلَامَةٌ عَيْنِهَا، فَإِذَا سَلِمَتِ الْأُذُنُ وَالْعَيْنُ سَلِمَتِ الْأُضْحِيَّةُ وَتَمَّتْ، وَلَوْ كَانَتْ عَضْبَاءَ الْقَرْنِ تَجُرُّ رِجْلَهَا إِلَى الْمُنْسَكِ.

أقول: استشراف أذنها: طولها، وكنى به عن: سلامتها من القطع أو نقصان الخلقة.

١- في ش بزيادة: أنه يصل إليه.

والعضباء: مكسورة القرن الداخل. و كنى بجرّ رجلها عن: عرجها. والمنسك: موضع النسك، والتقرّب بذبحها.

واعلم أنّ المعترف فيها سلامتها عما ينقص قيمتها، و ظاهر أنّ العمى، والعور، والهزال، و قطع الاذن تشويه لخلقها، و نقصان في قيمتها، دون العرج و كسر القرن، و في فضلها قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (ما من عمل يوم النحر أحبّ الى الله عزّ وجل من اراقة دم، و أنّها لتأتى يوم القيامة بقرونها واطلافها، و أنّ الدم ليقع من الله بمكان قبل ان يقع الى الارض فطيبوا بها نفساً).

فكانت الصحابة رضى الله عنهم يببالغون في اثمان الهدى والاضاحى، و افضلها: أعلاها ثمننا، و انفسها عند اهلها. روى أنّ عمر أهدى نجبية فطلبت منه بثلاثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وآله، أن يبيعها ويشترى بثمنها بدنأ، فنهاه عن ذلك، و قال: بل اهدها. و سرّ ذلك أنّ المقصود تطهير النفس و تزكيتها عن رذيلة البخل، و تزيينها بجمال التعظيم لله تعالى (لن ينال الله لحومها و لادماؤها و لكن يناله التقوى منكم)^١ و ذلك بمراعاة النفاسة في القيمة، لا كثرة العدد واللحم فليس الغرض ذلك.

٥٣- وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَتَدَاكُوا عَلَيَّ تَدَاكَ الْإِبِلِ الْهَيْمِ يَوْمَ وِرْدِهَا، قَدْ أُرْسَلَهَا رَاعِيهَا، وَخُلِعَتْ مَثَانِيهَا، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِي، أَوْ بَعْضُهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ، وَقَدْ قَلْبْتُ هَذَا الْأَمْرَ، بَطْنُهُ وَظَهْرُهُ، فَمَا وَجَدْتَنِي يَسْعُنِي إِلَّا قِتَالُهُمْ أَوِ الْجُحُودُ بِمَا جَاءَنِي بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ الْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ الْعِقَابِ، وَمَوَاتُ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوَاتِ الْآخِرَةِ.

اقول: الفصل اشارة الى صفة اصحابه بصفين لما طال منعه لهم، من قتال اهل الشام، و كان عليه السلام يتوقّف عن قتالهم انتظارا لانجذاب^٢ بعضهم الى الحق الذي

١ - سورة الحج / ٣٧.

٢ - في ش: لفي.

هو الغرض الكلى للشارع. والمداكة: المزاحمة وشبه زحامهم عليه حينئذ بزحام الابل، وهي: العطاش حين يطلقها رعاتها من مشانيتها يوم ورودها ووجه الشبه شدة الزحام. والمثاني جمع مثناة وهي: الحبل يثنى ويعقل به البعير. وقوله: وقد قلبت، الى قوله: أهون: كناية عن تقليبه لوجوه الاراء المصلحية فى القتال، وتركه والكفر اللازم عن تركه لاستلزام تركه التهاون بأمر الله ورسوله بقتال اهل البغى، والعقاب هو اللازم عن ذلك الكفر فى الآخرة. وموتات الدنيا: كناية عن شدائد الحرب، وقيل: الاقرباء والاحباء، وموتات الآخرة كناية عن تكرر عذابها ودوامه.

٥٤ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقد استبطأ أصحابه إذنه لهم فى القتال بصفين

أَمَّا قَوْلُكُمْ: أَكُلُّ ذَلِكَ كَرَاهِيَةَ الْمَوْتِ؟ فَوَاللَّهِ مَا أَبَالِي أَدَخَلْتُ إِلَى الْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ. وَأَمَّا قَوْلُكُمْ شَكًّا فِي أَهْلِ الشَّامِ! فَوَاللَّهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْمًا إِلَّا وَأَنَا أَظْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتِدِيَ بِي، وَتَعُشُرَ إِلَى صُورِي، وَذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلَالِهَا؛ وَإِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِآثَامِهَا.

اقول: هذا الفصل كالأذى قبله، وسببه لما طال منعه لهم عن قتال اهل الشام الحوًا عليه فى ذلك حتى نسبه بعضهم الى العجز وكرهية الموت. وبعضهم الى الشك فى وجوب قتالهم، فأورد سؤال الاولين واجاب عنه، بقوله: فوالله، الى قوله: الى. وأورد السؤال الثانى، وأجاب عنه بقوله: فوالله ما دفعت الى آخره. وعشا الى النار: استدلت عليها بصر ضعيف. وباء بآثامه: رجع به. وقوله: احب خبر مبتداء محذوف اى: وذلك احب. لك

٥٥ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاؤَنَا وَأَخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا: مَا

يَزِيدُنَا ذَٰلِكَ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا وَعَلَى اللَّقْمِ، وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ الْأَلَمِ، وَجِدَافِي جِهَادِ
 الْعَدُوِّ. وَ لَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَالْآخِرُ مِنَّا وَعَدُوْنَا يَتَصَاوَلَانِ تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ، يَتَخَالَسَانِ
 أَنْفُسَهُمَا، أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمَثُونِ: فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُوْنَا، وَمَرَّةً لِعَدُوْنَا مِنَّا، فَلَمَّا
 رَأَى اللَّهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بَعْدُوْنَا الْكَبْتَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ، حَتَّى اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ مُلْقِيًا جِرَانَهُ،
 وَمُتَبَوِّئًا أَوْطَانَهُ. وَلَعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ، وَلَا أَخْضَرَ لِلْإِيمَانِ عُودٌ،
 وَأَيُّمُ اللَّهِ لَتَحْتَلِبُنَّهَا دَمًا وَلَتَشْبَعُنَّهَا نَدْمًا.

اقول : صدر الفصل بيان صنع الصحابة رضى الله عنهم فى الجهاد، ليقتدى بهم
 السامعون فى ذلك . واللقم : منهج الطريق الى الله تعالى . ويتصاولان : يحمل كل منهما
 على الآخر مرة . والكبت : الاذلال . وكنى بالقاء جرانه : عن استقراره وثباته، وجران
 البعير : مقدم عنقه من مذبحه الى منحره . وتبوأ وطنه : استقر فيه ، واستعار لفظ الاوطان :
 لقلوب المؤمنين وبلادهم . ولفظ العمود : لاصل الدين . ووصف اخضرار العود : لنضارته
 فى القلوب ، ووصف احتلاب الدم لأفعالهم : ملاحظة لشبهها بالثاقة التى اصيب ضرعها
 بتفريط من صاحبها . وبالله التوفيق .

٥٦ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَصْحَابِهِ

أَمَّا إِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحِبُ الْبُلُغُومِ، مُنْدَحِقُ الْبَطْنِ، يَأْكُلُ مَا يَجِدُ وَ
 يَطْلُبُ مَا لَا يَجِدُ، فَاقْتُلُوهُ؛ وَلَنْ تَقْتُلُوهُ إِلَّا وَإِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِيٍّ وَالْبَرَاءَةَ مِنِّي: أَمَّا السَّبُّ
 فَسُبُونِي؛ فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ، وَلَكُمْ نَجَاةٌ؛ وَأَمَّا الْبَرَاءَةُ فَلَا تَتَّبِرُوا مِنِّي؛ فَإِنِّي وُلِدْتُ
 عَلَى الْفِطْرَةِ، وَسَبَقْتُ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْهَجْرَةِ.

اقول : الخطاب لاهل الكوفة قال اكثر الشارحين : المراد بالرجل معاوية لانه كان
 بطيئاً كثير الأكل . والمندحق : البارز . وروى انه كان يأكل الى ان يمل ويقول : ارفعوا

فوالله ما شبت و لكن مللت و تعبت، و كان ذلك بدعاء من رسول الله صلى الله عليه وآله سبق عليه^١. روى أنه بعث اليه مرة فوجدوه يأكل، فبعث إليه ثانية و ثالثة فوجدوه كذلك فقال صلى الله عليه وآله: اللهم لا تُشبع بطنه، و لبعضهم فى وصف آخر بالأكل فقال: و صاحب لى بطنه كالهواية كسأن فنى أمعائه معاوية و قيل: هو زياد بن ابيه، و قيل: هو الحجاج. و رخص عليه السلام فى سبه عند الاكراه، و لم يرخص فى البراءة منه لأن السب فعل اللسان، و هو امر يمكن ايقاعه دون اعتقاده مع احتمال التعريض. و اما التبري فليس بصفة قولية فقط بل يعود الى المجانبة القلبية وهو المتهيب عنه، اذ هو امر باطن يمكن الانتهاء عنه، و لا يلحق بسببه ضرر. فاما ان السب له زكاة فللحديث: ان ذكر المؤمن بسوء هو زكاة له، و ذقه بما ليس فيه زيادة فى جاهه و شرفه. و الذى بدأ بسبه معاوية و قطعه عمر بن عبدالعزيز^٢، و فيه يقول السيد الرضى رحمه الله من قطعة له:

يا ابن عبدالعزيز لو بكت العيب من فتى من امية لبكىتك
 انت نزهتنا عن الشتم والسب و لو كنت مجزيا لجزيتك
 غير انى اقول انك قد طببت و ان لم يطب و لم يزك بيتك^٣
 و الفطرة فطرة الله التى فطر الناس عليها سليما من التدنس بالعقائد الباطلة، و عبادة غير الله و سبقه الى الاسلام سبقه الى الدخول فى طاعة الرسول صلى الله عليه وآله و ملازمته له و هجرته معه.

٥٧ - و مِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كَلِمٌ بِهِ الْخَوَارِجُ

أَصَابَتْكُمْ حَاصِبٌ، وَلَا بَقِيَ مِنْكُمْ آبِرٌ أَبَعَدَ إِيْمَانِي بِاللَّهِ وَ جِهَادِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ أَشْهَدُ

١ - الغدير ١٠/١٤٢. خصائص امير المؤمنين؛ للحافظ النسائي / المقدمة.

٢ - الغدير ١٠/٢٥٧ - ٢٧٢ لعن معاوية و عماله عليا عليه السلام.

٣ - ديوان الشريف الرضى ١/١٦٩.

عَلَى نَفْسِي بِالْكَفْرِ؟ لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ! فَأَوْبُوا شَرَّمَا ب، وَارْجِعُوا عَلَي
أَثْرَ الْأَعْقَابِ، أَمَا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي دُلًّا شَامِلًا وَسَيْفًا قَاطِعًا وَأَثْرَةً يَتَّخِذُهَا الظَّالِمُونَ
فِيكُمْ سُنَّةً.

(قال الشريف: قوله عليه السلام «ولابقى منكم آبر» يروى بالباء والراء من قولهم
للذي يأبر النخل- أي: يصلحه- ويروى «آثر» وهو الذي يأثر الحديث، أي: يرويه
ويحكيه، وهو أصح الوجوه عندي، كأنه عليه السلام قال: لابقى منكم مخبر. ويروى
«آبز»- بالزاي المعجمه- وهو الواثب، والهالك أيضاً يقال له آبز)

أقول: السبب أنه لما كتب عهد الصلح بينه وبين أهل الشام، اعتزلت الخوارج و
تنادوا من كل جانب لاحكم الآلهة. الحكم لله يا علي لالك إن الله قد أمضى حكمه في
معاوية وأصحابه إن دخلوا تحت حكمنا، وقد كنا زلنا وأخطأنا حين رضينا بالتحكيم،
وقد بان زلنا وأخطأنا ورجعنا إلى الله وتبنا، فأرجع أنت كما رجعنا وتب إليه كما تبنا.
وقال بعضهم: أنك أخطأت فاشهد على نفسك بالكفر ثم تب منه حتى نطيعك. فأجابهم
عليه السلام بهذا الكلام.

والحاصب: ريح ترمى بالحصباء، وهي صغار الحصى. ودعاؤه عليه السلام ظاهر.
والآثر: الاستبداد، والذي لقوه من الذل، والقتل على يده، ويد من بعده كالمهلب و
أولاده، والحجاج وغيرهم. واستبداد الولاة بعده بمال المسلمين يصدق ما أخبرهم به
عليه السلام.

٥٨ - وقال عليه السلام

لما عزم على حرب الخوارج وقيل له: إنهم قد عبروا جسر النهر وان

مَصَارِعُهُمْ دُونَ النَّظْفَةِ، وَاللَّهِ لَا يُفْلِتُ مِنْهُمْ عَشْرَةٌ، وَلَا يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشْرَةٌ.

١ - هذه الكلمة ساقطة في نسخة ش.

(قال الشريف: يعنى بالنظفه ماء النهر، وهو أفصح، كناية وان كان كثيراً جمًّا) وقد
أشرنا الى ذلك فيما تقدم عند مضي ما أشبهه.

اقول: خلاصة الخبر انه عليه السلام جاءه رجل من اصحابه، فقال: البشرى يا
امير المؤمنين ان القوم قد عبروا النهر لما بلغهم وصولك، فقال: الله أنت رأيتهم قد عبروا؟
فقال: نعم، فقال عليه السلام: والله ما عبروه ولن يعبروه وان مصارعهم الفصل. ثم سارا
عليه السلام اليهم فوجدهم قد كسروا جفون سيوفهم، وعرقبوا دوابهم، وحبوا على الركب،
وحكموا تحكيمة واحدة بصوت عظيم له زجل، فلما قتلهم كان المفلت منهم تسعة،
والمقتول من اصحابه ثمانية. والحكمان من كراماته عليه السلام.

وقال عليه السلام:

لما قتل الخوارج قيل له: يا امير المؤمنين، هلك القوم باجمعهم

كَلَّا وَاللَّهِ إِنَّهُمْ نُظِفُّ فِي أَضْلَابِ الرَّجَالِ وَقَرَارَاتِ النِّسَاءِ، كَلَّمَا نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ
قُطِعَ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ لُصُوصًا سَلَابِيْنَ.

اقول: أشار بذلك الى من سيوجد منهم، وكنى بالقرارات: عن الأرحام، واستعار
لفظ القرن: لمن يظهر من رؤسائهم، ورشح بذكر النجوم وكنى بقطعه (عن قبله)^٢ و
جعل لتراذلهم غاية وهى كون آخرهم قطاعا للطريق وذلك كشيب، وقطرى بن فجة،
وغيرهما، و اخبارهم يشهد بصدقه عليه السلام.

وقال عليه السلام:

لَا تَقْتُلُوا الْخَوَارِجَ بَعْدِي، فَلَيْسَ مَنْ ظَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ كَمَنْ ظَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ

١- في ش: اشار

٢- عن قبله. غير موجود في ش.

(يعنى معاوية وأصحابه).

قال السيد رحمه الله يعنى : لمن ادركه معاوية واصحابه.

اقول: الفرق بينهم، وبين معاوية، ان القوم طلبوا الحق بالذات فوقوا فى الباطل بالعرض، ومعاوية طلب الباطل بالذات فى صورة تشبه الحق، وانما نهى عن قتلهم بعده على تقدير ان يلزموا حدودهم، ويكفوا عن العبث والفساد فى الأصل. وقيل انما قتلهم لانه امام عادل رأى وجوب قتالهم، وانما نهى عنه ذلك بعده لانه علم انه لا يلى هذا الأمر بعده من له بحكم الشريعة ان يقتل، أو يتولى امر الحدود ويضعها مواضعها.

٥٩- وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَمَّا خُوفَ مِنَ الْغَيْلَةِ

وَإِنَّ عَلِيَّ مِنَ اللَّهِ جُنَّةً حَصِينَةً، فَإِذَا جَاءَ يَوْمِي أَنْفَرَجْتُ عَنِّي وَأَسْلَمْتَنِي فَجِيئْتِي لَا يَطِيشُ السَّهْمُ، وَلَا يَبْرَأُ الْكَلْمُ.

مركز تحقيقات كويتى علوم اسلامية

اقول: الغيلة: الفتك^١ على غرة، وقد كان عليه السلام خوف من قبل عبدالرحمن بن ملجم لعنه الله مرارا كما نبهنا عليه فى الاصل^٢ واستعمار لفظ الجئة وهى الترس ونحوه، لمدة أجله المعلوم لله تعالى، ووصف الانفراج لا نقضائها، ولفظ السهم: لأسباب الموت، وكنى بعدم طيشه عن أصابته.

٦٠- وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ لَا يُسَلَمُ مِنْهَا إِلَّا فِيهَا، وَلَا يُنْجَى بِشَيْءٍ كَانَ لَهَا: أَبْتُلِيَ النَّاسُ بِهَا فِتْنَةً فَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لَهَا أُخْرِجُوا مِنْهُ، وَحُوسِبُوا عَلَيْهِ وَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لِغَيْرِهَا قَدِمُوا عَلَيْهِ

١- فى نسخة ش: القتل.

٢- الشرح الكبير لابن ميثم ١٥٦/٢.

وَأَقَامُوا فِيهِ، فَإِنَّهَا عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ كَفَىٰ عِ الظَّلَّ: بَيْنَا تَرَاهُ سَابِغًا حَتَّى قَلَصَ، وَزَائِدًا حَتَّى نَقَصَ.

أقول: لا يسلم منها إلا فيها أي: لا يسلم من عذاب الله عليها في الآخرة إلا بما فعل فيها من الأعمال الصالحات، والذي يكون لها هو ما يقتنى منها للإستمتاع به، والإلتذاذ بنفعه لأنه هو دون الوصول به الى الآخرة، وظاهر أن ذلك لا يكون به نجاة في الآخرة، والابتلاء بها اختبار المطيع من العاصي، وليس المراد منه أن الله تعالى لا يعلم ما تؤول اليه أحوال العباد، لأنه يعلم السر وأخفى، بل لما كانت الشرائع الإلهية جاذبة للخلق عنها الى الغاية التي خلقوا لها، وكانت محاضر لذاتها جاذبة لهم بحسب نفوسهم الأمانة اليها، فمن اطاع داعي الله وصوارفه عنها فاز فوزا عظيما، ومن أتبع هواه بغير هدى من الله خسر خسرانا مبينا، أشبه ذلك صورة ابتلاء من الله لخلقه بها فاستعير لذلك، وصف الابتلاء، و لفظ الفتنة و ما أخذ منها غيرها هو ما يقصد به وجه الله والدار الآخرة من مال يتصدق ويصرف في سبيل الله، أو جاه أو عمل لله، وليس ما يقدمون عليه في الآخرة هو عين ما أخذ من الدنيا، بل ثمرته من ثواب الله ومتاع الآخرة، وشبهها في شرعة زوالها عند ذوى العقول الناظرين اليها، باعين بصائرهم بفيء الظل، وأشار الى وجه الشبه، بقوله: بينا الى آخره.

و اصل بينابين بمعنى: الوسيط فاشبعت الفتحة فحدثت ألف، وقد تزداد فيها ما، والمعنى واحد. و قلص: نقص. وباللغة التوفيق.

٦١ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

وَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، وَأَبْتَاغُوا مَا يَبْقَى لَكُمْ بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ، وَتَرَحَّلُوا فَقَدْ جُدَّ بِكُمْ، وَاسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظْلَكُمْ، وَكُونُوا قَوْمًا صِيحَ بِهِمْ فَاثْبَتُوا، وَعَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بَدَارٌ فَاسْتَبَدُّوا فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا، وَ لَمْ يَتْرِكْكُمْ سُدًى، وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ، وَإِنَّ غَايَةَ

تَنْقُضُهَا اللَّحْظَةُ وَتَهْدِمُهَا السَّاعَةُ لَجْدِيرَةٍ بِقِصْرِ الْمُدَّةِ، وَإِنْ غَايِبًا يَحْدُوهُ الْجَدِيدَانِ - اللَّيْلُ
وَالنَّهَارُ - لَحَرَى بِسُرْعَةِ الْأُوبَةِ، وَإِنْ قَادِمًا يَتَقَدَّمُ بِالْفَوْزِ وَالشَّقْوَةِ، لِمُسْتَحِقِّ لِأَفْضَلِ الْعُدَّةِ
فَتَرَوُّدُوا فِي الدُّنْيَا، مِنَ الدُّنْيَا، مَا تُحْرَزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا فَاتَّقَى عَبْدُ رَبِّهِ نَصَحَ نَفْسَهُ، وَقَدَّمَ
تَوْبَتَهُ، وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ فَإِنَّ أَجَلَهُ مَسْتُورٌ عَنْهُ، وَأَمَلُهُ خَادِعٌ لَهُ، وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ: يُزَيِّنُ لَهُ
الْمَعْصِيَةَ لِيُرَكِّبَهَا وَيُمَتِّيهِ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا حَتَّى تَهْجُمَ مَنِئَتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا، فَيَأْتِيهَا
حَسْرَةٌ عَلَى ذِي غَفْلَةٍ أَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً، وَأَنْ تُؤَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى شِقْوَةٍ، نَسَأَ اللَّهُ
سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ، وَلَا تُقْصِرُهُ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةٌ، وَلَا تَحِلُّ
بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَدَامَةٌ وَلَا كَابَةٌ.

اقول: مبادرة الأجال: مسابقتها بالأعمال الصالحة، وما يبقى لهم هو الثواب
الموعود في الآخرة، وما يزول عنهم هو الدنيا ومتاعها. واستعار وصف الابتاع: لبذل
الدنيا الفانية في تحصيل الخيرات الآخروية الباقية، وذلك بالزهد فيها، والخروج عنها،
وأشار بالترحل: إلى السفر في سبيل الله إليه وبالجدبهم إلى شدة سير الليل والنهار في
هدم الأعمار، والاستعداد للموت: التسليح له بالكمالات النفسانية التي لا يضر معها
موت البدن. واطللكم: اشرف عليكم. وقوله: كونوا قوما صيح بهم فانتبهوا: تنبيه على
وجوب اجابة الداعي إلى الله وهو لسان الشريعة والانتباه بنداثة من نوم الغفلة ومراقدة
الطبيعة. وسدى: مهمل، وكنى بالغاية عن: الأجل وأراد بالغائب: الانسان مادام
في الدنيا، اذ كان في دارالغربة عن مستقره الاصلى وبحسب قصر مدة غيبته يكون سرعة
أوبته. وقيل: اراد به ملك الموت، وكذلك اراد بالقادم: الانسان، وما يزود من الدنيا
فيها: التقوى، والاعمال الصالحة، وهى الحرز من عذاب الله. وقوله: فاتقى، إلى قوله:
شهوته: اوامر وردت بلفظ الماضى وهى بلاغة تريك المعنى فى أحسن صورته،
ونصيحة النفس النظر فى مصلحتها باتخاذ الزاد الأبقى، وهو التقوى ومن جملتها
تقديم التوبة و غلب الشهوة.

ونبه على وجوب ذلك بضمير صغراه قوله: فإنَّ أجله، إلى قوله: عنها، وتقدير كبراه
وكل ما كان كذلك فواجب ان ينصح نفسه بلزوم اوامر الله تعالى، والتسوية التماضى

في الأمر وأصله قول الرجل: سوف افعل، واغفل نصب على الحال. وحسرة نصب على التمييز للمتعجب منه المدعو، واللام في «لها» قيل: للاستغاثة كأنه قال يا للحسرة على الغافلين ما اكثرك. وقيل: لام الجر فتحت لدخولها على الضمير المنادى المحذوف، أي: يا قوم ادعوكم لها حسرة، وان في موضع النصب بحذف الجار أي: على كون اعمارهم حجة عليهم يوم القيامة.

٦٢ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَسْبِقْ لَهُ حَالٌ حَالًا، فَيَكُونُ أَوْلًا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ آخِرًا، وَيَكُونُ ظَاهِرًا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ بَاطِنًا، كُلُّ مُسَمًّى بِالْوَحْدَةِ غَيْرُهُ قَلِيلٌ، وَكُلُّ عَزِيزٍ غَيْرُهُ ذَلِيلٌ، وَكُلُّ قَوِيٍّ غَيْرُهُ ضَعِيفٌ، وَكُلُّ مَالِكٍ غَيْرُهُ مَمْلُوكٌ، وَكُلُّ عَالِمٍ غَيْرُهُ مُتَعَلِّمٌ، وَكُلُّ قَادِرٍ غَيْرُهُ يَقْدِرُ وَيَعْجِزُ، وَكُلُّ سَمِيعٍ غَيْرُهُ يَصْمُ عَنْ لَطِيفِ الْأَصْوَاتِ، وَيُصِمُّهُ كَبِيرُهَا، وَيَذْهَبُ عَنْهُ مَا بَعْدَ مِنْهَا، وَكُلُّ بَصِيرٍ غَيْرُهُ يَغْمَى عَنْ خَفِيِّ الْأَلْوَانِ وَلَطِيفِ الْأَجْسَامِ، وَكُلُّ ظَاهِرٍ غَيْرُهُ غَيْرِ بَاطِنٍ، وَكُلُّ بَاطِنٍ غَيْرُهُ غَيْرِ ظَاهِرٍ، لَمْ يَخْلُقْ مَا خَلَقَهُ لِتَشْدِيدِ سُلْطَانِ، وَلَا تَخَوُّفٍ مِنْ عَوَاقِبِ زَمَانٍ، وَلَا أَسْتِعَانَةٍ عَلَى نِدِّ مَثَاوِرٍ، وَلَا شَرِيكِ مُكَابِرٍ، وَلَا ضِدِّ مُتَافِرٍ، وَلَكِنْ خَلَائِقُ مَرْبُوبُونَ، وَعِبَادٌ دَاخِرُونَ، لَمْ يَخْلُقْ فِي الْأَشْيَاءِ فَيَقَالَ هُوَ فِيهَا كَائِنٌ، وَلَمْ يَتَأَنَّ عَنْهَا فَيَقَالَ هُوَ مِنْهَا بَائِنٌ لَمْ يُوَدِّهِ خَلْقٌ مَا أَبْتَدَأَ وَلَا تَدَبَّرُ مَا ذَرَأَ، وَلَا وَقَفَ بِهِ عَجْزٌ عَمَّا خَلَقَ، وَلَا وَجَعَتْ عَلَيْهِ شُبُهَةٌ فِيمَا قَضَى وَقَدَّرَ. بَلْ قَضَاءٌ مُتَقَنَّ، وَعِلْمٌ مُحْكَمٌ، وَأَمْرٌ مُبْرَمٌ: الْمَأْمُوكُ مَعَ الثَّقَمِ، وَالْمَرْهُوبُ مَعَ التَّعَمِ.

اقول: لما ثبت ان السبق والقبلية، والتأخر والبعدية، من لواحق الزمان لذاته ومن لواحق الزمانيات بواسطته و كان تعالى منزهاً عن لحوق الزمان في ذاته، و كمال صفاته لا جرم لم يلحقه شئ من اعتبار القبلية والبعدية فلم يجر ان يقال مثلا كونه عالماً قبل كونه قادراً، ولا كونه حياً قبل كونه عالماً، بقى أن يقال ان القبلية والبعدية قد يطلقان باعتبار آخر كالقبلية بالشرف، والفضيلة، والذات، والعلية لكن قد بينا في الخطبة الاولى ان كل

ما يلحق ذاته المقدسة من الصفات اعتبارات ذهنية تحدثها العقول، عند مقايسته الى مخلوقاته ولا سبق لشيء منها على الآخر، بالنظر الى ذاته المقدسة والآ لكانت كمالات قابلة للزيادة والنقصان، وبعضها علة للبعض واشرف، وبعضها معلول بعض وانقص بالنظر الى ذاته وذلك من لواحق الامكان هذا خلف، وذلك سرّ قوله عليه السلام: الذي لم يسبق له حال حالاً: الى قوله: باطنا، بل معنى اوليته هو اعتبارنا كونه تعالى مبدأ لكل موجود، وآخريته هو اعتبارنا لكونه غاية لكل ممكن او استحقاقه البقاء لذاته، واستحقاق غيره له ببقائه تعالى وهذه الاعتبارات بالنظر الى ذاته تعالى على سواء.

وقوله: كل مسمى بالوحدة غيره قليل، يريد: أنه لا يوصف بالقلّة و ان كان واحداً و ذلك أنّ الواحد يقال لمعان، والمشهور منها هو: كون الشيء مبدأ لكثرة يكون عاداً لها ومكياً، وهو الذي تلحقه القلّة والكثرة الاضافيتين، فإنّ كلّ واحد بهذا المعنى قليل بالتسبة الى الكثرة التي يصلح ان يكون مبدأ لها، والمتصوّر لاكثر الناس كونه تعالى واحداً بهذا المعنى، فلذلك نزهه عليه السلام عنه بذكر لازمه وهو القليل لظهور بطلان هذا اللازم في حقه تعالى، واستلزام بطلانه بطلان الملزوم المذكور، وذلة الاعزاء غيره لدخولهم تحت الحاجة اليه، وضعف كلّ قوتي غيره لدخوله تحت قهر قدرته التامة، ومملوكية كلّ مالك غيره لدخوله تحت الملك المطلق الذي تنفذ مشيئة مالكة في جميع الموجودات باستحقاق دون غيره، وتعلم كل عالم غيره لكون كل عالم مستفاداً من فيض جوده، وهو العالم المطلق الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماوات ولا في الارض، وعجز غيره عن بعض الاشياء يشهد بكمال قدرته، وانها مبدأ قدرة كل قادر. وكونه تعالى سميّاً يعود الى علمه تعالى بالمسموعات لتنزّهه عن الآلة التي من شأنها أن تصم، لأن ادراكها للصوت على قرب وبعد، وحدّ من القوّة والضعف مخصوص فانه ان كان الصوت ضعيفاً جداً او بعيداً جداً لم يصل الى الصماخ فلم تدركه القوّة السامعة، فلذلك كانت تصمه عن لطيف الاصوات، ويذهب عن السامع ما بعد منها وان كان في غاية من القوّة والقرب، فربما اشتدّ قرعه للصماخ فتفرق اتصال الروح الحامل لقوة السمع عنه، بحيث يبطل استعدادها لتأدية الصوت ويحدث الصمم فلذلك قال: ويصمه كبيرها. وبحسب تنزهه تعالى عن هذه الآلة لم يعزب عنه ما خفى من الاصوات ولم يذهب عليه

ما بعد منها، ولم تلحقه لواحقها من الصمم والنقصان، و خفى الألوان مثلا كاللون في الظلمة.

واللطيف قد يراد به: عديم اللون كالهواء، وقد يراد به رقيق القوام كالذرة وهو غير مدرك بالمعنيين للحيوان، و اطلق اسم العمى: على عدم الابصار مجازا، و لما كان كونه تعالى بصيرا يعود إلى علمه بالمبصرات لم يعزب عنه شئ منها و ان خفى على غيره، و لطف و لم تلحقه من لواحق الآلات آفة، كالعمى و نحوه. و قوله: و كل ظاهر، الى قوله: غير ظاهر، يريد: انه تعالى هو المتفرد بالجمع بين وصفى البطون والظهور، دون غيره و قد بينا معناهما فى الأصل. و قوله: و لم يخلق، الى قوله: منافر: لأنه تعالى لا يفعل لغرض، و تشديد السلطان: تقويته. والتد: المثل. والمثاور: الموائب. و داخرون: ذليلون و برهان كونه تعالى غير حال في شئ، و لا مابين قد سبق فى الخطبة الاولى. و آده يؤده: اثقله اى لم يثقله تدبيره للاشياء على وجه الحكمة، و لم تعرض له شبهة فيما قضى اى: حكم به فى خلقه لتنزّه علمه عن عوارض القوى البشرية التى هى منشأ الشكوك والشبهات. و ولجت: دخلت. والمبرم: المحكم. و قوله: المأمول، الى قوله: النعم: ايماء الى تنزيهه تعالى عن حالة البشرية، فإن المنتقم من الناس حين انتقامه لا يكون مأمولا و حال نعمته لا يكون مرهوبا.

٦٣ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

كان يقوله لأصحابه فى بعض أيام صفين

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، اسْتَشْعِرُوا الْخَشْيَةَ، وَتَجَلَّبَبُوا السَّكِينَةَ، وَعَضُّوا عَلَى النَّوَاجِدِ، فَإِنَّهُ
أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ، وَأَكْمَلُوا اللَّامَةَ، وَقَلِّقُوا السُّيُوفَ فِي أَعْمَادِهَا قَبْلَ سَلِّهَا، وَالْحَظُّوْا
الْخَزْنَ وَأَطْعَمُوا الشَّرْنَ، وَنَافِخُوا بِالطُّبَا، وَصَلُّوا السُّيُوفَ بِالْخُطَا. وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ بَعَيْنَ اللَّهِ، وَ
مَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَعَاوِدُوا الْكُرَّ وَاسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِّ فَإِنَّهُ عَارٌ
فِي الْأَعْقَابِ، وَنَارَ يَوْمِ الْحِسَابِ، وَطَيَّبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْسًا وَآمَشُوا إِلَى الْمَوْتِ مَشْيًا
سُجْعًا، وَعَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ، وَالرَّوَاقِ الْمُطَنَّبِ، فَاضْرِبُوا ثَبَجَهُ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ

كَايْنٌ فِي كِسْرِهِ، قَدْ قَدَّمَ لِلْمَوْتِ يَدًا، وَأَخْرَجَ لِلشُّكُوصِ رِجْلًا، فَصَمَدًا صَمَدًا حَتَّى يَتَجَلَّى
لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ (وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ، وَاللَّهُ مَعَكُمْ، وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَغْمَالِكُمْ).

أقول: قد اشتملت هذه الأوامر على تعليم كيفية الحرب، وبدأ بالامر باستشعار
خشية الله اى: اتخاذاها شعارا، والشعار: ما يلى الجسد من الثياب واستعار وصف
تَجَلُّبِ السكينة: للتلبس بها كالجلباب وهى: الملحفة، وفائدته طرد الفشل وارهاب
العدو. والنواجذ: أقصى الاضرار وفائدة العَضْ عَلَيْهَا، نبوالسيف عن الهامة ليصلب
عضل الرأس ومقاومته حينئذ للضربة. واللامة بوزن فعلة: الدرع واكمالها بالبيضة
والسواعد، ويحتمل ان يراد بها جميع آلة الحرب والغرض شدة التحصن. وفائدة قلقلة
السيوف فى اغمادها. سهولة سلها: وقت الحاجة اليها. ولحظ الخزر: من امارات الغضب
والحمية، وفائدته اخذ الغرة من العدو. والشزر بسكون الزاء وهو: الطعن على غير استقامة
بل يمينا وشمالا، فائدته توسعة المجال للطاعن. والمنافحة بالضبي: التناول باطراف
السيوف وفائدته توسعة المجال ايضا، فان القرب من العدو تمنع من ذلك. وصلة السيوف
بالخطا، وفائدته ان السيف قد يكون قصيرا فيطول بالخطوة ومد اليد ولان فيه الاقدام على
العدو والزحف اليه، وذلك مما يوجب له الانفعال والتاخر، وفيه قول الشاعر:

اذا قصرت أسيافنا كان وصلها خطانا الى اعدائنا فنضارب

و كونهم بعين الله اى: بحيث يراهم، ويعلم ما يفعلون. وقوله: وطيبوا عن انفسكم
نفساً: تسهيل للموت عليهم بما يستلزمه من الثواب الاخروى. والنفس الاولى الشخص
الزائل بالموت، والنفس المنصوبة على التمييز المدبرة للبدن. وسمحا: سهلا. والسواد
الأعظم: جماعة اهل الشام. والرواق المطتب: مضرب كالفسطاط لمعاوية و كان يومئذ
فى مضرب عليه قبة عالية باطناب عظيمة، وحوله من اهل الشام مائة الف كانوا تعاهدوا
على ان لا يفرجوا عنه حتى يقتلوا. وثبجه: وسطه وأراد بكمون الشيطان فى كسره: كونه
مظنة الشيطان اذ ضرب على طاعته ومعصية الله. وقيل: استعار لفظه لمعاوية باعتبار
اغوائه للخلق، و كنى بقوله: قد قدم، الى قوله: اخرى: عن كونه مترددا فى أمره، وعلى
غير يقين فى قتاله، فهو فى مظنة ان يرجع ويهرب. و كسر البيت: جانبه. والصمد:

القصد اى: اقصدوا العدو قصداً حتى يتبين لكم ان الحق معكم بنصركم على عدوكم اذ الطالب لغير حقه سريع الانفعال قريب الفرار فى مقاومته، ولن يترككم اى: ينقصكم.

٦٤ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فى معنى الأنصار، قالوا: لما انتهت إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنباء السقيفة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. قال عليه السلام: ما قالت الأنصار؟ قالوا: قالت: متاً أمير ومنكم أمير، قال عليه السلام: فَهَلَّا أَحْتَجَّجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِيهِمْ، وَيُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئَتِهِمْ؟! قالوا: وما فى هذا من الحجة عليهم؟

فقال عليه السلام:

لَوْ كَانَتِ الْإِمَارَةُ فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ!!

مرکز تحقیق کتب و تفسیر علوم اسلامی

ثم قال عليه السلام:

فَمَاذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ؟ قالوا: احتجت بأنها شجرة الرسول صلى الله عليه وآله، فقال عليه السلام: أَحْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ، وَأَصَاعُوا الثَّمَرَةَ.

اقول: الأنباء التى بلغت، هى اخبار المشاجرة بين المهاجرين و الانصار فى الخلافة فى سقيفة بنى ساعدة، فاما ما اشار اليه عليه السلام من الوصية بالانصار فهو ما رواه مسلم و البخارى فى «مسنديهما» عن انس قال: مرّ ابوبكر، والعباس، بمجلس من مجالس الانصار وهم يبيكون فقالوا: ما يبكيكم؟ فقالوا: ذكرنا مجلس رسول الله «صلى الله عليه وآله» فدخلا على الرسول فاخبراه بذلك فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله معصباً على رأسه حاشية برد فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم فحمد الله و اثنى عليه ثم قال: اوصيكم بالانصار فانهم كرشى و عييتى، وقد قضاوا الذى عليهم وبقى الذى لهم،

فأقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئتهم. واستعار لفظ الشجرة لقريش: باعتبار أنهم اصل للرسول صلى الله عليه وآله^١، ولفظ الثمرة لنفسه، واهل بيته، فإنهم ثمرة النبوة في فضلهم، وكمال نفوسهم المقدسة. والكلام في صورة احتجاج له على قريش بمثل ما احتجوا به على الانصار، وتقديره أنهم ان كانوا احق بهذا الامر من الانصار لكونهم شجرة الرسول صلى الله عليه وآله، فنحن اولى لكوننا ثمرته، والثمرة هي: الغرض من الشجرة لكن الملزوم حق فاللازم مثله.

٦٥ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما قلد محمد بن أبي بكر مصر فملكته عليه وقتل رحمه الله

وَقَدْ أَرَدْتُ تَوَلِّيَةَ مِصْرَ هَاشِمِ بْنِ عُثْبَةَ، وَتَوَلَّيْتُهُ إِثَّاهَا لَمَّا خَلَى لَهُمُ الْعَرِضَةَ وَلَا أَنهَزَهُمُ الْفُرْصَةَ، بِلَا دَمٍ لِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، فَلَقَدْ كَانَ إِلَيَّ حَبِيبًا، وَكَانَ لِي رَبِيبًا. اقول: كان قتله رضى الله عنه بعد وقعة صفين، واضطراب الامر على علي عليه السلام، وطمع معاوية في البلاد وقتله عمرو بن العاص وحشا جثته في جوف حمار ميت وأحرقه^٢ فبلغه عليه السلام ذلك فجزع له حتى ظهر في وجهه. وقال: الفصل. وهاشم هو: ابن عتبة بن ابي وقاص، وكان من شيعة علي المخلصين في ولائه وقتل معه في صفين وكان رجلاً مجرباً. والنهز: الفرصة و اراد أنه لم يكن يمكنهم مما ارادوا، وكان محمد حبيباً اليه لتربيته في حجره صغيراً حين تزوج امه اسماء بنت عميس وكانت اولاً تحت جعفر بن ابي طالب وهاجرت معه الى الحبشة فولدت له عبدالله بن جعفر وقتل عنها يوم موته، فتزوجها ابوبكر فأولدها محمداً فلما مات عنها تزوجها علي عليه السلام فكان محمد ربيبه ونشأ علي ولائه منذ صغره فكان يقول عليه السلام: محمد ابني من ظهر ابي بكر^٣.

١ - في ش هكذا: اصل الرسول عليه الصلاة والسلام.

٢ - النجوم الزاهرة. الاصابة ٤٧٢/٣. الاستيعاب ٣٤٨/٣ - هامش الاصابة.

٣ - جامع الرواة ٤٥/٢. تنقيح المقال ٥٧/٢ حرف الميم.

٦٦ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فِي ذَمِّ اصْحَابِهِ

كَمْ أَذَارِيكُمْ كَمَا تُدَارَى الْبِكَارُ الْعِمْدَةُ، وَالثِّيَابُ الْمُتَدَاعِيَةُ! كَلَّمَا حِيصَتْ مِنْ جَانِبٍ تَهْتَكَتْ مِنْ آخَرَ؟ أَكَلَّمَا أَظَلَّ عَلَيْكُمْ مَنَسِيرٌ مِنْ مَنَاسِيرِ أَهْلِ الشَّامِ أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ، وَأَنْجَحَرَ أَنْجَحَارَ الضَّبَّةِ فِي جُحْرِهَا، وَالضَّبُعُ فِي وَجَارِهَا؟! الدَّلِيلُ وَاللَّهُ مَنْ نَصَرَ تُمُوهُ! وَمَنْ رُمِيَ بِكُمْ فَقَدْ رُمِيَ بِأَفْوَقِ نَاصِلٍ. وَإِنَّكُمْ، وَاللَّهِ، لَكَثِيرٌ فِي الْبَاحَاتِ قَلِيلٌ تَحْتَ الرَّايَاتِ، وَإِنِّي لَعَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ وَيُقِيمُ أَوْدَكُمْ، وَلَكِنِّي لَا أَرَى إِضْلَاحَكُمْ بِإِفْسَادِ نَفْسِي! أَضْرَعَ اللَّهُ خُدُودَكُمْ، وَأَتَعَسَ جُدُودَكُمْ، لَا تَعْرِفُونَ الْحَقَّ كَمَعْرِفَتِكُمُ الْبَاطِلَ، وَلَا تُبْطِلُونَ الْبَاطِلَ كَابْطَالِكُمُ الْحَقَّ.

اقول: الفصل في ذم اصحابه لتقاعدهم عن الحرب. والبكار: العمدة التي انشدخ باطن اسنمتها لثقل الحمل ويسمى ذلك العمدة، ووجه الشبه مداراتهم بمداراتها قوة المداراة وكثرتها. وخص البكار جمع بكرة: لانها اشد تضجراً بالحمل عند ذلك الداء، و اشار الى وجه شبهها بمدارة الثياب المتداعية، اي: المتتابعة في التمزق، بقوله: كلما حيصت الى قوله: آخر. و حيصت: خيطت و جمعت، اي: كلما اصلح حال بعضهم، وجمعهم للحرب فسد بعض آخر عليه، وتفرق عنه. و اظل: أشرف. و المنسر بفتح الميم، وكسر السين، وبالعكس: القطعة من الجيش من المائة الى المائتين. والوجار: بيت الضبيع. والأفوق الناصل: السهم لا فوق له ولا نصل ويتمثل به في الاستعانة بمن لا عناء فيه. والباحة: ساحة الدار. والأود: الاعوجاج، و اراد بما يصلحهم و يقيم اعوجاجهم كالضرب والقتل، و ان كان على غير وجه شرعى كما يفعل الملوك .

وقوله: ولكنني الى قوله: نفسي: كالعذر عن عدم فعل ذلك بهم لما يستلزمه من الاثم المفسد للدين، المهلك في الآخرة. و اضرع اي: أذل. واتعس: اهلك. والجذ: الحظ. وقوله: لا تعرفون، الى آخره: تبيكت لهم بالجهل و غلبة الباطل على عقائدهم و أفعالهم.

٦٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام

فى سحرة اليوم الذى ضرب فيه

مَلَكَتْنِي عَيْنِي وَأَنَا جَالِسٌ، فَسَنَعَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَاذَا لَقِيتُ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ الْأُودِ وَاللَّدِيدِ؟ فَقَالَ: «أَدْعُ عَلَيْهِمْ» فَقُلْتُ: أَبَدَلْنِي اللَّهُ بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ، وَأَبَدَلَهُمْ بِي شَرًّا لَهُمْ مِنِّي.

اقول: ملكه عينه: كناية عن نومه. وسنح: عرض له خيال فى المنام.

٦٨ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فى ذم أهل العراق

أَمَا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ! حَمَلْتَ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ، وَ مَاتَ قِيَمُهَا، وَظَالَ تَأْيِمُهَا، وَوَرَّثَهَا أُنْعُدُهَا أَمَا وَاللَّهِ مَا أَنْتِكُمْ اخْتِيَارًا، وَلَكِنْ جِئْتُمْ إِلَيْكُمْ سَوَاقًا، وَ لِكَيْتَى بَلَّغْنِي أَنْكُمْ تَقُولُونَ: عَلَيَّ يَكْذِبُ! قَاتَلَكُمُ اللَّهُ، فَعَلَى مَنْ أَكْذِبُ؟ أَعَلَى اللَّهِ؟ فَأَنَا أَوْلُ مَنْ آمَنَ بِهِ! أَمْ عَلَيَّ نَبِيَّهُ؟ فَأَنَا أَوْلُ مَنْ صَدَّقَهُ، كَلَّا وَاللَّهِ، وَ لِكَيْتَى لَهْجَةٌ غِيبْتُمْ عَنْهَا وَ لَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا. وَيَلْمُهُ؟ كَيْلًا بغيرِ ثَمَنِ! لَوْ كَانَ لَهُ وَعَاءٌ (وَ لَتَعْلَمَنَّ نَبَأُهُ بَعْدَ حِينٍ).

اقول: هذا الكلام منه بعد حرب صفين. واملصت المرأة: اسقطت. والأيم: التى لا بعل لها، ووجه تمثيلهم بالمرأة الموصوفة ما فيه من تشبهات حالهم بحالها، فاستعدادهم لحرب اهل الشام يشبه حمل المرأة، ومشارفتهم للظفر يشبه الأيم. فان مالك الاشر رحمة الله شارف دمشق صبيحة ليلة الهرير ليدخلها من غير حرب لولا خدعة معاوية وقومه برفع المصاحف، وانخداع اصحابه عليه السلام، ورجوعهم عن عدوهم بعد ظفرهم به، يشبه الاملاص وخروجهم عن رأيه عليه السلام، وتفرقهم عليه يشبه موت

قيمتها، وهو زوجها المستلزم لذاتها وعجزها، واخذ عدوهم مالهم من البلاد، وتغلبه عليها يشبه ميراث الأبعد لها. و اشار بسوقه اليهم الى حكم القضاء الاثمي عليه بذلك، او الى اكراههم له على البيعة بعد امتناعه منها كما وصفه غير مرة وما بلغه من تكذيبهم له، فهو كلام منافق اصحابه فانهم كانوا يكذبونه في بعض ما كان يخبرهم من الامور المستقبلية. روى انه لما قال: لو كسرت لى الوسادة لحكمت بين اهل التوراة بتوراتهم، وبين اهل الانجيل بانجيلهم، وبين اهل الزبور بزبورهم وبين اهل الفرقان بفرقانهم، والله ما من آية نزلت فى برّ أو بحر أو سهل أو جبل ولا سماء ولا أرض الا وأنا أعلم فيمن نزلت وفى اى شئ انزلت. قال رجل من تحت المنبر: يا الله، وللدعوى الكاذبة. وقوله: و لكتها، الى آخرة: اشارة الى مجمل كلامه، وانه غير ما ادعوه من الكذب واللهجة واللسان والقول الفصيح. و اشار بقوله: غبتم عنها: الى انفراده عليه السلام بسماعها من الرسول صلى الله عليه وآله، ولم يكونوا من اهلها الى ان الاستعداد لفهم مثل ذلك و سماعه طور آخر وراء عقولهم الضعيفة انما حصلت لمثله عليه السلام، وحاله مع هؤلاء مختصرة من حال الرسول صلى الله عليه وآله مع منافق قومه. وقوله: ويل امة: كلمة يقال للاسترحام، وقيل: للتعجب من الامر واصلها الدعاء على الامم تفقد ولدها و ترخم لها عند ذلك. وقوله: كيلا بغير ثمن: اشارة الى ما يلقيه اليهم من الحكم البالغة والتعليم النافع لا يريد به جزاء ثم لم يفقهوه فلذلك تعجب منهم. و^٢ كيلا مصدر اى: اكيل لهم العلم، والهداية كيلا بغير ثمن لو كان فيهم من يعيه ويفهمه. وقوله: ولتعلمن، الآية: فى معرض التهديد بثمره الجهل والتناقل عن المسارعة الى دعوته.

٦٩ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

علم فيها الناس الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله

اللَّهُمَّ دَاجِيَ الْمَدْحُوتِ، وَدَاعِمِ الْمَسْمُوكَاتِ، وَجَابِلِ الْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَتِهَا شَقِيَّهَا وَ

١ - فى ش بزياة: اجمالية.

٢ - بزياة (وقوله) فى ش.

سَعِيدِهَا، أَجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ وَنَوَامِي بَرَكَاتِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ : الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ، وَالْفَاتِحِ لِمَا أَنْغَلَقَ، وَالْمُعَلِّمِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ، وَالِدَافِعِ جَيْشَاتِ الْأَبَاطِيلِ، وَالِدَامِغِ صَوْلَاتِ الْأَضَالِيلِ، كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ قَائِمًا بِأَمْرِكَ، مُسْتَوْفِزًا فِي مَرْضَاتِكَ، غَيْرَ نَاكِيلٍ عَنْ قُدَمٍ، وَلَا وَاهٍ فِي عَزْمٍ وَأَعْيًا لِيُوحِيكَ، حَافِظًا عَلَى لِعَهْدِكَ، مَاضِيًا عَلَى نَفَازِ أَمْرِكَ حَتَّى أَوْزَى قَبَسَ الْقَابِسِ، وَأَضَاءَ الظَّرِيقِ لِلْخَابِطِ، وَهُدَيْتَ بِهِ الْقُلُوبَ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ، وَأَقَامَ مُوضِحَاتِ الْأَعْلَامِ، وَنَبْرَاتِ الْأَحْكَامِ، فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ، وَخَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ، وَبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ، وَرَسُولُكَ إِلَى الْخَلْقِ. اللَّهُمَّ أَفْسَحْ لَهُ مَفْسَحًا فِي ظِلِّكَ، وَأَجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ. اللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ، وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنَزَلَتَهُ، وَأَتِمِّمْ لَهُ نُورَهُ وَأَجْزِهِ مِنْ أَيْتَعَاتِكَ لَهُ مَقْبُولِ الشَّهَادَةِ، وَمَرْضِيَّ الْمَقَالَةِ ذَا مَنَاطِقِ عَدْلِ، وَخُطَّةِ فَضْلِ. اللَّهُمَّ أَجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَتَهُ فِي بَرْدِ الْعَيْشِ وَقَرَارِ النُّعْمَةِ، وَمُنَى الشَّهَوَاتِ، وَأَهْوَاءِ اللَّذَاتِ، وَرِخَاءِ الدَّعَةِ، وَمُنْتَهَى الطَّمَأِينَةِ، وَتَحْفِ الْكِرَامَةِ.



اقول: في هذا الفصل فصول ثلاثة:

- الاول، في صفات المدعو تعالى وتمجيده.
- الثاني، في صفات المدعوله وهو النبي صلى الله عليه وآله.
- الثالث، في انواع المدعوبه.

والاول هو قوله: اللهم، الى قوله: وسعيدها. والمدحوات: المبسوطات اي: باسط الارضين السبع، والمسموكات: السماوات، وداعمها: حافظها بدعائم قدرته، وجابل القلوب على فطرتها: خالقها على ما خلقها من التهيوء والاستعداد لسلوك سبيلى الخير والشر، واستحقاق السعادة والشقاوة، بحسب القضاء الالهى كما قال تعالى: (و نفس وما سويها فالهمها فجورها وتقوبها)^١ وشقيها بدل من القلوب اي: خالق شقى القلوب وسعيدها على ما فطر عليه، وكتب فى اللوح المحفوظ كقوله تعالى (فمنهم شقى وسعيد)^٢.

١ - سورة الشمس / ٨.

٢ - سورة هود / ١٠٥.

الثانى ذكر للنبي عليه السلام، احد وعشرين وصفاً هى جهات استحقاق الرحمة من الله تعالى. وخاتماً لما سبق اى: من انوار الوحي والرسالة، وفتحاً لما انغلق اى: من سبيل الله قبله. وطريق جنته، بابداء الشرائع، والحق الذى اظهره هو الدين، والذى اظهره به هو المعجزات والبراهين، والحاصل انه اظهر الحق بعضه ببعض، و جيّشات جمع جيّشة، وهو: غليان القدر، واستعار لفظها: لثوران اباطيل المشركين وفوران فتنهم. والدمغ: كسر عظم الدماغ، ويستعمل فى القهر والغلبة. والأضاليل جمع ضلال وهو: الجهل. وقوله: كما حمل فاضطلع اى: صلّ عليه صلاة مشابهة لحمله رسالتك، واضطلاعه بها: قوته عليها ونهوضه بها، وقائماً وما بعده: من المنصوبات احوال. والقدم: التقدّم اى: غير راجع عن تقدّمه فى امر الله، وحفظه لعهد اى: العهد المأخوذ عليه، فى تبليغ الرسالة. واستعار لفظ القبس وهو: الشعلة: لنور العلم والحكمة. وشرح بذكر الورى اى: اظهر انوار العلم فى سبيل الله حتى اضاءت لمن كان يخبط فيها ويمشى على غير بصيرة. وموضحات الاعلام: هى الادلة الواضحة على الحق ونيرات الاحكام هى: المطالب الواضح لزومها عن تلك الادلة، وعلمه المخزون هو: علمه الغيبى المشار اليه، بقوله: عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احد الآيات. وكونه شهيداً اى: على امته بما علم منهم من طاعة وعصيان.

الثالث المدعو به، والمفسح المكان: المتسع اى: فى حضرة قدسه، وظل وجوده، وبنائه هو: ما شيده من الدين اى: اعلى دينه وظهره على سائر الاديان، وكذلك نور دينه او نور نفسه الذى يسعى بين يديه، ومقبول القول مفعول آخر، وذا منطلق: نصب على الحال وكتى بقبول شهادته عن تمام الرضى عنه، ومنطلق عادل لا كذب فيه. وخطة فصل اى: فاصله للحق من الباطل. وبرد العيش: كناية عن عدم الكلفة فيه، وهو فى الآخرة ثمرة الجنة، وقرار النعمة: مستقرها، وهو ايضا ثباتها وغايتها. واهواء اللذات: ما يهواه ويميل اليه. ورخاء الدعة ومنتهى الطمأنينة: اتساع سكون النفس بلذة مفارقة الحق والانس بالملأ الأعلى، وامنّها من مزعجات الدنيا، وتحف الكرامة: سائر ما اعده لكرامة اوليائه مما وعدوا به.

٧٠ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

قاله لمروان بن الحكم بالبصرة

قالوا: أخذ مروان بن الحكم أسيراً يوم الجمل، فاستشفع الحسن والحسين عليهما السلام إلى أمير المؤمنين عليه السلام فكلما فيه، فخلى سبيله، فقالا له: يبايعك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام:

أَوْلَمْ يُبَايَعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ؟ لَأَحَاجَّةٌ لِي فِي بَيْعَتِهِ! إِنَّهَا كَفُّ يَهُودِيَّةٍ لَوْ بَايَعْنِي بِكَفِّهِ لَغَدَرَ بِسَبْتِهِ أَمَا إِنَّ لَهُ إِمْرَةً كَلْعَقَةَ الْكَلْبِ أَنْفَهُ، وَهُوَ أَبُو الْأَكْبُشِ الْأَرْبَعَةِ، وَسَتَلْقَى الْأُمَّةَ مِنْهُ وَمِنْ وَلَدِهِ يَوْمًا أَحْمَرَ!

اقول: نبه بقوله: يد يهودية على غدره وخبثه، لأن شأن اليهود ذلك. والسبب: الاست، ولما كان الغدر من اقبح الرذائل نسبة الى السبب في معرض الذم والاهانة، ثم نبه من أمره في المستقبل على ثلاثة أمور:

أحدها ان يكون اميراً للمسلمين ونبيه على قصر مدة ولايته، في معرض الاستهانة بأمره بتشبهها بلعقة الكلب انفه، وكانت مدتها اربعة اشهر وعشرا، وروى: ستة اشهر.

الثاني انه سيكون اباً للاكبش الاربعة، و كبش القوم: رئيسهم، فكان له اربعة ذكورٍ لصلبه، وهم عبدالملك، وولى الخلافة، وعبدالعزيز وولى مصر، وبشر وولى العراق، ومحمد وولى الجزيرة. ويحتمل ان يريد بالاربعة: اولاد عبدالملك، وهم: الوليد، وسليمان، ويزيد، وهشام، وكنهم ولوا الخلافة ولم يلها اربعة اخوة الا هم.

الثالث ما يلقي الامة منه ومن ولده من القتل، وانتهاك الحرمة، وكتى عنه: بالموت الأحمر، وهو: كناية عن الشدائد. وروى: يوماً احمر، وكتى به: عن زمان مدتهم، و احوال الامة مع بنى امية مشهورة.

٧١ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

لما عزموا على بيعة عثمان

لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي، وَوَاللَّهِ لَا أَسْلَمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ
الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً التِّمَاسًا لِأَجْرِ ذَلِكَ وَفَضْلِهِ، وَزُهْدًا فِيمَا
تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرَفِهِ وَزَيْبِرِجِهِ.

أقول: الضمير في «بها» للخلافة. ولا سلمن أي: ذلك الامر. وما للمدة. وخاصة:
حال، و التماسًا: مفعول له، والعامل: لاسلمن. والزخرف: الذهب والزينة. الزبرج بكسر
الزاء والراء: النقش بالحلية.

٧٢ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

لما بلغه اتهام بنى أمية له بالمشاركة في دم عثمان

أَوْلَمَ يِنَّةَ أُمِيَّةَ عِلْمُهَا بِي عَنْ قَرْفِي؟ أَوْ مَا وَزَعُ الْجُهَّالِ سَابَقْتِي عَنْ تَهْمَتِي! وَلَمَّا
وَعَظَّهُمُ اللَّهُ بِهِ أَبْلَغَ مِنْ لِسَانِي! أَنَا حَجِيجُ الْمَارِقِينَ، وَخَصِيمُ الْمُرْتَابِينَ وَعَلَى كِتَابِ اللَّهِ
تُعْرَضُ الْأَمْثَالُ، وَبِمَا فِي الصُّدُورِ تُجَازَى الْعِبَادُ.

أقول: القرف: التهمة. ووزع: كف. وسابقته: سبقته في الدين والشرف وما
وعظهم الله به كقوله تعالى: (ان بعض الظن اثم)^١ وقوله: (ولا يغتب)^٢ الآية في النهي
عن الغيبة. والحجيج: المحاج. والخصيم: المخاصم. والمارقون: الخارجون عن الدين
بالكباثر. والمرتابون: المنافقون لشكهم في الدين. وقوله: على كتاب الله، الى آخره:
اشارة الى الحجّة التي يحاج بها اي: نسبتهم قتل عثمان التي بوجه، فاعرضوا ذلك على

١ - سورة الحجرات / ١٢.

٢ - سورة الحجرات / ١٢.

كتاب الله فعليه يعرض الامثال والاشباه فان دلّ شىء منه على كونى قاتلا فلکم ان تحکموا بذلك .

٧٣ - وَمِنْ حُطْبَةِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

رَجِمَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ حُكْمًا فَوَعَى، وَدُعِيَ إِلَى رِشَادِ فَدَنَا، وَأَخَذَ بِحُجْرَةِ هَادٍ فَتَجَا:
رَاقِبَ رَبِّهٖ، وَخَافَ ذَنْبَهُ، قَدَّمَ خَالِصًا، وَعَمِلَ صَالِحًا، اِكْتَسَبَ مَذْخُورًا، وَأَجْتَنَّبَ مَحْذُورًا،
رَمَى غَرَضًا، وَأَحْرَزَ عِوَضًا كَابَرَ هَوَاهُ، وَكَذَّبَ مُنَاهُ، جَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجَاتِهِ، وَالتَّقْوَى عُدَّةَ
وَفَاتِيهِ رَكِبَ الطَّرِيقَةَ الْغَرَاءَ، وَلَزِمَ الْمَحَبَّةَ الْبَيْضَاءَ، اِعْتَمَمَ الْمَهْلَ، وَبَادَرَ الْأَجَلَ، وَتَزَوَّدَ
مِنَ الْعَمَلِ.

اقول الحكم: الحكمة، والرشاد: الهدى. والحجزة: معقد الازار، واستعار لفظه:
لهدى الهادى و لزوم قصده والاقتراء به، وفيه تنبيه على الحاجة الى الشيخ فى سلوك
سبيل الله، والمراقبة والمحافظة وفى عرف السالكين مراعاة القلب للرقيب وهو الله
سبحانه اذ يقول: (ان الله كان عليكم رقيباً) ^١ واستفراق القلب بمراعاة جلاله، ويلزمها
الخوف منه، ويعطل الجوارح عن الالتفات الى المباحات فضلا عن المحظورات، و
خالصاً اى: عملاً خالصاً، والمذخور: اجر العمل الصالح، والمحذور: الاثم، ورميه
للغرض: حذفه لمقاصد الدنيا عن نفسه. ويروى عرضاً بالعين المهملة وهو: متاع الدنيا
واحراز العوض منه: متاع الآخرة بالعمل الصالح، وما يلزمه من ملكات الخير، ومكابرة
هواه: مقاومته لشهوته و غضبه، وقمعها وتكذيب مناه: مقابلة ما يلقاه الشيطان اليه من
امانى الدنيا بالتكذيب وتجويز عدم نيلها وذكر غايتها.

واستعار لفظ المطية: للصبر باعتبار ان لزومه سبب للنجاة كظهر المطية، والعدة:
لما استعد به الانسان للامر، والغراء: الواضحة و اراد الشريعة، وهى المحبة البيضاء،
والمهل: ايام مهلة العمل فى الدنيا ومبادرة الاجل: مسابقتة بالعمل لئلا ينقطع دونه.

١ - سورة النساء / ١.

٧٤ - وَمَنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إِنَّ بَنِي أُمِّيَّةَ لِيَفُوقُونِي تُرَاثَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَفْوِيْقًا، وَاللَّهِ لَنْ بَقِيَتْ لَهُمْ
لَأَنْفُسَتَهُمْ نَفْضَ الدَّحَامِ الْوِذَامِ التَّرِيْبَةَ.

ويروى «التراب الودمة». وهو على القلب.

قال الشريف: وقوله عليه السلام «ليفوقوني» أي. يعطونني من المال قليلا قليلا كفواق
الناقة، وهو الحلبة الواحدة من لبنها، والوذام: جمع وذمة وهي: الحزّة من الكرش أو
الكبد تقع في التراب فتتنفض.

اقول: استعار وصف^١ التفويق: لعطيّتهم المال قليلا قليلا: (ووجه المشابهة القلة ما
يعطونه دفعات كما يعطى الفصيل ضرع امه لتدرّ ثم يدفع عنها لتحلب ثم يعاد اليها
لتدر^٢، وتراث محمد: اشارة الى الفيء الحاصل ببركته. وكذلك استعار وصف النفض
المذكور لابعادهم عن ذلك الامر.

مركز تحقيقات كويت علوم إسلامية

٧٥ - وَمَنْ كَلِمَاتٍ كَانَ يَدْعُو بِهَا - عَلَيْهِ السَّلَام -

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، فَإِنْ عُدْتُ فَعُدْ عَلَيَّ بِالْمَغْفِرَةِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي
مَا وَأَيْتُ مِنْ نَفْسِي، وَلَمْ تَجِدْ لَهُ وَفَاءً عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا تَقَرَّبْتُ بِهِ إِلَيْكَ بِلِسَانِي ثُمَّ
خَالَفَهُ قَلْبِي. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي رَمَزَاتِ الْأَلْحَاطِ، وَسَقَطَاتِ الْأَلْفَاطِ، وَشَهَوَاتِ الْجَنَانِ، وَ
هَفَوَاتِ اللِّسَانِ.

اقول: حاصل الفصل سؤال المغفرة و مغفرة الله يعود الى ستره على عبده: ان يقع
في عذابه او يكشف مقابحه لاهل الدنيا وما الله أعلم به منه، هو ما جازان يكون سيئة من

١ - في نسخة ش: لفظ.

٢ - العبارة بين القوسين ساقطة من نسخة ش.

افعاله، ولا يعلم ذلك في فعلها. ووايت: وعدت، ومخالفة القلب لما يتقرب به في الظاهر من الاعمال هو: الرياء والنفاق، ورمزات الاحاظ جمع رمزة وهي: الاشارة بالعين والحاجب الخارجة عن الدين، كما يفعل عند التنبيه على شخص ليظلم او يعاب. و سقطات الالفاظ: الردى منها. وشهوات القلوب: هفواتها عن غير تثبت. وروى بالشين المعجمة وهي جواذب الشيطان للقلب الى ما ينبغي. وهفوات اللسان: زلاته وغلطاته. وقد سأل مغفرة الذنوب المتعلقة بكل واحد من الجوارح.

٧٦ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

قاله لبعض أصحابه لما عزم على المسير إلى الخوارج، فقال له: يا أمير المؤمنين، إن سرت في هذا الوقت خشيت أن لا تظفر بمرادك، من طريق علم النجوم.

فقال عليه السلام:

أَتَزْعُمُ أَنَّكَ تَهْدِي إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا صُرِفَ عَنْهُ الشُّعُورُ؟ وَتُخَوِّفُ مِنَ السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا حَاقَ بِهِ الضَّرُّ؟ فَمَنْ صَدَّقَ بِهَذَا فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْآنَ، وَأَسْتَعْنَى عَنِ الْإِعَانَةِ بِاللهِ فِي نَيْلِ الْمَحْبُوبِ وَدَفْعِ الْمَكْرُوهِ؛ وَتَبَتَّعِي فِي قَوْلِكَ لِلْعَامِلِ بِأَمْرِكَ أَنْ يُؤَلِّقَ الْحَمْدَ دُونَ رَبِّهِ؛ لِأَنَّكَ - بِزَعْمِكَ - أَنْتَ هَدَيْتَهُ إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي نَالَ فِيهَا النَّفْعَ وَآمِنَ الضَّرَّ!!

ثم أقبل عليه السلام على الناس فقال:

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّا كُمْ وَتَعَلَّمُ النُّجُومَ، إِلَّا مَا يُهْتَدَى بِهِ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ، فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَى الْكُهَانَةِ، وَالْمُنَجِّمِ كَالْكَاهِنِ، وَالْكَاهِنُ كَالسَّاحِرِ وَالسَّاحِرُ كَالْكَافِرِ! وَالْكَافِرُ فِي النَّارِ، سِيرُوا عَلَى أَسْمِ اللهِ.

اقول: روى ان المشير عليه بذلك كان عفيف بن قيس أخا الاشعث بن قيس^١، و

١ - عفيف الكندي ... ابن عم الاشعث بن قيس، وقيل: عمه، وقيل: اخوه والاكثر انه ابن عمه واخوه لأمه.

وقال الطبري: اسمه شرجيل وعفيف لقب. الاصابة ٤٨٧/٢ ترجمة ٥٥٨٦.

كان يتعاطى علم النجوم، و اعلم انه يعقل من نهى الشريعة عن تعلّم النجوم امران: احدهما، ان اكثر المشتغلين بها والطالبين لمعرفة احكامها يعتمدون فيما يرجون و يخافون عليها و يفرعون الى ملاحظة اوقاتها، فينقطعون بذلك عن الالتفات الى الله تعالى والفرع اليه، و ذلك عمّا يضاد المطلوب الشارع اذ كان غرضه الاوّل ليس الآدوام التفات الخلق اليه.

الثانى، ان الاخبار منها عمّا سيكون فى المستقبل يشبه علم الغيب، واكثر الخلق من العوام لا يميّزون بينهما فيكون ذلك سبباً لضلال الخلق، و ضعف اعتقادهم فى المعجزات، اذا الاخبار من الانبياء عليهم السلام عما يكون منها ويستلزم تشكيكهم فى قوله تعالى: (قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله)^١ وكان هو السبب فى تحريم الكهانة والسحر ايضا، والعقل ايضا يطابق الشرع فى تكذيب المنجم فى كثير من احكامه، فانه قد ثبت فى القواعد العقلية ان كل كائن فاسد فى هذا العالم فلا بد له من اسباب اربعة: فاعلى: و غائى، و قابلى، و صورى. ثم القابلى مشروط فى قبول كلّ حادث بشرائط فلكية و عنصرية مما لا يتناهى و يمنع اطلاق العقول البشرية عليها، و احاطتها بها و لان حساب المنجم مبنى على قسمة الزمان بالشهر واليوم والساعة والدرجة و اجزائها و تقسيم الحركة بأزائها و رفعة بينهما نسبة عددية، و كل ذلك امور غير حقيقية و انما يوجد على سبيل التقريب، اقصى ما فى الباب ان التفاوت بينهما لا يظهر فى المدد المتقاربة لكنّه يشبه ان يظهر فى المدد المتباعدة و مع تجويز التفاوت كيف يمكن الحكم كلياً او جزئياً؟ اذا عرفت ذلك فنقول:

انه عليه السلام الزمه فيما يدعيه الزامات شنيعة نفّرها عن قبول قوله:

احدها قوله فمن صدقك الى قوله: القرآن و هو: صغرى ضمير تقدير كبراه، و كل من كذب القرآن: كان كاذبا بيان تكذيبه ان المنجم اذا ادعى انه سيقع كذا فى وقت كذا كان ذلك مكذوباً لقوله: (وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً)^٢ الآية.

الثانى، استغناء مصدّقه عن الاستعانة بالله، فيما يهّمه من مخوف او مرجو وذلك

١ - سورة النمل/٦٥.

٢ - سورة لقمان / ٣٤.

لأنه يفرغ اليه في ذلك دون الله تعالى .

الثالث أنه يصير الأولى بمصدقته ان يوليه الحمد دون الله تعالى ، لأنه بزعمه هداة الى نفعه وضره ، واستثنى مما نهى عنه من تعلمها ما يهتدى به في برّ او بحر لأن ذلك مما منّ الله تعالى به على عباده في قوله: (وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر)^١ الآية. وقوله: (تعلموا عدد السنين والحساب)^٢.

وقوله: فانها، الى آخره: تعليل للتحذير عن تعلمها ووفرعتها بقياس مفصول مستنتج منه انّ المنجم في النار. واما معنى الكاهن والساحر: فاعلم انّ من النفوس نفوساً تقوى على الاطلاع على ما سيكون وعلى التصرفات العجيبة في هذا العالم فتلك النفوس ان كانت كاملة خيرة مجذوبة من الله تعالى ، بدواعي السلوك اليه فهي نفوس الانبياء والاولياء ذوات المعجزات والكرامات. وان كانت ناقصة شريرة منجذبة عن تلك الجهة طالبة لتلك المرتبة بل مقصرة على رذائل الاخلاق وخصائص الامور كالتكهن ونحوه، فهي نفوس الكهنة والسحرة واكثر ما تظهر هذه النفوس القوية في اوقات الانبياء وقبيل ظهورهم فانها تدعوا الى الكهانة اي: يقصد قصدها لانّ المنجم يشبه بالكاهن في اخباره مما سيكون، ويتميز الكاهن عن المنجم بانّ ما يقوله عن قوة نفسانية منه بخلاف المنجم، وذلك ادعى الى فساد اذهان الخلق واغوائهم لزيادة اعتقادهم فيه.

واما الساحر فيتميز عن الكاهن بانّ له قوة على التأثير في امر خارج عن بدنه آثاراً خارجة عن الشريعة مؤذية للخلق ونافعة كالتفريق بين الزوجين ونحوه، وتلك زيادة شرّ آخر على الكاهن ادعى الى فساد اذهان الناس وزيادة اعتقادهم فيه، وانفعالهم عنه خوفاً ورغبة. والكافر يتميز عن الساحر بالبعد الاكثر عن الله تعالى، وحينئذ صار الضلال والفساد مشتركاً بين الاربعة الا انه مقول عليهم بالاشد، والاضعف. فالكافر اقوى من الساحر، والساحر اقوى من الكاهن، والكاهن اقوى من المنجم، فلذلك جعل عليه السلام الكاهن اصلاً في تشبيه المنجم به، والساحر اصلاً في تشبيه الكاهن به، والكافر اصلاً في تشبيه الساحر به، وظهر من ذلك انّ وجه التشبيه في الكلّ هو ضلالهم و

١ - سورة الانعام / ٩٧ .

٢ - سورة يونس / ٥ .

اضلالهم للخلق. و روى انه عليه السلام سار فى تلك الساعة الى الخوارج و كان من ظفره بهم ما هو مشهور.

٧٧ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بعد حرب الجمل، فى ذم النساء

مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّ النَّسَاءَ نَوَاقِصُ الْإِيمَانِ، نَوَاقِصُ الْحُطُوطِ، نَوَاقِصُ الْعُقُولِ: فَأَمَّا نَقْصَانُ إِيْمَانِيَهِنَّ فَقَعُوذُهُنَّ عَنِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ وَأَمَّا نَقْصَانُ عُقُولِيَهِنَّ فَشَهَادَةُ أَمْرَاتَيْنِ كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ، وَأَمَّا نَقْصَانُ حُطُوطِيَهِنَّ فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَى الْأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ الرَّجَالِ؛ فَاتَّقُوا شِرَارَ النَّسَاءِ، وَكُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ وَلَا تُطِيعُوهُنَّ فِي الْمَعْرُوفِ حَتَّى لَا يَظْمَعْنَ فِي الْمُنْكَرِ.

اقول: لما كانت تلك الحرب من الوقائع الكبار، والفتن العظيمة فى الاسلام المشتملة على هلاك جمع عظيم من المسلمين منسوبة الى رأى امرأة. اراد ان ينبه على وجه نقصان النساء واسبابه، ليتجنب متابعتهن ولذلك حذر بعده من شرارهن وأمر بالكون مع خيارهن على الحذر والتحرز منهن فى ايداع سر، وقبول مشورة وان كانت بمعروف لما يستلزم ذلك من طمعهن وتعديهن فيما يطعن فيه الى حد الافراط وتجاوز قدرهن وهو منكر.

٧٨ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا النَّاسُ. الزَّهَادَةُ قِصْرُ الْأَمَلِ، وَالشُّكْرُ عِنْدَ النَّعْمِ، وَالْوَرَعُ عِنْدَ الْمَحَارِمِ فَإِنْ عَزَبَ ذَلِكَ عَنْكُمْ فَلَا يَغْلِبِ الْحَرَامُ صَبْرَكُمْ، وَلَا تَنْسُوا عِنْدَ النَّعْمِ شُكْرَكُمْ فَقَدْ أَعَدَّ اللَّهُ إِلَيْكُمْ بِحُجْبٍ مُسْفِرَةٍ ظَاهِرَةً، وَكُتِبَ بَارِزَةً الْعُذْرُ وَاضِحَةً.

اقول : رسم الزهد بثلاثة لوازم، وهى : قصر الأمل فى الدنيا، و شكر نعم الله. والورع وهى : فى قوّة خاصّة مركبة وفى ذكرها تنبيه على الامر بلزومها ولزوم الزهد. وقوله: فان عزب الى آخره. يحتمل معنيين.

احدهما: انه ان بعد عليكم و شقّ استجماع هذه الامور الثلاثة فالزموا منها الورع و فتره: بالصبر لانه من لوازمه، ثم الشكرو كأنه رخص لهم فى طول الأمل لما يتصور فيه مما ينبغى من عمارة الارض لغرض الآخرة و لان قصر الأمل اكثر ما يعرض من غلبة الخوف على القلب، والالتفات عن الدنيا بالكلية وذلك غير مراد للشارع من كل الناس.

الثانى: يحتمل ان يكون لما فسر الزهد باللوازم الثلاثة فى معرض الامر بها، قال بعدها: ان صعبت عليكم هذه فاعدلوا الى ما هو اسهل منها. وهو الصبر عن المحارم عوضاً عن تمام الورع و هو لزوم الاعمال الجميلة والتذكر لنعمة الله عند وقوعها لغرض شكرها، بحيث لا ينسى بالكلية عوضاً من دوام الحمد والثناء. وقوله: فقد اعدن اى: اظهر عذره اليكم. و مسفرة: مشرفة.



٧٩- ومن كلام له عليه السلام
فى صفة الدنيا

مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوْلَاهَا عَنَاءٌ، وَآخِرُهَا فَنَاءٌ، فِى حَلَالِهَا حِسَابٌ، وَفِى حَرَامِهَا عِقَابٌ، مَنْ أَسْتَعْنَى فِيهَا فُتِنَ، وَمَنْ أَفْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ، وَمَنْ سَاعَاَهَا فَاتَتْهُ، وَمَنْ قَعَدَ بِنَتْنِهَا وَآتَتْهُ، وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصْرَتَهُ، وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ.

(قال الشريف: اقول: واذا تأمل المتأمل قوله عليه السلام «من أبصر بها بصرته» وجد تحته من المعنى العجيب والغرض البعيد ما لا تبلغ غايته ولا يدرك غوره، ولا سيما اذا قرن اليه قوله «ومن أبصر اليها أعتمته» فإنه يجد الفرق بين «أبصر بها» و «أبصر اليها» واضحاً نيراً وعجيباً باهراً.)

اقول : العناء: التعب وقد ذكر الدنيا في معرض ذمها والتفسير عنها اوصافا عشرة:
 اولها اشارة الى زمان الوجود فيها، و عناء الانسان فيها ظاهر. والفتنة: الابتلاء وهو
 من لوازم الغنى فيها، و مساعاتها: استعارة كانه مع حرص طالبها عليها وتعسرها عليه
 كالهاربة منه سعياً وهو ساع في طلبها، و اقوى اسباب فواتها لطلبها ان اكثر ما يكون
 تحصيلها بمنازعة اهلها، و مجاذبتهم اياها، و ذلك مما يوجب تفويت بعضهم لها على
 بعض. و لما كان هذا السبب مفقوداً في حق من قعد عنها كان فواتها اقلياً له، و فواتها و
 امكانها اكثرياً كما في حق الزاهدين فيها، و اقبال الخلق والتقرب بها اليهم. و قوله: و
 من أبصر بها بصيرته، اى: من جعلها سبب هدايته، و محل ابصاره بعين عقله، استفاد منها
 البصر والهداية. و قوله: من ابصر اليها اعمته، اى: من مد اليها بصر بصيرته محبة لها
 اعمته عن ادراك انوار الله، وهو كقوله تعالى: (لا تمدن عينيك الى ما متعناه ازواجاً
 منهم)^١ الآية و قد ظهر الفرق بين قوله: ابصر بها، و ابصر اليها.

ومدح السيد لهذا الفصل ظاهر الصدق وبالله التوفيق.

٨٠ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وهى من الخطب العجيبة وتسمى الغراء

اعلم أن في هذه الخطبة فصولا:

الفصل الأول قوله:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَا بِحَوْلِهِ، وَدَنَا بِطَوْلِهِ، مَانِحٌ كُلَّ غَنِيمَةٍ وَفَضْلٍ، وَكَاشِفٌ كُلَّ
 عَظِيمَةٍ وَأَزِلُّ أَحْمَدُهُ عَلَى عَوَاطِفِ كَرَمِهِ، وَسَوَابِغِ نِعَمِهِ، وَأُورِنُ بِهِ أَوْلَا بَادِيًا، وَأَسْتَهْدِيهِ
 قَرِيبًا هَادِيًا، وَأَسْتَعِينُهُ قَادِرًا قَاهِرًا، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كَافِيًا نَاصِرًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي
 رَفَعَ السَّمَاءَ فَبَنَاهَا وَسَطَّحَ الْأَرْضَ فَطَحَاهَا (وَلَا يُؤَدُّهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)، وَأَشْهَدُ أَنَّ
 مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ لِإِنْفَازِ أَمْرِهِ، وَإِنْتِهَاءِ عُذْرِهِ، وَتَقْدِيمِ نُذْرِهِ.

أقول: لما تنزه الله تعالى عن العلوالمكاني، كما سبق فهو العلى باعتبار كونه رب كل شيء وموجده، وهو باعتبار يلحقه بالقياس الى كل موجود صدر عن قدرته وقوته، فلذلك نسب علوه الى حوله، اذ ليس دنوه مكانياً فهو باعتبار قربه المعقول من خلقه بحيث يشاهدونه في صور طوله، وهو: فضله وهيبته لكل مستحق ما يليق به. والمنحة: العطية. والأزل: الشدة. وعواطف كرمه هي: آثاره الخيرية التي تعود على عبده مرة بعد اخرى، واولاً بادياً: حالان، اما من ضمير الفاعل، وهو الاظهر ويكون بادياً مهموزاً، والمعنى: انى اول ما ابدأ بايماني به، واما من الضمير المجرور وبادياً ظاهراً وظاهر كون اوليته، و مبدأيته لخلقهم وظهوره لعقولهم في جميع آثاره مبدأ الايمان به، والتصديق بالهيبته، وكذلك كونه قريباً من عباده، هادياً لهم مبدأ الطلب: الهداية منه، وتمهره، وقدرته: مبدأ للاستعانة به، وكفايته اى: كونه معطياً لكل مستحق من خلقه ما يكفى استحقاقه، واستعداداه. ونصره لعباده: سبب توكلهم عليه، وعذره: ما يشبه الاعذار الى الخلق من النصائح الالهية لهم. ونذره: تخويفه بالوعيد وظاهر كون انفاذ اوامر الله مع الاعذار والانذار اغراضاً للبعثة.



مركز تحقيقات علوم ديني

أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب الأمثال، ووقت لكم الآجال، وألبسكم الرياش، وأزقع لكم المعاش، وأحاطكم بالإحصاء وأرصد لكم الجزاء، وأثركم بالتعم السوايع، والرقيد الروافع، وأنذركم بالحجج البوالغ، وأحصاكم عدداً وظفت لكم مدداً في قرار خبرة، ودار عبرة أنتم مختبرون فيها، ومحاسبون عليها. فإن الدنيا ريق مشربها، رديع مشرعها: يونق منظرها، ويوبق مخبرها غرور حائل وضوء آفل، وظل زائل، وسناد مائل حتى إذا أنس نافرها، وأظمان ناكرها: قمصت بأرجلها، وقنصت بأخيلها، وأقصدت بأسهمها، وأغلفت المرء أوهاق المنيّة قائدة له إلى ضنك المضجع، وخشة المرجع ومعاينة المحل، وثواب العمل، وكذلك الخلف يعقب السلف: لا تفلح المنيّة أخيراً ولا يرعوي الباؤون أجتراماً يخذلون مثلاً، و يَمْضُونَ أرسالاً، إلى غاية الإنتهاء، وصيور الفناء.

والرياش: اللباس الفاخر، وقيل الغنى بالمال. وأرفع: أوسع. وأرصد: اعتد.
والرغد جمع رفته وهي: العطية. والروافع بالغيين المعجمة: الواسعة الطيبة. وقرار
الخبرة: محل اختبار الله وابتلائه لخلقها وهي: الدنيا. ورنق مشربها: كدر لذاتها بشوائب
آفاتها، واستعار لفظ الردغ بالعين المعجمة لمشرعها: باعتبار أن موارد تناولها والشروع فيها
مزلق أقدام العقول عن سواء الصراط إلى طرفي التفريط والافراط. والردغة: الوحل
والطين اللزق. ويونق: يعجب. ويوبق: يهلك، وهو إشارة إلى إعجابها لذوى الغفلة
بزينتها الحاضرة مع هلاكهم باختيارها لغرض الالتذاذ بها. وغرور بالفتح: غارة لأهلها.
والحائلة: الزائلة، وروى غرور بالضم وهو مجاز. واستعار لفظ الضوء: لما يظهر منها
من الحسن في عيون الغافلين، يقال: على فلان ضوء إذا كان له منظر حسن، وكذلك
لفظ الافول: لزوالها. ولفظ الظل: لما فيه أهلها من نعيمها. ولفظ السناد: لما يعتمد
عليه الغافلون من وجودها الذي لا ثبات له. ولفظ الميل: لكونها في معرض الزوال و
مظنته. ونافرها وناكرها: من كان نافرأ عنها بعقله، ومنكرها لها، وكذلك استعار وصف
القمص بالأرجل: لامتناعها على الإنسان عند تنكرها عليه. والقنص بالأحبل ليتمكن
محبته في اعناق النفوس. ولفظ الاسهم للأمراض واسباب الموت. ووصف
الاقصاربها: لاصابتها تنزيلا للدنيا منزلة الرامي، ووصف الاغلاق بالحبال: للوقوع في
اسقامها ومهلكاتها. والاوهاق جمع وهق وهو: الحبل.

حَتَّى إِذَا تَصَرَّمَتِ الْأُمُورُ وَتَقَضَّتِ الدُّهُورُ، وَأَزِفَ النُّشُورُ أَخْرَجَهُمْ مِنْ ضَرَائِحِ الْقُبُورِ،
وَأَوْكَارِ الطُّيُورِ، وَأَوْجِرَةَ السَّبَاعِ وَمَطَارِحِ الْمَهَالِكِ، سِرَاعًا إِلَى أَمْرِهِ، مُهْطِعِينَ إِلَى مَعَادِهِ
رَعِيلاً ضُمُوتًا، قِيَامًا صُفُوفًا، يُنْفِذُهُمُ الْبَصْرَ وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِيَ، عَلَيْهِمْ لُبُوسُ الْإِسْتِكَانَةِ، وَ
وَضَرَعُ الْإِسْتِسْلَامِ وَالذَّلَّةِ قَدْ ضَلَّتِ الْجَيْلُ، وَأَنْقَطَعَ الْأَمَلُ، وَهَوِيَ الْأَفِيدَةُ كَاظِمَةً، وَ
خَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ مَهَيِّمَةً، وَالْجَمَّ الْعَرَقُ، وَعَظَّمَ الشَّقَقُ، وَأَرْعَدَتِ الْأَسْمَاعُ لِزَبْرَةِ الدَّاعِي
إِلَى فَضْلِ الْخِطَابِ وَمُقَايَصَةِ الْجَزَاءِ، وَنَكَالِ الْعِقَابِ، وَنَوَالِ الثَّوَابِ.

وقوله: حتى إذا تصرمت، إلى قوله: ونوال الثواب، فاعلم أنه قد تطابقت السن

الانبياء عليهم السلام على القول بالمعاد الجسماني، ونطق به الكتاب العزيز وصرح به نبينا محمد صلى الله عليه وآله، تصریحا لا يحتمل التأويل. واما الحكماء فالمشهور من مذهبهم منعه لامتناع اعادة المعدوم، وربما قلدت الفلاسفة الاسلام ظاهر الشريعة في اثباته.

قال ابن سينا: في «كتاب الشفاء» (يجب ان تعلم ان المعاد منه ما هو المقبول من الشرع ولا سبيل الى اثباته الا من طريق الشريعة وتصديق خبر النبوة، وهو الذي للبدن عند البعث، وخيرات البدن وشروره معلومة لا تحتاج الى ان تعلم. وقد بسطت الشريعة الحقّة التي اتانا بها سيّدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله حال السعادة والشقاوة اللتين يحسب البدن، ومنه ما هو مدرک بالعقل، والقياس البرهاني، وقد صدّقته النبوة وهو السعادة والشقاوة البالغتان الثابتتان بالمقاييس اللتان للانفس وان كانت الاوهام متا تقصر عن تصوّرها الآن لما توضح من العلل. والحكماء الالهيون رغبتهم في اصابة هذه السعادة اعظم من رغبتهم في اصابة السعادة البدنيّة بل كأنهم لا يلتفتون الى تلك و ان أعطوها ولا يستعظمونها في جنبه هذه السعادة التي هي مقاربة الحق الاول).

واعلم ان الذي ذكره عليه السلام هنا صريح في اثبات المعاد الجسماني ولو احقه، بقوله: اخرجهم، الى قوله: المهالك: اشارة الى جمعه لاجزاء البدن بعد تشذّبها وتفرّقها، وتألّفها كما كانت. وازف: دنا. والضرائح جمع ضريح: القبور. والواجرة جمع وجار وهو: بيت السبع. ومهطعين: مقبلين. ورعيلا: مجتمعين. واللبوس: ما يلبس. والضرع: الخضوع. وكاظمة: ساكنة. والهيئمة: صوت خفي. والجم: العرق بلغ موضع اللجام، وهو كناية: عن بلوغه الافواه. والشفق: الخوف. والزبرة: الانتهار. والمقايضة: المعاوضة. والنكال: تنويع العقوبة. واحتضار: طلب حضورهم بالموت. والاجداث: القبور. والرفات: القنوات من العظم ونحوه. ومدينون، مجزيون. وجزاء: مصدر نصب بما في معنى فعله. وكذلك حساباً عن قوله: مُميّزون، واما لهم في طلب المخرج: تأخيرهم مدّتهم في الدنيا ليخرجوا من ظلمات الجهل وورطات المعاصي الى نور الحق، ومنتسع الرحمة وهدايتهم سبيل المنهج، الهامهم باصل فطرتهم وما دلت عليه الاعلام الواضحة من الكتب الالهية والسنن الشرعية على طريق الله سبحانه.

و لما كان من يطلب استعباده، ورجوعه عن غيّه، بامهال و مداراة كانت : مهلة الله سبحانه لخلقه مدة اعمارهم ليرجعوا الى طاعته، تشبه ذلك فنزلت منزلته، ونصب مهل على المصدر عن قوله: عمروا، لأنّ التعمير امهال. واستعار لفظ السدف: لما يغشاهم من ظلمة الشكوك والجهالات، و كشفها بما وهبه تعالى لهم من العقول، و ايدهم به من بعثة الرسل. و قوله: قد خلّوا المضممار الجياد، اى: تُركوا فى الدنيا ليضمروا انفسهم بازواد التقوى. واستعار لفظ المضممار و رشح بذكر الجياد و كذلك تخليتهم لروية الارتياح، اى: ليتفكروا فى طلب ما يتخلصون به الى الله. وليتأنوا اناة المقتبس لانوار الله: للاستنارة بها فى مدة آجالهم، و محلّ اضطرابهم فى مهلتهم، و تحصيلهم لما ينبغى من الكمالات. و من ملك من عبيده هذه الحالات، و افاض عليهم ضروب هذه الانعامات فكيف يليق بأحدهم ان يجاهره بالعصيان، او يتجاسر أن يقابله بالكفران، و صواب الامثلة: مطابقتها للمثل به او كونها من شأنها ان تفعل فى القلوب الذكية الواعية لها، و شفاء الموعظة: تأثيراتها فى القلوب ازالة امراض الغفلة والجهل، و اناة المتعظ بها الى ربه، و زكاة القلوب: استعدادها لقبول الهداية و قربها من ذلك. و وعى الاسماع: فهم القلوب عنها، و وصفها بالوعى لقبولها الالفاظ مؤدية لها الى قوة الحس. و عزم الآراء: توجيه الهمم الى ما ينبغى والثبات على ذلك. و حزامة الألباب: جودة رأى العقول فيما يختاره، و ظاهر ان هذه الثلاثة هى اسباب نفع الموعظة.

و قوله: فاتقوا الله، الى قوله: مقامه: امر بتقوى الله تقيّة من استجمع هذه الاوصاف الثمانية عشر. واقترب: اكتسب الاثم، واعترف اى: بذنبه و هو اناة اربابها. و وجل اى: من خوف الله فعمل له. و ايقن اى: بلقاء ربه، فاحسن اى: عمله، اذ كان اليقين له مستلزما لحسن طاعته. و عُبِرَ اى: رُمِيَ بالعِبْرَ فأعتبر، و اجاب اى: داعى الله، فأناب اليه بسرّه و امثال امره، و راجع اى: عقله فتاب من اتباع شياطينه، و اقتدى اى: بهدى الله فحذا حذوه، و أرى الحق فظهرت لعين بصيرته طريق الله. فرأى اى: فعرفها فأسرع فيها طالباً لما يوذى اليه، فنجا هارباً: من ظلمات جهله و ثمراته. فأفاد، اى: فاستفاد بسلوكه، ذخيرة لمعاده، و اطاب بسلوكها سريره: عن نجاسات الدنيا و عمر: بما اكتسبه

١ - فى ش بزياة: الى.

من الكمالات المسعدة معاده. وقوله: جهة ما خلقكم له، اى: اتقوه باعتبار ما خلقكم له من عرفانه، واجعلوا تقواكم فيه: نظراً الى تلك الجهة لا للرياء والسمعة، وجهة: منصوب على الظرف، ويحتمل ان يكون مفعولاً به لفعل مقدر اى: اقصدوا بتقواكم جهة ما خلقكم له، وكنه ما حذرکم اى: اقصدوا فى حذرکم منه حقيقة تحذيره لكم من نفسه، وذلك يستلزم الفحص عن حال المحذور منه. وتنجزهم لصدق مياعده بالاستعداد لذلك بانواع طاعته، وبالله التوفيق.

اقول: قوله: جعل لكم، الى قوله: بأوقاتها: تذكير بنعمة الله تعالى فى خلق الابدان، وما يشتمل عليه اعضاؤها من الحكمة والمنافع، وعناها: اهمها، واستعار لفظ العشاء: لعدم ادراك الابصار ادراك يحصل منه عبرة اذ كانت فائدة خلقها ذلك وفائدة عن ان الجلاء يستدعى مجلوا هو: العشاء، ومجلوا عنه هو قوة البصر، فاقام عليه السلام المجلو مقام المجلو عنه، فكأنه قال: لتجلو عن نورها عشاها. والاشلاء جمع شلو وهو: الجسد. والحنو: الجانب اى: متناهية الجوانب والاقطار، والارفاق: المنافع. وحواجر عافيته: ما يحجز منها عن الاسقام. والخلاق: النصيب، اى: ما استمتعوا به من دنياهم، والخناق بالكسر: حبل يخنق به، واستعار لفظه: للأجل، ومستفسحه: مدة الحياة. والارهاق: الاعجال. والتشذب: التفرق. ومهد الامر بالتخفيف والتشديد: هتاه. وأنف الأوان: اول الوقت. والبضاضة: امتلاء البدن وقوته. والهرم: الكبر. وغضارة: العيش طيبه. وآونة: جمع أوان كآزمنة وزمان، ولما كانت هذه غايات للمرء من شبابه ينتهى اليها، اشبه المنتظر لها: اذا قصر عما ينبغى له. وأزف: دنى. والعلزب بالتحريك: كالرعدة تأخذ المريض. والجرض: ان يبلع ريقه على هم وحزن. والحفدة: الأعوان. وغودر: ترك. والمعالم: الآثار. والشجب: الهالك الناحل. والنخرة: البالية. والأعباء: الاثقال. وايقانها بغيب ابنائها: تحقيقها ما كانت تجهله فى الدنيا من أحوال الآخرة واخبارها الغائبة عنها، او ما غاب عنها فى الآخرة من اخبار الدنيا، وعدم استزادتهم من صالح عملها عدم صلاحيتها لذلك، وكذلك عدم استعتابها كقوله تعالى: (وان يستعتبوا فما هم من المعتبين)^١. والقدة بكسر القاف والذال المهملة: الطريقة.

١ - سورة فصلت / ٢٤.

و اعلم انّ القول بالصراط يجب الايمان به، وهو في الدنيا يرجع الى الوسط بين الاخلاق المتضادة كالحكمة بين الجهل والجريزة، و كالسخاء بين التبذير والبخل، والشجاعة بين التهور والجبن، والعدالة بين الظلم والانظلام، وبالجملة الوسط الحق بين طرفي افراط وتفريط من اطراف الفضائل وهو: الطريق الى الله المطلوب سلوكه.

و سُئِلَ الصادق عليه السلام عن معنى قوله تعالى: (اهدنا الصراط المستقيم) ^١ فقال: ارشدنا للزوم الطريق المؤدى الى محبتك، والمبلغ دينك، والمانع من ان نتبع اهواءنا فنعطب او نأخذ بآرائنا فنهلك ^٢.

اذا عرفت ذلك، فنقول: مزلق الصراط في الدنيا هي مظان الخطأ من العقل والشهوة والغضب، والعبور عن فضائلها الى احد طرفي الافراط والتفريط منها، وهاويل زلله وهو ما يلزم ذلك العبور من عذاب الله، ثم عاد الى الأمر بتقوى الله تقيّة من استجمع اوصاف الايمان، و اراد بالفكر هنا: الفكر في امر المعاد، فانه مشغل عن محبة الدنيا و جاذب الى الله، و كذلك خوف المعاد. و انصبه: اتعبه. والغرار: النوم القليل. و اظماً الرجاء هو: اجر يومه كناية: عن كثرة صومه في اشد اوقات الحر رجاء لما اعد الله لاوليائه، و جعل الهواجر: مفعولاً به اقامة للظرف مقام المظروف وهو احد وجوه المجاز. و ظلف بالتخفيف: منع. و اوجف: أسرع. والوجيف ضرب من السير فيه سرعة. و المخاليج: الامور القاطعة للانسان عن طاعة ربه، و تنكبها عدل عنها الى الحق. و اقصد المسالك: اولها بالقصد و هي طريق الله. و الفتل الصرف اى: تصرفه المغفلات الدنيوية الصارفة عن ربه، و لم تعم عليه اى: لم يجهل الشبهة من الحق. و البشرى: بشرى الملائكة يوم القيامة (بشراكم اليوم جئات تجرى من تحتها الانهار) ^٣. و راحة النعمى: الراحة من متاعب الدنيا بنعمى الآخرة. و اطلق لفظ النوم في قوله أنعم: نومه على راحته في الجنة اطلاقاً لاسم الملزوم على لازمه. و معبر العاجلة: طريق الدنيا. و اكمش في مهل اسرع الى طاعة ربه ايام مهله. و رغب في طلب اى: كانت رغبته فيما عنده مقرونه بطلبه له. و ذهب اى:

١ - سورة الفاتحة / ٦.

٢ - تفسير نور الثقلين ١/ ٢١. تفسير الميزان ١/ ٣٧. تفسير فاتحة الكتاب ٢٨/ ٢٨. تفسير التبيان ١/ ٤٠.

٣ - سورة الحديد / ١٢.

عن المعاصى عن هرب من خوف الله. و كنى باليوم وبالغد: عن الدنيا والآخرة. و نظر
 قدما، اى: لم يلتفت عن الله و لم يعرج على سواه، و نسبة الاحتجاج و الخصام الى
 الكبائر مجاز، و نفوذ ابليس فى الصدور و نفثه فى الآذان كناية: عن وسوسته، و القائها
 فى القلوب بصورة الالفاظ و غيرها. و الموبقات: المهلكات، و قرينته هى: النفس
 الناطقة. و استدراجها: اخذها بالاستغفار و الوسوسة، و هى ايضا هيئته باعتبار احاطة
 المعاصى بها من قبله كما يستغلق الذهن بما عليه من المال، و انكاره ما زين كقوله
 تعالى: (نكص على عقبيه، و قال: انى برئ منكم).

منها فى صفة خلق الانسان:

عِبَادٌ مَخْلُوقُونَ أَقْتِدَارًا، وَ مَرْبُوبُونَ أَقْتِسَارًا، وَ مَقْبُوضُونَ أَحْتِضَارًا، وَ مُضْمَنُونَ
 أَجْدَاثًا، وَ كَائِنُونَ رَفَاتًا، وَ مَبْعُوثُونَ أَفْرَادًا، وَ مَدِينُونَ جَزَاءً، وَ مُمَيَّرُونَ حِسَابًا، قَدْ أَمْهَلُوا فِي
 طَلَبِ الْمَخْرَجِ، وَ هَدُّوا سَبِيلَ الْمَنْهَجِ، وَ عُشِّرُوا مَهْلَ الْمُسْتَعْتَبِ، وَ كُشِفَ عَنْهُمْ سَدْفُ
 الرَّيْبِ، وَ خُلُوا لِمُضْمَارِ الْجِيَادِ وَ رَوِيَّةِ الْإِرْتِيَادِ، وَأَنَاةِ الْمُقْتَبِسِ الْمُرْتَادِ فِي مُدَّةِ الْأَجْلِ، وَ
 مُضْطَرَبِ الْمَهْلِ.

مرآتية تكوین علوم اسلامی

فِي آيَالهَا أَمْثَالًا صَائِبَةً، وَ مَوَاعِظَ شَافِيَةً لَوْ صَادَفَتْ قُلُوبًا زَاكِيَةً، وَ أَسْمَاعًا وَاِعِيَّةً، وَ آرَاءَ
 عَازِمَةً، وَ الْبَابَا حَازِمَةً، فَاتَّقُوا تَقِيَّةً مَنْ سَمِعَ فَخَشَعَ، وَ أَقْتَرَفَ فَاغْتَرَفَ، وَ وَجَلَ فَعَمِلَ، وَ
 حَازَرَ فَبَادَرَ، وَ أَيَقَنَ فَاَحْسَنَ، وَ عُيِّرَ فَاغْتَبَّرَ، وَ حُدِّرَ فَاَزْدَجَرَ، وَ أَجَابَ فَاَنَابَ، وَ رَجَعَ فَنَابَ،
 وَ أَقْتَدَى فَاَحْتَدَى، وَ أَرَى فَرَأَى، فَاَسْرَعَ ظَالِبًا، وَ نَجَاهَارِبًا، فَاَفَادَ ذَخِيرَةً، وَ أَطَابَ سَرِيرَةً،
 وَ عَمَّرَ مَعَادًا، وَ اسْتَظْهَرَ زَادًا لِيَوْمِ رَحِيلِهِ، وَ وَجَّهَ سَبِيلَهُ، وَ حَالَ حَاجَتِهِ، وَ مَوْطِنَ فَاَقْتَبَهُ، وَ قَدَّمَ
 أَمَامَهُ لِذَارِ مُقَامِهِ. فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ جِهَةً مَا خَلَقَكُمْ لَهُ، وَ أَحْدَرُوا مِنْهُ كُنَّةَ مَا حَدَّرَكُمْ مِنْ
 نَفْسِهِ، وَ اسْتَحِفُّوا مِنْهُ مَا أَعَدَّ لَكُمْ بِالتَّجَرُّ لِيَصْدُقَ مِيْعَادِهِ، وَ الْحَدَّرِ مِنْ هَوْلِ مَعَادِهِ.
 جَعَلَ لَكُمْ أَسْمَاعًا لِيَتَعَى مَا عَنَّاها وَ أَبْصَارًا لِيَتَجَلَّوْا عَنْ عَشَاهَا، وَ أَشْلَاءَ جَامِعَةً
 لِأَعْضَائِهَا مُلَائِمَةً لِأَخْنَائِهَا: فِي تَرْكِبِ صُورِهَا، وَ مَدَدِ عُمْرِهَا، بِأَبْدَانِ قَائِمَةٍ بِأَرْفَاقِهَا، وَ
 قُلُوبِ زَائِدَةٍ لِأَرْزَاقِهَا، فِي مُجَلَّلَاتِ نِعْمِهِ، وَ مُوجِبَاتِ مِثْنِهِ وَ حَوَاجِرِ عَافِيَتِهِ، وَ قَدَّرَ لَكُمْ أَعْمَارًا
 سَتَرَهَا عَنْكُمْ، وَ خَلَفَ لَكُمْ عِبْرًا، مِنْ آثَارِ الْمَاضِينَ قَبْلَكُمْ، مِنْ مُسْتَمْتِعِ خَلَاقِهِمْ،

وَمُسْتَفْسِحِ خَنَافَتِهِمْ أَرْهَقَتْهُمْ الْمَنَآيَا دُونَ الْأَمَالِ، وَشَدَّبِيهِمْ عَنْهَا تَخَرُّمُ الْأَجَالِ، لَمْ يَمَهَّدُوا فِي سَلَامَةِ الْأَبْدَانِ وَلَمْ يَتَعَبَّرُوا فِي أَنْفِ الْأَوَانِ، فَهَلْ يَسْتَظِرُّ أَهْلُ بَضَاضَةِ الشَّبَابِ إِلَّا حَوَانِي الْهَرَمِ؟ وَأَهْلُ غَضَارَةِ الصَّحَّةِ الْأَنْوَازِ السَّقَمِ؟ وَأَهْلُ مُدَّةِ الْبَقَاءِ إِلَّا آوِنَةُ الْفَنَاءِ مَعَ قُرْبِ الزِّيَالِ، وَأَرْوِفِ الْإِنْتِقَالِ، وَعَلَزِ الْقَلْقِ، وَأَلَمِ الْمَضَضِ، وَعُصَصِ الْجَرَضِ، وَتَلَفَتِ الْإِسْتِغَاثَةُ بِمَضْرَةِ الْحَفْصَةِ وَالْأَقْرَبَاءِ وَالْأَعِزَّةِ وَالْقُرْتَبَاءِ، فَهَلْ دَفَعَتِ الْأَقَارِبُ، أَوْ نَفَعَتِ النَّوَاحِبُ، وَقَدْ غَوَّرَ فِي مَحَلَّةِ الْأَمْوَاتِ رَهِينًا، وَفِي ضَيْقِ الْمَضْجَعِ وَجِيدًا، قَدْ هَتَكَتِ الْهَوَامُّ جِلْدَتَهُ وَابْتَلَتِ النَّوَاهِكُ جِدَّتَهُ، وَعَفَّتِ الْعَوَاصِفُ آثَارَهُ، وَمَحَا الْحَدَثَانِ مَعَالِمَهُ وَصَارَتِ الْأَجْسَادُ شَحْبَةً بَعْدَ بَضَّتِيهَا، وَالْعِظَامُ نَجْرَةً بَعْدَ قُوَّتِهَا، وَالْأَرْوَاحُ مُرْتَهَنَةٌ بِثِقَلِ أَعْبَائِهَا، مُوقِنَةٌ بِغَيْبِ أَنْبَائِهَا، لَا تُسْتَرَاذُ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهَا؛ وَلَا تُسْتَعْتَبُ مِنْ سَيِّئِ زَلِيلِهَا أَوْلَسْتُمْ أَنْبَاءَ الْقَوْمِ وَالْآبَاءِ وَإِخْوَانَهُمْ وَالْأَقْرَبَاءَ تَحْتَدُونَ أَمِثْلَتَهُمْ، وَتَرْكَبُونَ قِدَّتَهُمْ، وَتَطَاوَنَ جَادَتَهُمْ؟! فَالْقُلُوبُ قَاسِيَةٌ عَنْ حَظِّهَا لَا هَيْبَةَ عَنْ رُشْدِهَا سَالِكَةٌ فِي غَيْرِ مَضْمَارِهَا! كَأَنَّ الْمَعْنَى سِوَاهَا وَكَأَنَّ الرُّشْدَ فِي إِحْرَازِ دُنْيَاهَا.

وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَجَازِكُمْ عَلَى الصَّرَاطِ، وَمَزَالِكِ تَخْضِيهِ، وَأَهَاوِيلِ زَلِيلِهِ وَتَارَاتِ أَهْوَالِهِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ تَقِيَّةَ ذِي لُبِّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ، وَأَنْصَبَ الْخَوْفُ بَدَنَهُ وَأَشْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرَارَ نَوْمِهِ، وَ أَظْمَأَ الرَّجَاءُ هَوَاجِرَ يَوْمِهِ، وَظَلَفَ الزُّهْدُ شَهْوَاتِيهِ، وَأَرْجَفَ الذِّكْرُ بِلِسَانِيهِ، وَقَدَّمَ الْخَوْفُ لِابْتَائِهِ، وَتَنَكَّبَ الْمَخَالِجَ عَنْ وَضْعِ السَّبِيلِ، وَسَلَكَ أَقْصَدَ الْمَسَالِكِ إِلَى التَّهَجُّدِ الْمَطْلُوبِ، وَلَمْ تَفْتِيلُهُ فَاتِيَلَاتُ الْغُرُورِ وَلَمْ تَعْمَ عَلَيْهِ مُشْتَبِهَاتُ الْأُمُورِ ظَافِرًا بِفَرَحَةِ الْبُشْرَى، وَرَاحَةَ النُّعْمَى فِي أَنْعَمِ نَوْمِهِ، وَأَمِنَ يَوْمِهِ، قَدْ عَبَّرَ مَعْبَرًا عَاجِلَةً حَمِيدًا وَقَدَّمَ زَادَ الْأَجَلَةِ سَعِيدًا، وَبَادَرَ مِنْ وَجَلِ، وَأَكْمَشَ فِي مَهَلِ، وَرَغِبَ فِي ظَلَبِ، وَذَهَبَ عَنْ هَرَبِ، وَرَاقَبَ فِي يَوْمِهِ غَدَهُ، وَنَظَرَ قَدَمًا أَمَامَهُ فَكَفَى بِالْجَنَّةِ ثَوَابًا وَنَوَالًا، وَكَفَى بِالنَّارِ عِقَابًا وَوَبَالًا وَكَفَى بِاللَّهِ مُنْتَقِمًا وَنَصِيرًا وَكَفَى بِالْكِتَابِ حَاجِبًا وَخَصِيمًا أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي أَعْدَرَ بِمَا أَنْذَرَ وَأَحْتَجَّ بِمَا نَهَجَ وَحَدَّرَكُمْ عَدُوًّا نَفَذَ فِي الصُّدُورِ خَفِيًّا، وَنَفَثَ فِي الْأَذَانِ نَجِيًّا فَأُضِلَّ وَأَرْدَى، وَوَعَدَ فَمَنَّى، وَزَيَّنَ سَيِّئَاتِ الْجَرَائِمِ، وَهَوَّنَ مُوَبِقَاتِ الْعَطَائِمِ حَتَّى إِذَا اسْتَدْرَجَ قَرِينَتَهُ، وَاسْتَفْلَقَ رَهِينَتَهُ؛ أَنْكَرَ مَا زَيَّنَ؛ وَاسْتَعْظَمَ مَا هَوَّنَ، وَحَدَّرَ مَا أَمَّنَ.

ومنها في صفة خلق الانسان:

أَمْ هَذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ، وَشَغَفِ الْأَسْتَارِ؛ نُظْفَةً دَهَاقًا وَعَلَقَةً مَحَاقًا، وَجَنِينًا
وَرَاضِعًا، وَوَلِيدًا وَيَافِعًا، ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْبًا حَافِظًا، وَلِسَانًا لَا فِطْأًا، وَبَصْرًا لَا حِطْأًا لِيَفْهَمَ مَعْتَبِرًا،
وَيُقَصِّرَ مُزْدَجِرًا، حَتَّى إِذَا قَامَ أَعْتَدَالُهُ، وَأَسْتَوَى مِثَالُهُ، نَفَرَ مُسْتَكْبِرًا، وَخَبَطَ سَادِرًا، مَا يَحَا
فِي غَرْبِ هَوَاهُ، كَادِحًا سَعْيًا لِدُنْيَاهُ؛ فِي لَذَاتِ ظَرْبِهِ، وَبَدَوَاتِ أَرْبِهِ، لَا يَحْتَسِبُ رَزِيَّةً وَلَا
يَخْشَعُ تَقِيَّةً، فَمَاتَ فِي فِئْتِيهِ غَرِيرًا، وَعَاشَ فِي هَفْوَتِهِ يَسِيرًا، لَمْ يُفِدْ عِوَضًا، وَلَمْ يَقْضِ
مُقْتَرَضًا، ذَهَمَتْهُ، فَجَعَاتُ الْمَنِيَّةِ فِي غُبْرِ جَمَاحِهِ، وَسَنَنِ مِرَاجِحِهِ، فَظَلَّ سَادِرًا، وَبَاتَ
سَاهِرًا، فِي غَمَرَاتِ الْأَلَامِ، وَظَوَارِقِ الْأَوْجَاعِ وَالْأَسْقَامِ بَيْنَ أَخِ شَقِيْقٍ، وَوَالِدِ شَفِيْقٍ، وَ
ذَاعِيَّةِ الْوَيْلِ جَزَعًا، وَلَا دِمَّةَ لِلصَّدْرِ قَلَقًا وَالْمَرْءُ فِي سَكْرَةِ مُلْهِيَّةٍ، وَغَمْرَةِ كَارِثَةٍ، وَأَبَّةٍ
مُوجِعَةٍ، وَجَذْبَةِ مُكْرِبَةٍ، وَسَوْقَةِ مُتْعِبَةٍ. ثُمَّ أُدْرِجَ فِي أَكْفَانِهِ مُبْلِِسًا، وَجُدِبَ مُنْقَادًا سَلِيْسًا،
ثُمَّ أَلْقِيَ عَلَى الْأَعْوَادِ رَجِيعَ وَصَبٍ، وَنَضُوسَ سَقَمٍ، تَحْمِيلُهُ حَفْدَةَ الْوِلْدَانِ، وَحَشْدَةَ الْإِنْخَوَانِ،
إِلَى دَارِ غُرْبِيَّتِهِ، وَمُنْقَطِعِ زُورِيَّتِهِ، حَتَّى إِذَا انْصَرَفَ الْمُسْتَشِيعُ، وَرَجَعَ الْمُتَفَجِّعُ، أُقْعِدَ فِي
حُفْرَتِهِ نَجِيًّا لِبَهْتَةِ السُّوَالِ، وَعَثْرَةِ الْاِمْتِحَانِ، وَأَعْظَمُ مَا هُنَالِكَ بَلِيَّةُ نَزْوُلِ الْحَمِيمِ، وَتَضْلِيلَةُ
الْجَحِيمِ، وَفَوْرَاتِ الشَّعِيرِ، وَسُورَاتِ الرَّفِيرِ، لِأَفْثَرَةِ مُرِيْحَةٍ. وَلَا دَعَةَ مُرِيْحَةٍ، وَلَا قُوَّةَ
حَاجِزَةٍ، وَلَا مَوْتَةَ نَاجِزَةٍ، وَلَا سِنَّةَ مُسْلِيَّةٍ، بَيْنَ أَطْوَارِ الْمَوْتَاتِ، وَعَذَابِ السَّاعَاتِ!! إِنَّا
بِاللَّهِ عَائِدُونَ.

عِبَادَ اللَّهِ، أَيُّنَ الَّذِينَ عُمِّرُوا فَتَعَمُّوا، وَعَلَّمُوا فَفَقَهُوا، وَأَنْظَرُوا فَلَهُوا، وَسَلِمُوا فَتَسُوا؟
أَمَهَلُوا طَوِيلًا، وَمُنِحُوا جَمِيلًا، وَحُدِّرُوا أَلِيمًا، وَوُعِدُوا جَسِيمًا!! آخِذُوا الذُّنُوبَ الْمُرَوِّطَةَ،
وَالْعُيُوبَ الْمُسْحِطَةَ.

أولى الأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ، وَالْعَافِيَةِ وَالْمَتَاعِ! هَلْ مِنْ مَنَاصِصٍ، أَوْ خَلَاصٍ، أَوْ مَعَادٍ، أَوْ
مَلَاذٍ، أَوْ فِرَارٍ، أَوْ مَحَارٍ؟ أَمْ لَا؟ فَأَنْتِي تُؤَفِّكُونَ! أَمْ أَيُّنَ تُضْرَفُونَ؟ أَمْ بِمَاذَا تَغْتَرُونَ؟ وَإِنَّمَا حِطُّ
أَحَدِكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ قَيْدُ قَدِّهِ، مُتَعَفِّرًا عَلَى خَدِّهِ. الْآنَ عِبَادَ اللَّهِ وَالْخَنَاقُ
مُهْمَلٌ، وَالرُّوحُ مُرْسَلٌ؛ فِي فَيْئَةِ الْإِرْشَادِ، وَرَاحَةِ الْأَجْسَادِ، وَبَاحَةِ الْإِحْتِسَادِ، وَمَهَلِ
الْبَقِيَّةِ، وَأَنْفِ الْمَشِيَّةِ، وَأَنْظَارِ التَّوْبَةِ، وَأَنْفِسَاجِ الْحَوْبَةِ، قَبْلَ الضَّنْكِ وَالْمَضِيْقِ، وَالرُّوْعِ وَالرُّهُوقِ،
وَقَبْلَ قُدُومِ الْعَائِبِ الْمُنْتَظَرِ، وَأَخْذَةِ الْعَزِيزِ الْمُفْتَدِرِ.

وفي الخبر أنه عليه السلام لما خطب بهذه الخطبة اقشعرت لها الجلود، وبكت لها العيون، ورجفت القلوب، ومن الناس من يسمي هذه الخطبة «الغراء».

اقول: مدار الفصل على وصف حال الانسان من مبدأ عمره بالنقصان، وبيان نعمة الله عليه بتزويده في اطوار الخلقة، وتبكيته بمقابلتها بالكفران، والغفلة في متابعة الشيطان، وتذكيره بغايته، وهي: الموت وتوابعه من احوال الموت، وما يكون بعد ذلك من عذاب القبر وغيره تنفيرا له عن الدنيا بتلك الامور لغاية اصلاح معاده، وذكر مبدئه لعله يتذكر أو يخشى. و «ام» هنا: استفهام في معرض تعديد نعم الله كأنه قال: (افلا ينظرون الى كذا من خلق الله؟ ام الى هذا الانسان الذي من حاله كذا؟ والشغف بالغين المعجمة جمع شغاف بالفتح وهو: غلاف القلب. والدفاق: المفرغة. والمحاق: الناقصة. والعلقة: لكونها بعد لم يقض عليها الصورة الانسانية، والولد حين الرضاع يسمى: رضيعا، وبعده: وليدا، وبعده: يافعًا، وهو: المرتفع فاذا طرّ شاربه فهو: غلام، واذا ادرك فهو: رجل، و للرجولية ثلاثة حدود: الشباب، وهو: تمام النمو. وبعده: الكهولة، ثم: الشيخوخة.

والسادر: اللاهي. والماتح: الجاذب للدلو المستقى^١. واستعار لفظ الغرب: لما تملأ به من هواه صحائف اعماله في المآثم. والكدح: السعى. والبدوات جمع بدوة وهو: ما يبدو له من الخواطر. ودهمه بالكسر: غشيه. وغبر الشئ: بقيته. وجماحه: سعيه في هواه على غير قانون شرعي ولا ائتمار للعقل. والسادر: الثاني المتحير. والدم: ضرب الصدر، وروى سكره ملهئة بالشاء. و كارثة: مستلزمة لشدة الغم. والجذبة: المكربة، جذبة الملائكة للروح منه كقوله تعالى: (ولوترى إذا الظالمون في غمرات الموت) الى قوله: (أُخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ)^٢. والايلاس: اليأس واستعار وصف الترجيع وهو: الجمل المرّد في الاسفار البالى فيها للمريض، باعتبار تردده في اطوار المرض المبلى له. و لفظ النضو وهو: الجَمَل الناحل من السير له نحوه من الاسقام.

واعلم ان قوله: أقعد في حفرتة، الى آخره صريح فى القول: بعذاب القبر وسؤال منكر ونكير، والايمان بما جاء من ذلك على وجهين: احدهما وهو الاظهر الاسلام ان

١ - في نسخة ش هكذا: والمابع المستقى. ٢ - سورة الانعام / ٩٣.

نصدق بذلك ونحمله على ظاهره وان هناك ملكين يقال لهما: منكر، ونكير، يتوليان سؤال الانسان على الصورة المحكيه، وحيات وعقارب تلدغ الميت، وان كان لا يشاهدها، اذ لا يصلح هذه العين لمشاهدة الامور الملكوتية، وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت كما كانت الصحابة يؤمنون بنزول جبريل، وكان النبي صلى الله عليه وآله يشاهده، وهم لا يشاهدونه و كما ان جبريل لا يشبه الناس فكذلك منكر، ونكير، وفعلهما والحيات، والعقارب فى القبر، ليس من حيات عالما فتدرك بمعنى آخر.

الوجه الثانى، ان يتذكر ما قد يراه النائم فى صورة شخص هائل يقتله، وحية تلدغه، وقد يتألم بذلك حتى يراه فى نومه فيصيح ويعرق جبينه وينزعج من مكانه، كل ذلك يدركه من نفسه ويشاهده، ويتأذى به كما يتأذى اليقظان، وانت ترى ظاهره ساكناً، ولا ترى حوله شخصاً، ولا حية، والحية موجودة فى حقه متخيلة له، ولا فرق بين ان يتخيل عدواً، او حية او يشاهده، والمناص: الملجأ. والمجاز: المرجع. وافك: صرف، وقيد قده مقدار قامته، والمنعفر: المترب، والعفر: التراب. والفينة: الحين، وانف الشئ: اوله. الحوثة: الحاجة والمسكنة. والضنك: الضيق. وكنى بالآن: عن مد الحياة. وبالخناق: عما يؤخذ به اعتناق النفوس وهو الموت، وكذلك بالغائب: المنتظر، وباقى الفصل ظاهر.

٨١ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فى ذكر عمرو بن العاص

عَجِبْنَا لِابْنِ التَّابِغَةِ، يَزْعُمُ لِأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِى دُعَابَتِهِ، وَأَنَّى أَمْرُؤُ تِلْعَابَةٌ: أَعَافِسُ وَ أُمَارِسُ، لَقَدْ قَالَ بَاطِلًا، وَنَطَقَ آثِمًا. أَمَا، وَشَرُّ الْقَوْلِ الْكَذِبُ إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ، وَيَعِدُ فَيُخْلِفُ، وَيَسْأَلُ فَيُلْجِفُ، وَيُسْأَلُ فَيُبْخَلُ، وَيَخُونُ الْعَهْدَ، وَيَقْطَعُ الْإِلَّ، فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْحَرْبِ فَأَيُّ زَاجِرٍ وَآمِرٍ هُوَ؟! مَا لَمْ تَأْخُذِ السُّيُوفُ مَا أَخَذَهَا، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ أَكْبَرَ مَكِيدَتِهِ أَنْ يَمْنَحَ الْقِرْمَ سُبَّتَهُ، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّى لَيَمْنَعُنِى مِنَ اللَّعِبِ ذِكْرُ الْمَوْتِ، وَإِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ نِسْيَانُ الْآخِرَةِ، إِنَّهُ لَمْ يُبَايِعْ مُعَاوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ آيَةً وَيَرْضَخَ

لَهُ عَلَى تَرْكِ الدِّينِ رَضِيحَةً.

أقول: النبوغ: الظهون، وقيل: أنما سميت أم عمرو بن العاص «النابعة» لشهرتها بالفجور والدعابة والمزاح. والتلعابة: كثير اللعب. والمعافسة: المُدَاعَبَة، والممارسة: المعالجة بالمصارعة ونحوها.

واعلم أنه عليه السلام أنما ينكر مدعى عمرو، من المزاح البالغ إلى حد الإفراط الصادق عليه أنه لعبت دون القدر المعتدل منه، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يمزح ولا يقول إلا حقاً. وهو من توابع التواضع وحسن الخلق. قوله: لقد قال، إلى قوله: سبته: يشتمل على ذكر رذائله المستلزمة لفسقه المانع من قبول قوله. وذكر منها خمساً، وهى الكذب، وخلف الوعد، والغدر، والخيانة فى العهد، وقطع الألف، وهو: الأصل، والرحم، ثم الجبن، ونبه عليها بقوله: فإذا كان عند الحرب، إلى قوله: سبته، وهو: إشارة إلى ما صدر عنه فى بعض أيام صفين حين حمل عليه السلام عليه، فلما تصور أنه قاتله ألقى نفسه عن فرسه، وكشف سواته مواجهاً بها فلما رأى ذلك منه غض بصره عنه، وانصرف عمرو مكشوف العورة ونجا بذلك، فصار مثلاً لمن يدفع عن نفسه مكروهاً بارتكاب الذلّة والفضيحة، وفيه يقول ابوفراس رحمه الله:

ولا خير فى دفع الأذى بمذلة
كما ردها يوماً بسؤته عمرو
والآتية: العطية. والرضيحة: الرشوة، وهى مصر، وقد كان معاوية اعطاه مصر طعمة على ان يظاھرہ فى حرب على عليه السلام وقد سبق مثله.

٨٢ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ: الْأَوَّلُ لَا شَيْءَ قَبْلَهُ، وَالْآخِرُ لَا غَايَةَ لَهُ، لَا تَقَعُ الْأَوْهَامُ لَهُ عَلَى صِفَةٍ، وَلَا تَقَعُدُ الْقُلُوبُ مِنْهُ عَلَى كَيْفِيَّةٍ، وَلَا تَنَالُهُ التَّجْزِئَةُ وَالتَّبَعِيضُ، وَلَا تُحِيْطُ بِهِ الْأَبْصَارُ وَالْقُلُوبُ.

١ - الغدير ٢ / ١٥٦.

أقول: كونه تعالى أولاً اى: غير مسبوق بالغير، و آخرأ غير منته فى وجوده الى غاية يقف عندها، وتنزيهه عن ادراك الاوهام ووصفها له لتنزهه تعالى عن الجسمية ولواحقها، وعدم صدق الوهم فى غيرها، و كونه لا تعقل له كيفية اذ لا كيفية له فتعقل، ونفى التجزية والتبعيض عنه، لعدم لحوق الكمية له، ولا تحيط به الابصار لتنزهه عن مدركاتها من عوارض الجسمية ولاالقلوب لعدم تركبه، وما لا تركيب فيه لاحد له فلا يدرك كنه حقيقته، وقد سبق تقريره.

منها:

فَاتَعَبُّوا عِبَادَ اللَّهِ بِالْعِبَرِ النَّوَافِعِ، وَأَعْتَبِرُوا بِالْآيِ السَّوَاطِعِ، وَأَزْدَجِرُوا بِالنَّذْرِ
الْبَوَالِغِ، وَأَنْتَفِعُوا بِالذِّكْرِ وَالْمَوَاعِظِ، فَكَأَنَّ قَدْ عَلَّقْتُمْ مَخَالِبَ الْمَنِيِّ، وَأَنْقَطَعَتْ مِنْكُمْ
عَلَائِقُ الْأُمْنِيَّةِ، وَدَهَمَتْكُمْ مُفْطَعَاتُ الْأُمُورِ وَالسِّيَاقَةُ إِلَى الْوَرْدِ الْمَوْرُودِ، وَكُلُّ نَفْسٍ
مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ: سَائِقٌ يُسَوِّقُهَا إِلَى مَحْشَرِهَا، وَشَهِيدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا.

اقول: الآى: جمع آية. والسواطع: المرتفع. ومفطعات الامور: شدائدها. ودهمه
بالكسر: هجم عليه.

واعلم ان للاتعاظ سبباً وحقيقة وثمره، فالسبب كالتنظر فى آثار الماضين
وقصصهم، وهوالاعتبار، واما حقيقته فالخوف والانفعال الحاصل عن ذلك النظر، لتوهم
مثل احوالهم فى حقه. واما ثمرته فالانزجار عن مناهى الله، واستعار وصف المخاطب:
لاسباب المنية من الامراض والاعراض وبالله التوفيق.

ومنها فى صفة الجنة:

دَرَجَاتٌ مُتَفَاضِلَاتٌ، وَمَنَازِلُ مُتَفَاوِتَاتٌ، لَا يَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا، وَلَا يَنْظَعُنُ مُقِيمُهَا، وَلَا
يَهْرَمُ خَالِدُهَا، وَلَا يَبْأَسُ سَاكِنُهَا.

اقول: هذا الوصف صادق فى الجنة المحسوسة الموعودة فى القرآن الكريم،

وفى الجنة المعقولة واتفقت العقلاء على ان الذممارها هي المعارف الالهية والنظر الى وجه الله ذى الجلال والاكرام، والسعداء فى الوصول الى نيل هذه الثمرة على مراتب متفاوتة، ودرجات متفاضلة كما نبهنا عليه فى الاصل^١ وبالله التوفيق والعصمة.

٨٣ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

قَدْ عَلِمَ السَّرَائِرَ، وَخَبَرَ الضَّمَائِرَ، لَهُ الْإِحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَالغَلْبَةُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَالْقُوَّةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُ مِنْكُمْ فِي أَيَّامٍ مَهْلِهِ. قَبْلَ إِزْهَاقِ أَجَلِهِ، وَفِي فَرَاحِهِ قَبْلَ أَوَانِ شُغْلِهِ، وَفِي مُتَنَفْسِهِ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ بِكَظْمِهِ، وَلِيْمَهْدَ لِنَفْسِهِ وَقُدُومِهِ. وَلِيَتَرَوِّدَ مِنْ دَارِ طَعْنِهِ لِدَارِ إِقَامَتِهِ، فَاللَّهُ اللَّهُ، أَيُّهَا النَّاسُ فِيمَا اسْتَحْفَظْتُمْ مِنْ كِتَابِهِ. وَاسْتَوَدَعْتُمْ مِنْ حُوقِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ، سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا، وَلَمْ يَتْرِكْكُمْ سُدىً وَلَمْ يَدْعِكُمْ فِي جَهَالَةٍ وَلَا عَمَى: قَدْ سَمَى آثَارَكُمْ، وَعَلَّمَ أَعْمَالَكُمْ، وَكَتَبَ آجَالَكُمْ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمْ الْكِتَابَ تَبَيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ، وَعَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّهَ أَرْمَانًا حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ وَلَكُمْ - فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ - دِينَهُ الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ وَأَنْهَى إِلَيْكُمْ، عَلَيَّ لِسَانِي، مَحَابَّةً مِنَ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِهَةً، وَنَوَاهِيَهُ وَأُؤَامِرَهُ، فَالْقَى إِلَيْكُمْ الْمَعْذِرَةَ، وَأَتَّخَذَ عَلَيْكُمْ الْحُجَّةَ، وَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ، وَأَنْذَرَكُمْ بَيْنَ يَدَيِ عَذَابٍ شَدِيدٍ. فَاسْتَدْرَكُوا بَقِيَّةَ أَيَّامِكُمْ، وَأَصْبِرُوا لَهَا أَنْفُسَكُمْ، فَإِنَّهَا قَلِيلٌ فِي كَثِيرِ الْأَيَّامِ الَّتِي تَكُونُ مِنْكُمْ فِيهَا الْغَفْلَةُ وَالْتِّشَاغُلُ عَنِ الْمَوْعِظَةِ، وَلَا تُرَخِّصُوا لِنَفْسِكُمْ فَتَذْهَبَ بِكُمْ الرُّخْصُ فِيهَا مَذَاهِبَ الظُّلْمَةِ، وَلَا تُدَاهِنُوا فَيَهْجَمَ بِكُمْ الْإِذْهَانُ عَلَى الْمُصِيبَةِ. عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ أَنْصَحَ النَّاسِ لِنَفْسِهِ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ، وَإِنْ أَعْشَهُمْ لِنَفْسِهِ أَعْصَاهُمْ لِرَبِّهِ، وَالْمَغْبُوتُ مَنْ غَبَنَ نَفْسَهُ وَالْمَغْبُوطُ مَنْ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وَعِظَ بغيرِهِ، وَالشَّقِيُّ مَنْ أَخْدَعَ لِهَوَاهُ. وَأَعْلَمُوا أَنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ، وَمُجَالَسَةُ أَهْلِ الْهَوَى مَنَسَاةٌ لِلإِيمَانِ وَمُخَضَّرَةٌ لِلشَّيْطَانِ. جَانِبُوا الْكَذِبَ فَإِنَّهُ مُجَانِبٌ لِلإِيمَانِ، الصَّادِقُ عَلَى شَرَفٍ مَنجَاةٌ وَكَرَامَةٌ، وَالْكَاذِبُ عَلَى شَفَا مَهْوَاةٍ وَمَهَانَةٌ، وَلَا تَحَاسَدُوا فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ، وَلَا تَبَاغُضُوا فَإِنَّهَا الْحَالِقَةُ

١ - الشرح الكبير ٢ / ٢٧٧.

وَأَعْلَمُوا أَنَّ الْأَمَلَ يُسْهِى الْعَقْلَ، وَيُنْسِي الذِّكْرَ فَأَكْذَبُوا الْأَمَلَ فَإِنَّهُ غُرُورٌ، وَصَاحِبُهُ مَغْرُورٌ.

اقول: احاطته بكلّ شئ: علمه بكلّيات الاشياء، وجريانها، وعلمه وقوته على كل شئ: استيلاء سلطان قدرته على كل مقدور، وارهاق الاجل: سرعة لحوقه، وشغله اى: بأهوال الآخرة. والكظم: مجرى النفس والاخذ به كناية: عن الموت، ونبه على وجوب الحذر من مخالفة الله بضمير صفراء قوله: فإنه لم يخلقكم عبثاً، اى: خالياً عن وجه الحكمة بل ليستكملوا فى الدنيا، و اشار الى وجوه حكمته فى خلقهم والطفاه فى حقهم، من انزال الكتاب وبعث الرسول صلى الله عليه وآله، و اكمال دينه الذى ارتضى لهم، و تقدير الكبرى و كل من كان كذلك فواجب ان يحفظ حقوقه، ويحذر من تضييع ما استودعه. والرخصة هنا: المساهلة فى تنويع المأكّل والمشرب وغيره، من المباحات فإن ذلك مظنة الخروج فيها عن حدّ الاباحة الى ما لا ينبغى فى الدين، ومذاهب الظلمة: مسالكها وطرقها الجائرة.

روى ان ابليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام، فرأى عليه معاليق كل شئ فقال له: يا ابليس ما هذه المعاليق؟ قال: هذه هى الشهوات التى اصيب بهن قلوب بنى آدم، فقال: هل بي فيها شئ؟ قال: نعم ربما شبعت فشغلناك عن الصلاة وعن الذكر، قال: هل غير ذلك؟ قال: لا قال الله على ان لا أملاً بطنى من طعام ابدأ، فقال ابليس: لله على ان لا أنصح مسلماً ابدأ. ولا تداهنا انفسكم اى: لا تصانعوها بالتأويلات الضعيفة والشبهات الباطلة فإن ذلك سبب للهجوم على المعصية والعبور اليها عن حدّ الفصيحة من المباح. وبيان قوله: ان انصح الناس لنفسه، اطوعهم لربه. لما كان غرض النهي انما هو: جلب الخير والمنفعة للمنصوح و كان اتم خير و منفعة هو السعادة الباقية الابدية و كانت تلك السعادة انما تنال بالطاعة فكل من كانت طاعته له اتم كانت سعادته اتم، كان هو انصح الناس لنفسه بمبالغته فى طاعته، و ظهر من ذلك معنى قوله: وان أغشهم لنفسه أعصاهم لربه. والمغبون: من غبن نفسه بالمعصية وبحصوله على السهم الاخيبي فى الآخرة وتفويت نفسه نصيبها الأوفى من الجنة. وقوله: المغبوط، اى: من يستحق ان

١ - فى شر: والشبه.

يغبط، ومعنى الغبطة: ان يتمنى الانسان مثل ما لغيره من حال او مال، مع قطع النظر عن تمنى زوال تلك الحال عمن هي له، وبهذا القيد يتميّز عن الحسد. والسعيد: من وعظ بغيره، اي: السعيد التام، وذلك ان العظة قد تحصل للانسان من نفسه، بعبارة تقع له كمرض او أمر ينزل به، وقد تحصل بمشاهدة الغير وهذه اتم من تلك و افضل، لاستلزامها ثواب الآخرة مع السلامة من عبدة تلحق المعتبر في نفسه، ولذلك خص صاحبها بالسعيد مبالغة. و اهل الهوى: المنقادون لدواعي الشهوة والغضب الخارجة عن حدود الله، ونفر عن مجالستهم: باستلزامها الأمرين، وهو ظاهر ونفر عن الكذب بضمير صفراء قوله: فانه، بجانب للايمان، وهو: خبر نبوي، ومجانسته له لكونه من الكبائر المضادة للايمان وهو: الصدق، ومضادة اللازم مضادة للملزوم، ومجانب له. ونفر عن الحسد بضمير صفراء قوله: فانه، الى قوله: الحطب، ووجه الشبه: ان الحاسد قد يفرق فكره في الاهتمام بأمر المحسود حتى لا يتفرغ لطاعة وعبادة بل قد يذهل عما حصل عليه من الكمال، وبدوامه ينقطع به عن تحصيل الحسنات فيكون مفوتاً لها كفعل النار في الحطب.

ولفظ الأكل: مستعار لذلك التفتوت: ونفر عن التباغض بضمير صفراء قوله: فانها الحالقة. والضمير في قوله: فانها، يعود الى المصدر، وهي المباغضة، واستعار لفظ الحالقة للجائحة التي تقع بسبب التباغض عن الفرقة واختلاف الكلمة المستلزم لطمع العدو في المتباغضين، واستيصالهم و افناء بعضهم لبعض كآلة الحالقة، ونسبة السهو والنسيان والغفلة الى فعل الأمل لما يستلزمه من الغفلة من الآخرة، وتكذيبه برد العقل لاحكام الوهم بنيل المطلوب، وبذكر الموت وقواطع الاقدار عن بلوغه، وبالله التوفيق.

٨٤ - وَمِنْ حُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

وفيها فصول:

الفصل الأول: في صفات المتقين وهو قوله:

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَيْهِ عَبْدًا أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ فَاسْتَشَعَرَ الْحُزْنَ، وَ

تَجَلَّبَبَ الْخَوْفَ، فَزَهَرَ مِصْبَاحُ الْهُدَى فِي قَلْبِهِ، وَأَعَدَّ الْقِرَى لِيَوْمِهِ النَّازِلِ بِهِ، فَقَرَّبَ عَلَى نَفْسِهِ الْبَعِيدَ، وَهَوَّنَ الشَّدِيدَ: نَظَرَ فَأَبْصَرَ، وَذَكَرَ فَاسْتَكْثَرَ، وَأَزْتَوَى مِنْ عَذَابِ فُرَاتٍ سَهَلَتْ لَهُ مَوَارِدُهُ، فَشَرِبَ نَهْلًا، وَسَلَكَ سَبِيلًا جَدِّدًا، قَدْ خَلَعَ سَرَابِيلَ الشَّهَوَاتِ، وَتَخَلَّى مِنَ الْهَمُومِ إِلَّا هَمًّا وَاحِدًا أَنْفَرَدَ بِهِ، فَخَرَجَ مِنْ صِفَةِ الْعَمَى، وَمُشَارَكَةِ أَهْلِ الْهَوَى، وَصَارَ مِنْ مَفَاتِيحِ أَبْوَابِ الْهُدَى، وَمَعَالِيْقِ أَبْوَابِ الرَّدَى، قَدْ أَبْصَرَ طَرِيقَهُ، وَسَلَكَ سَبِيلَهُ، وَعَرَفَ مَنَارَهُ، وَقَطَعَ غِمَارَهُ، اسْتَمْسَكَ مِنَ الْعُرَى بِأَوْثِقِهَا، وَمِنَ الْجِبَالِ بِأَمْتِهَا، فَهُوَ مِنَ الْيَقِينِ عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ الشَّمْسِ: قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلَّهِ - سُبْحَانَهُ - فِي أَرْزَاقِ الْأُمُورِ مِنْ إِضْدارِ كُلِّ وَارِدٍ عَلَيْهِ، وَتَضْيِيرِ كُلِّ فَرْعٍ إِلَى أَصْلِهِ، مِصْبَاحُ ظُلُمَاتٍ، كَشَّافُ عَشَاوَاتٍ، مِفْتَاحُ مُبْهَمَاتٍ، دَفَّاعُ مُعْضَلَاتٍ، دَلِيلُ قَلَوَاتٍ، يَقُولُ فِيهِمْ، وَيَسْكُتُ فِيَسْلَمُ: قَدْ أَخْلَصَ اللَّهُ فَاسْتَخْلَصَهُ فَهُوَ مِنْ مَعَادِنِ دِينِهِ، وَأَوْتَادِ أَرْضِهِ، قَدْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ الْعَدْلَ، فَكَانَ أَوَّلَ عَدْلِهِ نَفَى الْهَوَى عَنْ نَفْسِهِ، يَصِفُ الْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِهِ، لَا يَدْعُ لِلْخَيْرِ غَايَةً إِلَّا أُمَّهَاتُهَا، وَلَا مَظِنَّةً إِلَّا قَصْدَهَا، قَدْ أَمَكَّنَ الْكِتَابَ مِنْ زِمَامِهِ فَهُوَ قَائِدُهُ وَإِمَامُهُ، يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ ثِقَلُهُ، وَيُنْزِلُ حَيْثُ كَانَ مَثْرَتُهُ.

أقول: اعانته على نفسه، افادته تعالى لعقله قوة قهر نفسه الامارة بالسوء، واتخاذها الحزن شعاراً اى: على معصية الله. والخوف جلباباً اى: من عقابه، ووصف الاستشعار والتجلبب مستعاران. وزهراً مصباح الهدى فى قلبه شروق نور المعارف الالهية فى سرور، وهو: ثمرة الاستعداد، والخوف والحزن، واستعار لفظ المصباح: لنور المعرفة لاشتراكهما فى افادة الهدى. ولفظ القرى: للاعمال الصالحة التى تعد ثمراتها ليوم موته، وما بعده ملاحظة لشبهها بما يعد من الضيافة للقادم، وتقربه على نفسه البعيد تقصيره لأمله الطويل فى الدنيا، بذكر الموت او تقربه لما بعد من احوال الآخرة بدوام اخطارها بباله، حتى كأنها حاضرة له. وتهوينه الشديد: تسهيل شدائد الدنيا على خاطره، واستحقاقه فى جنب ما يتصوره من الفرجة بقاء الله، ووعده ووعيدته، او تسهيله لشدائد الآخرة وتهوينها بالأعمال الصالحة. ونظر اى: فكّر فى ملكوت السموات والارض، فأبصر اى: الحق سبحانه فى عجائب خلقه، يعنى: بصيرته. وذكر ربه ومعاده، فاستكثر من الاعمال

الصالحة والذكر، حتى صار ملكة، و استعار لفظ العذب: بوصف الفرات للعلوم و الكمالات النفسانية، و وصف الارتواء: لتمام الاستكمال بها، و مواردها: مظانها من العبر والامور التي تُحَصِّلُ نفوس المتقين منها العلوم، و تسهيلها لهم: سرعة اخذهم عنها الكمالات لكمال استعدادهم لذلك . و النهل: الشرب فى اَوَّل الورد و استعار لفظه: لسبق احدهم الى اخذ الكمالات عن مظانها. والسبيل الجدد: سبيل الله الواضح. و خلعه سراويل الشهوات، اشارة الى: طرف الزهد، و لفظ السراويل مستعار: لما يلبس به من الشهوات والهَم الذى انفرد به هو الوصول الى ساحل العزة. و استعار لفظ العمى: للجهل. و ابواب الهدى هى الفضائل والطاعات. و ابواب الردى هى: الرذائل والمعاصى. و مناره، اعلام طريق الله، و هى البراهين والادلة التى تهدي بها. و غمارة: ما كان مغموراً فيه من احوال الدنيا. و اوثق العرى: الإيمان بالله و هو امتن الجبال، و لفظهما مستعاران: باعتبار وثاقه التمسك بهما.

وقوله: فهو من اليقين، اى: بالله و ماجاءت به رسله، من احوال الغيب على اتم يقين. و قوله: قد نصب نفسه، الى قوله اصله، اى: لما كمل فى ذاته كان اهلاً لهداية الخلق، و افادتهم لقوانين طريق الله، و التفرغ عنها. و الظلمات: ظلمات الجهل. و العشوات: ما التبس على البصائر من المسائل الدقيقة، و كذلك المبهمات، و المعضلات، و الفلوات استعارة. و قوله: يقول، الى قوله: يسلم، اى: يستعمل كُلام من القول: و السكوت فى موضعه، و يصيب به مقصوده، و استعار له لفظ المصباح: باعتبار هدايته للخلق، و لفظ المفتاح: لفتح ما انغلق من مشكلات المسائل. و لفظ الدليل: لهدايته فى مفاوز الجهلات على طريق الله. و لفظ المعدن: لكونه مظنة دين الله عنه يؤخذ. و لفظ الوتد: لكون ارض الله به تحفظ. و لفظ الزمام: لعقله باعتبار تسليمه الى حكم الله و اوامره فكانتها تقوده بعقله فى طريق الله.

الفصل الثانى:

وَآخَرَ قَدْ تَسَمَّى عَالِمًا وَ لَيْسَ بِهِ فَاقْتَبَسَ جَهَائِلَ مِنْ جُهَّالٍ وَ أَضَالِيلَ مِنْ ضُلَّالٍ
وَ نَصَبَ لِلنَّاسِ شَرَكًا مِنْ حَبَائِلِ عُرُورٍ، وَ قَوْلٍ زُورٍ؛ قَدْ حَمَلَ الْكِتَابَ عَلَى آرَائِهِ؛ وَ عَظَفَ

الْحَقَّ عَلَى أَهْوَائِهِ، يُومَنُ مِنَ الْعِظَائِمِ، وَيُهَوَّنُ كَبِيرَ الْجَرَائِمِ يَقُولُ «أَقِفْ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ»
وَفِيهَا وَقَعَ؛ «وَأَعْتَزِلِ الْبِدْعَ» وَبَيَّنَّهَا أَضْطَجَعَ: فَالْصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ، وَالْقَلْبُ قَلْبُ
حَيَوَانَ، لَا يَعْرِفُ بَابَ الْهُدَى فَيَتَّبِعُهُ وَلَا بَابَ الْعَمَى فَيَصُدُّ عَنْهُ؛ فَذَلِكَ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ.

(فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ؟) وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ؟ وَالْأَعْلَامُ قَائِمَةٌ! وَالآيَاتُ وَاصِحَةٌ! وَالْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ!
فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ بَلْ كَيْفَ تَعْمَهُونَ؟ وَبَيْنَكُمْ عِثْرَةٌ نَبِيَّكُمْ، وَهُمْ أَرْمَةٌ الْحَقِّ، وَأَعْلَامُ الدِّينِ،
وَالسِّنَةُ الصَّدْقِ، فَأَنْزَلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ وَرُدُّوهُمْ وَرُودَ الْهَيْمِ الْعِطَاشِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، خُذُوا عَنْ خَاتِمِ النَّبِيِّينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ
مَاتَ مِثًا وَ لَيْسَ بِمَيِّتٍ، وَيَبْلَى مَنْ بَلَى مِثًا وَ لَيْسَ بِبَالٍ» فَلَا تَقُولُوا بِمَا لَا تَعْرِفُونَ؛ فَإِنَّ
أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ، وَأَعْذِرُوا مَنْ لَا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ، وَأَنَا هُوَ، أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ
الْأَكْبَرِ؟ وَأَتْرَكَ فِيكُمْ الشَّقْلَ الْأَضْعَفَ، وَرَكَّزْتُ فِيكُمْ رَايَةَ الْإِيمَانِ، وَوَقَفْتُكُمْ عَلَى
حُدُودِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالْبَسْتُمْ الْعَاقِبَةَ مِنْ عَدْلِي، وَفَرَشْتُكُمْ الْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي،
وَأَرَيْتُكُمْ كَرَائِمَ الْأَخْلَاقِ مِنْ نَفْسِي فَلَا تَنْسَتُمُلُوا الرَّأْيَ فِيمَا لَا يُدْرِكُ قَعْرَةَ الْبَصَرِ، وَلَا
تَتَغَلَّغُلُ إِلَيْهِ الْفِكْرُ.

مرکز تحقیق و ترویج علوم و معارف اسلامی

اقول: الجهائل: جمع جهالة، و اراد الجهل المركب، وهو: الاعتقاد غير المطابق
للحق من شبهة، و استعمار لفظ الاشراك و الحبال: لما تفرع علماء السوء به الناس
من الأقوال الباطلة و حملة الكتاب على آرائه بتفسيره، بحسب رأيه، و كذلك عطفه على
اهوائه، تأويله بحسب هواه، و تأمينه الناس من العظائم، كاستعمال علماء السوء
وجهاال الوعظ آيات الوعد في كل موضع استجلابًا لقلوب العوام، و استعار له لفظ ميّت
الاحياء: باعتبار عدم الانتفاع به لجهله المركب الذي هو موت النفس المضادة لحياتها
الحقيقية باستكمال العلوم و الفضائل الخلقية، فالجاهل بالحقيقة ميّت و ان كان في صورة حي.
وقوله: فأين تذهبون الى آخره: تنبيه على كونهم في ضلال و عمى عن الحق،
و تخويف و تبكيت و تذكير بكتاب الله و عترة رسوله، ليلزموا هدايتهم. و تؤفكون:
تصرفون، و انى هنا: بمعنى متى، اى: متى تصرفون عن ضلالكم و الاستفهام: للتقريع، و
استعمار لفظ الاعلام: لائمة الدين و كذلك المنار، و نصبها قيام الائمة بينهم. و عترة

الرجل: أقاربه من ولده وولد ولده. و ادانى: بنى عمه، وعتره الرسول صلى الله عليه وآله: اهل بيته. واستعار لهم لفظ الازمة: بأعتبار كونهم قادة للمخلق الى طريق الحق كالزمام، و كونهم السنة الصدق اى: تراجمة الوحي الصادق، او أنهم لا يقولون الا صدقاً لعصمتهم. وقوله: فأُنزِلوهم بأحسن منازل القرآن.

فاعلم ان للقرآن منازل احدها القلب، وله فيه منزلتان: منزلة الاكرام والتعظيم، ومنزلة التصور فقط، ثم منزلة فى الوجود اللسانى، ثم فى الكتب والدفاتر، واحسن منازلها هى الأولى. فالمراد: الوصية باكرامهم وتعظيمهم ومحبتهم كما يكرم القرآن بذلك. وقوله: ورودهم: ورود الهيم العطاش ارشاد لهم الى الاسراع فى اقتباس العلوم، و كرائم الاخلاق منهم كما يسرع الهيم وهى الابل العطشى الى الشرب. والضمير فى قوله: خذوها: للرواية الحاضرة وهو تقرير لقوله تعالى: (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتاً بل احياء) الآية، ويبنى اى: بجسمه، وليس ببال اى: بنفسه، وذكره. قوله: ولا تقولوا بما لا تعلمون، اى: مما طوى عنكم غيبه وعلمناه، وذلك: أنهم كانوا يخوضون فى امرالمعاد، ويقول كل منهم بحسب ما يتصور من القرآن، والحديث، والائمة عليهم السلام، أعلم بذلك، ونبه على وجوب الانتهاء عن التسرع الى القول بغير علم بضمير صغراه، قوله: فان اكثر الحق فيما تنكرون، وتقدير كبراه: و كل ما كان اكثر الحق فيه لم يجز التسرع الى انكاره، لجواز أن يكون هو الحق، والثقل الاكبر: كتاب الله لكونه الاصل المتبع. والثقل الاصغر: العترة الطاهرة^٢.

واستعار لفظ راية الايمان: لسنته المتبعة فى العمل بكتاب الله. وركزها: وضعها بينهم ليقتدوا بها. وقعر الشىء: اقصاه. والبصر: بصرا العقل. والتغلغل: الدخول فى الاعماق، وهونهى عن استعمال مجرد الرأى فى دقائق المسائل الالهية، و امرالمعاد فان ذلك مهلكة.

منها:

١ - سورة آل عمران / ١٦٩.

٢ - مأخوذ من قول النبي (ص): ابنى مخلف فيكم الثقلين.

حَتَّى يَظُنَّ الظَّانُّ أَنَّ الدُّنْيَا مَعْقُولَةٌ عَلَى بَنِي أُمِيَّةٍ تَمْنَحُهُمْ دَرَّهَا وَتُورِدُهُمْ صَفْوَهَا، وَلَا يُرْفَعُ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَوَاطِئُهَا، وَلَا سَيْفُهَا، وَكَذَبَ الظَّانُّ لِذَلِكَ؛ بَلْ هِيَ مُجَّةٌ مِنْ لَذِيذِ الْعَيْشِ يَتَطَعَّمُونَهَا بُرْهَةً، ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا جُمْلَةً.

الفصل غاية من غايات دولة بني امية، وهو اخبار عما سيكون. ومعقولة: محبوسة، واستعار لفظ الدر والصفو: للذاتها وقيناتها، ولفظ المحبة: لما يحصلون عليه من الدولة والملك، باعتبار قلته بالنسبة الى زمان عدمه، ووصف التطعم: لا لتذاذهم بالإمرة. ووصف اللفظ: لزوالها عنهم.

٨٥ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْصِمِ جَبَّارِي دَهْرٍ قَطُّ إِلَّا بَعْدَ تَمِيلٍ وَرَخَاءٍ، وَلَمْ يَجْبُرْ عَظَمَ أَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا بَعْدَ أَزْلِ وَبَلَاءٍ، وَفِي دُونَ مَا آمَتَّقَبَلْتُمْ مِنْ عَثْبٍ، وَمَا آسْتَدْبَرْتُمْ مِنْ خَطْبٍ؛ مُعْتَبِرًا وَمَا كُلُّ ذِي قَلْبٍ بَلِيْبٍ، وَلَا كُلُّ ذِي سَمْعٍ بِسَمِيعٍ، وَلَا كُلُّ نَاطِرٍ بِبَصِيرٍ، فَيَا عَجَبِي - وَمَالِي لَا أَعْجَبُ - مِنْ خَطَايَا هَذِهِ الْفِرْقَةِ عَلَى اخْتِلَافِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا! لَا يَقْتَضُونَ أَثْرَنَبِي، وَلَا يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِي، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ، وَلَا يَعْفُونَ عَنْ عَيْبٍ. يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ، الْمَعْرُوفُ عِنْدَهُمْ مَا عَرَفُوا، وَالْمُنْكَرُ عِنْدَهُمْ مَا أَنْكَرُوا، مَفْرَعُهُمْ فِي الْمُغْضَلَاتِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ، وَتَعْوِيلُهُمْ فِي الْمُبْهَمَاتِ عَلَى آرَائِهِمْ، كَأَنَّ كُلَّ أَمْرٍ مِنْهُمْ إِمَامٌ نَفْسِيهِ: قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيمَا يَرَى بِعُرَى ثِقَاتٍ وَأَسْبَابِ مُحْكَمَاتٍ.

اقول: مقصود الفصل توبيخ الامة على اختلافهم في الدين، وتشيت آرائهم في الأحكام والمذاهب.

والقصم: الكسر، وجبر العظم: كناية عن التقوية بعد الضعف. والأزل: الشدة. والعتب: الذي استقبلوه عتابه عليه السلام وما ينبغي منه. والخطب: الذي استدبروه، الأحوال التي لحقتهم من المشركين. وفي دون ذلك معتبر لمن كان له قلب، فإنهم لو اختلفوا حينئذ كاختلافهم الآن لما كان لهم مع قلتهم وقع عند المشركين. و كأنه قال:

فيجب الآن ان تعتبروا بذلك وتلازموا الاتحاد في الدين. واللبيب: من ينتفع بلبه، وهو: عقله، و فائدة قوله: فما كلّ ذى لبّ الى قوله: ببصير: تحريك النفوس الى الاعتبار كيلا يعدّ التارك غير لبيب ولا سميع ولا بصير. ثم ذكر من مذاقهم اربعة تروك لما ينبغي ان يفعلوه، و اربعة افعال مما ينبغي ان يتركوه، وقدم على الكلّ ذكر السبب وهو اختلاف حججهم في دينهم، لأنّ ذلك هو الأصل الذي نشأت عنه هذه الرذائل، والعيب: الذي تركوا الايمان به هو ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله من السمعيّات الصرفة كأحوال المعاد البدنيّ، و احوال القيامة، والجنّة والنار. وقوله: المعروف، الى قوله: ما انكروا، أى: انّ المعروف والمنكر محصوران فيما عرفوه وانكروه، وان كان ما تصوّروه جهلا و ما انكروه هو الحق. والمضلات: ما اشكل امره وأصعب فهمه، من الاحكام الدينيّة، والاسباب المحكمة، النصوص الجلية.

٨٦ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ، وَاعْتِزَامِ مِنَ الْفِتَنِ، وَانْتِشَارِ مِنَ الْأُمُورِ، وَتَلِيزِ مِنَ الْخُرُوبِ، وَالذُّنْيَا كَأَسْفَفِ النُّورِ ظَاهِرَةُ الْغُرُورِ، عَلَى حِينِ أَضْفِرَارِ مِنْ وَرَقِهَا، وَإِيَاسِ مِنْ ثَمَرِهَا، وَأَغْوِرَارِ مِنْ مَائِهَا، قَدْ دَرَسَتْ مَنَارُ الْهُدَى، وَظَهَرَتْ أَغْلَامُ الرَّدَى، فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ لِأَهْلِهَا عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ ظَالِمِهَا، ثَمَرُهَا الْفِتْنَةُ، وَطَعَامُهَا الْجِيفَةُ، وَشِعَارُهَا الْخَوْفُ، وَدِنَارُهَا السَّيْفُ. فَاعْتَبِرُوا عِبَادَ اللَّهِ، وَأَذْكُرُوا تِيكَ التِّيَ آبَاؤَكُمْ وَ إِيَّاهُمْ، وَخَوَانِكُمْ بِهَا مُرْتَهِنُونَ، وَعَلَيْهَا مُحَاسِبُونَ. وَلَعَمْرِي مَا تَقَادَمَتْ بِكُمْ وَلَا بِهَمِّ الْعُهُودِ، وَلَا خَلَّتْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ الْأَحْقَابُ وَالْقُرُونُ، وَمَا أَنْتُمْ الْيَوْمَ مِنْ يَوْمِ كُنْتُمْ فِي اضْطِلَابِهِمْ بِبَعِيدٍ. وَاللَّهُ مَا أَسْمَعَكُمْ الرَّسُولُ شَيْئاً إِلَّا وَهِيَ أَنَا ذَا الْيَوْمِ مُسْمِعُكُمْ، وَمَا أَسْمَعَكُمْ الْيَوْمَ بَدُونَ أَسْمَاعِكُمْ بِالْأَمْسِ وَلَا شُقَّتْ لَهُمُ الْأَبْصَارُ، وَلَا جُعِلَتْ لَهُمُ الْأَفْئِدَةُ فِي ذَلِكَ الْأَوَانِ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيتُمْ مِثْلَهَا فِي هَذَا الزَّمَانِ. وَاللَّهُ مَا بَصُرْتُمْ بَعْدَهُمْ شَيْئاً جَهْلُوهُ، وَلَا أَضْفَيْتُمْ بِهِ وَحُرْمُوهُ، وَ لَقَدْ نَزَلَتْ بِكُمْ الْبَلِيَّةُ جَائِلًا خِطَامُهَا رِيحًا بِطَانِيهَا، فَلَا يَغْرُتْكُمْ مَا أَصْبَحَ فِيهِ أَهْلُ الْغُرُورِ، فَإِنَّمَا هُوَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ، إِلَى أَجَلٍ مَمْدُودٍ.

أقول: خلاصة الفصل التذكير بنعمة الله التي نفت ما كانوا فيه، من بؤس، وهي
نعمة بعثة الرسول صلى الله عليه وآله، وما استلزمته من الخيرات لتعتبروا فتشكروا.
والفترة ما بين زمانى الرسولين، واستعار لفظ الهجعة: لما كان عليه الناس قبل البعثة
من الغفلة المُشَبَّهة للنوم. والاعتزام: العزم، ونسبتها الى الفتن مجاز. وروى اعترام بالراء
المهملة وهي: كثرتها. وروى^١ اعترض الفرس فى الطريق اذا مشى عرضاً من غير قصد.
وتلظت الحرب: تلهبت. والتجهم: العبوس. والاحقاب جمع حقب: الدهور. واستعار
لفظ النور: للانبياء والشرائع والاولياء القائمين بها. ولفظ الورق والتمر والماء: لمتاع
الدنيا وزينتها. ولفظ الاصفرار: لتغيرها عن العرب فى ذلك الوقت وعدم طلاوة عيشهم،
وخشونة مطاعهم اذن، والياس من ثمرها: انقطاع آمالهم^٢ من الملك والدولة. ولفظ
الأعلام: لأئمة الهدى وقوانين الشرع، ولفظ اعلام الردى: لأئمة الضلال الداعين الى
النار، ووصف التجهم والعبوس من الدنيا: لعدم وضوح مطالبها وتيسرها لطلابها
من العرب اذ الخطاب معهم. ولفظ الثمر: للفتنة باعتبار انها غاية للعرب يومئذ من
حركاتهم وحرورهم. ولفظ الجيفة: لما لم يذكر اسم الله عليه من الذبائح، او ما كانوا
يأكلونه من النهب والغارة تنفيرا عن حرمته، *روى*
ولفظ الشعار: للخوف من النهب والغارات، باعتبار ملازمته لهم. ولفظ الدثار:
للسيف لعلوه لهم غالباً. وقوله: واذكروا تيك: تذكير لهم بوجه العبرة من قبائح الاعمال
والخطايا التى كانت عليها اسلافهم من الجاهلية، فى معرض التخويف بما يلزمها
من العقاب فى الآخرة. وارتهانهم بها: حبسهم فى سلاسل للهيئات البدنية. وقوله: و
لعمرى، الى قوله: ببعيد: الحاق لهم بهم فى معرض الوعيد ان يصيبهم ما اصابهم، و
ابداء لعُذْرِهِ فى إسماعهم، كأسماع الرسول صلى الله عليه وآله، أسلافهم، واستعار لفتنة
بنى امية: وصف جولان الخطام، ورخاوة البطان: ملاحظة لشبهها بالناقة الصعبة، ووجه
الشبه كونهما مظنة الهلاك. والبطان: للقتب كالحزام للفرس. ولفظ الظل: لدولتهم
باعتبار سرعة زوالها. ونفر عما أصبح فيه اهل الغفلة والغرور. وأراد بنى امية فى دولتهم

١- فى ش: وروى اعتراض من اعترض الفرس.

٢- فى نسخة ش: مآلهم.

و غرورهم فيها عن الله بضمير صغراه قوله: فانما هو آخر، وتقدير كبراه، و كل ما كان كذلك فينبغي ان يغتر به، ويركن اليه.

٨٧ - وَمِنْ حُطْبَةِ لَهٍ عَلَيْهِ السَّلَام

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، وَالْحَالِقِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، الَّذِي لَمْ يَزَلْ قَائِمًا دَائِمًا؛ إِذْ لَا سَمَاءَ ذَاتُ أَبْرَاجٍ؛ وَلَا حُجُبَ ذَاتُ أَرْجَاجٍ، وَلَا لَيْلٌ دَاجٍ، وَلَا بَحْرٌ سَاجٍ، وَلَا جَبَلٌ ذُو فِجَاجٍ، وَلَا فَجٌّ ذُو أَعْوِجَاجٍ، وَلَا أَرْضٌ ذَاتُ مِهَادٍ، وَلَا خَلْقٌ ذُو أَعْتِمَادٍ: ذَلِكَ مُبْتَدِعُ الْخَلْقِ وَوَارِثُهُ، وَإِلَهُ الْخَلْقِ وَرَازِقُهُ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ دَائِبَانِ فِي مَرْضَاتِيهِ: يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ وَ يُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ، قَسَمَ أَرْزَاقَهُمْ، وَأَحْصَى آثَارَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ، وَعَدَدَ أَنْفَاسِهِمْ، وَخَائِنَةَ أَعْيُنِهِمْ، وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ مِنَ الضَّمِيرِ، وَمُسْتَقَرَّهُمْ وَمُسْتَوْدَعَهُمْ مِنَ الْأَرْحَامِ وَالظُّهُورِ، إِلَى أَنْ تَتَنَاهَى بِهِمُ الْغَايَاتُ، هُوَ الَّذِي اشْتَدَّتْ نِقْمَتُهُ عَلَى أَعْدَائِهِ فِي سَعَةِ رَحْمَتِهِ وَاتَّسَعَتْ رَحْمَتُهُ لِأَوْلِيَائِهِ فِي شِدَّةِ نِقْمَتِهِ، قَاهِرٌ مَنْ عَازَاهُ وَمُدْمِرٌ مَنْ شَاقَّاهُ، وَمُذِلٌّ مَنْ نَاوَاهُ، وَغَالِبٌ مَنْ عَادَاهُ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ، وَمَنْ سَأَلَهُ أَعْظَاهُ، وَمَنْ أَقْرَضَهُ قَضَاهُ، وَمَنْ شَكَرَهُ جَزَاهُ. عِبَادَ اللَّهِ، زِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، وَحَاسِبُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَتَنْفَسُوا قَبْلَ ضَيْقِ الْخِنَاقِ، وَأَنْقَادُوا قَبْلَ عُثْفِ السِّيَاقِ، وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ لَمْ يُعِنِ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَكُونَ لَهُ مِنْهَا وَعِظٌ وَزَاجِرٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا زَاجِرٌ وَلَا وَعِظٌ.

اقول: انه وصف الله سبحانه باعتبارات من صفات جلاله، وقد سبق بيان اكثر هذه الاعتبارات، وقيامه دوام وجوده لذاته. وقوله: اذ لاسماء، الى قوله: ذواعتماد، اشارة الى: اعتبار ازليته وقيامه بذاته، وسبقه لكل ممكن تقديرا لقول الرسول صلى الله عليه وآله: كان الله ولا شيء. والحجب ذات الارتاج: السموات. وابلء الشمس والقمر لكل جديد كناية عن: تفانيهما^١ بعده، ويحتمل ان يريد كونهما اسبابا معدة لزوال كل كائن في هذا العالم، وفساده وتقريبهما للبعيد: جذبهما الى الموت وما بعده من احوال

١ - نسخة ش: بقائهما.

الآخرة وغاياتهم التي تتناهى بهم ما يختم به اعمالهم من سعادة و شقاوة.
 وقوله: وهو الذى اشتدت، الى قوله: نعمته، اشارة الى: كماله وتنزيهه، فى اعتبار
 احواله عن ملوك الدنيا فانّ حال الرحمة و حال الغضب فيهم متضادّان لا يجتمعان.
 ولما كان كماله تعالى يقتضى ان يفيض على كلّ نفس ما يستعدّ له، و جازان يستعدّ
 الشخص الواحد للنعمة التي هى اثر الرحمة، وللنقمة التي هى اثر الغضب فى حال
 واحد، لاجرم جاز اجتماع رحمته و نقمته فى محلّ واحد فى وقت واحد، باعتبارين
 كحال الكفار مثلا فى الدنيا. وقوله: وعازّه: غالبه، وناواه: عاداه. وزنة النفوس
 فى الدنيا: اعتبار اعمالها من الخير والشرّ و مراعاة استقامتها على حاق الوسط من الفضائل
 فى سبيل الله، و محاسبة النفس: ضبط اعمالها الخيرية والشرية ليزكيها بما ينبغى لها
 ويعاقبها على فعل ما لا ينبغى، و باب عظيم من ابواب المرابطة فى سبيل الله، و استعار
 لفظ وصف التنفس: لتحصيل الراحة والبهجة للآخرة بالاعمال الصالحة فى الدنيا
 المستلزمة لها كما يستلزم النفس راحة القلب من الكرب. و لفظ الخناق من الحبل:
 للموت. و انقادوا اى: لأوامر الله قبل عنف سياق الموت، و اعانة العبد على نفسه: اعداد
 العناية الالهية لقوته العقلية على قهر النفس الاقارّة بالسوء، و تهيأتها لقبول السوانح الخيرية
 و من لم يحصل ذلك الاستعداد ملكة حتى يكون هو القاهر لنفسه لم يتمكن من قهرها
 بموعظة الغير و زجره، و ذلك تنبيه على وجوب الاستعانة بالله فى احوال النفس
 و دفع الشيطان عنها، و بالله التوفيق.

٨٨. وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

تعرف بخطبة الاشباح. وهى من جلائل الخطب. روى مسعدة بن صدقة
 عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، أنّه قال: خطب امير المؤمنين صلى الله عليه وآله
 بهذه الخطبة على منبر الكوفة، وذلك انّ رجلا أتاه فقال له يا امير المؤمنين: صف لنا ربنا
 لنزداد له حبّا، وبه معرفة فغضب عليه السلام، و نادى الصلاة جامعة فاجتمع الناس حتى

١ - فى شر: لتركها.

غص المجلس بأهله فصعد المنبر وهو مغضب متغير اللون، فحمد الله سبحانه وصلى على
النبي محمد صلى الله عليه وآله ثم قال:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَفِرُّهُ الْمَنْعُ وَالْجُمُودُ، وَلَا يُكْدِيهِ الْإِعْظَاءُ وَالْجُودُ؛ إِذْ كُلُّ مُعْطٍ
مُنْتَقِصٌ سِوَاهُ، وَكُلُّ مَانِعٍ مَذْمُومٌ مَا خَلَاهُ، وَهُوَ الْمَنَّانُ بِفَوَائِدِ النَّعْمِ، وَعَوَائِدِ الْمَزِيدِ وَالْقِسْمِ،
عِيَالُهُ الْخَلْقُ؛ ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ، وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ، وَنَهَجَ سَبِيلَ الرَّاعِبِينَ إِلَيْهِ، وَالظَّالِبِينَ مَا لَدَيْهِ،
وَلَيْسَ بِمَا سُئِلَ بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَا لَمْ يُسْأَلْ، الْأَوَّلُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلُ فَيَكُونُ شَيْءٌ قَبْلَهُ؛
وَالْآخِرُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ بَعْدُ فَيَكُونُ شَيْءٌ بَعْدَهُ؛ وَالرَّادِعُ أَنَا سَيُّ الْأَبْصَارِ عَنْ أَنْ تَنَالَهُ أَوْ تُدْرِكَهُ
مَا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ ذَهْرٌ فَيَخْتَلِفُ مِنْهُ الْحَالُ، وَلَا كَانَ فِي مَكَانٍ فَيَجُوزُ عَلَيْهِ الْإِنْتِقَالُ؛ وَلَوْ
وَهَبَ مَا تَنْفَسَتْ عَنْهُ مَعَادِنُ الْجِبَالِ، وَضَحِكَتْ عَنْهُ أَصْدَافُ الْبِحَارِ، مِنْ فِلْزِ اللَّجَيْنِ وَالْعِيقَانِ،
وَنُثَارَةِ الدَّرِّ وَحَصِيدِ الْمَرْجَانِ مَا أَثَّرَ ذَلِكَ فِي جُودِهِ، وَلَا أَنْفَدَ سَعَةَ مَا عِنْدَهُ، وَلَكَانَ عِنْدَهُ مِنْ
ذَخَائِرِ الْإِنْعَامِ مَا لَا تُنْفِذُهُ مَطَالِبُ الْأَنْامِ؛ لِأَنَّهُ الْجَوَادُ الَّذِي لَا يَغِيضُهُ سُؤَالُ السَّائِلِينَ،
وَلَا يُبْخِلُهُ إِحَاخُ الْمَلِيحِينَ.

فَانظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ فَمَا ذَلِكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَأَنْتَمَّ بِهِ، وَأَسْتَضِيءُ بِنُورِ هِدَايَتِهِ،
وَمَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرَضُهُ وَلَا فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَآئِمَّةِ الْهُدَى أَثَرُهُ؛ فَكِلَ عِلْمُهُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ .
وَأَعْلَمُ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ اقْتِحَامِ السُّدِّ الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ،
الْأَقْرَارُ بِجُمْلَةِ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمَخْجُوبِ، فَمَدَحَ اللَّهُ اعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ
مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْمًا، وَسَمَى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكَلِّفَهُمُ الْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوحًا؛
فَأَقْتَصِرَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا تُقَدَّرُ عَظَمَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ فَتَكُونُ مِنَ الْهَالِكِينَ: هُوَ
الْقَادِرُ الَّذِي إِذَا أَرْتَمْتَ الْأَوْهَامَ لِتُدْرِكَ مُنْقَطِعَ قُدْرَتِهِ، وَحَاوَلَ الْفِكْرَ الْمُبْرَأَ مِنْ خَطَرَاتِ
الْوَسَاوِسِ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ فِي عَمِيقَاتِ غُيُوبِ مَلَكُوتِهِ، وَتَوَلَّهَتْ الْقُلُوبُ إِلَيْهِ لِتَجْرِيَ فِي كَيْفِيَّةِ
صِفَاتِهِ، وَغَمُضَتْ مَدَاخِلُ الْعُقُولِ فِي حَيْثُ لَا تَبْلُغُهُ الصِّفَاتُ لِتَتَنَاوَلَ عِلْمَ ذَاتِهِ رَدْعَهَا وَهِيَ
تَجُوبُ مَهَاوِي سُدِّ الْغُيُوبِ مُتَخَلِّصَةً إِلَيْهِ، سُبْحَانَهُ، فَرَجَعَتْ إِذْ جُبِهَتْ مُعْتَرِفَةً بِأَنَّهُ لَا يُنَالُ
بِجُورِ الْإِعْتِسَافِ كُنْهَ مَعْرِفَتِهِ، وَلَا تَخْطُرُ بِيَالِ أُولَى الرُّوِيَاتِ خَاطِرَةٌ مِنْ تَقْدِيرِ جَلَالِ عِزَّتِهِ
الَّذِي أَبْتَدَعَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ أَمْتَثَلَهُ، وَلَا مِقْدَارٍ أَحْتَدَى عَلَيْهِ، مِنْ خَالِقٍ مَعْهُودٍ كَانَ

قَبْلَهُ، وَأَرَانَا مِنْ مَلَكُوتِ قُدْرَتِهِ، وَعَجَائِبِ مَا نَطَقَتْ بِهِ آثَارُ حِكْمَتِهِ، وَأَعْتِرَافِ الْحَاجَةِ
 مِنَ الْخَلْقِ إِلَى أَنْ يُقِيمَهَا بِمَسَاكِ قُدْرَتِهِ، مَا دَلَّنَا بِأَضْطِرَارِ قِيَامِ الْحُجَّةِ لَهُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ،
 وَظَهَرَتْ فِي الْبَدَائِعِ الَّتِي أَخَذَتْهَا آثَارُ صُنْعِيهِ وَأَعْلَامِ حِكْمَتِهِ، فَصَارَ كُلُّ مَا خَلَقَ حُجَّةً لَهُ
 وَدَلِيلًا عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ خَلْقًا صَامِتًا فَحُجَّتُهُ بِالتَّدْبِيرِ نَاطِقَةٌ، وَدَلَالَتُهُ عَلَى الْمُبْدِعِ قَائِمَةٌ.
 وَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبَائِنِ أَعْضَاءِ خَلْقِكَ، وَتَلَاخُمِ حِقَاقِ مَفَاصِلِهِمْ الْمُحْتَجِبَةِ لِتَدْبِيرِ
 حِكْمَتِكَ لَمْ يَعْقِدْ غَيْبَ ضَمِيرِهِ عَلَى مَعْرِفَتِكَ، وَلَمْ يُبَاشِرْ قَلْبَهُ الْيَقِينَ بِأَنَّهُ لَا يَدُ لَكَ، وَكَأَنَّهُ
 لَمْ يَسْمَعْ تَبَرُّاً التَّابِعِينَ مِنَ الْمَثْبُوعِينَ إِذْ يَقُولُونَ: (تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ، إِذْ
 نُسَوِّبُكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِكَ إِذْ شَبَّهُوكَ بِأَصْنَامِهِمْ وَنَحَلُوكَ حِلْيَةَ الْمَخْلُوقِينَ
 بِأَوْهَامِهِمْ وَجَزَأُوكَ تَجْزِئَةَ الْمَجْسَمَاتِ بِخَوَاطِرِهِمْ وَقَدَّرُوكَ عَلَى الْخِلْقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْقَوَى
 بِقَرَائِحِ عُقُولِهِمْ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ سَاوَاكَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ، وَالْعَادِلُ بِكَ كَافِرٌ
 بِمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ مُحْكَمَاتُ آيَاتِكَ، وَنَطَقَتْ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجَجِ بَيِّنَاتِكَ، وَإِنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَمْ
 تَنْتَهَ فِي الْعُقُولِ فَتَكُونَ فِي مَهَبِّ فِكْرِهَا مُكْفِئًا، وَلَا فِي رَوِيَّاتِ خَوَاطِرِهَا فَتَكُونَ مَحْدُودًا مُصْرَفًا.



أقول: قيل سميت الاشباح لاشتغالها على ذكر الأشباح، وهي: الاشخاص. وقيل:
 لأن الشبح هو الطول والامتداد. وهذه الخطبة ذات اقسام طوال ممتدة كذكر السماوات، و
 كيفية تخليقها، و كذكر الملائكة و اقسامهم، و كيفية خلقهم و احوالهم، و ذكر الارض و
 كيفية خلقها. و يفره، و يفره و فراً وهو: المال. و يكديه: ينقص خيره. و انما لم يقبل
 الزيادة و النقصان لامتزاجهما الحاجة و الامكان المنزه قدسه عنهما، و نزهه في الحكمين
 عن حال غيره من المعطلين و المانعين، و فوائد النعم ما افاد منها، و عوائد المزيد،
 و القسم ما اعتاد منهما، و استعار لفظ العيال: للخلق باعتبار ضمان ارزاقهم، و القيام
 لأحوالهم، و لفظ الضمان لما وجب في الحكمة من تقدير الأوقات و الارزاق التي لا بد
 منها كالضمان. و سبيل الراغبين اليه، شريعته و دينه، و نهجه لهم: ايضاحه بالادلة. و
 قوله: ليس بما سئل باجود منه بما لم يسئل عنه، فيه لطيفة وهي: ان فيضان ما يصدر عنه
 سبحانه له اعتباران:

أحدهما، بالنظر الى جوده، و هو من تلك الجهة غير مختلف فى جميع الموجودات، بل نسبتها اليه على سواء، فلا يقال هو بكذا اجود منه بكذا، و الا لاستلزم ان يكون ببعض الاشياء أبخل، او اليها احوج فيلزمه النقصان تعالى عن ذلك .

والثانى، بالنظر الى الممكن نفسه، و الاختلاف بالقرب والبعد الى جوده، انما هو من تلك الجهة فكل ممكن كان اتم استعدادًا و اقبل كان أقرب الى جوده. فالسائل اذن و ان حصل له ما سأل منه تعالى دون ما لم يسأل فليس منعه ما لم يسأله لعزته عنده وليس بينه و بين ما سأل بالنسبة الى جوده فرق و تفاوت بل تخصيصه بما سئل لتمام قبوله له، و لو كان قابلاً لما يسئل لوصل اليه من غير مسألة و ان عظم خطره، و الى هذا اشار على بن موسى الرضا عليه السلام، و قد سئل عن الجواد فقال: لسؤالك و جهان: ان اردت المخلوق فالذى يؤدى ما افترض الله عليه. و ان اردت الخالق فهو الجواد ان اعطى و ان منع لانه ان اعطى أعطى من له، و ان منع منع من ليس له.

و اراد ان جوده متوقف على الاستعداد و عدمه. وردعه اناسى الابصار عن ادراكه: قهره لها بذل النقصان عن قبول ذلك، لان القوة الباصرة انما يتعلق بذى الوضع و جهة المنزه قدسه تعالى عنه، و لم يختلف عليه دهر لعلوه عن الزمان، و بذلك لم تختلف عليه الأحوال، لان الزمان هو مبدأ الاختلاف. و فلز اللجين: خبثه و ما ينفيه الكبر منه. و العقيان: الذهب الخالص. و المرجان: صغار اللؤلؤ. و حصيده: محصوله و ما اجتمع منه. و استعار لفظ الضحك: للاصداف، و وجه الشبه: انفتاح الصدفين و اسفارهما عن اللؤلؤ الشبيه فى بدوه بالاسنان عن لحمه شبيهة باللسان فى هيئته، و وضوح المشابهة تستدعى المشاهدة. و لفظ الحصيد لصغار اللؤلؤ لشبهه بالحصيد من الغلات. و نبه بهذه القضية الشرطية على كمال قدرته، و عدم تناهى مقدوراته، و بين ذلك بضمير صغراه قوله: لانه الجواد الى قوله: الملحّين، و تقدير الكبرى و كل من كان كذلك فلو وهب جميع ما ذكر لم ينقص ملكه.

و قوله: فانظر الى آخره: تأديب للخلق فى وصفهم لله سبحانه، و تعليم لهم كيفية مدحهم و ثنائهم عليه، فأمرهم ان يقتدوا فى ذلك بكتاب الله تعالى، و من يقوم به من الأنبياء و الاثمة من بعدهم، اذ كان اول ما يوصف به ما وصف به تعالى نفسه، و ان

يفوضوا علم ما لم يعلموا الى علمه تعالى وهو المراد: بالتفويض المشهور. وقوله: انّ
الراسخين، الى قوله: المحجوب: تفسير لمعنى الرسوخ فى العلم. والإفتحام: الدخول
فى الامر بشدة. والسدد جمع سدة وهى: الأبواب والحجب.
واعلم انّ لحجب الغيوب طبقات كثيرة كما أشار اليه الرسول صلى الله عليه وآله:
(ان الله سبعين الف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لا حرقت سبحات وجهه كل من
ادرك بصره) وقد نبهنا عليها فى الاصل^١، وهنالك طيفة وهوانه لما كان التكليف فى نفس
الأمر انما هو على قدر العقول وتفاوت مراتبها كما قال صلى الله عليه وآله: (بعثت لا كلم
الناس على قدر عقولهم). كان كل عقل قوى على رفع حجاب من حجب الغيب، وقصر
عما ورائه، واعترف به، وبالعجز عنه، فذلك تكليفه وهو من الراسخين فعلى هذا ليس
الرسوخ مرتبة واحدة هى تقليد ظاهر للشريعة واعتقاد حقيقتها فقط بل تقليدها مرتبة اولى
من مراتبه، وما وراء ذلك من مراتب غير متناهية بحسب مراتب السالكين وقوتهم على
رفع حجاب الانوار. وظاهر كلامه عليه السلام، لا ينافى ذلك اذا نُزِّلَ عليه، فانّ قوله: و
سمى ترك التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه: رسوخاً صادقاً ايضاً على من قطع
جملة من منازل السائرين الى الله، وعجز عما ورائها فوقف ذهنه عن التعمق فيه اذ لا
يكلف بما لا يفي به قوته بدركه، والمقدّر لعظمة الله بقدر عقله هو المعتقد انّ عقله ادركه
واحاط به علمًا، ووجه الهلاك فى ذلك: الاعتقاد انّ ما يحيط به العقول البشرية محدّد و
مركب، فكان ممكناً فالمعتقد لذلك معتقد لغير الاله الها. وقوله: هو القادر، الى آخره،
اشارة الى: اعتبارات اخر من صفاته تعالى، نبّه فيها على انّ غاية استقصاء العقول و
تعمقها فى طلب تفصيل صفاته ان تقف خاسئة وترجع حسيرة. وارتداء الأوهام: استر-
سالها مجدة فى المطالعة والتفتيش، وعميقات غيوب ملكوته: فى اسرار عالم الغيب. و
استعار لفظ العمق: بأعتبار عدم وصول غائص الفكر الى منتهاها. والتولّ: شدة الشوق.
وردعها: خلقها قاصر عن ادراك ما تطلبه من هذه المطالب، فردع الاوهام لقصورها عن
ادراك ما ليس بمحسوس. وردع الفكر والعقول له قصورها عن ادراك حقيقة ما ليس
بمحدود مركب. وقدم اعتبار قدرته تعالى على الشرطيّة لانّها الأصل فى ذلك الردع. و

١ - الشرح الكبير ٢ / ٣٣٢.

تجوب: تقطع وتطوف. واستعار لفظ السدف جمع سدفة، وهى: الظلمة لما لا يهتدى اليه الفكر من الغيوب، ملاحظة لشبهها بالظلمة المحسوسة.

«والواو» فى قوله: وهى: للحال، والعامل: ردعها، وجور الاعتساف: شدة الجولان فى ببدأ جلال الله فظاهر انه غير نافع فى تحصيل ما لا يمكن. وقوله: وأرانا الى قوله: معرفته، فملكوت قدرته: ملكها، وإنما نسبة الى القدرة لأن اعتبارها مبدأ الوجود كله، فهو مبدأ المالكية، واعتراف: عطف على عجائب، والى: ان متعلق بالحاجة. وقوله: ما دلنا: مفعول ثان لأرانا: وعلى معرفته: متعلق بدلنا. واستعار لفظ الاعلام: لما يدل على حكمة الصانع فى فعله من الأتقان والأحكام. والضمير فى قوله: فحجته: يحتمل عوده الى الله ويحتمل عوده الى الخلق الصامت، وللسالكين فى سماع نطق آثار الله ومشاهدته فى مصنوعاته، مراتب ودرجات متفاوتة.

وقوله: واشهد، الى قوله: رب العالمين: التفات وإنما جعل المشبه به هو تباين الاعضاء وتلاحمها وان كان المشبه به هو الجسم متباين الاعضاء، لأن تباين الاعضاء هو وجه الشبه المستلزم للتركيب فكان ذكره اهم ليظهر به تنزيهه تعالى عن هذا التشبيه سريعاً، لبرائته عن الاعضاء، وتباينها وتركيبها. فاما شهادته عليه السلام بان المشبه له غير عارف به، ولا متيقن لتنزيهه عن المثل فالقرآن والبرهان مصدقان لشهادته. اما القرآن فما نبه عليه بقوله، و كانه لم يسمع الى آخر الآية ووجه الدليل ان المشبهة، وعبدة الاصنام، ينكشف لهم فى الآخرة أنهم كانوا ضالين فى تشبيه اصنامهم برب العالمين، فيرتب دليل هكذا، المشبهة ضالون فى تشبيههم لربهم، و كل من كان ضالاً فيه فليس بعارف به، وكذلك كل من كان كذلك فليس بمنزه له عن المثل.

واما البرهان: فلان المشبه له بخلقه يلزمه الحكم عليه بلوازم خلقه من الامكان والحدوث لان لازم المتشابهين لا يختلف. وقوله: كذب العادلون، الى قوله: عقولهم: تكذيب لهم و اشارة الى تفصيل جهات عدولهم الى سبب ذلك وهو الوهم الذى هو منشأ التشبيه، اذ كان حكمه لا يرتفع عن المحسوسات ولذلك لم يرتفع المشبه لله عن تشبيه الاصنام، و اشخاص الاجسام، وتجزئتهم له تجزئة المجسمات هو: ما يلزم حكمهم بكونه جسماً من اثبات الاعضاء له وتباينها. وقوله: واشهد، الى قوله: بيناتك: شهادة

ثانية بالكفر على من شبهه، و بين ذلك بقياس اسند كبراه الى كتاب الله، و نصوص آياته المحكمة، و بيناته الانبياء و شواهد حججهم هي تلك الآيات كقوله تعالى: (قُلْ اِنَّكُمْ لتكفرون بالذى خلق الارض) ١ الآية. و اما صفراه فلان الشبيه هو المثل و العديل. و قوله: و اشهد، الى قوله: مصرفاً: شهادة ثالثة هي خلاصة الاوالتين بكمال الوهيته، و تنزيهه عن التناهى فى العقول البشرية و احاطتها به، و تنبيهه على ما يلزم تناهيه فيها من كونه ذا كيفة تستثبته العقول: و يصرفها بها الوهم و الخيال. و مصرفاً أى: محكوماً عليه فى ذاته فى العقول باطلاً.

و منها:

قَدَّرَ مَا خَلَقَ فَأَحْكَمَ تَقْدِيرَهُ، وَ دَبَّرَهُ فَأَحْسَنَ تَدْبِيرَهُ، وَ وَجَّهَهُ لِيُوجِّهْتَهُ فَلَمْ يَتَعَدَّ حُدُودَ مَنزِلَتِهِ، وَ لَمْ يَقْصُرْ دُونَ الْإِنْتِهَاءِ إِلَى غَايَتِهِ، وَ لَمْ يَسْتَضِعِبْ إِذْ أَمَرَ بِالْمُضِيِّ عَلَى إِرَادَتِهِ، وَ كَيْفَ وَإِنَّمَا صَدَرَتْ الْأُمُورُ عَنْ مَشِيئَتِهِ؟ الْمُنْشَىءُ أَصْنَافَ الْأَشْيَاءِ بِلَارَوِيَّةٍ فِكْرٍ آلَ إِلَيْهَا، وَ لَا قَرِيحَةَ غَرِيزَةٍ أَضْمَرَ عَلَيْهَا، وَ لَا تَجْرِبَةَ أَفَادَهَا مِنْ حَوَادِثِ الدُّهُورِ، وَ لَا شَرِيكَ أَغَانَهُ عَلَى ابْتِدَاعِ عَجَائِبِ الْأُمُورِ، فَتَمَّ خَلْقُهُ وَ أَدْعَنَ لِعَطَائَتِهِ، وَ أَجَابَ إِلَى دَعْوَتِهِ، وَ لَمْ يَعْتَرِضْ دُونَهُ رَيْثُ الْمُبْطِطِيِّ، وَ لَا أَنَاةُ الْمُتَلَكِّيِّ، فَأَقَامَ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَوْدَهَا، وَ نَهَجَ حُدُودَهَا، وَ لَا عَمَّ بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ مُتَضَادَاتِهَا، وَ وَصَلَ أَسْبَابَ قَرَائِنِهَا، وَ فَرَّقَهَا أَجْنَاسًا مُخْتَلِفَاتٍ فِي الْحُدُودِ وَ الْأَقْدَارِ وَ الْغَرَائِزِ وَ الْهَيْئَاتِ بَدَائِيًا خَلَائِقَ أَحْكَمَ صُنْعَهَا، وَ قَطَرَهَا عَلَى مَا أَرَادَ وَ ابْتَدَعَهَا.

اقول:

احكام تقديره خلقه على وجه الحكمة، و حسن تدبيره ايجاده كاملاً فى منفعتة، و ما خلق لاجله حسناً فى صورته، و توجهه: لوجهته بعثه بحسب الحكمة و العناية الالهية الى غايته، و تيسيره لها و وقوفه عندها فى ابداعه لخلقها، و قريحه الغريزة: قوة الفكر، و اذعان خلقه دخوله فى حكم قدرته و ذل الحاجة اليه. و الريث و الاناة و التلگى: التباطؤ و هو من لواحق الجسم، فكان تعالى منزهاً فى خالقيته عنها. و الأود: الاعوجاج، و اقامتها

لأودها: افادتها ما ينبغي لها على وجه الحكمة. وحدودها: طرقها. ونهجه لها: ايضاحه لكل شئ سبيل قصده و غايته و تيسيره لذلك ، ووصلة لاسباب قرائنها: كون كل شئ له قرينة من غريزة و طبيعة و لازم و نحوها، و اقتران الشئين مستلزم لاقتران اسبابهما و اتصاليهما لاستحالة قيام الشئ بدون سببه، و هو منسوب الى قدرته تعالى . البدايا جمع بديّة و هي: الخلقة المعجبة، و اراد هي بدايا اي: عجائب مخلوقات احكم صنعها على وفق ارادته، و بالله التوفيق.

منها فى صفة السماء:

وَنظَمَ بِلَا تَغْلِيْقٍ رَهَوَاتٍ، فَرَجَهَا، وَلَا حَمَّ صُدُوعَ أَنْفِرَاجِهَا، وَوَشَّجَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ
أَزْوَاجِهَا. وَذَلَّلَ لِلهَا بَطِيْنَ بِأَمْرِهِ، وَالصَّاعِدِينَ بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ، حُزُونََةَ مِعْرَاجِهَا، نَادَاَهَا بَعْدَ إِذْ
هِيَ دُخَانٌ فَالْتَحَمَتْ عُرَى أَشْرَاجِهَا وَفَتَقَ بَعْدَ الْإِرْتِقَاقِ صَوَامِتَ أَبْوَابِهَا. وَأَقَامَ رَصْدًا
مِنَ الشُّهُبِ الشَّوَاقِبِ عَلَى نِقَابِهَا، وَأَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تَمُورَ فِي خَرْقِ الْهَوَاءِ بِأَيْدِيهِ وَأَمَرَهَا أَنْ
تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ، وَجَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا، وَقَمَرَهَا آيَةً مَنُحَوَّةً مِنْ لَيْلِهَا،
فَأَجْرَاهُمَا فِي مَنَاقِلِ مَجْرَاهُمَا، وَقَدَّرَ سَيْرَهُمَا فِي مَدَارِجِ دَرَجِهِمَا لِيُمَيِّزَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
بِهِمَا، وَلِيُعْلَمَ عَدَدُ السَّنِينَ وَالْحِسَابُ بِمَقَادِيرِهِمَا، ثُمَّ عَلَّقَ فِي جَوْهَرِهَا فَلَكَهَا، وَنَاطَ بِهَا
زِينَتَهَا: مِنْ خَفِيَّاتِ دَرَارِيِّهَا، وَمَصَابِيحِ كَوَاكِبِهَا وَرَمَى مُسْتَرْقِي السَّمْعِ بِشَوَاقِبِ شُهْبِهَا،
وَأَجْرَاهَا عَلَى إِذْلَالِ تَسْخِيرِهَا مِنْ ثَبَاتِ ثَابِتِهَا، وَمَسِيرِ سَائِرِهَا، وَهَبُوطِهَا وَصُغُودِهَا، وَنُحُوسِهَا
وَسُغُودِهَا.

اقول: الرهوات جمع رهوة، و هي: الفرجة المتسعة. والصدوع: الشقوق. ووشج بالتشديد: شبك، و اراد بازواجها: نفوسها و هي الملائكة السماوية، بمعنى قرائنها و كل قرين زوج اي: ربط بينها و بين نفوسها بقبول كل جرم سماوى لنفسه التى لا يقبلها غيره. والحزونة: الصعوبة. و الاشراج جمع شرح بالفتح و هي: عرى العيبة التى تخاط بها، و هو اشارة الى تأليف اجزائها فى حدوثها و نداؤها لها حكم قدرته الالهية عليها بالكون،

والارتفاق: الالتصاق. وفتق صوامت أبوابها: مثل بالمطر وقيل: كانت كرة واحدة ففتق ما بينها كقوله تعالى: (اولم يرالذين كفروا انّ السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما)^١ والنقاب جمع نقب بفتح النون وهو: الطريق فى الجبل. والرصد الذى اقامه هو: الشهب: وذلك انّ العرب كانت تعتقد ان الشياطين تصعد الى السماء فتسرق الغيب من الملائكة، ثم تلقيه الى الكهنة والسحرة فلما آن دور الستر والنهى عن التكهن ونحوه لما فيه من فساد اذهان الخلق، ألقى الوحي اليهم انّ الشهب انما جعلت رجوما للشياطين، فكلّ من استرق منهم روى بشهاب، وانّ السماوات حجبت عنهم لتقطع اوهام الخلق عن غير الوحي وانوار النبوة وقد قر ذلك فى الخطبة الأولى.

وتمور: تتحرك. وايدة: قوته، وروى بائدة اى: هالكة. وابصار آية النهار هو: تمام ضياء الشمس الذى هو مادة الإبصار. ومحو آية الليل هو: ما على القمر من لطح السواد. وقيل: ابصار، آية النهار كون نور الشمس لذاتها، ومحو آية الليل: كون نور القمر مستفادا من الشمس، ومناقل مجراها ومدارج درجتها، هى: بروجها ومنازلها، ومقادير سيرها، واذلال تسخيرها: ذلتها مسخرة تحت حكم القدرة الالهية كقوله تعالى: (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره)^٢ والسيارة هى: الكواكب السبعة النيران، والخمسة المتحرية. والثواقب هى: باقى الكواكب، وملكها الثامن، وصعودها: طلبها لشرفها ما دام الكوكب متوجها الى قوة شرفه، فهو فى الصعود والازدياد، فاذا جازها صار فى الانتفاض والهبوط، وهبوط كل كوكب يقابل شرفه، ومعنى صعودها ونحوسها: كون اتصالاتها اسبابا لصلاح شئ من عالم الكون وفساده، وبالله التوفيق.

ومنها فى صفة الملائكة:

ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لِإِسْكَانِ سَمَوَاتِهِ، وَعِمَارَةِ الصَّفِيحِ الْأَعْلَى مِنْ مَلَكُوتِهِ خَلْقًا بَدِيعًا مِنْ مَلَائِكَتِهِ، مَلَأِبِهِمْ فُرُوجَ فِجَاجِهَا، وَحَشَابِهِمْ فُتُوقَ أَجْوَانِهَا وَبَيْنَ فِجَاجِهَا تِلْكَ الْفُرُوجُ زَجَلُ الْمُسَبِّحِينَ مِنْهُمْ فِي حَظَائِرِ الْقُدْسِ، وَسُتْرَاتِ الْحُجُبِ، وَسُرَادِقَاتِ الْمَجْدِ، وَوَرَاءَ ذَلِكَ

١ - سورة الانبياء / ٣٠.

٢ - سورة الاعراف / ٥٤.

الرَّجِيحِ الَّذِي تَسْتَكُّ مِنْهُ الْأَسْمَاعُ سُبْحَاتُ نُورٍ تَرْدَعُ الْأَبْصَارَ عَنْ بُلُوغِهَا، فَتَقِفُ خَاسِئَةً
عَلَى حُدُودِهَا، أَنْشَأَهُمْ عَلَى صُورٍ مُخْتَلِفَاتٍ، وَأَقْدَارٍ مُتَفَاوِتَاتٍ أُولَى أَجْنِحَةٍ تُسَبِّحُ جَلَالَ
عِزَّتِهِ لَا يَتَنَجَّلُونَ مَا ظَهَرَ فِي الْخَلْقِ مِنْ صَنَعَتِهِ، وَلَا يَدْعُونَ أَنَّهُمْ يُخْلُقُونَ شَيْئًا مِمَّا أَنْفَرَدَ بِهِ، بَلْ
عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ) جَعَلَهُمْ فِيمَا هُنَا لِكَ أَهْلِ الْأَمَانَةِ عَلَى
وَحْيِهِ، وَحَمَلَهُمْ إِلَى الْمُرْسَلِينَ وَدَائِعِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَعَصَمَهُمْ مِنْ رَيْبِ الشُّبُهَاتِ، فَمَا مِنْهُمْ
زَائِعٌ عَنْ سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ، وَأَمَدَّهُمْ بِفَوَائِدِ الْمَعُونَةِ، وَأَشْرَقَ قُلُوبَهُمْ تَوَاضَعِ إِنْخِبَاتِ السَّكِينَةِ،
وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَابًا دُلًّا إِلَى تَمَاجِيدِهِ، وَنَصَبَ لَهُمْ مَنَارًا وَاضِحَةً عَلَى أَعْلَامِ تَوْحِيدِهِ لَمْ تُثْقِلْهُمْ
مُوصِرَاتُ الْآثَامِ، وَلَمْ تَرْتَجِلْهُمْ عُقُبُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ، وَلَمْ تَرْمِ الشُّكُوكُ بِنَوَازِعِهَا عَزِيمَةَ
إِيمَانِهِمْ، وَلَمْ تَعْتَرِكِ الظُّنُونُ عَلَى مَعَاوِدِ يَقِينِهِمْ، وَلَا قَدَحَتْ قَادِحَةُ الْإِحْنِ فِيمَا بَيْنَهُمْ،
وَلَا سَلَبَتْهُمْ الْحَيْرَةَ مَا لَاقَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِضَمَائِرِهِمْ، وَمَا سَكَنَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَهَيْبَتِهِ جَلَالَتِهِ فِي
أَنْتَاءِ صُدُورِهِمْ، وَلَمْ تَطْمَعْ فِيهِمُ الْوَسَاوِسُ فَتَفْتَرِعَ بَرِينَهَا عَلَى فِكْرِهِمْ: مِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي
خَلْقِ الْعَمَامِ الدَّلَّجِ، وَفِي عِظَمِ الْجَبَالِ الشُّمَّخِ، وَفِي قَتْرَةِ الظَّلَامِ الْأَبْهَمِ، وَمِنْهُمْ مَنْ
خَرَقَتْ أَقْدَامُهُمْ نُحُومَ الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَهِيَ كَرَاتَاتٍ بِيضٌ قَدْ نَفَذَتْ فِي مَخَارِقِ الْهَوَاءِ،
وَتَحْتَهَا رِيحٌ هَفَافَةٌ تَحْبِسُهَا عَلَى حَيْثُ أَنْتَهَتْ مِنَ الْحُدُودِ الْمُتَنَاهِيَةِ، قَدْ اسْتَفْرَعَتْهُمْ أَشْغَالُ
عِبَادَتِهِ، وَوَصَلَتْ حَقَائِقُ الْإِيمَانِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ وَقَطَعَتْهُمُ الْإِيْقَانُ بِهِ إِلَى الْوَلِّهِ إِلَيْهِ، وَلَمْ
تُجَاوِزْ رَغْبَاتُهُمْ مَا عِنْدَهُ إِلَى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ، قَدْ دَافُوا حَلَاوَةَ مَعْرِفَتِهِ، وَشَرَبُوا بِالْكَأْسِ الرَّوِيَّةِ مِنْ
مَحَبَّتِهِ، وَتَمَكَّنَتْ مِنْ سُودَائِهِ قُلُوبُهُمْ، وَشَيْجَةُ خَيْفَتِهِ، فَحَنُوا بِطُولِ الطَّاعَةِ اعْتِدَالَ ظُهُورِهِمْ،
وَلَمْ يُنْفِدْ طُولُ الرَّغْبَةِ إِلَيْهِ مَادَّةَ تَضَرُّعِهِمْ، وَلَا أَطْلَقَ عَنْهُمْ عَظِيمُ الرُّلْفَةِ رِبْقَ خُشُوعِهِمْ،
وَلَمْ يَتَوَلَّكُمُ الْإِعْجَابُ فَيَسْتَكْثِرُوا مَا سَلَفَ مِنْهُمْ، وَلَا تَرَكَّتْ لَهُمْ اسْتِكَانَةُ الْإِجْلَالِ، نَصِيبًا
فِي تَعْظِيمِ حَسَنَاتِهِمْ، وَلَمْ تَجْرِ الْفَتْرَاتُ فِيهِمْ عَلَى طُولِ دُورِهِمْ، وَلَمْ تَغْضُ رَغْبَاتُهُمْ،
فِيخَالِفُوا عَنْ رَجَاءِ رَبِّهِمْ، وَلَمْ تَجِفَّ لِطُولِ الْمُتَاجَاةِ أَسْلَاتُ أَلْسِنَتِهِمْ، وَلَا مَلَكَتْهُمْ
الْأَشْغَالُ فَتَنْقَطِعَ بِهِمْسِ الْجَوَارِ إِلَيْهِ أَصْوَاتُهُمْ، وَلَمْ تَخْتَلِفْ فِي مَقَادِمِ الطَّاعَةِ مَنَاقِبُهُمْ، وَلَمْ
يَسْئُوا إِلَى رَاحَةِ التَّقْصِيرِ فِي أَمْرِهِ رِقَابَهُمْ، وَلَا تَعْدُوا عَلَى عَزِيمَةِ جَدِّهِمْ بِلَادَةَ الْغَفْلَاتِ،
وَلَا تَنْتَصِلُ فِي هَمِّهِمْ خَدَائِعُ الشَّهَوَاتِ قَدْ اتَّخَذُوا ذَا الْعَرْشِ ذَخِيرَةً لِيَوْمِ فِاقَتِهِمْ. وَيَمَّمُوهُ
عِنْدَ انْقِطَاعِ الْخَلْقِ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ بِرَغْبَتِهِمْ، لَا يَقْطَعُونَ أَمَدَ غَايَةِ عِبَادَتِهِ، وَلَا يَرْجِعُ بِهِمْ

الِاسْتِهْتَارُ بِالزُّومِ طَاعَتِهِ، إِلَّا إِلَى مَوَادٍّ مِنْ قُلُوبِهِمْ غَيْرِ مُنْقَطِعَةٍ مِنْ رَجَائِهِ وَمَخَافَتِهِ، لَمْ تَنْقَطِعْ
 أَسْبَابُ الشَّفَقَةِ مِنْهُمْ، فَيُتُوا فِي جَدِّهِمْ، وَلَمْ تَأْسِرْهُمْ الْأَطْمَاعُ فَيُؤْتِرُوا وَشَيْكَ السَّغْيِ عَلَى
 اجْتِهَادِهِمْ، وَلَمْ يَسْتَعْظِمُوا مَا مَضَى مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ اسْتَعْظَمُوا ذَلِكَ لَنْسَخَ الرَّجَاءَ مِنْهُمْ
 شَفَقَاتُ وَجَلِهِمْ، وَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِي رَبِّهِمْ بِاسْتِحْوَادِ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُفَرِّقْهُمْ سُوءُ التَّقَاطُعِ،
 وَلَا تَوْلَاهُمْ غِلُّ التَّحَاسُدِ، وَلَا شَعْبَتْهُمْ مَصَارِفُ الرَّيْبِ، وَلَا اقْتَسَمَتْهُمْ أَخْيَافُ الْهَمَمِ، فَهُمْ
 أُسْرَاءُ إِيْمَانٍ لَمْ يَفُكَّهُمْ مِنْ رَبْقَتِهِ زَيْغٌ، وَلَا عُذُوكٌ وَلَا وَنْى وَلَا فُتُورٌ، وَلَيْسَ فِي أَطْبَاقِ
 السَّمَاءِ مَوْضِعٌ إِهَابٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ، أَوْ سَاجٍ حَافِذٌ يَزْدَادُونَ عَلَى طَوْلِ الطَّاعَةِ بِرَبِّهِمْ
 عِلْمًا وَتَزْدَادُ عِزَّةٌ رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ عِظْمًا.

اقول: الصفيح الأعلى: اشارة الى الفلك التاسع، وهو العرش لكونه اعظم الأجرام و
 اعلاها، وسكانه الملائكة المدبرون له. وفجاجها: طرفها الواسعة. واجوائها: الامكنة
 العالية المتسعة بها. وفجوات الفرج: متسعاتها. والزجل: الأصوات. وسميت حظائر
 القدس: لطهارتها عن فجآت الجهل. والحجب: اشارة الى حجب الغيب او السماوات.
 واستعار لفظ السرادق وهو الستر الذي يمتد فوق البيت، لما يعقل من عظمة الملائكة في
 تنزههم عن الجسمية و لواحقها، باعتبار ان ذلك المجد والشرف هو الحاجب لهم عنا.
 وكالسرادق المضروب بيننا وبينهم. والرجيج: الزلزلة والاضطراب. وتستك الاسماع:
 تصم. و اشار بسبحات النور: الى جلال الله وعظمته وتنزيهه ان يصل اليه ابصار
 الملائكة، ونبه بكون ذلك وراء رجيجهم على ان معارفهم لا يتعلق به كما هو، بل وراء
 علومهم اطوارا اخرى من جلاله يقصر معارفهم عنها، وخاسئة ذليلة متحيرة. واختلاف
 صورهم: اختلافهم بالنوع وتفاوت اقدارهم: تفاوت مراتبهم في الكمال، واستعار لفظ
 الأجنحة: اما لقواهم العقلية، او لمعارفهم التي يطرون بها في بيدا جلال الله،
 وينتحلون: يدعون صنعة شئ من خلقه. وريب الشبهات: الشك الواقع عنها. واخبات
 السكينة: تذللها، واشعر قلوبهم ذلك التواضع جعله شعارا ملازمالها. واستعار لفظ
 الأبواب: بوصف الذلة للوجوه اللائقة من تمجيده. ووصف الفتحة: لسهولةها عليهم لبراءة
 عقولهم عن معارضات النفس الامارة. و لفظ المنار: لما يستفيدون منه تصور صفاته

اللائقة بجلاله و كماله من اللوازم والخواصّ وما يستفيدون به اثبات ذلك له من البراهين و الأدلة، و لفظ الاعلام: لصفاته و ما ينبغى ان يعرف به، و نفي عنهم موصرات الآثام و هى ما اثقل الظهر منها. و نوازع الشكوك و هى: الخواطر المفسدة للعقائد، و ما يقدر فى النفوس من الأحن و هى: الاحقاد و الحيرة و الوسوس الشيطانية، لأنّ مبادئ كل ذلك هو النفس الامارة. و عقب الليالى و الأيام تعاقبها. و العقب: المرّة من التعاقب. و روى بنوازعها بالعين المهملة، و هى: القيسى، و هو مستعار لتلك الخواطر المفسدة ايضا. و الاقتراع و التقارع: التضارب. و الرين: الغلبة و التغطية. و الذلج جمع دلجة و هى: الثقال بالماء. و الشمخ: العالية. و فترة الظلام: سواده. و الأبهم الذى لا يهتدى فيه. و الهفافة: الساكنة الطيبة. و وشيحة الشجرة: عروقها. و وشيحة خيفته: ما خالط منها ذواتهم. و استعار وصف حنى الظهور: لكمال عبادتهم. و لفظ الربق: لما حصلوا فيه من الخشوع، و نفي الاعجاب عنهم لاستلزامه النفس الامارة. و الذؤوب الجدّ فى العمل. و رغبات الملائكة السماوية: اشواقها الى كمالاتها. و استعار لفظ الألسنة و رشح بذكر الاسلات جمع أسلة و هى: طرف اللسان. و قوله: و لا ملكتهم، الى قوله: اصواتهم، فالهمس: الخفى من الصوت اى: لم يضعفهم العبادة فتقطع اصواتهم فتخفى بالتضرع اليه، و هو تنزيه لهم عن الاحوال البشرية و العوارض البدنية.

و قوله: و لم يختلف، الى قوله: رقابهم: استعار لفظ المقادم من ريش الطائر لما سبق وجوبه من الطاعة ك معرفته تعالى و توحيده. و لفظ المناكب و هى: الريش بعد المقادم لذواتهم، و وجه المشابهة انّ الملائكة لا تختلف ذواتهم، و اجرامهم الفلكية، فى نسق ما اهتم من عبادة الله و معرفته، بل صاقون لا يتزايلون فى استقامة طريقهم اليه، كالمناكب البالية للمقادم، و على نظامها و ترتيبها لا يختلف نسقها. و روى مقاوم الطاعة: جمع مقام. و عزيمة جدّهم: ارادتهم الجازمة فيه، و استعار وصف الانتصال: لما ترمى به النفس الامارة العقل من غرورها و خداعها بشهواتها، فتقطعه عمّاهم به من الطاعة. و الاستهتار بالشئ: الولوع و التجاهربه. و الشفقة الاسم من الاشفاق و هو الخوف. و ينوا: يضعفوا و يتكاسلوا. و وشيك السعى: قريبه، و نفي الاطماع عنهم لانّها من عوارض البشرية، و كذلك استحواذ الشيطان عليهم اى: احاطته بهم. و غلّ الحاسد:

اي حقه، وتصاريف الريب وجزه الشكوك . وتشعبتهم : اقتسمتهم . واخفاف الهمم
مختلفاتها . واستعار لفظ الاسراء لهم باعتبار عدم تمكينهم من الخروج عن الايمان
بمقتضى ذواتهم . ولفظ الربقة وهى : العروة فى الحبل للايمان اللازم لهم .
و غرض الفصل تمجيد الله تعالى : بخلق العالم الأعلى من الملائكة على اختلاف
انواعهم وما لهم من الكمال الاشرف على سائر الموجودات، وقد نبهنا على تأويلات
ضعيفة عساها يصار الى بعضها فى الأصل، والله أعلم.

ومنها فى صفة الأرض ودحوها على الماء .

كَبَسَ الْأَرْضَ عَلَى مَوْرِ أَمْوَاجٍ مُسْتَفْجِلَةٍ، وَلَبَجَ بِحَارٍ زَاخِرَةٍ، تَلْتَطِمُ أَوَاذِي أَمْوَاجِهَا،
وَتَضْطَفِقُ مُتَقَاذِفَاتٍ أَتْبَاجِهَا، وَتَرْغُوزَبْدًا كَالْفُحُولِ عِنْدَ هَيْبَاجِهَا، فَخَضَعَ جِمَاحَ الْمَاءِ
الْمُتَلَاطِمِ لِثِقَلِ حَمْلِهَا، وَسَكَنَ هَيْجُ أَرْتَمَائِهِ إِذْ وَطِنَتْهُ بِكُلِّكَلِهَا، وَذَكَ مُسْتَحْذِيئًا، إِذْ تَمَعَّكَتْ
عَلَيْهِ بِكَوَاهِلِهَا، فَأَضْبَحَ بَعْدَ أَضْطِخَابِ أَمْوَاجِهِ سَاجِيًا مَقْهُورًا، وَفِي حَكْمَةِ الذَّلِّ مُتَقَاذَا أُسِيرًا
وَسَكَنَتِ الْأَرْضُ مُدْخُوَّةً فِي لُجَّةِ تَيَّارِهِ، وَرَدَّتْ مِنْ نَخْوَةِ بَأْوِهِ وَأَعْيِلَائِهِ وَشُمُوحِ أَنْفِهِ وَسُمُورِ
عُلَوَائِهِ، وَكَعَمْتُهُ عَلَى كِظَّةِ جَرِيَّتِهِ، فَهَمَدَ بَعْدَ نَزَقَاتِهِ وَبَدَدَ زَيْفَانِ وَتَبَاتِهِ فَلَمَّا سَكَنَ هَيْبَاجُ
الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ أَكْتَاغِهَا، وَحَمَلِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ الشَّمِخِ الْبُدْخِ عَلَى أَكْتَاغِهَا فَجَرَّ تَبَايِعَ
الْعُيُونِ مِنْ عَرَائِنِ أَنْوْفِهَا، وَفَرَّقَهَا فِي سُهُوبِ بَيْدِهَا وَأَخَادِيدِهَا، وَعَدَلَ حَرَكَاتِهَا بِالرَّاسِيَّاتِ
مِنْ جَلَامِيدِهَا، وَذَوَاتِ الشَّنَاخِيْبِ الشَّمِّ مِنْ صَيَاخِيْدِهَا، فَسَكَنَتْ مِنَ الْمِيدَانِ لِرُسُوبِ
الْجِبَالِ فِي قِطْعِ أَيْدِيمِهَا، وَتَغْلَغَلِهَا مُتَسَرِّبَةً فِي جُوبَاتِ خِيَاشِيمِهَا وَرُكُوبِهَا أَغْتَاقَ سُهُولِ
الْأَرْضِينَ، وَجَرَائِيمِهَا، وَفَسَحَ بَيْنَ الْجَوِّ وَبَيْنَتِهَا، وَأَعَدَّ الْهَوَاءَ مُتَسَمًّا لِسَاكِنِهَا، وَأَخْرَجَ إِلَيْهَا
أَهْلَهَا عَلَى تَمَامِ مَرَاغِقِهَا، ثُمَّ لَمْ يَدْعُ جُرْزَ الْأَرْضِ الَّتِي تَقْصُرُ مِيَاهُ الْعُيُونِ عَنْ رَوَابِيهَا، وَلَا
تَجِدُ جَدَاوِلَ الْأَنْهَارِ ذَرِيْعَةً إِلَى بُلُوغِهَا حَتَّى أَنْشَأَ لَهَا نَاشِئَةً سَحَابٍ تُخَيِّى مَوَاتِهَا،
وَتَسْتَخْرِجُ نَبَاتِهَا، أَلْفَ غَمَامَتِهَا بَعْدَ افْتِرَاقِ لَمَعِهَا، وَتَبَايُنِ قُرْعِهَا، حَتَّى إِذَا تَمَخَّضَتْ لُجَّةُ
الْمُزْنِ فِيهِ، وَالتَّمَعَ بَرَقُهُ فِي كُفْفِيهِ، وَلَمْ يَنْمِ وَمِيضُهُ فِي كَنْهَوْرِ رَبَابِهِ، وَمُتَرَاكِمِ سَحَابِهِ، أَرْسَلَهُ
سَحَا مُتَدَارِكًا، قَدْ أَسْفَ هَيْدَبُهُ تَمْرِيهِ الْجَنُوبِ دِرْرًا هَاضِيْبِهِ وَدَفَعَ شَابِيْبِهِ، فَلَمَّا أَلْقَتِ
السَّحَابُ بَرَكَ بَوَانِيْهَا، وَبَعَاعَ مَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ مِنَ الْعِبِّ الْمَحْمُولِ عَلَيْهَا أَخْرَجَ بِهِ مِنْ

هَوَامِدِ الْأَرْضِ النَّبَاتِ، وَمِنْ زُغْرِ الْجِبَالِ الْأَغْشَابِ فِيهِ تَبْهَجُ بَزِينَةُ رِيَاضِهَا، وَتَزْدَهِي بِمَا
الْبَسْتُهُ مِنْ رِبِطِ أَزَاهِيرِهَا، وَحَلِيَّةِ مَا سَمِطْتُ بِهِ مِنْ نَاصِرِ أَنْوَارِهَا، وَجَعَلَ ذَلِكَ بَلَاغًا لِلْأَنَامِ،
وَرِزْقًا لِلْأَنْعَامِ، وَخَرَقَ الْفِجَاجِ فِي آفَاقِهَا، وَأَقَامَ الْمَنَارَ لِلسَّالِكِينَ عَلَى جَوَادِ طُرُقِهَا، فَلَمَّا
مَهَّدَ أَرْضَهُ، وَأَنْفَذَ أَمْرَهُ، أَخْتَارَ آدَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، خَيْرَةَ مِنْ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهُ أَوَّلَ جِبَلْتِهِ،
وَأَسَكَّنَهُ جَنَّتَهُ، وَأَرْغَدَ فِيهَا أَكْلَهُ وَأَوْعَزَ إِلَيْهِ فِيمَا نَهَاهُ عَنْهُ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ فِي الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ
التَّعَرُّضَ لِمَعْصِيَتِهِ، وَالْمُخَاطَرَةَ بِمَنْزِلَتِهِ فَأَقْدَمَ عَلَى مَا نَهَاهُ عَنْهُ - مُوَافَاةً لِسَابِقِ عِلْمِهِ - فَأَهْبَطَهُ
بَعْدَ التَّوْبَةِ، لِيَعْمُرَ أَرْضَهُ بِنَسْلِهِ، وَلِيُقِيمَ الْحُجَّةَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَلَمْ يُخْلِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَبَضَهُ، مِمَّا
يُوكِّدُ عَلَيْهِمْ حُجَّةَ رَبُّوبِيَّتِهِ، وَيَصِلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ، بَلْ تَعَاهَدَهُمْ بِالْحُجَجِ عَلَى السَّنِ
الْخَيْرَةِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَمُتَحَمِّلِي وَدَائِعِ رِسَالَاتِهِ، قَرْنًا، فَقَرْنَا، حَتَّى تَمَّتْ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - حُجَّتُهُ، وَبَلَغَ الْمَقْطَعِ عُذْرُهُ وَنُدْرُهُ، وَقَدَّرَ الْأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وَقَلَّلَهَا
وَقَسَمَهَا عَلَى الضُّيْقِ وَالسَّعَةِ فَعَدَلَ فِيهَا لِيَبْتَلِيَ مَنْ أَرَادَ بِمَيْسُورِهَا وَمَعْسُورِهَا، وَلِيَخْتَبِرَ بِذَلِكَ
الشُّكْرَ وَالصَّبْرَ مِنْ غَنِيِّهَا وَفَقِيرِهَا، ثُمَّ قَرَنَ بِسَعَتِهَا عِقَابِيْلَ فَاقْتَبَهَا، وَبِسَلَامَتِهَا طَوَارِقَ آفَاقِهَا،
وَبِفُرْجِ أَفْرَاجِهَا غُصَصَ أَتْرَاجِهَا. وَخَلَقَ الْأَجَالَ فَأَطَالَهَا وَقَصَّرَهَا، وَقَدَّمَهَا وَأَخَّرَهَا، وَوَصَلَ
بِالْمَوْتِ أَسْبَابَهَا، وَجَعَلَهُ خَالِجًا لِأَشْطَانِهَا، وَقَاطِعًا لِمَرَائِرِ أَقْرَانِهَا عَالِمُ السَّرِّ مِنْ ضَمَائِرِ
الْمُضْمِرِينَ، وَنَجْوَى الْمُتَخَافَتِينَ، وَخَوَاطِرِ رَجْمِ الطُّنُونِ، وَعَقْدِ عَزِيمَاتِ الْيَقِينِ، وَمَسَارِقِ
إِيْمَاضِ الْجُفُونِ، وَمَا ضَمِنَتْهُ أَكْتَانُ الْقُلُوبِ وَغَيَابَاتُ الْغُيُوبِ، وَمَا أَضْغَتْ لِاسْتِرَاقِهِ مَصَائِحُ
الْأَسْمَاعِ، وَمَصَائِفِ الدَّرِّ وَمَشَاتِي الْهَوَامِّ، وَرَجَعَ الْحَيْنِ مِنَ الْمَوْلَهَاتِ، وَهَمَسِ الْأَقْدَامِ،
وَمُنْفَسِحِ الشَّمْرِ مِنْ وَلَايِحِ غُلْفِ الْأَكْمَامِ، وَمُنْقَمَعِ الْوُحُوشِ، مِنْ غَيْرَانِ الْجِبَالِ وَأَوْدِيَّتِهَا،
وَمُخْتَبَأِ الْبَعُوضِ بَيْنَ سُوقِ الْأَشْجَارِ وَالْحَيَّتِهَا، وَمَغْرِزِ الْأُورَاقِ مِنَ الْأَفْتَانِ، وَمَحْظِ
الْأَمْشَاجِ مِنْ مَسَارِبِ الْأَصْلَابِ، وَنَاشِئَةِ الْغُيُومِ وَمُتَلَاحِمِهَا، وَدُرُورِ قَطْرِ السَّحَابِ فِي
مُتْرَاكِمِهَا، وَمَاتَسْقَى الْأَعَاصِيرُ بِدْيُولِهَا، وَتَغْفُو الْأَمْطَارُ بِسُيُولِهَا، وَعَوْمُ نَبَاتِ الْأَرْضِ فِي
كُتْبَانِ الرَّمَالِ، وَمُسْتَقَرَّ ذَوَاتِ الْأَجْنِحَةِ بِدُرَى سَنَاخِيْبِ الْجِبَالِ، وَتَغْرِيدِ ذَوَاتِ الْمَنْطِقِ
فِي دِيَاجِيرِ الْأَوْكَارِ، وَمَا أَوْعَبَتْهُ الْأَصْدَافُ، وَحَضَنْتْ عَلَيْهِ أَمْوَاجُ الْبَحَارِ، وَمَا غَشِيَتْهُ سَدْفَةُ
لَيْلٍ أَوْ دَرَّ عَلَيْهِ شَارِقُ نَهَارٍ، وَمَا أَعْتَقَبَتْ عَلَيْهِ أَطْبَاقُ الدِّيَاجِيرِ، وَسُبْحَاتُ النُّورِ. وَأَثَرُ كُلِّ
خَطْوَةٍ، وَجِسُّ كُلِّ حَرَكَةٍ، وَرَجْعُ كُلِّ كَلِمَةٍ، وَتَحْرِيكُ كُلِّ شَفَةِ، وَمُسْتَقَرُّ كُلِّ نَسَمَةٍ،

وَمِثْقَالِ كُلِّ ذَرَّةٍ، وَهَمَاهِمِ كُلِّ نَفْسٍ هَامَةٍ، وَمَا عَلَيَّهَا مِنْ ثَمَرِ شَجَرَةٍ، أَوْ سَاقِطِ وَرْقَةٍ، أَوْ قَرَارَةِ نُظْفَةٍ، أَوْ نُقَاعَةِ دَمٍ وَمُضْغَةٍ، أَوْ نَاشِئَةِ خَلْقٍ، وَسَلَالَةٍ، لَمْ تَلْحَقْهُ فِي ذَلِكَ كُفْلَةٌ، وَلَا اعْتَرَضَتْهُ فِي حِفْظِ مَا ابْتَدَعَهُ مِنْ خَلْقِهِ عَارِضَةٌ، وَلَا اعْتَوَرَتْهُ فِي تَنْفِيذِ الْأُمُورِ وَتَدْبِيرِ الْمَخْلُوقِينَ مَلَائِكَةٌ وَلَا فَتْرَةٌ، بَلْ نَفَذَ فِيهِمْ عِلْمُهُ وَأَخْصَاهُمْ عَدُّهُ، وَوَسِعَهُمْ عَدْلُهُ، وَغَمَّرَهُمْ فَضْلُهُ، مَعَ تَقْصِيرِهِمْ عَنْ كُنْهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ.

اللَّهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ الْوَصْفِ الْجَمِيلِ، وَالْتَعَادِدِ الْكَثِيرِ، إِنْ تَوَمَّلْ فَخَيْرٌ مُؤَمَّلٍ وَإِنْ تُرَجَّ فَأَكْرَمٌ مَرْجُوءٍ. اللَّهُمَّ وَقَدْ بَسَطْتَ لِي فِيمَا لَا أَمْدُحُ بِهِ غَيْرَكَ، وَلَا أَثْنِي بِهِ عَلَى أَحَدٍ سِوَاكَ، وَلَا أُوَجِّهُهُ إِلَى مَعَادِنِ الْخَيْبَةِ وَمَوَاضِعِ الرِّيبَةِ وَعَدَلْتَ بِلِسَانِي عَنْ مَدَائِحِ الْأَدَمِيِّينَ وَالنِّثَاءِ عَلَى الْمَرْبُوبِينَ الْمَخْلُوقِينَ. اللَّهُمَّ وَلِكُلِّ مَثْنٍ عَلَى مَنْ أَثْنَى عَلَيْهِ مَثُوبَةٌ مِنْ جَزَاءٍ، أَوْ عَارِفَةٌ مِنْ عَطَاءٍ، وَقَدْ رَجَوْتُكَ دَلِيلًا عَلَى ذَخَائِرِ الرَّحْمَةِ وَكُنُوزِ الْمَغْفِرَةِ. اللَّهُمَّ وَهَذَا مَقَامٌ مَنْ أْفْرَدَكَ بِالتَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ لَكَ، وَلَمْ يَرْمُ سَجْفًا لِهَيْدِهِ الْمَحَامِدِ وَالْمَمَادِحِ غَيْرَكَ، وَبِي فَاقَةٌ إِلَيْكَ لَا يَجْبُرُ مَسْكَنَتَهَا إِلَّا فَضْلُكَ، وَلَا يَنْتَعِشُ مِنْ خَلَّتِهَا إِلَّا مَنُّكَ وَجُودُكَ، فَهَبْ لَنَا فِي هَذَا الْمَقَامِ رِضَاكَ، وَأَغْنِنَا عَنْ مَدِّ الْأَيْدِي إِلَى سِوَاكَ؛ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

مرکز تحقیقات کتب و تفسیر علوم اسلامی

اقول: هذا الفصل يشتمل على فصلين:

الفصل الاول، في تمجيد الله تعالى باعتبار خلقه الارض وجملة من احوالها، واعداده فيها تمام مرافقها، وخلقه لآدم وذريته بعد ذلك في معرض الامتتان عليهم بذلك، وهو قوله: كبس الارض، الى قوله: طرفها. واستعار لفظ الكبس: لخلقها في وسط كرة الماء، والمور: التحرك، واستعار لفظ الاستفحال: للموج ملاحظة للشبه بالفحل عند صياله، والأواذي جمع أذى وهو: ما عظم من موج البحر. والاثباج جمع ثبج وهو: معظمها و عواليها، واستعار لفظ الجماع: بحركة الماء على وجه لا يملك. والارتماء: التقاذف. الترداد والتمعك: التمرغ. واستعار لفظ كلكل وهو: الصدر للأرض. والمستخدى: الخاضع. واصطخاب الأمواج: غلبتها. والساجى: الساكن. واستعار لفظ الحكمة وهي ما احاط من اللجام بحنك الدابة: لأمر الله بتسكينه. والمدحوة: المبسوطة. والتيار: الموج. والبأو: الفخر. وشموخ الأنف كناية: عن التكبر. والغلواء: تجاوز الحد.

و كعمته: سددت فاه. والكظة: شدة الامتلاء. وهمد: سكن. والترقات جمع ترقة وهي: الخفة. ولبد: لصق بالارض ساكناً. والزيفان: التمايل. والاكناف: الجوانب. والبذخ: العالية. والعرينين: اعلى الأنف عند ملتقى الحاجبين ولفظ مستعار: لأعلى الجبال. والسهوب جمع سهب وهو: الفلاة الواسعة. والبيد جمع بيداء وهي: الفلاة ايضاً. والجلاميد: الصخور. والشناخيب: رؤس الجبال. والشم: العالية. والصيخود: الصخرة الصلبة. واديمها: سطحها. والتسرّب الدخول فى اسرارها واعماقها. والمتنسم: المستنشق. والمرافق: المنافع. وارض جرز: لانبات بها لانقطاع الماء عنها. واللمع: القطع، وكذلك القزع. والكفة بالضم: ما استطال من السحاب وما استدار. وبالكسر وميضة: ضياؤه. والكنهور: العظيم من السحاب. والرباب: الغمام الابيض.

والسح: الصب. واسف: دنا من الأرض اى: تدلى. وتمريه: تستخرج ماءه ودره القطر. والشآبيب جمع شؤبوب وهو: الرشقة القويّة من المطر. والبرك: الصدر. والبوانى: ما يليه من الاعضاء وهو مستعار: لما ثقل من المطر. وبعاغ السحاب: ثقله بالمطر. العب: الثقل. وهو امد الارض: ما نبت به كأنها ساكنة من الحركة باثبات كقوله تعالى: (وترى الارض هامدة) الآية. وجبله زعماء: لانبت بها. وتزدهى: تزدان وتتكبر. والريط جمع ريطة وهي: الازاهير النيرة. وسمطت زيتت بالسمط وهو: العقد، وروى بالشين المعجمة اى: خلطت. والفجاج: الخلقة و اراد: اول الجبله الانسانية. واوعز اليه بكذا: امره به ومانهاه عنه هو الاقدام على الشجرة واكلها. وقرنا نصب على البدل من الضمير فى تعاهدهم. والمقطع: الغاية. وقد تكررت قصة آدم عليه السلام. وعقابيل: المرض والفقر بقاياها. والاتراح: الحزن. واستعار لفظ الاسباب وهي الحبال: لما امتد من الآجال. والخليج: الجذب، وكذلك لفظ الاشطان. والمرائر: ايضاً الحبال. الأقران جمع قرن وهي: الحبال لما امتد منها. وباقى الفصل ظاهر وان تعلقست به فوائد خارجه عن المتن ذكرناها فى الاصل.

الفصل الثانى ، فى تمجيده سبحانه باعتبار كونه عالماً بالاشياء وعد من جزئياتها جملة يشهد باحاطة علمه و كماله وهي قوله: عالم السر، الى قوله: اهله.

والتخافت: المسارة. واستعار لفظ الرجم: باعتبار الرمي بالظن كما يرمى بالحجر ونحوه. وعقد عزيمة اليقين: ما انعقد في النفس من العزم عن يقين. واستعار لفظ المسارق: لمخارج اللحظ من العيون على غرة. وروى مشارق بالشين المعجمة. والغيابة: ظلمة قعر البئر، واستعار لفظ الأكنان والغيابات: للغيوب باعتبار ما خفى فيها من الأسرار. ومصانخ الاسماع: خروقتها. ورجع الحنين: ترديده. والمولهاة: النوق فقدت اولادها. والولائج: المداخل. والاكمام جمع كم بالكسر وهو: غلاف الطلع. والمنقمع: محل الانقماع وهو الارتداع. ولحاء الشجرة: قشرها. والامشاج: النطفة المختلطة بالدم. ونبات الارض: حشراتهما، واستعار لها وصف العوم: باعتبار دخولها في اعماق الرمال. والشناخيب: رؤس الجبال. والدياجير جمع ديجور وهو: الظلام. ووصف الحصن مستعار: لاشتمال امواج البحار على ما اشتملت عليه. والسدفة: الظلمة. وذو: طلع. وسبحات النور: مظانه. واثر عطف على المجرورات السابقة. والهمهمة: الصوت الخفى. والنقاعة: نقرة يجتمع فيها الدم وكنى بها: عن الأرحام. واعتورته: احاطت به. والتعداد: الكثير. تعداد: اعتبارات وصفه بالنسبة الى مخلوقاته، اذ كان له بكل نسبة الى كل جزءين منها مدحة وثناء. واستعار لفظ معادن الخيبة: للناس باعتبار انهم مظنة رد الطالب، ومواضع الشك في ذلك، وباقي الفصل ظاهر. وبالله التوفيق.

٨٩ - وَمِنْ حُطْبَةِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

لما أريد على البيعة بعد قتل عثمان

دَعُونِي وَآلْتَمِسُوا غَيْرِي فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْرًا لَهُ وَجُوهٌ وَالْوَأْنُ، لَا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ، وَلَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ، وَإِنَّ الْآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ، وَالْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ، وَأَعْلَمُوا إِنْ أَجَبْتُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ، وَلَمْ أَضْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وَعَثِبِ الْعَاتِبِ، وَإِنْ تَرَكْتُمُونِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ وَلَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَأُظَوِّعُكُمْ لِمَنْ وَلِيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ، وَأَنَا لَكُمْ وَزِيرًا خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيرًا.

اقول: اراد بذلك الامر ما كان يعلمه من اختلاف الناس عليه بضروب الشبهة الفاسدة، وفتنتهم، واستعار لفظ الوجوه والالوان لتفتن الاختلافات ووصف الغيم: لما غشى البلاد من ظلمات الظلم، وتغير الشريعة ووصف التنگر: ليعبر طريق الشريعة وجهل الناس بها، واهمالهم لسلوکها لا تقوم لها القلوب، ولا تثبت عليه بل تنفر منه لمخالفته الدين، ووزيراً و اميراً: حالان، والعامل فيهما هو العامل في لكم، و كونه خيراً في وزارته لانه في امارته يحملهم على ما يكرهون دون حال وزارته، والله اعلم.

٩٠ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

أَمَا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ؛ فَإِنَّا فَقَاتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ، وَلَمْ تَكُنْ لِيَجْرُوا عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُهَا، وَأَشْتَدَّ كَلْبُهَا، فَاسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ فِي مَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ السَّاعَةِ، وَلَا عَنْ فِتْنَةٍ تَهْدِي مِائَةً وَتُضِلُّ مِائَةً إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِنَائِعِهَا، وَقَائِدِهَا، وَسَائِقِهَا، وَمُنَاجِ رِكَابِهَا، وَقَحْطِ رَحَالِهَا، وَمَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قِتْلًا، وَيَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتًا، وَلَوْ قَدْ فَقَدْتُمُونِي، وَنَزَلَتْ بِكُمْ كَرَاهِيَةُ الْأُمُورِ، وَحَوَازِبُ الْخُطُوبِ، لِأَطْرَقَ كَثِيرٌ مِنَ السَّائِلِينَ، وَفَشِلَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَسْئُولِينَ، وَذَلِكَ إِذَا قَلَصَتْ حَزْبُكُمْ وَشَمَرْتُمْ عَنْ سَاقِ، وَضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ ضَيْقًا تَسْتَطِيلُونَ مَعَهُ أَيَّامَ الْبَلَاءِ عَلَيْكُمْ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ لِبَقِيَّةِ الْأَبْرَارِ مِنْكُمْ؛ إِنَّ الْفِتْنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شُبَّهَتْ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ؛ يُنْكَرَنَّ مُقْبِلَاتِ، وَيُعْرَفَنَّ مُدْبِرَاتِ، يَحْمَنَ حَوْلَ الرِّيَاحِ يُصِيبَنَّ بَلْدًا وَيُخْطِرَنَّ بَلْدًا، إِلَّا إِنْ أَخَوْفَ الْفِتْنَ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمِيَّةَ؛ فَإِنَّهَا فِتْنَةُ عَمِيَاءَ مُظْلِمَةٍ: عَمَّتْ خُطْبُهَا، وَخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا، وَأَصَابَ الْبَلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا وَأَخْطَأَ الْبَلَاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا، وَإِئِمُّ اللَّهُ لَتَجِدَنَّ بَنِي أُمِيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي كَالنَّابِ الضَّرُوسِ: تَعْدِمُ بِفِيهَا، وَتَخْبِطُ بِيَدِهَا، وَتَرَبُّبُ بِرِجْلِهَا، وَتَمْنَعُ دَرَّهَا، لَا يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّى لَا يَتْرُكُوا مِنْكُمْ إِلَّا نَافِعًا لَهُمْ أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ، وَلَا يَزَالُ بَلَاؤُهُمْ حَتَّى لَا يَكُونَ أَنْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ إِلَّا كَأَنْتِصَارِ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ وَالصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَضْحَبِهِ، تَرُدُّ عَلَيْكُمْ فِتْنَتَهُمْ شَوْهَاءَ مَخْشِيَّةَ، وَقَطْعًا جَاهِلِيَّةَ لَيْسَ فِيهَا مَنَارٌ هُدَى، وَلَا عِلْمٌ يُرَى، نَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ مِنْهَا

بِمَنْجَاةٍ، وَلَسْنَا فِيهَا بِدُعَاةٍ، ثُمَّ يُفَرِّجُهَا اللَّهُ عَنْكُمْ كَتَفْرِيحِ الْأَيْمِ: بِمَنْ يَسُوهُمْ خَسْفًا، وَيَسُوْقُهُمْ عُنْفًا، وَيَسْقِيهِمْ بِكَأْسِ مُصَبَّرَةٍ، لَا يُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ، وَلَا يُخْلِسُهُمْ إِلَّا الْخَوْفَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَوَدُّ فُرَيْشٌ، بِالذَّنْبِ وَمَا فِيهَا، لَوْ يَرَوْنِي مَقَامًا وَاحِدًا، وَلَوْ قَدَّرَ جَزْرٌ جَزُورًا لِأَقْبَلِ مِنْهُمْ مَا أَطْلَبُ الْيَوْمَ بَعْضَهُ فَلَا يُعْطُونِي.

اقول: اراد بالفتنة فتنة اهل البصرة، واستعار وصف فقاء العين: لقتله لهم وازالة فتنتهم، وقوله: ولم يكن ليجرئ عليها احد غيري لان الناس كانوا لا يتجاسرون على قتال اهل القبلة ولا يعلمون كيفية قتالهم، هل يلحقون بالكفار في اتباع مدبرهم والاجهاز على جريحهم وسبى ذراريهم واخذ أموالهم اذا بغوا، ام لهم حكم آخر حتى اقدم عليه السلام على قتلهم وعلّمهم كيف تصنع بهم، واستعار لفظ الغيب وهو الظلمة: لتلك الفتنة باعتبار التباس الحق فيها. والكلب: الشر. واستعار اوصاف الإبل ولو احقها من الناعق والقائد والسائق والمناخ والركاب والرجال: للفتنة الهادية والمضلة والمهدية والضالة باعتبار انقيادهم لدعاتهم. وحوازب الامور: ما عظم منها واهم. واطراق السائلين لحييرتهم في عواقب تلك الخطوب و كيفية الخلاص في الدين. وقوله: وذلك اشارة الى فشل المسؤولين. واستعار وصف التقلص وهو: التقبض للحرب ملاحظة لشبهها بالجد في السعي المشتمر ثوبه. وبقية الابرار من يسلم من دولة بنى امية في دينه ومن يولد من اهل طاعة الله. وقوله: ان الفتن اذا اقبلت شبتت، اي: تكون في مبدء امرها مشابهة للحق في اذهان الخلق فاذا ادبرت نبتت اذهانهم على كونها فتنة بعد وقوع الهرج والمرج واضطراب الامر.

وقوله: ينكرون، الى قوله: مدبرات: تفسير له واستعار وصف الحوم: لدورانها الموهوم، ووقوعها عن قضاء الله من دعاة الضلال في بلد، دون بلد، ملاحظة لشبهها بالطائر. وقوله: الا ان اخوف الفتن، الى آخره: انما كانت هذه اخوف الفتن لشدتها وطول مدتها وانهدام قواعد الدين بها. واستعار لها لفظ العمياء: لانها مخالفة للحق او لجريانها على غير طريق شرعى كالأعمى في طريقه، وكذلك لفظ الظلمة وعموم خطتها: كناية عن احاطتها وشمولها للناس. وخضت بليتها اي: بأهل التقوى من شيعة

عليّ، ومن بقى من الصحابة والتابعين الذين هم اعيان الاسلام. ومن أبصر فيها أى: علم كونها فتنة كان منها فى ملاء مع نفسه بالحزن الطويل لمشاهدة المنكرات، ومن شأن ائمة الضلال تتبع من انكر افعالهم بالقتل والإذلال فكان البلاء به اخص، واما من عمى عن كونها فتنة حتى خبط معهم فى ضلالهم اخطاء هم بلاؤهم، وشبههم فى افعالهم الرديّة بالناب الضرس وهى: الناقة المسنة التى تعض حالبها. ووجه شبه انتصارهم من ائمة الضلال بانتصار العبد من سيّده عدم انتصافه منه الآ بالغيبة والسب فى الخلوة. والشآبيب جمع شؤبوب وهو: الدفعة من المطر. واستعار لفظ الشوهاء: لقبها عقلا وشرعاً. و لفظ المنار هو العلم: للامام العادل، باعتبار الهداية به. وقوله: نحن اهل البيت منها بمنجاة، أى: من آثامها والدعوة الى مثلها، وليس المراد انا سالمون من اذاهها. ومن يسومهم خسفاً: اشارة الى بنى العباس و ظهورهم عليهم واستيصالهم. واستعار لفظ الكأس المصبّرة: لمرارة ما يفعل بهم وتألمهم به. ووصف الاحلاس: لالزامهم البلاء ممن يظهر عليهم. والحليس: كساء رقيق يوضع تحت قتب البعير. وقوله: حتى، الى آخره: اشارة الى ما ينتهى اليه هذه الفرقة المتعلّبة من قريش من التراذل والضعف الى ان يتمتوا رؤيته مقاماً واحداً.

مركز تحقيقات كويت علوم إسلامية

وروى ان مروان بن محمد آخر ملوك بنى امية قال يوم الزاب حين شاهد عبدالله ابن محمد بن على بن عبدالله بن العباس ماراً به فى صف خراسان: لوددت ان على بن ابى طالب تحت هذه الرايات بدلاً من هذا الفتى. والقصة مشهورة وبالله التوفيق.

٩١ - وَمِنْ حُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فَتَبَارَكَ اللهُ الَّذِي لَا يَبْلُغُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ، وَلَا يَنَالُهُ حَدْسُ الْفِطَنِ، الْأَوَّلُ الَّذِي لَا غَايَةَ لَهُ فَيَنْتَهَى، وَلَا آخِرَ لَهُ فَيَنْقُضَى.

اقول: الحدس فى اللّغة: الظن، وفى الاصطلاح العلمى: سرعة انتقال الذهن من المبادئ الى المطالب، وقد مر تفسير اوليته و آخريته.

منها: في وصف الانبياء

فَأَسْتَوْدَعُهُمْ فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ، وَأَقْرَهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ، تَنَاسَخَتْهُمْ كَرَائِمُ الْأَصْلَابِ
إِلَى مُظَهَّرَاتِ الْأَرْحَامِ، كُلَّمَا مَضَى مِنْهُمْ سَلَفٌ قَامَ مِنْهُمْ بِدِينِ اللَّهِ خَلْفٌ، حَتَّى أَفْضَتْ
كَرَامَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِلَى مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِينِ
مَنْبِتًا، وَأَعَزَّ الْأُرُومَاتِ مَغْرَسًا مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءُهُ، وَأَنْتَخَبَ مِنْهَا أُمَّتَاءَهُ،
عِثْرَتُهُ خَيْرُ الْعِثْرِ، وَأَسْرَتُهُ خَيْرُ الْأَسْرِ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ، نَبَتْ فِي حَرَمٍ، وَبَسَقَتْ فِي
كَرَمٍ لَهَا فُرُوعٌ طَوَالٌ، وَثَمَرَةٌ لَا تُنَالُ، فَهُوَ إِمَامٌ مَنْ أَنْقَسَى، وَبَصِيرَةٌ مَنْ أَهْتَدَى، سِرَاجٌ لَمَعَ
ضَوْؤُهُ، وَشِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ، وَزَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ، سِيرَتُهُ الْقَصْدُ وَسُنَّتُهُ الرُّشْدُ، وَكَلَامُهُ الْفَضْلُ،
وَحُكْمُهُ الْعَدْلُ، عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وَهَفْوَةٍ عَنِ الْعَمَلِ، وَغَبَاوَةٍ مِنَ الْأُمَمِ.

إِعْمَلُوا، رَحِمَكُمُ اللَّهُ، عَلَى أَعْلَامٍ بَيِّنَةٍ، فَالطَّرِيقُ نَهْجٌ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَأَنْتُمْ فِي
دَارِ مُسْتَعْتَبٍ عَلَى مَهَلٍ وَقَرَاغٍ، وَالصُّحُفُ مَنشُورَةٌ، وَالْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ، وَالْأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ،
وَالْأَلْسُنُ مُظَلَّقَةٌ، وَالتَّوْبَةُ مَسْمُوعَةٌ وَالْأَعْمَالُ مَقْبُولَةٌ.



اقول: الاشارة الى الانبياء عليهم السلام، و افضل مستودع استودعهم فيه، اما
نفوسهم فحضائر القدس و منازل الملائكة في مقعد صدق عند مليك مقتدر. و اما ابدانهم
و اصولها فكرايم الاصلاب التي هي مستودع التطف، و ارحام المطهرات التي هي
مفازها. و الشيعة يطهرون اصول الانبياء من طرف الآباء و الامهات عن الشرك. و اليه اشار
الرسول صلى الله عليه وآله بقوله: (نقلنا من الاصلاب الطاهرة الى الارحام الزكية)^١.

و امضت: انتهت، و كنى بكراهة الله عن: النبوة. و استعار لفظ المعدن و المغرس
و المنبت: لطينة النبوة و هي مادته القريبة التي استعدت لقبول مثله. و قيل: اراد بذلك
مكة. و قيل: بيته و قبيلته. و الارومة: الاصل، و لفظ الشجرة: لقريش. و عترة الرجل:
نسله و اسرته و قومه، و وجه افضلية عترته قوله صلى الله عليه وآله: (سادة اهل المحشر
سادة اهل الدنيا انا، و على و حسن و حسين و حمزة و جعفر)^٢. و وجه افضلية اسرته قوله

١ - دلائل النبوة/ ٢٤. تفسير الفخر الرازي ١٧٣/٢٤.

٢ - مستدرک الصحيحين ٢١١/٣. تاريخ بغداد ٤٣٤/٩.

صلى الله عليه وآله: (إن الله اصطفى من العرب معداً، واصطفى من معد بنى النضر بن كنانة، واصطفى هاشماً من بنى النضر، واصطفانى من بنى هاشم). وقوله: (الناس تبع لقريش برّهم لبرّهم، وفاجرهم لفاجرهم).

وقيل: اراد بالشجرة فى الموضوعين ابراهيم عليه السلام. وقيل: اراد هاشما وولده بقرينة قوله: نبتت فى حرم و اراد مكة. وبسقت: طابت و كنى بفروعها عن: مثله عليه السلام و ذريته و بوصفهم بالطول عن بلوغهم فى الشرف الغاية البعيدة. واستعار لفظ الثمرة: لكمالهم الذى لا يدرك من العلوم والاخلاق الكريمة. واستعار لفظ البصيرة والسراج والشبهات والزند له: باعتبار كونه سبب هداية الخلق بانوار الدين. والفصل: الفاصل بين الحق والباطل. والهوة: الذلّة. والغاوة: الجهل. واستعار لفظ الاعلام: لأئمة الدين و دلائله الواضحة وطريق نهج واضح. ودار مستعتب اى: يمكن فيها طلب العتبى، وهو الرجوع الى الحق. وقيل: اى دار يمكنهم فيها ان يطلبوا من الله العتبى وهو: الرضى والعفو عنهم. والمنشورة: صحف الأعمال. والجارية: اقلام الكرام الكاتبين.

مركز تحقيقات كويت علوم إسلامية
٩٢ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بَعَثَهُ وَالنَّاسُ ضَلَالًا فِي حَيْرَةٍ، وَخَابِطُونَ فِي فِتْنَةٍ، قَدْ اسْتَهْوَتْهُمْ الْأَهْوَاءُ وَأَسْتَرَلَتْهُمْ الْكِبْرِيَاءُ، وَأَسْتَخَفَّتْهُمْ الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلَاءُ. حَيَارَى فِي زَلْزَالٍ مِنَ الْأُمْرِ، وَبَلَاءٍ مِنَ الْجَهْلِ، قَبَالَغَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي النَّصِيحَةِ، وَمَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ، وَدَعَا إِلَى الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ.

اقول: الخبط: المشى على غير طريق. وروى خابطون وهو مستعار: لجمعهم فى فتنتهم ما لا ينبغي من اقوال، وافعال. واستزلهم: استخفهم. والجهلاء: وصف لما اشتق من الموصوف تأكيداً كما قال: ليل أليل، والطريقة التى مضى عليها: سبيل الله، ودعوته الى الحكمة والبرهان والى الموعظة الحسنة بالخطابة. وبالله التوفيق.

٩٣ - وَمِنْ حُطْبَةِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِ فَلَا شَيْءَ قَبْلَهُ، وَالْآخِرِ فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ، وَالظَّاهِرِ فَلَا شَيْءَ فَوْقَهُ،
وَالْبَاطِنِ فَلَا شَيْءَ دُونَهُ.

اقول: المراد بالظاهر هنا العال لتأكيد بنفى الفوقية عنه، والباطن هو: الذى بطن
خفيات الامور، علماً، وهو اقرب الاشياء اليها بهذا الاعتبار فلذلك سلب ما هو دونه اى: ما هو
اقرب اليها منه، وقد سبق بيان هذه الاعتبارات.

منها فى ذكر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

مُسْتَقَرُّهُ خَيْرٌ مُسْتَقَرٍّ، وَمَنْبَتُهُ أَشْرَفُ مَنْبَتٍ، فِى مَعَادِنِ الْكِرَامَةِ، وَمَمَاهِدِ السَّلَامَةِ، قَدْ
صُرِفَتْ نَحْوَهُ أَفِيدَةُ الْأَبْرَارِ، وَثَنِيَتْ إِلَيْهِ أَزْمَةُ الْأَبْصَارِ، دَفَنَ بِهِ الضَّعَائِنَ، وَأَطْفَأَ بِهِ النَّوَائِرَ،
أَلْفَ بِهِ إِخْوَانًا، وَفَرَّقَ بِهِ أَقْرَانًا أَعَزَّ بِهِ الذَّلَّةَ، وَأَذَلَّ بِهِ الْعِزَّةَ، كَلَامُهُ بَيَانٌ، وَصَمْتُهُ لِسَانٌ.

مركز تحقيقات علوم اسلامی

اقول: مستقره: مكة، وهى خير مستقر لكونها ام القرى، ومحل بيت الله الحرام.
واستعار مهاد السلامة: لأراضى الحجاز كالمدينة ومكة لكونهما محل العبادة والخلوة
بالله والسلامة من عذابه. ويحتمل ان يريد ما ينقلب فيه، وينشأ عليه من مكارم
الاخلاق الممهدة للسلامة من سخط الله، وفى قوله: قد صرفت: تنبيه على ان الصارف
لا فئدة الابرار اليه، هو: لطف الله تعالى، وعنايته بهم. وثنيت اى: صرفت. والأقران
المفرق لهم: المتآلفون على الشرك والذلة التى اعزها به ذلة المسلمين، والذلة التى اذلها
به عزة المشركين. وقوله: وصمته لسان اى: ان سكوته مما يفيد حكماً ككلامه، فان
الصحابة كانوا اذا فعلوا فعلاً على عادتهم فسكت عنه علموا انه مباح فى الدين، فاشبه
ذلك البيان باللسان فاستعار لفظه له.

وَلِسْنُ أُمَّهَلِ الظَّالِمِ فَلَنْ يَفُوتَ أَخْذُهُ، وَهُوَ لَهُ بِالْمِرْصَادِ عَلَى مَجَازِ طَرِيقِهِ، وَبِمَوْضِعِ الشَّجَى مِنْ مَسَاغِ رِيقِهِ، أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُظْهِرَنَّ هَوْلَاءِ الْقَوْمِ عَلَيْكُمْ، لَيْسَ لِأَنَّهُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْكُمْ، وَلَكِنْ لِإِسْرَاعِهِمْ إِلَى بَاطِلِ صَاحِبِهِمْ وَإِنْبَاطِكُمْ عَنْ حَقِّي. وَلَقَدْ أَصْبَحَتِ الْأُمَّمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِيهَا، وَأَصْبَحَتْ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي: اسْتَنْفَرْتُكُمْ لِلْجِهَادِ فَلَمْ تَنْفِرُوا، وَأَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا، وَدَعَوْتُكُمْ سِرًّا وَجَهْرًا فَلَمْ تَسْتَجِيبُوا، وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا أَشْهُودَ كُغْيَابٍ، وَعَبِيدَ كَأَرْبَابٍ!!؟! أَتَلُوا عَلَيْكُمْ الْحِكْمَ فَتَنْفِرُونَ مِنْهَا، وَأَعْظَمْتُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ الْبَالِغَةِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنْهَا، وَأَحْثُكُمْ عَلَى جِهَادِ أَهْلِ الْبَغْيِ فَمَا آتَى عَلَى آخِرِ الْقَوْلِ حَتَّى أَرَائِكُمْ مُتَفَرِّقِينَ أَيَادِي سَبَا تَرْجِعُونَ إِلَى مَجَالِسِكُمْ وَتَتَخَادَعُونَ عَنْ مَوَاعِظِكُمْ، أَقَوْمُكُمْ غَدَوَةٌ وَتَرْجِعُونَ إِلَى عَشِيَّتِهِ كَظَهْرِ الْحَيَّةِ عَجَزَ الْمُقَوْمُ، وَأَعْضَلَ الْمُقَوْمُ.

أَيُّهَا الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ، الْغَايِبَةُ عُقُولُهُمْ الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ الْمُبْتَلَى بِهِمْ أَمْرَاؤُهُمْ صَاحِبِكُمْ يُطِيعُ اللَّهَ وَأَنْتُمْ تَعْصُونَ، وَصَاحِبُ أَهْلِ الشَّامِ يَعِصِي اللَّهَ وَهُمْ يُطِيعُونَهُ؟! لَوِدِدْتُ وَاللَّهِ أَنْ مَعَاوِيَةَ صَارَفَنِي بِكُمْ صَرَفَ الدِّينَارِ بِالذَّرِّهِمْ، فَأَخَذَ مِنِّي عَشْرَةَ مِنْكُمْ وَأَعْطَانِي رَجُلًا مِنْهُمْ.

يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، مُنِيَتْ مِنْكُمْ بِثَلَاثٍ وَأَنْتَتَيْنِ: صُمُّ ذُؤُودِ أَسْمَاعٍ، وَبُكْمُ ذُؤُودِ كَلَامٍ، وَعُمِّي ذُؤُودِ أَبْصَارٍ، لَا أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ اللَّقَاءِ، وَلَا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ الْبَلَاءِ. تَرَبَّتْ أَيْدِيكُمْ. يَا أَشْبَاهَ الْإِبِلِ غَابَ عَنْهَا رُعَاتِيهَا؛ كُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ تَفَرَّقَتْ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ، وَاللَّهِ لَكَأَنَّيْ بِكُمْ فِيمَا إِخَالَ أَنْ لَوْ حِمَسَ الْوَعَى، وَحَمِيَ الضَّرَابُ، وَقَدْ أَنْفَرَجْتُمْ عَنِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنْفِرَاجِ الْمَرْأَةِ عَنْ قُبْلَيْهَا، وَإِنِّي لَعَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّي، وَمِنْهَاجٍ مِنْ نَبِيِّ، وَإِنِّي لَعَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ الْقُطْبُ لَقَطَا أَنْظَرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَأَلْزَمُوا سَمْتَهُمْ، وَأَتَّبَعُوا أَثَرَهُمْ، فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدَى وَلَنْ يُعْبِدُوكُمْ فِي رَدَى. فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبُدُوا، وَإِنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا، وَلَا تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا، وَلَا تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا، لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَمَا أَرَى أَحَدًا مِنْكُمْ يُشْبِهُهُمْ! لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ شُعْنًا غُبْرًا، وَقَدْ بَاتُوا سُجْدًا وَقِيَامًا، يُرَاوِحُونَ بَيْنَ جِبَاهِهِمْ وَخُدُودِهِمْ، وَيَقِفُونَ عَلَى مِثْلِ الْجَمْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ! كَأَنَّ بَيْنَ

أَغْيِيهِمْ رُكْبَ الْمِغْزَى، مِنْ طُولِ سُجُودِهِمْ! إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ هَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّى تَبْلُ جُيُوبَهُمْ، وَمَادُوا كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ يَوْمَ الرِّيحِ الْعَاصِفِ، خَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ، وَرَجَاءً لِلثَّوَابِ.

اقول: المرصاد: الطريق يرصد بها. والشجى: الغصص. وقوله: ولئن امهل الله، الى قوله: ريقه: فى معرض الوعيد لمعاوية واهل الشام بأخذ وعقوبة. والقوم: اهل الشام. وشبههم فى شهودهم بالغياب لعدم فائدة خطابهم. وبالارباب مع كونهم رعية من شأنهم التعتد لأوامر امامهم، اولان فىهم عبيداً. ووجه الشبه كونهم لا يأترون لأمرهم. وايدى سبا مثل: وهما اسمان جعلتا اسماً واحداً كمعدى كرب. وسبا: قبيلة من اولاد سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وهذه القبيلة كانت بمأرب وقصتهم فى تفرقهم مشهورة يضرب بها المثل. وشبه رجوعهم عن الصلاح مظهر الخيبة وهى: القوس. واغضل: اشكل، وإنما قال:

بثلاث واثنتين لتناسب الثلاث، وكون الثنتين من نوع واحد فالثلاث اثبات والثنتيان سلب واستعار لهم: وصف الصم والبكم والعمى، باعتبار عدم انتفاعهم بهذه الآلات فى طاعة الله. ولا احرار صدق لعدم خلوص حرّيتهم من الجبن والغش. وتربت: اصابته التراب وهودعاء بالخبية والحرمان. ويروى عوض جمعت: حيصت اى: جمعت ايضا. واحال: احسب. وحس الوغى: اشتدت الحرب. ولفظ الطريق اذا مشى على بصيرة وَتَوَدَّةً، ويلزم ذلك ان يعرفها خلاف المستعجل فيها. ولبدوا سكنوا، واراد: ان سكنوا عن طلب الأمر فاتبعوهم فى ذلك، وان نهضوا فى طلبه فانهضوا ولا تسبقوهم اى: الى امر لم يتقدموا فيه، فانّ التقدم على الدليل مظنة الضلال عن القصد، وان لا تتأخروا عن امثال اوامرهم بالمخالفة لهم او عدم متابعتهم.

والشعث الغبر كناية: عن قشفهم وتركهم لزينة الدنيا. وكفى بوقوفهم على مثل الجمر عن خوفهم من ذكر معادهم، وباللّه التوفيق.

٩٥ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

وَاللَّهِ لَا يَزَالُونَ حَتَّى لَا يَدْعُوا لِلَّهِ مُحَرَّمًا إِلَّا اسْتَحَلُّوهُ، وَلَا عَقْدًا إِلَّا حَلَّوهُ وَحَتَّى لَا يَبْتَدِئُوا
بَيْتَ مَدْرٍ وَلَا وَبَرَ إِلَّا دَخَلَهُ ظَلَمُهُمْ، وَنَبَا بِهِ سُوءُ رَعِيَّتِهِمْ، وَحَتَّى يَقُومَ الْبَا كَيْانَ يَبْكِيَانِ:
بَاكَ يَبْكِي لِدِينِهِ، وَبَاكَ يَبْكِي لِذُنُوبِهِ، وَحَتَّى تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ كَنُصْرَةِ
الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ: إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ، وَإِذَا غَابَ اغْتَابَهُ، وَحَتَّى يَكُونَ أَكْبَرُكُمْ فِيهَا عَنَاءً
أَحْسَنَكُمْ بِاللَّهِ ظَنًّا، فَإِنْ أَتَاكُمْ اللَّهُ بِعَافِيَةٍ فَاقْبَلُوهَا؛ وَإِنْ أَبْتَلَيْتُمْ فَاصْبِرُوا، فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ
لِلْمُتَّقِينَ.

٩٦ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا كَانَ، وَنَسْتَعِينُهُ مِنْ أَمْرِنَا عَلَى مَا يَكُونُ، وَنَسْأَلُهُ الْمَعَافَاةَ
فِي الْأَذْيَانِ، كَمَا نَسْأَلُهُ الْمَعَافَاةَ فِي الْأَسْبَابِ.
عِبَادَ اللَّهِ؛ أَوْصِيكُمْ بِالرَّفْقِ لِهَيْبَةِ الدُّنْيَا التَّارِكَةِ لَكُمْ، وَإِنْ لَمْ تُحِبُّوا تَرْكَهَا وَالْمُبِيلِيَّةَ
لِلْأَجْسَامِكُمْ، وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ تَجْدِيدَهَا؛ فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهَا كَسَفَرِ سَلَكُوا سَبِيلًا فَكَانَتْهُمْ
قَدْ قَطَعُوهُ، وَأَمَّا عِلْمًا، فَكَانَتْهُمْ قَدْ بَلَّغُوهُ، وَكَمْ عَسَى الْمُجْرِي إِلَى الْغَايَةِ أَنْ يَجْرِيَ إِلَيْهَا،
حَتَّى يَبْلُغَهَا، وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَقَاءُ مَنْ لَهُ يَوْمٌ لَا يَعْدُوهُ؟ وَطَالِبٌ حَيْثُ يَحْدُوهُ فِي الدُّنْيَا
حَتَّى يُفَارِقَهَا؟ فَلَا تَنَافَسُوا فِي عِزِّ الدُّنْيَا وَفَخْرِهَا، وَلَا تَعْجَبُوا بِزِينَتِهَا وَنَعِيمِهَا، وَلَا تَجَزَعُوا
مِنْ ضَرَائِهَا وَبُؤْسِهَا؛ فَإِنَّ عِزَّهَا وَفَخْرَهَا إِلَى انْقِطَاعٍ، وَإِنَّ زِينَتَهَا وَنَعِيمَهَا إِلَى زَوَالٍ وَ
ضَرَاءِهَا وَبُؤْسِهَا إِلَى نَفَادٍ، وَكُلُّ مُدَّةٍ فِيهَا إِلَى انْتِهَاءٍ، وَكُلُّ حَيٍّ فِيهَا إِلَى فِتْنَةٍ، أَوْلَيْسَ
لَكُمْ فِي آثَارِ الْأَوَّلِينَ مُرْدَجْرٌ، وَفِي آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ تَبْصِرَةٌ وَمُعْتَبَرٌ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ؟ أَوْلَيْسَ
تَرَوْنَ إِلَى الْمَاضِي مِثْلَكُمْ لَا يَرْجِعُونَ؟ وَإِلَى الْخَلْفِ الْبَاقِينَ لَا يَبْقُونَ؟ أَوْلَيْسَ تَرَوْنَ أَهْلَ
الدُّنْيَا يُضْبِحُونَ وَيُمْسُونَ عَلَى أَحْوَالٍ شَتَّى: فَمَيِّتٌ يَبْكِي، وَآخِرُ عَزْرَى، وَصَرِيحٌ مُبْتَلَى، وَ
عَائِدٌ يَعُودُ، وَآخِرُ بِنَفْسِهِ يَجُودُ، وَطَالِبٌ لِلدُّنْيَا وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ، وَغَافِلٌ وَلَيْسَ بِمَغْفُولٍ
عَنْهُ؟؟!! وَعَلَى أَثَرِ الْمَاضِي مَا يَمْضِي الْبَاقِي.

أَلَا فَادْكُرُوا هَادِمَ اللَّذَاتِ، وَمُنْغَصَ الشَّهَوَاتِ، وَقَاطِعَ الْأُمْنِيَّاتِ، عِنْدَ الْمَسَاوِرَةِ
لِلْأَعْمَالِ الْقَبِيحَةِ، وَاسْتَعِينُوا اللَّهَ عَلَى أَذَاءِ وَاجِبِ حَقِّهِ، وَمَا لَا يُحْصَى مِنْ أَعْدَادِ نِعَمِهِ وَ
إِحْسَانِهِ.

أقول: خصّ الحمد بما كان لأنّ الشكر على النعمة مترتب على وقوعها، والاستعانة
بما يكون، لأنّ طلب المعونة أنّما هو فيما يتوقع فعله، ولما كان للاديان سقمًا أشدّ من سقم
الأبدان، وهو: مرض النفوس بداء الجهل، ورتائل الاخلاق، سأل العافية فيها، ورفض
الدنيا: تركها. والسفر: المسافرون. وفائدة: كان في الموضوعين تقريب الاحوال المستقبلية. من الاحوال
الواقعة وكم عسى، وما عسى، استفهام تحقير لما يرجى من البقاء في الدنيا. وكتى بالطالب:
الحديث عن الموت، واستعار وصف الحد و لما يتوهم من سوق اسباب الموت اليه. وما
في قوله: ما يمضى: مصدرية. وكتى بها دم اللذات: عن الموت. والمساورة: الموائبة.
وانّما اتى بوزن المفاعلة باعتبار أنّ الفعل القبيح، لا بد فيه من ممانع كواضع الشرع
والعرف فيتوهم فيه معنى الموائبة. وبقى الفصل ظاهر.

مركز تحقيقات كويت علوم إسلامية
٩٧ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ، وَالْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ. نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ
أُمُورِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ:
أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعًا، وَبِذِكْرِهِ نَاطِقًا، فَأَدَّى أَمِينًا، وَمَضَى رَشِيدًا. وَخَلَفَ فِي تَارِيخِ الْحَقِّ:
مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ، وَمَنْ لَزِمَهَا لِحِقَ، دَلِيلُهَا مَكِيثُ الْكَلَامِ، بَطْنُ
الْقِيَامِ، سَرِيعُ إِذَا قَامَ. فَإِذَا أَنْتُمْ أَلْتُمْ لَهُ رِقَابَكُمْ، وَأَشْرْتُمْ إِلَيْهِ بِأَصَابِعِكُمْ، جَاءَهُ الْمَوْتُ
فَذَهَبَ بِهِ، فَلَبِثْتُمْ بَعْدَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ، حَتَّى يُظْلِعَ اللَّهُ لَكُمْ مَنْ يَجْمَعُكُمْ، وَيَضُمُّ نَشْرُكُمْ
فَلَا تَظْمَعُوا فِي غَيْرِ مُقْبِلٍ، وَلَا تَيَأْسُوا مِنْ مُدْبِرٍ؛ فَإِنَّ الْمُدْبِرَ عَسَى أَنْ تَزِلَّ إِحْدَى قَائِمَتَيْهِ، وَ
تَثْبُتَ الْأُخْرَى، وَتَرْجِعَا حَتَّى تَثْبُتَا جَمِيعًا.

أَلَا إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ: إِذَا حَوَى نَجْمٌ طَلَعَ

نَجْمٌ، فَكَانَتْكُمْ قَدْ تَكَامَلْتُمْ مِنْ اللَّهِ فِيكُمْ الصَّنَائِعُ، وَارَاكُمْ مَا كُنْتُمْ تَأْمُلُونَ.

اقول : لفظ اليد مجاز في النعمة اطلاقا لاسم السبب على المسبب. واقتصر في الفصل ما يكون بعده من امر الائمة. والصدع: الشق، وذلك انه صلى الله عليه وآله صدع بأمر الله، بيضة الشرك و شق عصا المشركين، وقطع ما اتصل من كفرهم و دام من عقائدهم الباطلة. و روى بذكره ناطقا. و استعار لفظ الراية: لكتاب الله و سنة رسوله. و اشار بتقدمها: الى طرف الافراط من فضيلة الامتقاة عليها و بالتخلف عنها الى طرف التفريط منها، و التقصير و كنى بدليلها: عن نفسه اذ كان هو الهادي بالكتاب و السنة الى سبيل الله، كما يهدي حامل الراية بها. و كنى بكونه مكث الكلام اي: بضيئه عن تأتية في حركاته في الامور الى حين تبين الرأي الأصلح، و بسرعة قيامه عن: مبادرته الى الامر حين ظهور وجه المصلحة فيه و انتهازه الفرصة. و بالانة رقابكم^١ له عن: خضوعهم لطاعته. و باشارتهم اليه بالاصابع عن: اشتهاره فيهم و تعينه، و تعظيمهم له. و نبه بقوله: فلبثتم بعده ما شاء الله: على أنهم يخلون عن امام يجمعهم مدة، و اراد مدة دولة بنى امية. و بقوله: حتى يطلع الله، الى قوله: نشركم: على انه لا بد لهم بعد تلك المدة من شخص يجمعهم و طلوعه: ظهوره، و تعينه للرياسة بعد اختفاء، فقيل: هو الامام المنتظر. و قيل: هو قيام بنى العباس بعد بنى امية. و قوله: فلا تطمعوا في غير مقبل، اي: من يقبل على طلب هذا الامر ممن هو له، و اثر تركه الى الخلوة بالله فلا تطمعوا فيه فان الله به شغلا. و قيل: اراد بغير المقبل من انحرف عن الدين بارتكاب منكر فانه لا يجوز الطمع في ان يكون امرا لكم. و روى: فلا تطعنوا في عين مقبل اي: من اقبل عليكم من اهل البيت طالبا لهذا الامر و هو من اهله فكونوا معه.

و كنى بالطعن في عينه: عن دفعه عما يريد. و قوله: ولا تياسوا من مدبر، الى قوله: تثبتنا جميعا: اي من ادبر عن طلب الخلافة من اهلها فلا تياسوا من عوده الى الطلب، فعساه انما ادبر لاختلال بعض الشرائط التي يتعين عليه معها القيام. و اشار بزوال احدي قائمته الى فقدته لبعض الشرائط كعدم الناصر و نحوه. و بثبات الاخرى الى وجدانه لبعضها. و

١- في ش: رقابهم.

بقوله، فيرجعنا حتى تثبتنا الى بكامل شرائط قيامه.

و اراد بال محمد: الائمة منهم، قالت الامامية: هم الاثنا عشر من اهل البيت عليهم السلام. و اشار الى وجه شبههم بالنجوم، بقوله: كلما خوى نجم اى: سقط للمغيب، اى: كلما خلا سيد منهم قام بالامر بعده سيد. والامامية يستدلون بذلك بعد بيان عصمته عليه السلام، انه لا يخلو زمان من ازمنة التكليف عن وجود قائم من اهل البيت عليهم السلام يهدى الى الحق، و الى طريق مستقيم. و قوله: فكأنكم الى آخره: تنبيه على منة الله عليهم بامام منتظر يظهر فيصلح بوجوده احوالهم، و يتكامل به نعم الله لديهم.

٩٨ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

(يشتمل على ذكر الملاحم ...)

الأوَّلُ قَبْلَ كُلِّ أَوَّلٍ، وَالْآخِرُ بَعْدَ كُلِّ آخِرٍ، بِأَوَّلِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لَا أَوَّلَ لَهُ وَ
بِآخِرِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لَا آخِرَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الْإِعْلَانُ، وَالْقَلْبُ
اللِّسَانُ.

مرکز تحقیق و ترویج علوم و معارف اسلامی

أَيُّهَا النَّاسُ، لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ عِصْيَانِي، وَلَا تَتَرَامَوْا بِالْأَبْصَارِ عِنْدَ
مَا تَسْمَعُونَهُ مِنِّي، فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأ النَّسَمَةَ، إِنَّ الَّذِي أُنَبِّئُكُمْ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، مَا كَذَبَ الْمُبَلِّغُ، وَلَا أَجْهَلَ السَّامِعُ. وَلَكِنِّي أَنْظَرُ إِلَى ضَلِيلٍ، قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ،
وَفَحَصَ بِرِيَابَاتِهِ، فِي ضَوَاحِي كُوفَانٍ. فَإِذَا فَعَرَّتْ فَاغْرَبَتْ، وَأَشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ، وَثَقُلَتْ
فِي الْأَرْضِ وَظَاتُهُ عَضَّتْ الْفِئْتَةَ أَبْنَاءَهَا بِأَنْيَابِهَا، وَمَاجَتِ الْحَرْبُ بِأَمْوَاجِهَا وَبَدَا مِنَ
الْأَيَّامِ كُلُّوْحُهَا، وَمِنَ اللَّيَالِي كُدُوْحُهَا، فَإِذَا أَيْنَعَ زَرْعُهُ، وَقَامَ عَلَى يَتْعِيهِ، وَهَدَّرَتْ
شَقَاشِقُهُ، وَبَرَقَتْ بَوَارِقُهُ، عُقِدَتْ رِيَابَاتُ الْفِتَنِ الْمُعْضِلَةِ وَاقْتُلْنَ كَاللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، وَالْبَحْرِ
الْمُلْتَطِمِ، هَذَا، وَكَمْ يَخْرِقُ الْكُوفَةَ مِنْ قَاصِفٍ، وَيَمُرُّ عَلَيْهَا مِنْ عَاصِفٍ، وَعَنْ قَلِيلٍ تَلْتَفُ
الْقُرُونُ بِالْقُرُونِ، وَيُحْصَدُ الْقَائِمُ، وَيُحْطَمُ الْمَحْضُودُ.

اقول : لما كان معنى اوليته كونه مبدءا لكل موجود، و معنى آخريته كونه غاية ينتهي

اليها كل شئ في جميع احواله، علم من ذلك ان لا اول له ولا آخر والا لم يكن اولا
 و آخر بالمعنيين المذكورين. ولا يجرمتمكم اى: لا يحق عليكم. واستهواه: اشتماله.
 والضليل: كثير الضلال، قيل: هو اشارة الى السفينى، والدجال. وقيل: اراد معاوية،
 فان مبدء دولته بالشام، ودعوته بها، وانتهت غاراته الى نواحي كوفان، والانبار.
 وكوفان: اسم للكوفة. والضواحي: النواحي البارزة. وفحص الطائر برجله الارض:
 بحثها. فغرفوه: انفتح، هو كناية عن اقدمه وقوة طمعه فى امر الناس. واشتداد شكيمته:
 قوة بأسه وشدة. وقيل: اراد عبدالملك بن مروان. واستعار وصف العض: للفتنة باعتبار
 شدتها ولزومها للناس. و رشح بذكر الانياب والكلوح: تكثر فى العبوس وهو مجاز
 فى الشدة. والكدح: فوق الخدش و كنى به: عن اذى الفتنة. واينع الزرع: ادرك واستعار
 وصفه لتمام فعله، و لفظ الشقائق والبروق: بحركاته الهائلة واحواله المخوفة، و اراد ان
 هذا الخارج اذا تمت فنتته اثار فتنا كثيرة بعدها يكون فيها الهرج والمرج. وشبه تلك
 الفتن فى اقبالها: بالليل المظلم، باعتبار انه لا يهتدى فيها للحق كما لا يهتدى فى الظلمة.
 وبالبحر الملتطم: باعتبار عظمها. و اشار الى ما يلحق الكوفة بسبب تلك الفتنة من الوقائع
 والفتن. واستعار وصفى القاصف والحاصف: لما يمر بها من الشدائد كالريح، وقد وقع
 فيها وفق اخباره فتن كثيرة و وقائع جمّة كفتنة الحجاج والمختار. و اشار بالتفاف بعض
 القرون ببعض: الى اجتماعهم فى بطن الارض. واستعار لهم وصف الحصد والحطم:
 ملاحظة لشبههم بما يحصد من الزرع ويداس، وبالله التوفيق.

٩٩ - وَمِنْ حُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

تجري هذا المجرى ...

وَذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ اللَّهُ فِيهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِنِقَاشِ الْحِسَابِ، وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ،
 خُضُوعًا، قِيَامًا، قَدْ أَلْجَمَهُمُ الْعَرَقُ، وَرَجَفَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ؛ فَأَحْسَنُهُمْ حَالًا مَنْ وَجَدَ لِقَدَمَيْهِ
 مَوْضِعًا، وَلِنَفْسِهِ مَتَسَعًا.

اقول: الفصل اقتصاص لبعض أهوال يوم القيامة، ونقاش الحساب: الاستقصاء فيه.
والجمهم العرق: بلغ منهم الافواه، وهو كناية: عن غاية الشدة.

منها:

فَتَنُ كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، لَا تَقُومُ لَهَا قَائِمَةٌ، وَلَا تُرَدُّ لَهَا رَايَةٌ، تَأْتِيكُمْ مَرْمُومَةً
مَرْحُولَةً: يَحْفِزُهَا قَائِدُهَا، وَيُجْهِدُهَا رَاكِبُهَا، أَهْلُهَا قَوْمٌ شَدِيدٌ كَلْبُهُمْ، قَلِيلٌ سَلْبُهُمْ، يُجَاهِدُهُمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَوْمٌ أَدْلَةٌ عِنْدَ الْمُتَكَبِّرِينَ، فِي الْأَرْضِ مَجْهُولُونَ، وَفِي السَّمَاءِ مَعْرُوفُونَ، قَوْلُ
لِكَ يَا بَصْرَةَ عِنْدَ ذَلِكَ، مِنْ جَيْشٍ مِنْ نِقَمِ اللَّهِ لَا رَهْجَ لَهُ، وَلَا حَسَّ، وَسَيَبْتَلِي أَهْلَكَ بِالمَوْتِ
الأَحْمَرِ، وَالْجُوعِ الأَغْبَرِ.

اقول: انذر في هذا الفصل بما سيقع بعده من الفتن وخص فتنة صاحب الزنج
بالبصرة. وشبهها بقطع الليل المظلم في كونها لا يهتدى فيها لوجه الخلاص منها. وكنى:
بكونها لا يقوم لها قائمة الى قوله: راية عن شدتها، و اراد بقائدها: منشيها، وبراكبيها:
اعوانه فيها استعارة. و كذلك حفرها وهو: سوقها، وجهدها سرعتهم فيها: استعارة
اوصاف الناقة المركوبة لغاية اشتد طلبها في الفتن، واهلها: الزنج و كلبهم: شرهم.
وقليل سلبهم: اذ لم يكونوا اهل حرب و عدة و خيل. و وصف مقاتليهم بأوصاف المتقين
ويحتمل ان يريد بمجاهدتهم في الله اخلاص همهم في دفعهم و هلاكهم، و ظاهر انه لم
يكن للريح رهج وهو: الغبار و لاحس اذ لم يكن له خيل و لاقعقة لجم، و ظاهره انهم
من نقم الله للعصاة و ان عمّت الفتنة اذ قلما يخص الفتنة بقوم كما قال تعالى:
(واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) ^١ و الموت الأحمر كناية: عن القتل
بالسيف، و قيل: ذلك اشارة الى الطاعون. و وصف الجوع بالأغبر: لان اشد الجوع ما
اغبر معه الوجه و غير السحنة و قيل: لانه يلصق صاحبة بالغبراء و واقعة الزنج مشهورة.

١٠٠ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

انظروا إلى الدنيا نظر الزاهدين فيها، الصادقين عنها، فإنها والله عما قليل تُزِيلُ
الثاوي الساكن، وَتَفْجَعُ الْمُتَرَفَّ الآمن، لَا يَرْجِعُ مَا تَوَلَّى مِنْهَا فَأُدْبَبَ، وَلَا يُدْرَى مَا هَوَات
مِنْهَا فَيُنْتَظَرُ، سُورُهَا مَشُوبٌ بِالْحُزْنِ، وَجِلْدُ الرِّجَالِ فِيهَا إِلَى الضَّعْفِ وَالْوَهْنِ، فَلَا يَغْرَنُكُمْ
كَثْرَةُ مَا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا، لِقَلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا.

رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا تَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ، وَاعْتَبَرَ فَأَبْصَرَ، فَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الدُّنْيَا عَنْ قَلِيلٍ لَمْ
يَكُنْ، وَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الْآخِرَةِ عَمَّا قَلِيلٍ لَمْ يَزَلْ، وَكُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ، وَكُلُّ مُتَوَقَّعٍ
آتٍ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ دَانَ.

اقول : نظر الزاهدين فيها الصارفين نظر الاحتقار لها و الاعراض عنها . و الثاوي :
المقيم بها . و الجلد : القوة . و اللام في قوله : لقلة ما يصحبكم للتعليل ، اي : لا يغرنكم
كثيرها لان الذي يصحبكم من ذلك قليل كالكفن و نحوه ، و الاعتبار ما يفيد الفكرة الى
ما هو الحق من وجوب ترك الدنيا ، و العمل للآخرة . و الابصار : ما يلزم ذلك الانتقال من
ادراك الحق و مشاهدته ببصر البصيرة . ثم افاد بالتشبيه الاول تقريبا حال وجود
متاع الدنيا من عدمه ، و بالتشبيه الثاني تقريبا حال عدم الاحوال الاخروية من وجودها ، و
نبه على ذلك بقياس كامل من الشكل الاول ، و هو قوله : كل متوقع . الى آخره .

منها :

العالم من عرف قدره ، وَ كَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَنْ لَا يَعْرِفَ قَدْرَهُ ، وَإِنَّ مِنْ أْبْغَضِ
الرِّجَالِ لَعَبْدًا وَ كَلَّهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ ! جَائِرًا عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ ، سَائِرًا بِغَيْرِ دَلِيلٍ ، إِنَّ دُعَى إِلَى
حَرْثِ الدُّنْيَا عَمَلٌ ، وَإِنَّ دُعَى إِلَى حَرْثِ الْآخِرَةِ كَسِيلٌ ! كَأَنَّ مَا عَمِلَ لَهُ وَاجِبٌ عَلَيْهِ ،
وَكَأَنَّ مَا وُنِيَ فِيهِ سَاقِطٌ عَنْهُ .

اقول : حصر العالم فيمن عرف قدره لان ذلك يستلزم معرفته لنفسه ، و نسبتها الى

العالم و مقدار مرتبته من خلق الله، وفي ذلك تمام العلم، ويلزم من ذلك ان من لا يعرف قدره لا يكون عالماً لان سلب اللازم يستلزم سلب الملزوم فيكون اذن جاهلاً. و اشار الى قوله: ذلك الجهل، بقوله: و كفى، الى قوله: قدره: و اراد بالدليل ما هدى الى الحق من امام او كتاب و سنة و ما عمل له هو الدنيا، و ما و نى فيه: حرث الآخرة. و الفصل واضح.

منها:

وَذَلِكَ زَمَنٌ لَا يَتَجُوفِيهِ إِلَّا كُلُّ مُؤْمِنٍ نَوْمَةٍ: إِنْ شَهِدَ لَمْ يُعْرِفْ. وَإِنْ غَابَ لَمْ يُفْتَقَدْ،
أُولَئِكَ مَصَابِيحُ الْهُدَى، وَأَعْلَامُ السَّرَى لَيْسُوا بِالْمَسَايِحِ، وَلَا الْمَدَائِجِ الْبُدْرِ، أُولَئِكَ يَفْتَحُ
اللَّهُ لَهُمْ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ، وَيَكْشِفُ عَنْهُمْ ضُرَاءَ نِقْمَتِهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يُكْفَأُ فِيهِ الْإِسْلَامُ كَمَا يُكْفَأُ الْإِنَاءُ بِمَا فِيهِ!
أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَادَكُمْ مِنْ أَنْ يَجُورَ عَلَيْكُمْ، وَلَمْ يُعِذْكُمْ مِنْ أَنْ يَسْتَلِيَكُمْ، وَقَدْ قَالَ
جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ).

اقول : ذلك اشارة الى زمان نبي امية و ما بعدها. و اولئك اشارة: الى كل مؤمن.
و روى نومة بسكون الواو و هو: الضعيف، و استعار لهم لفظ المسايح و الاعلام: لهدى
الخلق بهم في سبيل الله. و كفأت الاناء: كيبته لوجهه، و استعار و وصف الكفاء للاسلام
باعتبار خروجه عن الانتفاع به، كما يقلب ما في الاناء من ماء و غيره، و ذلك وجه الشبه
و اعاده الله تعالى عباده من الظلم في قوله: (و ما ربك بظلام للعبيد) ١.

١٠١ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

و قد تقدم مختارها بخلاف هذه الرواية

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ
يَقْرَأُ كِتَابًا، وَلَا يَدْعِي نُبُوَّةً وَلَا وَحْيًا، فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مِنْ عَصَاهُ، يَسُوقُهُمْ إِلَى مَنَاجِيهِمْ، وَ

١ - سورة فصلت / ٤٦.

يُبَادِرُ بِهِمُ السَّاعَةَ أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ يَحْسِرُ الْحَسِيرُ وَيَقِفُ الْكَسِيرُ، فَيُقِيمُ عَلَيْهِ حَتَّى يُلْحِقَهُ غَايَتُهُ،
 إِلَّا هَالِكًا لِأَخِيرِ فِيهِ، حَتَّى أَرَاهُمْ مَنجَاتَهُمْ، وَبَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ، فَأَسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ،
 وَأَسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ، وَآيَمُ اللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ فِي سَاقَتِهَا حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَائِرِهَا، وَاسْتَوْتَقْتُ
 قِيَادَهَا: مَا ضَعُفْتُ وَلَا جَبُنْتُ، وَلَا خُنْتُ، وَلَا وَهَيْتُ، وَآيَمُ اللَّهِ لِأَبْقَرَنَّ الْبَاطِلَ، حَتَّى
 أُخْرِجَ الْحَقَّ مِنْ خَاصِرِيهِ.

و قد تقدم مختارها

قال السيد: قد تقدم مختار هذه الخطبة إلا اتنى وجدتها في هذه الرواية على
 خلاف ما سبق من زيادة او نقصان فأوجبت الحال إثباتها.

اقول : الحسير الذى اعيا فى طريقه. وقوله: يحسر، الى قوله: لاخير فيه: بعض
 مكارم اخلاق الرسول عليه السلام من الشفقة على الخلق، و منجاتهم: هداهم بالاسلام
 الذى هو محل نجاتهم من عذاب الله. ومحلستهم: مقامهم من الدين والملك. وبوآهم:
 اقامهم ذلك المقام. و أوصلهم: آياه. والرحا: القطعة من الارض تستدير وترتفع على ما
 حولها، واستعار لفظها لحالهم باعتبار اجتماعهم وارتفاعهم على غيرهم. والضمير فى
 ساقتها: للعرب. و حذائيرها: جميعها. واستوتقت: انتظمت فى دخول الاسلام. واستعار
 لفظ البقر: لتفريق الباطل عن الحق، وتميزه منه، و لفظ الخاصرة: ترشيحاً للاستعارة،
 وباقى الفصل ظاهر ممامر.

١٠٢ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، شَهِيدًا، وَبَشِيرًا، وَنَذِيرًا، خَيْرُ الْبَرِيَّةِ
 طِفْلًا، وَأَنْجَبُهَا كَهْلًا، أَظْهَرَ الْمُظْهَرِينَ شِيَمَةً، وَأَمْطَرَ الْمُسْتَمْطَرِينَ دِيَمَةً، فَمَا أَخْلَوْتُ لَكُمْ
 الدُّنْيَا فِي لَدَّتِهَا، وَلَا تَمَكَّنْتُمْ مِنْ رِضَاعِ أَخْلَافِهَا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا صَادَفْتُمُوهَا جَائِلًا خِطَامُهَا،
 قَلْبًا وَضِيئُهَا، قَدْ صَارَ حَرَامُهَا عِنْدَ أَقْوَامٍ بِمَنْزِلَةِ السِّدْرِ الْمَخْضُودِ، وَحَلَالُهَا بَعِيدًا غَيْرَ مَوْجُودِ،
 وَصَادَفْتُمُوهَا، وَ اللَّهِ، ظِلًّا مَمْدُودًا إِلَى أَجْلِ مَعْدُودِ، فَالْأَرْضُ لَكُمْ شَاغِرَةٌ وَأَيْدِيكُمْ فِيهَا

مَبْسُوطَةٌ. وَأَيْدِي الْقَادَةِ عَنْكُمْ مَكْفُوفَةٌ، وَسُيُوفُكُمْ عَلَيْهِمْ مُسَلَّطَةٌ وَسُيُوفُهُمْ عَنْكُمْ مَقْبُوضَةٌ،
 أَلَا إِنَّ لِكُلِّ دَمٍ نَائِرًا، وَلِكُلِّ حَقٍّ ظَالِمًا، وَإِنَّ النَّائِرَ فِي دِمَائِنَا كَالْحَاكِمِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ، وَ
 هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ مَنْ ظَلَبَ وَلَا يَفُوتُهُ مَنْ هَرَبَ. فَأَقْسِمُ بِاللَّهِ يَا بَنِي أُمِّيَّةَ عَمَّا قَلِيلٍ
 لَتَعْرِفَنَهَا فِي أَيْدِي غَيْرِكُمْ وَفِي دَارِ عَدُوِّكُمْ. أَلَا وَإِنَّ أَبْصَرَ الْأَبْصَارِ مَا نَفَذَ فِي الْخَيْرِ طَرْفُهُ،
 أَلَا إِنَّ أَسْمَعَ الْأَسْمَاعِ مَا وَعَى التَّذْكَيرَ وَقَبْلَهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، اسْتَضْبِحُوا مِنْ شُعْلَةِ مِضْبَاجٍ وَأَعِظْ مُتَعِظًا، وَأَمْتَاخُوا مِنْ صَفْوِ عَيْنٍ قَدْ
 رُوِّقَتْ مِنَ الْكَدْرِ.

عِبَادَ اللَّهِ، لَا تَرْكَبُوا إِلَى جَهَالَتِكُمْ، وَلَا تَتَّقَادُوا إِلَى أَهْوَائِكُمْ؛ فَإِنَّ النَّازِلَ بِهَذَا الْمَنْزِلِ،
 نَازِلٌ بِشَفَا جُرْفٍ هَارٍ، يَثْقُلُ الرِّدَى عَلَى ظَهْرِهِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ، لِرَأْيِ يُحْدِثُهُ بَعْدَ رَأْيِ،
 يُرِيدُ أَنْ يُلْصِقَ مَا لَا يَلْتَصِقُ، وَيُقَرِّبَ مَا لَا يَتَقَارَبُ، فَاللَّهُ اللَّهُ، أَنْ تَشْكُوا إِلَى مَنْ لَا يُشْكِي
 شَجْوَكُمْ وَلَا يَنْقُضُ بَرَاءِيهِ مَا قَدْ أُبْرِمَ لَكُمْ. إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْإِمَامِ إِلَّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّيهِ،
 إِلَّا الْبَلَاغُ فِي الْمَوْعِظَةِ، وَالْأَجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ، وَالْإِحْيَاءُ لِلْسُّنَّةِ، وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَى
 مُسْتَحَقِّيهَا، وَإِضَارُ السُّهُمَانِ عَلَى أَهْلِهَا؛ فَبَادِرُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ تَضْوِيحِ نَبِيِّهِ، وَمِنْ قَبْلِ
 أَنْ تُشْفَلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ مُسْتَنَارِ الْعِلْمِ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ وَانْتَهَوْا عَنِ الْمُتَكَبِّرِ وَتَنَاهَوْا عَنْهُ؛ فَإِنَّمَا
 أَمْرُكُمْ بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّأْهِيِ.

اقول : الفصل غاية لكلام سبق فيه ذكر العرب وما كانت عليه من سوء الحال .

والنجابة: الكرم. والشيمة: الخلق، واستعار لفظ الديمة وهي المطر الذي لا رعد له
 ولا برق: باعتبار غاية جوده صلى الله عليه وآله، وكان إذا امسى آوى الى البيت فلا يجد
 فيه شيئاً من ذهب او فضة الا تصدق به ولم يبت بيته شئ منه، وشيمة وديمة: تمييز
 واحلولى: حلا، والخطاب للعرب. واستعار لفظ الاخلاف جمع خلف وهو: حلمة ضرع
 الناقة لوجوه المطالب والمكاسب من الدنيا. ووصف الناقة: من جولان الخطام، وقلق
 الوضين وهو: حزام القتب باعتبار عدم صلاح الدنيا لعدم الرسول صلى الله عليه وآله ومن
 يجرى الامور على سنن الحق. ووجه الشبه بالسدر المخضود: استحلال الحرام. واستعار
 لها لفظ الظل: باعتبار كون ما ينتفع به منها في معرض الزوال. ولفظ الشاغرة: باعتبار

خلوها عن مدبر، يقال: بقيت البلاد شاغرة برجلها اذا خلت عن مدبرها. وقوله: و
 انّ الثائر، الى قوله: وهو الله يريد انّ دمايتهم - عليهم السلام - ودماء غيرهم ممن عصم دمه
 يجرى مجرى الحق لله فى انه لا بدّ من طلبه، وهو الحاكم المطلق فهو الثائر بها لنفسه
 كالحاكم بحق نفسه لها، وذلك فى معرض الوعيد. والضمير فى قول لتعرفتها: للدنيا او
 للامرة. واستعار لفظ المصباح: لنفسه، وشرح بذكر الشعلة ووصف المتح: لاستفادة
 العلوم منه. والماتح: جاذب الدلو من البشر، ولفظ العين له. ووصف ترويقها عن الكدر:
 براءة نفسه القدسيّة عن شوائب شبه الباطل، وشار بهذا المنزل الى مقام الركون الى الجهل
 والانقياد للهوى.

واصل هار، هائر اى: منهدم واراد انّ البانى لأمره على جهالته فى معرض ان لا يتم
 عمله لكونه على غير اصل. والردي: الهلاك، واراد بنقله: من موضع الى آخر انّ المشير
 بالرأى عن جهل منه يشير على واحد بما يستلزم اذاه و هلاكه، ثم ينقل ذلك الرأى
 المهلك الى غيره، فيكون كناقيل الهلاك من واحد الى آخر لرأى يحدثه بعد رأى. وقوله:
 يريد، الى قوله: يتقارب، اى: يريد مثلا الصلح بين الناس كما كان يشير به بعض
 اصحابه ممن لا يرى الحرب بيئة وبين معاوية مع مخالفة ذلك الصلح للحق، وكون الرأى
 به يستلزم تفرق الكلمة فلا يلتصق بالحق ولا يليق به، ويقرب بذلك الرأى مالا يتقارب
 من القلوب والطباع، ومن لا يشكى شجوههم اى: حزنهم كالمنافقين فلا يشير بما ينبغى.
 واستعار لفظ تصويح النبت وهو: تنبيه لموته عليه السلام. ونبه على انهم سيشغلون
 عن العلم، وما يستفاد منه اى: بالحوادث والفتن بعده. واكثر الفصل ظاهرا، وباللّه
 التوفيق.

١٠٣ - وَمِنْ حُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَعَ الْإِسْلَامَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ، وَأَعَزَّ أَرْكَانَهُ عَلَى مَنْ غَابَهُ
 فَجَعَلَهُ أَمْنًا لِمَنْ عَلِقَهُ، وَسَلَّمًا لِمَنْ دَخَلَهُ، وَبُرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَشَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ،
 وَنُورًا لِمَنْ اسْتَضَاءَ بِهِ، وَفَهْمًا لِمَنْ عَقَلَ، وَلُبًّا لِمَنْ تَدَبَّرَ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ، وَبَصِيرَةً لِمَنْ

عَزَمَ، وَ عِبْرَةً لِمَنْ اتَّعَظَ، وَ نَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ، وَ ثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ، وَ رَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ، وَ جَنَّةً لِمَنْ صَبَرَ، فَهُوَ أَبْلَجُ الْمَنَاهِجِ، وَ أَوْضَعُ الْوَلَايِحِ، مُشْرِفُ الْمَنَارِ مُشْرِقُ الْجَوَادِّ، مُضِيءُ الْمَصَابِيحِ، كَرِيمُ الْمِضْمَارِ، رَفِيعُ الْغَايَةِ، جَامِعُ الْحَلَبَةِ، مُتَنَافِسُ السُّبُقَةِ، شَرِيفُ الْفُرْمَانِ: التَّصْدِيقُ مِثْهَاجُهُ، وَ الصَّالِحَاتُ مَنَارُهُ، وَ الْمَوْتُ غَايَتُهُ، وَ الدُّنْيَا مِضْمَارُهُ وَ الْقِيَامَةُ حَلَبَتُهُ، وَ الْجَنَّةُ سُبُقَتُهُ.

اقول: تسهيله لشرائع الاسلام جعلها واضحة للذكي والغبي، واعزاز اركانها: حمايتها فمن قصد هدمها، واستعار لفظ الأمن له: باعتبار سلامة داخله من عذاب الله. و لفظ السلم: باعتبار عدم اذاه. لمن دخله فهو كالمسالمة له. و لفظ النور: باعتبار هدايته. و فهما اى: مفهومهما او اطلاق عليه لفظ الفهم مجازا اطلاقا لاسم المسبب على السبب، اذ هو سبب فهم من فهم عنه و عقل مقاصده و كذلك لفظ اللب و هو: العقل، اذ كان تدبره سبباً لمراتب العقل. والآية: العلامة. والتوسم: التفرس اى: من تفرس الخير فى الاسلام كان علامة له عليه، و من عزم على امر كان فى الاسلام تبصرة و هداية الى كيفية فعله، و عبرة لمن اتعظ اى: فيه معبر لذهن الخائف من الله اليه، و فيه الثقة بالله للمتوكلين عليه لقوله تعالى: (وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) ^١ و القرآن اصل الدين و الاسلام، و فيه الندب اى: تفويض الامور الى الله، و علم ما لم يعلم منها، و ترك التكليف بذلك و هو راحة و جنة لمن صبر اى: على العمل الصالح. و مناهج الاسلام: طرقه من الكتاب و السنة. و الأبلج: الواضح المشرق. و الولائج: البواطن. و الاسرار و هى واضحة لمن تدبرها، و جواده: طرقه. و استعار لفظ المنار و هى الاعلام و المصابيح: لأئمة الدين. و كنى باشرافها: عن علو قدرهم. و استعار لفظ المضمار: للدين باعتبار انّ النفوس تضمرفيه للسباق الى حضرة الله و ظاهر به كرم ذلك المضمار و شرفه، و غايته الوصول الى حضرة الربوبية. و ارفع منها: مرتبة. و استعار لفظ الحلبة للقيامة. و السبقة للجنة و متنافس السبقة اى سبقتة مما تنافس فيها و فرسانه المؤمنون و الصديقون. و قوله: التصديق منهاجه، الى آخره: تفسير للامور السابقة و اراد التصديق بالله و بما جاء به الاسلام و اشتمل عليه. و بالله التوفيق.

منها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

حَتَّى أُوْرَى قَبَسًا لِقَابِسٍ، وَأَنَارَ عَلَمًا لِحَابِسٍ، فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ
الدِّينِ، وَبَعِيثُكَ نِعْمَةً، وَرَسُولُكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةً. اللَّهُمَّ أَقْسِمُ لَكَ مَقْسَمًا مِنْ عَدْلِكَ، وَأَجْزِيَهُ
مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ. اللَّهُمَّ أَعْلِلْ عَلَيَّ بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ، وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ نَزْلَهُ،
وَشَرَّفْ عِنْدَكَ مَنَزَلَتَهُ، وَآتِهِ الْوَسِيلَةَ وَأَعْطِهِ السَّنَاءَ وَالْفَضِيلَةَ، وَأَخْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ غَيْرَ خَزَائِنَا،
وَلَا نَادِمِينَ، وَلَا نَاكِيبِينَ، وَلَا نَاكِيبِينَ، وَلَا ضَالِّينَ، وَلَا مُضِلِّينَ، وَلَا مَفْتُونِينَ.

اقول: الفصل غاية من كلام مدح فيه الرسول صلى الله عليه وآله بجهاده، واجتهاده
في اقامة الدين. واورى: اشعل، واستعار لفظ القبس وهو الشعلة: لأنوار الدين التي
تقتبسها قلوب المؤمنين. والحابس: الواقف بالمكان. واستعار لفظ العلم: لدليل الهدى.
وانارته له ايضاحه ادلة الهدى للواقفين في حيرة الضلال والجهل. ويحتمل ان يريد
بالعلم: ائمة الدين، وانارته: تنوير قلوبهم بأشراق نفسه القدسية بالعلوم، والكمالات على
مرايا نفوسهم. والمقسم: النصيب ومقتضى عدله تعالى ان يقسم لاشراف النفوس اشرف
الكمالات و اعلى المراتب من حضرته. وبنائه ما شيدته من قواعد الاسلام، واركانه و
هودعاء بظهوره على سائر الاديان. والوسيلة: الاستعداد التام لكمال اعلى المراتب^١ و
قيل: هي درجة عالية من درجات الجنة والسناء: الرفعة. والناكب: المنحرف عن الطريق.
وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم إلا اننا كررناه هاهنا لما في الروايتين من الاختلاف.

ومنها في خطاب أصحابه:

وَقَدْ بَلَغْتُمْ مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ لَكُمْ مَنَزَلَةً تُكْرَمُ بِهَا إِمَاؤُكُمْ، وَيُوصَلُ بِهَا جِيرَانُكُمْ
وَيُعْظَمُكُمْ مَنْ لَأَفْضَلَ لَكُمْ عَلَيْهِ، وَلَا يَدْلُكُمْ عِنْدَهُ، وَيَهَابُكُمْ مَنْ لَا يَخَافُ لَكُمْ سَطْوَةً، وَلَا
لَكُمْ عَلَيَّ إِمْرَةً، وَقَدْ تَرَوْنَ عُهُودَ اللَّهِ مَنقُوضَةً فَلَا تَغْضَبُونَ وَأَنْتُمْ لِنَقْضِ ذِمِّ آبَائِكُمْ تَأْنِفُونَ،
وَكَانَتْ أُمُورُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ تَرْدًا، وَعَنْكُمْ تَصُدُّرٌ، وَالْيَكْمُ تَرْجِعُ، فَمَكَّنْتُمُ الظُّلْمَةَ مِنْ مَنَزَلَتِكُمْ،

١ - هذه الكلمة غير موجودة في ش.

وَأَلْقَيْتُمُ إِلَيْهِمْ أَرْمَتَكُمْ وَأَسْلَمْتُمْ أُمُورَ اللَّهِ فِي أَيْدِيهِمْ، يَغْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ، وَيَسِيرُونَ فِي الشُّهَاتِ وَأَيْمُ اللَّهِ لَوْ فَرَّقُوكُمْ تَحْتَ كُلِّ كَوْكَبٍ لَجَمَعَكُمْ اللَّهُ لِشَرِّ يَوْمٍ لَهُمْ.

اقول : كرامة الله لهم بالاسلام. وقوله: وكانت امور الله، الى قوله نرجع، اى: انكم كنتم اهل الاسلام والحل والعقد فيه لانهم المهاجرون والانصار، والظلمة والبغاة، وامور الله التى اسلمت فى ايديهم احوال العباد والبلاد وتسليمهم ذلك بترك جهادهم. وقوله: وايم الله، الى آخره: وعيد لهم بدولة بنى امية، ويحتمل ان يكون وعد البقية اصحابه، وذريتهم بالظهور على بنى امية عند انتهاء دولتهم. وبالله التوفيق.

١٠٤ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فى بعض ايام صفين

وَقَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ، وَانْحِيَا زُكْمَ عَنْ صُفُوفِكُمْ، تَحُوزُكُمْ الْجَفَاءُ الطَّغَامُ وَأَعْرَابُ أَهْلِ الشَّامِ، وَأَنْتُمْ لَهَامِيمُ الْعَرَبِ، وَيَأْفِيخُ الشَّرْفِ، وَأَنْفُ الْمُقَدِّمِ وَالسَّنَامُ الْأَعْظَمُ، وَلَقَدْ شَفَى، وَحَاوَحَ صَدْرِي، أَنْ رَأَيْتُكُمْ بِأَخْرَةِ تَحُوزُونَهُمْ كَمَا حَارُوكُمْ، وَتُرِيْلُونَهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ كَمَا أَزَالُوكُمْ؛ حَسًّا بِالنِّضَالِ وَشَجْرًا بِالرَّمَاحِ، تَرْكَبُ أَوْلَاهُمْ الْخِرَاهُمْ كَالْإِبِلِ الْهَيْمِ الْمَطْرُودَةِ، تُرْمَى عَنْ حِيَاضِهَا، وَتَدَادُ عَنْ مَوَارِدِهَا.

أقول : الطغام: اراذل الناس. واللهاميم جمع لهموم وهو: الجواد من الناس، و استعار لهم لفظ اليافيخ، واليافوخ اعلى الدماغ: اذ كانوا سادات العرب. و لفظ الأنف والسنام، والوحاوح. جمع وحوحة وهى: صوت فيه بحح، يصدر عن المتألم كنى بها: عما كان يجده من التألم بسبب تعاجر اصحابه عن عدوهم. والحس: القطع. والاستئصال والنضال: السيوف. والشجر: الطعن. والهيم: الابل العطشى. وتداد: تساق، وتطرد.

١٠٥ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وهي من خطب الملاحم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُتَجَلَّى لِخَلْقِهِ بِخَلْقِهِ، وَالظَّاهِرِ لِقُلُوبِهِمْ بِحُجَّتِهِ، خَلَقَ الْخَلْقَ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ؛ إِذْ كَانَتْ الرَّوِيَّاتُ لَا تَلِيقُ إِلَّا بِذَوِي الضَّمَانِ. وَكَيْسَ بِذِي ضَمِيرٍ فِي نَفْسِهِ خَرَقَ عِلْمُهُ بَاطِنَ غَيْبِ السُّرَاتِ، وَأَحَاطَ بِغُمُوضِ عَقَائِدِ السَّرِيرَاتِ.

اقول : تجليه لخلقه بخلقه يعود الى ظهوره فى بدائع مصنوعاته لقلوب عباده. و
حجته: آثار قدرته. و غيب السرات: ما غاب من الامور المحجوبة عن علوم الخلق.

منها فى ذكر النبى صلى الله عليه وآله وسلم:

أَخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ الْأَنْبِيَاءِ، وَمَشْكَاةِ الضِّيَاءِ، وَذَوَابَةِ الْعَلْيَاءِ، وَسُرَّةِ الْبَطْحَاءِ، وَمَصَابِيحِ الظُّلْمَةِ، وَيَتَابِعِ الْحِكْمَةِ.

مركز ترقية وتطوير علوم راسدى

اقول: استعار لفظ الشجرة لصف الانبياء اولآل ابراهيم عليه السلام، باعتبار فروعها وهى الانبياء، وثمرها وهى العلوم ومكارم الاخلاق. و لفظ المشكاة: باعتبار سطوع ضياء النبوة عنهم. و لفظ الذؤابة وهى ماتدلى من الشعر ونحوه: باعتبار هبوط هذا الصنف وتدليهم من مقاوم العز والشرف وهى حضائر القدس. و بطحاء: مكة بسيط واديها. و سرّة: الوادى اشرف موضع فيه. و استعار لفظ المصابيح: للانبياء لهداية الخلق بهم. و لفظ الينابيع: لتفجر العلوم والحكمة عنهم.

ومنها:

طَيِّبٌ دَوَارٌ بِطَبِّهِ: قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ، وَأَحْمَى مَوَاسِمَهُ يَضَعُ مِنْ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ: مِنْ قُلُوبِ عُمِّي، وَأَذَانِ صُمِّ، وَالسِّنَةِ بِكُمْ مُتَّبِعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ، وَمَوَاطِنَ الْحَيْرَةِ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِأَضْوَاءِ الْحِكْمَةِ وَلَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ الْعُلُومِ الثَّاقِبَةِ، فَهُمْ فِي ذَلِكَ كَمَا لِانْعَامِ

السَّائِمَةِ، وَالصُّخُورِ الْقَاسِيَةِ، قَدِ انْجَابَتِ السَّرَائِرُ لِأَهْلِ الْبَصَائِرِ، وَوَضَحَتْ مَحَجَّةُ الْحَقِّ لِخَابِطِهَا وَأَسْفَرَتِ السَّاعَةُ عَنْ وَجْهِهَا، وَظَهَرَتِ الْعَلَامَةُ لِمُتَوَسِّمِهَا. مَا لِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحًا بِلَا أَرْوَاحٍ؟ وَأَرْوَاحًا بِلَا أَشْبَاحٍ، وَنَسَاكًا بِلَا صَلَاحٍ، وَتُجَارًا بِلَا أَرْبَاحٍ، وَأَيْقَاطًا نَوْمًا، وَشُهُودًا غُيْبًا، وَنَاطِرَةً عَمِيَاءَ، وَسَامِعَةً صَمَاءَ، وَنَاطِقَةً بِكَمَاءَ؟ رَأَيْتُمْ ضَلَالَةَ، قَدِ قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا، وَتَفَرَّقَتْ بِشُعْبِهَا، تَكِيلُكُمْ بِصَاعِيهَا وَتَخْبِطُكُمْ بِبَاعِيهَا، قَائِدُهَا خَارِجٌ عَنِ الْمَلَّةِ، قَائِمٌ عَلَى الضَّلَّةِ، فَلَا يَبْقَى يَوْمِيذٌ مِنْكُمْ إِلَّا تُفَالَةُ كُفَالَةِ الْقِدْرِ، أَوْ نُفَاضَةُ كُفَاضَةِ الْعِكْمِ، تَعْرِ كُكْمِ، عَرَكِ الْأَدِيمِ، وَتَدُوسُكُمْ دُوسَ الْحَصِيدِ، وَتَسْتَخْلِصُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَيْنِكُمْ أَسْتِخْلَاصَ الطَّيْرِ الْحَبَّةِ الْبَطِينَةَ، مِنْ بَيْنِ هَزِيلِ الْحَبِّ، أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمْ الْمَذَاهِبُ وَتَتِيهُ بِكُمْ الْغِيَاهِبُ، وَتَخَذُكُمْ الْكَوَادِبُ؟ وَمِنْ أَيْنَ تُوثِنُونَ وَأَنْتُمْ تُؤْفِكُونَ؟ فَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ، وَلِكُلِّ غَيْبَةٍ آيَاتٌ، فَاسْتَمِعُوا مِنْ رَبَّانِيكُمْ وَأَخْضِرُوا قُلُوبَكُمْ، وَاسْتَيْقِظُوا إِنْ هَتَفَ بِكُمْ، وَلْيَصُدِّقْ رَأْيُ أَهْلِهِ، وَلْيَجْمَعْ شَمْلَهُ، وَلْيُخْضِرْ ذِهْنَهُ؛ فَلَقَدْ فَلَقَ لَكُمْ الْأَمْرَ فُلُقَ الْخَرْزَةِ، وَقَرَفَهُ قَرَفَ الصَّنْعَةِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَخَذَ الْبَاطِلُ مَاخِذَهُ، وَرَكِبَ الْجَهْلُ مَرَاجِيئَهُ، وَعَظَمَتِ الطَّاعِيَةُ، وَقَلَّتِ الدَّاعِيَةُ، وَصَالَ الدَّهْرُ صِيَالَ السَّبْعِ الْعَقُورِ، وَهَدَرَ فَنِيْقُ الْبَاطِلِ بَعْدَ كُظُومِ، وَتَوَاحَى النَّاسُ عَلَى الْفُجُورِ وَتَهَاجَرُوا عَلَى الدِّينِ، وَتَحَابُّوا عَلَى الْكَيْدِ، وَتَبَاغَضُوا عَلَى الصِّدْقِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ الْوَلَدُ غَيْظًا وَالْمَطْرُ قَيْظًا، وَتَفِيضُ اللَّأْمِ فَيْضًا، وَتَغِيضُ الْكِرَامِ غَيْضًا، وَكَانَ أَهْلُ ذَلِكَ الزَّمَانِ ذِبَابًا، وَسَلَاطِينُهُ سِبَاعًا، وَأَوْسَاطُهُ أَكْالًا، وَفُقَرَاؤُهُ أَمْوَاتًا، وَغَارَ الصِّدْقُ، وَفَاضَ الْكَيْدُ، وَاسْتُعْمِلَتِ الْمَوَدَّةُ بِاللِّسَانِ، وَتَشَاجَرَتِ النَّاسُ بِالْقُلُوبِ، وَصَارَ الْفُسُوقُ نَسَبًا، وَالْعَقَافُ عَجَبًا، وَلَبِسَ الْإِسْلَامُ لُبْسَ الْفِرِّوِّ مَقْلُوبًا.

اقول: اراد بالطبيب نفسه فانه طيب مرضى الجهل وورذائل الاخلاق، ودورانه بطبه: تعرضه لعلاج الجهال، ونصب نفسه لذلك، واستعار لفظ المراهم لما عنده من العلم والحكمة. و لفظ المواسم وهي المكاوي: لما عنده من القوة على اصلاح من لاينفعه الموعظة، ومن يحتاج الى الجلد والقطع و سائر الحدود، فهو كالطبيب الكامل يضع كل واحد من ادويته حيث الحاجة اليه من قلوب عمى يفتحها لفهم مراد الله، ومن آذان صم: يعدها لسمع الموعظة، وتجاوز بلفظ الصمم في عدم انتفاعها بالموعظة اطلاقا لاسم السبب

على المسبب. و من السنة بكم: يطلقها بذكر الله، واستعار لها لفظ البكم: باعتبار عدم تكلمها بما ينبغي، ومواضع الغفلة والحيرة كناية: عن قلوب الجهال. واستعار لفظ الزناد: للفكرة و وصف القدح: لاكتساب العلم به. وقوله: فهم فى ذلك اى: فى عدم استضاءتهم بأضواء الحكمة. و غفلتهم فى الدنيا: كالانعام السائمة، وكالصخور القاسية فى عدم انفعالهم عن المواعظ. وانجابت: انكشفت. والسرائر: ما يكون بعده من الحوادث. و ذوالبصائر: نفسه عليه السلام، و اهل بيته، و يحتمل ان يريد بالسرائر: اسرار الدين و منازل سبيل الله. و كذلك قوله: و وضحت محجة الحق لخابطها، و المحجة: الطريق القاصد. و كنى باسفار الساعة عن « بدوها بوقوع الفتن و قوتها بعلاماتها المتفرسة » وهى: الفتن. و كنى بكونهم اشباحا بلا ارواح عن: غفلتهم و عدم انتفاعهم بعقولهم فيما ينبغي من طاعة الله، و ارواحا بلا اشباح قيل: هومع ما قبله فى معرض التنقيص لهم، فان فىهم من هو كروح بلا جسد فى قلة نهضته للحرب و الجهاد، و ذلك ككثير من زهادهم، و معتزلى الحرب منهم كعبدالله بن عمر و غيره. و النساك بلا صلاح، كناية: عن زهد منهم عن جهل اوريا. و تجارا بلا ارباح لمعاملتهم لله بالاعمال المدخولة التى لا ثواب فيها. و ايقاظا نوما، اى: ايقاظ العيون نوم العقول و شهودا بأبدانهم، غيبا بعقولهم عن قبول انوار الله. و ناظرة اى: نفسا ناظرة تحسبها عمياء يعنى: بصيرتها. و كذلك سامعة صمًا: لفقدتها قبول الموعظة. و ناطقة بكماء: عما ينبغي لها من القول. و روى عميًا، و صمًا، و بكما: صفة للجميع اى: نفوسا لذلك. و قوله: راية ضلالة اى: هذه راية ضلالة و اراد ما قرب ظهوره من قيام دولة بنى ابيّة، فهو الموجود المشار اليه. و كنى بقيامها على قطبها عن: اجتماع اهلها على من تدور عليه من الرؤساء. و تفرقها بشعبها: انتشارها فى الآفاق، و استعار لها وصف الليل: باعتبار اهلاكها لهم جزافا. و وصف الخبط: ملاحظة لشبهها بالناقة النفور، و قيامها على المضلة: ووقوفها على طريق الضلال لاضلال الخلق و فتنتهم. و كنى بالثفالة: عمّن لاخير فيه من الاراذل. و العلم: العدل. و نفاضته: ما بقى فيه من اثر الزاد. و اراد انه لايبقى منهم يومئذ من يلتفت اليه ممن له شهرة، و استعار لفظ العرك: للفتن باعتبار ما ينزل بهم من بلائها.

و وصف الدوس: باعتبار اهانتها لهم، و استخلاص المؤمن لايقاع المكروه به،

والغياهب: ظلمات الجهل، والكواذب: النفوس الامارة الخادعة للانسان بالآمال الكاذبة. و اى بمعنى: متى، اى: متى تصرفون عما انتم عليه من الغفلة. والرباني، العالم علم الربوبية وعين نفسه. وقوله: وليصدق: رائد اهله مثل، واصله: لا يكذب رائداهله، و اراد: ان يبلغ كل من الحاضرين أهله وقبيلته ما سمع منه من الحكمة والموعظة ليرجعوا الى طاعته، و ينتفعوا بعلمه كما يرجع طلب الكلاء والماء الواجد له الى قومه، فيبشروهم ويصدقهم، ويحتمل ان يريد بالرائد: الفكر، وبأهله: النفس الانسانية فكأنه قال: فلتصدق افكاركم نفوسكم، اذ كان الفكر مبعوثا من قبل النفس فى طلب مرعاها، و ماحياتها من العلوم والكمالات كالرائد لأهله و صدقه لها: تصرفه على حسب العقل فيما يشير به دون مشاركة الهوى فانه اذا أرسله النفس عن مشاركة الهوى كذبها ودلاها بفرور. وقوله: وليجمع شمله، اى: ما تفرق من خواطره وهمومه فى امر الدنيا. و فلق الأمر: اوضحه. و شق ظلمة الجهل عن مصابيح اليقين. و خصّ فلق الخرزة: لأن فلقها لا يكاد يلتحم ويخفى. و قرفه قرف الصمغة: القى علمه اليهم بالكلية، يقال: تركته على مثل مفرق الصمغة: اذا لم يترك له شيئا، لأن الصمغة تقطع من شجرتها حتى لا يبقى عليها علقه.

مركز تحقيق علوم اسلامی

وقوله: فعند ذلك متصل، بقوله: من بين هزيل الحب، واخذ الباطل مأخذه: استحكامه واستقراره فى مقارته. و مراكب الجهل: حملته، واستعار له وصف الركوب: ملاحظة له بالمستعد المغير. والطاغية: الفئة الطاغية، والداعية: رعاة الدين، و روى الداعية اى: الفرقة الداعية الى الله. واستعار لفظ الفينق هو: الفحل المكرم. و وصف الهدير: لاستفحال الباطل وقوته يومئذ. و لفظ الكظوم وهو امسك البعير عن الجرة: لضعف الباطل و سكون الفتن فى زمان العدل، و كون الولد غيظا اى: سببا لغيظ والده لنشأته على غير دين و ادب ناظم له، او لحاجته الى مؤنته التى يصعب فى زمن الجور. و كون المطر قيظا كناية عن: الجذب و استعداد الزمان للشرور، او المفسدة لحال الخلق بسبب الجور اذالمطر القيظ لا ينبت ما ينتفع به من الزرع، و مقتضى قسمته عليه السلام الناس اربعة اقسام: سلاطين، و اكابر، و اوساط، و فقراء. و استعار لفظ السباع: للسلاطين. و لفظ الذئاب: للاكابر باعتبار تسلطهم على من دونهم من اهل الحرفة

والمتجر. واكالا: جمع آكلة و لفظ الأموات: للفقراء باعتبار انقطاع مادة الحياة عنهم و استيلاء الظلمة عليهم. وتشبيه لبس الاسلام بلبس الفرو كناية عن: النفاق و استعمال الاسلام فى الظاهر دون الباطن، بخلاف مراد عناية الله به كلبس الفرو، وباللله التوفيق.

١٠٦ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

كُلُّ شَيْءٍ خَاضِعٌ لَهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ: غِنَى كُلِّ فَقِيرٍ، وَعِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ، وَقُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ، وَمَفْزَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ، وَمَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ، وَمَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ، وَمَنْ عَاشَرَ فَعَلِيهِ رِزْقُهُ، وَمَنْ مَاتَ فَالِيهِ مُنْقَلَبُهُ، لَمْ تَرَكَ الْعَيُونَ فَتُخْبِرْ عَنْكَ، بَلْ كُنْتَ قَبْلَ الْوَاصِفِينَ مِنْ خَلْقِكَ، لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لِيَوْحِشِيهِ، وَلَا اسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعَةٍ، وَلَا يَسْبِقُكَ مَنْ ظَلَبْتِ، وَلَا يُفْلِتُكَ مَنْ أَخَذْتَ، وَلَا يَنْقُصُ سُلْطَانِكَ مَنْ عَصَاكَ، وَلَا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ مَنْ أَطَاعَكَ، وَلَا يَرُدُّ أَمْرَكَ مَنْ سَخِطَ قَضَاءَكَ، وَلَا يَسْتَعْنِي عَنْكَ مَنْ تَوَلَّى عَنْ أَمْرِكَ، كُلُّ سِرِّ عِنْدَكَ عَلَانِيَةٌ، وَكُلُّ غَيْبٍ عِنْدَكَ شَهَادَةٌ، أَنْتَ الْأَبَدُ لَا أَمَدَ لَكَ، وَأَنْتَ الْمُسْتَهْيَى لَا مَحِيصَ عَنْكَ، وَأَنْتَ الْمَوْعِدُ لَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، بِيَدِكَ نَاصِيَةُ كُلِّ دَابَّةٍ، وَإِلَيْكَ مَصِيرُ كُلِّ نَسَمَةٍ، سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ مَا نَرَى مِنْ خَلْقِكَ، وَمَا أَصْغَرَ عِظَمَهُ فِي جَنْبِ قُدْرَتِكَ، وَمَا أَهْوَلَ مَا نَرَى مِنْ مَلَكُوتِكَ، وَمَا أَحْقَرَ ذَلِكَ فِيمَا غَابَ عَنَّا مِنْ سُلْطَانِكَ، وَمَا أَسْبَغَ نِعَمَكَ فِي الدُّنْيَا، وَمَا أَصْغَرَهَا فِي نَعِيمِ الْآخِرَةِ.

أقول: خشوع الاشياء له دخولها فيما يتوهم من ذلة الحاجة اليه، وقيامها به فى الوجود قيام المعلول بعلة. والملهوف: المظلوم يستغيث. و سمعه تعالى: يعود الى علمه بالمسموعات. وقوله: فيخبر عنك اى: ارباب العيون اى: لم تترك ارباب العيون بعيونها، فحذف المضاف وقدمت تنزيهه تعالى عن الوحشة والمنفعة. وقوله: انت الابد لا امد لك، اى: الدائم فلا غاية لك. وقيل: ذو الابد اى: ذو الدوام. والمحيص: المعدل، و باقى الفصل ظاهر.

مِن مَلَائِكَةِ أَسْكَنْتَهُمْ سَمَوَاتِكَ ، وَرَفَعْتَهُمْ عَن أَرْضِكَ ، هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ ، وَأَخَوْفُهُمْ لَكَ ، وَأَقْرَبُهُمْ مِنْكَ ، لَمْ يَسْكُنُوا الْأَصْلَابَ ، وَلَمْ يُصَمَّنُوا الْأَرْحَامَ ، وَلَمْ يُخْلَقُوا مِنْ مَاءٍ مَّهِينٍ ، وَلَمْ يَشْعَبَهُمْ رَبُّ الْمَنُونِ ، وَإِنَّهُمْ - عَلَى مَكَانِهِمْ مِنْكَ ، وَمَثَلَتِهِمْ عِنْدَكَ ، وَاسْتِجْمَاعِ أَهْوَائِهِمْ فِيكَ ، وَكَثْرَةِ طَاعَتِهِمْ لَكَ ، وَقِلَّةِ غَفْلَتِهِمْ عَن أَمْرِكَ - لَوْ عَايَنُوا كُنْهَ مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ لَحَقَرُوا أَعْمَالَهُمْ ، وَلَزَرُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَلَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ ، وَلَمْ يُطِيعُوكَ حَقَّ طَاعَتِكَ .

سُبْحَانَكَ خَالِقًا وَمَعْبُودًا: بِحُسْنِ بِلَائِكَ عِنْدَ خَلْقِكَ ، خَلَقْتَ دَارًا ، وَجَعَلْتَ فِيهَا مَأْدَبَةً: مَشْرَبًا ، وَمَطْعَمًا ، وَأَزْوَاجًا ، وَخَدَمًا ، وَقُصُورًا ، وَأَنْهَارًا ، وَزُرُوعًا ، وَثِمَارًا ، ثُمَّ أَرْسَلْتَ دَاعِيًا يَدْعُو إِلَيْهَا ، فَلَا الدَّاعِيَ أَجَابُوا ، وَلَا فِيمَا رَغِبْتَ إِلَيْهِ رَغِبُوا ، وَلَا إِلَى مَا شِئْتَ إِلَيْهِ اشْتَأَفُوا أَقْبَلُوا عَلَى حَيْفَةٍ أَفْتَضَحُوا بِأَكْلِهَا ، وَأَضْطَلَحُوا عَلَى حُبِّهَا ، وَمَنْ عَشِقَ شَيْئًا أَغَشَى بَصْرَهُ ، وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ ، فَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ صَاحِحَةٍ ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ ، قَدْ خَرَقَتْ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ ، وَأَمَاتَتِ الدُّنْيَا قَلْبَهُ ، وَوَلَّهَتْ عَلَيْهِ نَفْسَهُ فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا ، وَلَمْ يَفِ بِيَدِهِ شَيْءٌ مِنْهَا: حَيْثُمَا زَالَتْ زَالَ إِلَيْهَا ، وَحَيْثُمَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَتْ عَلَيْهَا ، وَلَا يَزْدَجِرُ مِنَ اللَّهِ بِزَاجِرٍ ، وَلَا يَتَعَبَّطُ مِنْهُ بِوَاعِظٍ ؛ وَهُوَ يَرَى الْمَأْخُودِينَ عَلَى الْغِرَّةِ - حَيْثُ لَا إِقَالَةَ وَلَا رَجْعَةَ - كَيْفَ نَزَلَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَجْهَلُونَ ، وَجَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا مَا كَانُوا يَأْمَنُونَ ، وَقَدِمُوا مِنَ الْآخِرَةِ عَلَى مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ، فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِمْ ، اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ وَحَسْرَةُ الْفَوْتِ ، فَفَتَّرَتْ لَهَا أَظْرَافُهُمْ ، وَتَغَيَّرَتْ لَهَا أَلْوَانُهُمْ ، ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ فِيهِمْ وَوُجُجًا ، فَحِيلَ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وَبَيْنَ مَنْطِقِهِ ، وَإِنَّهُ لَيَبِينُ أَهْلِيهِ يَنْظُرُ بِبَصَرِهِ ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنِهِ - عَلَى صِحَّةٍ مِنْ عَقْلِهِ ، وَبَقَاءٍ مِنْ لُبِّهِ - يُفَكِّرُ فِيهِمْ أَفْنَى عُمْرِهِ ، وَفِيمَ أَذْهَبَ دَهْرُهُ ، وَيَتَذَكَّرُ أَمْوَالًا جَمَعَهَا: أَغْمَصَ فِي مَطَالِبِهَا ، وَأَخَذَهَا مِنْ مُصْرَحَاتِهَا وَمُسْتَبْهَاتِهَا ، قَدْ لَزِمَتْهُ تَبَعَاتُ جَمْعِهَا ، وَأَشْرَفَ عَلَى فِرَاقِهَا: تَبَقَّى لِمَنْ وَرَاءَهُ يَنْعَمُونَ فِيهَا ، وَيَتَمَتَّعُونَ بِهَا ، فَيَكُونُ الْمَهْنَأُ لِغَيْرِهِ ، وَالْعَيْبُ عَلَى ظَهْرِهِ . وَالْمَرْءُ قَدْ غَلِقَتْ رُهُونُهُ بِهَا ، فَهُوَ يَعْضُ يَدَهُ ، نَدَامَةً عَلَى مَا أَصْحَرَلَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ أَمْرِهِ ، وَيَرْهَدُ فِيمَا كَانَ يَرْغَبُ فِيهِ أَيَّامَ عُمْرِهِ ، وَيَتَمَنَّى أَنَّ الَّذِي كَانَ يَغْبِطُهُ بِهَا وَيَحْسُدُهُ عَلَيْهَا قَدْ حَارَها دُونَهُ! فَلَمْ يَزَلِ الْمَوْتُ يُبَالِغُ فِي جَسَدِهِ حَتَّى خَالَطَ لِسَانَهُ سَمْعُهُ ، فَصَارَ بَيْنَ أَهْلِيهِ لَا يَنْطِقُ

بِلِسَانِهِ، وَلَا يَسْمَعُ بِسَمْعِهِ: يُرَدِّدُ طَرْفَهُ بِالنَّظْرِ فِي وُجُوهِهِمْ يَرَى حَرَكَاتِ أَسْتِيهِمْ. وَلَا يَسْمَعُ رَجَعَ كَلَامِهِمْ. ثُمَّ أَرَادَ الْمَوْتَ الْنِيَّاطَ بِهِ فَمُبْضٌ بَصْرُهُ كَمَا قُبِضَ سَمْعُهُ. وَخَرَجَتِ الرُّوحُ مِنْ جَسَدِهِ فَصَارَ حَيْفَةً بَيْنَ أَهْلِيهِ: قَدْ أَوْحَشُوا مِنْ جَانِبِهِ، وَتَبَاعَدُوا مِنْ قُرْبِهِ، لَا يَسْعُدُونَ بِكَ. وَلَا يُجِيبُ دَاعِيًا. ثُمَّ حَمَلُوهُ إِلَى مَحَطِّ فِي الْأَرْضِ. وَأَسْلَمُوهُ فِيهِ إِلَى عَسَلِيٍّ، وَأَنْتَفَعُوا عَنْ زَوْرِيَّتِهِ.

حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ، وَالْأَمْرُ مَتَّادِيرُهُ، وَالْحَقُّ آخِرُ الْمَخْلُوقِ بِأَوَّلِهِ، وَجَاءَ مِنْ تَمْرِ اللَّهِ مَا يُرِيدُهُ: مِنْ تَجْدِيدِ خَلْقِهِ؛ أَمَّا السَّمَاءُ وَفَطْرَهَا، وَأَرْجَ الْأَرْضِ وَأَرْحَنَهَا. وَقَلَعَ جِبَالَهَا وَنَسَفَهَا، وَذَكَ بَعْضَهَا بَعْضًا مِنْ هَيْبَةِ جَلَالَتِهِ، وَمَخُوفِ سَطْوَتِهِ، وَأَخْرَجَ مِنْ فِيهَا فَجَدَدَهُمْ عَلَى أَخْلَاقِهِمْ، وَجَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفَرُّقِهِمْ، ثُمَّ مَيَّزَهُمْ لِمَا يُرِيدُ مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ عَنْ خَطَايَا الْأَعْمَالِ، وَخَبَايَا الْأَفْعَالِ؛ وَجَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ: أَنْعَمَ عَلَى هَوْلَاءِ، وَأَنْتَقَمَ مِنْ هَوْلَاءِ: فَأَمَّا أَهْلُ طَاعَتِهِ فَأَثَابَهُمْ بِجَوَارِهِ وَخَلَدَهُمْ فِي دَارِهِ، حَيْثُ لَا يَطْعَرُ النَّزَالُ، وَلَا يَتَغَيَّرُ لَهُمُ الْحَالُ، وَلَا تُؤْبَهُهُمُ الْأَفْرَاعُ، وَلَا تَنَالُهُمُ الْأَسْتِمَامُ، وَلَا تُعْرَضُ لَهُمُ الْأَخْطَارُ، وَلَا تُشْخِصُهُمُ الْأَسْفَارُ؛ وَأَمَّا أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ، فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ، وَعَلَّ الْأَيْدِيَّ إِلَى الْأَعْتَاقِ وَقَرَنَ النَّوَاصِيَ بِالْأَقْدَامِ، وَالْبَسَّهُمْ سَرَابِيلَ الْقَطِرَانِ، وَمُقَطَّعَاتِ النَّبْرَانِ فِي عَذَابٍ قَدِ اشْتَدَّ حَرُّهُ، وَبَابٍ قَدْ أَطْبِقَ عَلَى أَهْلِيهِ فِي نَارِهَا كَلْبٌ وَلَجِبٌ وَلَهَبٌ سَاطِعٌ، وَفَيْصِفٌ هَائِلٌ، لَا يَطْعَرُ مُقِيمُهَا، وَلَا يُفَادَى أَسِيرُهَا، وَلَا تُفْصَمُ كُبُولُهَا، لَا مُدَّةَ لِلدَّارِ فَتْنَتِي، وَلَا أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيُقْضَى.

اقول : انما كانت الملائكة أعلم خلق الله به، لبراءة علومهم من منازعة النفس الامارة، ولقربهم من ابداع قدرته و كونهم اخوف لكونهم اعلم به. و ريب المنون: حادث الموت. و قوله: و انهم، الى قوله: طاعتك : اشارة الى تنزيهه تعالى عن اطلاع الملائكة على كنه معرفته، لان ذلك غير ممكن لأحد سواه كما مر بيانه. و الباء في قوله بحسن بلائك قيل: انها يتعلق بسبحانك اى: انزهك بهذا الاعتبار. و خالقاً و معبوداً: حالان و يحتمل ان يتعلق بمعبود، و يحتمل ان يتعلق بخلقت. و استعار لفظ الدار للاسلام: باعتبار جمعه لأهله. و لفظ المأدبة و هى الطعام: يدعى اليه للجنة باعتبار جمعها للمشتهيات. و الداعى هو: الرسول صلى الله عليه و آله. و قد جمعها الخبر: ان الله جعل الاسلام داراً

والجنة مأدبة والداعي اليها محمدا. واستعار لفظ الجيفة: للدنيا لاستقذار نفوس الاولياء لها. و وصف الافتضاح بأكلها: للاستهتار بافتنائها والخروج به عن شعار الصالحين و طاعة الله. و وصف العشاء لما يعرض لأبصار بصائر اهلها من اغفلية الجهل فيفسد نظرها فلا يبصر ما ينتفع به ولا تسمع ما يتعظ به. و وصف التخريق لتفريق افكاره فى تحصيل المشبهات. و وصف الاماتة: لاجراج قلبه عن الانتفاع به فى امر الآخرة فهو كالميت عنها. و ولهت عليها نفسه اى: حيرته محبة لها. و قوله: فغير موصوف ما نزل بهم اى: لشدة. و اغمض فى مطالبها تساهل فى وجوه اخذها، و لم يضبط دينه فيها. و مصرحاتها: ما وضع منها. والمهنأ: المصدر من هنأهنأ. والعبأ: الثقل. و استعار و وصف غلق الرهون: ملاحظة لعدم انفكك نفسه من تبعاتها المشبه لغلق الرهن بما عليه من مال. و اصحر ظهر وانكشف. و رجع القول جوابه و ترديده. و الالتياط: الالتصاق. و المخط: كناية عن اللحد لانه يخط ثم يحفر، و روى بالحاء المهملة. و محط القوم: منزلهم. و بلوغ الكتاب أجله: انقضاء المدة المضروبة لبقاء الخلق فى الدنيا أوفى البرزخ. و المقطعات: ثياب من نار. و الكلب: الشدة. و اللجب: غلبة الاصوات. و القصيف الصوت الشديد. و الكبول: جمع كبل، وهو القيد الضخم. و صفة القيامة و احوالها و غايتها فى غاية الوضوح، و بالله التوفيق.

و منها فى ذكر النبى صلى الله عليه وآله وسلم:

قَدْ حَقَّرَ الدُّنْيَا وَصَغَّرَهَا، وَأَهْوَنَهَا وَهَوَّنَهَا، وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ زَوَّاهَا عَنْهُ أَحْتِيَارًا، وَبَسَطَهَا لِغَيْرِهِ أَحْتِقَارًا، فَأَعْرَضَ عَنْهَا بِقَلْبِهِ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ، لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشًا، أَوْ يَرْجُو فِيهَا مَقَامًا، بَلَّغَ عَنْ رَبِّهِ مُعْذِرًا، وَنَصَحَ لِأُمَّتِهِ مُنْذِرًا، وَدَعَا إِلَى الْجَنَّةِ مُبَشِّرًا. نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ، وَمَحَطُّ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ، وَمَعَادِنُ الْعِلْمِ، وَيَتَابِعُ الْحِكْمِ، نَاصِرُنَا وَمُجِيبُنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ، وَعَدُونَا وَمُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السُّطُوَّةَ.

أقول: روى: حقر الدنيا مخففاً ومشدداً، اى: زهد فيها او زهد غيره فيها، و كذلك:

اهوانه بها، وتهويته لها. والرياش: اللباس والزينة. والمعذر: الذى ابلى فى العذر فلا يلام بعده. واستعار لفظ الشجرة: لبني هاشم، وكذلك لفظ المعادن والينابيع والسطوة المنتظرة لعدوهم، من الله تعالى. والفصل واضح.

١٠٧ - وَمِنْ حُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللَّهِ، سُبْحَانَهُ، الْإِيمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ فَإِنَّهُ ذِرْوَةٌ الْإِسْلَامِ، وَكَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا الْمِلَّةُ، وَإِتَاءُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ، وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ الْعِقَابِ، وَحُجُّ الْبَيْتِ وَاعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُمَا يَتَفَيَّانِ الْفَقْرَ وَيَرْحَضَانِ الدَّنْبَ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ فَإِنَّهَا مَثْرَاءٌ فِي الْمَالِ، وَمَنْسَأَةٌ فِي الْأَجْلِ وَصَدَقَةُ السَّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ، وَصَدَقَةُ الْعَلَانِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مَيْتَةَ السُّوءِ، وَصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ الْهَوَانِ.

أَفِيضُوا فِي ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الذِّكْرِ، وَارْتَبُوا فِيهَا وَعَدَّ الْمُتَّقِينَ فَإِنَّهُ أَصْدَقُ الْوَعْدِ، وَأَقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الْهَدْيِ، وَاسْتَشْنُوا بِسُنَّتِهِ فَإِنَّهُ أَهْدَى السُّنَنِ، وَتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ، وَتَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ، وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ، وَأَحْسِنُوا تِلَاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ الْقَصَصِ، فَإِنَّ الْعَالِمَ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ كَالْجَاهِلِ الْحَايِرِ الَّذِي لَا يَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ، بَلِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ، وَالْحَسْرَةُ لَهُ أَلْزَمُ، وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ الْيَوْمَ.

أقول: اراد: ان افضل الوسائل الى الله، الايمان الكامل، فالايمان بالله ورسوله هو اصله، وباقي الفرائض والسنن كمالات له، ورغب في كل منهما بضمير صغراه، قوله: فانه كذا، وتقدير الكبرى في الكل، وكل ما كان كذلك فينبغي ان يفعل. واستعار لفظ الذروة: للجهال لانه اصل لقيام الدين في الوجود، فكان اشرف و اعلى من غيره من سائر العبادات. والفطرة: فطرة الله التي فطر الناس عليها من التعبدله، والاقرار بربوبيته. وجعل الصلاة هي الملة: مجازاً تشريفاً لانها اكثر اشتمالاً على مقصود الملة في جميع اجزائها، وهو: الالتفات الى الله تعالى و دوام ملاحظة عظمته.

قال الراوندى رحمه الله: أراد بكون الزكاة فريضة: كونها سهما مقتطعا من المال وجوبا، وإلا لما كان لتخصيصها بالفريضة من بين سائر الفرائض معنى. وخصص صوم رمضان باستعارة لفظ الجنة: لأنه اشد في كسر النفس الامارة وقطع وسائل الشيطان التي هي الشهوات، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله: (إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع). فكان الصوم على الخصوص اشد قمعا للشيطان من سائر العبادات فكان اقوى جنة في دفع ما يلزم بسببه من العقاب.

ورغب في الحج، والعمرة، بفضيلتين: دنيوية وهي: كونهما ينفيان الفقر، وكان ذلك بسبب التجارة الحاصلة في موسم الحج، وقيام الاسواق بمكة حينئذ. واخروية وهي: كونهما يرحضان الذنوب اى: يغسلانه. وكون صلة الرحم مثراة للمال يفهم له شيان: احدهما: ان العناية الالهية قسمت لكل حي قسطا من الرزق مد حياته فاذا اعدت شخصا من الناس للقيام بأمر جماعة و كفلته بامدادهم، وجب في العناية افاضته ارزاقهم بحسب استعداده لذلك وهو معنى كونه مثراة للمال. الثانى، ان صلة الرحم من الاخلاق الحميدة التى تستمال بها طباع الخلق وتستجلب عاطفتهم فيكون سببا لامداده ومعونته من ذوى الامداد، والمعونات: كالمملوك وغيرهم فكان مثراة. واما كونها منسأة في الأجل فلانها توجب تعاطف ذوى الارحام، ومعاضدتهم لوصلهم، فيكون عن اذى الاعداء ابعد وذلك مظنة طول عمره وتأخيره، ولانها توجب تعلق همهم ببقاءه واصلهم وامداده بالدعاء الذى قد يكون شرطاً فى بقاءه، فكانت صلتهم منسأة. والمنسأة: محل النساء وهن: التأخير.

وكون صدقة السر تكفر الخطيئة: لانها ابعد عن الرياء، واقرب الى رضى الله. وتكفيرها: سترها. وكون صدقة العلانية تدفع ميتة السوء لاستلزامها الشهرة بفعل الخيرات، والذكر الجميل، ومحبة المتصدق، وذلك يمنع غالبا من ميتات السوء كالقتل، والحريق، وكل ما يكون بقصد الغير وفعله، لكان محبته و اشتهاره بفعل الجميل. والافاضة فى ذكر الله: الاندفاع وكونه أحسن الحديث لقوله تعالى: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ) ٢ الآية. واستعار لفظ الربيع: لما فيه من فنون العلم الذى هو مسارح أبصار

٢ - سورة الزمر / ٢٣.

١ - منهاج البراعة ١/ ٤٧٣.

البصائر لرياض الربيع . وشفاء للصدر: من امراض الجهل . والحجة على العالم اعظم : لان العالمين ليس لهم ان يقولوا يوم القيامة (انا كنا عن هذا غافلين)^١ . والحسرة له الزم : لعلمه بما يفوته من الكمال بسبب التفريط ، بخلاف الجاهل لجهله بما يفوته من ذلك ، وهو عند الله اليوم : باعتبار انقطاع عذره يومئذ ، وقوته : جرأته على المخالفة عن علم^٢ .

١٠٨ - وَمَنْ خُطِبَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَمَا بَعْدُ، فَإِنِّي أَحذَرُكُمْ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا حُلُوهٌ خَصِيرَةٌ، حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ، وَرَاقَتْ بِالْقَلِيلِ، وَتَحَلَّتْ بِالْأَمَالِ، وَتَزَيَّنَتْ بِالغُرُورِ؛ لَا تَدُومُ حَبْرَتُهَا، وَلَا تُؤْمَنُ فَجَعْتُهَا، غَرَارَةً ضَرَّارَةً، حَائِلَةً زَائِلَةً، نَافِذَةٌ بَائِدَةٌ، أَكَّالَةٌ غَوَالَةٌ، لَا تَعْدُو إِذَا تَنَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَّةِ أَهْلِ الرَّغْبَةِ فِيهَا، وَالرِّضَاءِ بِهَا، أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ، وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا)^٣ لَمْ يَكُنْ أَمْرٌ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ إِلَّا أَعْقَبَتْهَا عِبْرَةٌ، وَلَمْ يَلْقَ فِي سَرَائِهَا بَطْنًا، إِلَّا مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَائِهَا ظَهْرًا، وَلَمْ تَطُلْ فِيهَا دِيمَةٌ رِجَاءٍ، إِلَّا هَتَّتْ عَلَيْهِ مُرْنَةٌ بَلَاءٍ، وَحَرَى، إِذَا أَضْبَحَتْ لَهُ مُنْتَصِرَةً، أَنْ تُمَسِيَ لَهُ مُتَنَكِّرَةً وَإِنْ جَانِبٌ مِنْهَا أَعْدُوذَبٌ، وَأَحْلَوْلَى أَمْرٌ مِنْهَا جَانِبٌ فَأَوْبَى، لَا يَتَاكُلُ أَمْرٌ مِنْ غَضَارِهَا رَغْبًا، إِلَّا أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا تَعَبًا، وَلَا يُمْسِي مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمْنٍ إِلَّا أَضْبَحَ عَلَى قَوَادِمِ خَوْفٍ، غَرَارَةٌ غُرُورٌ مَا فِيهَا فَايْتَةٌ، فَإِنْ مَنْ عَلَيْهَا لِأَخِيرٍ فِي شَيْءٍ مِنْ أَرْوَادِهَا إِلَّا التَّقْوَى، مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا أَسْتَكْرَمَ مِمَّا يُؤْمِنُهُ، وَمَنْ أَسْتَكْرَمَ مِنْهَا أَسْتَكْرَمَ مِمَّا يُؤْبِقُهُ، وَزَالَ عَمَّا قَلِيلٍ عَنْهُ، كَمَنْ مِنْ وَائِقٍ بِهَا فَجَعَلَتْهُ، وَذَى طَمَأْنِينَةٍ قَدْ صَرَعَتْهُ، وَذَى أَبْهَةٍ قَدْ جَعَلَتْهُ حَقِيرًا، وَذَى نَخْوَةٍ قَدَّرَتْهُ ذَلِيلًا؟ سُلْطَانُهَا ذَوْلٌ، وَعَيْشُهَا رَيْقٌ، وَعَذْبُهَا أَجَاجٌ، وَحُلُوهَا صَبْرٌ، وَعَدَاوُهَا سِمَامٌ، وَأَسْبَابُهَا رِمَامٌ، حَيْثُهَا بَعْرُضٌ مَوْتٌ، وَصَحِيحُهَا بَعْرُضٌ سُقْمٌ، مُلْكُهَا مَسْلُوبٌ، وَعَزِيزُهَا مَغْلُوبٌ، وَمَوْفُورُهَا مَنكُوبٌ وَجَارُهَا مَخْرُوبٌ، أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِينٍ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ أَعْمَارًا، وَأَبْقَى آثَارًا، وَأَبْعَدَ أَمَالًا،

٢ - كلمة: يومئذ الى اخرها لم تكن في ش .

١ - سورة الاعراف / ١٧٢ .

٣ - سورة الكهف / ٤٥ .

وَأَعَدَّ عَذِيبًا، وَأَكْتَفَتْ جُنُودًا: تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبُّدٍ وَآثَرُوهَا أَيَّ إِثَارٍ؛ ثُمَّ ظَعَنُوا عَنْهَا بِغَيْرِ زَادٍ مُبْلَغٍ، وَلَا ظَهَرَ قَاطِعٌ؟؟!! فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَخَتْ لَهُمْ نَفْسًا بِيَدِيَّةٍ، أَوْ أَعَانَتْهُمْ بِمَعُونَةٍ، أَوْ أَحْسَنَتْ لَهُمْ صُحْبَةً؟ بَلْ أَرْهَقَتْهُمْ بِالْفَوَاحِشِ، وَأَوْهَنْتَهُمْ بِالْقَوَارِعِ وَضَعَفَتْهُمْ بِالنَّوَائِبِ، وَعَفَّرَتْهُمْ لِلْمَتَاخِرِ، وَوَطَّئَتْهُمُ بِالْمَتَاسِمِ، وَأَعَانَتْ عَلَيْهِمْ رَبِيبَ الْمَنُونِ، فَقَدَّ رَأَيْتُمْ تَتَكَّرُهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا، وَآثَرَهَا، وَأَخْلَدَ لَهَا حَتَّى ظَعَنُوا مِنْهَا لِفِرَاقِ الْأَبَدِ، وَهَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلَّا السَّعْبَ، أَوْ أَحَلَّتْهُمْ إِلَّا الضَّنْكَ أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلَّا الظُّلْمَةَ، أَوْ أَعْقَبَتْهُمْ إِلَّا السَّدَامَةَ؟ أَمِيبِهِ تُؤَرُّونَ، أَمْ إِلَيْهَا تَطْعَمِيتُونَ، أَمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ؟؟؟ فَبَسَّتِ الدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَّهَبْهَا وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ مِنْهَا، فَاعْلَمُوا- وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ- بِأَنَّكُمْ تَارِكُوهَا، وَظَاعِنُونَ عَنْهَا وَتَأْتِعُضُوا فِيهَا بِالذِّينِ قَالُوا: (مَنْ أَشَدُّ مِتَاقُوهً) حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَانًا، وَانزَلُوا الْأَجْدَاثَ فَلَا يُدْعَوْنَ ضَيْفَانًا، وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّفِيحِ أَجْتَانٌ وَمِنَ التُّرَابِ أَكْفَانٌ، وَمِنَ الرُّقَابِ جِيرَانٌ، فَهُمْ جِيرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِيًا وَلَا يَمْتَنِعُونَ ضَيْمًا، وَلَا يُبَالُونَ مَثَدَبَةً: إِنْ جِيدُوا لَمْ يَفْرَحُوا وَإِنْ قُحِطُوا لَمْ يَفْتَنُوا: جَمِيعٌ وَهُمْ آحَادٌ وَجِيرَةٌ وَهُمْ أَبْعَادٌ مُتَدَانُونَ لَا يَتَزَا وَرُونَ وَقَرِيبُونَ لَا يَتَقَارَبُونَ، حُلَمَاءٌ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ، وَجُهَلَاءٌ قَدْ مَاتَتْ أَحْقَادُهُمْ، لَا يُخْشَى فَجْعُهُمْ وَ لَا يُرْجَى دَفْعُهُمْ؛ اسْتَبَدَّلُوا بِظَهْرِ الْأَرْضِ بَطْنًا، وَبِالسَّعَةِ ضَيْقًا وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً، وَبِالنُّورِ ظُلْمَةً، فَجَاءُوهَا كَمَا فَارَقُوهَا حُفَاةً غُرَاءً، قَدْ ظَعَنُوا عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ، وَالذَّارِ الْبَاقِيَةِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ، وَعَعْدًا عَلَيْنَا، إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ)!

أقول : مدار ٢ الفصل على ذم الدنيا، والتنفير عنها، بذكر معاصيها، وما يلزمها من غاية الموت. واستعار لها لفظ الحلوة الخضرة: باعتبار زينتها، وبهجتها، وخص متعلقى الذوق والبصراعنى: الخضرة والحلوة: لاكثرية تأدية الحاستين المذكورتين، الى النفس الالتذاذ بواسطتهما دون سائر الحواس.

ورأقت: أعجبت. والقليل: متاعها فى متاع الآخرة، ووجه زينتها بالغرور: ان ما يعد فيها زينة وخيراً من متاعها انما هو بسبب الغفلة عن عاقبة ذلك وثمرته فى الآخرة. وحبرتها: سرورها. والحائلة: الزائلة. وبائدة: هالكة. والغوالة: التى تأخذ على غرة.

وقوله: لا تعدوا، الى قوله مقتدرأ، اى: غاية ما يحصل للراغبين منها، وما بلغته امانيتهم ان يفنى وهو وجه التمثيل. و كنى بالبطن والظهر: عن اقبالها، وادبارها عن المرء. وطلته اى: بلته، واستعار لفظ الديمة: للرخاء، و لفظ المزنة: للبلاء. وهنتت: سالت و اراد: ان كل خير ناله المرء فيها فانه غالب الأحوال يستعقب شراً اكثر منه. ونبه على ذلك بالطلّ، والهتن. والمتنكرة: المتغيرة. واعدوذب و احلولى: مبالغة فى العذوبة والحلاوة. و اوبى: امراض. والغضارة: طيب العيش. وارهقه تعبأ: كلفه آياه. ونبه باستعارة لفظ الجناح: للأمن. و لفظ القوادم: للخوف و اراد: انه ما من آمن فيها الا ويستعقب خوفا اقوى منه وما يؤمنه: هو الاعمال الصالحة. وما يوبقه اى: يهلكه ففنياتها المهلكة بمحبّتها فى الآخرة. والابهة: العظمة، والنخوة: الكبر. ورنق: كدر. واستعار لفظ الاجاج والصبر والسمام لعذبتها، و حلوها، و عذابها، باعتبار ما يلزمها فى الآخرة من مرارة العقاب و سوء المذاق. واسبابها: ما يتعلّق به المرء منها. والرمام: البالية لانها فى عدم بقائها كالبالية. والموفور: ذوالوفور من المال. و المحروب: المسلوب ماله. والظهر: المركوب. وارهقتهم: غشيتهم. والفادح: الامر الشديد. والقارعة: الداهية. و وضععتهم: اذلتهم. والتعفير: الصاق الوجه بالعفر وهو التراب. والمنسم: خف البعير. وريب المنون: صروفها. و دان: اطاع. و اخلد الى كذا: لصق به ولزمه. والسغب: الجوع.

وقوله: أو نورّت لهم الآ الظلمة اى: ما نورّت لهم، ولكن اوجبت لهم الظلمة و ذلك ما يكتسبه طالبوها من الجهل و ملكات السوء و من لم يتهمها هوالمعتقد انها مطلوبة لذاتها، و ذلك من الهالكين لغفلته عن حقيقتها. وبثت الدار له، و نعم الدار لمن اتهمها فعمل فيها على وجل منها و علم بعاقبتها. و المنذبة: النوح. و جيدوا: مطروا. والقنوط: اليأس. و قوله: فجأؤها، الى آخره، اى: فكان مجيئهم اليها بالعود فيها كما فارقوها، و انفصلوا عنها بالخلق منها، و هو اشارة الى قوله تعالى: (منها خلقناكم و فيها نعيدكم) ١.

١٠٩ - وَمَنْ خُطِبَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

ذكر فيها ملك الموت

هَلْ تُحِسُّ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَنَزِلًا؟ أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَقَّى أَحَدًا؟ بَلْ كَيْفَ يَتَوَقَّى الْجَنِينُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ؟ أَيْلُجُ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا، أَمْ الرُّوحُ أَجَابَتْهُ بِأَذْنِ رَبِّهَا؟ أَمْ هُوَ سَاكِنٌ مَعَهُ فِي أَحْسَائِهَا؟ كَيْفَ يَصِفُ إِلَهُهُ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ!!؟

أقول: هذا الفصل من خطبة ذكرها في معرض تنزيه الله تعالى عن ادراك العقول البشرية. ووجه الاستدلال به: ان الانسان عاجز عن وصف مخلوق مثله، كملك الموت، وعن معرفة كيفية تصرفه في قبض النفوس الانسانية، وكل من كان كذلك كان عن صفة آله الذي هو ابعد الاشياء عنه مناسبة اعجز.

١١٠ - وَمَنْ خُطِبَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

مرآة تكوير علوم

وَأَحْذَرُكُمْ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا مَنَزِلٌ قَلْعَةٌ، وَلَيْسَتْ بِدَارِ نَجْعَةٍ، قَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا، وَغَرَّتْ بِزِينَتِهَا، هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا: فَخَلَطَ حَلَالُهَا بِحَرَامِهَا، وَخَيْرُهَا بِشَرِّهَا، وَحَيَاتُهَا بِمَوْتِهَا، وَحُلُوقُهَا بِمُرِّهَا: لَمْ يُصِفِهَا اللَّهُ تَعَالَى لِأَوْلِيَائِهِ، وَلَمْ يَضِنَّ بِهَا عَلَى أَعْدَائِهِ، خَيْرُهَا زَهِيدٌ، وَشَرُّهَا عَتِيدٌ، وَجَمْعُهَا يَنْفَدُ، وَمُلْكُهَا يُسَلَبُ وَغَامِرُهَا يَخْرُبُ، فَمَا خَيْرُ دَارٍ تُنْقَضُ نَفْصُ الْبِنَاءِ؛ وَعُمُرُ يَفْتِي فِيهَا فَتَاءَ الزَّادِ وَمُدَّةَ تَنْقِطِغِ انْقِطَاعِ السَّيْرِ؟! أَجْعَلُوا مَا أَفْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلِبِكُمْ وَأَسْأَلُوهُ مِنْ آدَاءِ حَقِّهِ مَا سَأَلَكُمْ، وَأَسْمِعُوا دَعْوَةَ الْمَوْتِ آذَانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْعَى بِكُمْ. إِنَّ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا تَبَكَّى قُلُوبُهُمْ وَإِنْ ضَحِكُوا، وَيَسْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَإِنْ فَرِحُوا، وَيَكْثُرُ مَقْتُهُمْ أَنْفُسُهُمْ وَإِنْ اغْتَبَطُوا بِمَا رَزَقُوا، قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ الْآجَالِ، وَحَضَرَكُمْ كَوَاذِبُ الْآمَالِ، فَصَارَتِ الدُّنْيَا أَمْلَكَ بِكُمْ مِنَ الْآخِرَةِ، وَالْعَاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ الْآجِلَةِ وَإِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ: مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْتُ السَّرَائِرِ، وَسُوءُ الضَّمَائِرِ: فَلَا تَوَازَرُونَ، وَلَا تَنَاصِحُونَ، وَلَا تَبَادُلُونَ، وَلَا تَوَادُّونَ!! مَا بِالْكُمْ تَفْرَحُونَ بِالْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا

تَذَرُكُمْ، وَلَا يَحْزُنُكُمْ الْكَيْسُ مِنَ الْآخِرَةِ تُحْرَمُونَهُ، وَيَقْلَقُكُمْ الْيَسِيرُ مِنَ الدُّنْيَا يَفُوتُكُمْ حَتَّى
يَتَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِكُمْ وَقَلَّةَ صَبْرِكُمْ عَمَّا زَوَى مِنْهَا عَنْكُمْ؟!!! كَانَتْهَا دَارُ مَقَامِكُمْ، وَ
كَانَتْ مَتَاعَهَا بَاقٍ عَلَيْكُمْ!! وَمَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَسْتَقْبَلَ أَخَاهُ بِمَا يَخَافُ مِنْ عَيْبِهِ إِلَّا مَخَافَةَ
أَنْ يَسْتَقْبَلَهُ بِمِثْلِهِ، قَدْ تَصَافَيْتُمْ عَلَى رَفْضِ الْآجِلِ، وَحُبِّ الْعَاجِلِ، وَصَارَ دِينَ أَحَدِكُمْ لُغْفَةً
عَلَى لِسَانِهِ صَنِيعٌ مَنْ قَدْ فَرَّغَ مِنْ عَمَلِهِ وَأَحْرَزَ رِضَا سَيِّدِهِ!

اقول: منزل قلعة، بالضم اذا لم يصلح للاستيطان، والنجعة: بالضم طلب الكلاء،
والمراد بغرورها الاوّل: افتنانها وملذاتها مجازاً، اطلاقاً لاسم المسبب على السبب.
وقوله: عرت اى: استغفلت. وهوانها على ربها: يعود الى عدم العناية بها بالذات، فلم
تكن خيراً محضاً. ومعنى خلطه حلالها بحرامها: جمعه فيها بينهما. واستعار لفظ حلوها
ومرّها: لخيرها وشرّها. والعتيد: المهيب. وقوله: من طلبتكم، اى: من جملة طلبتكم
فى الدنيا. وقوله: واسألوه، الى قوله: ما سألكم، اى: اسألوه الذى سألكم اياه من اداء
حقه بالاعانة والتوفيق له. واسمعه دعوة الموت: اذانهم اخطار نزوله بهم بالبال من
سماع ذكره. وقلة صبركم: عطفت على وجوهكم. واللعة بالضم: اسم لما يأخذه الملعة
مما يلحق، واستعاره: للاقرار بالدين باللسان، وكتى به: عن ضعفه وقلة. وصنيع:
مصدر اى: يصنعون فى ترك الدين الصنيع المذكور.

١١١ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاصِلِ الْحَمْدُ بِالنَّعْمِ، وَالسَّعَمَ بِالشُّكْرِ نَحْمَدُهُ عَلَى آيِهِ، كَمَا نَحْمَدُهُ
عَلَى بَلَايِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى هَذِهِ النُّفُوسِ الْبِطَاءِ عَمَّا أُمِرَتْ بِهِ، السَّرَّاجِ إِلَى مَا نُهِيتَ عَنْهُ، وَ
نَسْتَغْفِرُهُ مِمَّا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ وَأَخْصَاهُ كِتَابُهُ: عِلْمٌ غَيْرُ قَاصِرٍ وَكِتَابٌ غَيْرُ مُغَادِرٍ. وَنُؤْمِنُ
بِهِ إِيْمَانٌ مِنْ عَايِنِ الْغُيُوبِ، وَوَقَفَتْ عَلَى الْمَوْعُودِ: إِيْمَانًا نَفْسِي إِخْلَاصُهُ الشَّرْكَ، وَيَقِينُهُ
الشَّكَّ. وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ

١ - فى نسخة ش بزياة : عليه .

عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. شَهَادَتَيْنِ تُصْعِدَانِ الْقَوْلَ، وَتَرْفَعَانِ الْعَمَلَ: لَا يَخْفُ مِيزَانُ تَوْضَعَانِ فِيهِ،
وَلَا يَثْقُلُ مِيزَانُ تَرْفَعَانِ عَنْهُ.

أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي هِيَ الزَّادُ، وَبِهَا الْمَعَادُ، زَادٌ مُبْلَغٌ، وَمَعَادٌ مُنْجِحٌ، دَعَا إِلَيْهَا
أَسْمَعُ دَاعٍ، وَوَعَاهَا خَيْرٌ وَاعٍ، فَاسْمَعْ دَاعِيَهَا، وَفَارِزٌ وَأَعِيهَا. عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ حَمَتْ
أَوْلِيَاءَ اللَّهِ مَحَارِمَهُ، وَالزَمَتْ قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَهُ حَتَّى أَشْهَرَتْ لَيَالِيَهُمْ، وَأَضْمَاتُ هَوَاجِرِهِمْ،
فَأَخَذُوا الرَّاحَةَ بِالنَّصَبِ وَالرَّيِّ بِالظَّمَا، وَاسْتَقْرَبُوا الْأَجَلَ، فَبَادَرُوا الْعَمَلَ، وَكَذَّبُوا الْأَمَلَ،
فَلَا حَظُّوا الْأَجَلَ. ثُمَّ إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ فِتْنَةٍ وَعَنَاءٍ، وَغَيْرِ وَعِبرَةٍ: فَمِنَ الْفِتْنَةِ أَنَّ الدَّهْرَ مُوتَرٌ
قَوَسُهُ، لَا تُخْطِئُ سِيهَامُهُ، وَلَا تُؤَسِّي جِرَاحُهُ، يَرْمِي الْحَيَّ بِالمَوْتِ وَالصَّحِيحَ بِالسُّقْمِ،
وَالثَّاجِرَ بِالْعَقْبِ؛ آكِلٌ لَا يَشْبَعُ، وَشَارِبٌ لَا يَتَقَعُّ وَمِنَ الْعَنَاءِ أَنَّ الْمَرْءَ يَجْمَعُ مَا لَا يَأْكُلُ،
وَيَبْنِي مَا لَا يَسْكُنُ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى اللَّهِ لَا مَالَ حَمَلٌ، وَلَا بِنَاءَ نَقْلٌ، وَمِنَ غَيْرِهَا أَنَّكَ تَرَى
الْمَرْحُومَ مَغْبُوطًا، وَالْمَغْبُوطَ مَرْحُومًا، لَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا نَعِيمًا زَلَّ، وَبُؤْسًا نَزَلَ، وَمِنَ عِبرِهَا أَنَّ
الْمَرْءَ يُشْرِفُ عَلَى أَمَلِيهِ، فَيَقْطَعُهُ حُضُورُ أَجَلِهِ، فَلَا أَمَلَ يُدْرِكُ، وَلَا مَوْتٌ يُشْرِكُ! فَسُبْحَانَ
اللَّهِ!! مَا أَعْرَسُ رُورَهَا، وَأَظْمَأَ رَيْهَا، وَأَضْحَى فَيْهَا، لِأَجَاءِ يُرَدُّ، وَلَا مَاضٍ يَرْتَدُّ! فَسُبْحَانَ
اللَّهِ!! مَا أَقْرَبَ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ لِلْحَاقِقِ بِهِ، وَأَبْعَدَ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ لِانْقِطَاعِهِ عَنْهُ.

إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِشَرِّ مِنَ الشَّرِّ إِلَّا عِقَابُهُ، وَلَيْسَ شَيْءٌ بِخَيْرٍ مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا ثَوَابُهُ وَكُلُّ
شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا سَمَاعُهُ أَكْبَرُ مِنْ عِيَانِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْآخِرَةِ عِيَانُهُ أَكْبَرُ مِنْ سَمَاعِهِ،
فَلْيَكْفِكُمْ مِنَ الْعِيَانِ السَّمَاعُ، وَمِنَ الْغَيْبِ الْخَبْرُ، وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا نَقَصَ مِنَ الدُّنْيَا وَزَادَ فِي
الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِمَّا نَقَصَ مِنَ الْآخِرَةِ وَزَادَ فِي الدُّنْيَا؛ فَكُم مِّنْ مَنْقُوصٍ رَاجِحٍ وَمَزِيدٍ خَاسِرٍ. إِنَّ
الَّذِي أَمَرْتُمْ بِهِ أَوْسَعُ مِنَ الَّذِي نَهَيْتُمْ عَنْهُ، وَمَا أَجَلَ لَكُمْ أَكْثَرُ مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ، فَدَرُوا مَا قَلَّ
لِمَا كَثُرَ. وَمَا ضَاقَ لِمَا اتَّسَعَ، قَدْ تَكْفَلْ لَكُمْ بِالرِّزْقِ، وَأَمَرْتُمْ بِالْعَمَلِ، فَلَا يَكُونَنَّ الْمُضْمُونُ
لَكُمْ ظَلْبُهُ أَوْلَى بِكُمْ مِنَ الْمَفْرُوضِ عَلَيْكُمْ عَمَلُهُ، مَعَ أَنَّهُ، وَاللَّهِ، لَقَدْ أَعْتَرَضَ الشُّكُّ وَ
دَخَلَ الْيَقِينُ، حَتَّى كَانَ الَّذِي ضَمِنَ لَكُمْ قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ، وَكَانَ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْكُمْ
قَدْ وُضِعَ عَنْكُمْ! فَبَادَرُوا الْعَمَلَ، وَخَافُوا بَغْتَةَ الْأَجَلِ؛ فَإِنَّهُ لَا يُرْجَى مِنَ رَجْعَةِ الْعُمْرِ مَا يُرْجَى
مِنَ رَجْعَةِ الرِّزْقِ، مَا فَاتَ مِنَ الرِّزْقِ رُجِي عَدَا زِيَادَتَهُ، وَمَا فَاتَ أَمْسَ مِنَ الْعُمْرِ لَمْ يُرْجَ
الْيَوْمَ رَجْعَتُهُ. الرَّجَاءُ مَعَ الْجَانِي، وَالْيَأْسُ مَعَ الْمَاضِي (فَاتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا

وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ).

اقول: وصله تعالى الحمد بالنعم: افاضتها على الشاكرين، بحسب استعدادهم لحمده ومقتضى وعده الكريم (لئن شكرتم لأزيدنكم)^١ ووصله النعم بالشكر: افاضة صور الشكر على قلوب المنعم عليهم، واعترافهم بالنعمة وتلك الافاضة نعمة اخرى من فضله ويحتمل ان يريد: انه تعالى يصل نعمته على حامديه بشكره لهم (فإن الله شاكر عليم)^٢.

وجعل الحمد على البلاء اصلا في التشبيه: لان الابتلاء نعمة عظيمة وفي حق اولياء الله اقوى من النعم المشهورة، تنبيهها وجذبها الى الله وكنى به: اللوح المحفوظ الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها. ومن عين الغريب اى: شاهد يعين يقينه الامور الغائبة، وكوشف بالموعود من احوال الآخرة، وتصعدان القول الى محل القبول من حضرة العزة لانهما اصلان في الإيمان. واسمع داع: هو الرسول صلى الله عليه وآله اى: اشدتهم اسماعا للخلق وتبليغا. وخير واع هو عليه السلام، ومن سارع الى اجابة الداعى. ونسبة السهر الى الليالى والظماء الى الهواجر: مجاز به اقامة الظرف مقام المظروف المفعول به مبالغة كقولهم: نهاره صائم، وليله قائم. وقوله: فأخذوا الى قوله: الظمأ، اى: استعدوا بتعبهم فى الدنيا، وظمائهم فيها لراحة الآخرة، والدين من رحيقها المختوم، وروى: فلاحظوا بالفاء والاشبه الواو لترتب تكذيب الأمل على ملاحظة الأجل، دون العكس والواو لا يفيد الترتب، ويحتمل الفاء لافادة الملازمة بين تكذيب الأمل وملاحظة الأجل، وترتب تصور كل منهما على تصور السابق منهما فى الذهن. ولا توسى اى: لا يمكن طبها ودوائها. ولا ينقع: لا يروى. وقوله: ومن غيرها، الى قوله: تدل، اى: أنك ترى المرحوم بها وهو الفقير العاجز قد استبدل بفقره غنى، وبذله عزاً، فصار مغبوطا بعد ان كان مرحوما، وتارة يرى العكس من ذلك وليس ذلك الا نعيما زال عن المغبوط، وبؤسا بدل به: وهو معنى تغيرها. واستعار لفظ الرى: لكمال الالتذاذ بها، ولفظ الفى:

١ - سورة ابراهيم / ٧.

٢ - سورة البقرة / ١٥٨.

للانتفاع بفيثاتها، واذ ذلك اقوى صارف يستغفل العبد عن الله، فسروزها اقوى مايغر صاحبه. وريتها اعظم ما يظماً به صاحبه من شراب الأبرار في دار القرار، وفيها اشد ضحى للمستظل بها. والضحى: البروز لحر الشمس.

وقوله: ليس شئ الى قوله: ثوابه، يريد الخير والشر، المتصورين بالقياس الى شرور الدنيا وخيراتها، فانها امور مستحقة في جنب عقاب الله و ثوابه، ويحتمل ان يريد الشر والخير المطلقين للمبالغة، اذ يقال: هذا اشد من الشديد. وقوله: فليكنكم اى: من عيان الامور الاخرية سماعها، ومن غيبها الخير عنها اذ لا يمكن الاطلاع عليها في هذا العالم، وما نقص من الدنيا: كالزكاة، والعبادة البدنية الآخذين من المال والبدن، فانه مستلزم لزيادة الدرجة في الآخرة لمن قصدها به، وما يقابل ذلك من الزيادة في الدنيا مستلزم للغفلة عن الآخرة، ونقصان الحال فيها، وما امرنا به واحل لنا اوسع من الذى نهينا عنه وحرّم علينا، لانّ الحلال اقسام اربعة: وهى: الواجب، والمندوب، والمباح، والمكروه، والحرام قسم واحد فقط، واعترض الشك فيما اقول من ضمان الرزق وفرض العبادة. وقوله: الرجاء مع الجانى، اى: مع الرزق. والياس مع الماضى اى: من العمر.

مركز تحقيقات كويت علوم دينية
 ١١٢ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
 فِي الاسْتِسْقَاءِ

اللَّهُمَّ قَدْ أَنْصَاحَتْ جِبَالُنَا، وَأَغْبَرَّتْ أَرْضُنَا، وَهَامَتْ دَوَابُّنَا، وَتَحَيَّرَتْ فِي مَرَابِضِهَا، وَعَجَّتْ عَجِيجَ الثُّكَالِي عَلَى أَوْلَادِهَا، وَمَلَّتِ التَّرْدُدُ فِي مَرَاتِعِهَا، وَالْحَيْنَ إِلَى مَوَارِدِهَا. اللَّهُمَّ فَأَرْحَمَ أَنْيْنَ الْآنَةِ، وَحَيْنَ الْحَانَةِ. اللَّهُمَّ فَأَرْحَمَ حَيْرَتَهَا فِي مَذَاهِبِهَا وَأَيْنَتَهَا فِي مَوَالِجِهَا، اللَّهُمَّ خَرَجْنَا إِلَيْكَ حِينَ أَعْتَكَّرْتَ عَلَيْنَا حَدَابِيرُ السِّنِينَ، وَأَخْلَفْتَنَا مَخَايلُ الْجُودِ؛ فَكُنْتَ الرَّجَاءَ لِلْمُبْتَلِسِ وَالْبَلَغَ لِلْمُلْتَمِسِ: نَدْعُوكَ حِينَ قَنَطَ الْأَنَامُ، وَمُنِعَ الْغَمَامُ، وَهَلَكَ السَّوَامُ أَنْ لَا تُؤَاخِذَنَا بِأَعْمَالِنَا، وَلَا تَأْخِذْنَا بِذُنُوبِنَا، وَأَنْشُرْ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ بِالسَّحَابِ الْمُنْبِيعِ، وَالرَّبِيعِ الْمُغْدِقِ، وَالتَّبَاتِ الْمُونِقِ، سَحًا وَأَبْلًا، تُحْيِي بِهِ مَا قَدَّمَ مَاتَ وَتَرُدُّ بِهِ مَا قَدَّمَات. اللَّهُمَّ سُقِّيَامِنِكَ، مُحْيِيَّةٌ، مُرْوِيَّةٌ، تَامَّةٌ، عَامَّةٌ، طَيِّبَةٌ، مُبَارَكَةٌ، هَنِيئَةٌ، مَرِيعةٌ، زَاكِيَةٌ

نَبْتَهَا، ثَامِرًا فَرَعُهَا، نَاصِرًا وَرَفْعًا، تُنْعِشُ بِهَا الضَّعِيفَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتُخَيِّ بِهَا الْمَيِّتَ مِنْ
 بِلَادِكَ . اللَّهُمَّ سُقِيَا مِنْكَ تَعَرِبُ بِهَا نِجَادُنَا، وَتَجْرِي بِهَا وَهَادُنَا، وَتُخِصِبُ بِهَا جَنَابُنَا،
 وَتُقْبِلُ بِهَا ثِمَارِنَا، وَتَعِيشُ بِهَا مَوَاشِينَا، وَتَسْتَدِي بِهَا أَقَاصِينَا، وَتُسْتَعِينُ بِهَا ضَوَاحِينَا، مِنْ
 بَرَكَاتِكَ الْوَاسِعَةِ، وَعَظَايَاكَ الْجَزِيلَةِ سَيِّ بَرِيَّتِكَ الْمُرْمَلَةِ وَوَحْشِكَ الْمُهْمَلَةِ، وَأَنْزِكَ عَلَيْنَا
 سَمَاءً مُخْضَلَّةً، مِدْرَارًا هَاطِلَةً، يُدَافِعُ الْوَدْقُ بِنَهْجِ الْوَدْقِ، وَيَحْفِزُ الْقَطْرُ مِنْهَا الْقَطْرَ، غَيْرُ خُلْبِ
 بَرَقِهَا، وَلَا جَهَامٍ عَارِضِهَا وَلَا قَزَعٍ رَبَابِهَا. وَلَا شَفَانَ ذَهَابِهَا، سَيُّ يُخِصِبُ لِإِمْرَاعِهَا
 الْمُجْدِبُونَ، وَيَخِيَا بِبَرَكَاتِهَا الْمُسْتُونَ، فَإِنَّكَ تُنْزِلُ الْغَيْثَ بَعْدَ مَا قَنَطُوا، وَتَنْشُرُ رَحْمَتَكَ وَ
 أَنْتَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ.

قال السيد - رحمه الله -! قوله عليه السلام «انصاحت جبالنا» أي تشققت من
 المحول. يقال: انصاح الثوب، اذا انشق. ويقال ايضا: انصاح النبت وصاح وصَوَّح اذا
 جفَّ وَيَيْسَ، وقوله «وهامت دوابنا» اي: عطشت، والهيام: العطش، وقوله «حدابير
 السنين» جمع حدبار: وهي الناقة التي أنصاها السير فشبه السنه التي فشا فيها الجذب،
 قال ذوالرمة:

حدابير ماتتفك إلا مناخة
 على الخسف أونرمي بها بلد أقفرا

وقوله «ولا قزع ربابها»: القزع: القطع الصغار المتفرقة من السحاب، وقوله
 «ولاشفان ذهابها» فان تقديره: ولا ذات شفان ذهابها، والشفان: الريح الباردة،
 والذهاب: الأمطار اللينه، فحذف «ذات» لعلم السامع به.

أقول: اعتكرت: اختلطت. والمخايل: جمع مخيلة: للسحابة التي ترجى المطر
 منها. والمبتس: الحزين. والمنبعق والمنبعج: السحاب المنصب بشدة. والمغدق: كثير
 الماء، ويحتمل ان يريد بالربيع هنا: المطر. والسقيا: بالضم، الاسم من السقى.
 والخلب: السحاب الذي يكذب الظن. والمربع: المخصب. والنجاد: جمع نجد،
 للمرتفع من الارض. والضواحي البارزة اي: اهل نواحيننا. والمرملة: القليلة المطر.
 والمخضلة: الرطبة. والودق: القطر. والجهام: المظلم الذي لاماء فيه. والمستنون الذين
 اصابتهم شدة السنة. وسحاً: مصدر اوحال. والسماء المخضلة: المطر نفسه. والفصل واضح.

١١٣ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَرْسَلَهُ دَاعِيًا إِلَى الْحَقِّ، وَشَاهِدًا عَلَى الْخَلْقِ، فَبَلَغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ، غَيْرَ وَاوٍ وَلَا مُقْصِرٍ، وَجَاهِدَ فِي اللَّهِ أَغْدَاءَهُ غَيْرَ وَاهِنٍ وَلَا مُعْذِرٍ، إِمَامٌ مَنِ اتَّقَى وَبَصَرٌ مَنِ اهْتَدَى.

أقول: الوهن: الضعف. والمعذر: المقصر في عذره. واستعار له لفظ البصر: لهداية الخلق به.

منها:

لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ مِمَّا طَوَى عَنْكُمْ غَيْبُهُ إِذَا لَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعْدَاتِ، تَبْكُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ، وَتَلْتَدِمُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَتَرَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ لِأَحَارِسَ لَهَا، وَلَا خَالِفَ عَلَيْهَا، وَلَهَمَّتْ كُلُّ أَمْرٍ نَفْسُهُ، لَا يَلْتَفِتُ إِلَى غَيْرِهَا، وَلَكِنَّكُمْ نَسِيتُمْ مَا ذُكِّرْتُمْ، وَأَمِيتُمْ مَا حُدِّرْتُمْ، فَتَاءَ عَنْكُمْ رَأْيَكُمْ، وَتَشَتَّتَ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ، وَلَوَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَالْحَقْنِي بِمَنْ هُوَ أَحَقُّ بِي مِنْكُمْ: قَوْمٌ، وَاللَّهِ، قَبِيحُ الرَّأْيِ، مَرَاجِيحُ الْجِلْمِ مَقَاوِيلُ بِالْحَقِّ، مَتَارِيكُ لِلْبَغْيِ، مَضُوءًا قُلُومًا عَلَى الطَّرِيقَةِ، وَأَوْجَسُوا عَلَى الْمَحَجَّةِ، فَظَفِرُوا بِالْعُقْبَى الدَّائِمَةِ، وَالْكَرَامَةِ الْبَارِدَةِ، أَمَا وَاللَّهِ لَيَسْلُظَنَّ عَلَيْكُمْ غُلَامٌ ثَقِيفٌ الدِّيَالُ الْمِيَالُ: يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ، وَيُذِيبُ شَحْمَتَكُمْ إِيَّاهُ أَبَا وَذَحَةَ!

قال السيد- رحمه الله-: أقول: الودحه: الخنفساء، وهذا القول يوميُّ به إلى الحجاج، وله مع الودحه حديثٌ ليس هذا موضع ذكره.

أقول: ما طوى عنهم علم غيبه: هي الفتن المستقبلية. وقيل: الاحوال الاخروية. والصعدات: جمع صعيد، وهي: الطرق. وكتى بذلك: عن قوة جزعهم لو علموا ما سيقع. والدم ضرب الوجه والصدر ونحوه. ونسيانهم ما ذكروا اي: من آيات الله. وقوله: قوم: تفسير لمن هو احق به منهم، و اراد: من درج من اصحابه رضى الله عنهم. ورأى ميمون: مبارك. و قدماً: بضم الدال اي: متقدمين في سبيل الله لم ينثوا عنها. الوجيف: سيرفيه سرعة. والمحجة: طريق الله الواضحة. والعرب تصف الكرامة والنعمة: بالبرد. و غلام

ثقيف: هو الحجاج بن يوسف. من الاخلاف: قوم من ثقيف. والذئال: طويل الذيل يسحبه تبخترًا. و كنى به: عن تكبره و كنى بخضرتهم: عن دنياهم. و ايه: كلمة من اسماء الأفعال لا مرستدعى بها الحديث او الفعل المعهود، و تنون في الدارج، و اصل الوذحة: بفتح الذال، ما يتعلق بذنب الشاة من بعرها، و استعار لفظها: للخنفساء. و اما حديثه معها فروى: انه كان يوماً على سجادة له فدبت اليه خنفساء، و كان يكرهها، فقال: نحوها فانها وذحة من و ذوح الشيطان.

١١٤ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فَلَا أَمْوَالَ بَدَلْتُمْوهَا لِلَّذِي رَزَقَهَا، وَلَا أَنْفُسَ خَاطَرْتُمْ بِهَا لِلَّذِي خَلَقَهَا، تَكْرُمُونَ بِاللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَلَا تُكْرِمُونَ اللَّهَ فِي عِبَادِهِ، فَأَعْتَبِرُوا بِنُزُولِكُمْ مَنَازِلَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَ اتَّقِظَاكُمْ عَنْ أَوْصَلِ إِخْوَانِكُمْ.

أقول: تكرمون بالله: اى يعظمكم عباد الله بطاعته، و دخولكم فى دينه. و اصل اخوانهم: هى الدنيا. و روى: اصل اى: اقربهم اليه اصلاً. و روى: اوصل. و الفصل ظاهر.

١١٥ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

أَنْتُمْ الْأَنْصَارُ عَلَى الْحَقِّ، وَ الْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ، وَ الْجَنُّ يَوْمَ الْبَأْسِ وَ الْبِطَانَةُ دُونَ النَّاسِ، بِكُمْ أَضْرَبُ الْمُدْبِرِ، وَ أَرْجُو طَاعَةَ الْمُقْبِلِ، فَأَعِينُونِي بِمُنَاصَحَةِ خَلِيَّةٍ مِنَ الْغَيْشِ؛ سَلِيمَةٍ مِنَ الرَّيْبِ؛ فَوَاللَّهِ إِنِّي لِأَوْلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ.

أقول: الجنة ما استترت به من السلاح. و بطانة الرجل: خاصته. و الريب: الشك.

١١٦ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

وقد جمع الناس وخصمهم على الجهاد فسكتوا ملياً

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا بِالْكُمْ أَمْخَرَسُونَ أَنْتُمْ؟ فَقَالَ قَوْمٌ مِنْهُمْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ سَرَتْ سِرْنَا مَعَكَ؛ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

مَا بِالْكُمْ لَا سُدَّدْتُمْ لِرُشْدِي، وَلَا هُدَيْتُمْ لِقَضِي؟ أَمِثَلِ هَذَا يَتَّبِعِي لِي أَنْ أُخْرَجَ؟! إِنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هَذَا رَجُلٌ مِمَّنْ أَرْضَاهُ مِنْ شُجْعَانِكُمْ وَذَوِي بَأْسِكُمْ، وَلَا يَتَّبِعِي لِي أَنْ أَدْعَ الْمِضْرَ، وَالْجُنْدَ، وَبَيْتَ الْمَالِ، وَجَبَايَةَ الْأَرْضِ وَالْقَضَاءَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَالنَّظَرَ فِي حُقُوقِ الْمُظَالِمِينَ، ثُمَّ أُخْرَجَ فِي كَتِيبَةٍ أَتَّبَعُ الْآخَرَ اتَّقَلُّقُ تَقَلُّقِ الْقِدْحِ فِي الْجَفِيرِ الْفَارِغِ. وَإِنَّمَا أَنَا قُطْبُ الرَّحَى: تَدُورُ عَلَيَّ وَأَنَا بِمَكَانِي، فَإِذَا فَارَقْتُهَا اسْتَحَارَ مَدَارُهَا، وَأَضْطَرَبَ ثِقَالُهَا هَذَا - لَعَمْرُ اللَّهِ - الرَّأْيُ السُّوءُ!! وَاللَّهِ لَوْلَا رَجَائِي الشَّهَادَةَ عِنْدَ لِقَائِي الْعَدُوَّ لَوْ قَدَّحْتُ لِي لِقَاؤَهُ، لَقَرَّبْتُ رِكَابِي، ثُمَّ شَخَصْتُ عَنْكُمْ، فَلَا أَطْلُبُكُمْ مَا اخْتَلَفَ جَنُوبٌ وَشَمَالٌ. إِنَّهُ لَا غِنَاءَ فِي كَثْرَةِ عَدَدِكُمْ، مَعَ قَلَّةِ اجْتِمَاعِ قُلُوبِكُمْ. لَقَدْ حَمَلْتُمْ عَلَيَّ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ الَّتِي لَا يَهْلِكُ عَلَيْهَا إِلَّا هَالِكٌ، مَنْ اسْتَقَامَ فَالِيَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ زَلَّ فَالِيَ النَّارِ.

أقول: الحوض: التحريض. والكتيبة: الجيش. والقدح: السهم قبل ان يراش. والجفير: الكنانة اوسع منها، واستعار لنفسه: لفظ القطب باعتبار دوران رحى الاسلام عليه. واستحار: تردد، واضطرب. وثقال الرحي: الجلد الذي توضع عليه لحفظ الدقيق. وحم: قدر. ولقربت: جواب لولا، و جواب لو: مقدر فيما قبلها.

١١٧ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

ثَالِثُهُ لَقَدْ عَلِمْتُ تَبْلِيغَ الرِّسَالَاتِ، وَإِتْمَامَ الْعِدَاتِ، وَتَمَامَ الْكَلِمَاتِ، وَعِندَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ أَبْوَابُ الْحِكْمِ، وَضِيَاءُ الْأَمْرِ، أَلَا وَإِنَّ شَرَائِعَ الدِّينِ وَاحِدَةٌ، وَسُبُلُهُ قَاصِدَةٌ، مَنْ أَخَذَ بِهَا لِحِقَ وَغَنِمَ، وَمَنْ وَقَفَ عَنْهَا ضَلَّ وَنَدِمَ اعْمَلُوا لِيَوْمِ تُذْخِرُهُ الدَّخَائِرُ، وَتُبْلَى فِيهِ

السَّرائِرُ، وَمَنْ لَا يَنْفَعُهُ حَاضِرٌ لَبِيٍّ فَعَازِبُهُ عَنْهُ أَعْجَزُ، وَغَايِبُهُ أَعْوَزُ، وَاتَّقُوا نَارًا حَرُّهَا شَدِيدٌ،
وَقَفَرُهَا بَعِيدٌ، وَحَلِيَّتُهَا حَدِيدٌ، وَشَرَائِبُهَا صَدِيدٌ.

أَلَا وَإِنَّ اللِّسَانَ الصَّالِحَ، يَجْعَلُهُ اللهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ، خَيْرَ لَهُ مِنَ الْمَالِ يُورِثُهُ مَنْ لَا يَحْمَدُهُ.

اقول : علم تبليغ الرسالات: علمه بكيفية ادائها، بحسب كل فهم. و اتمام العادات
اي: من الله تعالى لعباده الصالحين. و تمام الكلمات: تفسير كلام الله وتأويله. و ضياء
الامر: بيان الامور المشبهة في الدين. استعمار لفظ الشرائع والسبل: لقوانين الدين
اولائمه، لانهم موارد الخلق، يغترفون منها فرات العلم والحكمة واحدة، اي: من مقصدها
وغايتها. و قاصدة لاجور فيها. والذخائر: الأعمال الصالحة. و ابتلاء السرائر: اختبارها
بالسؤال في محفل القيامة. و من لا ينفعه حاضر لبة، اي في الحياة الدنيا. فعازبه اي:
حين الموت اعوز اي: اشد فواتاً لمنفعته. و قوله: و حليتها حديد: كالسلاسل والاغلال.
واللسان الصالح: هو الذكر الجميل بفعل الخير.

١١٨ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

و قد قام إليه رجل من أصحابه فقال: نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها، فلم ندرأي
الأميرين أرشد؟ فصفق عليه السلام إحدى يديه على الأخرى ثم قال:

هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْعُقْدَةَ! أَمَا وَاللَّهِ لَوَأْنِي حِينَ أَمَرْتُكُمْ بِمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ حَمَلْتُمْ عَلَيَّ
الْمَكْرُوهَ الَّذِي يَجْعَلُ اللهُ فِيهِ خَيْرًا: فَإِنْ اسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ، وَإِنْ أَعْوَجَجْتُمْ قَوَّمْتُكُمْ، وَإِنْ
أَبَيْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ؛ لَكَانَتِ الْوُثْقَى، وَلَكِنْ بِمَنْ؟ وَإِلَى مَنْ؟ أُرِيدُ أَنْ أَدَاوِيَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ
دَائِي، كَنَاقِشِ الشُّوْكَةِ بِالشُّوْكَةِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنْ ضَلَعَهَا مَعَهَا.

اللَّهُمَّ قَدْ مَلَّتْ أَطْبَاءُ هَذَا الدَّاءِ الدَّوَى، وَكَلَّتِ التَّرْعَةُ بِأَشْطَانِ الرِّكِيِّ أَيْنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ
دُعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ فَتَقَبَّلُوهُ؟ وَقَرَأُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَهَيَّجُوا إِلَى الْقِتَالِ فَوَلَّهُوا وَآلَةَ اللَّقَاحِ
إِلَى أَوْلَادِهَا، وَسَلَبُوا السُّيُوفَ أَعْمَادَهَا وَأَخَذُوا بِأَطْرَافِ الْأَرْضِ زَحْفًا زَحْفًا وَصَفًا صَفًّا؟
بَعْضُ هَلَكَ وَبَعْضُ نَجَا! لَا يَبْسُرُونَ بِالْأَحْيَاءِ، وَلَا يُعْرَوْنَ بِالْمَوْتَى، مُرَّةَ الْعُيُونِ مِنَ الْبُكَاءِ،

خُمْصُ الْبُطُونِ، مِنَ الصِّيَامِ، دُبْلُ الشَّفَاهِ مِنَ الدُّعَاءِ، صُفْرُ الْأَلْوَانِ مِنَ السَّهْرِ، عَلَى وَجُوهِهِمْ
 غُبْرَةُ الْخَاشِعِينَ، أَوْلِيكَ إِخْوَانِي الدَّاهِبُونَ، فَحَقٌّ لَنَا أَنْ نَنْظِمًا إِلَيْهِمْ، وَنَعَضَّ الْأَيْدِيَ عَلَى
 فِرَاقِهِمْ. إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسِّئُ لَكُمْ طُرُقَهُ، وَيُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً، وَيُعْطِيَكُمْ
 بِالْجَمَاعَةِ الْفُرْقَةَ، فَاصْدِفُوا عَنْ نَزَعَاتِهِ وَنَفْسَاتِهِ، وَأَقْبَلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا إِلَيْكُمْ،
 وَأَعْقِلُوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ.

أقول: كان عليه السلام انهاهم عن الحكومة حين طلبها اهل الشام، فلما غلبه عليها
 اكثر اصحابه، رجع اليها فبقيت الخوارج على انكارها، وقال له بعضهم: كنت نهيتنا،
 الى قوله: ارشد، فصفق بأحدى يديه على الاخرى: فعل المفضب النادم. والعقدة: ما
 عقده واحكمه من الرأى فى البقاء على الحرب، وهى: المكروه الذى لو حملهم عليه لجعل
 الله فيه الخير، وهو: الظفر وسلامة العاقبة وتقويمهم وتداركهم: بما يمكن كالضرب
 والقتل ونحوه. وقوله: لكنت الوثقى اى: الغفلة المحكمة ولكن بمن اى: بمن اغفل
 ذلك من الأعوان، والى من ارجع فيه. وقوله: كناقش الشوكة الى قوله: معها: كالمثل
 يضرب لمن يستعان به، وميله مع المستعان عليه. والضلع: بفتح الضاد وسكون اللام:
 الميل، واصله: ان الشوكة لما تلتها اختها ربما انكسرت فى عضو الانسان معها، فكأنه
 يقول: كيف استعين ببعضكم على بعض مع اتحاد طباعكم وميل بعضكم الى بعض.
 واستعار لفظ الداء الدوى: لما يتم عليه من مخالفة امره. ولفظ الاطباء: لنفسه واعوانه،
 وكذلك لفظ النزعة: وجهها انه ينتزع لهم وجوه الآراء الصالحة كما ينتزع المستقى
 الدلو من البئر. والوله: اشد الحزن. وتولييه اللقاح اولادها: تفرقهم بينها كركوبها
 فى الجهال، ونصب اولادها بحذف الجار، اذ لا يتعدى الفعل الى مفعولين بنفسه. و
 اغمادها: بدل من السيوف. وقوله: لا يبشرون، الى قوله: القتلى: كناية عن شدة تجددهم
 للجهاد حتى لا يعتنون بحياة حتى منهم فيبشرون به او يعززون عنه. وعين مارهة: اذا
 فسدت. والمرة: الجمع. وسنى لكم: كذا حسنه وسهله. وعقد الدين: ما انحكم منه
 فى النفوس فاعتقد. وصدف على الأمر: أعرض عنه. ونزعات الشيطان: حركاته بالافساد
 بين الناس. ونفثاته، القاء وساوسه فى الصدور. واعقلوها: احبسوها.

قاله للخوارج، وقد خرج إلى معسكرهم وهم مقيمون على إنكار الحكومة فقال عليه السلام: أَكُلُّكُمْ شَهِدَ مَعَنَا صِغِيْرًا؟ فقالوا: منا من شهد ومانن لم يشهد، قال: فامتازوا فِرْقَتَيْنِ، فليكن من شهد صِغِيْرًا فِرْقَةً، وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْهَا فِرْقَةً، حَتَّى أَكَلَمَ كَلَامًا بِكَلَامِهِ؛ وَنَادَى النَّاسَ فَقَالَ: أَمْسِكُوا عَنِ الْكَلَامِ، وَأَنْصِتُوا لِقَوْلِي، وَأَقْبِلُوا بِأَفْيَدِكُمْ إِلَيَّ، فَمَنْ نَشَدْنَا شَهَادَةً فَلْيَقُلْ بِعِلْمِهِ فِيهَا ثُمَّ كَلِمَهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِكَلَامٍ طَوِيلٍ مِنْهُ:

أَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ الْمَصَاحِفَ - حِيْلَةً وَغِيْلَةً، وَمَكْرًا، وَخَدِيْعَةً - إِخْوَانُنَا، وَأَهْلُ دَعْوَتِنَا: اسْتَقَالُونَا، وَاسْتَرَاخُوا إِلَيَّ كِتَابَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَالرَّأْيُ الْقَبُولُ مِنْهُمْ، وَالتَّسْفِيْسُ عَنْهُمْ؟ فَقُلْتُ لَكُمْ: هَذَا أَمْرٌ ظَاهِرُهُ إِيْمَانٌ وَبَاطِنُهُ عُدْوَانٌ، وَأَوَّلُهُ رَحْمَةٌ، وَآخِرُهُ نَدَامَةٌ، فَأَقِيْمُوا عَلَيَّ شَأْنَكُمْ، وَالزَّمُوا طَرِيقَتَكُمْ، وَعَصُوا عَلَيَّ الْجِهَادَ بِتَوَاجِدِكُمْ، وَلَا تَلْتَفِتُوا إِلَيَّ نَاعِقٍ نَعَقَ إِنْ أُجِيبَ أَضَلَّ، وَإِنْ تَرَكَ ذَلِكَ وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْفَعْلَةُ، وَقَدْ رَأَيْتَكُمْ أَغْطَيْتُمُوهَا وَاللَّهُ لَيَنْ أَيْبُتُهَا مَا وَجِبَتْ عَلَيَّ فَرِيضَتُهَا، وَلَا حَمْلَنِي اللَّهُ ذَنْبَهَا، وَاللَّهُ إِنْ جَسَّتْ إِيْتِي لِلْمُحِقِّ الَّذِي يُتَّبَعُ، وَإِنَّ الْكِتَابَ لَمَعِي: مَا فَارَقْتُهُ مُذْ صَحِبْتُهُ: فَلَقَدْ كُتِّمَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّ الْقَتْلَ لَيَدُورُ عَلَيَّ الْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ وَالْإِخْوَانَ وَالْقَرَابَاتِ فَلَا تَزْدَادُ عَلَيَّ كُلُّ مُصِيبَةٍ وَشِدَّةٍ إِلَّا إِيْمَانًا، وَمُضِيًّا عَلَيَّ الْحَقُّ، وَتَسْلِيمًا لِلْأَمْرِ، وَصَبْرًا عَلَيَّ مَضْضِ الْجِرَاحِ، وَلَكِنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نُقَاتِلُ إِخْوَانَنَا فِي الْإِسْلَامِ عَلَيَّ مَا دَخَلَ فِيهِ مِنَ الزَّيْغِ وَالْإِغْوَجِ وَالشُّبْهَةِ وَالتَّأْوِيلِ، فَإِذَا طَمِعْنَا فِي خَصْلَةٍ يَلُمُّ اللَّهُ بِهَا شَعْنَنَا، وَنَتَدَانِي بِهَا إِلَى الْبَقِيَّةِ فِيمَا بَيْنَنَا؛ رَغِبْنَا فِيهَا، وَآمَسَكْنَا عَمَّا سِوَاهَا.

أقول: ظاهره إيمان: لأنه اجتهاد في الدين. وباطنه عدوان: إذا كان حيلة للظلم والغلبة. وأوله رحمة: منكم لهم، و آخره ندامة: منكم، عند تمام الحيلة عليكم. و شأنهم و طريقهم: ما كانوا عليه من الرأي في الحرب. والعض عليه بالنواجذ: كناية عن لزومه. والناعق: معاوية، و عمرو بن العاص. وقوله: ولكننا، الى آخره، اى: أنا الآن لا نقاتل على ما كنا نقاتل عليه من الكفر في أول الدين، و لكننا اصبحنا نقاتل على ما دخل

فيه من الزيف والشبهة بالتأويل، وغرضنا الاوّل هو قيام الدين. خصلة: ينتظم بها امره، و
يجمع الله بها ما تفرّق من امر المسلمين، ويتقاربون بها الى ان يبقوا بينهم شيئاً من الألفة
والاجتماع فى الحق، وجب ان يسارع اليها، وتلك الخصلة ما كان يرجوه من تمام
الصلح، ورجوع الفئة الباغية الى الحق.

١٢٠. وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاله لأصحابه فى ساعة الحرب

وَأَيُّ أَمْرٍ إِيمَانِكُمْ أَحْسَنُ مِنْ نَفْسِهِ رِبَاطَةَ جَاشٍ عِنْدَ اللَّقَاءِ، وَرَأَى مِنْ أَحَدٍ مِنْ
إِخْوَانِهِ فَشَلًّا، فَلْيَدْبُ عَنْ أَخِيهِ، بِفَضْلِ نَجْدَتِهِ الَّتِي فَضَّلَ بِهَا عَلَيَّ، كَمَا يَدْبُ عَنْ نَفْسِهِ.
فَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُ مِثْلَهُ. إِنَّ الْمَوْتَ طَالِبٌ حَيْثُ: لَا يَفُوتُهُ الْمُقِيمُ وَلَا يُعْجِزُهُ الْهَارِبُ. إِنَّ
أَكْرَمَ الْمَوْتِ الْقَتْلُ، وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ
مِيْتَةِ عَلِيٍّ الْفِرَاشِ.

أقول: جاش القلب: روعته واضطرابه، من الفزع. ورباطته: ثباته. والنجدة: فضيلة
تحت الشجاعة. ورغب فى الاقدام للحرب بضميرين: صغرى الاوّل، قوله: ان الموت،
الى قوله: الهارب، وتقدير كبراه، و كل ما كان كذلك فلا ينبغى الفرار منه، اذ لا فائدة
فيه، وصغرى الثانى، قوله: ان اكرم الموت الى آخره. تقدير الكبرى: و كل ما كان اكرم
الموت الذى لا بد منه فينبغى ان يموت الانسان عليه.

١٢١. وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَكَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَيْكُمْ تَكِيشُونَ كَشِيشَ الضَّبَابِ، لَا تَأْخُذُونَ حَقًّا، وَلَا تَمْنَعُونَ ضَيْمًا! قَدْ
خُلِّيتُمْ وَالظَّرِيقَ. فَالْتَّجَاةُ لِلْمُقْتَحِمِ، وَالْهَلَكَةُ لِلْمُتَلَوِّمِ.

أقول: كشيح الضباب: صوت حكّ جلودها بعضها البعض، و كنى بذلك: عن

حالهم فى الازدحام فى الهزيمة. والطريق: طريق الآخرة، وانتصب على المفعول معه. والنجاة للمقتحم، أى: لمقتحم الجهاد. والملتوم: المتوقف عن سلوكها واراد: الهلاك الاخروى.

١٢٢ - وَ مِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فى حث أصحابه على القتال

فَقَدَّمُوا الدَّرَاعَ، وَأَخْرَوْا الْحَاسِرَ، وَعَضُّوا عَلَى الْأَضْرَاسِ؛ فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ، وَالتَّوَّأَ فِي أَطْرَافِ الرَّمَاحِ، فَإِنَّهُ أَمُورٌ لِلْأَسِنَّةِ، وَعَضُّوا الْأَبْصَارَ فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلْجَاشِ، وَأَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ وَأَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشْلِ، وَرَأَيْتَكُمْ فَلَا تُمِيلُوهَا، وَلَا تُخْلُوها وَلَا تَجْعَلُوهَا إِلَّا بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ، وَالْمَانِعِينَ الدَّمَارَ مِنْكُمْ، فَإِنَّ الصَّابِرِينَ عَلَى نُزُولِ الْحَقَائِقِ، هُمْ الَّذِينَ يَحْفُونَ بِرَأْيَاتِهِمْ، وَيَكْتَنِفُونَهَا: حِفَافِيهَا، وَوَرَاءَهَا، وَأَمَامَهَا لَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهَا فَيَسْلِمُوهَا، وَلَا يَتَقَدَّمُونَ عَلَيْهَا فَيُفْرِدُوهَا.

أَجْزَأُ أَمْرُ قِرْنِهِ، وَآسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ، وَلَمْ يَكِلْ قِرْنَهُ إِلَى أُخِيهِ فَيَجْتَمِعَ عَلَيْهِ قِرْنُهُ وَقِرْنُ أُخِيهِ. وَآيْمُ اللَّهِ لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ الْعَاجِلَةِ لَا تَسْلَمُوا مِنْ سَيْفِ الْآخِرَةِ، وَأَنْتُمْ لَهَا مِيمُ الْعَرَبِ، وَالسَّتَامُ الْأَعْظَمُ. إِنَّ فِي الْفِرَارِ مَوْجِدَةَ اللَّهِ، وَالذِّكَّ اللَّازِمَ، وَالْعَارَ الْبَاقِيَّ، وَإِنَّ الْفَارَّ لَغَيْرُ مَزِيدٍ فِي عُمُرِهِ، وَلَا مَخْجُوزٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ يَوْمِهِ. الرَّائِحُ إِلَى اللَّهِ، كَالظَّمَانِ يَرِدُ الْمَاءَ الْجَنَّةَ تَحْتَ أَطْرَافِ الْعَوَالِي، الْيَوْمَ تُبْلَى الْأَخْبَارُ، وَاللَّهُ لَأَنَا أَشْرَقُ إِلَى لِقَائِهِمْ مِنْهُمْ إِلَى دِيَارِهِمْ. اللَّهُمَّ فَإِنْ رَدُّوا الْحَقَّ فَافْضُضْ جَمَاعَتَهُمْ، وَشَتَّ كَلِمَتَهُمْ وَأَبْسِلْهُمْ بِخَطَايَاهُمْ؛ إِنَّهُمْ لَنْ يَزُولُوا عَنْ مَوَاقِفِهِمْ دُونَ طَعْنِ دِرَاكٍ يَخْرُجُ مِنْهُ النَّسِيمُ، وَضَرْبِ يَفْلِقِ الْهَامِ، وَيُطِيحُ الْعِظَامَ، وَيُنْدِرُ السَّوَاعِدَ، وَالْأَقْدَامَ، وَحَتَّى يُرْمَوْا بِالْمَنَاسِرِ تَتَّبِعُهَا الْمَنَاسِرُ، وَيُرْجَمُوا بِالْكِتَابِ تَقْفُوهَا الْحَلَايِبُ، وَحَتَّى يُجَرَّ بِلَادِهِمُ الْخَمِيسُ يَتْلُوهُ الْخَمِيسُ، وَحَتَّى تَدْعَقَ الْخِيُولُ فِي نَوَاحِرِ أَرْضِهِمْ، وَبِأَعْنَانِ مَسَارِيهِمْ وَمَسَارِحِهِمْ.

أقول: صدر الفصل تعليم كيفية الحرب، ونبه على امرأ صغراه. وقوله: فإنه، الى

١ - فى ش بزياة : بضميه.

تمام الكلام وقد سبق مثله والحاسر: العارى من الدرع. و امور: اشد حركة ونفوذاً. والمور: الحركة. وفائدة غضّ البصر: انّ مده الى العدو يوجب انفعالا عنه، وربما خيف على البصر من بريق النصال والاستة. والذمار: ما يحميه الرجل. والحقائق: كناية عن الامور الشديدة التي حَقَّتْ نزولها ووجب في القدر. وحفا الشىء: جانباه.

وقوله: أجزاء وآسى: خبران فى معنى الامر. واللهايم: الاشراف جمع لهوم. والموجدة: الغضب. و كالظمان: فى محل الرفع صفة لرائح اى: من يروح الى الله بهذه الصفة. والعوالى: جمع عالية للقناة. والاخبار المبلوة: اخبار بواطن اهل الحرب يختبر بها والضمير فى لقائهم لاهل الشام. وابسلهم: اسلمهم للهلكة. ودراك، اى: متدارك. والمنسر: القطعة من الجيش. والحلائب: جمع حلوبة اى: حتى يرموا بالكتائب فى الخيل يتبعها الأبل. وقيل: الحلائب جمع حلبة وهى: الخيل، يجمع للسباق وفى الحرب. والخميس: الجيش. والدعق: الدق. ونواحر ارضهم: اواخرها واقاصيها جمع نحيرة. واعنان مساربهم: نواحي مراعيهم.



١٢٣ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فى التحكيم

فى معنى الخوارج لما انكروا تحكيم الرجال ويزم فيه اصحابه قال عليه السلام

إِنَّا لَم نَحْكَمْ الرَّجَالَ، وَإِنَّمَا حَكَمْنَا الْقُرْآنَ، وَهَذَا الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَشْتُورٌ بَيْنَ الدَّفْتَيْنِ، لَا يَنْطِقُ بِلِسَانٍ، وَلَا يَبْدُ لَهُ مِنْ تَرْجَمَانٍ، وَإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرَّجَالُ. وَلَمَّا دَعَانَا الْقَوْمُ إِلَى أَنْ نَحْكَمْ بَيْنَنَا الْقُرْآنَ لَمْ نَكُنْ الْفَرِيقَ الْمُتَوَلَّى عَنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) فَرَدُّهُ إِلَى اللَّهِ: أَنْ نَحْكَمْ بِكِتَابِهِ، وَرَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ أَنْ نَأْخُذَ بِسُنَّتِهِ، فَإِذَا حُكِمَ بِالصِّدْقِ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَتَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ بِهِ، وَإِنْ حُكِمَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَتَحْنُ أَوْلَاهُمْ بِهِ. وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: لِمَ جَعَلْتُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ أَجْلاً فِى التَّحْكِيمِ، فَإِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ لِتَبَيَّنَ

الْجَاهِلُ، وَيَتَّبِعَتِ الْعَالِمُ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُضْلِحَ فِي هَذِهِ الْهُدْنَةِ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَلَا تُؤَخِّدَ بِأَكْظَامِهَا، فَتَعَجَّلَ عَنْ تَبْيِينِ الْحَقِّ، وَتَنْقَادَ لِأَوَّلِ الْغَيِّ إِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ كَانَ الْعَمَلُ بِالْحَقِّ أَحَبَّ إِلَيْهِ - وَأَنْ نَقَصَهُ وَكَرَّهَهُ مِنْ الْبَاطِلِ وَإِنْ جَرَّ إِلَيْهِ فَايْدَةً وَزَادَهُ، أَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ؟ مِنْ أَيْنَ أُيْتُمْ؟ أَسْتَعِيدُوا لِلْمَسِيرِ إِلَى قَوْمٍ حَيَارَى عَنِ الْحَقِّ لَا يُبْصِرُونَهُ، وَمُوزَعِينَ بِالْجَوْرِ لَا يَعْدِلُونَ بِهِ! جُفَاةٍ عَنِ الْكِتَابِ، نُكِّبَ عَنِ الطَّرِيقِ، مَا أَنْتُمْ بِوَثِيقَةٍ يُعَلَّقُ بِهَا، وَلَا زَوَافِرَ عَزِيزٍ يُعْتَصَمُ إِلَيْهَا، لَيْسَ حُشَّاشُ نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ أَقْبَلُكُمْ، لَقَدْ لَقِيتُ مِنْكُمْ بَرَحًا!! يَوْمًا أَنْادِيكُمْ؛ وَيَوْمًا أَنْاجِيكُمْ! فَلَا أحرارُ صِدْقٍ عِنْدَ النَّدَاءِ، وَلَا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ النَّجَاءِ.

أقول: الفصل من أوله، الى قوله: اولاهم به: جواب لما انكره الخوارج من موافقته عليه السلام على التحكيم. وقوله: ليتبين الجاهل، اي: طريق الحق، والهدنة: الصلح. والكظم: مجرى النفس والاخذ به، كناية عن الاعجال والاخذ بغتة. فانه عليه السلام لو اخذهم بالقتال بغتة الجاهم الى لزوم ضلالهم من غير تروء، وذلك يخالف مقصود الشارع من جمع الخلق على الدين. وكرهه: حزنه ومن الباطل: متعلق باحب. وموزعين بكذا اي: مغرين به. وجفاة عن كتاب الله، تنبوا افهامهم عنه. ونكّب: بضم الكاف وسكونها جمع نكوب وهو كثير العدول عن الطريق. والوثيقة ما يوثق به عند الشدائد. وزوافر الرجل: انصاره وعشيرته. والحشاش: ما يحش به النار اي توقد. والترح: الحزن. وروى: برحاً اي: شدة. وقوله: يوما، الى آخره، اي: يوما اناديكم للنصرة في الدين، و يوماً اساركم فيه بالنصيحة والمشورة بالرأى فلا احرار صدق عند النداء: اذ شأن الحران يخنص من وثاق اللائمة والتقصير: ولا اخوان يوثق بهم: فيما يسر اليهم ويلقى من النصيحة، اذ كانوا يفشون سره ولا يقبلون نصيحته.

١٢٤ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

لما عوتب على تصيره الناس اسوة في العطاء من غير تفضيل

اولى السابقات والشرف فقال:

أَتَأْمُرُونِي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فَيَمُنُّ وُلَيْتُ عَلَيْهِ؟ وَاللَّهِ مَا أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ،

وَمَا أَمْ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْمًا، لَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ؛ فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللَّهِ! أَلَا وَإِنَّ إِعْطَاءَ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ، وَهُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدُّنْيَا وَ يَضَعُهُ فِي الْآخِرَةِ، وَيُكْرِمُهُ فِي النَّاسِ، وَيُهِينُهُ عِنْدَ اللَّهِ، وَلَمْ يَضَعْ أَمْرُؤُ مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَلَا عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلَّا حَرَمَهُ اللَّهُ شُكْرَهُمْ، وَكَانَ لِغَيْرِهِ وَذُهُمْ، فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ التَّعْلُ يَوْمًا فَاحْتَاجَ إِلَى مَعُونَتِهِمْ فَشَرُّ خَدِينٍ، وَالْأَمُّ خَلِيلٍ.

أقول: التسوية: سنة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولزمها ابوبكر، فلما فضل من بعده، اعتاد كبار الامة ذلك، فلما ترك عليه السلام التفضيل، شق على القوم وثاروا اضغانهم. حتى كان من طلحة والزبير وغيرهما ما كان من نكث البيعة، والخلاف عليه. والنصر: نصر الناس له. ولا طور به اي: لا اقربه. والسمير: الدهر. يقال: لا افعله ما سمر سميراي: الدهر كله، وكذلك لا افعله ما سمر بنا سمير، وهما: الليل والنهار. والتبذير، والاسراف: رذيلة الافراط من فضيلة السخاء، وظاهر ان الرذائل سبب للاهانة عند الله في الآخرة. والضمير في اهله: للمال. وبالجرى ان يمنعه الله شكرهم اذا عدل عنهم بما هم به احق ويلحقه خذلانهم. وقيل: اراد بالذين يمنعه الله شكرهم: الذين اعطاهم المال من غير اهله، ويلوح من سر ذلك: ان اعطاء المال لغير اهله يكون اما رغبة اورهة للمعطى من دون الله، ونظر الآخذ الى تلك الجهة يمنعه عن الشكر، ويصرفه عن معاونة المعطى.

١٢٥ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أَيْضًا لِلخَوَارِجِ

فَإِنْ أَبِيْتُمْ إِلَّا أَنْ تَزْعُمُوا أَنِّي أَخْطَأْتُ وَضَلَلْتُ فَلِمَ تُضَلُّونَ عَامَّةَ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، بِضَلَالِي، وَتَأْخُذُونَهُمْ بِخَطِيئِي وَتُكْفَرُونَهُمْ بِذُنُوبِي؟! سَيُؤْفِكُمْ عَلَى عَوَاتِقِكُمْ تَضَعُونَهَا مَوَاضِعَ الْبُرِّ وَالسُّقْمِ وَتَخْلِطُونَ مِنْ أَدْنَبِ بَعْنٍ لَمْ يُذْنِبْ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، رَجَمَ الزَّانِي ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ، ثُمَّ وَرَثَهُ أَهْلُهُ، وَقَتَلَ الْقَاتِلَ وَوَرَّثَ مِيرَاثَهُ أَهْلُهُ، وَقَطَعَ السَّارِقَ وَجَلَدَ الزَّانِي غَيْرَ الْمُخْصَنِ ثُمَّ قَسَمَ عَلَيْهِمَا مِنَ الْفَيْءِ، وَنَكَحَا

الْمُسْلِمَاتِ فَأَخَذَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، بِذُنُوبِهِمْ، وَأَقَامَ حَقَّ اللَّهِ فِيهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُهُمْ سَهْمَهُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يُخْرِجْ أَسْمَاءَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ، ثُمَّ أَنْتَمُ شِرَارُ النَّاسِ، وَمَنْ رَمَى بِهِ الشَّيْطَانُ مَرَامِيَهُ، وَضَرَبَ بِهِ تَبَهُهُ.

وَسَيَهْلِكُ فِيَّ صِنْفَانِ: مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ، وَمُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ، وَخَيْرُ النَّاسِ فِيَّ حَالًا التَّمَطُّ الْأَوْسَطُ فَالزَّمُوهُ، وَالزَّمُوا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ، فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ عَنَى الْجَمَاعَةَ. وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ، كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذَّبِّ! الْأَمَنْ دَعَا إِلَى هَذَا الشَّعَارِ فَاقْتُلُوهُ، وَلَوْ كَانَ تَحْتَ عِمَامَتِي هَذِهِ. وَإِنَّمَا حُكْمَ الْحَكَمَانِ لِيُحْيِيَا مَا أَحْيَا الْقُرْآنُ، وَيُمِيتَا مَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ، وَإِحْيَاؤُهُ الْإِجْتِمَاعُ عَلَيْهِ، وَإِمَاتَتُهُ الْإِفْتِرَاقُ عَنْهُ: فَإِنْ جَرْنَا الْقُرْآنَ إِلَيْهِمْ اتَّبَعْنَاهُمْ وَإِنْ جَرَّهْمُ إِلَيْنَا اتَّبَعُونَا، فَلَمْ آتِ -لَا أَبَا لَكُمْ- بَجْرًا، وَلَا خَلَّتْكُمْ عَنْ أَمْرِكُمْ، وَلَا لَبَسَتْهُ عَلَيْكُمْ، إِنَّمَا اجْتَمَعَ رَأْيُ مَلَائِكُمْ عَلَى اخْتِيَارِ رَجُلَيْنِ أَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ لَا يَتَعَدَّيَا الْقُرْآنَ فَتَاهَا عَنْهُ، وَتَرَكََا الْحَقَّ وَهَمَّا يُبْصِرَانِي، وَكَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا فَمَضَيْنَا عَلَيْهِ، وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا -فِي الْحُكُومَةِ بِالْعَدْلِ، وَالصَّمْدِ لِلْحَقِّ- سُوءَ رَأْيَيْهِمَا وَجَوْرَ حُكْمَيْهِمَا.

مرکز تحقیقات کلامی و تفسیری علوم اسلامی

أقول: كانت الخوارج تقول: انه عليه السلام: ضلّ واططأ في التحكيم، و كل مخطى كافر، و كانوا يقتلون حين اعتزالهم عنه من خالف اعتقادهم، فبين عليه السلام كذب رأيهم: بان رسول الله صلى الله عليه و آله لم يخرج احدا من الاسلام بذنب ارتكبه، بل كان يجزيه على احكام المسلمين، و يؤاخذه بما فعل. والضمير في قوله: و نكحنا: يرجع الى السارق، و الزانى. و فى قوله: فأخذهم: راجع الى كل من جرى ذكره من المذنبين. و الضمير فى اهله: يرجع الى الاسلام، و مرامى الشيطان: الخطايا و المعاصى. و تبهه: حيث لا يهتدى الضال لوجه الحق و الغلوفى حبه: طرف الافراط من فضيلة محبته كما عليه الغلاة، و فى بغضه: تفريط كما عليه الخوارج، و كلاهما رذيلتان يستلزمان الكفر و الهلاك الاخرى، و النمط الاوسط: اهل فضيلة العدل فى محبته، و فى الحديث (خير هذه الامة النمط الاوسط يلحق بهم التالى، و يرجع اليهم الغالى)

١ - مجمع البحرين ٢٧٦/٤.

والسواد الأعظم جمهور المسلمين المتفقيين على عمود الاسلام، المتمسكين بسنة الله . و
استعار لفظ اليد: لعناية الله . والشعار: شعار الخوارج من مفارقتهم الجماعة وما ارتكبه من البدعة .
وقوله : ولو كان تحت عمامتي هذه، قيل : اراد ولو كنت انا ذاك . وقيل : انه مبالغة
فى صفة من كان بغاية القرب منه والعناية به . والبجر: الشر والامر العظيم . والختل:
الخدعة . والصمد: القصد . وسوء رايهما: مفعول به لما يسبق .

١٢٦ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

فيما يخبره عن الملاحم بالبصرة

يَا أُحْتَفُ، كَأَنِّي بِهِ وَقَدْ سَارَ بِالْجَيْشِ الَّذِي لَا يَكُونُ لَهُ عُبَارٌ وَلَا لَجَبٌ، وَلَا فَعْقَعَةٌ
لُجْمٌ، وَلَا حَمْحَمَةٌ خَيْلٌ يُبِيرُونَ الْأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ كَأَنَّهَا أَقْدَامُ النَّعَامِ .
يومىء بذلك إلى صاحب الزنج . ثم قال عليه السلام : وَيَلُّ لَيْسَكِكِكُمُ الْعَامِرَةَ،
وَالدُّورَ الْمُزْخَرَفَةَ الَّتِي لَهَا أُجْنِحَةٌ كَأَجْنِحَةِ النَّسُورِ وَخِرَاطِيمٌ كَخِرَاطِيمِ الْفِيلَةِ، مَنْ أَوْلَيْكَ
الَّذِينَ لَا يَنْدَبُ قَتِيلُهُمْ، وَلَا يُفْتَقَدُ غَائِبُهُمْ؟ أَنَا كَاتِبُ الدُّنْيَا لَوَجْهِهَا، وَقَادِرُهَا بِقَدْرِهَا،
وَنَاطِرُهَا بِعَيْنِهَا .

أقول: الملحمة: الواقعة العظيمة، الفتنة . والاشارة فى ذلك : الى صاحب الزنج، و
فتنته بالبصرة مشهورة، والجيش بالصفة المذكورة هم: الزنج، لانهم لم يكونوا اصحاب
خيلى . واللجب: الصوت الهائل، وشبه اقدمهم: بأقدام النعام باعتبار عرض صدورها، و
تفرق اصابعها وقصرها . والسكة: المحلة، واستعار لفظ الاجنحة: للقطانيات،
والخراطيم: للمياذيب من الخشب والخصوص المقيرة . وقوله: لا يندب، الى قوله: غائبهم،
قيل: اراد: انهم لا ينالون بالموت والقتل لشدة بأسهم، وشبه ان يكون ذلك، لانهم غرباء
مجتمعون لاهل لأحدهم يكيه ويفتقده . وقوله: انا كاتب الدنيا، الى آخره، كناية: عن
زهده فيها عن علم بها وبقدرها وما خلقت له، يقال: كسبت فلانا لوجهه اذا لم يلتفت

١ - نسخة ش بزيادة: لفظ .

اليه. وقدرها: منزلتها في أعين المعبرين التي وضعها الله عليه. وعينها: هي العين التي ينبغي ان يعبر بها وهي عين البصرة.

١٢٧ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

يُؤمى به إلى وصف الأتراك

كَأَنِّي أَرَاهُمْ قَوْمًا كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ الْمِجَانُ الْمَطْرَقَةُ؛ يَلْبَسُونَ السَّرَقَ وَالذَّبِيحَ، وَيَعْتَقِبُونَ الْخَيْلَ الْعِتَاقَ، وَيَكُونُ هُنَاكَ اسْتِخْرَارُ قَتْلِ حَتَّى يَمْشِيَ الْمَجْرُوحُ عَلَى الْمَقْتُولِ، وَيَكُونُ الْمُفْلِتُ أَقَلَّ مِنَ الْمَأْسُورِ.

فقال له بعض أصحابه: لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب! فضحك عليه السلام، وقال للرجل و كان كلبياً:

يَا أَخَا كَلْبٍ، لَيْسَ هُوَ بِعِلْمٍ غَيْبٍ وَإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ! وَإِنَّمَا عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَمَا عَدَّدَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) الْآيَةَ فَيَعْلَمُ سُبْحَانَهُ مَا فِي الْأَرْحَامِ: مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى، وَقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ، وَسَخِيٍّ أَوْ خَيْلٍ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، وَمَنْ يَكُونُ فِي النَّارِ حَطْبًا أَوْ فِي الْجَنَّةِ لِلتَّبَيِّنِ مُرَافِقًا، فَهَذَا عِلْمُ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ، وَ مَا سِوَى ذَلِكَ فَيَعْلَمُ اللَّهُ نَبِيَّهُ فَعَلَّمْنِيهِ، وَدَعَا لِي بِأَنْ يَبَيِّنَ صَدْرِي، وَتَضَظَّمْ عَلَيْهِ جَوَانِحِي.

اقول: المجان: جمع مجن، وهي: الترس. والمطرقة: بضم الميم وتخفيف الراء وفتحها، التي اطرفت بالجلود والعصب اى: البست. والسرق: شقق الحرير، واحدها سرقة. ويعتقبون الخيل اى: يحتبسونها ويرتبطونها. والعتق: الجمال، وفرس عتيق: رائع. واستخر القتل: اشتد. وشبه وجوههم بالمجان: باعتبار اتساعها واستدارتها، ووصف كونها مطرقة: باعتبار غلظتها، وكثرة لحمها. ونبه عليه السلام، على الفرق بين علم الغيب وغيره، بما يعود خلاصته الى ان ما كان بواسطة معلم ومفيد فليس بعلم غيب، وما كان دون واسطة فهو علم غيب.

١ - سورة لقمان / ٣٤.

٢ - حلية الاولياء ٦٨/١. كنز العمال ٣٩٨/٦. مستدرک الحاكم ٣/١١٠. كفاية الطالب / ١٠٩.

١٢٨ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فى ذكر المكابيل والموازن

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّكُمْ وَمَا تَأْمَلُونَ فى هَذِهِ الدُّنْيَا أَثَوِيَاءُ مُوجَلُونَ، وَمَدِيثُونَ مُقْتَصُونَ، أَجَلٌ مَنقُوصٌ، وَعَمَلٌ مَحْفُوظٌ، فَرُبَّ ذَائِبٍ مُضَيِّعٍ، وَرُبَّ كَادِحٍ خَاسِرٍ. وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فى زَمَنِ لَا يَزِيدَادُ الْخَيْرُ فِيهِ إِلَّا إِذْبَارًا، وَالشَّرُّ فِيهِ إِلَّا إِقْبَالًا، وَالشَّيْطَانُ فى هَلَاكِ النَّاسِ إِلَّا ظَمَعًا. فَهَذَا أَوَانٌ قَوِيَتْ عُدَّتُهُ وَعَمَّتْ مَكِيدَتُهُ، وَأَمَكَنْتْ فَرِيستُهُ. إِضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنْ النَّاسِ: هَلْ تُبْصِرُ إِلَّا فَقِيرًا يُكَابِدُ فَقْرًا، أَوْ غَنِيًّا بَدَلَ نِعْمَةِ اللَّهِ كُفْرًا، أَوْ بَخِيلًا اتَّخَذَ الْبُخْلَ بِحَقِّ اللَّهِ وَقْرًا، أَوْ مُتَمَرِّدًا كَأَنَّ بَأْذِنِهِ عَنِ سَمْعِ الْمَوَاعِظِ وَقْرًا؟ أَيْنَ خِيَارِكُمْ وَصَلَحَاؤُكُمْ؟ وَأَخْرَارِكُمْ وَسَمَحَاؤُكُمْ؟ وَأَيْنَ الْمُتَوَرِّعُونَ فى مَكَايِبِهِمْ؟ وَالْمُتَنَزِّهُونَ فى مَذَاهِبِهِمْ؟ أَلَيْسَ قَدْ ظَعَنُوا جَمِيعًا عَنِ هَذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ وَالْعَاجِلَةِ الْمُنْعَصَةِ؟ وَهَلْ خُلِقْتُمْ إِلَّا فى حُثَالَةٍ، لَا تَلْتَقِي بِذَمِّهِمُ الشَّفَتَانِ اسْتِضْغَارًا لِقَدْرِهِمْ، وَدَهَابًا عَنِ ذِكْرِهِمْ، فَإِذَا لَلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ: ظَهَرَ الْفَسَادُ فَلَا مُنْكَرَ مُعَيَّرٍ، وَلَا زَاجِرَ مُرَدِّجٍ أَقْبَهُدَا تُرِيدُونَ أَنْ تُحَاوِرُوا اللَّهَ فى دَارِ قُدْسِهِ؟ وَتَكُونُوا أَعَزَّ أَوْلِيَاءِهِ عِنْدَهُ؟! هَيْهَاتَ! لَا يُخَدِّعُ اللَّهُ عَنِ حَقَّتِهِ وَلَا تُنَالُ مَرْضَاتُهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ. لَعَنَ اللَّهُ الْآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ التَّارِكِينَ لَهُ، وَالنَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ الْعَامِلِينَ بِهِ.

اقول: أثوياء: جمع ثوى وهو: الضيف. و مدنيون: عليهم دين و اراد كونهم مكلفين بأمر تقتضى منهم و تطلب و هى: اوامر الله. و نبه بقوله: فرب ذائب اى: مجد فى العمل مطيع على اقلية اهل طاعة الله وان كثر عملهم. و روى: مضيع، و معناه: ان العامل قديداب فى عمله لله لكنه يكون مضيعًا لعمله، لجهله بكيفية ايقاعه و اتيانه به على غير وجد المرضى، و كذلك قوله: و رب كادح خاسر، و الكدح: العمل. و استعار لفظ الفريسة للانسان: باعتبار استيلاء الشيطان عليه و اهلاكه له. و قوله: اضرب بطرفك الى قوله: و قرأ، شرح لانواع الشر و ازدياد اقباله. و الوفرة: المال. و المتمرد: الخارج عن الطاعة. و الوقور: الصمم. و الحثالة: الثفل و الردى من الشئ. و استعار لفظه لأهل الزمان. و باقى الفصل واضح.

١٢٩ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
لأبي ذر رحمه الله لما أخرج إلى الرَبْذَةَ

يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ غَضِبْتَ لِهَذَا فَارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ. إِنَّ الْقَوْمَ خَافُوكَ عَلَى دُنْيَاهُمْ، وَخِيفْتَهُمْ عَلَى دِينِكَ، فَاتْرُكْ فِي أَيْدِيهِمْ مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ، وَاهْرُبْ بِمَا خِيفْتَهُمْ عَلَيْهِ، فَمَا أَحْوَجَهُمْ إِلَى مَا مَنَعْتَهُمْ، وَمَا أَغْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ! وَسَتَعْلَمُ مِنَ الرَّابِحِ عَدَا، وَالْأَكْثَرُ حَسَدًا؟! وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا عَلَى عَبْدٍ رَتَقًا ثُمَّ اتَّقَى اللَّهَ لَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْهُمَا مَخْرَجًا، لَا يُؤْنِسُكَ إِلَّا الْحَقُّ وَلَا يُوحِشُكَ إِلَّا الْبَاطِلُ، فَلَوْ قَبِلْتَ دُنْيَاهُمْ لِأَحْبُوكَ، وَلَوْ قَرَضْتَ مِنْهَا لِأَمْنُوكَ.

اقول: الرَبْذَةُ: موضع قريب من المدينة والمخرج لأبي ذر: هو عثمان. قيل: لأنه كان يغلظ له في القول، وينكر عليه ما كان يراه منكراً من أفعاله وينفر عنه، و اراد: ما خافوك عليه، واستغنى بالثاني عنه. و «ما» في قوله: ما منعتهم: مصدرية، ويحتمل ان يريد: ما منعتهم بخروجك عنهم من دينك، وانكارك للمنكر، وما منعه عنه: هو دنياهم. والرتق: ضد الفتق، وهو كناية: عن شدة الضيق. والقرض: كناية عن الأخذ منهم وقبول عطاياهم.

١٣٠ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا النَّفُوسُ الْمُخْتَلِفَةُ، وَالْقُلُوبُ الْمُتَشَتِّتَةُ، الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ، وَالْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ! أَظَارَكُمُ عَلَى الْحَقِّ، وَأَنْتُمْ تَنْفِرُونَ عَنْهُ نُفُورَ الْمِعْزَى مِنْ وَغْوَةِ الْأَسَدِ! هَيْهَاتَ أَنْ أَظْلَعَ بِكُمْ سِرَارَ الْعَدْلِ، أَوْ أُقِيمَ أَعْوَجَاجَ الْحَقِّ.
اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنْهُ مُنَافَسَةٌ فِي سُلْطَانٍ، وَلَا التَّمَّاسَ شَيْءٌ مِنْ فُضُولِ الْحُطَّامِ، وَلَكِنْ لِنَرْدِ الْمَعَالِمِ مِنْ دِينِكَ، وَنُظْهِرِ الْإِضْلَاحَ فِي بِلَادِكَ، فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتَقَامَ الْمُعْظَلَةُ مِنْ حُدُودِكَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَنْابَ وَسَمِعَ وَأَجَابَ: لَمْ يَسْبِقْنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بِالصَّلَاةِ.

وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَا يَتَّبِعِي أَنْ يَكُونَ الْوَالِيَّ عَلَى الْفُرُوجِ، وَالذَّمَاءِ، وَالْمَغَانِمِ وَالْأَحْكَامِ، وَإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ الْبَخِيلِ؛ فَتَكُونُ فِي أَمْوَالِهِمْ نُهْمَتُهُ، وَلَا الْجَاهِلُ فَيُضِلُّهُمْ بِجَهْلِهِ، وَلَا الْجَافِي فَيَقْطَعُهُمْ بِجَفَائِهِ، وَلَا الْخَائِفُ لِلدُّوْلِ، فَيَتَّخِذُ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ، وَلَا الْمُرْتَشِي فِي الْحُكْمِ فَيَذْهَبَ بِالْحُقُوقِ، وَيَقِفَ بِهَا دُونَ الْمَقَاطِعِ، وَلَا الْمُعْطَلُ لِلسَّنَةِ فَيَهْلِكَ الْأُمَّةَ.

أقول: المختلفة: مختلفة الآراء. وأظأركم: اعطفكم. وعووة الاسد: صوته. و سرار العدل: ما خفى منه. وحمله: الليلة والليلتان تكون في آخر الشهر يستتر فيها القمر، و اراد: أنه بعد ان اظهر بكم العدل لتخاذلكم وتفرق اهوائكم، والذي كان منه عليه السلام هو الحرب والمقاومة في امر الخلافة. والمعالم: جمع معلم وهو المنار ينصب في الطريق للهداية، واستعاره لقوانين الدين وانواره. وأناب: رجع الى الله، وسمع الله واجاب داعيه، لأنه عليه السلام اول الناس دخولا في طاعة الرسول صلى الله عليه وآله. و قوله: وقد علمتم، الى آخره: اشارة الى تمييز الإمام بفضائل يجب ان تكون فيه، و الى رذائل تنا في الامامة، و برذيلة الجهل و خوف الدول وتعطيل السنة خرج معاوية عن الصلاحية لها. و بالبخل: خرج الزبير. ونهمته: حرصه على الدنيا. و بالجفا: خرج طلحة، والله اعلم.

١٣١ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَخَذَ وَأَعْطَى، وَعَلَى مَا أَبْلَى وَأَبْتَلَى، الْبَاطِنُ لِكُلِّ خَفِيَّةٍ، وَالْحَاضِرُ لِكُلِّ سَرِيرَةٍ، الْعَالِمُ بِمَا تُكِنُّ الصُّدُورُ، وَمَا تَخُونُ الْعُيُونُ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا نَجِيْبُهُ وَبَعِيْثُهُ، شَهَادَةٌ يُوَافِقُ فِيهَا السَّرُّ الْإِعْلَانَ وَالْقَلْبُ اللَّسَانَ.

أقول: أبلى و ابتلى: اختبر، و بطن الامر: خبر باطنه. و خائنة الأعين: نظرها

الحرام. و كنى بموافقة سر الشهادة: لأعلانها عن اخلاصها.

ومنها:

فَإِنَّهُ وَاللَّهِ السَّجْدُ لَا اللَّعِبُ، وَالْحَقُّ لَا الْكَذِبُ، وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ قَدْ أَسْمَعَ دَاعِيَهُ،
وَأَعْجَلَ حَادِيَهُ، فَلَا يَغْرَتُكَ سَوَادُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ فَقَدْ رَأَيْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنْ جَمْعِ
الْمَالِ، وَحَذَرَ الْإِقْلَالِ، وَأَمِنَ الْعَوَاقِبَ؛ طُولَ أَمَلٍ، وَاسْتِبْعَادَ أَجَلٍ، كَيْفَ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ
فَأَزَعَجَهُ عَنِ وَطْنِهِ، وَأَخَذَهُ مِنْ مَأْمَنِهِ وَمَحْمُولًا عَلَى أَغْوَادِ الْمَتَائِيَا، يَتَعَاطَى بِهِ الرَّجَالُ الرَّجَالَ
حَمَلًا عَلَى الْمَتَاكِبِ، وَأَمْسَاكًا بِالْأَنَامِلِ، أَمَا رَأَيْتُمْ الَّذِينَ يُومَلُونَ بَعِيدًا، وَيَبْتُونَ مَشِيدًا،
وَيَجْمَعُونَ كَثِيرًا، كَيْفَ أَضْبَحَتْ بُيُوتُهُمْ قُبُورًا، وَمَا جَمَعُوا بُورًا، وَصَارَتْ أَمْوَالُهُمْ لِلْوَارِثِينَ،
وَأَزْوَاجُهُمْ لِقَوْمٍ آخَرِينَ، لَا فِي حَسَنَةٍ يَزِيدُونَ، وَلَا مِنْ سَيِّئَةٍ يَسْتَعْتَبُونَ؟! فَمَنْ أَشَعَرَ التَّقْوَى
قَلْبَهُ بَرَزَ مَهْلَهُ، وَفَارَ عَمَلَهُ، فَاهْتَبَلُوا هَبْلَهَا، وَأَعْمَلُوا لِلْجَنَّةِ عَمَلَهَا، فَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ
دَارَ مُقَامٍ، بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَجَازًا لِتَرْوُدُوا مِنْهَا الْأَعْمَالَ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ، فَكُونُوا مِنْهَا عَلَى
أَوْفَازٍ، وَقَرَّبُوا الظُّهُورَ لِلزُّبَالِ.

مركز تحقيقات الكمبيوتر علوم إسلامي

أقول: الضمير في أنه للشأن، ويحتمل أن يعود الى المعنى بالتحذير منه والانداز به،
وهو: الموت، ولذلك فسر به، فقال: وما هو إلا الموت. واسمع واعجل: فى محل
النصب على الحال من معنى الاشارة. وقوله: فلا يغرتك سواد الناس من نفسك، اى:
فلا يغرتك رؤيتك لكثرة الناس والوسوسة من نفسك بذلك عن ملاحظة الموت ونزوله، اذ
كثير ما يرى الانسان الميت محمولا فيدرکه رقة وروعة ثم يعاوده الوسواس الختاس و
يأمره باعتبار كثرة المشيعين له من الناس فيأنس اليهم ويسكن الى الدنيا بعداده فيهم. و
ممن جمع: بدل ممن كان، وطول أمل: نصب على المفعول له. والبور: الهلاك. ولا من
سيئة يستعتبون، اى: لا يطلب منهم العتبي و هى: الرجوع عن السيئة لعدم امكان ذلك
منهم، واستعار لفظ الاشعار: لا تخاذ التقوى كالشعار فى ملازمتها للقلب. والشعار: ما
يلى الجسد من الثياب. واهتبلوا هبلها: اى اهتموا لها اهتمامها الذى ينبغى. والضمير:
للتقوى. والافواز: جمع وفرز بالتحريك والسكون، وهو: العجلة. وقوله: وقربوا، الى

آخِرُهُ: كناية عن الاستعداد للرحيل الى الآخرة بما ينبغي من ازوادها وتذكير بالموت.

١٣٢ - وَمِنْ حُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَأَنْقَادَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ بِأَرْزَمَتَيْهَا، وَقَدَفَتْ إِلَيْهِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُونَ مَقَالِيدَهَا،
وَسَجَدَتْ لَهُ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ الْأَشْجَارُ النَّاضِرَةُ، وَقَدَحَتْ لَهُ مِنْ قُضْبَانِهَا الثِّيرَانَ الْمُضِيئَةَ،
وَأَتَتْ أَكْلَهَا بِكَلِمَاتِهِ الثَّمَارُ الْيَانِعَةَ.

اقول: انقياد الدنيا والآخرة بازمتها كناية: عن دخولها في ذل الحاجة والامكان
تحت تصريف قدرته. ولفظ الأرزقة مستعار للامكان المحوج لها الى الصانع. قال ابن
عباس: مقاليد السماوات والارض: مفاتيحها بالرحمة والرزق، وقيل: خزائنها. والمقاليد:
جمع مقلاد، وهى: الخزائن. وسجود الاشجار دخولها فى الحاجة اليه والخضوع له،
وكلماته: امر قدرته و حكمها بخروج الثمار واليانعة: المدركة.

مركز تحقيقات كويتى للعلوم والدراسات

منها:

وَكِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ نَاطِقٌ لَا يَغِي لِسَانُهُ، وَبَيْتٌ لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ، وَعِزٌّ لَا تُهْزَمُ
أَعْوَانُهُ.

اقول: استعار للكتاب: لفظ الناطق، لما فيه من البيان. ولفظ البيت له: لحفظه من
حفظه، وعمل به، وبأركانه قوانينه الكلية. واعوانه: العاملون به وناصروهم.

منها:

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَشْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَتَنَازَعِ مِنَ الْأَلْسُنِ، فَفَقَّى بِهِ الرُّسُلَ وَحَتَمَ بِهِ
الْوَحْيَ، فَجَاهَدَ فِي اللَّهِ الْمُدْبِرِينَ عَنْهُ، وَالْعَادِلِينَ بِهِ.

اقول: قفى: اتبع. والعاذل به: الجاعل له عديلا ومثلا.

منها:

وَإِنَّمَا الدُّنْيَا مُتَّهَى بَصَرِ الأَعْمَى، لَا يُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيْئاً، وَالبَصِيرُ يُنْفِذُهَا بَصْرَهُ
وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّارَ وَرَاءَهَا، فَالبَصِيرُ مِنْهَا شَاحِصٌ، وَالأَعْمَى إِلَيْهَا شَاحِصٌ، وَالبَصِيرُ مِنْهَا
مُتَزَوِّدٌ، وَالأَعْمَى لَهَا مُتَزَوِّدٌ.

اقول: استعار لفظ الأعمى: للجاهل، لعدم ادراكه لحقائق الامور كالأعمى، وكونه
لا يبصر من وراء الدنيا شيئا: اشارة الى جهله بأحوال المعاد. ولفظ البصير: للعالم. ونفوذ
بصره: كناية عن ادراكه لما بعد الموت من احوال الآخرة. وقوله: البصير منها شاحص،
اي العالم منها راحل به قد جعلها طريق سفره الى الله. والاعمى اى: الجاهل اليها
شاحص اى: متطلع اليها بعين بصره وهمه محبتها. وقوله: والبصير منها متزود اى: زاد
التقوى والعمل الصالح. و الأعمى لها متزود اى: جاعل همه اياها فهى: زاده الذى عليه
يعتمد.

مرکز تحقیق و ترویج علوم اسلامی

منها:

وَاعْلَمُوا أَن لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَيَكَادُ صَاحِبُهُ أَنْ يَشْبَعَ مِنْهُ وَيَمَلَّهُ، إِلَّا الْحَيَاةَ فَإِنَّهُ
لَا يَجِدُ لَهُ فِي الْمَوْتِ رَاحَةً، وَإِنَّمَا ذَلِكَ بِمَثَرَةِ الْحِكْمَةِ الَّتِي هِيَ حَيَاةٌ لِلْقَلْبِ الْمَيِّتِ،
وَبَصَرٌ لِلْعَيْنِ الْعَمِيَاءِ، وَسَمْعٌ لِلْأُذُنِ الصَّمَاءِ، وَرَبٌّ لِلظَّمْآنِ، وَفِيهَا الْغِنَى كُلُّهُ وَالسَّلَامَةُ:
كِتَابُ اللَّهِ تُبْصِرُونَ بِهِ، وَتَنْطِقُونَ بِهِ، وَتَسْمَعُونَ بِهِ، وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى
بَعْضٍ، وَلَا يَخْتَلِفُ فِي اللَّهِ، وَلَا يَخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ اللَّهِ.

قَدْ أَضْطَلَحْتُمْ عَلَى الْغَيْلِ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَنَبَتِ الْمَرْعَى عَلَى دِمْنِكُمْ، وَتَصَافَيْتُمْ عَلَى حُبِّ
الْأَمْوَالِ، وَتَعَادَيْتُمْ فِي كَسْبِ الْأَمْوَالِ، لَقَدْ أَسْتَهَامَ بِكُمْ الْخَبِيثُ وَتَاءَ بِكُمْ الْغُرُورُ، وَاللَّهُ
المُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ.

أقول: قال بعض الشارحين: فقدان الراحة في الموت مخصوص بأهل الشقاوة، وأما أولياء الله فلهم الراحة الكبرى كما قال صلى الله عليه وآله: (ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله). وقال بعضهم: بل هو عام لأن بالموت ينقطع متجر الآخرة والازدياد من الكمالات الباقية، وذلك لا ينافي الخبر لأن بازياد الكمال في الحياة يحصل راحة اعظم مما قبله، ولأن المعارف لما لم تكن ضرورية، لم تتمكن النفوس البشرية مادامت في عالم الغربة من الاطلاع على ما بعد الموت من الأحوال الاخرية، فبالحرى ان يخاف العاقل الموت ويكره سرعته. وان لم تكن له راحة دونه كما نقل عن الحسن بن علي عليهما السلام أنه حين الاحتضار بكى فقال له الحسين عليه السلام: مالي اراك تكاد تجزع مع يقينك بأنك تقدم حيث تقدم على جدك وأبيك؟ فقال: نعم يا اخي لاشك في ذلك، إلا أنني سالك مسلكم أسلكه من قبل.

أقول: لا منافاة بين القولين، لأنه لا راحة في نفس الموت لأحد لكونه مجرد آلام ومخاوف، لكنه مستعقب لراحة أولياء الله ببقائه فكانت فيه راحتهم، وكلامه عليه السلام أشبه بالعموم لأن الولي وغيره لا يجد في الموت راحة حين نزوله. وقوله: إنما ذلك أي: الأمر الذي هو الحق بأن لا يمل ولا يتسع منه إنما هو، أي: بمنزلة الحكمة و اراد: الحكمة نفسها ولا يقتضى الكلام أن شيئاً في منزلتها غيرها. واستعار لها لفظ الحياة: باعتبار أنها تحيي القلب الميت بداء الجهل، و لفظ البصر والسمع: يعين الجاهل واذنه اللتين يستفيد بهما عبرة، و لفظ الظمان: للجاهل المتعطش الى العلم، و لفظ الري: لأنها كالماء في استغناء النفس بها. و كتاب الله: خبر مبتدأ و أما: خبر ثان لذلك. بمنزلة الحكمة: خبر أول، والمبتدأ: محذوف تقديره: وهو، أي: الذي بمنزلة الحكمة كتاب الله، ولا ينافي ذلك ايضاً ان يكون نفسه حكمة وتفسيرا لها.

وقوله: تبصرون به، أي: تهتدون لمقاصدكم الدنيوية والاخرية، وتنطقون به، أي: في الفتوى والاستدلال والقصص ونحوه. وتسمعون به أي: ما ينفعكم من الموعظة الحسنة والعبر النافعة. وينطق بعضه ببعض أي: يفسر بعضا كالمبين للجمل، و المقيد: للمطلق، والخاص: للعام. ويشهد بعضه على بعض أي: يستشهد ببعضه على أن المراد ببعض آخر كذا، وهو كالأذى قبله. وقوله: ولا يختلف في الله، أي: لا يختلف في الدلالة

على المقاصد الموصلة الى الله، بل كلها متطابقة على ذلك وان تعددت. ولا يخالف بصاحبه عن الله اى: لا يعدل بمن يهتدى به من سبيل الله عن الوصول اليه. واستعار وصف الاصطلاح: لما هم عليه من الغل، وهو الغش والحقد لا تفاق ذلك فى جميعهم و اشتراكهم فيه.

وقوله: ونبت المرعى على دمنكم: مثل يضرب للمتصالحين فى الله مع غلّ القلوب، ووجهه: ان ذلك سريع الزوال لا اصل له كانبات فى الدمن، وهى ما تلبّد من آثار القوم ومرابط انعامهم. والآمال: ما يؤمل كل من صاحبه من نفع عاجل، وهو: الجامع بينهم، وسبب صفائهم فى الظاهر. واستهام بكم الخبيث اى: اشتدّ عشق الشيطان لكم، وذلك تنبيه على ما يظهر منهم من آثار وسوسته، وهو: الفرور ايضا.

١٣٣ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقد شاوره عمر بن الخطاب

فى الخروج إلى غزوة الروم بنفسه

مركز تحقيقات كويتى علوم اسلامية

وَقَدْ تَوَكَّلَ اللَّهُ لِأَهْلِ هَذَا الدِّينِ بِأَعْزَازِ الْحَوَازِ، وَسَرِّ الْعَوَازِ، وَالَّذِي نَصَرَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لَا يَسْتَصِيرُونَ، وَمَنْعَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لَا يَمْتَنِعُونَ؛ حَتَّى لَا يَمُوتَ إِنَّكَ مَتَى تَسِرْ إِلَى هَذَا الْعَدُوِّ بِنَفْسِكَ فَتَلْقَهُمْ فَتُكَبِّ لَا تَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ كَانْفَةً دُونَ أَقْصَى بِلَادِهِمْ، لَيْسَ بِعَدْلِكَ مَرْجِعُ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ، فَأَبْعَثْ إِلَيْهِمْ رَجُلًا مِخْرَبًا، وَأَحْفِزْ مَعَهُ أَهْلَ الْبَلَاءِ وَالنَّصِيحَةِ، فَإِنْ أَظْهَرَ اللَّهُ فَذَلِكَ مَا تُحِبُّ، وَإِنْ تَكُنِ الْآخِرَى كُنْتَ رِذَاءَ النَّاسِ، وَمَثَابَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ.

أقول: توكل الله لأهل دينه: وعده آياهم بالتصير والأعزاز. والحوزة: الناحية، وكنى بعورتهم: عن حريمهم وحماتهم. وكنفه: حفظه وآواه. والمحرب: بكسر الميم، وفتح الراء، الرجل صاحب حروب. واحفز معه اى: إُدفع. واهل البلاء: هم الذين اختبروا و جربوا. و اظهر الله: نصر. والردء: العون. والمثابة: المرجع.

١٣٤ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قد وقعت مشاجرة بينه وبين عثمان فقال المغيرة ابن الأحنس لعثمان: أنا أكفيك. فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

يَا أَبْنَ اللَّعِينِ الْأَبْتَرِ، وَالشَّجَرَةَ الَّتِي لَا أَصْلَ لَهَا، وَلَا فَرْعَ، أَنْتَ تَكْفِينِي! وَاللَّهِ مَا أَعَزَّ اللَّهُ مَنْ أَنْتَ نَاصِرُهُ، وَلَا قَامَ مَنْ أَنْتَ مُنْهَضُهُ؛ أَخْرُجْ عَنَّا أَبَعَدَ اللَّهُ نَوَاكَ، ثُمَّ أَبْلُغْ جَهْدَكَ فَلَا أَبْقَى اللَّهُ عَلَيْكَ إِنْ أَبْقَيْتَ.

أقول: الأبتَر: كل امرء انقطع من الخير اثره. والنوى: القصد الذى ينويه المسافر. و روى: نوك، و النوى: لغة فى النأى وهو: البعد. واستعار لفظ الشجرة: لبيته، و كنى عن سقوط اصله: بنفى اصلها وفرعها. ولا ابقى الله عليه اى: لاراعاه ولا رحمه.

١٣٥ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَمْ تَكُنْ بِيَعْتُكُمْ إِتَايَ فَلْتَمَّ، وَلَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ وَاحِدًا: إِنِّي أُرِيدُكُمْ بِاللَّهِ، وَأَنْتُمْ تُرِيدُونِي لِأَنْفُسِكُمْ! أَيُّهَا النَّاسُ، أَعِينُونِي عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَأَيْمُ اللَّهِ لَا نُصِفَنَّ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ، وَلَا قُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ، حَتَّى أُوْرِدَهُ مِنْهَلِ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهَا.

أقول: الفلته: وقوع الأمر من غير تدبر ولا روية. وفيه ايماء الى بيعة ابى بكر حيث قال عمر: (كانت بيعة ابى بكر فلته وقى الله شرها) وقوله: وليس امرى وامركم واحدا، اى: وليس مقصدى ومقصدكم واحدا، وبين ذلك الفرق بقوله: انى اريدكم، الى قوله: لأنفسكم، اى: لحظوظ انفسكم من العطاء، وسائر منافع الدنيا. وقوله: اعينونى على انفسكم اى: على قهر انفسكم الأمانة، وذلك بموافقتى على العمل بطاعة الله. والخزامة: حلقة من شعر يجعل فى وتره انف البعير يشد فيها زمامه، وهو كناية: عن قوده للظالم ذليلا طائعا. والمنهل: المورد.

١ - الصواعق المحرقة / ٣٦. الغدير / ٥ / ٣٧٠ و ج ٧ / ٧٩.

١٣٦ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فِي مَعْنَى طَلْحَةَ وَالزَّبِيرَ

وَاللَّهُ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَرًا، وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَصَفًا، وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقَّاهُمْ تَرْكُوهُ، وَدَمَاهُمْ سَفْكُوهُ؛ فَإِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ نَصِيبَهُمْ مِنْهُ؛ وَإِنْ كَانُوا وُلُوهُ ذُنُوبِي فَمَا الظَّلِيَّةُ إِلَّا قَيْلُهُمْ، وَإِنَّ أَوَّلَ عَدْلِهِمْ لِلْحُكْمِ عَلَيَّ أَنْفُسِهِمْ، وَإِنَّ مَعِيَ لِبَصِيرَتِي: مَا لَبَسْتُ وَلَا لُبْسَ عَلَيَّ، وَإِنَّهَا لَلْفِئَةِ الْبَاغِيَّةِ فِيهَا الْحَمَا وَالْحَمَةُ، وَالشُّبْهَةُ الْمَغْدِقَةُ، وَإِنَّ الْأَمْرَ لَوَاضِحٌ وَقَدْ زَاغَ الْبَاطِلُ عَنْ نِصَابِي، وَأَنْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ شَعْبِي، وَأَيْمُ اللَّهِ لَا أَقْرَظَنَّ لَهُمْ حَوْضًا أَنَا مَا تَحُهُ: لَا يُضِدُّونَ عَنْهُ بَرِيًّا، وَلَا يَعْبُونَ بَعْدَهُ فِي حَسِي.

أقول: النصف: النصفة. والحق. والدم: دم عثمان. والطلبية: المطلوب. وقوله: وإن أول عدلهم أي: إن كان لهم عدل وطلب حق، وبصيرته، عقله وعلمه، والبصيرة أيضا: البرهان، وفي تعريفه للفئة تنبيه على أنه كان حالها معلوما من رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما ظهرت إشار إليها بما عهدته منها. واستعار لفظ الحمأ وهو الطين المتغير: للغل والحسد في صدور القوم له، ووجه المشابهة استلزام ذلك لتكدير صفاء المسلمين كالحمأ. ولفظ الحممة: بضم الحاء والتخفيف وهو: سم العقرب، لذلك باعتبار ما يلزمه من الأذى. وروى: الحممة مشددا وهو السواد، واران به: ظلمة جهلهم وشبهتهم ولذلك وصفها بالمغدفة وهي: الظلمة، لأنها لا يهتدى فيها للحق. وقوله: وإن الأمر واضح، أي: امر تلك الشبهة. والنصاب: الأجل واران: أن باطلهم لا اصل له، وقوله: فيه منقطع عنه. ولأقراظن أي: لأملأن. واستعار لفظ الحوض: لاستعداده في حربهم. والعب: شرب الماء من غير مص. والحسي: موضع يحفر ليجتمع فيه الماء.

منه :

فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ الْعُوذِ الْمَطَافِيلِ عَلَيَّ أَوْلَادِيهَا، تَقُولُونَ: الْبَيْعَةُ الْبَيْعَةُ!! قَبَضْتُ يَدِي فَبَسَطْتُ مَوْهَا، وَنَارَ عُنُقِكُمْ يَدِي فَجَذَبْتُ مَوْهَا، اللَّهُمَّ إِنَّهُمَا قَطَعَانِي وَظَلَمَانِي، وَنَكَثَا بَيْعَتِي،

وَأَلْبَا النَّاسَ عَلَيَّ، فَاحْلُلْ مَا عَقَدَا، وَلَا تُحْكِمْ لَهُمَا مَا أُبْرَمَا، وَأَرْهِمَا الْمَسَاءَةَ فِيمَا أَمَلَا
وَعَمِلَا، وَلَقَدْ اسْتَبْتُهُمَا قَبْلَ الْقِتَالِ، وَأَسْتَأْنَيْتُ بِهِمَا أَمَامَ الْوِقَاعِ، فَغَمَطَا النِّعْمَةَ، وَرَدَا الْعَافِيَةَ.

أقول: العوذ: جمع عائد بالذال المعجمة، وهي: كل انشى قريبة العهد بالولادة
وهي: لسبعة ايام الى عشرة ايام، وخمسة عشريوما، ثم هي: مطفل اي ذات طفل، و
الجمع مطافيل، والضمير في انهما لطلحة، والزبير. والتأليب: التحريض. وما عقدها و
ما ابرماه اي: من الآراء، والعزوم في حربه. واستبتهما اي: طلبت انايتهما الى الحق،
وروى بالتاء من التوبة اي: من ذنبهما في نكث بيعته. واستأنت: توقفت. وغمطا
النعمة: احتقراها وبطراها. وردا العافية اي: من البلاء بالحرب.

١٣٧ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فِي ذِكْرِ الْمَلَا حِمٍ

يَعْطِفُ الْهُوَى عَلَى الْهُدَى إِذَا عَظَفُوا الْهُدَى عَلَى الْهُوَى، وَيَعْطِفُ الرَّأْيَ عَلَى الْقُرْآنِ
إِذَا عَظَفُوا الْقُرْآنَ عَلَى الرَّأْيِ.

اقول: الاشارة هنا، الى الامام المنتظر الموعود به، في الخبر والاثر. فعطفه الهوى
على الهدى: عرضه لميول النفس الامارة على قوانين الحق وردها اليها، وكذلك
عطف الرأي على القرآن رده اليه.

منها:

حَتَّى تَقُومَ الْحَرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاقٍ بَادِيًا نَوَاجِدُهَا، مَمْلُوءَةٌ أَخْلَافُهَا، حُلُوءًا رِضَاغُهَا،
عَلَقَمًا عَاقِبَتُهَا. الْأَوْفَى غَدِيٍّ - وَسَيَّاتِي غَدًا بِمَا لَا تَعْرِفُونَ - يَأْخُذُ الْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَّالَهَا عَلَى
مَسَاوِيءِ أَعْمَالِهَا، وَتُخْرِجُ لَهُ الْأَرْضَ مِنْ أَفَالِيدِ كَبِدِهَا، وَتَلْقَى إِلَيْهِ سِلْمًا مَقَالِيدِهَا،
فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدْلُ السَّيرَةِ، وَيُخَيِّبُ مَيْتَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

أقول: قيامها على ساق، كناية عن غاية شدتها، وكذلك بذونواجدها: ملاحظة لشبهها بالسُّع عند غضبه. ومملوءة اخلافها: كناية عن تمام استعدادها برجالها وآلاتها كاستكمال الضرع اللبن، واخلاف الناقة: حلقات ضرعها. واستعار لفظ الحلو: للدخول فيها، باعتبار اقبال أهل النجدة عليها. ولفظ العلقم: لعاقبتها، لما يجده الناس بعدها من الهلاك والضعف. وقوله: الا وفي غد: اخبار بما سيكون من امر الامام المنتظر، وهو المراد بالوالى. وقوله: من غيرها: يشبه ان يكون قد سبقه ذكر طائفة من الناس او البلاد ذات ملك وامرة، فأخبر عليه السلام: انّ الوالى من غير تلك الطائفة، وهو الامام عليه السلام يأخذ عمالها بذنوبهم. الأفاليد: جمع للفلذة، وهى: القطعة من الكبد. واستعار لفظ الكبد: لما فى الارض من الكنوز باعتبار خفائها وعزتها كالأكباد فى الأجساد. والمقاليد: الخزائن. وميت الكتاب والسنة: مستعار لما ترك منهما. فان قلت قوله: ويريكم يدلّ على انّ المخاطبين يدركونه مع انكم زعمتم انه يكون فى آخر الزمان فكيف ذلك؟ قلت: خطاب المحاضرين عام اوفى حكم العام، كسائر خطابات القرآن الكريم مع الصحابة، المتناول لمن وجد الى يوم القيامة ثم يخرج المخاطبون بدليل العقل.

مركز تحقيقات كويتى علوم اسلامية

منها:

كَأَنِّي بِهِ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ وَفَحَصَ بِرَأْيَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ، فَعَظَفَ إِلَيْهَا عَظَفَ الضَّرُوسِ وَفَرَشَ الْأَرْضَ بِالرُّءُوسِ، قَدْ فَعَّرَتْ فَاغْرَبَتْهُ وَثَقُلَتْ فِي الْأَرْضِ وَطَأَّتُهُ، بَعِيدَ الْجَوْلَةِ، عَظِيمَ الصَّوْلَةِ. وَاللَّهُ لِيُشَرِّدَنَّكُمْ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ، حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا قَلِيلٌ، كَالْكُحْلِ فِي الْعَيْنِ؛ فَلَا تَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى تَوُوبَ إِلَى الْعَرَبِ عَوَازِبُ أُخْلَامِهَا، فَالزَّمُوا السُّنَنَ الْقَائِمَةَ، وَالْآثَارَ الْبَيِّنَةَ، وَالْعَهْدَ الْقَرِيبَ الَّذِي عَلَيْهِ بَاقِي النُّبُوءَةِ، وَأَعْلَمُوا أَنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ لِيَتَّبِعُوا عَقِبَهُ.

أقول: قيل: الاشارة الى عبد الملك بن مروان، لانه ظهر بالشام حين جعله أبوه الخليفة من بعده، و سار الى الكوفة لقتال مصعب بن الزبير فقتله ودخل الكوفة، وبعث

الحجاج الى ابن الزبير فقتله، وهدم الكعبة^١، وقتل خلقا كثيرا من العرب فى وقائع
عبدالرحمان بن الأشعث ورمى الناس بالحجاج.

ونعق: صاح، وهو كناية عن دعوته. وفحص الطير التراب: قلبه. وضواحي
كوفان: نواحي الكوفة البارزة. وفحصه براياته: كناية عن تقليبه لأموال الكوفة وأهلها
بسطوته وبأسه. والضروس: الناقة سيئة الخلق تعض حالبها. ووجه شبه عطفه على الكوفة
بعطف الضروس: شدة الحنق والغضب. وفغرت فاغرت: انفتح فوه، هو كناية: عن اقباله
بالأذى كالسبع الصائد، واكد الفعل بذكر الفاعل من لفظه. وكتى بثقل وطأته: عن شدة
بأسه، وبعد جولته: عن اتساع تصرفه وتملكه و جولانه فى البلاد البعيدة. وبعيد وعظيم:
حالان. وروى: رفعهما خبرى مبتدأ وعواذب احلام العرب: ما كان ذهب من عقولها
العملية فى نظام احوالهم فى الاجتماع، والعرب قيل: هم بنو العباس، ومن نصرهم ايام
ظهور دولتهم كقحطبة بن شبيب الطائى، وبنى زريق وغيرهم. ويُسنى: يسهل.

١٣٨ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

مرزقي وقت الشورى

لَنْ يُشْرَعَ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَى دَعْوَةِ حَقٍّ، وَصَلَةِ رَجِيمٍ، وَعَائِدَةٍ كَرِيمٍ، فَاسْمَعُوا قَوْلِي، وَعُوا
مَنْطِقِي، عَسَى أَنْ تَرَوْا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِ هَذَا الْيَوْمِ تُنْتَضَى فِيهِ السُّيُوفُ، وَتُخَانَ فِيهِ
الْعُهُودُ، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُكُمْ أَيْمَةً لِأَهْلِ الضَّلَالَةِ، وَشِيعَةً لِأَهْلِ الْجَهَالَةِ.

اقول: اشار الى بعض فضائله لغاية سماع قوله: والذى يأمرهم بسماعه: هو التنبيه
على عاقبة أمر الخلافة وما يقع فيها من الهرج والمرج بعدهم.

١ - من هنا الى آخر السطر لم يكن في نسخة ش.

١٣٩ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فِي النَّهْيِ عَنِ غَيْبَةِ النَّاسِ

وَإِنَّمَا يَسْتَبْغِي لِأَهْلِ الْعِصْمَةِ، وَالْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِي السَّلَامَةِ، أَنْ يَرْحَمُوا أَهْلَ الذُّنُوبِ
وَالْمَعْصِيَةِ، وَيَكُونَ الشُّكْرُ هُوَ الْغَالِبَ عَلَيْهِمْ، وَالْحَاجِزَ لَهُمْ عَنْهُمْ فَكَيْفَ بِالْغَائِبِ الَّذِي
غَابَ أَخَاهُ، وَعَيْرُهُ سَبَلُواهُ؟! أَمَا ذَكَرَ مَوْضِعَ سَرِّ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ
الَّذِي غَابَهُ بِهِ!! وَكَيْفَ يَدُمُّهُ بِذَنْبٍ قَدْرِكَبٍ مِثْلَهُ! فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ ذَلِكَ الذَّنْبَ بِعَيْنِهِ فَقَدْ
عَصَى اللَّهَ فِيمَا سِوَاهُ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ. وَإِنَّمَا اللَّهُ لَيْسَ لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِي الْكَبِيرِ وَعَصَاهُ
فِي الصَّغِيرِ لَجَرَاءَتِهِ عَلَى عَيْبِ النَّاسِ أَكْبَرُ.

يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَا تَعْجَلْ فِي عَيْبِ أَحَدٍ بِذَنْبِهِ فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ، وَلَا تَأْمَنْ عَلَى نَفْسِكَ صَغِيرًا
مَعْصِيَةً فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ، فَلْيَكْفُفْ مَنْ عِلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ؛
وَلْيَكُنِ الشُّكْرُ شَاغِلًا لَهُ عَلَى مُعَافَاتِهِ مِمَّا آتَى بِهِ غَيْرُهُ.

أقول: اهل العصمة: هم الذين أعانهم الله على قهر نفوسهم الامارة فملكوها.
والمصنوع اليهم اى: من اصطنع الله عنده نعمة السلامة من الذنوب، ورحمتهم لأهل
الذنوب: تظهر فى كفهم عن عيبتهم، واعانتهم على الخروج منها بصالح القول. وقوله:
فكيف بالغائب اى: اذا كان اهل السلامة فينبغى لهم ان يرحموا اهل الذنوب ويشغلوا
بشكر الله عن عيبتهم، فكيف يليق العيب من غيرهم من الناس، و اراد بما هو اعظم عيبه
لأخيه لان الغيبة من الكبائر، وجعلها اكبر مبالغة او بالنسبة الى بعض الكبائر.

١٤٠ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ عَرَفَ مِنْ أُخِيهِ وَثِيقَةَ دِينٍ، وَسَدَادَ طَرِيقٍ؛ فَلَا يَسْمَعَنَّ فِيهِ أَقَاوِيلَ
الرِّجَالِ، أَمَا إِنَّهُ قَدْ يَرْمِي الرَّامِيَّ وَتُخْطِئُ السَّهَامُ، وَيَجْحِلُ الْكَلَامُ، وَبَاطِلُ ذَلِكَ يَبُورُ، وَاللَّهُ
سَمِيعٌ وَشَهِيدٌ. أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْبَاطِلِ وَالْحَقِّ إِلَّا أَرْبَعُ أَصَابِعٍ.

قال الشريف: فسئل عليه السلام عن معنى قوله هذا، فجمع أصابعه ووضعها بين أذنه وعينه، ثم قال: الْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ سَمِعْتُ، وَالْحَقُّ أَنْ تَقُولَ رَأَيْتُ.

أقول: حاصل الفصل: التهي عن التسرع الى سماع الغيبة. وقوله: اما انه، اى قوله: يبور: تنبيه على قوة اذى الكلام وانه اشد من الرمي بالسهام، اذ السهام قد تخطى ولا تؤثر، والكلام لا يبد ان يؤثر. وحاك واحاك اى: اثر، ويروى يحيل باللام اى: يبطل. وقوله: ذلك يبور اى: العرض منه يهلك من مال اوجاه ونحوه. وقيل: الباطل من ذلك القول يهلك ولا ينتفع به ويبقى شهادة الله وجزاؤه عليه. وقوله: الباطل ان يقول سمعت: ليس بكلى بل كلام خطابى مهمل بصدق يجزى.

١٤١ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

وَلَيْسَ لِوَأَضِيعِ الْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ، وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِيهِ، مِنْ الْحَظِّ إِلَّا مَحْمَدَةُ اللَّيَامِ، وَتَنَاءُ الْأَشْرَارِ، وَمَقَالَةُ الْجُهَالِ مَا دَامَ مُنْعِمًا عَلَيْهِمْ. «مَا أَجُودَ يَدُهُ» وَهُوَ عَنِ ذَاتِ اللَّهِ بِخَيْلٍ!! فَمَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَا لَا فَلَْيَصِلْ بِهِ الْقَرَابَةَ، وَلِيَحْسِنْ مِنْهُ الضِّيَافَةَ، وَلِيَتَّقْ بِهِ الْأَسِيرَ وَالْعَانِيَّ وَلِيُعْطِ مِنْهُ الْفَقِيرَ وَالْغَارِمَ، وَلِيَتَضَبَّرَ نَفْسَهُ عَلَى الْحُقُوقِ وَالنَّوَائِبِ ابْتِغَاءَ الثَّوَابِ؛ فَإِنَّ قُوْرًا بِهَذِهِ الْخِصَالِ شَرَفٌ مَكَارِمِ الدُّنْيَا، وَدَرْكٌ فَضَائِلِ الْآخِرَةِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

أقول: غرض الفصل: التنبيه على مواضع المعروف التي ينبغي صرف المعروف فيها. وغير حقه اى: غير وجهه الذى ينبغي صرفه فيه، وفيما اتى، اى: فيما فعل من المعروف وارشد من مواضعه الى خمسة. والعانى هو: الأسير. والغارم من عليه الدين. والنوائب: ما ينوب الانسان مما يوجب غرمه كالمصادرات ونحوها. و اراد بالخصال: مواقع المعروف المذكورة فانها فضائل داخله تحت فضيلة الكرم والمواظبة عليها تصيرها ملكات و اخلاقا محمودة. ونكر الفوز: لتفيد شياعا دون تقيده باللام لابهامه الخصوص والجزئية واحتماله لهما.

١٤٢ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فِي الاسْتِسْقَاءِ

أَلَا وَإِنَّ الْأَرْضَ الَّتِي تَحْمِلُكُمْ وَالسَّمَاءَ الَّتِي تُظِلُّكُمْ، مُطِيعَتَانِ لِرَبِّكُمْ، وَمَا أَصْبَحْنَا
تَجُودَانِ لَكُمْ بِبِرْكَتِهِمَا تَوْجَعًا لَكُمْ، وَلَا زُلْفَةً إِلَيْكُمْ، وَلَا لِخَيْرٍ تَرْجُوْنِيهِ مِنْكُمْ، وَلَكِنْ أَمْرًا
بِمَنَافِعِكُمْ فَأَطَاعَتَا، وَأَقِيمَتَا عَلَى حُدُودِ مَصَالِحِكُمْ فَأَقَامَتَا.

إِنَّ اللَّهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ، وَحَبْسِ الْبَرَكَاتِ وَإِغْلَاقِ
خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ، لِيَسْتُوبَ تَائِبٌ، وَيُقْلِعَ مُقْلِعٌ، وَيَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ، وَيَرُدَّ جِرْمُ مُرْدَجِرٍ! وَقَدْ جَعَلَ
اللَّهُ الْإِسْتِغْفَارَ سَبَبًا لِدُرُورِ الرِّزْقِ وَرَحْمَةً الْخَلْقِ، فَقَالَ: (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا؛
يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ) فَرَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ،
وَاسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ، وَبَادَرَمِيئَتَهُ.

اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ الْأَشْتَارِ وَالْأَكْتَانِ، وَبَعْدَ عَجِيجِ الْبَهَائِمِ وَالْوِلْدَانِ،
رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ، وَرَاجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ. وَخَائِفِينَ مِنْ عَذَابِكَ وَنِقْمَتِكَ.
اللَّهُمَّ فَاسْقِنَا غَيْثَكَ، وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ، وَلَا تُهْلِكْنَا بِالسَّنِينِ، وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا
فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ، نَشْكُو إِلَيْكَ مَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ، حِينَ الْجَائِنَا الْمَصَاقِبُ
الْوَعْرَةَ، وَأَجَاعَتْنَا الْمَقَاحِظَ الْمُجْدِبَةَ، وَأَغْيَيْتَنَا الْمَطَالِبُ الْمُتَعَسِّرَةَ، وَتَلَاَحَمْتَ عَلَيْنَا الْفِتْنَ
الْمُسْتَضْعِبَةَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ لَا تَرُدَّنَا خَائِبِينَ، وَلَا تَقْلِبْنَا وَاجِمِينَ، وَلَا تُخَاطِبُنَا بِذُنُوبِنَا،
وَلَا تُقَايِسُنَا بِأَعْمَالِنَا.

اللَّهُمَّ أَنْشُرْ عَلَيْنَا غَيْثَكَ وَبَرَكَتَكَ، وَرِزْقَكَ وَرَحْمَتَكَ، وَاسْقِنَا سُقْيَانَا فِئَةً مُرَوِيَةً مُعْشِبَةً؛
تُنْبِتُ بِهَا مَا قَدْ فَاتَ، وَتُحْيِي بِهَا مَا قَدْ مَاتَ، نَافِعَةً الْحَيَا كَثِيرَةَ الْمُجْتَنَى، تُرْوِي بِهَا
الْقِيَعَانَ، وَتُسِيلُ الْبُطْنَانَ، وَتَسْتَوِرُقُ الْأَشْجَارَ، وَتُرَخِّصُ الْأَسْعَارَ؛ إِنَّكَ عَلَى مَا تَشَاءُ قَدِيرٌ.

أقول: نَبّه بقوله: الا وانّ الأرض، الى قوله: فقامتا: على أنّهما ليستا مبدأين أوليين للرزق، بل هما مطيعتان لله في اخراجهما الرزق للحيوان، وهو الذي جعل السماء كالأب بارسالها مداراراً، وجعل الارض كالأم في قبولها للماء واستعدادها به للنبات، واخرج منها رزق العباد كما قال تعالى: (فلينظر الانسان الى طعامه) الى قوله: (متاعا لكم ولأنعامكم)^١ وطاعتهما: دخولهما تحت تصرف قدرته، وامرهما بمنافعهم، واقامتهما على حدود مصالحهم حكم العناية الألهية عليهما باخراج هذه المنافع، وجعلها وفق مصالح الحيوان وقيامهما وطاعتهما وجود ذلك منهما حسب مقتضى القدرة الألهية. والزلفة: المنزلة. وقوله: انّ الله، الى قوله: مزدجر: تنبيه على سبب حبس المطر، ووجه الحكمة الألهية في ابتلاء الخلق بما ذكره، وهو كقوله تعالى: (ولنبلونكم بشيء من الخوف)^٢ الآية. والاقلاع عن السيئة: الرجوع عنها. وقوله: وقد جعل الله، الى قوله: مداراراً: تنبيه على وجه الخلاص من الابتلاء المذكور، وذلك هو الاستعداد بالاستغفار والمبادرة: المسابقة بالعمل الصالح. والعجيج: رفع الصوت بالحنين والبكاء. والقنوط: اليأس. وتلاحمت: اتصلت. والواجم: الذي اشتد حزنه، ومقايستهم بأعمالهم: جزاؤهم بما يشبهها ويقايسها من السيئة، والنافعة: المروية. والقيعان: جمع قاع وقوع وهو: المستوى من الارض. والبطنان: جمع بطن، وهو: المنخفض من الارض. وباقي الفصل ظاهر.

١٤٣ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ، وَجَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَى خَلْقِهِ؛ لِئَلَّا تَجِبَ الْحُجَّةُ لَهُمْ بِشَرِكِ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ، فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ الصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ. أَلَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَشَفَ الْخَلْقَ كَشْفَةً، لِأَنَّهُ جَهَلَ مَا أَخْفَوُهُ مِنْ مَصُونِ أَسْرَارِهِمْ وَمَكْتُونِ ضَمَائِرِهِمْ؛ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا؛ فَيَكُونَ الثَّوَابُ جَزَاءً، وَالْعِقَابُ بَوَاءً، أَيُّنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا؟ كَذِبًا وَبَغْيًا عَلَيْنَا أَنْ رَفَعْنَا اللَّهَ وَوَضَعَهُمْ، وَأَعْظَانَا وَحَرَمَهُمْ،

١ - سورة عبس / ٢٤ الى ٣٢.

٢ - سورة البقرة / ١٥٥.

وَأَدْخَلْنَا وَأَخْرَجَهُمْ، بِنَا يُسْتَعْطَى الْهُدَى، وَيُسْتَجَلَى الْعَمَى، إِنَّ الْأُئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ: لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ، وَلَا تَصْلُحُ الْوَلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ.

أقول: الضمير في قوله: لهم و اليهم: للخلق رهو اشارة الى قوله تعالى: (رسلا مبشرين و منذرين) ^١ الآية. و لسان الصدق: دعوته صلى الله و آله المؤيدة بالمعجزات الباهرة. و سبيل الحق: شريعته القائدة الى الله. و البواء: الجزاء. و اما الذين زعموا انهم الراسخون في العلم: فان جمعا من الصحابة كان كل منهم يدعي الأفضلية في فن من العلم، فمنهم من كان يدعى انه أفرض، و منهم من كان يدعى انه اقرأ، و منهم من كان يدعى انه أعلم بالحلال و الحرام، و رروا: افرضكم زيد بن ثابت، و اقرأكم ابي، و رروا: مع ذلك: اقضاكم علي ^٢.

و لما كان القضاء مستجمعا لأنواع العلوم لزمه انه افضل، لأستجماعه ما تفرق فيهم من الفضائل، فعلم صدقه في تكذيبهم. و ان: في محل النصب بالمفعول به، و هو اشارة: الى العلة الحاملة لهم على تكليف هذه الدعوى. و اعطانا: الملك و النبوة و ادخلنا: في عنايته الخاصة بنا. و استعار لفظ العمى: للجهل. و قوله: ان الأئمة من قريش: نص متفق عليه من النبي صلى الله عليه و آله، و تخصيص ذلك بهذا البطن من هاشم نص منه يجب اتباعه لعصمته، و لقول الرسول صلى الله عليه و آله في حقه (انه لمع الحق و ان الحق معه يدور حيث دار) ^٣ و الاشارة بهذا البطن: الى ولده الأحد عشر بنص كل منهم على من بعده.

منها:

أَثَرُوا عَاجِلًا، وَأَخْرُوا آجِلًا؛ وَتَرَكَوا صَافِيًا، وَشَرِبُوا آجِنًا كَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى فَاسِقِيهِمْ وَقَدْ صَحِبَ الْمُتَكَبِّرَ فَأَلْفَهُ وَبَسِيَءَ بِهِ وَوَأَفَقَهُ، حَتَّى شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ، وَصُبِغَتْ بِهِ خَلَائِقُهُ! ثُمَّ أَقْبَلَ مُزِيدٌ أَكَاثِيَارَ لَأْيَبَالِي مَاغْرَقَ، أَوْ كَوَفَّعَ النَّارِي هَاشِمٍ لَأَيَحْفِلُ مَا حَرَّقَ!! أَيْنَ الْعُقُولُ

١ - سورة النساء / ١٦٥.

٢ - الغدير ٣/ ٩٦. مطالب السؤل ١/ ٢٣. الاستيعاب ٣/ ٣٨. هامش الاصابة. الرياض النضرة، ١٩٨/ ١١٥. تاريخ الخلفاء/ ١١٥.

٣ - الغدير ٣/ ١٧٦ - ١٧٠ و قد اخرج الحديث جمع من الحفاظ و الاعلام.

المُسْتَضْبِحَةُ بِمَصَابِيحِ الْهُدَى؟ وَالْأَبْصَارُ اللَّامِحَةُ إِلَى مَنَارِ التَّقْوَى؟ أَيْنَ الْقُلُوبُ الَّتِي
 وَهَبَتْ لِلَّهِ وَعُوقِدَتْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ؟ أَرَدَحَمُوا عَلَى الْحُطَامِ، وَتَشَاحُوا عَلَى الْحَرَامِ، وَرَفَعَ لَهُمْ
 عِلْمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَصَرَفُوا عَنِ الْجَنَّةِ وُجُوهَهُمْ وَأَقْبَلُوا إِلَى النَّارِ بِأَعْمَالِهِمْ؛ وَدَعَا لَهُمْ رَبُّهُمْ
 فَتَفَرُّوا وَوَلَّوْا، وَدَعَا لَهُمُ الشَّيْطَانُ فَاسْتَجَابُوا وَأَقْبَلُوا.

اقول: الإشارة: الى بنى امية ومن تبعهم ممن خف دينه. والعاجل: متاع الدنيا.
 واستعار لفظ الآجن: باعتبار ما يخالطه من كدر الأعراض والامراض المنقصة. والآجل:
 هو ثواب الآخرة. واستعار لفظ الصافي: باعتبار خلوصه عن الأكدار المذكورة. وفاسقهم:
 يشبه ان يريد به: معيناً قيل: هو عبد الملك بن مروان. وبسئ به: ألفه وانس اليه. وكنى
 بغايته فى ذلك، عن صيرورته ملكة، وخلقاً له، وشبه اقباله فى حركاته الخارجة عن
 الدين: بالبحر الظامى، واستعار له: لفظ المزبد، وكذلك شبه فعله: بوقع النار فى
 الهشيم وهو ما تكثر من نبت الارض بعد يسسه، باعتبار سرعة افساده، وعبثه فى البلاد
 من غير مبالاة بالدين كما قال: (لا يبالى ما حرق). واستعار لفظ مصابيح الهدى و منار
 التقوى اى: اعلاقتها لأئمة الدين اولقوانيينه. ووصف هبة القلوب ومعاقبتها: لقصرها على
 طاعة الله. والضمير فى قوله: ازدحموا: عائد الى من سبق وهو الى آخره ذم لهم، وإنما
 قال: واقبلوا بأعمالهم، ولم يقل: بوجوههم، كما قال: فصرفوا وجوههم، لأن اقبالهم
 بوجوه نفوسهم على لذات الدنيا يستلزم صرفها عن الأعمال الموصلة الى الجنة وذلك
 يستلزم اعراضها عن الجنة.

ثم لما كانت غاية الانسان من الدنيا هو الحصول على لذاتها، وكانت النار لازمة
 للأعمال الموصلة الى تلك الغاية لزوماً عرضياً لم تكن النار غاية ذاتية قد اقبلوا بوجوههم
 وقصورهم اليها، بل كان اقبالهم عليها بأعمالهم المستلزمة لها. وباقى الفصل واضح.

١٤٤ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُّ فِيهِ الْمَنَائِمَا، مَعَ كُلِّ جُرْعَةٍ شَرَقٌ؛

وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ لَا تَنَالُونَ مِنْهَا نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقِ أُخْرَى، وَلَا يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ مِنْكُمْ يَوْمًا مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا بِهَدْمِ آخَرٍ مِنْ أَجْلِهِ، وَلَا تُجَدِّدُهُ زِيَادَةٌ فِي أَكْلِهِ إِلَّا بِتَفَادٍ مَا قَبْلَهَا مِنْ رِزْقِهِ، وَلَا يَحْيَا لَهُ أَثَرُ الْأَمَاتِ لَهُ أَثَرٌ، وَلَا يَتَجَدَّدُ لَهُ جَدِيدٌ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَخْلُقَ لَهُ جَدِيدٌ، وَلَا تَقُومُ لَهُ نَابَةٌ إِلَّا وَتَسْقُطُ مِنْهُ مَحْضُودَةٌ. وَقَدِمَتْ أَصُولٌ نَحْنُ فُرُوعُهَا، فَمَا بَقَاءُ فَرْعٍ بَعْدَ ذَهَابِ أَصْلِهِ!!؟

اقول: استعار لهم لفظ الغرض: لرميهم بسهام المنايا، والانتضال: الرمي: وكتى بالجرعة والاكلة: عن لذات الدنيا، وبالشرق والغصص: عما يلزمها من الاكدار. وقوله: لايبالون، الى قوله: محصورة: فرق لطيف بين لذات الدنيا والآخرة، هو: ان لذات الدنيا لا يمكن ان يجتمع للانسان نوعان منها معًا، لكونها حاصلة من طرق الحواس المختلفة، فعند ما يتوجه النفس الى تحصيل نوع منها ويستغل به، يفارق غيره، ولان ملذاتها زمانية فهي فى معرض الزوال، فلا يكاد يجتمع منها نوعان يستلذ بهما فى حال واحد، بخلاف اللذات الاخروية. واكله: بالهاء وضم الهمزة: ما كوله. والاثر: كالولد، والنباتة والمحصورة: حقيقتان فى النبات، وكتى بهما عما يتجدد للانسان من خير واما يعدم له. والأصول الماضية: الآباء. مركزية تكوير علوم راسدية

منها:

وَمَا أُحْدِثْتُ بِدْعَةً إِلَّا تَرَكْتُ بِهَا سُنَّةً؛ فَاتَّقُوا الْبِدْعَ، وَالزَّمُوا الْمَهْيَجَ، إِنَّ عَوَازِمَ الْأُمُورِ أَفْضَلُهَا، وَإِنَّ مُحَدَّثَاتِهَا شَرَّارُهَا.

أقول: البدعة: كلما احدث فى الدين من غير حجة شرعية، ووجه استلزامها لترك السنة ان تركها من السنة: فارتكابها يستلزم ترك السنة. والمهيج: الطريق الواسع وهى: الشريعة. والعوازم: جمع عوزم و اراد بها: قوائم السنن التى كانت على عهد الرسول صلى الله عليه وآله. ومحدثاتها: هى البدع و كونها شرارا لمخالفتها الدين.

١٤٥ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

لعمر بن الخطاب، وقد استشاره في غزو الفرس بنفسه

إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ وَلَا حِذْلَانُهُ بِكَثْرَةِ وَلَا قِلَّةِ، وَهُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي أَظْهَرَهُ، وَجُنْدُهُ الَّذِي أَعَدَّهُ وَأَمَدَّهُ، حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ وَطَلَعَ حَيْثُمَا طَلَعَ، وَنَحْنُ عَلَى مَوْعُودٍ مِنَ اللَّهِ، وَاللَّهُ مُنْجِزُ وَعْدِهِ، وَنَاصِرٌ جُنْدِهِ. وَمَكَانُ الْقِيَمِ بِالْأَمْرِ مَكَانُ النَّظَامِ مِنَ الْخَرْزِ: يَجْمَعُهُ وَ يَضُمُّهُ، فَإِذَا انْتَقَطَعَ النَّظَامُ تَفَرَّقَ الْخَرْزُ وَذَهَبَ ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحِذَائِهِ أَبَدًا. وَالْعَرَبُ الْيَوْمَ وَإِنْ كَانُوا قَلِيلًا فَهُمْ كَثِيرُونَ بِالْإِسْلَامِ، عَزِيزُونَ بِالْإِجْتِمَاعِ، فَكُنْ قُطْبًا، وَأَسْتَدِرِ الرَّحَى بِالْعَرَبِ وَأَصْلِيهِمْ دُونَكَ نَارَ الْحَرْبِ؛ فَإِنَّكَ إِنْ شَخَصْتَ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ انْتَقَضَتْ عَلَيْكَ الْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَقْطَارِهَا، حَتَّى يَكُونَ مَا تَدْعُ وَرَاءَكَ مِنَ الْعَوْرَاتِ أَهَمَّ إِلَيْكَ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ.

إِنَّ الْأَعَاجِمَ إِنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَدًا يَقُولُوا: هَذَا أَصْلُ الْعَرَبِ فَإِذَا قَطَعْتُمُوهُ اسْتَرَحْتُمْ، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَشَدَّ لِكَلْبِهِمْ عَلَيْكَ، وَظَمِعِهِمْ فِيكَ. فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ مَسِيرِ الْقَوْمِ إِلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ هُوَ أَكْرَهُ لِمَسِيرِهِمْ مِنْكَ، وَهُوَ أَقْدَرُ عَلَى تَغْيِيرِ مَا يَكْرَهُ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ عَدْدِهِمْ فَإِنَّا لَمْ نَكُنْ نُقَاتِلُ فِيمَا مَضَى بِالْكَثْرَةِ؛ وَإِنَّمَا كُنَّا نُقَاتِلُ بِالنَّصْرِ وَالْمَعُونَةِ.

أقول: حتى بلغ ما بلغ أي: من الكثرة والعزة. وطلع حيث طلع: من آفاق البلاد، وموعود الله: في قوله: (وعدا الله الذين آمنوا) إلى قوله: (من بعد خوفهم أمناً) والقيَم بالامر: الامام. وخذافير الشيء: اطرافه جمع حذفار. وقوله: بحدافيره أي: بأسره. واستعار له لفظ القطب ولفظ الرحى: لامور الاسلام او للحرب. والعورات: مواضع المخالفة على الاسلام و أهله. والكلب: الشر. وقد كان ذكر له مسير القوم، وهم: الفرس، في وقعة القادسية الى قتال المسلمين وذكر كثرة عددهم، فأجابه عن هذين الوهمين بضميرين: صغرى الاولى، قوله: فإن الله سبحانه، الى قوله: يكره. وتقدير كبراه: وكل

ما كان اكره له و اقدر على تغييره منك فيجب ان يفوض امره اليه. و صغرى الثانى، قوله: فانا لم نكن، الى آخره، و تقدير كبراه: و كل ما كان كذلك فلا ينبغى ان ينظر الى كثرة العدد و يحفل به..

١٤٦ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

قَبَعَتْ مُحَمَّدًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ، وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ، بِقُرْآنٍ قَدَبَيْتَهُ وَأَحْكَمَهُ، لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهَلُوهُ، وَيُقِرُّوا بِهِ إِذْ جَحَدُوهُ، وَلِيُشَبِّتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ. فَتَجَلَّى لَهُمْ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ: بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ، وَخَوْفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ، وَكَيْفَ مَحَقَّ مَنْ مَحَقَّ بِالْمَثَلَاتِ، وَآخْتَصَدَ مَنْ آخْتَصَدَ بِالنَّقِمَاتِ.

وَإِنَّهُ سَيَاتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَحْفَى مِنَ الْحَقِّ، وَلَا أَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ، وَلَا أَكْثَرَ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ!! وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقٌّ تِلَاوَتِهِ، وَلَا أَنْفَقُ مِنْهُ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلَا فِي الْبِلَادِ شَيْءٌ أَنْكَرُ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَلَا أَعْرَفُ مِنَ الْمُنْكَرِ، فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلْتُهُ، وَتَنَاسَاهُ حَفَظْتُهُ، فَالْكِتَابُ يَوْمئِذٍ وَأَهْلُهُ طَرِيدَانِ مَثْفِيَانِ، وَصَاحِبَانِ مُضْطَجِبَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ لَا يُؤْوِيهِمَا مُوْوٍ!! فَالْكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّاسِ وَلَيْسَا فِيهِمْ وَمَعَهُمْ؛ لِأَنَّ الضَّلَالََةَ لَا تُوَافِقُ الْهُدَى، وَإِنْ اجْتَمَعَا فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْفُرْقَةِ وَأَفْتَرَفُوا عَنِ الْجَمَاعَةِ، كَانَتْهُمْ أَيْمَةُ الْكِتَابِ وَلَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ! فَلَمْ يَتَّقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلَّا أَسْمُهُ، وَلَا يَعْرِفُونَ إِلَّا حَطَّهُ وَزَبْرَهُ!! وَمَنْ قَبِلَ مَا مَثَلُوا بِالصَّالِحِينَ كُلِّ مُثَلَّةٍ، وَسَمَّوْا صِدْقَهُمْ عَلَى اللَّهِ فِرْيَةً، وَجَعَلُوا فِي الْحَسَنَةِ عُقُوبَةَ السَّيِّئَةِ.

وَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ، وَتَغْيِبِ آجَالِهِمْ، حَتَّى نَزَلَ بِهِمُ الْمَوْعُودُ، الَّذِي تُرَدُّ عَنْهُ الْمَعْدِرَةُ، وَتُرْفَعُ عَنْهُ التَّوْبَةُ، وَتَحُلُّ مَعَهُ الْقَارِعَةُ وَالنَّقِمَةُ. أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ مَنْ اسْتَشْصَحَ اللَّهَ وَفَقَّ، وَمَنْ اتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِيلًا هُدًى لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ؛ فَإِنَّ جَارَ اللَّهِ آمِنٌ، وَعَدْوُهُ خَائِفٌ، وَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللَّهِ أَنْ يَتَعَظَّمَ؛ فَإِنَّ رِفْعَةَ

الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا عَظَّمْتَهُ أَنْ يَتَوَاضَعُوا لَهُ، وَسَلَامَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا قُدْرَتُهُ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لَهُ. فَلَا تَنْفِرُوا مِنَ الْحَقِّ نِفَارَ الصَّحِيحِ مِنَ الْأَخْرَبِ، وَالْبَرَىءِ مِنَ ذِي السَّقَمِ، وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكْتُمْ، وَلَنْ تَأْخُذُوا بِمِشَاقِ الْكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضْتُمْ، وَلَنْ تَمْسُكُوا بِهِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَبَذْتُمْ، فَالْتَمِسُوا ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ؛ فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ: هُمُ الَّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ: لَا يَخَالِفُونَ الدِّينَ، وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، فَهُوَ بَيِّنُهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ.

اقول: ذكر اغراض البعثة في معرض مدح الرسول صلى الله عليه وآله، وتجليه سبحانه في كتابه: هو ظهور وجوده لقلوب عباده بالتنبيهات التي اشتمل عليها، كالتنبيه على أنواع المقدورات و اصنافها على كمال قدرته بانواع المبدعات المحكمة على كمال علمه وحكمته، وبالتخويف بالمثلات: وهي العقوبات النازلة بالقرون الماضية، وافنائهم على ان مثل ذلك واقع بهم فتعملوا لما بعد الموت. وأبوراي: اكسد. فاما الكذب على الله و على رسوله: فزوي عن شعبة، وكان امام المحدثين، انه قال: تسعة اعشار الحديث كذب. وعن الدارقطني: ما الحديث الصحيح الا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود. و تلى حق تلاوته اى: وضع مواضعه، وفسر كما هو المراد، و تحريفه عن مواضعه: حملة على غير محامله. و نبذ حملته له: اعراضهم عن تدبر ما فيه والعمل به، و اهله: هم الواعون له العاملون بما فيه. والطريق المصطحبان فيه: طريق الله، واصطحابهما: ملازمة العمل به و اتفاقهما على الدلالة في طريق الله، وهم في الناس و معهم بأبدانهم، والكتاب معهم بألفاظه و كتبه، وليسوا في الناس ولا معهم بقلوبهم، والكتاب بمقاصده و ثمرته، و اشار الى وجه المباينة بينهما و بين الناس: بكونهما على هدى، والناس على ضلالة. والضدان لا يجتمعان في محل واحد هو القلب و ان اجتمعا الاجتماع المذكور. والقوم: اهل زمانه كالخوارج وغيرهم، ومن بعده كأهل الآراء والمذاهب المختلفة. وزبره: كتبه، و شبههم بأئمة الكتاب: في جعله تبعا لأرائهم. وقوله: ومن قبل ما مثلوا بالصالحين، الى قوله: عقوبة السيئة: اشارة الى ما فعل امراء بنى امية، وولاتهم

كعبيد الله بن زياد، والحجاج، ومثل: بالتخفيف والتشديد نكل، والاسم: المثلة، بضم الميم وسكون الشاء. و«ما» مصدرية محلها: الرفع بالابتداء وخبرها: من قبل، و اراد: الذين فعلوا ذلك من قبل، وبالنسبة الى من بعدهم من الداخلين في وصفه. والقارعة: الشديدة. واستنصاح الله تعالى: قبول قوله، واتخاذة دليلا في طريقه التي هي اقوم الطرق. و جارالله: من لزم بابه بالطاعة، و بين معرفة الله وعظمته والتعظيم معاندة لأستلزام معرفة العارف به استصغار نفسه في جنب عظمته، وذلك مناف لتكبره، ولذلك تواضع العارف لعظمته، واستيلاء قدرته واستسلامه له مستلزما لرفعته وسلامته في الدارين، ومعرفة تارك الرشد وناقض الكتاب و نابذه، شرط في المعرفة التامة للرشد، وللتمسك التام بالكتاب و لزوم ميثاقه المأخوذ على العباد في العمل به، لأن المعرفة التامة للشيء، تستدعي معرفة ما عليه من الشكوك والشبهات التي هي سبب نقصان معرفته، والشك فيه، ولما كان الرشد هو الحق الذي هو عليه وتابعوه، والتارك لذلك هم مخالفوه من أئمة الضلال، لاجرم كان من تمام الرشد الذي يدعو اليه، ويتمسك به من الكتاب: معرفة خصومه الذين تركوا الرشد ونقضوا الكتاب، ومعرفة شبههم الباطلة، لتحصل المعرفة على بصيرة.

مركز تحقيقات كويت علوم إسلامية

ولما نبه على تلك المعرفة امر بالتماسها من عند أهلها، و اراد: نفسه و اهل بيته عليهم السلام، و استعار لهم: وصفى عيش العلم اى: حياته، و موت الجهل، باعتبار ان بهم وجود العلم و الانتفاع به، و عدم الجهل والتضرر به، و حكمتهم: منطقهم بالحكمة. ولما كان صمت الحكيم في موضعه كان من جملة حكمته، و ظاهرهم هيئة الخاشعين العابدين، وهو دال على اتصاف نفوسهم بكمال قوتى العلم والعمل. و استعار لفظ الصامت والناطق: للذين باعتبار افادة الاحكام الشرعية منه عند الرجوع اليه و عدمها.

١٤٧ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فِي ذِكْرِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ

كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُوا لِأَمْرِهِ، وَيَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِهِ: لَا يَمُتَانِ إِلَى اللَّهِ بِحَبْلِ،

وَلَا يَمُدَّانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ!! كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلٌ ضَبِّ لِصَاحِبِهِ، وَعَمَّا قَلِيلٍ يُكْشَفُ قِتَاعُهُ بِهِ. وَاللَّهُ لَئِنْ أَصَابُوا الَّذِي يُرِيدُونَ لَيَنْتَزِعَنَّ هَذَا نَفْسَ هَذَا وَلَيَأْتِيَنَّ هَذَا عَلَى هَذَا؛ قَدْ قَامَتِ الْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ فَأَيُّنَ الْمُحْتَسِبُونَ، فَقَدْ سُنَّتْ لَهُمُ السُّنُنُ، وَقُدِّمَ لَهُمُ الْخَبْرُ، وَلِكُلِّ ضَلَّةٍ عِلَّةٌ، وَلِكُلِّ نَاكِثٍ شُبْهَةٌ، وَاللَّهُ لَا أَكُونُ كَمُسْتَمِعِ اللَّدْمِ، يَسْمَعُ النَّاعِيَ وَيَحْضُرُ الْبَاكِيَ.

أقول: يشير الى: طلحة والزبير. والأمر: امر الأمانة. ويعطفه: يجذبه اليه، و اراد: انهما مختلفان في نفس الأمر و ان اتفقا على خلافه، وليس غرضهما ما زعماه من انكار المنكر. و متّ بكذا: توسّل به. والضّبّ: الحقد والغل. و استعار لفظ القناع: لظاهرة الساتر لباطنه. و قد نقل انهما اختلفا قبل الحرب في اللاحق بالتقديم في الصلاة حتى اقامت عائشة محمد بن طلحة، و عبدالله بن الزبير، يصلي بالناس هذا يوما، و هذا يوما، و ادعى كل واحد منهما كونه احقّ بشبهة ذكرها، فامرت الناس ان يسلموا عليهما جميعًا بالأمره و هم الفئة الباغية هاهنا. و المحتسبون: طالبوا الأجر والثواب من الله. و الخبر الذي قدّم لهم: ما اخبر به الرسول صلى الله عليه و آله بقوله: يا علي انك ستقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين^١. والمراد: ان من سمع هذا الخبر من طالبى ثواب الله، و جب عليه قتال هؤلاء لنكتهم.

و قوله: و لكل ضلّة علة، الى قوله: شبهة: كالجواب لمن عساه يقول: انهم يحتجون بكذا. واللّدم: الضرب على الصدر و الوجه و نحوه، و اراد: أنه بعد علمه بقصد هؤلاء لقتاله بامارات ظاهرة، لا ينام عنهم حتى توافوه فيكون فى الغرور كمستمع اللدم، و البكاء الذى هو مظنة الخطر ثم لا يصدق حتى يحضر الباكي ليشهد الحال، فيسلم نفسه للعدو و قد كان الاولى ان يكتفى بذلك السماع و يستعدّ للقائه و الهرب منه.

١ - اسد الغابة ٤/٣٣. تاريخ بغداد ١٣/١٨٦. كنز العمال ٦/٨٨. كفاية الطالب ١٦٧/١٦٧. الغدير ٣/١٩٢ ووج

٣٠٨/٩. فضائل الخمسة ٢/٣٥٨. مستدرک الصحيحين ٣/١٣٩.

١٤٨ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

قبل موته

أَيُّهَا النَّاسُ، كُلُّ أَمْرٍ لَاقِيَ مَا يَفِرُّ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ، وَالْأَجَلُ مَسَاقُ النَّفْسِ وَالْهَرَبُ مِنْهُ مُوَافَاتُهُ. كَمْ أَطْرَدْتِ الْإَيَّامَ أَنْحَثَهَا عَنْ مَكُونِ هَذَا الْأَمْرِ قَابِي اللَّهِ إِلَّا إِخْفَاءَهُ. هَيْهَاتَ! عِلْمٌ مَخْرُونٌ، أَمَّا وَصِيَّتِي فَاللَّهُ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا؛ وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ. أَقِيمُوا هَذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ، وَأَوْقِدُوا هَذَيْنِ الْمِضْبَاحَيْنِ، وَخَلَاكُمْ دَمٌ مَالَمْ تَشْرُدُوا. حَمَلٌ كُلُّ أَمْرٍ مِنْكُمْ مَجْهُودَةٌ، وَخَفَّفَ عَنِ الْجَهْلَةِ رَبُّ رَحِيمٌ، وَدِينٌ قَوِيمٌ، وَإِمَامٌ عَلِيمٌ. أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ، وَأَنَا الْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ، وَغَدًا مُفَارِقُكُمْ، غَفَرَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ.

إِنْ ثَبَّتِ الْوِطْأَةُ فِي هَذِهِ الْمَرْزَلَةِ فَذَلِكَ، وَإِنْ تَدَحَّضَ الْقَدَمُ، فَإِنَّا كُنَّا فِي أَقْبَاءِ أَغْصَانٍ وَمَهَبَ رِيَّاحٍ وَتَحْتَ ظِلِّ غَمَامٍ أَضْمَحَلَّ فِي الْجَوْ مُتَلَفِّقُهَا وَعَفَا فِي الْأَرْضِ مَخْطُهَا، وَإِنَّمَا كُنْتُ جَارًا جَاوَرَكُمْ بَدَنِي أَيَّامًا وَسَتَعْقُبُونَ مِنِّي جُنَّةً خَلَاءً، سَاكِنَةً بَعْدَ حَرَكَ، وَصَامِتَةً بَعْدَ نُطُوقٍ. لِيَعِظْكُمْ هُدُوءِي وَخُفُوتُ أَظْرَافِي، وَسُكُونُ أَظْرَافِي؛ فَإِنَّهُ أَوْعِظُ لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنَ الْمَنْطِقِ الْبَلِيغِ وَالْقَوْلِ الْمَسْمُوعِ. وَدَاعِيكُمْ وَدَاعِي أَمْرِي؛ مُرْصِدٌ لِلتَّلَاقِي، غَدًا تَرَوْنَ أَيَّامِي، وَيُكْشَفُ لَكُمْ عَنْ سَرَائِرِي، وَتَعْرِفُونَنِي بَعْدَ خُلُوقِ مَكَانِي وَقِيَامِ غَيْرِي مَقَامِي.

اقول: انما قال: في فراره: لكون الانسان ابداً فارا من الموت، و اذا كان لابد من لقائه وقتاماً فلقاؤه في فراره. و الأجل: قد يراد به: مدة الحياة وهو: مساق النفس الى غايتها. وفي قوله: والهرب منه موافاته: لطف به لان الفرار منه مثلا بالحركات والعلاجات ونحوها، يستلزم فناء الأوقات، وفي فنائها موافاته، فكان الهرب منه موافاة له. و اطردت الايام: جعلتها طريدة لما اتبعها بالبحث عن مكنون هذا الأمر وهو قتله، فان رسول الله صلى الله عليه وآله اخبره به اجمالا حيث قال له: (أتدرى من اشقى الأولين، قال: نعم عاقر الناقة، فقال: او تعلم من اشقى الآخرين فقال: لا، فقال: من يخضب هذه)^١ و اشار الى لحيته من هذا و اشار الى رأسه. والمكنون: وقته و كفيته

١ - مناقب ابن شهر اشوب ٣/٣٠٩. الرياض النضرة ٢/٢٢٣. مجمع الزوائد ٩/١٣٧. خصائص الحافظ

بالتفصيل. وهيئات أي: بعد ذلك العلم. وحزنه لقوله تعالى: (وعنده علم الساعة)^١ الآية، وروى: اسم الله، ومحمد منصوبين أي: اعبدوا الله واتبعوا محمدا. واستعار لفظ العمودين: للتوحيد والسنة، وباعتبار قيام الدين بهما. ولفظ المصباحين: باعتبار هداية الخلق بهما. وايقادهما: احياءهما ولزومهما. وخلاكم ذم: مثل يضرب لمن يبرأ من العيب. واول من قاله: قصير مولى جديمه. وقوله: ما لم تشرّدوا: استثناء من نفى لحوق الذم. وقوله: وحمل كل امرئ، الى قوله: الجهلة: اشارة الى تفاوت التكليف بذلك ان الله قد حمل كل امرئ مجهوده، وما استعد لقبوله. وأراد بالإمام العليم: الرسول صلى الله عليه وآله، ونفسه عليه السلام لعلمهما بوضع الدين وتفاوت قسمته بحسب الأذهان. وكنى بثبات الوطأة: عن البقاء في حالته تلك، وبدحض القدم: وهو زلفة عن الموت. واستعار لفظ افياء الأغصان: لما يشبه الظل من الحياة الدنيا ومتاعها للاستراحة اليه كالظل.

وكذلك لفظ الأغصان: للأبدان، وكذلك لفظ مهاب الرياح: لأنهما قوابل للنفحات الألهية. ولفظ ظل الغمام: لما يعقل من البقاء. ومتاع الدنيا، ولفظ الغمام: لأسباب البقاء المجتمعة. ووصف اضمحلال ما تلتفق: من الغمام، واجتمع لزوال تلك الأسباب وتفرقها. والضمير في منخطها: يعود الى الرياح، ولفظ المخبط مستعار: للأبدان ايضا، كالمهَاب وعفاؤها. وقوله: جاورك بدنى: فيه تنبيه على ان الانسان امر وراء هذا البدن، وان نفسه القدسيّة كانت متّصلة بالملا الأعلى. وستعقبون: اي توجدون في العاقبة منى جثة خالية من الروح.

وقوله: وداعيكم اي: وداعى لكم مرصد للتلاقى، اي: معد للقائهم يوم القيامة. وقوله: غدا، اي: بعد موته الى آخره اراد: أنهم لم يكونوا عارفين بحقه في امر الدين ومقاصده في حروبه، وانما يعرفون ذلك وينكشف لهم بعد خلق مكانه وقيام غيره فيه مقامه.

النسائي/١٢٩. كنز العمال ٣٩٩/٦. مستدرک الصحيحين ١١٣/٣. اسدالغابة ٣٣/٤. نورالابصار/٩٧. فضائل الخمسة ٦٤/٣.

١ - سورة الزخرف / ٨٥.

وَأَخَذُوا يَمِينًا وَشِمَالًا: طَلَعْنَا فِي مَسَالِكِ الْغَىِّ، وَتَرَكْنَا لِمَذَاهِبِ الرُّشْدِ، فَلَا تَسْتَعْجِلُوا مَا هُوَ كَائِنٌ مُرْصَدٌ، وَلَا تَسْتَبْطِئُوا مَا يَجِيءُ بِهِ الْغَدُ فَكَمْ مِنْ مُسْتَعْجِلٍ بِمَا إِنْ أَدْرَكَهُ وَدَّ أَنْهَ لَمْ يُدْرِكْهُ، وَمَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ تَبَاشِيرِ غَدِ يَأْقُومُ، هَذَا إِبَانٌ وَرُودٌ كُلٌّ مَوْعُودٌ، وَدُنُوبٌ مِنْ طَلْعَةِ مَا لَا تَعْرِفُونَ، أَلَا وَإِنَّ مَنْ أَدْرَكَهَا مِنَّا يَسْرِى فِيهَا بِسِرَاجِ مُنِيرٍ، وَيَخْذُوفِيهَا عَلَى مِثَالِ الصَّالِحِينَ؛ لِيَحُلَّ فِيهَا رَبَقًا، وَيُعْتِقَ رِقًا، وَيَصْذَعُ شَعْبًا، وَيَشَعَبُ صَدْعًا، فِي سُتْرَةِ عَنِ النَّاسِ، لَا يُبْصِرُ الْقَائِفُ أَثْرَهُ، وَلَوْ تَابَعَ نَظْرَهُ، ثُمَّ لَيْشَحَذَنَّ فِيهَا قَوْمٌ شَحَذَ الْقَيْنِ النَّصْلَ، تُجَلَى بِالتَّنْزِيلِ أَبْصَارُهُمْ، وَيُرْمَى بِالتَّفْسِيرِ فِي مَسَامِعِهِمْ، وَيُغْبَقُونَ كَأَسِّ الْحِكْمَةِ بَعْدَ الصَّبُوحِ.

اقول: الضمير في قوله: واخذوا: لمن ضل من المسلمين عن طريق الهدى. واليمين والشمال: طرفا التفريط والافراط من الفضائل التي ذكرناها قبل، وتلك الأطراف هي: الرذائل، وهي: مسالك الغى، ومذاهب الرشد: وهي الفضائل النفسانية. والكائن المرصد: هو ما كانوا يتوقعونه من الفتن الموعود بها و كانوا كثيرا ما يسألونه عن وقتها فنهاهم عن استعجال ما لا بد من وقوعه واستبطائه. وأبان الشيء: وقته. ومن أدركها، اى: تلك الفتن متا، اى: من اهل البيت الائمة الاطهار. واستعار لفظ السراج: لكلمات النفس التي استضاءت بها فى طريق الله، واستعار لفظ الربق، وهو: الحبل فيه عدة عرى يشد بها البهم: لما انعقد فى النفوس من العقائد الباطلة والشبه، والامام يحلها ويعتق الرقاب من رق آثامها، ويصدع ما انشعب والتأم من الباطل، ويشعب ما انصدع من الحق وهو مغمور فى الناس. والقائف: قصاص الأثر و اراد: أنه لا يعرفه من يتعرفه، وما زال ائمة اهل البيت عليهم السلام مغمورين فى الناس، لا يعرفهم الا من عرفوه انفسهم. وقوله: ثم ليشحذن الى قوله: النصل، فاستعار وصف الشحذ، وهو: التحذير: لأعداد اذهان قوم فيها لقبول العلوم والحكمة، كما يعد الحداد النصل للقطع بالشحذ.

وقوله: تجلّى بالتنزيل، الى آخره: بيان لكيفية ذلك الشحد والاعداد، واسبابه وهى: تدبر القرآن، وجلاء ابصار بصائرها بأنوار علومه وحكمته، وقذف تفسيره فى مسامعهم، كما ينبغى من امام الوقت. ولفظ الصبوح والغبوق: مستعاران.

منها:

وَمَا كَانَ الْأَمَدُ بِهِمْ، لِيَسْتَكْمِلُوا الْخِزْيَ، وَيَسْتَوْجِبُوا الْغَيْرَ، حَتَّى إِذَا اخْلُوقَ الْأَجَلُ: وَاسْتَرَاحَ قَوْمٌ إِلَى الْفِتْنِ، وَأَسْأَلُوا عَنْ لِقَاحِ حَرْبِهِمْ، لَمْ يَمْنُوا عَلَى اللَّهِ بِالصَّبْرِ، وَلَمْ يَسْتَعِظُوا بِذَلِكَ أَنْفُسِهِمْ فِي الْحَقِّ؛ حَتَّى إِذَا وَافَقَ وَارِدُ الْقَضَاءِ انْقِطَاعَ مُدَّةِ الْبَلَاءِ حَمَلُوا بِصَائِرِهِمْ عَلَى أَسْيَافِهِمْ، وَدَانُوا لِرَبِّهِمْ بِأَمْرِ وَعَظِيمِهِمْ.

حَتَّى إِذَا قَبِضَ اللَّهُ رَسُولَهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ، وَغَالَتْهُمْ السُّبُلُ، وَاتَّكَلُوا عَلَى الْوَلَايِحِ، وَوَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ، وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أَمَرُوا بِمَوَدَّتِهِ، وَنَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رَصِّ أَسَاسِهِ، فَبَتُّوا فِي عَشْرِ مَوَاضِعِهِ: مَعَايِدُنْ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ، قَدْ مَارُوا فِي الْحَيْرَةِ، وَذَهَلُوا فِي السُّكْرَةِ عَلَى سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ مِنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى الدُّنْيَا رَاكِنٍ، أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّينِ مُبَايِنٍ.

اقول: اشار بمن طال الأمد بهم: الى من كان من اهل الجاهلية. وقوله: ليستكملوا، الى قوله: الغير، كقوله تعالى: (ولا تحسبن الذين كفروا انما نملى لهم الى قوله ليزدادوا اثما) ١. حتى اذا اخلوق الأجل واستراح قوم منهم الى الفتن والوقائع. واسالوا عن لِقَاحِ حَرْبِهِمْ اى: اعدوا أنفسهم لها كما تعد الناقة نفسها بشول ذنبها ورفعها للقاحها، و تسمى شائلا. والضمير فى قوله: لم تمتوا: يرجع الى ذكر سبق للصحابة فى هذه الخطبة، حين قام رسول الله صلى الله عليه وآله فىهم وبهم للحرب فلم يمتوا على الله بصبرهم معه، ولم يستعظموا بذل انفسهم فى نصرة الحق، حتى اذا وافق وارد القضاء انقطاع مدة البلاء بدولة الجاهلية، حمل هؤلاء الذين لم يمتوا على الله بنصرهم له بصايرهم اى: برؤوسهم على سيوفهم فى نصرة الدين، ودانوا لربهم بأمر عظيم، وهو الرسول صلى الله عليه وآله

١ - سورة آل عمران / ١٧٨.

حتى اذا قبض الله رسوله رجع قوم عن الاسلام، على اعقابهم، و اراد: من ارتد بعد الرسول صلى الله عليه و آله من العرب. و غيلة السبل لهم: استراق طرق الباطل المشبهة عليهم لهم، و اتكالهم على اللوائح: اعتماد كل منهم فى نصره رأيه الفاسد على شبهته التى بلج فيها، او على خاصته و بطانته و هى: الوليعة. و السبب الذى امروا بمودته: هم اهل البيت، و استعار لهم لفظ السبب: باعتبار ايصالهم للتمسك بولايتهم الى الله و الأمر بمودتهم فى قوله تعالى: (قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة فى القربى) ^١ و قوله: نقلوا، الى قوله: غير موضعه: اشارة الى عدول من عدل بأمر الخلافة عنه الى غير بينته. و استعار لهم لفظ الابواب: باعتبار انهم مبادئ الشبه و الآراء الفاسدة التى تدخل الناس فى الجهل منها. و الضارب فى الغمرة: الداخل فى غمرة الجهل. و ماروا: ترددوا. و لفظ السكره: مستعار لغفلة الجهل.

١٥٠ - وَمِنْ حُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام



وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى مَدَارِ الشَّيْطَانِ وَمَزَاجِرِهِ، وَالْإِعْتِصَامِ مِنْ حَبَائِلِهِ وَمَخَاتِلِهِ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَنَجِيْبُهُ وَصَفْوَتُهُ، لَا يُوَارَى فَضْلُهُ، وَلَا يُجْبَرُ فَقْدُهُ، أَضَاءَتْ بِهِ الْبِلَادُ بَعْدَ الضَّلَالَةِ الْمُظْلِمَةِ، وَالْجَهَالَةِ الْغَالِيَةِ، وَالْجَفْوَةِ الْجَافِيَةِ، وَالنَّاسُ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيمَ، وَيَسْتَدِلُّونَ الْحَكِيمَ، يَحْيُونَ عَلَى فِتْرَةٍ، وَيَمُوتُونَ عَلَى كَفْرَةٍ، ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ أَنْغْرَاضُ بَلَايَا قَدِ اقْتَرَبَتْ فَاتَّقُوا سَكَرَاتِ النَّعْمَةِ، وَأَحْذَرُوا بَوَاقِ النَّقْمَةِ، وَتَثَبُّوا فِي قَتَامِ الْعَشْوَةِ، وَأَعْوِجَاجِ الْفِتْنَةِ، عِنْدَ ظُلُوعِ جَنِينِهَا، وَظُهُورِ كَمِينِهَا، وَأَنْتِصَابِ قُطْبِهَا، وَمَدَارِ رَحَاهَا: تَبَدُّوْا فِي مَدَارِجِ خَفِيَّةٍ، وَتَوَوُّوْا إِلَى فِطَاعَةِ جَلِيَّةٍ، شَبَابِهَا كَشَبَابِ الْغُلَامِ، وَأَثَارُهَا كَأَثَارِ السَّلَامِ. تَتَوَارَثُهَا الظُّلْمَةُ بِالْعُهُودِ، أَوْلَهُمْ قَائِدٌ لِأَخْرِهِمْ، وَأَخْرَهُمْ مُقْتَدٍ بِأَوْلِهِمْ، يَتَنَافَسُونَ فِي دُنْيَا دُنْيِيَّةٍ، وَيَتَكَالَبُونَ عَلَى حِيْفَةِ مُرِيحَةٍ، وَعَنْ قَلِيلٍ يَتَّبِرُ السَّابِعُ مِنَ الْمَثْبُوعِ، وَالْقَائِدُ مِنَ الْمَقْشُودِ، فَيَتَزَايَلُونَ بِالْبَغْضَاءِ، وَيَتَلَاغَتُونَ عِنْدَ اللَّقَاءِ، ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ ظَالِمُ الْفِتْنَةِ الرَّجُوفِ، الْقَاصِمَةُ الرَّحُوفِ، فَتَزِيغُ قُلُوبَ بَعْدَ اسْتِقَامَةٍ، وَتَضِلُّ رِجَالَ بَعْدَ سَلَامَةٍ، وَتَخْتَلِفُ

الْأَهْوَاءُ عِنْدَ هُجُومِهَا، وَتَلْتَبِسُ الْآرَاءُ عِنْدَ نُجُومِهَا مِنْ أَشْرَفَ لَهَا قَصَمَتُهُ، وَمَنْ سَعَى فِيهَا حَظْمَتُهُ، يَتَكَادِمُونَ فِيهَا تَكَادِمَ الْحُمْرِ فِي الْعَانَةِ، قَدْ أَضْطَرَبَ مَعْقُودُ الْحَبْلِ، وَعَمِيَ وَجْهُ الْأَمْرِ، تَغِيضُ فِيهَا الْحِكْمَةَ، وَتَنْطِقُ فِيهَا الظُّلْمَةَ، وَتَدُقُّ أَهْلَ الْبَدْوِ بِمَسْحَلِهَا، وَتَرْضُهُمْ بِكَلْكَلِهَا، يَضِيعُ فِي غُبَارِهَا الْوُحْدَانُ، وَيَهْلِكُ فِي طَرِيقِهَا الرُّكْبَانُ؛ تَرْدُ بِمَرِّ الْقَضَاءِ، وَتَحْلُبُ عَيْطَ الدَّمَاءِ، وَتَسْلِمُ مَنَارَ الدِّينِ، وَتَنْقُضُ عَقْدَ الْيَقِينِ، تَهْرُبُ مِنْهَا الْأَكْيَاسُ، وَتَدْبَرُهَا الْأَرْجَاسُ، مِرْعَادُ مِبْرَاقٍ، كَاشِفَةٌ عَنِ سَاقٍ، تُقَطِّعُ فِيهَا الْأَرْحَامَ، وَيُفَارِقُ عَلَيْهَا الْإِسْلَامَ، بَرِيئًا سَقِيمًا، وَظَاعِنُهَا مُقِيمًا.

أقول: الدحر: الطرد، ومداحر الشيطان: مظان دحره، من العبادات والطاعات، واستعار لفظ الحبائل: للشهوات التي هي شباك الشيطان، ومخائله: مخادعه. ولا يوازي أي: لا يقابل بمثله إذ ليس لفضله مثل. وأضاءت البلاد: بسبب ما جاء به من نور الإسلام. والضلالة: الكفر. والجفوة: ما كانت العرب عليه من الغلظة، ووصفها بما اشتق منها مبالغة. والناس: أهل الجاهلية. والبلايا: الفتن الموعود بها. واستعار لفظ السكرات: للغلظة في نعمة الله عن ذكره فإنها يعد لتعميرها، ونزول بوائق النعمة: وهي: الدواهي. واستعار لفظ العشوة: للفتنة. ولفظ القتام: لما يعرض من الشبهة بسببها، واران فتنة بنى أمية. ولفظ جنينها: لصغير ما يبدوا منها، وكمينها: مستورها. ولفظ القطب: لصاحب الفتنة الداعي فيها. وكنى بانتصابه: عن قيامه فيها، وبمدار رحاها: عن اجتماع الخلق عليه. والمدارج الخفية: صدور من ينوي القيام فيها. والفضاعة: تجاوز الأمر الشديد المقدار. والسلام: الحجارة: والظلمة: امراء بنى أمية. والضمير في يتوارثها للفتنة وهي: امرة الظالمين، باعتبار ابتلاء الخلق بها. والتكالب: التشاور. والمريحة: ذات الريح. والفتنة الاخرى يشبه ان تكون فتنة التتار. وقيل: فتنة تأتي في آخر الزمان كفتنة الدجال. والرجوف: كثيرة الارجاف واضطراب الخلق فيها. والزحوف: كثرة الزحف. ونجومها: ظهورها. والمشرف لها: المتطلع الي دفعها ومقاومتها. والساعي فيها أي: في قيامها، والمراد: ان قائمها ومقاومها يهلكان فيها. واستعار وصف التكادم: للتغالب. والعانة: القطيع من حمر الوحش. ومعقود الحبل: ما انتظم من امر الدين. و

وجه الأمر: وجه المصلحة، واستعار وصف الغيظ: لعدم الحكمة. و اوصاف الفرس للفتنة كالمسحل و هى: حلقة تكون فى طرف شكيمة اللجام. والعبيط الخالص من الدم الطرى. ومر القضاء: اصعبه كالقتل ونحوه. و منار الدين: مستعار لإثميته. و عقد اليقين: ما انعقد فى النفس من الأمور المتيقنة و نقضه: ترك العمل على وفقه. والأكياس: أهل العقول والآراء الصحيحة، وكشفها عن ساق، كناية: عن اقبالها مسرعة كالمشتر فى مهمة. وقوله: بريها الى آخره اى: من تبرأ منها و هرب عنها، لم ينج منها.

منها:

بَيْنَ قَتِيلٍ مَظْلُومٍ، وَخَائِفٍ مُسْتَجِيرٍ، يُخْتَلُونَ بِعَقْدِ الْإِيمَانِ، وَبِغُرُورِ الْإِيمَانِ، فَلَا تَكُونُوا أَنْصَابَ الْفِتَنِ، وَأَعْلَامَ الْبِدْعِ، وَالزَّمُوا مَا عَقِدَ عَلَيْهِ حَبْلُ الْجَمَاعَةِ، وَبُنِيَتْ عَلَيْهِ أَرْكَانُ الطَّاعَةِ، وَأَقْدَمُوا عَلَى اللَّهِ مَظْلُومِينَ وَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ظَالِمِينَ، وَاتَّقُوا مَدَارِحَ الشَّيْطَانِ، وَمَهَابِطَ الْعُدْوَانِ، وَلَا تَدْخُلُوا بُطُونَكُمْ لِعَنِ الْجَرَامِ، فَإِنَّكُمْ بَعِينٌ مَنِ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَعْصِيَةَ، وَسَهَّلَ لَكُمُ سُبُلَ الطَّاعَةِ.

مركز تحقيقات كويتى علوم اسلامية

أقول: قوله: بين قتيل، الى قوله: مستجير، يشبه ان يكون تفصيلا لحال المؤمنين فى الفتنة. و دم مظلوم: اذا هدر فلم يطلب به. وقوله: يختلون بعقد الايمان: صفة استجلاب هؤلاء المقتولين، و خديعتهم عن انفسهم. و انصاب الفتن و اعلامها: رؤساء المعتدى بهم فيها. و حبل الجماعة: نظام المسلمين بالدين و ما عقدت عليه الألفة و التوازر و على ذلك بُنيَ الإسلام، و اركان طاعة الله. و قوله: و اقدموا على الله مظلومين: ليس فيه امر بالانظلام لكونه رذيلة بل اذا تعارض الظالمية و المظلومية، فالمظلومية اولى، مع علم النفس بالعجز عن المقاومة او العلم بما تشتمل عليه المقاومة من فساد زائد على القدر الفائق بالانظلام، و انما يكون الانظلام رذيلة اذا كان مع مهانة لا تنبعث النفس معها الى دفع الظلم و المقاومة. و مدارج الشيطان: مذاهبه و طرقه. و مهابط العدوان: المظالم. و كنى بلعق الحرام: عما يؤكل منه، و اللعقة: ما تتناوله الملعقة. و لفظ العين مجاز فى العلم.

١٥١ - وَمِنْ حُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

الْحَمْدُ لِلَّهِ الدَّالِّ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ، وَبِمُحَدِّثِ خَلْقِهِ عَلَى أَرْزَلِيَّتِهِ، وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ، لَا تَسْتَلِمُهُ الْمَشَاعِرُ، وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَابِرُ؛ لِإِفْتِرَاقِ الصَّانِعِ وَالْمَصْنُوعِ، وَالْحَادِّ وَالْمَحْدُودِ، وَالرَّبِّ وَالْمَرْبُوبِ، الْأَحَدِ بِلَا تَأْوِيلٍ عَدَدٍ، وَالْخَالِقِ لَا بِمَعْنَى حَرَكَةٍ وَنَصَبٍ، وَالسَّمِيعِ لَا بِأَدَاةٍ، وَالْبَصِيرِ بِلَا تَفْرِيقِ آلَةٍ، وَالشَّاهِدِ لَا بِمُمَاسَّةٍ، وَالْبَائِنِ لَا بِتَرَاحِي مَسَافَةٍ، وَالظَّاهِرِ لَا بِرُؤْيَةٍ، وَالْبَاطِنِ لَا بِلَطَافَةٍ، بَانَ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالْقَهْرِ لَهَا، وَالْقُدْرَةَ عَلَيْهَا، وَبَانَتِ الْأَشْيَاءُ مِنْهُ بِالْخُضُوعِ لَهُ وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ، مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْظَلَ أَرْزَلَهُ، وَمَنْ قَالَ «كَيْفَ؟» فَقَدْ اسْتَوْصَفَهُ، وَمَنْ قَالَ «أَيْنَ؟» فَقَدْ حَيَّرَهُ، عَالِمٌ إِذْ لَا مَعْلُومٌ، وَرَبٌّ إِذْ لَا مَرْبُوبٌ، وَقَادِرٌ إِذْ لَا مَقْدُورٌ.

اقول: حمدالله تعالى باعتبارات من أوصافه، فالأول: الإشارة الى وجوده الواجب، وللناس فى اثباته طريقتان: احدهما: اثبات وجوده باعتبار الوجود نفسه، وقسمته الى واجب، وممكن، وبيان انه لايد من وجود الواجب فى الجملة، وهو طريق العليين. والثانية: الاستدلال بالنظر فى المخلوقات و طبائعها، وتغيراتها على مبدأ لها وهى طريق الطبيعيين، والمليين، والمتكلمون فرعوا هذه الطرق الى طرق اربع، وذلك انهم استدلوا بامكان الاشياء ثم بحدوثها على الصانع، وعلى التقديرين فى ذواتها وفى صفاتها. وقد اشرنا الى تفصيلها فى الأصل، والكلام عليها مستوفى فى الكلام. و اشارته عليه السلام بقوله: الدال على وجوده بخلقه: الى الاستدلال بحدوث العالم على وجود صانعه، وهى الطريقة المشهورة للمتكلمين.

الثانى: فى ازليته و اشار اليه بقوله: وبمحدث خلقه على ازليته.

الثالث: لا شبيه له، و اشار اليه بقوله: وباشتباههم على انه لا شبيه له.

الرابع: تنزيهه عن الجسميّة ولوا حقها، و اشار اليه بقوله: لا تستلمه المشاعر وهى:

الحواس.

الخامس: ان السماوات لا تحجبه، ونبه على دليل الاعتبارات الخمسة بقوله:

لأفتراق الصانع، الى قوله: والمربوب. وبيانه ان لكل من الصانع والمصنوع، صفات تخصه بها تفارق الآخر، وتقرير الحجّة: ان المخلوقية والحدوث والاشتباه، والملموسية بالمشاعر والحجب بالسواتر من الصفات المختصة بالمصنوع والمحدود والمربوب، وكل ما كان كذلك فيجب أن ينزه الصانع الحادث الكل عنه، وبيانه بالتفصيل، قد نبهنا عليه في الأصل.

السادس: في وحدانيته وقد سبق بيانها في الخطبة الأولى. وقوله: ليس بمعنى العدد اى: كونه واحدا ليس كونه مبدأ لكثرة يعدبها.

السابع: كونه تعالى في خالقيته منزها عن الحركات والمتاعب.

الثامن: كونه سميّاً لا بأداة.

التاسع: كونه بصيراً لا بتفريق الآلة، و اراد بتفريق الآلة: اما توزيع آلة الأبصار، وهو الشعاع على المبصرات او الآلة المفترقة، وهما القوتان في العينين، او الأرواح الحاملة لهما.

العاشر: كونه شاهداً اى حاضرًا مع الأشياء لا بمماسّة منها.

الحادى عشر: تنزيهه عن المباينة بمعنى الافتراق في المسافة.

الثانى عشر: كونه ظاهراً منزهاً في ظاهريته عن رؤية الابصار، وباطناً منزهاً في

ذلك عن لطافة المقدار.

الثالث عشر: في تفسير مباينته للأشياء، ومباينتها له بالوجه اللائق بكماله

ونقصانها.

الرابع عشر: تنزيهه عن الصفات الزائدة بالقياس الذى ذكره، والمراد بوصفه هنا:

اشارة الوهم اليه، ولما كان عدّه، اما جعله مبدأ كثيرة معدودة، او ذا اجزاء معدودة و كان

ذلك من لواحق المحدثات غير المستحقة الأزلية بالذات كان عدّه بأحد الاعتبارين مبطلاً

ازله الذاتى.

الخامس عشر: تنزيهه عن السؤال عنه بكيف واين، لأمتناع المسؤول عنه بهما

عليه. وقد مرّت الاشارة الى هذه الصفات وما بعدها، والى براهينها في الخطبة الاولى.

وبالله التوفيق.

منها :

قَدْ ظَلَعَ ظَالِغٌ، وَلَمَعَ لَامِغٌ، وَلَا حَ لَايْحٌ، وَأَعْتَدَكَ مَائِلٌ، وَأَسْتَبَدَكَ اللَّهُ بِقَوْمٍ قَوْمًا، وَيَوْمٍ يَوْمًا، وَأَنْتَظَرْنَا الْغَيْرَ أَنْتَظَرَ الْمُجْدِبِ الْمَطَرِ، وَإِنَّمَا الْأَيْمَةُ قَوْمٌ اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ، وَعَرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ، لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ.
إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّكُمْ بِالْإِسْلَامِ، وَأَسْتَخْلَصَكُمْ لَهُ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ أَسْمُ سَلَامَةٍ وَجَمَاعِ كَرَامَةٍ، أَضْطَفَى اللَّهُ تَعَالَى مِنْهَجَهُ، وَبَيَّنَّ حُجَجَهُ، مِنْ ظَاهِرِ عِلْمٍ، وَبَاطِنِ حِكْمٍ، لَا تَفْتَى غَرَائِبُهُ، وَلَا تَنْقِضِي عَجَائِبُهُ، فِيهِ مَرَابِيعُ النَّعْمِ، وَمَصَابِيحُ الظُّلْمِ، لَا تُفْتَحُ الْخَيْرَاتُ إِلَّا بِمَفَاتِيحِهِ، وَلَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِمَصَابِيحِهِ، قَدْ أَحْمَى حِمَاءَهُ، وَأَرْعَى مَرَعَاءَهُ، فِيهِ شِفَاءُ الْمُشْتَفَى، وَكِفَايَةُ الْمُكْتَفَى.

أقول: اشار بطلوع الطالع: الى ظهور امر الخلافة، وانتقالها اليه. و بلموع اللامع: الى ظهور نور العدل بانتقالها الى مقرها. و بلوح اللائح: الى ما يلوح من امارات الفتنة. والمائل: كونها في غيره قبله. واعتداله: انتقالها اليه. والقوم المستبدل بهم: من سبقه به و زمانهم بزمانه. و انتظاره للغير: توقعه لتغير الأمر اليه. والعرفاء: النقباء. و لما ثبت في الأصول ان معرفتهم اى: معرفة حقية امانتهم، و معرفتهم لأوليائهم بالولاية لهم شرطين متساويين للايمان، و الايمان و استحقاق الجنة متلازمان، ثبت ان معرفتهم و المعرفة بهم ملازمة لدخول الجنة، و حينئذ يكون انكارهم و دخول النار متلازمين، و الا لصدق احدهما على بعض نقيض الآخر. و اما ان يصدق انكارهم على بعض من لا يدخل النار فبعض من يدخل الجنة منكر لهم، او يصدق دخول النار على بعض من لا ينكرهم فبعض من يعرفهم يدخل النار، و كلاهما باطلان لما يتنافى الملازمة من دخول الجنة و معرفتهم، فظهر بذلك وجه الحصر فى القضيتين، و فضيلة الاسلام من جهة اسمه كونه عبارة عن الدخول فى الطاعة التى هى: سلامة الدارين، و من جهة معناه كونه جماع كرامة لان مداره على تعليم الفضائل، و الطهارة عن الرذائل، و منهجه طريقه، و حججه ادلته و اماراته و استعار لفظ المربيع و هى: الامطار الربيعية للعلوم و الحكمة باعتبار احيائها القلوب. و لفظ المصابيح لها: للهداية بها من ظلمة الجهل. و لفظ المفاتيح: للتوصل به الى

الخيرات الحقيقية الباقية. و لفظ الحمى : للمحرمات التي منعها بنواهيهِ . و لفظ المرعى : للمباحات التي اباحها وحلّلها بارشاده.

١٥٢ - وَمِنْ حُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

وَهُوَ فِي مُهَلَّةٍ مِنْ اللَّهِ يَهْوَى مَعَ الْغَافِلِينَ، وَيَعْتَدُو مَعَ الْمُذْنِبِينَ، بِالسَّبِيلِ قَاصِدٍ، وَلَا إِمَامٍ قَائِدٍ:

اقول: يصف ضالاً. والمهلة: مدة العمر، وهوام مع الغافلين: انخراطه في سلكهم الى مهاوى الهلاك .

منها:

حَتَّى إِذَا كَشَفَ لَهُمْ عَنْ جَزَاءِ مَعْصِيَتِهِمْ، وَأَسْتَخْرَجَهُمْ مِنْ جَلَابِيبِ غَفْلَتِهِمْ، اسْتَقْبَلُوا مُدْبِرًا، وَأَسْتَدْبَرُوا مُقْبَلًا، فَلَمْ يَتَنَفَّحُوا بِمَا أَدْرَكُوا مِنْ طَلِبَتِهِمْ، وَلَا بِمَا قَضَوْا مِنْ وَطْرِهِمْ! وَإِنِّي أُحَذِّرُكُمْ وَنَفْسِي هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ، فَلْيَتَنَفَّحْ أَمْرًا بِنَفْسِهِ؛ فَإِنَّمَا الْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكَّرَ، وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ وَأَنْتَفَعَ بِالْعِبَرِ، ثُمَّ سَلَكَ جَدًّا وَأَضْحَا يَتَجَنَّبُ فِيهِ الصَّرْعَةَ فِي الْمَهَاوِي، وَالضَّلَالَ فِي الْمَغَاوِي، وَلَا يُعِينُ عَلَى نَفْسِهِ الْغَوَاةَ بِتَعَسُفٍ فِي حَقِّ، أَوْ تَحْرِيفٍ فِي نُطْقٍ، أَوْ تَخَوُّفٍ مِنْ صِدْقٍ. فَأَفِقْ أَيُّهَا السَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ، وَأَسْتَقِظْ مِنْ غَفْلَتِكَ! وَأَخْتَصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ، وَأَنْعِمِ الْفِكْرَ فِيمَا جَاءَكَ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، مِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ، وَلَا مَحِيصَ عَنْهُ، وَخَالِفْ مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِهِ، وَدَعَهُ وَمَا رَضِيَ لِنَفْسِهِ، وَضَعْ فَخْرَكَ، وَأَحْطِظْ كِبْرَكَ، وَأَذْكُرْ قَدْرَكَ؛ فَإِنَّ عَلَيْهِ مَمْرَكَ؛ وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ، وَكَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ، وَكَمَا قَدَّمْتَ الْيَوْمَ تَقْدَمُ عَلَيْهِ غَدًا، فَاْمْهَدْ لِقَدَمِكَ، وَقَدِّمْ لِيَوْمِكَ. فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ، وَالْجِدَّ الْجِدَّ أَيُّهَا الْغَافِلُ (وَلَا يُنْسَبُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ) إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ اللَّهِ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ الَّتِي عَلَيْهَا يُثِيبُ وَيُعَاقِبُ، وَلَهَا يَرْضَى.

اقول: قوله: حتى، الى قوله: وطهرهم، وصف حال العصاة الغافلين بعد الموت.

واستعار لفظ الجلابيب: للأبدان والهيئات المكتسبة منها باعتبار حجبها لامور الآخرة عنهم، والمدبر الذى استقبلوه: امر الآخرة والمقبل الذى استدبروه: امور الدنيا. والوטר: الحاجة. والمنزلة: حال الغافلين المذكورين فإنها منزلة اقدام العقول. وقوله: فانما، الى قوله: صدق، شرح لكيفية انتفاع الانسان بنفسه كما أمر به. والجدد: الطريق الواضح وهى: سبيل الله المستلزمة للسلامة من صرعة المهاوى وهى: المعاصى. والتعسف فى الحق: تكلف ثبوت الأمر بالشبهة الضعيفة والاحتمال البعيد، والطرق غير الواضحة فى الدين. وتحريف القول: تغييره بزيادة او نقصان. وظاهران من عرف بذلك او بالتخوف من الصدق فى بعض ما يتوهم فيه مضرة، هان على الجهال والغواة، ودعاهم ذلك منه الى الطمع فى انفعاله عن باطلهم، فكان معيناً لهم على نفسه، والاحتجاج عليه بمثل فعله، بل الواجب لزوم الطريق الواضح فى كل مشتبه والكف عما سواها، و اراد بعجلته: سرعته فى طلب الدنيا، وما لا بد منه: الموت وما بعده، والمحيص: المعدل.

وقوله: و كما تدين تدان، الى قوله: يحصد: مثلان يضربان لمن يفعل فعلا ولا بد من جزائه به والتمهيد: التوطئة. وقوله: ان من عزائم الله، الى قوله: منها، اى: من جملة نصوص الله التى هى فى محكم كتابه التى باعتقادها والعمل على وفقها، يشيب ويرضى، وبتركها يسخط ويعاقب، انه لا ينفع عبدا خروجه من الدنيا لاقياربه باحدى الخصال المذكورة غير تائب منها، و ان اجهد نفسه فى العمل، و اخلص فيه:

الشرك فى العبادة المفترضة: الرياء، و يحتمل ان يريد الشرك المعهود.

و شفا غيظه بهلاك نفسه: ان يشفيه بمحرّم يستعقب الهلاك فى الدارين او فى الآخرة. و روى: بهلاك نفس. و الأقرار بفعل الغير: النميمة، و السعاية. و البدعة: المتوصل بها الى الحاجة، كشهادة الزور و كارضاء الملوك بفعل بعض المحرمات.

و لقاء الناس بوجهين او لسانين: كناية: عن النفاق. و هذه الرذائل بشئ الزاد ليوم

المعاد.

وَيَسْخَطُ، أَنَّهُ لَا يَتَفَعُّ عَبْدًا - وَإِنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ وَأَخْلَصَ فِعْلَهُ - أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا لَاقِيًا رَبَّهُ بِخِصْلَةٍ مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا: أَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ فِيمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ،

أَوْ يَشْفِي غَيْظَهُ بِهَلَاكِ نَفْسٍ، أَوْ يَقِرَّ بِأَمْرِ فَعَلَهُ غَيْرُهُ، أَوْ يَسْتَجِيعَ حَاجَةً إِلَى النَّاسِ بِإِظْهَارِ
بِدْعَةٍ فِي دِينِهِ، أَوْ يَلْقَى النَّاسَ بِوَجْهَيْنِ، أَوْ يَمْشِي فِيهِمْ بِلِسَانَيْنِ؛ أَغْقِلْ ذَلِكَ فَإِنَّ الْمِثْلَ
دَلِيلٌ عَلَى شِبْهِهِ.

إِنَّ الْبَهَائِمَ هَمُّهَا بَطُونُهَا، وَإِنَّ السَّبَاعَ هَمُّهَا الْعُدْوَانُ عَلَى غَيْرِهَا، وَإِنَّ النَّسَاءَ هَمُّهُنَّ
زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْفَسَادُ فِيهَا، إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُسْتَكِينُونَ، إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُشْفِقُونَ، إِنَّ
الْمُؤْمِنِينَ خَائِفُونَ.

وقوله: اعقل، الى آخره اى: اعقل ما اضربه لك من المثل، واحمل عليه ما
يشبهه، فإن المثل دليل على شبهه وذلك المثل قوله: ان البهائم، الى قوله: والفساد
فيها. فقوله ان البهائم همها بطونها: اشارة الى ان الانسان المتبع لشهوته بمنزلة البهيمة اذ
همها ما تشتت به من طعام و شراب. وقوله: و ان السباع همها العدوان، اشارة: الى متبع
القوة الغضبية بمنزلة السبع فى اتباعها ومحبة الانتقام. وقوله: ان النساء، الى قوله: فيها،
اشارة: الى ان النساء متبعات للقوتين الشهوية ولما كان همهن بزينة الحياة الدنيا،
والغضبية و كان همهن الفساد فى الدنيا، فالتابع لشهوته بهيمة، و لغضبه سبع، ولهما
امرأة.

و لما حصر منابع الشرفى قوتى الشهوة والغضب، حقق للمؤمن صفات تستلزم كسر
تلك القوتين ليلزمهما متدبر المثل، و بالله التوفيق.

١٥٣ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَنَاطِرُ قَلْبِ اللَّيْبِ: بِهِ يُبْصِرُ أَمَدَهُ، وَيَعْرِفُ عَوْرَةَ وَنَجْدَهُ، دَاعٍ دَعَا وَرَاعٍ رَعَى،
فَاسْتَجَبُوا لِلدَّاعِي، وَاتَّبَعُوا الرَّاعِي
قَدْ خَاضُوا بِحَارِ الْفِتَنِ، وَأَخَذُوا بِالْبِدْعِ دُونَ السُّنَنِ، وَأَرَزَّ الْمُؤْمِنُونَ وَنَطَقَ الضَّالُّونَ
الْمُكْذِبُونَ. نَحْنُ الشُّعَارُ، وَالْأَصْحَابُ، وَالْحَزَنَةُ وَالْأَبْوَابُ وَلَا تُوتَى الْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا،
فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقًا.

اقول: ناظر قلب اللبيب: فكره، وبه يبصر غايته: وهى الموت وما بعده. وغوره، ونجده، كنايةتان: عن طريقى الخير والشر. وأشار بالداعى: الى الرسول صلى الله عليه وآله، والقرآن الكريم، وبالراعى: الى نفسه. والضمير فى خاضوا: لمحاربيه. وارتز بفتح الراء: تقبضوا وانضموا. واستعار لفظ الشعار: لنفسه وأهل بيته، باعتبار قربهم من الرسول صلى الله عليه وآله كالثوب الذى يلى الجسد دون باقى الثياب. والخزنة والأبواب اى: خزنة علم الرسول و ابوابه كما قال صلى الله عليه وآله: (انا مدينة العلم وعلى بابها) ١. وقوله: لا تؤتى: ارشاد للناس الى نفسه واهل بيته بضمير صغراه قوله: فمن أتاها الى آخره. وتقدير كبراه، ومن سمي سارقا لحقه الاثم، والعار، والعقاب.

منها:

فِيهِمْ كَرَامِيهِمُ الْقُرْآنِ، وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمَانِ، إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا وَإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسَبِّقُوا، فَلْيَصْذُقْ رَائِدُ أَهْلِهِ، وَلْيُخْضِرْ عَقْلُهُ، وَلْيَكُنْ مِنْ أَتْبَاءِ الْآخِرَةِ فَإِنَّهُ مِنْهَا قَدِيمٌ، وَإِلَيْهَا يَنْقَلِبُ، فَالْتَاطِرُ بِالْقَلْبِ الْعَامِلُ بِالْبَصْرِ يَكُونُ مُبْتَدَأَ عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ: أَعْمَلُهُ عَلَيْهِ أَمْ لَهُ؟ فَإِنْ كَانَ لَهُ مَضَى فِيهِ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عَنْهُ؛ فَإِنَّ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَسَائِرِ فِي غَيْرِ طَرِيقٍ، فَلَا تَزِيدُهُ بَعْدَهُ عَنِ الطَّرِيقِ إِلَّا بُعْدًا مِنْ حَاجَتِهِ، وَالْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَسَائِرِ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ، فَلْيَنْظُرْ نَاطِرٌ أَسَائِرَهُ أَمْ رَاجِعٌ.

وَأَعْلَمُ أَنْ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِنًا عَلَى مِثَالِهِ، فَمَا ظَابَ ظَاهِرُهُ ظَابَ بَاطِنُهُ، وَمَا خَبِثَ ظَاهِرُهُ خَبِثَ بَاطِنُهُ وَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ الصَّادِقُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ، وَيُبْغِضُ عَمَلَهُ، وَيُحِبُّ الْعَمَلَ وَيُبْغِضُ بَدَنَهُ». وَأَعْلَمُ أَنْ لِكُلِّ عَمَلٍ نَبَاتًا، وَكُلُّ نَبَاتٍ لَا غِنَى بِهِ عَنِ الْمَاءِ، وَالْمِيَاهُ مُخْتَلِفَةٌ: فَمَا ظَابَ سَقِيَهُ ظَابَ غَرْسُهُ وَحَلَّتْ ثَمَرَتُهُ، وَمَا خَبِثَ سَقِيَهُ خَبِثَ غَرْسُهُ وَأَمَرَّتْ ثَمَرَتُهُ.

اقول: الاشارة الى فضائل أهل البيت عليهم السلام. وكرائم الايمان: نفائسه كالاقتادات الحقة، والاخلاق الفاضلة. وكنوز الرحمان: استعارة باعتبار كونهم خزان

١- راجع كتاب (فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي).

علم الله. وخصص وصف الرحمن لأنه مبدأ بعثة الأنبياء والاولياء، اذ جعلهم الله برحمته هداة خلقه. وقوله: لم يسبقوا اى: عند صمتهم لا يسبقون الى فضيلة نطق، اذ كان صمتهم فى موضع الصمت حكمة. وقوله: فليصدق رائد اهله: كالمثل وقد سبق مثله، وفائدته التنبيه على فضله، والأمر يصدق الخبر عنه لمن يعينهم أمره وانّ عنده من مراعى النفوس و ماء حياتها ما ينبغى. و ليحضر عقله اى: ليفهم ما يقوله: واستعار لفظ الابناء: للآخرة، ووجه الشبه قوله: فانه الى قوله ينقلب، وذلك انّ الانسان مبدأ الحضرة الالهية فعنها ينقلب و اليها يعود، كالمنقلب عن الامّ الراجع اليها.

وقوله: واعلم، الى قوله: باطنه، اشارة: الى ما اقتضته الحكمة الالهية من جعل العالم الجسمانى مثالا للعالم الروحانى، وطريقا للنفوس البشرية الى مثالها من المعقولات، وانه لولا ذلك لتعذر السفر الى الحضرة الالهية، ومن ذلك ما اشار اليه عليه السلام: من اشخاص الناس او افعالهم الظاهرة، فانها دالة على ما يناسبها فى بواطنهم من الأخلاق و اعمال القلوب دلالة اكثرية، فرب حسن الصورة قبيح الباطن، ورب خبيث الظاهر حسن الباطن، و لذلك استشهد بالخبر النبوى (فانّ الله يحب العبد من حيث صورته الحسنة) لكونها مقتضى الحكمة الالهية، وانسب الى الوجود من القبيحة التى هى انسب الى العدم الذى هو الشر المحض، و يبغض عمله من جهة ما هو شر مكروء بالذات و يحب و يبغض بالعكس من كان على العكس، و من النص الحكيم على دلالة الظاهر على الباطن قوله تعالى: (وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا) ١ و استعار لفظ النبات: لزيادة الأعمال و نموها و لفظ الماء للمادية القلبية من الارادات والنيات المخالفة، و ظاهر انّ طيب الأعمال بطيبها، و خبيثها بخبيثها كالماء و ما يسقى به.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْحَسَرَتِ الْأَوْصَافُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ، وَرَدَعَتْ عَظَمَتُهُ الْعُقُولَ فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغًا إِلَى بُلُوغِ غَايَةِ مَلَكُوتِهِ، هُوَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، أَحَقُّ وَأَبِينُ مِمَّا تَرَاهُ الْعُيُونُ، لَمْ تَبْلُغْهُ الْعُقُولُ بِتَحْدِيدٍ فَيَكُونُ مُشَبَّهًا، وَلَمْ تَقْعُ عَلَيْهِ الْأَوْهَامُ بِتَقْدِيرٍ فَيَكُونَ مُمَثَّلًا، خَلَقَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ تَمَثُّيلٍ، وَلَا مَشُورَةَ مُشِيرٍ، وَلَا مَعُونَةَ مُعِينٍ، فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ، وَأَدْعَى لِبَطَاعَتِهِ فَأَجَابَ وَلَمْ يُدَافِعْ وَانْقَادَ وَلَمْ يُتَارَعِ.

وَمِنْ لَطَائِفِ صَنَعَتِهِ، وَعَجَائِبِ حِكْمَتِهِ؛ مَا أَرَانَا مِنْ غَوَامِضِ الْحِكْمَةِ فِي هَذِهِ الْخَفَافِيشِ الَّتِي يَقْبِضُهَا الضِّيَاءُ الْبَاسِطُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَيَبْسُطُهَا الظُّلَامُ الْقَابِضُ لِكُلِّ حَيٍّ، وَكَيْفَ عَشِيَّتْ أَعْيُنُهَا، عَنْ أَنْ تَسْتَمِدَّ مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ نُورًا تَهْتَدِي بِهِ فِي مَذَاهِبِهَا، وَتَصِلَ بِعَلَانِيَةٍ بُرْهَانِ الشَّمْسِ إِلَى مَعَارِفِهَا، وَرَدَعَهَا تَلَاوُضِيَّاتِهَا عَنِ الْمُضِيِّ فِي سُبْحَاتِ إِشْرَاقِهَا، وَأَكْتَهَا فِي مَكَامِنِهَا عَنِ الدَّهَابِ فِي بَلَجِ ابْتِلَاقِهَا، فَهِيَ مُسْدِلَةٌ الْجُفُونِ بِالنَّهَارِ عَلَى أَحْدَاقِهَا، وَجَاعِلَةٌ اللَّيْلِ سِرَاجًا تَسْتَدِلُّ بِهِ فِي التِّمَاسِ أَرْزَاقِهَا، فَلَا يَرُدُّ أَبْصَارَهَا إِسْدَافُ ظُلْمَتِهِ، وَلَا تَمْتَنِعُ مِنَ الْمُضِيِّ فِيهِ لِنَسَقِ دُجَّتِيهِ، فَإِذَا أَلْقَتِ الشَّمْسُ قِنَاعَهَا، وَبَدَتْ أَوْضَاحُ نَهَارِهَا، وَدَخَلَ مِنْ إِشْرَاقِ نُورِهَا عَلَى الضُّبَابِ فِي وَجَارِهَا أَطْبَقَتِ الْأَجْفَانَ عَلَى مَا قَبِهَا، وَتَبَلَّغَتْ بِمَا أَكْتَسَبَتْ مِنْ قِيٍّ ظَلَمَ لِيَالِيهَا. فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ اللَّيْلَ لَهَا نَهَارًا وَمَعَاشًا، وَالنَّهَارَ سَكْنًا وَقَرَارًا، وَجَعَلَ لَهَا أَجْنِحَةً مِنْ لَحْمِهَا تَعْرُجُ بِهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى الطَّيْرَانِ، كَأَنَّهَا شَطَايَا الْأَذَانِ غَيْرَ ذَوَاتِ رِيَشٍ وَلَا قَصَبٍ، إِلَّا أَنْكَ تَرَى مَوَاضِعَ الْعُرُوقِ بَيْنَهُ أَعْلَامًا، لَهَا جَنَاحَانِ لَمَّا يَرِقًا فَيَنْشَقَّ، وَلَمْ يَغْلُظَا فَيَسْقُطَا، تَطِيرُ وَوَلَدُهَا لَا يَصِقُ بِهَا، لَا جِيءُ إِلَيْهَا: يَقَعُ إِذَا وَقَعَتْ، وَيَرْتَفِعُ إِذَا ارْتَفَعَتْ، لَا يُفَارِقُهَا حَتَّى تَشْتَدَّ أَرْكَانُهُ، وَيَحْمِلُهُ لِلنُّهُوضِ جَنَاحُهُ، وَيَعْرِفُ مَذَاهِبَ عَيْشِهِ وَمَصَالِحَ نَفْسِهِ، فَسُبْحَانَ الْبَارِي لِكُلِّ شَيْءٍ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ.

اقول: انحسار الأوصاف: كلالها عن كشف حقيقته لبراءتها عن التركيب.

وردعت: كفت. والمساغ: المسلك، و اشار الى هويته المطلقة بقوله: ولما لم تكن الهوية مركبة لم يمكن ان يدل عليها الا باعتبارات من المسلوب، والاضافات اللازمة والعارضه، واللوازم الاضافية اشدها تعريفا والاكمل في التعريف هو اللازم الجامع لنوعى الاضافة، والسلب، وذلك كون تلك الهوية لها، فان الإله هو الذى ينسب اليه غيره ولا ينسب هو الى غيره، فانتساب غيره اليه اضافي، وعدم انتسابه الى غيره سلبي، فلا جرم عقب ذكر الهوية بما يدل على ذلك اللازم لأكملته في التعريف. ثم لما شرح اسم الهوية اشار الى كونها: حقاً اي: موجوداً ثابتاً وجوده عند العقل احق وأبين مما ترى العيون اذ هو فطري. ومن الاعتبارات السلبية كون العقول لم تبلغه بتحديد لما يلزم من التشبيه، لأنك علمت ان العقل يستثبت المعقول بصورة تحاكيه المخيلة بها من المحسوسات فيكون مشبهاً بها. ثم نبه على غامض حكمة الله في خلق الخفاش ومخالفته لسائر الحيوان في قبض الضياء لأبصارها مع كونه مادة لسائر ابصار الحيوانات، وبسط الظلام لها مع قبضه لسائر الأبصار. و اشار الى ما يصلح علة لذلك وهو عشاء ابصارها و ضعفها من الاستمداد بنور الشمس. وقيل: في سبب ضعفه انه تحلل الروح الباصر منه اذا لقي حر النهار فيستكمل باليدل بقرب الليل لمكان برده، فتعود مبصراً. والعلانية: الظهور، و«ردعها» عطف على «ارانا». و سبحات اشراقها: بهاؤه و صفاؤه. والبلج: جمع بلجة وهي اول ضوء الصبح. وائتلاقها: لمعانها. والاسداف: مصدر اسدف الليل: اظلم. و غسق الدجنة: ظلام الليل. واستعار لفظ القناع: لما يستر الشمس قبل طلوعها. و وضع النهار: ضوؤه. و وجار الضب: بيته. و شظايا الاذان: رؤوسها البارزة. ثم نبه على عظمتة تعالى، باعتبار خلقه لها مخالفة لسائر الحيوان في خلقه الجناح، وفي حالها مع ولدها و شرح ذلك بافصح عبارة تكشف عن الغرض.

١٥٥ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم

فَمَنْ اسْتَطَاعَ عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ يَعْثِقَلَ نَفْسَهُ عَلَى اللَّهِ فَلْيَفْعَلْ! فَإِنْ أَطَعْتُمُونِي فَإِنِّي

حَامِلِكُمْ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - عَلَى سَبِيلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ ذَا مَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ، وَمَذَاقَةٍ مَرِيرَةٍ.
وَأَمَّا فُلَانَةٌ فَأَذَرَ كَهَا رَأَى النَّسَاءِ، وَضَعْنَ غَلًا فِي صَدْرِهَا كَمِرْجَلِ الْقَيْنِ، وَلَوْ دُعِيَتْ
لِتَنَالَ مِنْ غَيْرِي مَا أَتَتْ إِلَيَّ لَمْ تَفْعَلْ. وَلَهَا بَعْدُ حُرْمَتُهَا الْأُولَى، وَالْحِسَابُ عَلَى اللَّهِ

أقول: مفهوم الفصل أنه سبق قبله ذكر فتن وحروب بعده بين المسلمين، يجب على
من ادركها ان يعتقل نفسه على الله اى: يحبسها عن الدخول فيها على طاعة. وسبيل الجنة
هو: الدين القيم، ولزوم المشقة فيه ظاهر كالجهاد. وفلانة: عائشة، ورأى النساء رأيها
فى حربها بالبصرة، ورأيهن الضعف^١. وأما الطعن الذى كان لها وهو الحق فقد نبهنا
عليه فى الأصل فلا نطول بذكره. وحرمتها الاولى: حرمتها برسول الله صلى الله عليه وآله.
وفى قوله: والحساب على الله: وعيد لها ببقائه.

منها:

سَبِيلُ أَبْلَجِ الْمِنْهَاجِ، أَنْوَرُ السَّرَاجِ، فَبِالْإِيمَانِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحَاتِ، وَبِالصَّالِحَاتِ
يُسْتَدَلُّ عَلَى الْإِيمَانِ، وَبِالْإِيمَانِ يُعْمَرُ الْعِلْمُ، وَبِالْعِلْمِ يُرْهَبُ الْمَوْتُ، وَبِالْمَوْتِ تُخْتَمُ
الدُّنْيَا، وَبِالدُّنْيَا تُحْرَزُ الْآخِرَةُ، وَإِنَّ الْخَلْقَ لَأَمْقَصَرُ لَهُمْ عَنِ الْقِيَامَةِ، مُرْقِلِينَ فِي مِضْمَارِهَا
إِلَى الْغَايَةِ الْقُضْوَى.

أقول: السبيل الابج هو: الدين. والأبلج: الواضح. والإيمان: هو التصديق القلبى
بالله وبرسوله وما جاؤا به من الاعمال الصالحات ثمراته، ومعلومات يستدل بوجودها
من العبد على وجود الايمان فى قلبه على لزوم الصالحات استدلالا بالعلة على المعلول.
ولما كانت ثمرات وكمالات له فبالحرى أن يكون بها عمارة العالم، اى: الايمان
بالمعنى المذكور اذا عضدها البرهان، وهو قليل الفائدة كالخراب اذا لم يعضد بالعمل.
ولما كان من الايمان العلم بأحوال المعاد استلزم ذلك العلم دوام ملاحظة الموت
المستلزم لرهبته. ولما كانت الدنيا محل الاستعداد لتحصيل الزاد ليوم المعاد، كان بها

١ - فى نسخة ش: الضعيف.

احراز الآخرة. والارقال: ضرب من السير سريع، وهو مستعار لسيرهم المتوهم في مدة اعمارهم الى الآخرة. والغاية القصوى هي السعادة، والشقاوة الاخروية. منها:

قَدْ شَخَّصُوا مِنْ مُسْتَقَرِّ الْأَجْدَاثِ، وَصَارُوا إِلَى مَصَائِرِ الْغَايَاتِ، لِكُلِّ دَارٍ أَهْلِهَا؛ لَا يَسْتَبْدِلُونَ بِهَا، وَلَا يُنْقَلُونَ عَنْهَا؛ وَإِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَخُلُقَانٍ مِنْ خُلُقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَإِنَّهُمَا لَا يُقَرَّبَانِ مِنْ أَجْلِ وَلَا يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقِي، وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ فَإِنَّهُ الْحَبْلُ الْمَتِينُ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ، وَالرِّئُ النَّاقِعُ، وَالْعِصْمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ، وَالنَّجَاةُ لِلْمُتَعَلِّقِ لَا يَعْوَجُ فَيَقَامُ، وَلَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبُ، وَلَا تُخْلِفُهُ كَثْرَةُ الرَّدِّ وَوُلُوجُ السَّمْعِ. مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ،

وقام إليه رجل و قال: أخبرنا عن الفتنة، و هل سألت عنها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم؟ فقال عليه السلام: لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ قَوْلَهُ: (أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَةَ لَا تَنْزِلُ بِنَا وَرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، بَيْنَ أَظْهُرِنَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي أَخْبَرَكَ اللَّهُ بِهَا؟ فَقَالَ: «يَا عَلِيُّ، إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ مِنْ بَعْدِي» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْلَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ اسْتُشْهِدَ مَنْ اسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَحِيزَتْ عَنِّي الشَّهَادَةُ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ فَقُلْتَ لِي «أَبَشِرْ، فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ»؟ فَقَالَ لِي «إِنَّ ذَلِكَ لَكَذَلِكَ، فَكَيْفَ صَبْرِكَ إِذَا؟» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ لَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ، وَلَكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ الْبُشْرَى وَالشُّكْرِ، وَقَالَ «يَا عَلِيُّ، إِنَّ الْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بَعْدِي بِأَمْوَالِهِمْ، وَيَمْتَنُونَ بِدِينِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَتَمَتَّنُونَ رَحْمَتَهُ، وَيَأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ، وَيَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ الْكَاذِبَةِ وَالْأَهْوَاءِ السَّاهِيَةِ، فَيَسْتَحِلُّونَ الْخَمْرَ بِالتَّبِيدِ، وَالسُّحْتَ بِالْهَدْيَةِ، وَالرَّبَا بِالتَّبْيِيعِ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ بِأَيِّ الْمَنَازِلِ أَنْزَلْتَهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ؟ أِبْمَنْزِلَةِ رِدَّةٍ أَمْ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ؟ فَقَالَ: «بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ».

اقول: صدر الفصل تماما لصفة سبقت لحال أهل القبور. ومصائر الغايات: الجنة والنار، و لكل دار منهما اهل. ونبه على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بضميرين صغرى الاوّل منهما قوله: أنّهما خلقان من خلق الله، و تقدير كبراه: و كل ما

كان كذلك وجب التخلُّق به و صغرى الثانى قوله: لا يقربان، الى قوله: من رزق - و تقدير كبراه: و كل ما كان كذلك فلا ينبغي ان يحذر فعله. والنافع: المروى. ويستعتب: يطلب منه العتبى، وهى الرجوع عن الأساءة. والرد: التردد فى الألسنة. و حيزت أى: قبضت و منعت. والسحت: الحرام. و باقى الفصل ظاهر.

١٥٦ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتَاحًا لِذِكْرِهِ، وَسَبَبًا لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ، وَدَلِيلًا عَلَى آيَاتِهِ وَعَظَمَتِهِ.

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ الدَّهْرَ يَجْرِي بِالبَاقِينَ كَجَزْيِهِ بِالمَاضِينَ، لَا يَعودُ مَا قَدَوَلَى مِنْهُ، وَلَا يَبْقَى سَرْمَدًا مَا فِيهِ. آخِرُ فِعَالِهِ كَأَوَّلِهِ، مُتَسَابِقَةٌ أُمُورُهُ، مُتَظَاهِرَةٌ أَعْلَامُهُ، فَكَأَنَّكُمْ بِالسَّاعَةِ تَحْدُوكُمْ حَدَوَ الزَّاجِرِ بِشَوْلِهِ، فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحَيَّرَ فِي الظُّلُمَاتِ، وَأَزْتَبَكَ فِي الهَلَكَاتِ، وَمَدَّتْ بِهِ شَيَاطِينُهُ فِي طُغْيَانِهِ، وَزَيَّنَتْ لَهُ سَيِّئَ أَعْمَالِهِ، فَالْجَنَّةُ غَايَةُ السَّابِقِينَ، وَالتَّارُ غَايَةُ المُفْرَطِينَ.

مرکز تحقیقات کتب و تاریخ علوم اسلامی

اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّ التَّقْوَى دَارُ حِضْنِ عَزِيزٍ، وَالفُجُورَ دَارُ حِضْنِ ذَلِيلٍ: لَا يَمْنَعُ أَهْلَهُ، وَلَا يُحْرِزُ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ. أَلَا وَبِالتَّقْوَى تُقَطَّعُ حُمَةُ الخَطَايَا وَبِالبَيِّقِينَ تُدْرِكُ الغَايَةَ القُصْوَى. عِبَادَ اللَّهِ؛ اللَّهُ فِي أعْزَا الأنْفُسِ عَلَيْنِكُمْ، وَأَحَبُّهَا إِلَيْكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ سَبِيلَ الحَقِّ وَأَنَارَ طَرِيقِهِ. فَشِقْوَةٌ لَازِمَةٌ، أَوْ سَعَادَةٌ دَائِمَةٌ، فَتَزَوَّدُوا فِي أَيَّامِ الفَنَاءِ لِأَيَّامِ البَقَاءِ، قَدْ دُلِّتُمْ عَلَى الرَّادِ، وَ أُمِرْتُمْ بِالظُّغَنِ، وَ حُشِيتُمْ عَلَى المَسِيرِ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَرَكِبٍ وَوُقُوفٍ، لَا تَدْرُونَ مَتَى تُؤْمَرُونَ بِالمَسِيرِ.

أَلَا فَمَا يَصْنَعُ بِالدُّنْيَا مَنْ خُلِقَ لِلاخِرَةِ؟ وَمَا يَصْنَعُ بِالمَالِ مَنْ عَمَّا قَلِيلٍ يُسَلَبُهُ، وَ تَبْقَى عَلَيْهِ تَبَعَتُهُ وَ حِسَابُهُ؟!!

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّهُ لَيْسَ لِمَا وَعَدَ اللَّهُ مِنَ الخَيْرِ مَثْرَكٌ، وَلَا فِيمَا نَهَى عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ مَرْعَبٌ! عِبَادَ اللَّهِ؛ أَحْدَرُوا يَوْمًا تُفْحَصُ فِيهِ الأَعْمَالُ، وَ يَكْثُرُ فِيهِ الزَّلْزَالُ، وَ تَشِيْبُ فِيهِ الأَطْفَالُ. اعْلَمُوا، عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّ عَلَيْنِكُمْ رَصْدًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَ عُيُونًا مِنْ جَوَارِحِكُمْ، وَ حِفَاطَ

صِدْقِي يَحْفَظُونَ أَعْمَالَكُمْ وَ عَدَدَ أَنْفَاسِكُمْ، لَا تَسْتُرْكُمْ مِنْهُمْ ظُلْمَةُ لَيْلٍ ذَاجٍ، وَلَا يُكِنُّكُمْ مِنْهُمْ بَابٌ ذُو رِتَاجٍ، وَإِنَّ غَدًا مِنْ الْيَوْمِ قَرِيبٌ.

يَذْهَبُ الْيَوْمُ بِمَا فِيهِ، وَيَجِيءُ الْغَدُ لَا حِقَابَ بِهِ، فَكَأَنَّ كُلَّ أَمْرٍ مِنْكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْأَرْضِ مَنَزِلَ وَحَدِيثِهِ، وَمَخَظَ حُفْرَتِهِ، فَيَالَهُ مِنْ بَيْتِ وَحْدَةٍ، وَمَنَزِلِ وَحَشِيَّةٍ، وَمَقَرِّدِ غُرْبَةٍ! وَكَأَنَّ الصَّيْحَةَ قَدْ أَتَتْكُمْ، وَالسَّاعَةَ قَدْ غَشِيَتْكُمْ وَبَرَزْتُمْ لِفَضْلِ الْقَضَاءِ، قَدْ زَاخَتْ عَنْكُمْ الْأَبَاطِيلُ، وَأَضْمَحَلَّتْ عَنْكُمْ الْعِلَلُ وَاسْتَحَقَّتْ بِكُمْ الْحَقَائِقُ، وَصَدَرَتْ بِكُمْ الْأُمُورُ مَصَادِرَهَا، فَاتَّعَظُوا بِالْعَبْرِ، وَأَعْتَبِرُوا بِالْغَيْرِ، وَانْتَفِعُوا بِالنَّذْرِ.

اقول: كون الحمد دليلا على الآية: لأختصاص الشكر بمولى النعم، وعلى عظمته: لأختصاصه باستحقاق ذلك لذاته، اذ هو مبدأ كل نعمة. والتظاهر: الترادف والتعاون. والشول: النوق التي جفت لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها من نتاجها سبعة اشهر. الواحدة شائلة على غير قياس. وإنما خص الشول لخصتها، وكون سوقها اسرع. وشغل المرء بنفسه: تطهيرها وتزكيتها بالعلوم والكمالات، وشغله بغيرها يستلزم إهمالها وتحويلها في ظلمات الجهل والهوى والإرتباك: الاختلاط، وشياطينه: قواه الخارجة عن أوامر عقله وهي: نفس الأمانة. والمفردون: المقصرون في تحصيل الكمالات النفسانية، والتقوى: فضيلة تحت العفة، والفجور: رذيلة الافراط من العفة. وحممة العقرب: إبرتها. ولفظها مستعار: للخطايا باعتبار ما فيها من الأذى. وروى حممتها بالتشديد وهي: شدتها. ونبه بقوله: وبالتقوى، الى قوله: القصوى: على كمال قوتى النفس العلمية والعملية، فالتقوى: كمال العملية، واليقين: كمال العلمية، وبهما تنال الغاية القصوى من المطالب الحقيقية. وأعز الأنفس هي: النفس المطمئنة، ولها الثواب وعليها العقاب. ووجه تمثيلهم بالركب ظاهر، فالانسان: هو النفس، والمطايا هي: الأبدان والقوى النفسانية. والطريق هي: العالم الحسي والعقلي. والسير الذي ذكره قبل الموت هو: تصرف النفس فى العالمين، لتحصيل الكمالات المسعدة وهي: الزاد لغاية السعادة الباقية. والسير الثانى الذى ينتظرونه هو: الرحيل الى الآخرة، وطرح البدن وقطع عقبات الموت. وقوله: أنه ليس، الى قوله: مترك أى: ليس بعده أمر يرغب فيه، لنفاسته وشرفه. والمرغب: محلّ

الرغبة. والفحص: البحث. ونقاش الحساب: الاستقصاء فيه. واستعار لفظ الرصد للنفوس التي تظهر فيها يوم القيامة صور السيئات. ولفظ العيون: للجوارح الشاهدة يومئذ. وحفاظ الصدق: الكرام الكاتبون. والرتاج: العلق، والأمور التي صدرت بهم مصادرها هي: اعمالهم واحوالهم التي كانوا عليها في الدنيا، وكل ما ينبه على احوال الآخرة عبرة. والغير: جمع غيرة فعلة من التغير، واعتبارها طريق الاتعاظ. والنذر: جمع نذير وهو: كل ما افاد تخويفا.

١٥٧ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

أرسله على حين فثرة من الرسل، وطول هجعة من الأمم، وانتقاض من المبرم، فجاءهم بتضديق الذي بين يديه، والنور المقتدى به: ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق، ولكن أخبركم عنه، ألا إن فيه علم ما يأتي، والحديث عن الماضي، ودواء داءكم، ونظم ما بينكم.

مركز تحقيقات علوم إسلامية

اقول: استعار لفظ الهجعة: للفترة الشاملة يومئذ للناس عن احوال الآخرة. ولفظ المبرم: وهو الحبل لما كان الخلق عليه من نظام الحال بالشرائع السابقة. ولفظ الانتقاض: لفساد ذلك بتغير الشرائع، والذي صدقه بين يديه هو: التوراة والانجيل، وكل امرتقدم امراً منتظراً قريباً منه يقال انه جاء بين يديه. ولفظ النور: القرآن. واستنطاقه: استماع فوائده منه عليه السلام، اذ هو لسان الكتاب، ودل عليه بقوله: ولن ينطق، الى قوله: عنه. وعلم ما يأتي اي: من الفتن و احوال القيامة، والحديث عن الماضي من علم الأولين و قصصهم. و دوائرهم هو: الجهل و رذائل الاخلاق. و دوائهم من ذلك: تزكية نفوسهم بما فيه من الحث على مكارم الاخلاق، والتحلّي بالكمالات النفسانية. ونظم ما بينهم: بما اشتمل عليه من القوانين المصلحية، والحكمة السياسية، والمدنية، التي فيها نظام العالم، واستقامة اموره.

منها:

فَعِنْدَ ذَلِكَ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ، إِلَّا وَأَدْخَلَهُ الظَّلْمَةُ تَرْحَةً، وَأَوْلَجُوا فِيهِ نِقْمَةً،
فَيَوْمَئِذٍ لَا يَبْقَى لَكُمْ فِي السَّمَاءِ عَازِرٌ، وَلَا فِي الْأَرْضِ نَاصِرٌ، أَصْفَيْتُمْ بِالْأَمْرِ غَيْرَ أَهْلِهِ، وَ
أُورِدْتُمُوهُ غَيْرَ مَوْرِدِهِ، وَسَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِمَّنْ ظَلَمَ: مَا كَلَّا بِمَا أَكَلِ، وَمَشْرَبًا بِمَا شَرَبَ: مِنْ
مَطَاعِمِ الْعَلَقِمِ، وَمَشَارِبِ الصَّبْرِ وَالْمَقْرِ، وَلِيَّاسِ شِعَارِ الْخَوْفِ، وَدِثَارِ السَّيْفِ، وَإِنَّمَا هُمْ
مَطَايَا الْخَطِيئَاتِ، وَزَوَامِلُ الْآثَامِ، فَأَقْسِمُ ثُمَّ أَقْسِمُ لَتَنْخَمَنَّهَا أُمَّيَّةٌ مِنْ بَعْدِي كَمَا تَلْفُظُ
النَّخَامَةَ، ثُمَّ لَا تَذُوقُهَا وَلَا تَطْعَمُ بِطَعْمِهَا أَبَدًا مَا كَرَّ الْجَدِيدَانِ.

اقول: سياق الكلام الإخبار عن حال بنى امية في دولتهم من الظلم واستحقاقهم
عند ذلك التغيير، وكنى عنه: بعدم العاذر في السماء، والناصر في الارض. والأمر امر
الخلافة، والتوبيخ والوعيد بالله لهم، ولمن عدل بها عنه، وما كلاً ومشرباً نصب بفعل
مضمر اي: يبدلهم الله ما كلاً بما أكل. واستعار لفظ العلقم والصبر والمقر وهو: المرلما
يتجرعونه من شدائد القتل وزوال الدولة.
و افاد بعض الشارحين انه إنما خصص الخوف بالشعار، لأنه باطن في القلوب،
والسيف بالديثار، لأنه ظاهر كما ان الشعار: ما كان يلي الحديد، والديثار: ما كان فوقه،
واستعار لفظ المطايا. والزوامل: جمع زاملة للحمل يستظهر به الانسان في سفره
باعتبار حملهم للخطايا. ووصف التنخم لزوال الخلافة عنهم، فكانهم قذفوها من أفواههم
كالنخامة. وأما هنا بمعنى: المدة. والجديدان: الليل، والنهار.

١٥٨ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَلَقَدْ أَحْسَنْتُ جِوَارِكُمْ، وَأَحْطَطُ بِجُهْدِي مِنْ وَرَائِكُمْ: وَأَعْتَقْتُكُمْ مِنْ رَبِّي الذَّلَّ، وَ
حَلَقِ الضَّيْمِ، شُكْرًا مِنِّي لِلْبِرِّ الْقَلِيلِ! وَإِطْرَاقًا عَمَّا أَدْرَكَهُ الْبَصْرُ، وَشَهْدَةً الْبَدَنُ مِنَ الْمُتَكَّرِ
الْكَثِيرِ.

استعار لفظ الربق، والحلق: لما يخاف عليهم من دولة غيره من الأردال. والبر القليل اى: منهم و هو: طاعتهم القليلة له. والمنكر الكثير: منكرهم، ويحمل اطرافه عنه على عدم تمكنه من ازالته لاستلزام ذلك مفسدة اكثر منه، والتجاوز عن بعض الاساءات المنكرة من الرعيّة، كالضروري في تدبّر الدولة.

١٥٩ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

أَمْرُهُ قَضَاءٌ وَحِكْمَةٌ، وَرِضَاؤُهُ أَمَانٌ وَرَحْمَةٌ، يَقْضِي بِعِلْمِهِ، وَيَعْفُو بِحِلْمِهِ. لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا تَأْخُذُ وَتُعْطِي، وَعَلَى مَا تَعْفَى وَتَبْتَلِي، حَمْدًا يَكُونُ أَرْضَى الْحَمْدِ لَكَ، وَ أَحَبُّ الْحَمْدِ إِلَيْكَ، وَأَفْضَلُ الْحَمْدِ عِنْدَكَ، حَمْدًا يَمْلَأُ مَا خَلَقْتَ، وَيَبْلُغُ مَا أَرَدْتَ، حَمْدًا لَا يُحْجَبُ عَنْكَ، وَلَا يَقْصُرُ دُونَكَ، حَمْدًا لَا يَنْقَطِعُ عَدَدُهُ، وَلَا يَفْنَى مَدَدُهُ، فَلَسْنَا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ، إِلَّا أَنَا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قِيَوْمٌ لَا تَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ، لَمْ يَنْتَهَ إِلَيْكَ نَظْرٌ، وَلَمْ يُدْرِكَكَ بَصَرٌ، أَدْرَكْتَ الْأَبْصَارَ، وَأَخْصَيْتِ الْأَعْمَالَ، وَأَخَذْتَ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامَ، وَمَا الَّذِي نَرَى مِنْ خَلْقِكَ وَنَعْجَبُ لَهُ مِنْ قُدْرَتِكَ، وَنَصِفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ، وَمَا تَغَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ، وَقَصُرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ، وَأَنْتَهَتْ عُقُولُنَا دُونَهُ، وَحَالَتْ سُورُ الْغُيُوبِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ؛ أَعْظَمُ فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ، وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ، لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ، وَكَيْفَ ذَرَأْتَ خَلْقَكَ، وَكَيْفَ عَلَّقْتَ فِي السَّمَوَاتِ سَمَوَاتِكَ، وَكَيْفَ مَدَدْتَ عَلَى مَوْرِ الْمَاءِ أَرْضَكَ؛ رَجَعَ ظَرْفُهُ حَسِيرًا، وَعَقْلُهُ مَبْهُورًا، وَسَمْعُهُ وَالْهَاءُ وَفِكْرُهُ حَائِرًا.

أقول: أمره: حكم قدرته الالهية، و كونه قضاء اى: حكمًا لازما لايرد. و كونه حكمة: كونه على وفق الحكمة الالهية والنظام الأكمل، ورضاه يعود الى علمه بطاعة العبد له، وعفوه يعود الى عدم عقابه للمذنبين. و انما يتحقق العفومع القدرة على العقاب فلذلك قال: يعفوبحلم. وقوله: فلسنا الى آخره: اعتراف بالعجز عن ادراك كنه عظمته، و اشار الى بيان وجه معرفته الممكنة للخلق، وهى اما بالصفات الحقيقية، لكونه حيا او بالاعتبارات السلبية لكونه لا تأخذه سنة و لانوم، ولا ينتهى اليه نظر عقلى او بصرى،

او الاضافية لكونه مدركا للأبصار محصيا للأعمال آخذا بالنواصي والاقدام. و «ما» في قوله: وما الذي: استفهامية على سبيل الاستحغار لما استفهم عنه مما عدده من المدركات بالنسبة الى ما لم يدرك من عظيم ملكوته. و «ما» الثانية في قوله: وما يغيب: بمعنى الذي محله الرفع بالابتداء و خبره اعظم. والواو فيها للحال. ومبهورا: مغلوبا. وباقي الفصل ظاهر.

منها:

يَدْعِي بَزْعِيمِهِ أَنَّهُ يَرْجُو اللَّهَ! كَذَبَ وَالْعَظِيمِ! مَا بَالُهُ لَا يَتَّبِعُنَّ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ؛ فَكُلُّ مَنْ رَجَا عُرْفَ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ، إِلَّا رَجَاءَ اللَّهِ فَإِنَّهُ مَدْخُوكٌ، وَكُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ، إِلَّا خَوْفَ اللَّهِ فَإِنَّهُ مَعْلُوكٌ: يَرْجُو اللَّهَ فِي الْكَبِيرِ، وَيَرْجُو الْعِبَادَ فِي الصَّغِيرِ، فَيُعْطَى الْعَبْدَ مَا لَا يُعْطَى الرَّبَّ، فَمَا بَالُ اللَّهِ، جَلَّ تَنَاهُ، يُقَصِّرُ بِهِ عَمَّا يُضَنَعُ لِعِبَادِهِ؟ أَتَخَافُ أَنْ تَكُونَ فِي رَجَائِكَ لَهُ كَاذِبًا، أَوْ تَكُونَ لَا تَرَاهُ لِلرَّجَاءِ مَوْضِعًا، وَكَذَلِكَ إِنْ هُوَ خَافَ عَبْدًا مِنْ عِبِيدِهِ أَعْطَاهُ مِنْ خَوْفِهِ مَا لَا يُعْطَى رَبَّهُ، فَجَعَلَ خَوْفَهُ مِنَ الْعِبَادِ نَقْدًا، وَخَوْفَهُ مِنْ خَالِقِهِمْ ضِمَارًا وَوَعْدًا، وَكَذَلِكَ مَنْ عَظُمَتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ وَكُسِرَ مَوْجِعُهَا فِي قَلْبِهِ، آثَرَهَا عَلَى اللَّهِ فَانْقَطَعَ إِلَيْهَا وَصَارَ عَبْدًا لَهَا.

وَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، كَافٍ لَكَ فِي الْأَسْوَةِ وَدَلِيلُ لَكَ عَلَى ذَمِّ الدُّنْيَا وَعَيْبِهَا، وَكَثْرَةِ مَخَارِبِهَا وَمَسَاوِيهَا؛ إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَظْرَافُهَا، وَوُطِّتْ لِغَيْرِهِ أَكْنَافُهَا، وَقُطِمَ عَنْ رِضَاعِهَا، وَزُوِيَ عَنْ زَخَارِفِهَا، وَإِنْ شِئْتَ تَنَبَّأْتُ بِمُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، إِذْ يَقُولُ: (رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرِ فَقِيرٍ) وَاللَّهُ مَا سَأَلَهُ إِلَّا خُبْرًا يَا كَلْبُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الْأَرْضِ. وَلَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ لِهَزَالِهِ وَتَشَدُّبِ لَحْمِهِ، وَإِنْ شِئْتَ تَلَّثُّتُ بِدَاوُدَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ صَاحِبِ الْمَزَامِيرِ، وَقَارِيِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْخُوصِ بِيَدِهِ، وَيَقُولُ لِجُلَسَائِهِ: أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا؟ وَيَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا، وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيْسَى بْنِ مَرْيَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَشَّدُ الْحَجَرَ وَيَلْبَسُ الْخَشِينَ، وَيَأْكُلُ الْجَشِبَ وَكَانَ إِذَا مَهُ الْجُوعَ وَسِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ

القَمَرِ، وَظِلَالُهُ فِي الشِّتَاءِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَفَا كِهْتُهُ وَرِيحَانُهُ مَا تُثَبِتُ الْأَرْضُ
لِلْبَهَائِمِ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِيئُهُ، وَلَا وَلَدٌ يَخْزِنُهُ، وَلَا مَالٌ يَلْفِيئُهُ، وَلَا طَمَعٌ يَذَلُّهُ، دَابَّتُهُ
رَجْلَاهُ، وَخَادِمُهُ يَدَاهُ.

فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَظْهَرِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؛ فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةٌ لِمَنْ تَأَسَّى، وَعَزَاءٌ
لِمَنْ تَعَزَّى، وَأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ، وَالْمُقْتَصِرُ لِأَثَرِهِ: فَضَمَ الدُّنْيَا قَضْمًا،
وَلَمْ يُعْرِهَا ظَرْفًا، أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحًا، وَأَخْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْنًا، عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا
فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا، وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئًا فَأَبْغَضَهُ، وَحَقَّرَ شَيْئًا فَحَقَّرَهُ، وَصَغَّرَ شَيْئًا
فَصَغَّرَهُ، وَلَوْلَمْ يَكُنْ فِينَا إِلَّا حُبْنَا مَا أَبْغَضَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَتَعْظِيمُنَا مَا صَغَّرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؛
لَكَفَى بِهِ شِقَاقًا لِلَّهِ، وَمُحَادَّةً عَنْ أَمْرِ اللَّهِ، وَلَقَدْ كَانَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، يَا كُلُّ
عَلَى الْأَرْضِ، وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ، وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ، وَيَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ، وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ
الْعَارِيَّ، وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ، وَيَكُونُ السِّرُّ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ التَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ: يَا فُلَانَةَ-
لِإِخْدَى أَزْوَاجِهِ- غَيْبِيهِ عَنِّي؛ فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَزَخَارِفَهَا، فَأَعْرَضَ
عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِهِ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ؛ لِكَيْلَا يَتَّخِذَ
مِنْهَا رِيَاشًا، وَلَا يَتَعْتَقِدَهَا قَرَارًا، وَلَا يَرْجُو فِيهَا مُقَامًا، فَأَخْرَجَهَا مِنَ النَّفْسِ، وَأَشْخَصَهَا
عَنِ الْقَلْبِ، وَغَيَّبَهَا عَنِ الْبَصَرِ، وَكَذَلِكَ مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَأَنْ يُذَكَّرَ عِنْدَهُ.
وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، مَا يَذُلُّكَ عَلَى مَسَاوِي الدُّنْيَا
وَعُيُوبِهَا؛ إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِيهِ، وَزُؤِيَّتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِيهِ. فَلْيَنْظُرْ نَاطِرٌ بِعَقْلِهِ
أَكْرَمَ اللَّهُ مُحَمَّدًا بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَهُ؟! فَإِنْ قَالَ: «أَهَانَهُ» فَقَدْ كَذَّبَ وَأَتَى بِالْإِفْكِ الْعَظِيمِ،
وَإِنْ قَالَ: «أَكْرَمَهُ» فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ، وَزَوَّاهَا عَنْ أَقْرَبِ
النَّاسِ مِنْهُ، فَتَأَسَّى مُتَأَسِّ بِنَبِيِّهِ، وَأَقْتَصَرَ أَثَرَهُ، وَوَلَجَ مَوْلَجَهُ، وَالْأَفْلَا يَا مَنْ الْهَلَكَةَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ
جَعَلَ مُحَمَّدًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، عَلَمًا لِلسَّاعَةِ، وَمُبَشِّرًا بِالْجَنَّةِ، وَمُنْذِرًا بِالْعُقُوبَةِ:
خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا خَمِيضًا، وَوَرَدَ الْآخِرَةَ سَلِيمًا، لَمْ يَضَعْ حَجْرًا عَلَى حَجْرٍ حَتَّى مَضَى
لِسَبِيلِهِ، وَأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ، فَمَا أَعْظَمَ مِنَّةَ اللَّهِ عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلَفًا نَتَّبِعُهُ، وَقَائِدًا
نَطْلُقُ عَقِيْبَهُ، وَاللَّهُ لَقَدْ رَفَعَتْ مِدْرَعَتِي هَذِهِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا، وَلَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ: أَلَا
تَنْبِيذُهَا عَنْكَ؟ فَقُلْتُ: أَغْرُبُ عَنِّي «فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى».

اقول: مساق الكلام ذم من يرجو الله بلا عمل فهو كالمدعى للرجاء، وتنبيهه ان رجاءه ليس^١ بخالص بتكذيبه، والاشارة الى تقصيره فى العمل وتوبيخه عليه. والمدخول: غير الخالص. وقوله: ما باله، الى قوله: عمله، قياس من الشكل الثانى، بين فيه، ان المقصر غير راج الرجاء التام، وتلخيصه: ان هذا المدعى لا يتبين رجاءه فى عمله، و كل من رجائين رجاءه فى عمله، فينتج: ان هذا المدعى للرجاء غير راج، و تقدير الاستثناء مع المستثنى منه، و كل رجاء لراج تعريف فى عمله خلوص رجائه الا رجاء الراجى لله فانه غير خالص. و روى: فكل رجاء الا رجاء الله فانه مدخول. والتقدير: و كل رجاء محقق او خالص ليطابق الكلّيتين على مساق واحد. والضمائر: ما لا يرجى من الوعد. و قبض اطراف الدنيا عنه كناية: عن منعه منهما. والأكناف: الجوانب. و زوى: غيب. و استعار لفظ الادم: للجوع. و لفظ السراج: للقمر، و الظلال لمشارك الارض و مغاربها. و خص التأسى بمحمد صلى الله عليه و آله، لكونه مستجمعا لجميع هدى من سبق فالمقتدى به مقتد بجميعهم. والقضم: الأكل بأدنى الفم. والهضم الخميص: لقلة الأكل. والكشح: الخاضرة. و المحادة: المعادة. و جلسة العبد: كما فى التشهد. والرياش: الزينة. و الاخلاق الكريمة التى عددها فيه صلى الله عليه و آله هي: الامور المقتدى به فيها. و الزلفة: القربة والمنزلة. و قوله: فتأسى: خبر فى معنى الأمر بالتأسى. و النبذ: اللقاء. و اغرب: تباعد. و قوله: فعند الصباح، الى قوله: السرى، مثل: يضرب لمحتمل المشقة ليصل الى الراحة. و اصله: ان القوم يسرون ليلاً فيحمدون عاقبة ذلك بقرب المنزل اذا اصبحوا، و مطابقة الصباح لا اتصال النفس العاقلة بالملا الأعلى، و اشراق نور الحق عليها عند مفارقة ظلمة البدن، و الهيئات الدنيوية بالرياضة الكاملة التى عندها يحمد عواقب الصبر على مكاره الدنيا، و معاناة شدائدها مطابقة ظاهره حسنة الموقع.

١- فى شر: غير خالص.

٢- مجمع الامثال ٣/٢. المستقصى فى امثال العرب ١٨٦/٢.

بَعَثَهُ بِالنُّورِ الْمُضِيِّ، وَالْبُرْهَانِ الْجَلِيِّ، وَالْمَنْهَاجِ الْبَادِي، وَالكِتَابِ الْهَادِي: أُسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَةٍ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ: أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ، وَثَمَارُهَا مُتَهَدَّلَةٌ مَوْلَدُهُ بِمَكَّةَ، وَهَجْرَتُهُ بِطَبِيبَةَ، عَلَابُهَا ذِكْرُهُ، وَامْتَدَّ بِهَا صَوْتُهُ. أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ، وَمَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ، وَدَعْوَةٍ مُتَلَافِيَةٍ، أَظْهَرَ بِهِ الشَّرَائِعَ الْمَجْهُولَةَ، وَقَمَعَ بِهِ الْبِدَعَ الْمَدْخُولَةَ، وَبَيَّنَّ بِهِ الْأَحْكَامَ الْمَفْصُولَةَ، فَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا تَتَحَقَّقُ شِقْوَتُهُ، وَتَنْفَصِمَ عُرْوَتُهُ، وَتَعْظُمَ كَبُوتُهُ، وَيَكُنْ مَأْبَهُ إِلَى الْحُزَنِ الطَّوِيلِ، وَالْعَذَابِ الْوَبِيلِ.

وَأَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلِ الْإِنَابَةَ إِلَيْهِ، وَأَسْتَرْشِدُهُ السَّبِيلَ الْمُوَدِّيَّةَ إِلَى جَنَّتِهِ؛ الْقَاصِدَةَ إِلَى مَحَلِّ رَغْبَتِهِ. أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ، فَإِنَّهَا النَّجَاةُ غَدَاً، وَالْمَنْجَاةُ أَبَدًا، رَهَبٌ فَأَبْلَغُ، وَرَغَبٌ فَأَسْبَغُ، وَوَصَفَ لَكُمْ الدُّنْيَا وَأَنْقِطَاعَهَا وَزَوَالَهَا وَأَنْتِقَالَهَا، فَأَعْرَضُوا عَمَّا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقَلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا. أَقْرَبُ دَارٍ مِنْ سُخْطِ اللَّهِ، وَأَبْعَدُهَا مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ! فَغُضُّوا عَنْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ عُمُومَهَا وَأَشْغَالَهَا لِمَا أَيْقَنْتُمْ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا وَتَصَرُّفِ حَالِهَا، فَاحْذَرُواهَا حَذَرَ الشَّفِيقِ النَّاصِحِ، وَالْمُجِدِّ الْكَادِحِ، وَاعْتَبِرُوا بِمَا قَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ مَصَارِعِ الْقُرُونِ قَبْلَكُمْ: قَدْ تَرَايَلَتْ أَوْصَالُهُمْ، وَزَالَتْ أَبْصَارُهُمْ وَأَسْمَاعُهُمْ، وَذَهَبَ شَرَفُهُمْ وَعِزُّهُمْ، وَأَنْقَطَعَ سُورُهُمْ وَنَعِيمُهُمْ، فَبَدَّلُوا بِقُرْبِ الْأَوْلَادِ فَقَدَهَا، وَبِصُخْبَةِ الْأَزْوَاجِ مُفَارَقَتَهَا، لَا يَتَفَاخَرُونَ، وَلَا يَتَنَاسَلُونَ، وَلَا يَتَزَاوَرُونَ، وَلَا يَتَجَاوَرُونَ. فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ حَذَرَ الْغَالِبِ لِنَفْسِهِ، الْمَانِعِ لِشَهْوَتِهِ، النَّاطِرِ بِعَقْلِهِ؛ فَإِنَّ الْأَمْرَ وَاضِحٌ، وَالْعَلَمَ قَائِمٌ، وَالطَّرِيقَ جَدِّدٌ، وَالسَّبِيلَ قَصْدٌ.

اقول: استعار لفظ النور: لهدى النبوة. والبرهان الجلي: المعجزات، والمنهاج البادي: شريعته الواضحة و أسرته: اهله، واستعار لفظ الشجرة: لقريش، و لفظ الأغصان: لأشخاص بيته صلى الله عليه و آله، واعتدال هذه الاغصان: تقاربهم في الفضل، و لفظ الثمار: لفضائلهم العلمية والعملية. و لفظ التهدل: لظهورها و كثرتها، و سهولة الانتفاع بها. و طيبة: اسم للمدينة. وامتداد صوته كناية: عن انتشار دعوته. و تلافى دعوته: تداركها للخلق، و انقاذهم اياهم من الهلكة. و الشرائع المجهولة: طرق

دينه، والمدخولة: التي فيها. دخل بالتحريك اى: عيب، وعروته: استعارة في متمسكه من عصم النجاة. والوبيل: المهلك. والضمير في رهب ورغب لله. والاعراض عن الدنيا هو: الزهد الحقيقي. وفض غمومها: كفها. والكادح: المجد في السعي والعمل، والغالب لنفسه اى: الأمانة بالسوء. الناظر بعين عقله مقابح شهوته. والأمر الواضح: سبيل الخير والشر. والعلم القائم: كتاب الله ودينه. والفصل واضح.

١٦١ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لبعض أصحابه وقد سأله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به؟

فقال:

يَا أَخَا بَنِي أَسَدٍ؛ إِنَّكَ لَلِقَلْبِ الْوَضِيِّينَ، تُرْسِلُ فِي غَيْرِ سَدَدٍ! وَلَكَ بَعْدَ ذِمَامَةِ الصَّهْرِ وَحَقِّ الْمَسْأَلَةِ، وَقَدْ اسْتَعْلَمْتَ فَأَعْلَمْ: أَمَا الْإِسْتِبْدَادُ عَلَيْنَا بِهَذَا الْمَقَامِ - وَنَحْنُ الْأَعْلُونَ نَسَبًا، وَالْأَشْدُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، نَوْظًا - فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثْرَةً شَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ، وَسَخَّتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ، وَالْحَكْمُ اللَّهُ وَالْمَعْوَدُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَدَعَّ عَنْكَ نَهْبًا صِيحَ فِي حَجْرَاتِهِ ۖ وَهَلَّمَ الْخَطْبَ فِي ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ فَلَقَدْ أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بَعْدَ إِبْكَائِهِ، وَلَا غَرَوَ وَاللَّهِ فَيَالَهُ خَطْبًا يَسْتَفْرِغُ الْعَجَبَ وَيُكْثِرُ الْأَوْدَ، حَاوَلَ الْقَوْمُ إِظْفَاءَ نُورِ اللَّهِ مِنْ مِضْبَاحِهِ، وَسَدَّ فَوَارِهِ مِنْ يَتْبُوعِهِ. وَجَدَحُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ شِرْبًا وَبَيْتًا. فَإِنْ تَرْتَفِعَ عَنَّا وَعَنْهُمْ مِحْنُ الْبَلْوَى أُخِمْ لَهُمْ مِنَ الْحَقِّ عَلَى مَحْضِهِ، وَإِنْ تَكُنِ الْآخِرَى (فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ؛ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ).^١

اقول: الوضيين: الحزام. والمثل يقال: لمن لا يتثبت في قوله: والسدد: الصواب. والذمامة بالكسر: الحرمة. واما كون الأسدى صهرا فلان زينب بنت جحش زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله كانت اسديّة و امها ميمونة بنت عبدالمطلب، فهي بنت عمّة رسول الله. قالوا: والمصاهرة المشار اليها هذه. وقيل: بل كان على عليه السلام متزوجا

في بنى اسد. والنوط: التعلق. والأثرة: الاستبداد بالشئ، يقال: لما يستبد به، والمراد: الخلافة. والبيت لأمرئ القيس، وأصله انه تنقل في احياء العرب بعد قتل أبيه، فنزل على رجل من جديله طى يقال له طريف فأحسن جواره فمدحه وإقام معه. ثم إنه خاف ان لا يمنعه فتحول عنه، ونزل على خالد بن سدوس بن اسمع النبهانى، فأغارت بنوجديله عليه و هو فى جوار خالد، فذهبوا يابله فلما أتاه الخبر ذكر ذلك لخالد، فقال له: اعطنى رواحلك ألحق عليها، فارد عليك ابلك ففعل، فركب خالد فى اثر القوم حتى ادركهم، فقال: يا بنى جديله اغرتم على ابل جارى؟ قالوا: ما هولك بجار، قال: بلى والله، وهذه رواحله. فرجعوا اليه، فأنزلوه عنهن و ذهبوا بهن و بالابل، فقال امرؤ القيس القصيدة التى اولها البيت:

فدع عنك نهبا صيحا فى حجراته وهات حديثاً ما حديث الرواحل
والنهب: المنهوب. و حجراته: جوانبه. و حديث الثانى: مبتدا، والاول: خبره، وما: للتكثير، وهى التى اذا دخلت على اسم زادته ايها ما، كقوله: لأمر ما جدع قصير انفه؟ و اراد: انى لا ادرى كيف هو و ذلك انه قيل: ان خالد هو الذى ذهب بالرواحل فكان عنده شك فى امرها. فأما مطابقته لما هو فيه فهوان الأئمة السابقين وان كانوا قد استبدوا بهذا الأمر فحديثهم مفهوم: اذ لهم الشبهة بالقدمة فى الاسلام، والهجرة، و قرب المنزلة من الرسول فدع ذكرهم و ذكر نهبهم لهذا المقام فيما سبق، و لكن هات ما نحن فيه الآن من خطب معاوية، والخطب الحادث. و لاغرواى: لا عجب. والأود: الاعوجاج. والقوم: قریش. و استعار لفظ المصباح: لنفسه لان انوار دين الله تقتبس منه. و لفظ الينبوع اذ هو منبع ما يفوز من العلوم التى هى ماء الحياة الأبدية. و لفظ الشرب الوبى: لما حصل فى صدورهم من الاحن بسبب هذا الأمر حتى لزم عنه القتل، والقتال الى يوم القيامة. و وصف الجرح بالجيم بعده الحاء و هو: الخلط للكدر الواقع بينهم و اختلاط الامر بسبب ذلك. و محن البلوى: المحن مما ابتلاههم الله به من الخلاف. و محض الشئ: خالصة.

الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْعِبَادِ، وَسَاطِحِ الْمِهَادِ، وَمُسِيلِ الْوَهَادِ، وَمُخْصِبِ النَّجَادِ نَيْسَ لِأَوْلِيَّتِهِ
 ابْتِدَاءً، وَلَا لِزَكِيَّتِهِ انْقِضَاءً، هُوَ الْأَوَّلُ لَمْ يَزَلْ، وَالْبَاقِي بِلَا أَجَلٍ خَرَّتْ لَهُ الْجِبَاهُ، وَوَحْدَتُهُ
 الشَّفَاءُ، حَدًّا لِأَشْيَاءٍ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا إِبَانَةٌ لَهُ مِنْ شَبْهِهَا، لَا تُقَدَّرُهُ الْأَوْهَامُ بِالْحُدُودِ
 وَالْحَرَكَاتِ، وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالْأَدْوَابِ لَا يُقَالُ لَهُ: «مَتَى؟» وَلَا يُضْرَبُ لَهُ أَمَدٌ بِحَتَّى،
 الظَّاهِرُ لَا يُقَالُ «مِمَّا»، وَالْبَاطِنُ لَا يُقَالُ «فِيمَا»، لِأَشْبَحُ فَيَتَقَضَّى، وَلَا مَخْجُوبٌ فَيُخَوَى.
 لَمْ يَقْرُبْ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالتِّصَاقِ، وَلَمْ يَبْعُدْ عَنْهَا بِالفِتْرَاقِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ شُخُوصٌ
 لِحُظَيْهِ، وَلَا كُرُورٌ لَفِظَةٍ، وَلَا أزدِلَافُ رَبُوبَةٍ، وَلَا انْبِسَاطُ خُطْوَةٍ فِي لَيْلِ دَاجٍ، وَلَا غَسَقِ سَاجٍ،
 يَتَفَيَّأُ عَلَيْهِ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ، وَتَعْقُبُهُ الشَّمْسُ ذَاتُ النُّورِ، فِي الْأَقْوَالِ وَالْكُرُورِ، وَتَقَلُّبِ الْأَزْمِنَةِ
 وَالذُّهُورِ مِنْ إِقْبَالِ لَيْلٍ مُقْبِلٍ، وَإِدْبَارِ نَهَارٍ مُدْبِرٍ، قَبْلَ كُلِّ غَايَةٍ وَمُدَّةٍ، وَكُلِّ إِحْصَاءٍ وَعِدَّةٍ،
 تَعَالَى عَمَّا يَتَحَلَّهُ، الْمُحَدِّدُونَ مِنْ صِفَاتِ الْأَقْدَارِ، وَنَهَايَاتِ الْأَقْطَارِ، وَتَأْتِلِ الْمَسَاكِينِ،
 وَتَمَكُنِ الْأَمَاكِينِ: فَالْحَدُّ لَخَلْقِهِ مَضْرُوبٌ، وَإِلَى غَيْرِهِ مَنْسُوبٌ، لَمْ يَخْلُقِ الْأَشْيَاءَ، مِنْ
 أُصُولٍ أَزَلِيَّةٍ، وَلَا مِنْ أَوَائِلِ أَبَدِيَّةٍ؛ بَلْ خَلَقَ مَا خَلَقَ فَأَقَامَ حَدَّهُ، وَصَوَّرَ مَا صَوَّرَ فَأَحْسَنَ
 صُورَتَهُ، لَيْسَ لَيْسَى مِنْهُ امْتِنَاعٌ، وَلَا لَهُ بِطَاعَةٍ شَيْءٌ إِانْتِفَاعٌ. عِلْمُهُ بِالْأُمُوتِ الْمَاضِيْنَ
 كَعِلْمِهِ بِالْأَحْيَاءِ الْبَاقِيْنَ وَعِلْمُهُ بِمَا فِي السَّمَوَاتِ الْعُلَى كَعِلْمِهِ بِمَا فِي الْأَرْضِيْنَ السُّفْلَى.

أقول: ساطع المهاد: جاعل الأرض مهادًا للحيوان. والوهاد: جمع وهدة وهي:
 المطمئن من الأرض. والنجاد جمع نجد وهو المرتفع منها. و اشار بعدم ابتداء اوليته:
 الى قدمه لذاته و بعدم انقضاء ازليته: الى سلب الغاية عن وجوده. و حدّه للأشياء: جعلها
 ذات حدود، و نهايات من اجزاء و اشكال، و اقطار تنتهى بها. ولما ظهر من خلقه تعالى
 للموجودات أنه مباين لها بذاته اشبهت ارادته لأيجادها قصد إبانته منها، فاستعار لفظها
 لتمييزه بذاته عنها. و لما كانت الأوهام لا تدركه لا جرم لم يمكن تقديرها آياه بما من
 شأنها الإدراك به مما عدّد، و لما تنزّه عن الزمان و المادة و المكان لم تصدق عليه الألفاظ
 المقولة بحسبها. و شخوص اللحظة مدالبصر. و ازدلاف الربوبية: تقدّمها اى: الربوبية

المتقدمة. والضمير في «عليه» للغسق. وفي تعقبه للقمر. وقوله: من اقبال ليل: متعلق بتقليب. والبدئة: المبتدأة، و اشار بتشابه علمه في الماضين والباقيين، وبما في السماوات والأرضين: الى ازليته و عدم تجدده تغيره.

منها:

أَيُّهَا الْمَخْلُوقُ السَّوِيُّ، وَالْمُنْشَأُ الْمَرْعِيُّ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ وَمُضَاعَفَاتِ الْأَسْتَارِ؛
بَدِئْتَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ، وَوُضِعْتَ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ، وَأَجَلٍ مَقْسُومٍ، تَمُورُ فِي
بَطْنِ أُمَّكَ جَنِينًا: لَا تُحِيرُ دُعَاءً، وَلَا تَسْمَعُ نِدَاءً، ثُمَّ أُخْرِجَتْ مِنْ مَقْرَكَ إِلَى دَارٍ لَمْ
تَشْهَدْهَا، وَلَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَنَافِعِهَا، فَمَنْ هَذَاكَ لِاجْتِرَارِ الْغِذَاءِ مِنْ ثَدْيِ أُمَّكَ؟ وَعَرَفَكَ
عِنْدَ الْحَاجَةِ مَوَاضِعَ طَلْبِكَ وَإِرَادَتِكَ؟ هَيْهَاتَ! إِنَّ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَاتِ ذِي الْهَيْئَةِ
وَالْأَدْوَاتِ فَهُوَ عَنْ صِفَاتِ خَالِقِهِ أَعْجِزُ؛ وَمَنْ تَنَاوَلَهُ بِحُدُودِ الْمَخْلُوقِينَ أَبْعَدُ.

اقول: الخطاب للإنسان. والسوي: مستوي الخلقة. والمرعي: المعنى بأمره. ونبه
بكونه مخلوقا سويا مرعيا في اطوار خلخته وتقلبات حالاته الى غايته على وجود صانع
حكيم لطيف خبير، وهذا القدر من المعرفة هو الضروري للفظن، وان احتاج الى تنبيه ما، وما
وراء ذلك فامر لا تطلع العقول البشرية منه الا على اعتبارات، ومقاييسات له الى خلقه
كما سبق بيانه. ونبه على بعد ادراكه بقوله: هيهات، الى قوله: والادوات اي: من يعجز
عن صفات نفسه في حال بخليقه، والاطلاع على منافع جزئيات اعضائه مع كونها اقرب
الاشياء اليه، فهو عن وصف خالقه الذي هو ابعد الاشياء عنه مناسبة اعجز، ومن ادراكه
بالمقايسة، والتشبيه بحدود المخلوقات و صفاتها ابعده.

١٦٣ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

لما اجتمع الناس عليه وشكوا ما نقموه على عثمان، وسألوه مخاطبته عنهم واستعنا به لهم، فدخل عليه فقال:-

إِنَّ النَّاسَ وَرَائِي، وَقَدْ اسْتَسْفَرُونِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، وَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ؟! مَا أَعْرِفُ شَيْئًا تَجْهَلُهُ، وَلَا أَدْلُكَ عَلَى أَمْرٍ لَا تَعْرِفُهُ. إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ، مَا سَبَقْنَاكَ إِلَى شَيْءٍ فَنُخْبِرَكَ عَنْهُ، وَلَا خَلَوْنَا بِشَيْءٍ فَنُبَلِّغُكَ، وَقَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْتَنَا، وَسَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا، وَصَحِبْتَ رَسُولَ اللَّهِ كَمَا صَحَبْنَا، وَمَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَلَا ابْنُ الْخَطَّابِ أَوْلَى بِعَمَلِ الْحَقِّ مِنْكَ، وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَيْجَةَ رَجِمَ مِنْهُمَا، وَقَدْ نَلْتِ مِنْ صِهْرِهِ مَا لَمْ يَنَالَ، فَاللَّهُ اللَّهُ فِي نَفْسِكَ فَإِنَّكَ، وَاللَّهُ، مَا تُبَصِّرُ مِنْ عَمِّي، وَلَا تَعْلَمُ مِنْ جَهْلِي، وَإِنَّ الطَّرِيقَ لَوَاضِحَةٌ، وَإِنَّ أَعْلَامَ الدِّينِ لَقَائِمَةٌ. فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ عَادِلٌ هُدًى وَهَدًى، فَأَقَامَ سُنَّةَ مَعْلُومَةٍ، وَأَمَاتَ بِدْعَةَ مَجْهُولَةٍ، وَإِنَّ السُّنَنَ لَسَيِّرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ، وَإِنَّ الْبِدْعَ لظَاهِرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ، وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضَلَّ بِهِ، فَأَمَاتَ سُنَّةَ مَا خُوذَةٌ، وَأَحْيَا بِدْعَةَ مَثْرُوكَةٌ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «يُوتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْإِمَامِ الْجَائِرِ وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلَا عَاذِرٌ، يُلْقَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحَى: ثُمَّ يَرْتَبِطُ فِي قَعْرِهَا»، وَإِنِّي أَنْشُدُكَ اللَّهَ أَنْ لَا تَكُونَ إِمَامَ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَقْتُولِ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ: يُقْتَلُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ إِمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا الْقَتْلَ وَالْقِتَالَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيُلْبَسُ أُمُورَهَا عَلَيْهَا، وَيَبُتُّ الْفِتْنُ فِيهَا، فَلَا يُبْصِرُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ؛ يَمْوُجُونَ فِيهَا مَوْجًا، وَيَمْرُجُونَ فِيهَا مَرْجًا، فَلَا تَكُونَنَّ لِمَرْوَانَ سَيِّقَةً، يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ جَلَالِ السِّنِّ، وَتَقْضَى الْعُمْرُ!!

فقال له عثمان رضى الله عنه: كلم الناس فى أن يؤجلونى حتى أخرج إليهم من مظالمهم، فقال عليه السلام:

مَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ فَلَا أَجَلَ فِيهِ، وَمَا غَابَ فَأَجَلُهُ وَصُورُ أَمْرِكَ إِلَيْهِ.

أقول: استسفرونى: بعثونى رسولا. والوشيجة: عروق الشجرة. واستعار لفظها:

لنسبته من رسول الله صلى الله عليه وآله، واما كونه اقرب من الشيخين، فكونه من ولد
عبدمناف دونهما. والطرق الواضحة طرق الدين. و اعلامه ادلته و ائتمه. والسيقة بتشديد
الياء: ما يسوقه العدو في الغارة من الدواب. وقد كان مروان من أقوى الاسباب الباعثة
على قتله، بتصريفه إياه على، حسب آرائه و عكس الاراء التي كان يشار عليه بها.

١٦٤ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يذكر فيها عجب خلق الطاووس

أَبْتَدَعَهُمْ خَلْقًا عَجِيبًا مِنْ حَيَوَانَ وَمَوَاتٍ، وَسَاكِنٍ وَذِي حَرَكَاتٍ، فَأَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ
الْبَيِّنَاتِ عَلَى لَطِيفِ صَنْعَتِهِ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ مَا انْقَادَتْ لَهُ الْعُقُولُ مُعْتَرِفَةً بِهِ، وَمُسَلِّمَةً لَهُ،
وَنَعَقَتْ فِي أَسْمَاعِنَا دَلَالَتَهُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ، وَمَا ذَرَأَ مِنْ مُخْتَلِفِ صُورِ الْأَطْيَارِ، الَّتِي أَسْكَنَهَا
أَحَادِيدَ الْأَرْضِ، وَخُرُوقَ فِجَاجِهَا وَرَاسِي أَعْلَامِهَا، مِنْ ذَاتِ أَجْنِحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَهَيْئَاتِ
مُتَبَايِنَةٍ، مُصَرَّفَةٍ فِي زِمَامِ التَّسْخِيرِ، وَمُرْفُوفَةٍ بِأَجْنِحَتِهَا فِي مَخَارِقِ الْجَوِّ الْمُتَفْسِحِ وَالْفَضَاءِ
الْمُنْفَرِجِ، كَوْنَهَا بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ فِي عَجَائِبِ صُورِ ظَاهِرَةٍ، وَرَكَّبَهَا فِي حِقَاقِ مَفَاصِلِ
مُخْتَجِبَةٍ، وَمَتَعَ بَعْضَهَا بِعِبَالَةِ خَلْقِهِ أَنْ يَسْمُو فِي السَّمَاءِ خُفُوفًا، وَجَعَلَهُ يَدْفُ دَفِيفًا، وَنَسَقَهَا
عَلَى اخْتِلَافِهَا فِي الْأَصَابِعِ، بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ، وَدَقِيقِ صَنْعَتِهِ، فَمِنْهَا مَعْمُوسٌ فِي قَالِبِ لَوْنٍ
لَا يَشُوبُهُ غَيْرُ لَوْنٍ مَا غَمَسَ فِيهِ؛ وَمِنْهَا مَعْمُوسٌ فِي لَوْنٍ صَبِغٌ قَدْ طُوِّقَ بِخِلَافِ مَا صُبِغَ بِهِ.

وَمِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقًا الطَّائُوسُ الَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ، وَنَضَّدَ الْوَانَةَ فِي أَحْسَنِ
تَنْضِيدٍ، بِجَنَاحٍ أُشْرَجَ قَصَبُهُ، وَذَنَبٍ أَطَالَ مَسْحَبَهُ، إِذَا دَرَجَ إِلَى الْأُنْثَى نَشْرَهُ مِنْ طِيِّهِ،
وَسَمَّا بِهِ مُطْلَأًا عَلَى رَأْسِهِ، كَأَنَّهُ قَلْعٌ دَارِي عَنَجَهُ نُوتِيُهُ يَخْتَالُ بِالْوَانَةِ، وَيَمِيسُ بِرَيْفَانِهِ،
يُفْضِي كَأَفْضَاءِ الدِّيَكَةِ، وَيُورُّ بِمَلَاقِحِهِ أَرَّ الْفُحُولِ الْمُغْتَلِمَةِ فِي الضَّرَابِ! أَحْيَلُكَ مِنْ ذَلِكَ
عَلَى مُعَايِنَتِهِ، لَا كَمَنْ يُحِيلُ عَلَى ضَعِيفِ إِسْتَادِهِ؛ وَلَوْ كَانَ كَزَعْمٍ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُلْقِحُ بِدَمْعَةٍ
تَسْفَحُهَا مَدَامِعُهُ، فَتَقِفُ فِي ضَفَّتِي جُفُونِهِ، وَإِنَّ أَنْثَاهُ تَطَعَمَ ذَلِكَ ثُمَّ تَبَيَّضُ لَأَمِنْ لَقَاجِ فَحْلِ
سِوَى الدَّمْعِ الْمُسْتَبْحَسِ لَمَا كَانَ ذَلِكَ بِأَعْجَبَ مِنْ مُطَاعَمَةِ الْغُرَابِ تَخَالَ قَصَبَهُ مَدَارِي مِنْ

١ - في نسخة ش هكذا: حسب آرائه التي كان يشاء عليه بها.

فِضَّةً، وَمَا أُنبِتَ عَلَيْهِ مِنْ عَجِيبٍ ذَارَاتِهِ وَشُمُوسِهِ خَالِصَ الْعِضْيَانِ وَفَلَدَ الرَّبْرِجِدِ؛ فَإِنْ شَبَّهَتْهُ
بِمَا أُنبِتَتِ الْأَرْضُ قُلْتَ: جَنَى جُنَى مِنْ زَهْرَةٍ كُلِّ رِبِيْعٍ: وَإِنْ ضَاهَيْتَهُ بِالْمَلَابِسِ، فَهُوَ
كَمَوْسَى الْحُلَلِ، أَوْ مُونِقِ عَضْبِ السِّمَنِ؛ وَإِنْ شَاكَلْتَهُ بِالْحُلِيِّ فَهُوَ كَفُصُوصِ ذَاتِ الْوَانَ قَدْ
نُظِّقَتْ بِاللُّجَيْنِ الْمُكَلَّلِ، يَمْشَى مَشَى الْمَرْجِ الْمُخْتَالِ، وَيَتَصَفَّحُ ذَنْبَهُ وَجَنَاحِيهِ فَيُقَهِّقُهُ
ضَاحِكًا لِحِمَالِ سِرِّبَالِهِ، وَأَصَابِيغِ وَشَاحِيهِ.

فَإِذَا رَمَى بِبَصَرِهِ إِلَى قَوَائِمِهِ زَقَا مُعْوَلًا بِصَوْتِ يَكَادُ يُبِينُ عَنْ أَسْتِعَاثِيَّتِهِ. وَيَشْهَدُ بِصَادِقِ
تَوَجُّعِهِ؛ لِأَنَّ قَوَائِمَهُ حُمُشُ كَقَوَائِمِ الدِّيَكَةِ الْخِلَاسِيَّةِ، وَقَدْ نَجَمَتْ مِنْ ظُبُوبِ سَاقِيهِ صِيصِيَّةً
خَفِيَّةً، وَلَهُ فِي مَوْضِعِ الْعُرْفِ فُتْرَعَةٌ خَضْرَاءُ، مُوشَاءُ، وَمَخْرَجُ عُنُقِهِ كَالِإِبْرِيْقِ؛ وَمَغْرَزُهَا إِلَى
حَيْثُ بَطْنُهُ كَصَبْغِ الْوَيْسِمَةِ الْيَمَانِيَّةِ، أَوْ كَحَرِيرَةِ مُلْبَسَةِ مِرَاةِ ذَاتِ صِقَالِ، وَكَأَنَّهُ مُتَلَفِّعٌ
بِمِعْجَرِ أُسْحَمٍ إِلَّا أَنَّهُ يُخَيَّلُ لِكَثْرَةِ مَائِهِ وَشِدَّةِ بَرِيْقِهِ أَنَّ الْخُضْرَةَ النَّاضِرَةَ مُمْتَرِجَةٌ بِهِ. وَمَعَ
فَتْقِ سَمْعِهِ خَطُّ كَمُسْتَدَقِّ الْقَلَمِ فِي لَوْنِ الْأَقْحَوَانِ، أَيْبِضُ يَبْقُ، فَهُوَ بِبَيَاضِهِ فِي سَوَادِ مَا
هُنَالِكَ يَأْتَلِقُ. وَقَلَّ صَبْغُ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقَسْطٍ، وَعَلَاهُ بِكَثْرَةِ صِقَالِهِ وَبَرِيْقِهِ وَبَصِيصِ
دِيْبَاجِهِ وَرَوْقِيهِ، فَهُوَ كَالْأَزَاهِيرِ الْمَبْثُوثَةِ لَمْ تُرَبِّهَا أَمْطَارُ رِبِيْعٍ، وَلَا شُمُوسُ قَيْظٍ، وَقَدْ يَنْحَسِرُ
مِنْ رِيْشِهِ، وَيَعْرِى مِنْ لِبَاسِهِ فَيَسْقُطُ تَشْرَى، وَيَنْبُتُ تِبَاعًا، فَيَنْحَتُ مِنْ قَصْبِهِ أَنْجِثَاتٌ أَوْرَاقِ
الْأَغْصَانِ ثُمَّ يَتَلَا حَقٌّ نَامِيًا حَتَّى يَعُودَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ سُقُوطِهِ: لَا يُخَالِفُ سَالِفَ الْوَانِهِ، وَلَا
يَقَعُ لَوْنٌ فِي غَيْرِ مَكَانِهِ. وَإِذَا تَصَفَّحَتْ شَعْرَةٌ مِنْ شَعْرَاتِ قَصْبِهِ أَرْتَكَ حُمْرَةً وَرْدِيَّةً، وَتَارَةً
خُضْرَةً زَبْرَجِدِيَّةً، وَأَحْيَانًا صُفْرَةً عَسْجِدِيَّةً، فَكَيْفَ تَصِلُ إِلَى صِفَةِ هَذَا عَمَائِقُ الْفِظَنِ، أَوْ
تَبْلُغُهُ قَرَائِحُ الْعُقُولِ، أَوْ تَسْتَنْظِمُ وَصْفَهُ أَقْوَالُ الْوَاصِفِينَ وَأَقْلُ أَجْزَائِهِ قَدْ أَعْجَزَ الْأَوْهَامَ أَنْ
تُدْرِكَهُ وَالْأَلْسِنَةَ أَنْ تَصِفَهُ؟! فَسُبْحَانَ الَّذِي بَهَرَ الْعُقُولَ، عَنْ وَصْفِ خَلْقِ جَلَاءُ لِلْعُيُونِ
فَأَذْرَكَهُ مَخْدُودًا مُكَوَّنًا وَمَوْلَفًا مُلَوَّنًا؛ وَأَعْجَزَ الْأَلْسُنَ عَنْ تَلْخِيصِ صِفَتِهِ وَقَعْدِ بِهَا عَنْ
تَأْدِيَةِ نَعْتِهِ. وَسُبْحَانَ مَنْ أَدْمَجَ قَوَائِمَ الدَّرَّةِ وَالْهَمْجَةَ إِلَى مَا فَوْقَهُمَا مِنْ خَلْقِ الْحَيَاتَانِ وَالْفَيْلَةِ؛
وَوَايَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ لَا يَضْطَرِبَ شَبْحٌ مِمَّا أَوْلَجَ فِيهِ الرُّوحَ إِلَّا وَجَعَلَ الْجِمَامَ مَوْعِدَهُ وَالْفَنَاءَ غَايَتَهُ.

أقول: غرض الخطبة التنسيبه على عجائب صنع الله، لغاية الالتفات اليه، وشواهد
البيئات ما ظهر للعقول من لطائف المخلوقات، فاستدلّت بها على حكمته وقدرته. و

«ما» الاول: مفعول لاقام. والضمير فى له: يرجع الى ما وفى به. وله الثانية: يرجع الى الله، وفى دلائله يحتمل العود الى كل منهما. وما الثانية: محلها الجر عطفًا على الضمير فى دلائله، واستعمار وصف النعيق: لظهور تلك الدلائل فى العقل كالأصوات الظاهرة عند السمع. و الاخاديد: شقوق الأرض وشعابها. و الفج: الطريق بين الجبلين. و رواسى أعلامها: ثوابت جبالها. و عبل الجثة: كالنعام. و خص الطاووس بشرح الوصف لكونه أدل على كمال القدرة لإشتماله على جميع الألوان. و قصبه قصب ريشه. أشرح قصبه: ضبط اصولها بالأعصاب والعظام، وشرح بعضها ببعض. والقلاع: الشراع. والدارى: نسبة الى دارين مدينة قديمة بساحل القطيف من البحرين¹ يقال: انّ الطيب كان يجلب اليها. و شبه ذنبه: بالقلاع الدارى عند ارادته للفساد، باعتبار أنه يرفعه وينشره فيصير كالشراع. و عنجه: عطفه، واداره. النوتى: الربان للسفينة: ويختال: يتداخله الخيلاء. و الافضاء: النكاح. وأرّ الفحل بالراء المهملة نكح. و الملاقحة: المناكحة. و روى: بملاقحة بالهاء أى: محال لقاحه.

و قوله: و لو كان كزعم، الى قوله: المنبجس، اى: لو كان حاله فى النكاح كزعم من يزعم انّ الذكر يلقي بدمعة تنشجها مدامعه، اى: تغص بها فيقف الدمع فى ضفتى اجفانه، اى: جانبها فتطعمها الأنثى فتلقح من تلك الدمعة لما كان ذلك بأعجب ممّا يقال فى مطاعمة الغراب. فانّ العرب تزعم انّ الغراب لايسفد، و من أمثالهم: اخفى من سقاد الغراب، و يزعمون انّ اللقاح من مطاعمة الذكر و الأنثى، و ايصال جزء من الماء الذى فى فايضته اليها بأن يضع كل منهما منقاره فى منقار الآخر و يتزاقا. و روى «عوض تنشجها»: تسفحها. و المنبجس: المنفجر. وهو عليه السلام لم يتعرض لنفى ذلك ولا اثباته.

ونقل الشيخ فى الشفاء: انّ القبحة تحيلها ريح تهبّ من ناحية الحجل و من سماع صوته. قال: والنوع المسمى «مالاقيا» يتلاصق بأفواهاها ثم يتشابك فذلك سفادها. و شبه قصب ذنبه: بالمدارى من الفضة جمع مدرى بالذال المهملة وهو: كالميل يتخذ من قرن او فضة تخلل به المرأة شعرها. و داراته و شموسه: ما على ريشه من الدوائر الملونة

١ - معجم البلدان ٢/٤٣١.

المشعشة. والعقيان: الذهب. والفلذ: القطع. والمضاهاة: المشابهة. و الموشى: المنقوش: و عصب اليمين: برود تعمل بها. ونظقت باللجين: شدت بالفضة. و الحمش: الدقاق. والخلاسية: هى المتولدة بين الدجاج الهندى و الفارسى. و ظنبوب: حرف الساق. والصيصة: الشوكة النابتة فى مؤخر ساق الديك. والقنزعة: شعرات تجتمع فى موضع من الرأس. والوسمة: شجريخضب به. والتلفع: التلحف. والأسحم: الاسود. و مستدق القلم بفتح الدال: رأسه و بكسرهما أيضا. والبيقق: خالص البياض. وأدمجه: احكمه. والذّر صغار النمل. والهمجة: ذبابة صغيرة كالبعوضة.

و وصفه عليه السلام لعجائب صنع الله فى خلق هذا الطائر لا مزيد على بلاغته.

منها فى صفة الجنة :

فَلَوْزَمَيْتَ بِبَصْرِ قَلْبِكَ نَحْوَمَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَرَفْتَ نَفْسُكَ مِنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَاتِهَا وَزَخَارِفِ مَنَاطِرِهَا، وَلَذَهَلْتَ بِالْفِكْرِ فِي أَصْطِفَاقِ أَشْجَارِ غَيْبَتِ عُرُوقِهَا فِي كُتْبَانِ الْمِسْكِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا؛ وَفِي تَعْلِيقِ كَبَائِسِ اللُّوْلُؤِ الرَّطْبِ فِي عَسَالِيحِهَا وَأَفْتَانِهَا، وَظُلُوعِ تِلْكَ الشَّمَارِ مُخْتَلِفَةً فِي غُلْفِ أَكْمَامِهَا، تُحْنَى مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ، فَتَأْتِي عَلَى مُنِيَّةٍ مُجْتَنِيهَا، وَيُظَافُ عَلَى نَزَائِلِهَا فِي أَفْنِيَّةِ قُصُورِهَا بِالْأَعْسَالِ الْمُصَفَّقَةِ، وَالْحُمُورِ الْمُرَوَّقَةِ، قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ الْكِرَامَةُ تَتَمَادَى بِهِمْ حَتَّى حَلُّوا دَارَ الْقَرَارِ، وَأَمِنُوا نُقْلَةَ الْأَسْفَارِ. فَلَوْ شَغَلَتْ قَلْبَكَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ بِالْوُصُولِ إِلَى مَا يَهْجُمُ عَلَيْكَ مِنْ تِلْكَ الْمَنَاطِرِ الْمُؤَنِقَةِ، لَزَهَقَتْ نَفْسُكَ شَوْقًا إِلَيْهَا، وَلَتَحَمَلْتِ مِنْ مَجْلِسِي هَذَا إِلَى مُجَاوِرَةِ أَهْلِ الْقُبُورِ أَسْتَعْجَالًا بِهَا، جَعَلْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ سَعَى بِقَلْبِهِ إِلَى مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ.

أقول: اكثر الألفاظ المستعملة هنا استعارات، اذ ليست أشجار الجنة و أنهارها و كتبان مسكها و كبائس لؤلؤها: كما هو المحسوس عندنا، بل أعلى من ذلك و أشرف، و هذه أمثلة لها تعقل لما بينهما من المناسبة، و انت بعد معرفتك بقواعد التأويل، و وقوفك على ما دلّ البرهان عليه من العلوم الالهية ربّما امكنت ان تعرف طرفا صالحا من مناسبة هذه الأمثلة. و الكبائس: جمع كباسة و هى: العذق. و العساليح: الغصون واحدها

عُسْلُوج. والافنان: جمع فنز و هي: الغصون. والأكمام: جمع كمامة بكسر الكاف، و هي: غلاف الطلع. والمصفق: المصفى.

١٦٥- وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

لِيَتَأَسَّرَ صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ، وَلِيَتَرَأَفَ كَبِيرُكُمْ بِصَغِيرِكُمْ وَلَا تَكُونُوا كَجَفَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ:
لَأَفِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ، وَلَا عَنِ اللَّهِ يَعْقِلُونَ؛ كَقَيْضٍ يَبْضِرُ فِي أَدَاخٍ: يَكُونُ كَسْرُهَا وَزُرًّا؛
وَيُخْرِجُ حِضَانَهَا شَرًّا!!

أقول: قبيض البيضة: قشرها الأعلى. والاداخ جمع ادحى: افعول من الدحو، وهو: الموضع الذي تفرخ به النعامة وشبههم على تقدير كونهم كجفاة الجاهلية، بقشر البيضة من الأفعى ونحوه، ووجه الشبه أنها ان كسرهما كاسرائم لتأذى الحيوان به. وقيل: لأنه يقطن بيض القطا فيأثم كاسره، وان لم يكسر يخرج حضانها افعى قاتلا وهوشرا، فكذلك هؤلاء لا تحل لأحد اذاهم لحرمة ظاهر الاسلام عليهم، وان هم تركوا على ما هم عليه من الجهل وقلة الأدب خرجوا شياطين.

ومنه :

أَفْتَرَقُوا بَعْدَ الْفَتِيهِمْ، وَتَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ: فَمِنْهُمْ آخِذٌ بِغُضَنِ أَيْتِمَا مَالٍ مَالٍ مَعَهُ؛ عَلَى
أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَجْمَعُهُمْ لِشَرِّ يَوْمٍ لِيَبْنِيَ أُمَّةً كَمَا تَجْتَمِعُ قَرْعُ الْخَرِيفِ، يُؤَلَّفُ اللَّهُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ
يَجْعَلُهُمْ رُكَّامًا كَرَّكَامِ السَّحَابِ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُمْ أَبْوَابًا يَسِيلُونَ مِنْ مُسْتَنَارِهِمْ كَسَيْلِ
الْجَنَّتَيْنِ حَيْثُ لَمْ تَسَلْمْ عَلَيْهِ قَارَةٌ، وَلَمْ تَثْبُتْ عَلَيْهِ أَكْمَةٌ، وَلَمْ يَرُدَّ سَنَّهُ رَصُّ ظُودٍ،
وَلَا حِدَابُ أَرْضٍ، يُدْعِدُّهُمْ اللَّهُ فِي بَطُونِ أَوْدِيَّتِهِ، ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَتَابِعِ فِي الْأَرْضِ يَأْخُذُ بِهِمْ
مِنْ قَوْمٍ حُقُوقَ قَوْمٍ، وَيُمْكِنُ لِقَوْمٍ فِي دِيَارِ قَوْمٍ؛ وَأَيْمُ اللَّهِ لَيَدُوبَنَّ مَا فِي أَيْدِيهِمْ بَعْدَ الْعُلُوِّ
وَالْتَّمَكِينِ، كَمَا تَدُوبُ الْأَلْيَةُ عَلَى النَّارِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَوْ لَمْ تَتَّخِذُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ، وَلَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ، لَمْ يَطْمَعْ

فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ، وَلَمْ يَقْوَمَنْ قَوِي عَلَيْكُمْ، لِكِنَّكُمْ تَهْتُمُ مَتَاهَ بَنِي إِسْرَائِيلَ!! وَلَعَمْرِي
لِيُضَعَّفَنَّ لَكُمْ الشَّيْءُ مِنْ بَعْدِي أضعافاً بِمَا خَلَفْتُمْ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ، وَقَطَعْتُمْ الْأُذُنِي،
وَوَصَلْتُمْ الْأَبْعَدَ!! وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنْ اتَّبَعْتُمْ الدَّاعِيَ لَكُمْ سَلَكَ بِكُمْ مِنْهَاجَ الرَّسُولِ،
وَكَفَيْتُمْ مَوْئِنَةَ الْإِعْتِسَافِ وَنَبَذْتُمْ الثَّقَلَ الْفَادِحَ عَنِ الْأَعْنَاقِ.

اقول: الاشارة الى أصحابه، واصلهم: هو عليه السلام اذ افترقوا عنه الى خوارج
وغيرهم. واستعار لفظ الغصن: لمن يخلفه من ولده: «الائمة عليه السلام» والاخذ به:
لزوم هديه، الآخذون به هم: الشيعة، وان افترقوا فرقا. و القزع: قطع السحاب المتفرقة،
واراد ان الله سيجمعهم بعد تفرقهم لشيروم لبني امية لازالة ملكهم وقتلهم. و انما خص
الخريف، لسرعة تألف صحابه وامطاره. والركام: المتراكم، والأبواب الذي يفتحها لهم:
كوجوه الآراء التي يجتمعون بها، و سائر اسباب الغلبة. و شبه خروجهم من مستشارهم و
مكامنهم: بسيل جنتي مأرب و هو: سبل العرم المشار اليه في القرآن الكريم! و وجه
الشبه: شدة خروجهم، و سرعة افساد ما يأتون عليه، حتى لا يسلم منهم أحد، كما لم يسلم
على ذلك السيل قارة اي: اكمه، سننه: قصده، و حداب الأرض جمع حدب و هو:
المرتفع منها. و الذعذعة بالذال المعجمة: التفريق.

وقد كان من أمر الشيعة الها شمية، واجتماعها على ملك بنى امية، من كان منهم
على ولاء علي و اهل بيته، و من حاد منهم عن ذلك في اواخر ايام مروان الحمار عند
ظهور دعوة الها شمية ما هو معلوم مشهوراً في التواريخ. و تهنوا: تضعفوا. و توهين الباطل:
اضعافه. و الداعى: هو عليه السلام. و كفيتم مؤونة الاعتساف اي: في طرق الضلال.
والفادح: المثقل، و هو ثقل الأوزار عن اعناق نفوسهم.

١ - سورة سبأ / ١٦.

٢ - في نسخة ش: ما هو مشهور معلوم.

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ كِتَابًا هَادِيًا بَيَّنَّ فِيهِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، فَخُذُوا نَهْجَ الْخَيْرِ تَهْتَدُوا،
وَأَصْدِفُوا عَنْ سَمِّ الشَّرِّ تَقْصِدُوا؛ الْفَرَايِضَ الْفَرَايِضَ! أَدْوَهَا إِلَى اللَّهِ تُؤَدُّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ.
إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ حَرَامًا غَيْرَ مَجْهُولٍ، وَأَحَلَّ حَلَالًا غَيْرَ مَدْخُولٍ، وَفَضَّلَ حُرْمَةَ الْمُسْلِمِ عَلَى الْحَرَمِ
كُلِّهَا؛ وَشَدَّ بِالْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ حُقُوقَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَعَاقِدِهَا، فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ
الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ إِلَّا بِالْحَقِّ. وَلَا يَجِلُّ أَدَى الْمُسْلِمِ إِلَّا بِمَا يَجِبُ، بَادِرُوا أَمْرَ
الْعَامَّةِ وَخَاصَّةِ أَحَدِكُمْ وَهُوَ الْمَوْتُ، فَإِنَّ النَّاسَ أَمَامَكُمْ، وَإِنَّ السَّاعَةَ تَخْذُوكُمْ مِنْ خَلْفِكُمْ.
تَخَفَّفُوا تَلَحُّقُوا!! فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوْلِكُمْ آخِرُكُمْ. اتَّقُوا اللَّهَ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ فَإِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ
حَتَّى عَنِ الْبِقَاعِ وَالْبَهَائِمِ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَلَا تَعْصُوهُ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الْخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ
الشَّرَّ فَأَعْرِضُوا عَنْهُ.



اقول: أصدفوا: أعرضوا. والمدخول: المعيوب. وقوله: وفضل، الى قوله: معاقدها،
اي: اوجب على الموحددين المحافظة على حقوق المسلمين، ومراعاة مواضعها وربط
توحيدده بذلك، حتى صار فضله كفضل التوحيد، فمن قتل مسلماً بغير حق فكأنما سلب
توحيدالله. ومعاقدها: مواضع عقد وجوبها، ومناقشة الحساب عن البقاع كما روى انه
يقال: لم استوطنتم هذا المكان و زهدتم في ذلك؟ وعن البهائم: لِمَ ضربتم هذه وقتلتم
هذه؟ ولم اوجعتموها؟ وهو داخل في قوله تعالى: (و لتسألن عما كنتم تعملون)١.

١٦٧ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

بعد ما بويع بالخلافة، وقد قال له قوم من الصحابة: لو عاقبت قوما ممن أجلب على عثمان؟
فقال عليه السلام:

يَا إِخْوَتَاهُ؛ إِنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ، وَلَكِنْ كَيْفَ لِي بِقُوَّةِ وَالْقَوْمِ الْمُجْلِبُونَ عَلَى
حَدِّ شَوْكَتِهِمْ يَمْلِكُونَنَا وَلَا نَمْلِكُهُمْ؟ وَهَاهُمْ هَوْلَاءِ قَدْ ثَارَتْ مَعَهُمْ عُيُودَانُكُمْ، وَالتَّفَّتْ إِلَيْهِمْ
أَعْرَابُكُمْ، وَهُمْ خِلَالَكُمْ، يَسُومُونَكُمْ مَا شَاءُوا، وَهَلْ تَرَوْنَ مَوْضِعًا لِقُدْرَةِ عَلِيٍّ شَيْءٍ
تُرِيدُونَهُ؟ وَإِنَّ هَذَا الْأَمْرَ أَمْرٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَإِنَّ لِهَوْلَاءِ الْقَوْمِ مَادَّةً، إِنَّ النَّاسَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ إِذَا
حُرِّكَ - عَلَى أُمُورٍ: فِرْقَةٌ تَرَى مَا تَرُونَ، وَفِرْقَةٌ تَرَى مَا لَا تَرُونَ، وَفِرْقَةٌ لَا تَرَى هَذَا وَلَا ذَلِكَ .
فَأَصْبِرُوا حَتَّى يَهْدَى النَّاسُ، وَتَقَعَ الْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا، وَتُوخَّذَ الْحَقُوقُ مُسْمِحَةً، فَأَهْدَأُوا عَنِّي،
وَأَنْظَرُوا مَاذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي، وَلَا تَفْعَلُوا فَعْلَةً تُضْعِضُ قُوَّةً وَتُسْقِطُ مَنَّةً وَتُورِثُ وَهْنًا وَذَلَّةً،
وَسَأَمَيْكَ الْأَمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ، وَإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدًّا فَآخِرُ الدَّوَاءِ الْكِيُّ.



أقول: الألف في «يا إخوتاه» هي: المنقلبة عن ياء النفس. وأجلب عليه جمع. و
شوكتهم قوتهم. والعبدان بتشديد الدال. وتخفيفها و كسر العين و ضمها: جمع عبد.
والتفت: انضمت و يسومونكم: يكلفونكم. و مسمحة: مسهلة. و الفصل يدل على أنه
عليه السلام كان مترصداً للفرصة، والتمكّن من القصاص على وجه الشرع فلم يُمهّل.
وروى: أنه عليه السلام جمع الناس و وعظهم، ثم قال: ليقيم قتل عثمان، فقاموا بأسرهم
إلا القليل، و كان ذلك استشهاده منه على صدق قوله، والناس على حدّ شوكتهم، وعلى
أنه لا قدرة له على القصاص حينئذ. و قوله: فاذا لم أجد بُدًّا، إلى قوله: الكي، أي: اذا لم
يكن بُدًّا من القتال قاتلت، و كنى عنه: بالكي.

١٦٨ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

عند مسير أصحاب الجمل إلى البصرة

إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ رَسُولًا هَادِيًا بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وَأَمْرٍ قَائِمٍ؛ لَا يَهْلِكُ عَنْهُ إِلَّا هَالِكٌ، وَإِنَّ
الْمُبْتَدَعَاتِ الْمُشْتَبِهَاتِ هُنَّ الْمُهْلِكَاتُ، إِلَّا مَا حَفِظَ اللَّهُ مِنْهَا، وَإِنَّ فِي سُلْطَانِ اللَّهِ عِصْمَةً
لِأَمْرِكُمْ فَأَعْظُمُوهُ طَاعَتِكُمْ غَيْرَ مَلُومَةٍ وَلَا مُشْتَكْرَةٍ بِهَا. وَاللَّهُ لَتَفْعَلَنَّ أَوْ لَيَنْقُلَنَّ اللَّهُ عَنْكُمْ سُلْطَانَ
الْإِسْلَامِ، ثُمَّ لَا يَنْقُلُهُ إِلَيْكُمْ أَبَدًا حَتَّى يَأْرِزَ الْأَمْرَ إِلَى غَيْرِكُمْ.

إِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ تَمَّ لَاؤُا عَلَي سَخْطَةِ إِمَارَتِي، وَسَأَصْبِرُ مَا لَمْ أَخْفِ عَلَى جَمَاعَتِكُمْ؛
فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَّمُوا عَلَي فَيَالَةَ هَذَا الرَّأْيِ، انْقَطَعَ نِظَامُ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّمَا ظَلَبُوا هِدْيَةَ الشُّنْيَا حَسَدًا
لِمَنْ أَفَاءَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ، فَأَرَادُوا رَدَّ الْأُمُورِ عَلَي أَدْبَارِهَا، وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى
وَسِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَالْقِيَامِ بِحَقِّهِ، وَالنَّعْشِ لِسُنَّتِهِ.

أقول: قوله: لا يهلك عنه إلا هالك أي: لا يهلك عن مخالفته إلا اعظم هالك، كما
تقول: لا يعلم هذا الفن إلا عالم أي: بالغ في العلم، والمبتدعات: المشتبهات ما ابتدئ
في الدين مشتبهها بالسنة وكنس منها. وروى: المشتبهات أي: للسنة. وروى:
المشتبهات وهو: ما أشبهه على الناس، ولبس عليهم وهي: المهلكات أي: في الآخرة،
إلا ما عصم الله أي: حفظه من الوقوع فيها. و سلطان الله: القائم بدينه وأمره، وهو إشارة:
إلى نفسه. وغيره ملومة: أي غير ملوم صاحبها بالغش فيها. وروى: غير ملوية أي:
معوجة، و أرز الأمر يأرز: انجاز و انقبض. وهؤلاء: إشارة إلى طلحة، والزبير، وعائشة، و
اتباعهم. و تمالؤوا: اجتمعوا. و فيالة الرأي: ضعفه. والنعش: الرفع. و باقي الفصل ظاهر.

١٦٩ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما قال لكليب الجرمي قبل وقعة الجمل: بايع. فقال: إني رسول قوم ولاأخذت حدثاً دونهم
حتى أرجع اليهم. فقال: عليه السلام:-

أرأيت لو أن الذين وراءك بعثوك رائداً تبغني لهم مساقط الغيث فرجعت إليهم

وَأَخْبَرْتَهُمْ عَنِ الْكَلَاءِ وَالْمَاءِ فَخَالَفُوا إِلَى الْمَعَاطِشِ وَالْمَجَادِبِ، مَا كُنْتُ صَانِعًا؟ قَالَ:
 كنت تاركهم ومخالفهم إلى الكلاء والماء. فقال عليه السلام:
 فَأَمُدُّ إِذَا يَدُكَ ! فقال الرجل: فوالله ما استطعت أن أمتنع عند قيام الحجة على،
 فبايعته عليه السلام

أقول: «الجرمي» منسوب إلى بنى جرم قبيلة، و كان قوم من أهل البصرة بعثوه إليه
 عليه السلام ليستعلم حاله، أهو على حجة، ام هو على شبهة؟ فلما رآه وسمع لفظه لم
 يتخالجه شك في صدقه، فبايعه و كان بينهما الكلام المنقول. ولا الطف من التمثيل
 الذي جَذَبَهُ به عليه السلام، و لذلك أقسم أنه لم يتمكن من مخالفته.

١٧٠ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

لما عزم على لقاء القوم بصفين

اللَّهُمَّ رَبَّ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ، وَالْحِجْوِ الْمَكْفُوفِ، الَّذِي جَعَلْتَهُ مَغِيضًا لِلَّيْلِ وَالنَّهَارِ،
 وَمَجْرَى لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَمُخْتَلَفًا لِلشُّجُومِ السَّارَةِ، وَجَعَلْتَ سُكَّانَهُ سِبْطًا مِنْ مَلَائِكَتِكَ،
 لَا يَسْأَمُونَ مِنْ عِبَادَتِكَ؛ وَرَبِّ هَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي جَعَلْتَهَا قَرَارًا لِلْأَنَامِ، وَمَدْرَجًا لِلْهَوَامِّ
 وَالْأَنْعَامِ، وَمَا لَا يُحْصَى مِمَّا يُرَى وَمِمَّا لَا يُرَى؛ وَرَبِّ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي الَّتِي جَعَلْتَهَا لِلْأَرْضِ
 أَوْتَادًا وَلِلخَلْقِ اعْتِمَادًا - إِنْ أَظْهَرْتَنَا عَلَى عَدُوِّنَا فَجَنَّبْنَا الْبَغْيَ، وَسَدَّدْنَا لِلْحَقِّ؛ وَإِنْ أَظْهَرْتَهُمْ
 عَلَيْنَا فَارْزُقْنَا الشَّهَادَةَ وَأَعِصْمْنَا مِنَ الْفِتْنَةِ.

أَيُّ الْمَانِعِ لِلدَّمَارِ، وَالْغَائِرِ عِنْدَ نَزُولِ الْحَقَائِقِ مِنْ أَهْلِ الْجِفَافِ؟! الْعَارُ وَرَاءَ كُمْ،
 وَالْجَنَّةُ أَمَامَكُمْ.

أقول: كون الفلك مغیضا للیل و النهار باعتبار حركته المستلزمة بحركة الشمس عن
 وجه الارض، و الى وجهها فبالاعتبار الاوّل يكون: كالمغیض للنهار، و بالاعتبار الثاني
 يكون: كالمغیض للیل. و استعار له لذینك الاعتبارین لفظ: المغیض. والسبب: القبيلة.
 و كون الجبال اعتمادا للخلق: لما فيها من المرافق لهم. و قوله: فجنبنا البغي، و سدّدنا

للحق: طلب للوقوف على حدّ الفضيلة في الجهاد، من طرفي الافراط والتفريط، والعصمة من الفتنة وهي: الابتلاء بالمعصية في طرفي الغلب والانغلاب. والذمار: ما لزمك حفظه. والحقائق: ما يقع من عظام الأمور. وقوله: النار الى قوله: أمامكم اي: في رجوعكم عن الحرب دخول النار، وفي اقدامكم عليها دخول الجنة.

١٧١ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُوَارِي عَنَّهُ سَمَاءُ سَمَاءٍ، وَلَا أَرْضُ أَرْضًا
منها :

وَقَدْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّكَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ يَا أَبْنَأَبِي ظَالِمٌ لِحَرِيصٍ! فَقُلْتُ: بَلْ أَنْتُمْ وَاللَّهِ
لَا حَرَصٌ وَأَبْعَدُ، وَأَنَا أَحْصُ وَأَقْرَبُ! وَإِنَّمَا طَلَبْتُ حَقًّا لِي وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ،
وَتَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ، فَلَمَّا قَرَعْتُهُ بِالْحُجَّةِ فِي الْمَلَأِ الْحَاضِرِينَ هَبَّ كَأَنَّهُ [بِهْت] لَا يَدْرِي
مَا يُجِيبُنِي بِهِ!

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعِينُكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ، فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَجِمِي، وَصَغَرُوا عَظِيمَ
مَنْزَلَتِي، وَأَجْمَعُوا عَلَيَّ مُنَازَعَتِي أَمْرًا هَوْلِي؛ ثُمَّ قَالُوا: أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَفِي
الْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَهُ.

أقول: روى ان القائل له كان سعد بن ابى وقاص، في ايام الشورى، بعد مقتل عمر،
وقوله: هب، اي: استيقظ من غفلته، و روى بهت. وقوله: وقالوا الى آخره، اي: أنهم
لم يقتصروا على أخذ حقي ساكتين عن دعوى كفه حقالهم، بل اخذوه مع دعواهم انه
حق لهم يجب على ترك المنازعة فيه، وهو أصعب. و روى: «نأخذ، ونتركه» بالنونين
في الموضعين، اي: نتصرف فيه بالأخذ والترك، وكيف شئنا، وهذه شكايه ظاهره.

منها في ذكر أصحاب الجمل:

فَخَرَجُوا يَجْرُونَ حُرْمَةَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، كَمَا تُجْرُ الْأُمَّةُ عِنْدَ شِرَائِبِهَا؛

مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَى الْبَصْرَةِ: فَحَبَسَا نِسَاءَهُمَا فِي بُيُوتِهِمَا وَأَبْرَزَا حَبِيسَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، لَهُمَا وَلِغَيْرِهِمَا، فِي جَيْشٍ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ أُعْطَانِي الطَّاعَةَ، وَسَمَحَ لِي بِالْبَيْعَةِ، طَائِعًا غَيْرَ مُكْرَهٍ؛ فَقَدِمُوا عَلَيَّ بِهَا وَخَزَانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِهَا: فَقَتَلُوا طَائِفَةً صَبْرًا، وَطَائِفَةً غَدْرًا! فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ يُصِيبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا مُعْتَمِدِينَ لِقَتْلِهِ، بِالْجُرْمِ جَرَّةً؛ لَحَلَّ لِي قَتْلُ ذَلِكَ الْجَيْشِ كُلِّهِ: إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُشْكِرُوا، وَلَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسَانٍ وَلَا بِيَدٍ. دَعَا مَا أَنْهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ الْعِدَّةِ الَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ.

اقول: غرض الفصل اظهار عذره في قتال اهل الجمل، و ذكر لهم ثلاث كبائر تستلزم اباحة قتالهم، و قتلهم و هي:

خروجهم بحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله (و حبسه مع حبسهما لنسائهما و ذلك انتهاك لحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله) ^١ و ضمير التثنيه: لطلحة، والزبير. الثانية، نكثهما البيعة.

الثالثة: اقدمهم على عاملة بالبصرة و تعذيبهم له، و قتلهم للجماعة المسلمة منهم صبرا، أى: بعد الاسر، و بعض غدرا، أى: بعد الأمان. و كان عامله يومئذ عليها، عثمان ابن حنيف الانصارى، و قصتهم فى ذلك مشهورة، و قد نبهنا عليها فى الأصل ^٢ فاما جواز قتالهم فلقلوه تعالى: (و ان طائفتان) الآية ^٣ و اما تعليله جواز قتل الجيش بما ذكر: فلعموم قوله تعالى: (أنا جزاء الذين يحاربون الله و رسوله) الآية ^٤ و «ما» بعد دع زائدة. و الفصل واضح.

١ - الجملة بين القوسين غير موجودة في نسخة ش.

٢ - الشرح الكبير ٣/٣٣٧.

٣ - سورة الحجرات / ٩.

٤ - سورة المائدة / ٣٣.

١٧٢ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَمِينٌ وَخِيءٌ، وَخَاتَمُ رُسُلِهِ، وَبَشِيرٌ رَحْمَتِهِ، وَنَذِيرٌ نِقْمَتِهِ

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ؛ وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ فِيهِ؛ فَإِنْ شَغَبَ شَاغِبٌ اسْتَعْتَبَ، فَإِنْ أَبِي قُوتِلَ. وَلَعَمْرِي لَئِنْ كَانَتْ الْإِمَامَةُ لَا تَتَعَقَّدُ حَتَّى تَحْضُرَهَا عَامَةٌ النَّاسِ فَمَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ؛ وَلَكِنْ أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَى مَنْ غَابَ عَنْهَا؛ ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ.

أَلَا وَإِنِّي أَقَاتِلُ رَجُلَيْنِ: رَجُلًا ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ؛ وَآخَرَ مَنَعَ الَّذِي عَلَيْهِ.

أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ؛ فَإِنَّهَا خَيْرٌ مَا تَوَاصَى الْعِبَادُ بِهِ، وَخَيْرٌ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ عِنْدَ اللَّهِ، وَقَدْ فُتِحَ بَابُ الْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَلَا يَحْمِلُ هَذَا الْعَلَمَ إِلَّا أَهْلُ الْبَصْرِ وَالصَّبْرِ، وَالْعِلْمِ بِمَوَاقِعِ الْحَقِّ، فَاْمْضُوا لِمَا تُؤْمَرُونَ بِهِ، وَقِفُوا عِنْدَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ، وَلَا تَعْجَلُوا فِي أَمْرٍ حَتَّى تَتَبَّيَّنُوا؛ فَإِنَّ لَنَا مَعَ كُلِّ أَمْرٍ تَنْكِرُونَ غَيْرًا.

أَلَا وَإِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَصْبَحْتُمْ تَسْمُونُهَا وَتَرْغَبُونَ فِيهَا، وَأَصْبَحْتُمْ تُغْضِبُكُمْ وَتُرْضِيكُمْ؛ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ وَلَا مَنَزِلِكُمْ الَّذِي خُلِقْتُمْ لَهُ وَلَا الَّذِي دُعِيتُمْ إِلَيْهِ، أَلَا وَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِبَاقِيَةٍ لَكُمْ، وَلَا تَبْقَوْنَ عَلَيْهَا، وَهِيَ وَإِنْ غَرَّكُمْ مِنْهَا فَقَدْ حَذَرْتُمْ شَرَّهَا. فَدَعُوا غُرُورَهَا لِتَحْذِيرِهَا، وَأَظْمَاعَهَا لِتَخْوِيفِهَا، وَسَابِقُوا فِيهَا إِلَى الدَّارِ الَّتِي دُعِيتُمْ إِلَيْهَا، وَأَنْصَرِفُوا بِقُلُوبِكُمْ عَنْهَا وَلَا يَخِينَنَّ أَحَدُكُمْ خَيْنَ الْأُمَّةِ عَلَى مَا زَوَى عَنْهُ مِنْهَا، وَأَسْتَمِعُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى مَا اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ. أَلَا وَإِنَّهُ لَا يَضُرُّكُمْ تَضْيِيعُ شَيْءٍ مِنْ دُنْيَاكُمْ بَعْدَ حِفْظِكُمْ قَائِمَةَ دِينِكُمْ. أَلَا وَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُكُمْ بَعْدَ تَضْيِيعِ دِينِكُمْ شَيْءٌ حَافَظْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ، أَخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ وَالْهَمَّتَا وَإِيَّاكُمْ الصَّبْرَ.

اقول: هذا اشارة الى صفات الامام الحق، وهو كونه اقواهم على امر الخلافة، أى: اقدرهم على تدبيرها عن علم و اعملهم واعلمهم بأوامر الله فيها، وذلك يستلزم علمه بأصول الدين و فروعه ليضع الأعمال مواضعها، وقد استلزم الوصف الاوّل: فضيلة

الشجاعة، والثاني: فضيلتي العلم والعفة، وتلزم الفضائل الثلاث فضيلة العدل.

و روى بعد قوله: و اقواهم عليه، واعلمهم به، و اعملهم بأمر الله فيه، و هذه الفضائل الأربع هي جماع مكارم الاخلاق و أصولها. و قوله: فان شغب شاغب، اى: خرج باغ على الإمام. والشغب: الشر. و الاستعتاب: طلب العتبي و هي: الرجوع الى الحق. و قوله: و لعمرى، الى قوله: ان يختار: جواب لما انكره معاوية و اهل الشام، من الاجماع على بيعته و انه يحتاج فى انعقادها الى حضور جميع الناس. و اشار الى ان الاجماع على هذا الوجه غير ممكن، و ان امكن ففى غاية العسر بل المعتبر منه اتفاق اهل الحل و العقد من امة محمد صلى الله عليه و آله، على امر من الأمور و هم اهل الامامة الذين يحكمون على من غاب عنها. ثم ليس لمن حضرو رضى كطلحة و الزبير، ان يرجع ولا للغائب كمعاوية، ان يختار، و هذا هو رسم الاجماع الذى اتفقت كلمة محققى الأصوليين عليه. و انما احتيج بالاجماع حيث لم يسلم له النص على امامته، و المدعى ما ليس له بحق: كمعاوية للامامة، و المانع للذى عليه: كطلحة و الزبير فى منعهما، ما له عليهما من الطاعة.

و قوله: و قد فتح، الى قوله: غيراً: اعلام لأصحابه بحكم البغاة من أهل القبلة اجمالاً، و احوال بالتفصيل على اوامره حال الحرب، و قد كان الناس قبل حرب الجمل لا يعرفون كيفية قتال اهل القبلة، ولا كيفية السنة فيهم، الى ان علموا ذلك منه عليه السلام. و نقل عن الشافعى^١ انه قال: لولا على ما عرفت شيئاً من أحكام أهل البغي.

و قوله: و لا يحتمل، الى قوله: الحق، اى: العلم بوجود حرب هؤلاء و قتالهم و قتلهم. و أهل البصر: اهل العقول الراجحة، و الصبر على المكاره، و عن التسرع الى الوسواس بالشبه و العلم بمواضع الحق، و ذلك ان المسلمين عظم عليهم حرب أهل القبلة و اكبروه، و المقدمون على ذلك أقدموا على خوف و حذر، فقال عليه السلام: ان هذا العلم لا يدركه كل أحد. و روى «العلم» بالفتح اى: علم الحرب و ذلك ان صاحب الراية عليه

١ - فى ش بزياة: رحمه الله.

مدار الحرب، و قلوب العسكر منوطة به فيجب ان يكون بالشرائط المذكورة. و قوله: ولا تعجلوا، الى قوله: غيرًا: اى لا تتسرعوا الى انكار امر ترونه منكرا حتى تتبينوا منا ما نفعله فيه، فانا نغير كل امر ينكر العرف و الشرع. و خصر خنين الامة: لأن العادة ان تضرب وتؤذى فيكثر خنينها، اولان الغالب عليها الغربية فيحن الى اصلها. و استحفاظهم لكتاب الله: امرهم بالمحافظة على قوانينه والعمل به.

١٧٣ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فى طلحة بن عبيدالله

قَدْ كُنْتُ وَمَا أَهْدُدُ بِالْحَرْبِ، وَلَا أَرْهَبُ بِالضَّرْبِ، وَأَنَا عَلَى مَا قَدُّ وَعَدَنِي رَبِّي مِنَ النَّصْرِ، وَاللَّهِ مَا اسْتَعْجَلَ مُتَجَرِّدًا لِلظَّلْبِ بِدَمِ عُثْمَانَ، إِلَّا خَوْفًا مِنْ أَنْ يُطَالَ بِدَمِي لِأَنَّهُ مَظِنَّةٌ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْقَوْمِ أَحْرَصُ عَلَيْهِ مِنْهُ، فَأَرَادَ أَنْ يُعَالِظَ بِمَا أَجْلَبَ فِيهِ لِيُلْبَسَ الْأَمْرُ، وَيَقَعَ الشُّكُّ! وَوَاللَّهِ مَا صَنَعَ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ: لَسِنْ كَانَ ابْنُ عَفَّانَ ظَالِمًا، كَمَا كَانَ يَزْعُمُ، لَقَدْ كَانَ يَتَّبِعِي لَهُ أَنْ يُؤَارَرَ قَاتِلِيهِ، أَوْ أَنْ يُتَابَذَ نَاصِرِيهِ، وَلَسِنْ كَانَ مَظْلُومًا لَقَدْ كَانَ يَتَّبِعِي لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُنْهِنِينَ عَنْهُ، وَالْمُعْذِرِينَ فِيهِ، وَلَسِنْ كَانَ فِي شَكِّ مِنَ الْخِصْلَتَيْنِ لَقَدْ كَانَ يَتَّبِعِي لَهُ أَنْ يَعْتَزَلَهُ وَيَرْكُدَ جَانِبًا، وَيَدْعَ النَّاسَ مَعَهُ، فَمَا فَعَلَ وَاحِدَةً مِنَ الثَّلَاثِ، وَجَاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يُعْرِفْ بَابَهُ، وَلَمْ تَسَلِّمْ مَعَاذِيرُهُ.

اقول: هذا الفصل من كلام قاله حين بلغه خروج طلحة، والزبير، الى البصرة وتهديدهما له بالحرب و كان: تامة. والواو فى قوله: وما: للحال: اى: قد وجدت الى هذه الغاية، وما هددت بالحرب، واجلب: جمع، ونهته عنه: كفت. والمعذرين بالتخفيف، المعتذرين عنه، وبالتشديد: المظهرين للعدومع انه لا عذر. وركد: سكن.

١٧٤ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

أَيُّهَا الْغَافِلُونَ غَيْرُ الْمَغْفُولِ عَنْهُمْ، وَالتَّارِكُونَ الْمَأْخُودَ مِنْهُمْ، مَالِي أَرَاكُمْ عَنِ اللَّهِ ذَاهِبِينَ، وَإِلَى غَيْرِهِ رَاغِبِينَ؟ كَأَنَّكُمْ نَعَمَ أَرَاخَ بِهَا سَائِمٌ إِلَى مَرَعَى وَبَيْ، وَمَشْرَبٌ دَوِيٌّ!! إِنَّمَا هِيَ كَالْمَعْلُوفَةِ لِلْمُدَى، لَا تَعْرِفُ مَاذَا يُرَادُ بِهَا: إِذَا أَحْسِنَ إِلَيْهَا تَحَسَّبُ يَوْمَهَا ذَهْرَهَا، وَشَبَّعَهَا أَمْرَهَا؛ وَاللَّهُ لَوَشِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَمَوْلَجِهِ وَجَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ، وَلَكِنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِي رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أَلَا وَإِنِّي مُفْضِيهِ إِلَى الْخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمِنُ ذَلِكَ مِنْهُ. وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ، وَأَصْطَفَاهُ عَلَى الْخَلْقِ؛ مَا أَنْطِقُ إِلَّا صَادِقًا، وَقَدْ عَهَدَ إِلَيَّ بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَبِمَهْلِكٍ مَنْ يَهْلِكُ، وَمَنْجَى مَنْ يَنْجُو؛ وَمَالٍ هَذَا الْأَمْرُ؛ وَمَا أَبْقَى شَيْئًا يَمُرُّ عَلَى رَأْسِي إِلَّا أَفْرَعُهُ فِي أُذُنِي وَأَفْضِي بِهِ إِلَيَّ. أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي وَاللَّهِ مَا أُحْسِنُكُمْ عَلَى طَاعَةِ الْإِلَهِ وَأَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا وَلَا أَنْتَهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةِ الْإِلَهِ وَأَتَأْتِي قَبْلَكُمْ عَنْهَا.



أقول: مأخوذ منهم أي: من اشخاصهم بالموت، ومن احوالهم بالعدم. والسائم: الراعى. والمدى: جمع مدية وهي: السكين. ووجه شبههم بالنعم: غفلتهم عما ينبغي لهم. والنفس الأمارة كالسائم. وقوله: إنما، إلى قوله: امرها: شبه لها بالنعم. المعلوفة: باعتبار غفلتها عن غايتها وما يراد بها. ووجه الشبه هو قوله: لا تعرف إلى آخره. ومفضيه: موصله. وكفرهم فيه برسول الله: بتفضيلهم آياه عليه. والخاصة: اهل العلم والثبات من اصحابه ممن يؤمن ذلك الكفر منه.

١٧٥ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

انْتَفِعُوا بِبَيَانِ اللَّهِ، وَاتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ اللَّهِ، وَأَقْبَلُوا نَصِيحَةَ اللَّهِ. فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْدَرَ إِلَيْكُمْ بِالْجَلِيَّةِ، وَأَخَذَ عَلَيْكُمْ الْحُجَّةَ، وَبَيَّنَ لَكُمْ مَحَابَّةَ مِنَ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِهَهُ مِنْهَا؛ لِتَتَّبِعُوا هَذِهِ وَتَجْتَنِبُوا هَذِهِ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَقُولُ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ

وَحَفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ». وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ شَيْءٍ إِلَّا يَأْتِي فِي كُرْهِهِ؛ وَمَا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ شَيْءٍ إِلَّا يَأْتِي فِي شَهْوَةِهِ. فَرَجِمَ اللَّهُ رَجُلًا نَزَعَ عَنِ شَهْوَتِهِ، وَقَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ؛ فَإِنَّ هَذِهِ النَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ مَنَزَعًا، وَإِنَّهَا لَا تَزَالُ تَنْزِعُ إِلَى مَعْصِيَةِ فِي هَوَى.

وَأَعْلَمُوا عِبَادَةَ اللَّهِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُمْسِي وَلَا يُضْبِحُ إِلَّا وَنَفْسُهُ ظَنُونٌ عِنْدَهُ فَلَا يَزَالُ زَارِيًا عَلَيْهَا، وَمُسْتَزِيدًا لَهَا. فَكُونُوا كَالسَّابِقِينَ قَبْلَكُمْ وَالْمَاضِينَ أَمَامَكُمْ، قَوُّوا مِنَ الدُّنْيَا تَقْوِيضَ الرَّاحِلِ، وَظَوُّوْهَا ظَى الْمَنَازِلِ. وَأَعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغُشُّ، وَالْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ، وَالْمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ، وَمَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عِنْدَهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ: زِيَادَةٌ فِي هُدًى، وَنُقْصَانٌ مِنْ عَمَى. وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ، وَلَا لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنَى، فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَانِكُمْ، وَاسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لَأْوَانِكُمْ، فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ؛ وَهُوَ الْكُفْرُ وَالنَّفَاقُ وَالغَى وَالضَّلَالُ. فَاسْأَلُوا اللَّهَ بِهِ، وَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ، وَلَا تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ. إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ الْعِبَادُ إِلَى اللَّهِ بِمِثْلِهِ، وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ وَمُشَفَّعٌ، وَقَائِلٌ وَمُصَدِّقٌ، وَأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفَعَ فِيهِ، وَمَنْ مَحَلَ بِهِ الْقُرْآنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَدَقَ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «أَلَا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلَى فِي حَرِّهِ وَعَاقِبَةٍ عَمَلِهِ غَيْرَ حَرِّهِ الْقُرْآنِ» فَكُونُوا مِنْ حَرِّتِهِ وَأَتْبَاعِهِ، وَاسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ، وَاسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَاتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ، وَاسْتَعِشُوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ، الْعَمَلِ الْعَمَلِ، ثُمَّ النَّهْيَةَ النَّهْيَةَ وَالْإِسْتِقَامَةَ الْإِسْتِقَامَةَ ثُمَّ الصَّبْرَ الصَّبْرَ، وَالْوَرَعَ الْوَرَعَ، إِنَّ لَكُمْ نِهْيَةً فَانْتَهُوا إِلَى نِهْيَاتِكُمْ، وَإِنَّ لَكُمْ عِلْمًا فَاهْتَدُوا بِعِلْمِكُمْ، وَإِنَّ لِلْإِسْلَامِ غَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى غَايَتِهِ، وَآخِرُجُوا إِلَى اللَّهِ مِمَّا افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّهِ، وَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ وَظَائِفِهِ. أَنَا شَهِيدٌ لَكُمْ وَحَجِيجٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْكُمْ.

أَلَا وَإِنَّ الْقَدَرَ السَّابِقَ قَدْ وَقَعَ، وَالْقَضَاءَ الْمَاضِيَ قَدْ تَوَرَّدَ، وَإِنِّي مُتَّكِلٌ بِعِدَّةِ اللَّهِ وَحُجَّتِهِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) وَقَدْ قُلْتُمْ رَبُّنَا اللَّهُ، فَاسْتَقِيمُوا عَلَى كِتَابِهِ وَعَلَى مِنْهَاجِ أَمْرِهِ، وَعَلَى الطَّرِيقَةِ الصَّالِحَةِ مِنْ عِبَادَتِهِ، ثُمَّ لَا تَمُرُقُوا مِنْهَا، وَلَا تَبْتَدِعُوا فِيهَا، وَلَا تُخَالِفُوا عَنَّا؛ فَإِنَّ أَهْلَ الْمُرُوقِ مُنْقَطِعٌ بِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ إِيَّاكُمْ وَتَهْزِيعَ الْأَخْلَاقِ وَتَضْرِيفِهَا، وَاجْعَلُوا اللِّسَانَ وَاحِدًا، وَلِيُخْزِنِ الرَّجُلُ لِسَانَهُ، فَإِنَّ هَذَا اللِّسَانَ جُمُوحٌ

بِصَاحِبِهِ، وَاللَّهُ مَا أَرَى عَبْدًا يَتَّقِي تَقْوَى تَنْفَعُهُ حَتَّى يَخْتَرِنَ لِسَانَهُ، وَإِنَّ لِسَانَ الْمُؤْمِنِ مِنَ
وَرَاءِ قَلْبِهِ، وَإِنَّ قَلْبَ الْمُتَافِقِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ تَدَبَّرَهُ
فِي نَفْسِهِ: فَإِنْ كَانَ خَيْرًا أَبَدَاهُ، وَإِنْ كَانَ شَرًّا وَارَاهُ، وَإِنَّ الْمُتَافِقَ يَتَكَلَّمُ بِمَا أَتَى عَلَى
لِسَانِهِ: لَا يَدْرِي مَاذَا لَهُ؛ وَمَاذَا عَلَيْهِ!!

وَلَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ
قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ» فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ وَهُوَ نَفْسُ الرَّاحَةِ
مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ، سَلِيمُ اللِّسَانِ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ؛ فَلْيَفْعَلْ.

وَأَعْلَمُوا، عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَحِلُّ الْعَامَ مَا اسْتَحَلَّ عَامًا أَوَّلًا، وَيُحَرِّمُ الْعَامَ مَا
حَرَّمَ عَامًا أَوَّلًا، وَإِنَّ مَا أَحَدَثَ النَّاسُ لَا يُحِلُّ لَكُمْ شَيْئًا مِمَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنَّ الْحَلَالَ مَا
أَحَلَّ اللَّهُ، وَالْحَرَامُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، فَقَدْ جَرَّبْتُمُ الْأُمُورَ وَضَرَسْتُمُوهَا، وَوَعِظْتُمْ بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ،
وَضَرَبْتُمْ لَكُمْ الْأَمْثَالَ، وَدُعَيْتُمْ إِلَى الْأَمْرِ الْوَاضِحِ، فَلَا يَصَمُّ عَنْ ذَلِكَ إِلَّا أَصَمُّ، وَلَا
يَعْمَى عَنْ ذَلِكَ إِلَّا أَعْمَى!! وَمَنْ لَمْ يَنْفَعَهُ اللَّهُ بِالْبَلَاءِ وَالتَّجَارِبِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ
مِنَ الْعِظَةِ، وَأَتَاهُ التَّفْصِيرُ مِنْ أَمَامِهِ حَتَّى يَعْرِفَ مَا أَنْكَرَ وَيُشْكِرَ مَا عَرَفَ؛ وَإِنَّمَا النَّاسُ
رَجُلَانِ: مُتَّبِعُ شِرْعَةٍ، وَمُبْتَدِعُ بِلُغَةٍ، لَيْسَ مَعَهُ مِنَ اللَّهِ بُرْهَانٌ سُنَّةً، وَلَا ضِيَاءٌ حُجَّةً، وَإِنَّ اللَّهَ
سُبْحَانَهُ لَمْ يَعْظِ أَحَدًا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَسَبَبُ الْأَمِينِ، وَفِيهِ رَبِيعُ
الْقَلْبِ، وَتَبَايَعُ الْعِلْمِ، وَمَا لِقَلْبٍ جَلَاءٌ غَيْرُهُ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ الْمَتَدُّ كُرُونًا، وَبَقِيَ
النَّاسُونَ أَوْ الْمُتَنَاسُونَ. فَإِذَا رَأَيْتُمْ خَيْرًا فَأَعِينُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ شَرًّا فَادْهَبُوا عَنْهُ، فَإِنَّ
رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَقُولُ: «يَا بَنَى آدَمَ أَعْمَلِ الْخَيْرَ وَدَعْ الشَّرَّ فَإِذَا
أَنْتَ جَوَادٌ قَاصِدٌ».

أَلَا وَإِنَّ الظُّلْمَ ثَلَاثَةٌ: فَظُلْمٌ لَا يُغْفَرُ، وَظُلْمٌ لَا يُشْرِكُ، وَظُلْمٌ مَغْفُورٌ لَا يُظَلَبُ: فَأَمَّا الظُّلْمُ
الَّذِي لَا يُغْفَرُ فَالشَّرْكُ بِاللَّهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ) وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يُغْفَرُ
فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ الْهَنَاتِ، وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُشْرِكُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا،
الْقِصَاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ! لَيْسَ هُوَ جَرْحًا بِالْمُدَى، وَلَا ضَرْبًا بِالسَّيَاطِ، وَلَكِنَّهُ مَا يُسْتَصْفَرُ
ذَلِكَ مَعَهُ. فَإَيَّاكُمْ وَالتَّلَوْنَ فِي دِينِ اللَّهِ، فَإِنَّ جَمَاعَةً فِيَمَا تَكْرَهُونَ مِنَ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ
فِيَمَا تُحِبُّونَ مِنَ الْبَاطِلِ، وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ أَحَدًا بِفُرْقَةٍ خَيْرًا: مِمَّنْ مَضَى وَلَا مِمَّنْ بَقِيَ.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ؛ طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنِ عُيُوبِ النَّاسِ، وَطُوبَى لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ وَأَكَلَ قُوَّتَهُ، وَأَشْتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ، فَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ فِي شُغْلٍ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ!

اقول: قوله بالجلية اى: بالاعذار الجلية، او: بان أوضح لكم جلية الأمور. ونبه بالخبر على ان مكاره الله و ان كانت لذيدة، فان النار محفوفة بها، فمن لابسها و انهمك فيها وصل الى النار، و ان محابته من الاعمال و ان كانت شاقة فان الجنة محفوفة بها، فلا تنال بدون الوصول اليها، و نزع: قلع. و قمع: ردع و النفس اى: الامارة بالسوء أبعد شئ منزعا، اى: رجوعا عن المعصية، اذهى مجبولة على محبة الباطل. و ظنون: متهمة بالخيانة، و التقصير فى طاعة الله. و تقويض البناء: نقضه. و مجالسة القرآن: مجالسة أهله، و الاستماع اليهم، و التفهم عنهم. و اراد بالفاقة: الحاجة الى ما ينبغى من الهداية، و الكمال النفسانى. و بالغنى: حصولهما. و أدوائهم: الجهل و الرذائل. و اللأواء: الشدة، و استعار لفظ الشافع المشفع: للقرآن، باعتبار كونه: وسيلة لمن تقرب به الى الله، موصلة له الى مطالبه. و محل به الى السلطان: سعى به، و وجه ذلك فى القرآن اعتبار كون العامل به معروفا عند الله بذلك، فأشبه القرآن الشاهد عليه بذلك. و حرثة القرآن: مستثيروا دفاينه و كنوز علمه. و استنصحوه على أنفسكم، اى: اتخذه انصح منها، فانه اولى بالنصيحة. و قوله: و اتهموا عليه آراءكم اى: الآراء: و الأهواء: المخالفة له. و النهاية التى للخلق المطلوبة منهم: اخلاصهم لله، و التحلى بزينته، و هى غاية الاسلام أيضا. و العلم: مستعار له عليه السلام و للقرآن. و قوله: من حقه: متعلق بقوله: اخرجوا و الخروج اليه: بأخلاص العمل له. و الماضى: النافذ الذى لا يرد. و تورّد اى: دخل فى الوجود شيئا بعد شئ، يقال: تورّدت الخيل البلد: اذا دخلته قطعةً قطعةً و اشار بالقدر: الى واقع خاص و هو خلافته و ما يصحبها من الفتن و الوقائع. و وعدة الله التى يتكلم بها هى: ما وعد به عباده الذين اعترفوا ببروبيته، و استقاموا على سلوك سبيله من تنزل الملائكة عليهم بذهاب الخوف و الحزن و البشارة بالجنة. و اما حجته التى تكلم بها فقوله: «و قد قلت: ربنا الله، اى: اعترفتم بالربوبية. فأستقيموا على كتابه، و منهاج امره الى قوله عنها». و تهزيع الاخلاق:

تفريقها وتكثيرها، و هو نهى عن النفاق، و ذواللسانين، والوجهين، هو المنافق. واستعار لفظ الورا للسان المؤمن: باعتبار ان قوله مؤخر عن فكر قلبه، و لقلب المنافق: باعتبار ان فكره مؤخر عن كلامه، و استقامة القلب فى الخبر بالاعتقاد الصالح لاستقامة الايمان و صحته، و استقامة اللسان اى: على الأقوال الصالحة علامة لاستقامة الايمان لا سبب، لكن لما كانت العلامة متقدمة على ذى العلامة فى العلم، اشار الى: توقف استقامة القلب على استقامة اللسان بحثى ايضا.

و نقاء الراحة: كناية عن الخلاص من حقوق المسلمين، دمائهم و أحوالهم. و قوله: ان المؤمن، الى قوله: احل الله اى: ان المؤمن يستحل و يحرم فى المستقبل ما كان حلالا او حراما فى الماضي، و هو: ما احله الله و رسوله او حرّمه و ثبت بالكتاب و السنة اخذه او تركه دون ما احدث من البدع. و ضرست الأمر اى: احكمته خبرا. و قوله: ولا يصم عن ذلك الا اصم اى: بعد بيان الأمر و ايضاحه بما ذكر لا يصم عنه الا اصم اى: شديد الصمم و الا اعمى اى: شديد عمى الجهل و هو عمى البصيرة. و الأمر: هو طريق الدين. و قوله: من امامه: لان الكمال الذى يتوجه اليه بوجه عقله يفوته لنقصان غريزته، و وقوف عقله عنها. و قوله: حتى تعرف، الى قوله: عرف، اشارة الى: غاية جهله، و هو: ان يتخيل تارة فيما هو منكر و مجهول له انه عالم به و فيما هو معروف عنده، و صحيح انه لا يعرفه لشبهة تعتريه. و الأمين: المأمون اى: من تمسك به لم يخنه. و الهنة: كناية عن الصغيرة من الزلات و العفوع عنها فى آيات الوعد. و التلون فى الدين: النفاق فيه، و افتراق القلوب عنه. و باقى الفصل ظاهر.

١٧٦ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فى معنى الحكيم

فَأَجْمَعَ رَأْيُ مَلَائِكُمْ عَلَى أَنْ اخْتَارُوا رَجُلَيْنِ، فَأَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ يُجْعِبَا عِنْدَ الْقُرْآنِ، وَلَا يُجَاوِزَاهُ، وَتَكُونَ أَلْسِنَتُهُمَا مَعَهُ، وَقُلُوبُهُمَا تَبَعُهُ، فَتَأْهَأَ عَنْهُ، وَتَرَكَ الْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِيهِ، وَكَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا، وَالْإِعْوَجَاجُ رَأْيَهُمَا، وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِى الْحُكْمِ بِالْعَدْلِ

وَالْعَمَلُ بِالْحَقِّ سُوءٌ رَأَيْتُهُمَا، وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا! وَالثِّقَّةُ فِي أَيْدِينَا لِأَنْفُسِنَا، حِينَ خَالَفَا سَبِيلَ الْحَقِّ، وَأَتَيَا بِمَا لَا يُعْرَفُ مِنْ مَعْكُوسِ الْحُكْمِ.

أقول: الاجماع، تصميم العزم. ويجمعها: يحبسنا نفسيهما على القرآن. والخطاب لمن انكر عليه عدم رضاه بالتحكيم بعد الرضا به. والرجلان الحكمان: ابوموسى الاشعري، وعمرو بن العاص. والثقة في ايدينا اي: ثباتنا في الحق في عدم الرضا، اذ كان رضانا بحسب الشرط الذى خالفاه. وقد سبق ذكر الحكامين وطرف من حالهما.

١٧٧ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ، وَلَا يَغَيِّرُهُ زَمَانٌ، وَلَا يَخْوِيهِ مَكَانٌ، وَلَا يَصِفُهُ لِسَانٌ وَلَا يُعْزِبُ عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ الْمَاءِ، وَلَا نُجُومِ السَّمَاءِ، وَلَا سَوَافِي الرِّيحِ فِي الْهَوَاءِ، وَلَا دَبِيبُ التَّمَلِ عَلَى الصَّفَا، وَلَا مَقِيلُ الدَّرِّ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ. يَعْلَمُ مَسَاقِطَ الْأُوزَاقِ، وَخَفِيَّ ظَرْفِ الْأَخْدَاقِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ غَيْرَ مَعْدُولٍ بِهِ وَلَا مَشْكُوكٍ فِيهِ، وَلَا مَكْفُورٍ دِينُهُ، وَلَا مَجْحُودٍ تَكْوِينُهُ شَهَادَةً مَنْ صَدَقَتْ نَيْتُهُ، وَصَفَتْ دِخْلَتُهُ، وَخَلَصَ يَقِينُهُ، وَنَفَلَتْ مَوَازِينُهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُجْتَبَى مِنْ خَلَائِقِهِ، وَالْمُعْتَمَدُ لِشَرْحِ حَقَائِقِهِ وَالْمُخْتَصَّ بِعَقَائِلِ كَرَامَاتِهِ، وَالْمُصْطَفَى لِكِرَائِمِ رِسَالَاتِهِ، وَالْمُوضَّحَةُ بِهِ أَشْرَاطُ الْهُدَى، وَالْمَجْلُوبِ بِهِ غَرِيبُ الْعَمَى.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الدُّنْيَا تَغْرُّ الْمُؤْمَلَ لَهَا، وَالْمُخْلِدَةَ إِلَيْهَا، وَلَا تَنْفَسُ بِمَنْ نَافَسَ فِيهَا، وَتَغْلِبُ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهَا. وَإِنَّمُ اللَّهُ مَا كَانَ قَلْبُومُ قَطُّ فِي غَضِّ نِعْمَةٍ مِنْ عَيْشٍ فَرَّالٍ عَنْهُمْ إِلَّا بِذُنُوبٍ أُجْتَرَحُواهَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ. وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ - حِينَ تَنْزَلُ بِهِمُ النَّقْمُ وَتَزُولُ عَنْهُمْ النَّعْمُ - فَرَعُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِهِمْ وَوَلَّهِ مِنْ قُلُوبِهِمْ؛ لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِدٍ وَأَصْلَحَ لَهُمْ كُلَّ فَاسِدٍ. وَإِنِّي لَأَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي فِتْرَةٍ، وَقَدْ كَانَتْ أُمُورٌ مَضَتْ مِلْتَمٌ فِيهَا مِثْلَةٌ كُنْتُمْ فِيهَا عِنْدِي غَيْرَ مَحْمُودِينَ، وَلَكِنْ رُدَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ إِنَّكُمْ لَسُعْدَاءُ وَمَا عَلَيَّ إِلَّا الْجُهْدُ! وَلَوْ أَسَاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ، عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ.

أقول: الدخلة: بكسر الدال وضمها باطن الشيء. والمعتم: المختار. وحقائقه: ما حقّ وثبت من دينه. وعقائل كراماته: نفائس ما اكرم به عباده من قوانين الدين. واشراط الهدى: علاماته. وغريب العمى: ما يعقل من ظلمة الجهل وسواه. اخلد الى كذا: سكن اليه. وتنفس: تبخل. وعض النعمة: طريها. وتجوز بلفظ الفترة في امر الجاهلية: اطلاقاً لأسم الظرف على المظروف. ويحتمل ان يريد الفترة: من عذاب ينتظر بسبب مخالفتهم لأرائه. قالت الامامية: والأموال التي مالوا فيها: تقديمهم عليه من سبق من الأئمة. وقال غيرهم: ميلهم عليه في تقديم عثمان وقت الشورى. وامرهم الى اصلاح أحوالهم التي كانوا عليها في زمن الرسول عليه السلام. وما على الآ الجهد، اى: فى عود مثل ذلك الأمر عليهم. وقوله: ولو اشاء الى آخره، يفهم منه: انه لو قال: مقتضى قوله: نسبتهم الى ظلمه وتخطئتهم فى التقديم عليه وذكر وجوه تأخيرهم له. والله اعلم.

١٧٨ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقد سأله ذعلب اليماني فقال: هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: أفأ عبد مالا أرى؟ فقال: وكيف تراه؟ فقال: *مُرَرِّبٌ كَمُوتِرٍ ظَلَمٌ رَسُوْدِي*

لَا تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ، وَلَكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ قَرِيبٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرِ مُلَامِسٍ، بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرٌ مُبَايِنٍ، مُتَكَلِّمٌ لِابْرَوِيَّةٍ، مُرِيدٌ لِابْهَمَةِ، صَانِعٌ لِابْجَارِحَةِ، لَطِيفٌ لَا يُوصَفُ بِالْخَفَاءِ، كَبِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ، بَصِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْحَامَةِ، رَحِيمٌ لَا يُوصَفُ بِالرَّقَةِ. تَعْنُو الْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ، وَتَجِبُ الْقُلُوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ.

أقول: حقائق الإيمان: أركانه، وهى: التصديق بوجوده تعالى، و وحدانيته، واعتبارات اسمائه الحسنی مما عدده. واحترز بقوله: غير ملامس وغير مباين: عن القرب والبعد المعهود للأجسام اذ معنى قربته تعالى: ايصال علمه وقدرته بكل شئ، ومعنى بعده: مباينته بذاته الكاملة عن مشابهة شئ. واحترز بسلب الرؤية فى الكلام: عن كلام المخلوقين. وبسلب الهمة عن مثله: ارادته لارادتنا فى سبق العزم لها، وبسلب الجارحة:

عن مثلية صنعة كصنعتنا. وبسلب الوصف بالخفاء: عن اللطف بمعنى رقة القوام، بل معنى لطفه تعالى تصرفه في الذوات والصفات تصرفاً خفياً بفعل الاسباب المعدة لها لافاضة كمالاتها. وبسلب وصفه بالركة: عن رحمتنا. وباقي الفصل ظاهر.

١٧٩ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ^١

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِيهِ، وَجَلَالَ كِبَرِيَّائِهِ؛ مَا حَيْرَ مُقَلِّ الْعُيُونِ مِنْ عَجَائِبِ قُدْرَتِهِ، وَرَدَعَ خَطَرَاتِ هَمَاهِمِ النُّفُوسِ عَنْ عِرْقَانِهِ كُنْهِ صِفَتِهِ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةَ إِيْمَانٍ وَإِقْيَانٍ، وَإِخْلَاصٍ وَإِدْعَانٍ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ وَأَعْلَامَ الْهُدَى دَارِسَهُ، وَمَتَاهِجُ الدِّينِ ظَامِسَهُ، فَصَدَعَ بِالْحَقِّ، وَنَصَحَ لِلخَلْقِ، وَهَدَى إِلَى الرُّشْدِ، وَأَمَرَ بِالْقَصْدِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وَأَعْلَمُوا، عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا، وَلَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلًا. عَلِمَ مَبْلَغَ نِعْمِهِ عَلَيْكُمْ، وَأَخْصَى إِحْسَانَهُ إِلَيْكُمْ، فَاسْتَفْتَحُوهُ، وَاسْتَجْحُوهُ، وَاطْلُبُوا إِلَيْهِ وَاسْتَمْنِحُوهُ، فَمَا قَطَعَكُمْ عَنْهُ حِجَابٌ، وَلَا أَعْلَقَ عَنْكُمْ ذُونَهُ بَابٌ، وَإِنَّهُ لَبِكُلِّ مَكَانٍ، وَفِي كُلِّ حِينٍ وَأَوَانٍ، وَمَعَ كُلِّ إِنْسٍ وَجَانٍ، لَا يَتَلَمَّهُ الْعَطَاءُ، وَلَا يَنْقُضُهُ الْجِبَاءُ، وَلَا يَسْتَفِيدُهُ سَائِلٌ، وَلَا يَسْتَفْصِيهِ نَائِلٌ، وَلَا يَلْوِيهِ شَخْصٌ عَنْ شَخْصٍ، وَلَا يُلْهِبُهُ صَوْتٌ عَنْ صَوْتٍ، وَلَا تَحْجُزُهُ هَبَّةٌ عَنْ سَلْبٍ، وَلَا يَشْغَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَةٍ، وَلَا تُولُهُ رَحْمَةٌ عَنْ عِقَابٍ، وَلَا يُجِنُّهُ الْبُطُونُ عَنِ الظُّهُورِ، وَلَا يَقْطَعُهُ الظُّهُورُ عَنِ الْبُطُونِ. قُرْبٌ فَنَأَى، وَعَلَا فَدَنَا، وَظَهَرَ قَبْظَنٌ، وَبَطَّنَ فَعَلَنٌ، وَدَانَ وَلَمْ يُدْنِ، لَمْ يَذْرَأِ الخَلْقَ بِاخْتِيَالٍ، وَلَا اسْتِعَانَ بِهِمْ لِكِلَالٍ.

أَوْصِيَكُمْ، عِبَادَ اللَّهِ، بِتَقْوَى اللَّهِ؛ فَإِنَّهَا الزَّمَامُ وَالْقَوَامُ، فَتَمَسَّكُوا بِوَسَائِقِهَا، وَاعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا؛ تَوَلُّوا بِكُمْ إِلَى أَكْثَانِ الدَّعَةِ، وَأَوْطَانِ السَّعَةِ، وَمَعَاقِلِ الْحِرْزِ. وَمَنَازِلِ الْعِزِّ، فِي يَوْمٍ تَشْخُصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ، وَتُنْظَلِمُ الْأَفْطَارُ، وَتُعْظَلُ فِيهِ صُرُومُ الْعِشَارِ، وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ؛ فَتَرْهَقُ كُلُّ مُهْجَةٍ، وَتَبْكُمُ كُلُّ لَهْجَةٍ، وَتَذِلُّ الشُّمُّ الشَّوَامِخُ، وَالصُّمُّ الرُّوَاسِخُ، فَيَصِيرُ صَلْدُهَا سَرَابًا زَقْرَقًا، وَمَعْهَدُهَا قَاعًا سَمْلَقًا، فَلَا شَفِيعَ يَشْفَعُ، وَلَا حَمِيمَ يَدْفَعُ، وَلَا مَعْذِرَةَ تَنْفَعُ.

١ - هذه الخطبة جاءت في الشرح الكبير تحت رقم ١٨٦. المجلد الثالث ص ٤٣١.

أقول: استعار لفظ المقلة وهي: شحمة العين لقوة العقل، باعتبار ادراكها. وخطرات
هماهم النفوس: ما يخطر لها فتهمهم به، والهمهمة: صوت خفى، وردعه لها: استلزام
كماله المطلق عن ادراك حقيقته، والإيمان: التصديق القلبي بالله وما جاءت به رسله، و
ما يطابقه باللسان. والايقان: اعتقاد أنّ ذلك التصديق لا يكون إلا كذلك. والاخلاص:
ان يحذف في توحيدته تعالى كل امر سواه عن درجة الاعتبار، والاذعان: ثمرة ذلك
الاخلاص وهي: كمال العبادات التابعة له. واعلام الهدى: ائمة الدين. والمناهج:
قوانين الشريعة ودروسها. وطموسها: اضمحلالها قبل النبوة. وكونه تعالى بكل مكان:
بعلمه. وفي كل زمان: مساوقة وجوده لوجود الزمان، اذ هو تعالى عن احاطة بهما. ومع
كل انس وجان: بعلمه. والحباء: النوال، و اشار باجتماع الاضداد تحت حكم قدرته:
الى كمالها، وتنزيهها عن قدرة البشر، وكذلك اجتماع الاحوال المتضادة له كالرحمة،
والعقاب، والبطون والظهور وغيرها إنما هي باعتبارات مختلفة تعتبرها الازهان لمعقوليته
تعالى كما امر. والتوليه: شغل القلب وتخييره. ودان: قهر. وذراً: خلق. واستعار لفظ
الزّمام لتقوى الله: لقودها العبد الى الحق، وكونها قواما اى: للعبد على سبيل. ووثائقها:
ما يتمسك به منها وهو المأمور بلزومه من العبادات والطاعات. وحقائقها: الخالص
منها الثابت في الدين، والجزم. تؤل: فى جواب الامر بالتمسك. وكنان الدعة: مواطن
الراحة من العذاب وهي: غرفات الجنة ومنازلها وهي: اوطان السعة. والمعائل:
المحارز وهي: منازل العزفى جوار الله. والصروم: جمع صرمة وهي: القطعة من الابل
نحو الثلاثين. والعشار: النوق أتى عليها بعد طروق الفحل عشرة اشهر. والشّم الشوامخ:
الجبال العالية. ومعهدا: ما كان مسكونا. والقاع: الخالى. والسملق: الصفصف
المستوى.

منها: ١

بَعَثَهُ حِينَ لَا عِلْمَ قَائِمٍ، وَلَا مَنَارٍ سَاطِعٍ، وَلَا مَنَهْجٍ وَاضِحٍ: أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ، بِتَقْوَى
اللَّهِ، وَأَحْذَرُكُمْ الدُّنْيَا؛ فَإِنَّهَا دَارُ شُخُوصٍ، وَمَحَلَّةٌ تَشْغِيصٍ، سَاكِنُهَا ظَالِمٌ، وَقَاطِنُهَا بَائِسٌ،

١- فى الشرح الكبير ج ٣ ص ٤٣٧ وردت بقية الخطبة مستقلة و برقم ١٨٧.

تَمِيدُ بِأَهْلِهَا مَيْدَانَ السَّفِينَةِ تَقْصِفُهَا الْعَوَاصِفُ فِي لُجَجِ الْبِحَارِ، فَمِنْهُمْ الْغَرِقُ الْوَبِقُ، وَمِنْهُمْ
النَّاجِي عَلَى بَطُونِ الْأَمْوَاجِ، تَخْفِزُهُ الرِّيَّاحُ بِأَذْيَالِهَا، وَتَحْمِلُهُ عَلَى أَهْوَالِهَا، فَمَا غَرِقَ مِنْهَا
فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرَكٍ، وَمَا نَجَا مِنْهَا فَإِلَى مَهْلَكٍ!!

عِبَادَ اللَّهِ؛ الْآنَ فَاعْمَلُوا، وَاللَّسُنُ مُطْلَقَةٌ، وَالْأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ، وَالْأَعْضَاءُ لَدَنَةٌ،
وَالْمُنْقَلَبُ فَيْسِيحٌ، وَالْمَجَالُ غَرِيضٌ، قَبْلَ إِرْهَاقِ الْفَوْتِ، وَحُلُولِ الْمَوْتِ، فَحَقِّقُوا عَلَيْكُمْ
نُزُولَهُ، وَلَا تَنْتَظِرُوا قُدُومَهُ!

اقول: استعار لفظ العلم، والمنار: للهداة الى الله. والساطع: المرتفع. و لفظ المنهج:
للشريعة. والقاطن: المقيم وشبهها بأهلها: كالسفينة براكبها، ووجه التمثيل قوله:
تقصفها الى آخره. واشتمل هذا التمثيل على تشبهات، فالدنيا: كالسفينة في الريح
العاصف، وتغيراتها كحركات السفينة. ورميهم بحوادثها: كالأحوال التي تلحق اهل
السفينة حينئذ. وقسمتهم الى غريق وبق اي: هالك بحوادثها، والى ناج: الى حين
مقاساة متاعها ولا بد من هلاكه. واللدن: الناعم، والأرهاق: اللحوق، وتحقيق نزوله:
بذكرة و اخطاره بالبال، وتقدير كونه واقعا بهم. ونهى عن انتظار قدومه: لاستلزام ذلك
توهم بعده، والتكاسل بسبب ذلك عن العمل.

١٨٠ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أَنِّي لَمْ أَرُدْ
عَلَى اللَّهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ، وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَنْكُصُ فِيهَا
الْأَبْطَالُ، وَتَتَأَخَّرُ فِيهَا الْأَقْدَامُ، نَجْدَةٌ أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِهَا.

وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِي، وَلَقَدْ
سَأَلْتُ نَفْسَهُ فِي كَفِّي، فَأَمَرَتْهَا عَلَى وَجْهِي، وَلَقَدْ وُلِّيتُ غُسْلَهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ،
وَالْمَلَائِكَةُ أَغْوَانِي، فَضَجَّتِ الدَّارُ وَالْأَفْيئةُ، مَلَأُ يَهْبِطُ وَمَلَأُ يَغْرُجُ، وَمَا فَارَقَتْ سَمْعِي هَيْئَةً
مِنْهُمْ، يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى وَارِثَتَاهُ فِي ضَرْبِيهِ، فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيًّا وَمَيِّتًا؟! فَانْفُدُوا

عَلَى بَصَائِرِكُمْ، وَلْتَصَدَّقْ نِيَّاتِكُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ. فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي لَعَلَى جَادَّةِ الْحَقِّ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَى مَرَّةِ الْبَاطِلِ، أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

أقول: المستحفظون من الصحابة: العلماء الذين استحفظوا كتاب الله ودينه فهم حفظته. ومواساته عليه السلام: تقدمه دونه الى الموت في مواطن القتال، كيوم حنين، واحد، وبدر. والنجدة: فضيلة تحت الشجاعة، ونصبها على المفعول له. ونفسه: دمه يقال: ان رسول الله صلى الله عليه وآله قاء وقت موته دمًا يسيرًا، وان عليا عليه السلام مسح بذلك وجهه. ولا ينافي ذلك نجاسة الدم لجواز ان يخصص دم الرسول عليه السلام، كما روى: ان اباطيبة الحجام^١ شرب دمه حين حجه. فقال له: اذن لا يتجع بطنك، وهو الذي غسله صلى الله عليه، والفضل بن عباس يصب عليه الماء. وروى انه عصب عيني الفضل حينئذ، و كان يقول: ما قلبت منه عضوا الا وانقلب لا اجد له ثقلا كأن معي من يساعدنى عليه وما ذاك الا الملائكة. والهيئمة: صوت خفى، وذكر هذه الفضائل لنفسه في قوة: صغرى، تقدير كبراه: وكل من كان بهذا القرب هو الفضيلة فلا احق منه بأمره وخلافته، وامضوا اي: على جهاد عدوكم. وبصائرهم: عقائدهم او عقولهم السليمة.

١٨١ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذَمِّ أَصْحَابِهِ^٢

أَحْمَدُ اللَّهِ عَلَى مَا قَضَى مِنْ أَمْرٍ، وَقَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ، وَعَلَى ابْتِلَائِي بِكُمْ أَيْتَهَا الْفِرْقَةُ الَّتِي إِذَا أَمَرْتُ لَمْ تُطِيعْ، وَإِذَا دَعَوْتُ لَمْ تُجِبْ، إِنْ أُمِّهَلْتُمْ خُصِّمْتُمْ، وَإِنْ حُورِبْتُمْ خُرِّمْتُمْ! وَإِنْ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى إِمَامٍ طَعَنْتُمْ، وَإِنْ أُجِيسْتُمْ إِلَى مُشَاقَّةٍ نَكَّضْتُمْ. لَا أَبَا لِيغْيِرِكُمْ مَا تَنْظُرُونَ

١ - الاصابة ٤/ ١١٤.

٢ - التقديم والتأخير الحاصل في الخطب هو من فعل المؤلف مع عدم وجود اى حذف ونقص وتحريف

في الخطب.

بِنَصْرِكُمْ رَبِّكُمْ، وَالْجِهَادِ عَلَى حَقِّكُمْ: الْمَوْتُ أَوْ الذَّلُّ لَكُمْ! فَوَاللَّهِ لَئِنْ جَاءَ يَوْمِي
 -وَلِيَاتِيئِي- لِيُفَرِّقَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَتِكُمْ وَأَنَا لَكُمْ قَالٍ، وَبِكُمْ غَيْرُ كَثِيرٍ. اللَّهُ أَنْتُمْ!! أَمَا دِينَ
 يَجْمَعُكُمْ، وَلَا حِمِيَّةُ تَشْحَدُكُمْ؟ أَوْلَيْسَ عَجَباً أَنْ مُعَاوِيَةَ يَدْعُو الْجُفَاءَةَ الطَّغَامَ، فَيَتَّبِعُونَهُ عَلَى
 غَيْرِ مَعُونَةٍ وَلَا عَطَاءٍ، وَأَنَا أَدْعُوكُمْ- وَأَنْتُمْ تَرِيكَةُ الْإِسْلَامِ، وَبَقِيَّةُ النَّاسِ إِلَى الْمَعُونَةِ وَطَائِفَةٌ
 مِنَ الْعَطَاءِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنِّي، وَتَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ؟! إِنَّهُ لَا يَخْرُجُ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِي رِضًا فَتَرْضَوْنَهُ،
 وَلَا سُخْطًا فَتَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، وَإِنْ أَحَبَّ مَا أَنَا لَأَقِ إِلَى الْمَوْتِ. قَدْ ذَارَسْتُمْ الْكِتَابَ،
 وَقَاتَحْتُمْ الْحِجَابَ، وَعَرَفْتُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ، وَسَوَّغْتُمْ مَا مَجَّحْتُمْ، لَوْ كَانَ الْأَعْمَى يَلْحَظُ،
 أَوْ النَّائِمُ يَسْتَيْقِظُ!! وَأَقْرَبُ بِقَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ بِاللَّهِ قَائِدُهُمْ مُعَاوِيَةَ وَمُؤَدَّبُهُمْ ابْنُ النَّابِغَةِ.

أقول: إنما قال علي: ما قضى من امر و قدر من فعل: لأن القضاء هو احاطة علمه
 تعالى بكل شئ وهو اعتم من ان يكون فعلا، ولما كان القدر هو تفصيل القضاء و ايجاد
 الأشياء على وفقه خص القدر بالفعل. وخصتم: مستعار للسعي في غير طاعة. وخرتم:
 ضعفتم او صحتم من الخوار. وقوله: الموت او الذل لكم: في قوة منفصلة ما نعة الخلو.
 والشحد: التحديد. والطفام: او غاد الناس. و إنما قال: على غير معونة و لاعطاء اى:
 العطاء و المعونة المتعارفين بين الجند، لأن بذل معاوية كان جزافا لرؤساء القبائل، وقسمة
 على عليه السلام كانت على وجه الرزق و العطاء من غير تفضيل لشريف على من دونه. و
 تريكة الاسلام: ما بقى منه. و التريكة: بيضة النعام، و كل بيضة بالعراء تريكة. و مجه:
 ألقاه من فيه. و استعار لفظ التسويغ: لأعطائهم ما كانوا يحرمونه من غيره من الارزاق، او
 اعطائهم العلوم التي لم تقبلها اذهانهم، قبل ذلك كما استعار له وصف المبح. وقوله: لو
 كان، الى قوله: يستيقظ: اشارة الى غفلتهم و جهلهم. و ابن النابغة: عمرو بن العاص و
 هو رئيس المنافقين و الجهال فكيف بتلاميذه.

١٨٢ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقد أرسل رجلا من أصحابه يعلم له علم أحوال قوم من جنود الكوفة قد هموا باللحاق
 بالخوارج، و كانوا على خوف منه عليه السلام، فلما عاد إليه الرجل قال له: أأمنوا فقطنوا أم

جنبوا فظعنوا؟؟ فقال الرجل: بل ظعنوا يا أمير المؤمنين. فقال:

بُعْدًا لَهُمْ كَمَا بَعَدَتْ تَمُودُ، أَمَا لَوْ أَسْرَعَتِ الْأَسِنَّةُ إِلَيْهِمْ، وَصَبَّتِ السُّيُوفُ عَلَى
هَامَاتِهِمْ! لَقَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ، إِنَّ الشَّيْطَانَ الْيَوْمَ قَدْ اسْتَفْلَهُمْ، وَهُوَ عَدَا مُتَّبِرِي
مِنْهُمْ، وَمُتَخَلِّ عَنَّهُمْ، فَحَسْبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ الْهُدَى، وَأَرْتَكَاسِهِمْ فِي الضَّلَالِ وَالْعَمَى،
وَصَدَّهِمْ عَنِ الْحَقِّ، وَجَمَاحِهِمْ فِي النَّيِّ.

أقول: قطنوا: اقاموا. وبعدت: بالكسر هلكت. و اشرعت الرمح نحوه: سدته.
واستفلهم: طلب تفريقهم وهزيمتهم. والارتكاس: الرجوع في الشيء مقلوبًا. واستعار
لفظ الجماح: لخروجهم عن فضيلة العدل، الى طرف الافراط على جهل بمطلوبهم وهو
معنى التيه.

١٨٣ - وَمِنْ حُطْبَةِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

روى عن نوف البكالى قال: خطبنا هذه الخطبة بالكوفة أمير المؤمنين عليه السلام وهو قائم
على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي، وعليه مدرعة من صوف، وحمائل سيفه
ليف، وفي رجله نعلان من ليف، وكان جبينه ثِقَنَةً بعير. فقال عليه السلام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ مَصَائِرُ الْخَلْقِ وَعَوَاقِبُ الْأَمْرِ، نَحْمَدُهُ عَلَى عَظِيمِ إِحْسَانِهِ، وَنَبِيرِ
بُرْهَانِهِ، وَتَوَامِي فَضْلِهِ وَأَمْتِنَانِهِ، حَمْدًا يَكُونُ لِحَقِّهِ قَضَاءً، وَلشُكْرِهِ أَدَاءً، وَإِلَى ثَوَابِهِ مُقَرَّبًا،
وَلِحُسْنِ مَزِيدِهِ مُوجِبًا. وَنَسْتَعِينُ بِهِ أَسْتِعَانَةَ رَاجٍ لِفَضْلِهِ، مُؤَمِّلٍ لِنَفْعِهِ، وَآتِقٍ بِدَفْعِهِ، مُعْتَرِفٍ
لَهُ بِالظُّوْلِ، مُدْعِنٍ لَهُ بِالْعَمَلِ وَالْقَوْلِ. وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانًا مِنْ رَجَاءِ مُوقِنًا، وَأَنَابَ إِلَيْهِ مُؤْمِنًا،
وَخَنَعَ لَهُ مُدْعِنًا، وَأَخْلَصَ لَهُ مُوَحِّدًا، وَعَظَّمَهُ مُمَجِّدًا، وَلَاذِيهِ رَاغِبًا مُجْتَهِدًا: لَمْ يُوَلَّدْ سُبْحَانَهُ
فَيَكُونَ فِي الْعِزِّ مُشَارِكًا، وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مُورِثًا هَالِكًا، وَلَمْ يَتَقَدَّمْهُ وَقْتُ وَلَا زَمَانٌ، وَلَمْ
يَتَعَاوَرَهُ زِيَادَةٌ وَلَا نُقْصَانٌ، بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ عِلْمَاتِ التَّدْبِيرِ الْمُتَّقِنِ، وَالْقَضَاءِ
الْمُبْرَمِ.

وَمِنْ شَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ مُوَظَّذَاتٍ بِالْأَعْمَدِ، قَائِمَاتٍ بِالْأَسْتَدِ. دَعَاهُنَّ فَأَجَبْنَ
 ظَائِعَاتٍ مُدْعِنَاتٍ، غَيْرَ مُتَلَكِّئَاتٍ وَلَا مُبْطِنَاتٍ، وَلَوْلَا إِفْرَارُهُنَّ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَإِدْعَانُهُنَّ لَهُ
 بِالطَّوَاعِيَّةِ لَمَا جَعَلَهُنَّ مَوْضِعًا لِعَرْشِهِ وَلَا مَسْكَنًا لِمَلَائِكَتِهِ، وَلَا مَضْعَدًا لِلِكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ
 الصَّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ، جَعَلَ نُجُومَهَا أَغْلَامًا يَسْتَدِلُّ بِهَا الْحَيْرَانُ فِي مُخْتَلِفِ فَجَاجِ الْأَفْطَارِ، لَمْ
 يَمْنَعْ ضَوْءَ نُورِهَا إِذْ لِهَمَامُ سَجْفِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، وَلَا اسْتِظَاعَتِ جَلَابِيبِ سَوَادِ الْحَنَادِسِ
 أَنْ تَرُدَّ مَا شَاعَ فِي السَّمَوَاتِ مِنْ تَلَالُؤِ نُورِ الْقَمَرِ، فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ سَوَادُ غَسَقِ دَاجٍ،
 وَلَا لَيْلِ سَاجٍ فِي بَقَاعِ الْأَرْضِينَ الْمُتَشَطِّطَاتِ، وَلَا فِي يَفَاعِ الشُّفَعِ الْمُتَجَاوِرَاتِ، وَمَا
 يَتَجَلَّجَلُ بِهِ الرَّعْدُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ، وَمَا تَلَاشَتْ عَنْهُ بُرُوقُ الْغَمَامِ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ
 تُزِيلُهَا عَنْ مَسْقِطِهَا عَوَاصِفُ الْأَنْوَاءِ وَانْهَاطُ السَّمَاءِ، وَيَعْلَمُ مَسْقِطَ الْقَطْرَةِ وَمَقَرَّهَا،
 وَمَسْحَبَ الدَّرَّةِ وَمَجْرَهَا، وَمَا يَكْفِي الْبَعُوضَةَ مِنْ قُوَّتِهَا، وَمَا تَحْمِلُ الْأُنْثَى فِي بَطْنِهَا.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَائِنِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كُرْسِيُّ أَوْ عَرْشٌ، أَوْ سَمَاءٌ أَوْ أَرْضٌ، أَوْ جَانٌّ أَوْ إِنْسٌ
 لَا يُدْرِكُ بَوْهَمٍ، وَلَا يُقَدَّرُ بِفَهْمٍ، وَلَا يَشْغَلُهُ سَائِلٌ، وَلَا يَنْقُصُهُ نَائِلٌ، وَلَا يُنْظَرُ بِعَيْنٍ، وَلَا يُحَدُّ
 بِأَيْنٍ، وَلَا يُوصَفُ بِالْأَزْوَاجِ، وَلَا يَخْلُقُ بِعِلَاجٍ، وَلَا يُدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ، وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ.
 الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا، وَأَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ عَظِيمًا، بِلَا جَوَارِحَ وَلَا أَدَوَاتٍ، وَلَا نَطْقٍ
 وَلَا لَهَوَاتٍ. بَلْ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا أَيُّهَا الْمُتَكَلِّفُ لِيُوصَفِ رَبُّكَ، فَصِفْ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ
 وَجُنُودَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ فِي حُجْرَاتِ الْقُدْسِ مُرْجِحِينَ، مُتَوَلِّهَةً عُقُولَهُمْ أَنْ يَحْدُوا أَحْسَنَ
 الْخَالِقِينَ. فَإِنَّمَا يُدْرِكُ بِالصِّفَاتِ ذُو وَالْهَيْئَاتِ وَالْأَدَوَاتِ، وَمَنْ يَنْقُضِي إِذَا بَلَغَ أَمَدَ حَدِّهِ
 بِالْفَنَاءِ! فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَضَاءَ بِنُورِهِ كُلَّ ظَلَامٍ، وَأَظْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ نُورٍ.

أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي أَلْبَسَكُمْ الرِّيَاشَ، وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ الْمَعَاشَ وَلَوْ أَنَّ
 أَحَدًا يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سُلْمًا أَوْ إِلَى دَفْعِ الْمَوْتِ سَبِيلًا لَكَانَ ذَلِكَ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ
 عَلَيْهِ السَّلَامُ: الَّذِي سَخَّرَ لَهُ مُلْكُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ مَعَ النُّبُوَّةِ وَعَظِيمِ الزُّلْفَةِ، فَلَمَّا اسْتَوْفَى
 طَعْمَتَهُ، وَأَسْتَكْمَلَ مَدَّتَهُ، رَمَتْهُ قَيْسُ الْفَنَاءِ بِنِيَالِ الْمَوْتِ، وَأَصْبَحَتِ الدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَةً،
 وَالْمَسَاكِينُ مُعْظَلَّةٌ، وَوَرِثَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ، وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً! أَيْنَ الْعَمَالِقَةُ
 وَأَبْنَاءُ الْعَمَالِقَةِ؟ أَيْنَ الْفَرَاعِنَةُ وَأَبْنَاءُ الْفَرَاعِنَةِ؟ أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ الرَّسِّ الَّذِينَ قَتَلُوا
 النَّبِيَّ. وَأَطْفَاؤُ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ، وَأَخْيَاؤُ سُنَنِ الْجَبَّارِينَ؟ أَيْنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجُيُوشِ،

وَهَزَمُوا بِالْأُلُوفِ، وَعَسَكُرُوا الْعَسَاكِرَ، وَمَدَّنُوا الْمَدَائِنَ؟!

اقول: نقل الجوهري: انّ نوف البكالى، بفتح الباء وتخفيف الكاف كان صاحب عليّ عليه السلام، ونقل عن ثعلب أنّه منسوب الى بكالة قبيلة، وقال القطب الراوندى^١ رحمه الله: هو منسوب الى بكال، حتى من همدان، ويقال: بكيل وهو اكثر، وقال عبد الحميد بن ابى الحديد^٢: انما هو بكال بكسر الباء من حمير، فمنهم هذا الشخص وهو نوف بن فضالة صاحب عليّ عليه السلام، وجعدة بن هبيرة ابن اخت امير المؤمنين، ام هانى. وثقفة البعير: ما يقع على الأرض من اعضائه. ونير برهانه: ما اظهره لنا من البرهان الواضح على وجوده وكماله. وخنع: خضع. واذعن: انقاد. ويتعاوره: يختلف عليه. وعلامات التدبير: الاحكام والاتقان فى مصنوعاته الموجودة على وفق. القضاء المبرم: اى المحكم. ودعا هن: حكم القدرة الالهية عليهنّ بالدخول فى الوجود. واجابتهنّ: دخولهنّ فيه. وغير متلكثات: اى متوقفات. والطواعية: الطاعة و اوصاف الدعاء والاقرار والاجابة، والطاعة: مستعارة لشهادة حال الممكن بذلك. والأدلهمام: شدة الظلمة. والهندس بكسر الحاء: الليل شديد الظلمة. واليفاع: المرتفع من الارض. والسفع: الجبال. والسفعة: سواد مشرب بحمرة وهو لون الجبال غالبًا. وجلجلة الرعد: صوته. وما تلاشت عنه: بروق الغمام اى: ينكشف للأبصار بسبب اضاءتها فكانها اضمحلت عنه و لم تكشفه لانّ العلم به اشرف لتعلقه بما لا تدركه ابصار المخلوقين دون ما يضيئه لأدراك الكلّ له. والانواء: جمع نوء وهو: سقوط نجم من منازل القمر الثمانية والعشرين فى المغرب مع الفجر، وطلوع رقيبته من المشرق يقابله من ساعته، فى كل ليلة الى ثلاثة عشريوما، (وهكذا كلّ نجم منها الى انقضاء السنة ما خلا الجبهة فانّ لها اربعة عشريوما)^٣.

وانما اضاف العواصف الى الأنواء: لانّ العرب تضيف الآثار العلوية من الرياح

١ - منهاج البراعة ٢ / ١٨١.

٢ - شرح ابن ابى الحديد. ٧٦/١٠. لسان العرب ٦٣/١١.

٣ - العبارة بين القوسين غير موجودة فى نسخة ش.

والأمطار والحرّ والبرد إليها. وسلب تحديده بالآين: سلب الكميّة المتّصلة عنه. وبالأزواج، سلب للكّم المنفصل عنه اى: ليس فيه اثنيّة وتعدّد. والمعالجة: الفعل بآلة والعظيم من آياته، كما روى أنّه كان يسمع الصوت من كل الجهات ليس على حدّ سماع البشر، وقد ذكرنا كيفية سماع الأنبياء للوحي فى الأصل، وقيل: اراد الآيات التسع كأنشقاق البحر، وقلب العصا ثعبانا، وغيرهما. وحجرات القدس: مقارّ الطهارة عن كدورات الشهوة والغضب. والمرجحن: المائل الى جهة تحت، وهو مستعار لخضوعهم تحت سلطان عظمتهم. والظلام: اما محسوس فأضائه نور الكواكب، او معقول وهو: ظلام العدم والجهل فأضائه نور الوجود والعلم والشرائع. وكذلك النور: اما محسوس فأظلمه معاقبة الظلام له، واما معقول كأنوار الوجود والنفوس البشريّة فإنها انوار الهية تغشاها ظلمة العدم والجهل. والرياش: اللباس. والعماليق: اولاد لاوذ بن ارم بن سام بن نوح، وكان ملك اليمن والحجاز، وما تاخم ذلك من الأقاليم. واما الفراعنة: فهم ملوك مصر. واما اصحاب مدائن الرّسّ فقيل: انهم اصحاب شعيب التّبي عليه السلام. والرّسّ: بئر عظيمة جدا انخسفت بهم و كانوا حولها. وقيل: الرّسّ قرية باليمامة كان يسكنها قوم من بقايا ثمود، والله اعلم.

مرکز تحقیقات کمپیوتر علوم اسلامی

منها:

قَدْ لَبَسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتَهَا، وَأَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدْبِهَا: مِنَ الْإِقْبَالِ عَلَيْهَا، وَالْمَعْرِفَةِ بِهَا، وَالتَّفَرُّغِ لَهَا، وَهِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّةٌ الَّتِي يَطْلُبُهَا، وَحَاجَتُهُ الَّتِي يَسْأَلُ عَنْهَا، فَهُوَ مُغْتَرِبٌ إِذَا اغْتَرَبَ الْإِسْلَامُ، وَضَرَبَ بِعَيْسِبِ ذَنْبِهِ وَأَلْصَقَ الْأَرْضَ بِجِرَانِهِ، بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا حُجَّتِهِ، خَلِيفَةٌ مِنْ خَلَائِفِ أَنْبِيَائِهِ.

ثم قال عليه السلام:

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ بَنَيْتُ لَكُمْ الْمَوَاعِظَ وَعَظَّ الْأَنْبِيَاءُ بِهَا أُمَّهَتُمْ؛ وَأَدْبَيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَبَتِ الْأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ؛ وَأَدْبَيْتُكُمْ بِسَوَاطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا؛ وَحَدَوْتُكُمْ بِالزَّوْجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا!! لِلَّهِ أَنْتُمْ، أَنْتَوَقِعُونَ إِمَامًا غَيْرِي يَطَّأُ بِكُمْ الطَّرِيقَ، وَيُرْشِدُكُمْ السَّبِيلَ؟! أَلَا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبَلًا، وَأَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِرًا، وَأَزْمَعَ التَّرْحَالَ

عِبَادَ اللَّهِ الْأَخْيَارُ؛ وَبَاعُوا قَلِيلًا مِنَ الدُّنْيَا لَا يَبْقَى بِكَثِيرٍ مِنَ الْآخِرَةِ لَا يَفْتَنِي، مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ سَفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ وَهُمْ بِصَفِينٍ أَنْ لَا يَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْيَاءَ يُسَيِّغُونَ الْغُصَصَ، وَيَشْرَبُونَ الرِّتْقَ؟! قَدْ -وَاللَّهِ- لَقُوا اللَّهَ فَوْقَهُمْ أُجُورَهُمْ، وَأَحَلَّهُمْ دَارَ الْأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ، أَيْنَ إِخْوَانِي الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ وَمَضَوْا عَلَى الْحَقِّ؟ أَيْنَ عَمَّارٌ؟ وَأَيْنَ ابْنُ السَّيِّهَانِ؟ وَأَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ؟ وَأَيْنَ نَظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى الْمَنِيَّةِ، وَأُبْرِدَ بَرُّهُمْ إِلَيَّ الْفَجْرَةَ؟!!

قال: ثم ضرب بيده على لحيته الشريفة الكريمة فأطال البكاء، ثم قال عليه السلام: أُوهُ عَلَى إِخْوَانِي الَّذِينَ قَرَأُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَتَدَبَّرُوا الْفَرَضَ فَأَقَامُوهُ، أَحْيَا السُّنَّةَ، وَأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ، دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا، وَوَثِقُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ. ثم نادى بأعلى صوته: الْجِهَادَ الْجِهَادَ عِبَادَ اللَّهِ!! أَلَا وَإِنِّي مُعْسِكِرٌ فِي يَوْمِي هَذَا، فَمَنْ أَرَادَ الرَّوَاحَ إِلَى اللَّهِ فَلْيَخْرُجْ.

قال نوف: وعقد للحسين - عليه السلام - في عشرة آلاف، ولقيس بن سعد - رحمه الله - في عشرة آلاف، ولأبي ايوب الانصاري في عشرة آلاف، وغيرهم على اعدادٍ اخرى، وهو يريد الرجعة الى صفين، فما دارت الجمعة حتى ضربه الملعون ابن ملجم لعنه الله، فتراجعت العساكر فكثرت كأغنامٍ فقدت راعيها تختطفها الذئاب من كل مكان.

اقول: الضمير في لبس: للعارف مطلقاً، وقيل: هو الامام المنتظر. واستعار لفظ الجنة: للاستعداد بالزهد والعبادة الواقين له كوقاء الجنة. والمعرفة بها: اي بقدرها ولفظ الضالة لها: باعتبار طلبه اياها، كما قال صلى الله عليه وآله: (الحكمة ضالة المؤمن) وقوله: فهو، الى قوله: الاسلام، اشارة الى خفائه بين الناس وقلة وجود مثله، وغربة الاسلام: قلة لزومه، والعمل به كما قال صلى الله عليه وآله: (بدأ الاسلام غريباً وسيعود كما بدأ) واستعار لفظ عسيب الذنب وهو: طرفه، ولفظ الجران وهو: مقدم عنق البعير، للاسلام ملاحظة لشبهه اياه في سقوطه عند ضعفه. واستوسق الأمر: اجتمع وانتظم. وازمع: صمم عزمه. وقوله: ما ضر، الى قوله: الرنق: تنبيه على عدم ضرر الموت لأخوانه المذكورين من الصحابة الذين قتلوا بصفين. والرنق، بالسكون: الكدر. وعمار: هو عمار ابن ياسر الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله فيه: عمار جلدة ما بين عيني، تقتله الفئة

١ - مجمع البحرين ٤٦/٦. التمثيل والمحاضرة ٢٥.

٢ - صحيح مسلم ١٣٠/١. النهاية في غريب الحديث ٣٤٨/٣.

الباغية لانا لها الله شفاعتي! و ابن التيهان: هو ابو الهيثم مالك بن مالك، وقيل: مالك ابن عمرو بن الحرث التيهان. ذوالشهادتين: هو ابو عمارة خزيمه بن ثابت الانصارى الأوسى، جعل رسول الله صلى الله عليه وآله شهادته بشهادة رجلين لقصة مشهورة. و ابرد: أرسل. والفجرة: امراء الشام. والقائد: يعنى نفسه. وقيس: هو ابن سعد بن عبادة الانصارى. و ابو ايوب: هو خالد بن سعد بن كعب من بنى النجار، وعليه نزل رسول الله صلى الله عليه وآله حين هاجر الى المدينة حتى بنى مسجده ومساكنه.

١٨٤ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، الْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ مَنصَبَةٍ، خَلَقَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ، وَأَسْتَعْبَدَ الْأَرْبَابَ بِعِزَّتِهِ، وَسَادَ الْعُظَمَاءَ بِجُودِهِ. وَهُوَ الَّذِي أَسْكَنَ الدُّنْيَا خَلْقَهُ، وَبَعَثَ إِلَى الْجَنِّ وَالْإِنْسِ رُسُلَهُ؛ لِيَكْشِفُوا لَهُمْ عَنْ غِطَائِهَا، وَيُحَذِّرُوهُمْ مِنْ ضَرَائِهَا، وَيُنصِرُوا لَهُمْ أَمْثَالَهَا، وَيَتَهَجَّمُوا عَلَيْهِمْ بِمُعْتَبَرٍ مِنْ تَصْرِيفِ مَصَاحِحِهَا وَأَسْقَامِهَا، وَيُنصِرُوهُمْ عُيُوبِهَا وَحَلَالَهَا وَحَرَامِهَا، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لِلْمُطِيعِينَ مِنْهُمْ وَالْعَصَاةِ مِنْ جَنَّةٍ وَنَارٍ وَكَرَامَةٍ وَهَوَانٍ. أَحْمَدُهُ إِلَى نَفْسِهِ كَمَا اسْتَحْمَدَ إِلَى خَلْقِهِ، وَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا، وَلِكُلِّ قَدْرٍ أَجَلًا، وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابًا.

أقول: نزّهه فى معرفته عن الرؤية، وفى خالقيته عن التعب، لاستلزامهما الجسميّة. وقوله: ليكشفوا لهم اى: اغطية الهيئات البدنيّة، و اغشية الجهل وكشفها بالتذكير، والموعظة عن اعين بصائرهم، ليروا ما تغطى من احوال الآخرة التى خلقوا لها. و ضرائها: ما يلزم الغفلة فيها من الضرر الاخرى. وبالله التوفيق. منها:

فى ذكر القرآن: فَالْقُرْآنُ أَمِيرٌ زَاجِرٌ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ، حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ: أَخَذَ عَلَيْهِمْ مِيثَاقَهُ، وَأَرْتَهَنَ عَلَيْهِ أَنْفُسَهُمْ، أَتَمَّ نُورَهُ، وَأَكْمَلَ بِهِ دِينَهُ، وَقَبَضَ نَبِيَّهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَقَدَّ فَرَعًا إِلَى الْخَلْقِ مِنْ أَحْكَامِ الْهُدَى بِهِ، فَعَظَّمُوا مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَا عَظَّمَ مِنْ نَفْسِهِ؛ فَإِنَّهُ لَمْ

١- الغدير ٢١/٩. باسانيد وطرق مختلفة.

يُخْفِ عَنْكُمْ شَيْئًا مِنْ دِينِهِ، وَلَمْ يَشْرِكْ شَيْئًا رِضِيَهُ أَوْ كَرِهَهُ، إِلَّا وَجَعَلَ لَهُ عِلْمًا بَادِيًا، وَآيَةً مُحْكَمَةً تَزْجُرُ عَنْهُ أَوْ تَدْعُو إِلَيْهِ، فَرِضَاهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ، وَسُخْطُهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ.

وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرْضَى عَنْكُمْ بِشَيْءٍ سَخِطَهُ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ؛ وَلَنْ يَسْخَطَ عَلَيْكُمْ بِشَيْءٍ رِضِيَهُ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّمَا تَسِيرُونَ فِي أَثَرِ بَيْنِ، وَتَتَكَلَّمُونَ بِرَجْعِ قَوْلٍ قَدْ قَالَهُ الرَّجَالُ مِنْ قَبْلِكُمْ، قَدْ كَفَاكُمْ مَوْوَنَةً دُنْيَاكُمْ، وَحَثَّكُمْ عَلَى الشُّكْرِ، وَأَفْتَرَضَ مِنَ أَلْسِنَتِكُمْ الذِّكْرَ، وَأَوْصَاكُمْ بِالتَّقْوَى وَجَعَلَهَا مُنْتَهَى رِضَاهُ وَحَاجَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِعَيْنِهِ وَنَوَاصِيكُمْ بِيَدِهِ، وَتَقَلُّبُكُمْ فِي قَبْضَتِهِ: إِنْ أَسْرَرْتُمْ عِلْمَهُ، وَإِنْ أَعْلَنْتُمْ كِتْمَانَهُ، قَدْ وَكَّلَ بِكُمْ حَفِظَةً كِرَامًا، لَا يُسْقِطُونَ حَقًّا، وَلَا يُثْبِتُونَ بَاطِلًا، وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا مِنَ الْفِتَنِ، وَنُورًا مِنَ الظُّلَمِ، وَيُخَلِّدْهُ فِيمَا أَشْتَهَتْ نَفْسُهُ، وَيُنزِلْهُ مِثْرَلَةَ الْكِرَامَةِ عِنْدَهُ، فِي دَارٍ أَضْطَنَعَهَا لِنَفْسِهِ: ظِلُّهَا عَرْشُهُ، وَنُورُهَا تَهْجَتُهُ، وَزُورُهَا مَلَائِكَتُهُ، وَرَفَقَاؤُهَا رُسُلُهُ. فَبَادِرُوا الْمَعَادَ، وَسَابِقُوا الْأَجَالَ، فَإِنَّ النَّاسَ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ الْأُمْلُ، وَيَرْهَقَهُمُ الْأَجَلُ، وَيُسَدَّ عَنْهُمْ بَابُ التَّوْبَةِ، فَقَدْ أَضْحَكْتُمْ فِي مِثْلِ مَا سَأَلَ إِلَيْهِ الرَّجْعَةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَأَنْتُمْ بِنُوسِيبِ عَلَى سَفَرٍ مِنْ دَارِ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ، وَقَدْ أُوذِنْتُمْ مِنْهَا بِالِارْتِحَالِ، وَأَمِرْتُمْ فِيهَا بِالزَّادِ، وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهَذَا الْجِلْدِ الرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَى النَّارِ، فَارْحَمُوا نَفُوسَكُمْ فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَّبْتُمُوهَا فِي مَصَائِبِ الدُّنْيَا. أَفَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشُّوْكَةِ تُصِيبُهُ وَالْعَثْرَةَ تُدْمِيهِ، وَالرَّمْضَاءَ تَحْرِقُهُ؟ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَابِقَيْنِ مِنْ نَارٍ ضَجِيعِ حَجَرٍ وَقَرِينِ شَيْطَانٍ؟! أَعْلِمْتُمْ أَنَّ مَا لِكَا إِذَا غَضِبَ عَلَى النَّارِ حَطَمَ بَعْضُهَا بَعْضًا لِعِظَمِ غَضَبِهِ، وَإِذَا زَجَرَهَا تَوَبَّتْ بَيْنَ أَبْوَابِهَا جَزَعًا مِنْ زَجْرَتِهِ!!؟؟

أَيُّهَا الْيَفْسُ الْكَبِيرُ، الَّذِي قَدْ لَهَزَهُ الْقَيْيرُ! كَيْفَ أَنْتَ إِذَا الشَّحَمَتُ أَطْوَأقُ النَّارِ بَعْظَامِ الْأَعْنَاقِ، وَنَشِبَتِ الْجَوَامِيعُ، حَتَّى أَكَلَتْ لُحُومَ السَّوَاعِدِ؟! فَأَلَّهِ اللَّهُ، مَعْشَرَ الْعِبَادِ، وَأَنْتُمْ سَالِمُونَ فِي الصَّحَّةِ قَبْلَ السَّقَمِ!! وَفِي الْفُسْحَةِ قَبْلَ الضِّيقِ، فَاسْعَوْا فِي فَكَالِكِ رِقَابِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَغْلِقَ رَهَائِئُهَا: أَسْهَرُوا عِيُونَكُمْ. وَأَضْمِرُوا بَطُونَكُمْ، وَاسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ، وَأَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ، وَخُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ فَجَدِّدُوا بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَلَا تَبْخُلُوا بِهَا عَنْهَا، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) وَقَالَ تَعَالَى: (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ

قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ؟^١، فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذَلِكَ؛ وَلَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ مِنْ قُلِّ، اسْتَنْصِرْكُمْ وَلَهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَاسْتَقْرِضْكُمْ وَلَهُ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَنْبُلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا؛ فَبَادِرُوا بِأَعْمَالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ حَيْرَانَ اللَّهِ فِي دَارِهِ رَافِقَ بِهِمْ رُسُلَهُ، وَأَزَارَهُمْ مَلَائِكَتُهُ؛ وَأَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ أَنْ تَسْمَعَ حَيِّسَ نَارٍ أَبَدًا، وَصَانَ أَجْسَادَهُمْ أَنْ تَلْقَى لُغُوبًا وَنَصَبًا (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ).^٢ أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ. وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

أقول: استعار للقرآن الأوصاف المتضادة باعتبارات مختلفة. وأخذ عليه اى: على العمل بما فيه، و ما: مصدرية اى: فعظموه تعظيمًا يناسب تعظيمه لنفسه. وقوله: فرضاه، الى قوله: واحد، اى: ان الرضى له من الاحكام والمسخوط فيما مضى هو المرضي، والمسخوط فيما بقى واستقبل من الزمان، و حكمه فى كونه مرضيًا او مسخوطا واحد فى جميع الاوقات، وفيه ايماء الى ان رفع شئ من الاحكام بالرأى والقياس المتعارف لا يجوز. وكذلك قوله: واعلموا، الى قوله: قبلكم: تأكيد له. وقوله: وانما تسرون، الى قوله: قبلكم اى: ان الادلة لكم واضحة قد تداولها الاولون قبلكم وانتم تتكلمون بما تردد منها فى الألسنة السابقة. ورجع القول: المررد منه، و كونهم بعينه اى: بحيث يبصرهم ويعلم ما يفعلون. و لفظ العين: مجاز فى العلم وخص النواصي بالأخذ: لانها أشرف والقدرة على الاشرف أتم واقوى، ولأنه تعالى فى اعتبار الاوهام فى جهة فوق فاخذه أولا يكون بالنواصي. والدار التى اصطنعها لنفسه: الجنة. و كون ظلها عرشه: يقتضى انها فى السماوات. وبهجته: يعود الى بهائه وجماله المعقول المشرق على نفوس أهل الجنة. ورفقاؤها: الرفقاء فيها: و حسن اولئك رفيقا. ويوشك: يقرب. ويرهقهم: يدركهم. وقوله: فقد اصبحتم. الى قوله: قبلكم، اى: فى حال الحياة من الصحة، والتمكّن من العمل، و هو ما يتمناه من مضى قبلكم، لقولهم: «يا ليتنا نردّ فنعمل غير الذى كنا نعمل»^٣. و كونهم بنى سبيل: باعتبار أنهم فى هذه الدار غرباء

٣ - سورة فاطر / ٣٧.

٢ - سورة الحديد / ٢١.

١ - سورة البقرة / ٢٤٥.

تسوقهم العناية الالهية الى غاية اخرى. وضجيع حجر: كقوله: (وقودها الناس والحجارة)^١. وقرين شيطان: كقوله تعالى: (فكذبوا فيهاهم والغاوون وجنود ابليس اجمعون)^٢. واليفن: الشيخ الكبير. ولهزه: خالطه. والقشير: الشيب. والجامعة: الغل لجمعها الأيدي الى الاعناق. واللغوب: التعب. والفصل واضح وبالله التوفيق.

١٨٥ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

قاله للبرج بن مسهر الطائي، وقد قال له بحيث يسمعه:

«لا حكم إلا لله»، وكان من الخوارج

أُسْكُتْ! قَبَحَكَ اللَّهُ يَا أَثْرَمُ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ ظَهَرَ الْحَقُّ فَكُنْتُ فِيهِ ضَيْلًا شَخْصَكَ، خَفِيًّا صَوْتُكَ، حَتَّى إِذَا نَعَرَ الْبَاطِلُ نَجَمَتْ نُجُومُ قَرْنِ الْمَاعِزِ.

أقول: البرج، بالباء المضمومة والجيم. وقبحه الله: نحاها عن الخير. والأثرم: ساقط الثنية. والضئيل: الصغير، الحقيق: الحيف. وضؤولة شخصه عند ظهور الحق: كناية عن حقارته في زمن العدل وقوة الاسلام، وخمول ذكره في الصحابة. وخفاء صوته: كناية عن قلة الالتفات اليه. ونعر: صاح، ونعور الباطل: كناية عن قوته وكثرته، ووجه التشبيه بنجوم قرن الماعز سرعة ظهوره.

١٨٦ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

روى أن صاحباً لأمير المؤمنين عليه السلام - يقال له: همام - كان رجلاً عابداً، فقال له: يا امير المؤمنين، صف لي المتقين حتى كأني أنظر إليهم! فتناقل عليه السلام عن جوابه، ثم قال:

يَا هَمَّامُ اتَّقِ اللَّهَ وَأَحْسِنْ (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ)^٣ فلم يقنع همام

١ - سورة البقرة / ٢٤. و سورة.التحریم / ٦. ٢ - سورة الشعراء / ٩٤-٩٥.

٣ - سورة النحل / ١٢٨.

بهذا القول حتى عزم عليه، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله،
ثم قال:

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلْقَ الْخَلْقِ - حِينَ خَلَقَهُمْ - غَنِيًّا عَنِ طَاعَتِهِمْ، آمِنًا
مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ؛ لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةٌ مِنْ عَصَاةٍ، وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةٌ مِنْ أَطَاعَةٍ، فَكَسَمَ بَيْنَهُمْ
مَعَايِشَهُمْ، وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ، فَأَلْمُتُّوْنَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ:
مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ، وَمَلْبَسُهُمُ الْإِفْتِصَادُ، وَمَشِيهُمُ التَّوَاضُعُ، غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ، نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَأَلَّتِي
نَزَلَتْ فِي الرَّخَاءِ، وَلَوْلَا الْأَجَلُ الَّذِي كُتِبَ عَلَيْهِمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرَفَةً
عَيْنٍ شَوْقًا إِلَى الثَّوَابِ، وَخَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ، عَظَمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي
أَعْيُنِهِمْ، فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدَرَأَهَا، فَهُمْ فِيهَا مُتَعَمُونَ، وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدَرَأَهَا، فَهُمْ فِيهَا
مُعَذَّبُونَ: قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ، وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ، وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ، وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ،
وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ، صَبَرُوا أَيَّامًا قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةٌ طَوِيلَةٌ. تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ يَسْرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ،
أَرَادَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا، وَأَسْرَبَتْهُمْ فَفَدَّوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا. أَمَّا اللَّيْلُ فَصَافُونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ
لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ: يُرْتَلُّونَهُ تَرْتِيلًا، يُحْرَجُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ، وَيَسْتَشِيرُونَ دَوَاءَ دَائِهِمْ، فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ
فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعًا، وَتَطَلَّعَتْ نَفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقًا، وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصِبُ أَعْيُنِهِمْ، وَإِذَا
مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ، وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهيقَهَا فِي أَصُولِ
آذَانِهِمْ، فَهُمْ حَانُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ، مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ وَأَكْفُهُمْ وَرُكْبِهِمْ وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ،
يَطْلُبُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ وَأَمَّا النَّهَارُ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ، أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ، قَدْ بَرَّاهُمْ
الْخَوْفُ بَرَى الْقِدَاحَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاطِرُ فَيَحْسِبُهُمْ مَرْضَى، وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ، وَيَقُولُ قَدْ
خُولِطُوا: وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ: لَا يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ، وَلَا يَسْتَكْبِرُونَ الْكَثِيرَ، فَهُمْ
لَأَنْفُسِهِمْ مُتَّهَمُونَ، وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ، إِذَا زَكَّى أَحَدُهُمْ، خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ! فَيَقُولُ:
أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي؛ وَرَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي. اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ،
وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ، وَاعْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ.

فَمِنْ عِلْمِهِمْ أَحَدِهِمْ: أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينِهِ، وَحَزْمًا فِي لِينِهِ، وَإِيمَانًا فِي يَقِينِهِ،
وَحِرْصًا فِي عِلْمِهِ، وَعِلْمًا فِي حِلْمِهِ، وَقَصْدًا فِي غِنْيِهِ، وَخُشُوعًا فِي عِبَادَتِهِ، وَتَجَمُّلاً فِي فَاقَتِهِ،

وَصَبْرًا فِي شِدَّةٍ، وَظَلْبًا فِي حَلَالٍ، وَنَشَاطًا فِي هُدًى، وَتَحَرُّجًا عَنِ طَمَعٍ، يَعْمَلُ الْأَعْمَالِ
الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ، يُنْسِي وَهَمَّهُ الشُّكْرُ، وَيُضْبِحُ وَهَمَّهُ الذِّكْرُ، يَبِيْتُ حَذِرًا، وَيُضْبِحُ
فَرِحًا، حَذِرًا لِمَا حَذَرَ مِنَ الْغَفْلَةِ، وَفَرِحًا بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ. إِنْ اسْتَضَعَبَتْ عَلَيْهِ
نَفْسُهُ فِيمَا تَكَرَّرَ لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ، قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لَا يَزُولُ، وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبْقَى،
يَتَمَرُّجُ الْجِلْمَ بِالْعِلْمِ، وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ، تَرَاهُ قَرِيبًا أَمَلُهُ، قَلِيلًا زَلَلُهُ، خَاشِعًا قَلْبُهُ، قَانِعَةً نَفْسُهُ،
مَتَزُورًا أَكْلُهُ، سَهْلًا أَمْرُهُ، حَرِيْرًا دِينُهُ، مَيْتَةً شَهْوَتُهُ، مَكْظُومًا غَيْظُهُ، الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُومٌ. وَالشَّرُّ
مِنْهُ مَأْمُومٌ، إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ، وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ
مِنَ الْغَافِلِينَ، يَغْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ، وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ، بَعِيدًا فُحْشُهُ، لَيْثًا قَوْلُهُ،
غَايِبًا مُنْكَرُهُ، حَاضِرًا مَعْرُوفُهُ، مُقْبِلًا خَيْرُهُ، مُدْبِرًا شَرُّهُ، فِي الزَّلَازِلِ وَقُورٍ، وَفِي الْمَكَارِهِ
صَبُورٍ، وَفِي الرِّخَاءِ شَكُورٍ، لَا يَجِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ، وَلَا يَأْتُمُ فِيمَنْ يُحِبُّ يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ
قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ، لَا يُضِيعُ مَا اسْتَحْفِظَ، وَلَا يَنْسَى مَا ذُكِّرَ، وَلَا يَتَابِرُ بِالْأَلْقَابِ، وَلَا يُضَارُّ
بِالْجَارِ، وَلَا يَشْمَتُ بِالْمَصَائِبِ، وَلَا يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ، وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ. إِنْ صَمَتَ لَمْ
يَعْمَهُ صَمْتُهُ، وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ، وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ
لَهُ. نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ. أَنْعَبَ نَفْسَهُ لِأَخْرِيهِ، وَأَرَاخَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ.
بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ، وَدُنُوهُ مِنْ دَنَائِمِهِ لِينٌ وَرَحْمَةٌ. لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكَبِيرٍ
وَعَظَمَةٍ، وَلَا دُنُوهُ بِمَكْرٍ وَخَدَعَةٍ.

قال: فصعق همام صعقة كانت نفسه فيها، فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ! ثُمَّ قَالَ: أَهَكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةَ بِأَهْلِهَا؟ فَقَالَ
لَهُ قَائِلٌ: فَمَا بِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ: وَيْحَكَ! إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتًا لَا يَعْدُوهُ، وَسَبَبًا
لَا يَتَجَاوِزُهُ، فَمَهْلًا لَا تَعْدُ لِمِثْلِهَا؛ فَإِنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِكَ!!

أقول: هو همام بن شريح كان من شيعة علي عليه السلام. والمتقون: هم الذين
استجمعوا الفضائل النفسانية المتعلقة بصلاح قوتى العلم، والعمل، وقد اشار عليه السلام
فيها الى نيف وسبعين، فضيلة عددناها في الأصل^١. والصواب فى القول: هو فضيلة

١ - الشرح الكبير ٣/ ٤١٤ - ٤٢٥.

اللسان، وهو: قول ما ينبغي دون ما لا ينبغي. واستعار لفظ الملبس: للاقتصاد في الأمور باعتبار ملازمتهم له. وقوله: نزلت، الى قوله: الرخاء: كما لا يبطر برخاء يصيبها كذلك لا يقنط من بلاء ينزل بها، والتقدير كالنزول الذي نزلته في الرخاء، ويحتمل ان يريد بالذي الذين. وتشبيهم بمن قدرأى الجنة أى: في قوة يقينهم بما وعد المتقون. وبمن قدرأى النار: في قوة يقينهم بوعيد أهلها، وذلك عن مشاهدتهم بأعين أبصارهم حقائق الوعد والوعيد، وبحسب ذلك يكون غلبة الخوف والرجاء عليهم، وتنعمهم باللذة وعذابهم بألم ما يتصورونه ويخافه أجسادهم: لهجرهم الترف والملاذ الذنوية، ونصبهم في العباداة. وتجارة: مصدر. ودائهم: هو الجهل. ودوائهم: ما اشتمل عليه القرآن من الأسرار والفضائل. وحتوهم على اوساطهم: كيفية ركوعهم. والقذح: السهم لاريش له، ووجه الشبه به شدة النحافة وقد يعرض لبعض العارفين اختلاط في القول، عند اتصال نفسه بالملا الأعلى، واشتغال سره بالأنوار الالهية فرتما يكلم بما يخرج عن المتعارف. والحزم في اللين: ان يكون لينه حزما وفي موضعه لاعن مهانة وذلة. والقصد في الغنى: فضيلة العدل فيه دون الاسراف والبخل، او دون تجاوز الحد في طلب الدنيا والوقوف في حد الحاجة، والمسئلة والوجل في العمل الصالح من ان يكون على غير الوجه المرضي لله، كما روى عن زين العابدين عليه السلام، انه كان في التلبية وهو على راحلته اذ حرم مغشياً عليه فلما أفاق قيل: له في ذلك، فقال: خشيت ان تقول: لا ليك ولا سعديك.

وسهولة امره: في كونه لا يتكلف ولا يكلف. وحرز دينه: حفظه من التساهل فيه. وقوله: ان كان من الغافلين: أى في نظر الناس كتب في الذاكرين عند الله لاشتغال سره به. والفحش: قول ما لا ينبغي. والزلازل: الفتن الكبار والامور العظام. وعدم ائمه فيمن يحب: ان لا يتبع الهوى في رضاه. والمنازرة: المراماة بالألقاب التي ينادى بها. ولا يغمته صمته: لكونه حكمة. ولا يعلو ضحكك: لغلبة ذكر الموت عليه. ونفسه منه في عناء اي: الامارة لمقاومته آياها وكسره لها. وباقي الفصل واضح.

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ، وَذَادَ عَنَّهُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، وَنَسَأَلُهُ لِمَسِيَّتِهِ تَمَامًا،
وَبِحَبْلِيهِ أَعْتَصَمْنَا، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ: خَاصَّ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ كُلَّ غَمْرَةٍ،
وَتَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصْبَةٍ، وَقَدْ تَلَوْنَ لَهُ الْأَذْنَونَ، وَتَأَلَّبَ عَلَيْهِ الْأَقْصُونَ، وَخَلَعَتْ إِلَيْهِ الْعَرَبُ
أَعْيُنَهَا وَضَرَبَتْ لِمُحَارَبَتِهِ بَطُونَ رَوَاحِلِهَا حَتَّى أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِهِ عُذْوَانُهَا: مِنْ أُبْعَدِ الدَّارِ
وَأَسْحَقِ الْمَزَارِ.

أَوْصِيكُمْ، عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأَحْذَرُكُمْ أَهْلَ التَّفَاقُ؛ فَإِنَّهُمْ الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ؛
وَالزَّالُّونَ الْمُزِلُّونَ: يَتَلَوُّونَ الْوَانَ، وَيَفْتَنُونَ أَفْتِنَانًا، وَيَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ، وَيَرْصُدُونَكُمْ
بِكُلِّ مِرْصَادٍ، قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ، وَصِفَاحُهُمْ نَقِيَّةٌ، وَيَمْشُونَ الْخَفَاءَ، وَيَدْبُونَ الضَّرَاءَ. وَصُنْفُهُمْ
دَوَاءٌ، وَقَوْلُهُمْ شِفَاءٌ، وَفَعْلُهُمُ الدَّاءُ الْعِيَاءُ، حَسَدَةُ الرَّخَاءِ، وَمُوكَدُّو الْبَلَاءِ؛ وَمُتَنِطُّو
الرَّجَاءِ، لَهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ صَرِيْعٌ، وَإِلَى كُلِّ قَلْبٍ شَفِيْعٌ؛ وَلِكُلِّ شَجْوِذٍ مُوعٌ، يَتَقَارِضُونَ
الشَّتَاءَ، وَيَتَرَاقِبُونَ الْجَزَاءَ: إِنْ سَأَلُوا الْحَفْوَا، وَإِنْ عَدَلُوا كَشَفُوا، وَإِنْ حَكَمُوا أَسْرَفُوا. قَدْ
أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلًا، وَلِكُلِّ قَائِمٍ مَائِلًا، وَلِكُلِّ حَيٍّ قَاتِلًا، وَلِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحًا، وَلِكُلِّ لَيْلٍ
مِصْبَاحًا: يَتَوَصَّلُونَ إِلَى الظَّمْعِ بِالْيَأْسِ لِيُقِيمُوا بِهِ أَسْوَاقَهُمْ، وَيُنْفِقُوا بِهِ أَعْلَاقَهُمْ: يَقُولُونَ
فَيْشَبَّهُونَ، وَيَصِفُونَ فَيَوْهَمُونَ، قَدْ هَوَّنُوا الطَّرِيقَ، وَأَضْلَعُوا الْمَضِيقَ؛ فَهُمْ لَمَّةُ الشَّيْطَانِ،
وَحَمَّةُ النَّيْرَانِ (أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ)!

اقول: زاد: طرد. وذوده تعالى عن المعصية: بالنواهي. واستعار لفظ حبله لدينه
العاصم: لمن تمسك به. وغمرة الشيء: معظمه، و اراد كل عظيم من الشدائد. وتلون
الاذنين: تغير قلوبهم ونفاقهم. والتألب: التجمع. و خلع العرب اعنتها اليه: كناية عن
تجردهم مسرعين الى حربته. و كذلك: ضربها الى محاربتة بطون رواحلها. والسحيق:
البعيد. ويعمدونكم: يقصدونكم بالأمور الفادحة. ودوية: ذات داء كالغل والحسد

والخدعة ونحوها. وذلك مع نفاء صفاحهم اى: وجوههم، و سلامتها من شرّ ظاهر: كناية عن النفاق. و وصفهم دواء اى: يقولون اقوال الزاهدين فى وصف سبيل الله و يفعلون أفعال المنافقين الفاسقين. و يقنطوا الرجاء اى: من رجا أمراً قنطوه منه. والطريق: كناية عن الحيلة اوالمقصد، اى: كيف توجهوا حصل منهم أذى. و الى كل قلب شفيح اى: من الأقوال والافعال المشبهة للحق. و دموعهم لكل شجوا: كناية عن توجّعهم لكل ذى شجوا وان كان عدوا نفاقا. و تقارضهم للثناء؛ ثناء كلّ منهم على صاحبه مع توقّعه أن يثنى عليه بمثله. والالحاف: اللحاح فى السؤال. و ان عدلوا كشفوا عيوب من يعدلونه وهم فى زيّ الناصحين. و استعار لفظ المفتاح: للحيلة ولفظ الليل: لما اظلم من الأمور، و لفظ المصباح: للرأى الذى يدخلون به فى كل مشكل. و توصلهم الى الغمع باليأس اى: عما فى أيدي الناس بإظهار الزهد فيه. والعلق: النفيس من كلّ شىء، و هو مستعار: لما يلتمسون ترووجه على الناس من امورهم. والتمويه: التشبيه. و هوّوا الطريق اى: مسلك مقاصدهم من الآراء والحيل. و اضلعوا المضيق اى: اعوجوا مضائق طرقهم، و مضايقتها: دقائق المداخل فى الأمور. و اراد بتعويجها: أنهم اذا ارادوا مثلاً امراً اظهروا غيره نعمته على الغيرخلافه. ولمة الشيطان: جماعته. و حمة النيران: مستعار لعظيم شرورهم.

١٨٨ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يَعْلَمُ عَجِيجَ الْوُحُوشِ فِي الْفَلَوَاتِ، وَمَعَاصِيَ الْعِبَادِ فِي الْخَلَوَاتِ، وَآخْتِلَافَ النَّيْتَانِ فِي الْبِحَارِ الْغَامِرَاتِ، وَتَلَاظِمَ الْمَاءِ بِالرِّيَاحِ الْعَاصِفَاتِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا نَجِيبُ اللَّهِ، وَسَفِيرُ وَحْيِهِ، وَرَسُولُ رَحْمَتِهِ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَأَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي أَبْتَدَأَ خَلْقَكُمْ، وَإِلَيْهِ يَكُونُ مَعَادُكُمْ، وَبِهِ نَجَاحُ طَلْبَتِكُمْ، وَإِلَيْهِ مُنْتَهَى رَغْبَتِكُمْ، وَنَحْوَهُ قَصْدُ سَبِيلِكُمْ، وَإِلَيْهِ مَرَامِي مَفْرَعَتِكُمْ، فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ دَوَاءُ دَاءِ قُلُوبِكُمْ، وَبَصْرُ عَمَى أَفْئِدَتِكُمْ، وَشِفَاءُ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ، وَصَلَاحُ فَسَادِ صُدُورِكُمْ، وَظُهُورُ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ، وَجِلَاءُ غِشَاءِ أَبْصَارِكُمْ، وَأَمْنٌ فَرَجَ جَأَشِكُمْ، وَضِيَاءُ سَوَادِ ظُلْمَتِكُمْ، فَأَجْعَلُوا طَاعَةَ اللَّهِ شِعَارًا دُونَ دِثَارِكُمْ، وَدَخِيلًا دُونَ شِعَارِكُمْ، وَلَطِيفًا بَيْنَ

أَضْلَاعِكُمْ، وَأَمِيرًا فَوْقَ أُمُورِكُمْ، وَمَنْهَلًا لِحِينِ وُرُودِكُمْ، وَشَفِيعًا لِدَرْكِ طَلْبَتِكُمْ، وَجَنَّةَ لَيَوْمِ
 فَرَعِكُمْ، وَمَصَابِيحَ لِبُطُونِ قُبُورِكُمْ، وَسَكَنًا لِبَطُولِ وَخَشْيَتِكُمْ، وَنَفْسًا لِكُرْبِ مَوَاطِنِكُمْ؛ فَإِنَّ
 طَاعَةَ اللَّهِ حِرْزٌ مِنْ مَتَالِفِ مُكْتَنِفَةٍ، وَمَخَافٌ مُتَوَقَّعَةٍ، وَأَوَارِيزَانِ مُوقَدَةٍ. فَمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَى
 عَزَبَتْ عَنْهُ الشَّدَائِدُ بَعْدَ دُنُوقِهَا، وَاحْلَوْلَتْ لَهُ الْأُمُورُ بَعْدَ مَرَارَتِهَا، وَأَنْفَرَجَتْ عَنْهُ الْأَمْوَاجُ بَعْدَ
 تَرَائِكِمِهَا، وَأُسْهَلَتْ لَهُ الصَّعَابُ بَعْدَ انْصَابِهَا، وَهَطَلَتْ عَلَيْهِ الْكِرَامَةُ بَعْدَ فُحُوطِهَا، وَتَحَدَّبَتْ
 عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ بَعْدَ نَفُورِهَا، وَتَفَجَّرَتْ عَلَيْهِ النِّعَمُ بَعْدَ نُضُوبِهَا، وَوَبَلَّتْ عَلَيْهِ الْبَرَكَاتُ بَعْدَ إِزْدَادِهَا.
 فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي نَفَعَكُمْ بِمَوْعِظَتِهِ، وَوَعَّظَكُمْ بِرِسَالَتِهِ، وَأَمَّنَّ عَلَيْكُمْ بِنِعْمَتِهِ، فَعَبَّدُوا
 أَنْفُسَكُمْ لِعِبَادَتِهِ، وَأَخْرَجُوا إِلَيْهِ مِنْ حَقِّ طَاعَتِهِ.

ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْإِسْلَامَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي أَضْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، وَأَضْطَنَعَهُ عَلَى عَيْنِهِ، وَأَصْفَاهُ خَيْرَةَ
 خَلْقِهِ، وَأَقَامَ دَعَائِمَهُ عَلَى مَحَبَّتِهِ، أَدَلَّ الْأَذْيَانَ بِعِزَّتِهِ، وَوَضَعَ الْمِلَلَ بِرَفْعِهِ، وَأَهَانَ أَعْدَاءَهُ
 بِكَرَامَتِهِ، وَخَذَلَ مُحَادِّثِهِ بِنُصْرِهِ، وَهَدَمَ أَرْكَانَ الضَّلَالَةِ بِرُكْنِهِ، وَسَقَى مَنْ عَطِشَ مِنْ حَيَاتِهِ،
 وَأَتَقَى الْحِيَاضَ لِمَوَاتِحِهِ، ثُمَّ جَعَلَهُ لَا انْفِصَامَ لِعُرْوَتِهِ، وَلَا فَكَّ لِحَلْقَتِهِ، وَلَا انْتِهَادًا لِأَسَاسِهِ،
 وَلَا زَوَالَ لِدَعَائِمِهِ، وَلَا انْقِلَاعَ لِشَجَرَتِهِ، وَلَا انْقِطَاعَ لِمُدَّتِهِ، وَلَا عَفَاءَ لِشَرَائِعِهِ، وَلَا جَدَّ
 لِفُرُوعِهِ، وَلَا ضَنْكَ لِبَطْنِهِ، وَلَا وُجُوهَ لِسُهُولَتِهِ، وَلَا سَوَادَ لِبُوضِحِهِ، وَلَا عِوَجَ لِانْتِصَابِهِ،
 وَلَا عَصَلَ فِي عُودِهِ، وَلَا وَعَثَ لِفَجِّهِ، وَلَا انْقِطَاعَ لِمَصَابِيحِهِ، وَلَا مَرَارَةَ لِحِلَاوَتِهِ. فَهُوَ دَعَائِمٌ
 أَسَاحَ فِي الْحَقِّ اسْتِخَاحَهَا، وَثَبَّتَ لَهَا أُسُسَهَا، وَيَنَابِيعُ غَزَرَتْ عُيُونُهَا، وَمَصَابِيحُ شَبَّتْ
 نِيرَانُهَا، وَمَتَارٌ أَقْتَدَى بِهَا سُفَارُهَا، وَأَعْلَامٌ فُصِدَ بِهَا فِجَاجُهَا، وَمَتَاهِلٌ رَوَى بِهَا وُرَادُهَا:
 جَعَلَ اللَّهُ فِيهِ مُنْتَهَى رِضْوَانِهِ، وَذِرْوَةَ دَعَائِمِهِ، وَسَتَامَ طَاعَتِهِ؛ فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ وَثِيقُ الْأَرْكَانِ،
 رَفِيعُ الْبُيُوتَانِ، مُنِيرُ الْبُرْهَانِ، مُضِيُّ الشِّرَازِ، عَزِيزُ السُّلْطَانِ، مُشْرِفُ الْمَنَارِ، مُعَوِزُ الْمَتَارِ؛
 فَشَرَفُوهُ، وَاتَّبَعُوهُ، وَأَدُّوا إِلَيْهِ حَقَّهُ، وَضَعُوهُ مَوَاضِعَهُ.

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بِالْحَقِّ حِينَ دَنَا مِنَ الدُّنْيَا
 الْإِنْقِطَاعُ، وَأَقْبَلَ مِنَ الْآخِرَةِ الْإِطْلَاقُ: وَأَظْلَمَتْ بَهْجَتُهَا بَعْدَ إِشْرَاقِ، وَقَامَتْ بِأَهْلِهَا عَلَى
 سَاقٍ، وَخَشِنَ مِنْهَا مِهَادٌ، وَأَزِفَ مِنْهَا قِيَادٌ، فِي انْقِطَاعٍ مِنْ مُدَّتِهَا، وَاقْتِرَابٍ مِنْ أَشْرَاطِهَا،
 وَتَصَرُّمٍ مِنْ أَهْلِهَا، وَانْفِصَامٍ مِنْ حَلْقَتِهَا، وَانْتِشَارٍ مِنْ سَبَبِهَا، وَعَفَاءٍ مِنْ أَعْلَامِهَا، وَتَكَشُّفٍ
 مِنْ عَوْرَاتِهَا، وَقَصْرٍ مِنْ طُولِهَا. جَعَلَهُ اللَّهُ بِلَاغًا لِرِسَالَتِهِ، وَكَرَامَةً لِأُمَّتِهِ، وَرَبِيعًا لِأَهْلِ زَمَانِهِ،

للجهل، ولفظ الشعار: وهو ما يلي الجسد من الثياب: للتقوى وهو امر بلزومها، ومباشرة القلوب بها، اذ الشعار ادخل من الدثار. ثم اكد امرهم بلزومها باتخاذها دخيلا تحت الشعار وهو: الأمر بالاخلاص فيها، وجعلها ملكة، وفسر ذلك بقوله: ولطيفا بين اضلاعكم، و كنى بلفظها: عن تصوّرها واعتقادها. وبكونها بين اضلاعهم: عن ايداعها القلوب. واستعار لفظ الأمر: لها باعتبار وجوب الزامها والائتمار لها. و لفظ المنهل وهو: المورد باعتبار أنها: مظنة التروى من شراب الأبرار. و لفظ المصباح: لأضاءتها القلوب. والمتالف المكتنفة: وهي الرذائل، تكتنف النفس فتوبقها. والمخاوف المتوقعة: أهوال الآخرة. واوار النيران: حرّها. وعزبت: غابت، ومرارة الأذى، اللازم عنها كما يلزم عن الفقر ونحوه. ولما كان ذلك شعار المتقين، كان أحلى في نفوسهم من كل شعار، و ان كان مرّا في اذواقهم في اول الامر. واستعار لفظ الأمواج: لأهوال الدنيا وغمومها.

ولما كانت التقوى تستلزم سهولة تلك الشدائد كان ذلك تفرّجاً لها، ويحتمل ان يريد بالأمواج: الهيئات البدنية الرديئة، اذ بالتقوى تزول وتنفرج. و سهولة صعاب امور الدنيا على المتقين اشرف ما هم بصدده من المطالب الجليلة. وانصابها: اتعابها، والكرامات: تعود الى الافاضات العالية الهائلة على نفوسهم، ويحتمل ان يريد: الغيث عند القحط، فان نفوس المتقين تستنزله بدعائها. والتحدّب: التعطب. وعبّدوا: ذلّلوا. واصطنعه على عينه اى: على علم منه وعناية به. واصفاه خيرة خلقه: اخلصه له. ودعائم الدين: قواعده الثابتة فى قلوب المؤمنين. و اقامتها على محبته: فى قوله تعالى: (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) ^١ فكان اتباعه عليه السلام و اقامته لتلك الدعائم به مبنياً على محبة الله. ويحتمل عود الضمير الى النبى صلى الله عليه وآله اذ لولا محبته، ولزوم اتباعه لم يقيم الدين. و محادّوه: معادّوه، واستعار لفظ اركان الضلالة: لأهلها. و وصف السقى: لافاضة علوم الدين، و لفظ الحياض: لعلماء الاسلام الذين هم اوعية العلوم والحكمة: و لفظ المواتح: وهم المستقون لائمة الدين ايضا من الصحابة. و لفظ الحياض: للمستفيدين. و اتأق: املأ. و لفظ العروة: لما يتمسك به الانسان منه كالعقائد الحقّة ومكارم الاخلاق. و لفظ الحلقة: لجماعته وأهله. و لفظ الأساس: للكتاب والسنة. و

١ - سورة آل عمران / ٣١.

لفظ الدعائم: لاهله ولقوانينه. و لفظ الشجرة: لأصله. و وصف الجذّ لانتقطاع المسائل
والابحاث المتفرّعة عليه وتناهيها. والظنك: الضيق. والوعوثة: الصعوبة. و لفظ الوضع:
وهو الضوء لأنواره القائدة الى الله. و لفظ السواد: لما يكدرها من الشبه. و لفظ المصاييح:
لعلمائه. و لفظ الدعائم: لقواعده وهى: العبادات لقوله صلى الله عليه وآله: (بنى
الاسلام على خمس). والاسناخ: الاصول. واماخها: اثبتها و ادخلها فى الحق، وهو
اشارة الى كون العبادات مبنية على اسرار من الحق عميقة. و لفظ الينابيع: لأصوله وهى
الكتاب و السنة، باعتبار تفجر العلوم عنهما: و لفظ العيون: لمبادئ تلك الينابيع حيث
صدرت. و شبت النار: الهبت. و لفظ المنار والأعلام: لأمارات احكام الله و ادلته. و لفظ
المسافرين: لسالكى سبيل الله. والضمير فى دعائمه: لله. و دعائمه: دعائم دينه و قواعده
التي جعلها عمدة لخلقه فى صلاح أحوالهم. و لفظ الذروة: للاسلام باعتبار شرفه على
سائر الاديان فهو كالذروة لها. و لفظ البيان: لما ارتقى اليه اهله من الشرف والفضيلة.
و لفظ البرهان: للقرآن. و لفظ النيران: لعلومه. و اشرف مناره: علو قدرائمه.
و معوذ المنار اى: يعجز الخلق عن اثاره دفائنه. و روى المنال والمثال. و ازف:
دنا. والقياد: جبل يقاد به الدابة اى: دنا منها قيادها للرحيل. و استعار لفظ السبب و هو
الجبل: لما احكم من امورها. والضمير فى جعله: للنبي عليه السلام، و نورًا و المنصوبات
بعده: احوال^١ للكتاب. و بحبوحته: وسطه. والغيطان: الامكنة المطمئنة من الأرض جمع
غائط. و استعار لفظ المنزل: لمقاصد الكتاب باعتبار وقوف الأذهان عندها بعد قصدتها.
و لفظ الاعلام: لادلته. والمعقل: الجبل يعتصم به. و عذرا لمن انتحله اى: لمن نسب
نفسه الى حملة وانه من أهله معتذرًا من تكليف شاق. والفالج: الفوز والظفر. و حملة لمن
حملة: قيامه بصلاح حاله فى الدارين. و استعار له لفظ المطية: لادائه بصاحبه فى
سبيل الله الى الجنة. والمتوسم: المتدبر لآياته و عبره كقوله تعالى: (ان فى ذلك لآياتٍ
للمتوسمين)^٢ والمستلثم: الذى يتخذ لامة. و اللامة: الدرع. و حديثا لمن روى: باعتبار
ما فيه من قصص الاولين او قولاً و كلاماً لمن نقله كما قال الله تعالى: (الله الذى نزل

١ - فى ش: بعده الكتاب.

٢ - سورة الحجر / ٧٥.

احسن الحديث)١. و فائدة وصفه بذلك ان فيه غنية لمن اراد ان يتحدث بحديث غيره مما لا يفيد فائدته. و حكما اى: فيه الحكم لمن قضى، و روى: حكما اى حاكما.

١٨٩ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كان يوصى به أصحابه

تَعَاهَدُوا أَمْرَ الصَّلَاةِ، وَحَافِظُوا عَلَيْهَا، وَاسْتَكْثِرُوا مِنْهَا، وَتَقَرَّبُوا بِهَا؛ فَإِنَّهَا كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْفُوتًا، أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَى جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ حِينَ سُئِلُوا: (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ؟) قَالُوا: لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ. ٢ وَأَنَّهَا لَتَحُتُّ الذُّنُوبَ حَتَّى الْوَرَقِ، وَتُطْلِقُهَا إِطْلَاقَ الرَّبْقِ، وَشَبَّهَهَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بِالْحَمَّةِ تَكُونُ عَلَى بَابِ الرَّجُلِ فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي السَّيِّمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ، فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ؟! وَقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رَجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَا تَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ، وَلَا قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ وَلَا مَالٍ. يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: (رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ). ٣ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَصِيحًا بِالصَّلَاةِ بَعْدَ التَّبَشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا) فَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ، وَيُضْبِرُ عَلَيْهَا نَفْسَهُ.

ثُمَّ إِنَّ الزَّكَاةَ جُعِلَتْ مَعَ الصَّلَاةِ قُرْبَانًا لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَمَنْ أَعْطَاهَا، طَيَّبَ النَّفْسَ بِهَا، فَإِنَّهَا تُجَعَلُ لَهُ كَفَّارَةً، وَمِنَ النَّارِ حِجَازًا وَوَقَايَةً. فَلَا يُشْبِعُهَا أَحَدٌ نَفْسَهُ، وَلَا يُكْثِرَنَّ عَلَيْهَا لَهْفَهُ؛ فَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهَا غَيْرَ طَيَّبِ النَّفْسَ بِهَا يَرْجُو بِهَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسُّنَّةِ، مَغْبُونٌ الْأَجْرِ، ضَالٌّ الْعَمَلِ، طَوِيلُ النَّدَمِ.

ثُمَّ آدَاءَ الْأَمَانَةِ؛ فَقَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا، إِنَّهَا عُرِضَتْ عَلَى السَّمَوَاتِ الْمَبِينِيَّةِ، وَالْأَرْضِينَ الْمَدْحُورَةِ، وَالْجِبَالِ ذَاتِ الطُّوْلِ الْمَنْصُوبَةِ فَلَا أَطْوَلَ وَلَا أَعْرَضَ وَلَا أَعْلَى وَلَا أَعْظَمَ مِنْهَا، وَلَوْ أَمْتَنَعَ شَيْءٌ بِطُولٍ أَوْ عَرْضٍ أَوْ قُوَّةٍ أَوْ عِزٍّ لَأَمْتَنَعَ، وَلَكِنْ أَشْفَقَ مِنَ الْعُقُوبَةِ، وَعَقَلَنَ مَا جَهِلَ مَنْ هُوَ أضعَفُ مِنْهُنَّ وَهُوَ الْإِنْسَانُ (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)

إِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا الْعِبَادُ مُقْتَرِفُونَ فِي لَيْلِهِمْ، وَنَهَارِهِمْ، لَطَفَ

٣ - سورة النور/٣٧.

٢ - سورة المدثر/٤٢.

١ - سورة الزمر / ٢٣.

بِهِ خُبْرًا، وَأَحَاطَ بِهِ عِلْمًا، أَغْضَاؤُكُمْ شُهُودُهُ، وَجَوَارِحُكُمْ جُنُودُهُ، وَضَمَائِرُكُمْ عُيُونُهُ،
وَخَلَوَاتُكُمْ عِيَانُهُ.

اقول: حاصل الفصل الوصية بالمحافظة على امور ثلاثة: وهى: الصلاة والزكاة
والامانة، والتنبيه على فضائلها، ووجوب ادائها. وموقوتا: مفروضا وقيل: منجما فى كل
وقت وهى: الصلوات الخمس. وقوله: الا تسمعون، الى قوله: نفسه: دلائل وجوبها وهى
ضمائر ذكره صغرياتها. والربق: جمع ربقة وهى: الحلقة فى الحبل. والحممة: مجمع
الماء وذلك التشبيه فى قوله صلى الله عليه وآله لأصحابه (أيسر أحدكم أن يكون على
بابه حممة يغتسل منها كل يوم وليلة خمس مرات فلا يبقى من درنه شئ). فقالوا: نعم،
قال: فانها الصلوات الخمس! ونصبًا: اى تعبًا، وانما كان مُعطى الزكاة غير طيب
النفس بها ضالَّ العمل اذ لم يقصد بها وجهها. ولا اهتدى الى غاية وضعها فى السنة.
والاقتراف: الاكتساب. وقد نبهنا على اسرار العبادات فيما سبق. وباقى الفصل ظاهر.

١٩٠- وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَاللَّهُ مَا مُعَاوِيَةَ بِأَذْهِى مِثِّى، وَلِكَيْتَهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ، وَلَوْلَا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ
أَذْهِى النَّاسِ، وَلَكِنْ كُلُّ غَدْرَةٍ فَجْرَةٌ، وَلِكُلِّ فَجْرَةٍ كَفْرَةٌ، وَلِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ، وَاللَّهُ مَا اسْتَعْفَلُ بِالْمَكِيدَةِ، وَلَا اسْتَعْمَزُ بِالشَّدِيدَةِ.

اقول: الدهاء: استعمال العقل فيما لا ينبغى شرعًا مع اظهار ارادة ما ينبغى،
وصاحبه داه وخبث ومكار وحيول. وهو: رذيلة تحت الجريزة. ولما كان الوفاء فضيلة
تحت العفة، كان الغدر رذيلة تحت الفجور، الذى هو رذيلة العفة ومستلزمها له، فكل غدر
فجور، واما ان يكون كل فجور كفر، فيحمل ان يريد كفرًا لنعمة الله، ويحتمل ان يريد:
ان الفجور على وجه استحلاله كفر كما فهم من فجور عمرو بن العاص. وقوله: ولكل

١- منهاج البراعة ٢/٣٠٥. شرح ابن ابى الحديد ١٠/٢٠٢.

غادر، الى قوله: القيامة: لفظ الخبر النبوي. ولا استغمر، بالزاء المعجمة اي: لا يطلب غمزي، اي اضعافى وتعجيزى. وروى: بالراء اي: لا استجهل بشدائد المكائد.

١٩١ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

أَيُّهَا النَّاسُ؛ لَا تَسْتَوْجِسُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَى لِقَلَّةِ أَهْلِهِ، فَإِنَّ النَّاسَ قَدِ اجْتَمَعُوا عَلَيَّ مَائِدَةً، شَبَعَهَا قَصِيرٌ، وَجُوعُهَا طَوِيلٌ!!
أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرَّضَا وَالسُّخْطَ، وَإِنَّمَا عَقْرَنَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهْمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ لَمَّا عَمَّوهُ بِالرِّضَا، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: (فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ) فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ خَارَتْ أَرْضُهُمْ بِالْخُسْفَةِ، خُوَارَ السَّكَّةِ الْمُخَمَّامَةِ فِي الْأَرْضِ الْخَوَّارَةِ. أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ وَرَدَّ الْمَاءَ، وَمَنْ خَالَفَ وَقَعَ فِي النَّيِّهِ.

اقول: حاصل الفصل ترغيب اصحابه في البقاء على سلوك طريق الهدى، وعدم التوخش فيه لقلته سالكيه، اذ من العادة ان يستوحش الوحيد في الطريق، لعدم الأتيس او لقلته. واستعار لفظ المائدة: للدنيا وكنى عن قصر مدتها: بقصر شعبها. وعن استعقاب الانهماك فيها للعذاب الطويل في الآخرة: بطول جوعها، ولفظ الجوع: مستعار للحاجة الطويلة بعد الموت الى المطاعم الحقيقية من الكمالات النفسية، ويحتمل ان يريد بالجوع: فقد الملهذات البدنية بالموت. وقوله: ايها الناس، الى قوله: السخط، اي: انما يجمع الناس في عذاب الله رضاهم بالمنكرات، ومعاصي الله وسخطهم لمحابه من الاعمال، وان لم يباشراكثرهم ذلك، او ان سخطهم للمنكرات يكون جامعا لهم في رحمة الله. ومصداق العذاب للرضا بالمنكر قصة ثمود في عموم العذاب لهم بفعل عاقر الناقة فان العقوبة عمتهم لعموم الرضا لهم بفعله. والضمير في عموه: يعود الى الرجل او الى العقر الذي دل عليه قوله: عقر. وقوله: فما كان، الى آخره: تفسير للعذاب النازل. وخارت: صوتت. والسكة: حديدة الفدان. والخوارة: الضعيفة. واستعار لفظ الماء: للعلم

والهدى الحاصل لسالكى سبيل الله الواضحة. والته: تيه الجهل وعمى البصيرة. وقصة
خسفهم مشهورة نبتنا عليها فى الاصل. وبالله التوفيق.

١٩٢ - وَمِنْ كَلَامِ لَهٗ عَلَيْهِ السَّلَامُ

روى عنه أنه قاله عند دفن سيدة النساء فاطمة عليها السلام كالمناجى به رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم عند قبره.

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنِّي وَعَنْ أُمَّتِكَ النَّازِلَةِ فِي جَوَارِكَ ، وَالسَّرِيعَةِ اللَّحَاقِ
بِكَ ، قَلَّ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي ، وَرَقَّ عَنِّيهَا تَجَلُّدِي ، إِلَّا أَنْ لِي فِي التَّائِسِي
بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ ، وَفَادِحِ مُصِيبَتِكَ ؛ مَوْضِعَ تَعَزُّي ، فَلَقَدْ وَسَدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ ، وَفَاضَتْ
بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ ، إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، فَلَقَدْ اسْتُرْجِعْتِ الْوَدِيعَةَ ، وَأَخَذْتِ
الرَّهْيَنَةَ ، أَمَا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ ، وَأَمَا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ ، إِلَى أَنْ يَخْتَارَ اللَّهُ لِي ذَارَكَ الَّتِي أَنْتَ بِهَا
مُقِيمٌ ، وَاسْتَنْبَكِ أُمَّتُكَ بِتَضَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَيَّ هَضْمَهَا ، فَأَخْفِيهَا السُّؤَالَ ، وَاسْتُخْبِرَهَا الْحَالَ ،
هَذَا وَلَمْ يَظَلِ الْعَهْدُ ، وَلَمْ يَخُلْ مِنْكَ الذِّكْرُ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ سَلَامٌ مُودَعٌ لَأَقَالَ وَلَا سَمِيمٌ ،
فَإِنْ أَنْصَرِفْتَ فَلَا عَنْ مَلَالَةٍ ، وَإِنْ أَقِمْتَ فَلَا عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ الصَّابِرِينَ .

اقول المروى: أنها بقيت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وعلينا، اربعة اشهر
وذلك معنى سرعة لحاقها به. وصفيته: باعتبار انه كان يكثر اكرامها. والفادح: الثقيل. و
نفسه التى فاضت: دم قاءة- صلى الله عليه- حين وفاته. واستعار لفظ الوديعة والرهينة: لها
باعتبار ان النساء ودائع الكرام، اولنفسها الشريفة باعتبار ان النفوس فى هذه الأبدان كالودائع
فى استرجاعها، وكالمرهونة على الوفاء بعهد الله وميثاقه. والمسهد: المؤرق. والاحفاء: الاستقصاء
فى السؤال وهو: كالمشتكى ممن يعتقد انه ظلمها. والذكر: ذكر الرسول صلى الله عليه وآله.

١ - ذكر العلامة المجلسي في كتابه (بحار الانوار) ٤٣ / ٢١٣ روايات مختلفة في مدة مكوثها سلام الله عليها
بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: اختلفت الروايات في وقت وفاتها ففى رواية أنها بقيت بعد
رسول الله (ص) شهرين. وفي رواية ثلاثة اشهر. وفي رواية مائة يوم. وفي رواية ثمانية اشهر.

١٩٣ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارُ مَجَازٍ، وَالْآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ، فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ، وَلَا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ، وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ، فَفِيهَا أُخْتَبِرْتُمْ، وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ، إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ: مَا تَرَكَ؟ وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: مَا قَدَّمْ؟ لِلَّهِ آبَاؤُكُمْ! فَتَقَدَّمُوا بَعْضًا يَكُنْ لَكُمْ، وَلَا تُخَلَّفُوا كُلًّا فَيَكُونَ عَلَيْكُمْ.

أقول: هتك أستارهم عند الله: بمجاهرتهم المعصية. وإخراجهم قلوبهم من الدنيا: إعراضهم بقلوبهم عنها، والزهد الحقيقي فيها. وفي قوله: ما ترك وما قدم: لطف تنبيه على أن متاع الدنيا مفارق متروك ليقبل الرغبة فيه، وأن الأعمال الصالحة مقدمة للمرء في قدومه على الله، باقية نافعة له في معاده. قيل: إنما امر بتقديم البعض دون الكل لأن حرمان الورثة لا يجوز، وإنما نهى عن ترك الكل، لأن إهمال الزكاة والصدقة لا يجوز. وروى: يكن لكم قرضاً، ويكون عليكم كلاً، أي لا منفعة فيه مع وجود مضرته. وبالله التوفيق.

١٩٤ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

كان كثيراً ما ينادى به أصحابه

تَجَهَّزُوا، رَحِمَكُمُ اللَّهُ، فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ، وَأَقْلُوا الْعُرْجَةَ عَلَى الدُّنْيَا، وَانْقَلِبُوا بِصَالِحِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ؛ فَإِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كَوُودًا، وَمَنَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً، لَا بُدَّ مِنَ الْوُرُودِ عَلَيْهَا، وَالْوُقُوفِ عِنْدَهَا. وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَلَاحِظَ الْمَنِيَّةِ نَحْوَكُمْ دَانِيَةٌ، وَكَأَنَّكُمْ بِمَخَالِبِهَا وَقَدْ نَشِبَتْ فِيكُمْ، وَقَدْ دَهَمَتْكُمْ فِيهَا مُفْطِعَاتُ الْأُمُورِ، وَمُعْضِلَاتُ الْمَحْدُورِ، فَفَقَطُّوا عِلَاقَ الدُّنْيَا، وَاسْتَظْهِرُوا بِزَادِ التَّقْوَى.

وقد مضى شيء من هذا الكلام فيما تقدم، بخلاف هذه الرواية.

اقول: اراد بالتجهز: الاستعداد للآخرة بالأعمال الصالحة. والمنادى: لسان حال الانسان. والعرجة والتعريح: الإقامة بالمكان. وصالح الزاد: التقوى. واستعار لفظ العقبة: للموت. والكؤود: شاقة المصعد. والمنازل المخوفة: منازل البرزخ والقيامة. والملاحظ: مصدر او محل اللحظ، وهو: النظر بمؤخر العين، واستعار لفظه: لكونها لهم بالرصد، فكانها دائمة النظر اليهم. ودائبة: مجدة. ودهمه كذا: وقع عليه بغتة. ومفطعات الأمور: شدائدها: ومعضلات المحذور: ما ثقل منه فأمال.

١٩٥ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كلم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة وقد عتبا [عليه] من ترك مشورتهم، والاستعانة في الأمور بهما

لَقَدْ نَقَمْتُمَا يَسِيرًا، وَأَرْجَأْتُمَا كَثِيرًا، أَلَا تُخْبِرَانِي أَيُّ شَيْءٍ لَكُمْ فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُمَا عَنْهُ؟ وَ أَيْ قِسْمٍ اسْتَأْثَرْتُمْ عَلَيْنِكُمَا بِهِ؟ أَمْ أَيُّ حَقٍّ رَفَعْتُمَا إِلَيَّ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ضَعُفَتْ عَنْهُ أَمْ جَهَلْتُمَا أَمْ أَخْطَأْتُ بَابَهُ؟

مرزوقية تكوير علوم رسول

وَاللَّهِ مَا كَانَتْ لِي فِي الْخِلَافَةِ رَغْبَةٌ، وَلَا فِي الْوِلَايَةِ إِزْبَةٌ، وَلَكِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِي إِلَيْهَا، وَحَمَلْتُمُونِي عَلَيْهَا، فَلَمَّا أَفْضَتْ إِلَيَّ نَظَرْتُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَمَا وَضَعَ لَنَا، وَأَمَرْنَا بِالْحُكْمِ بِهِ؛ فَاتَّبَعْتُهُ، وَمَا اسْتَسَنَّ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَاقْتَدَيْتُهُ. فَلَمْ أُحْتَجَّ فِي ذَلِكَ إِلَيَّ رَأْيِكُمَا، وَلَا رَأْيَ غَيْرِكُمَا، وَلَا وَقَعَ حُكْمٌ جَهْلَةٌ، فَاسْتَشِيرَكُمَا وَإِخْوَانِي الْمُسْلِمِينَ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ أَرْغَبْ عَنْكُمَا، وَلَا عَنْ غَيْرِكُمَا. وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الْأُسُوءَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكَمْ أَنَا فِيهِ بِرَأْيِي، وَلَا وُلِّيْتُهُ هُوَ مِثِّي، بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وَأَنْتُمَا مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قَدْ فَرَّغَ مِنْهُ فَلَمْ أُحْتَجَّ إِلَيْكُمَا فِيمَا قَدْ فَرَّغَ اللَّهُ مِنْ قَسْمِهِ وَ أَمْضَى فِيهِ حُكْمَهُ، فَلَيْسَ لَكُمْ، وَاللَّهِ، عِنْدِي وَلَا لِغَيْرِكُمَا فِي هَذَا عُشْبِي. أَخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَالْهَمَّتَا وَإِيَّاكُمُ الصَّبْرَ.

ثم قال عليه السلام: رَجِمَ اللَّهُ أَمْرًا رَأَى حَقًّا فَأَعَانَ عَلَيْهِ، أَوْ رَأَى جَوْرًا فَرَدَّهُ، وَكَانَ عَوْنًا بِالْحَقِّ عَلَى صَاحِبِهِ.

اقول: اليسير الذى نقماه: هو ترك استشارتهما فى الأمور وتسويتهما بغيرهما فى العطاء، وذلك وان كان صعبا عندهما فهو عنده يسير سهل لكونه حقا، والكثير الذى ارجاه اى: اخراه هو: ما يعود الى مصالح الدين. ويحتمل ان يريد: ان الذى ابدياه ونقماه يسير من كثير مما فى نفسيهما عليه اخراه. والأربة والارب: الحاجة. وافضت: وصلت. والاسوة: التسوية فى العطاء. وقوله: ولا وليته هوى منى، اى: ولا جعلت الحاكم فيه هوى: وروى: وليته بالتخفيف والكسر على ان يكون هوى مفعولا له. والعتبى: الاسم من العتاب.

١٩٦ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقد سمع قوما من أصحابه يستون أهل الشام أيام حربهم بصفين

إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ، وَلِكَيْتُكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ، وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ، كَانَتْ أَضُوبٌ فِي الْقَوْلِ، وَأَبْلَغُ فِي الْعُدْرِ، وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ: اللَّهُمَّ أَحْقِنِ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنَهُمْ، وَأَهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ، حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مِنْ جَهْلِهِ، وَيَرْعَوْى عَنِ الْغَىِّ وَالْعُدْوَانِ مَنْ لَهَجَ بِهِ.

اقول: وصف أعمالهم تذكيرهم بكونهم ضالين وظالمين على وجه النصيحة، و الارشاد الى الدين. ويرعوى: يرجع. ولهج بكذا: اولع به وحرص عليه.

١٩٧ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فى بعض أيام صفين وقد رأى الحسن عليه السلام يتسرع إلى الحرب

أَمْلِكُوا عَنِّي هَذَا الْغُلَامَ لَا يَهْدِنِي، فَإِنِّي أَنفَسُ بِهِدَيْنِ (يعنى الحسن والحسين عليهما السلام) عَلَى الْمَوْتِ؛ لِأَنَّ يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. قال الرضى أبو الحسن: قوله عليه السلام «املكوا عنى هذا الغلام» من أعلى الكلام وأفصحه.

أقول: املكوا: اضبطوا. ويهدنى: يكرني. وانفس: ابخل بالفتح.

١٩٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

لما اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة

أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ أَمْرِي مَعَكُمْ عَلَى مَا أَحِبُّ حَتَّى نَهَكَّشَكُمْ الْحَرْبُ، وَقَدْ،
وَاللَّهِ، أَخَذْتُ مِنْكُمْ وَتَرَكْتُ، وَهِيَ لِعَدْوِكُمْ أَنْهَكُ .
لَقَدْ كُنْتُ أَمْسِ أَمِيرًا فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَأْمُورًا، وَكُنْتُ أَمْسِ نَاهِيًا فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ
مَنْهِيًا، وَقَدْ أَحْبَبْتُمُ الْبَقَاءَ، وَلَيْسَ لِي أَنْ أُخِيْلَكُمْ عَلَى مَا تَكْرَهُونَ.

أقول: نهكتكم اخلقتكم، وهو مستعار في اضعافهم، واخذت وتركت كناية عن
تصرفها فيهم بالاختيار.



١٩٩ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بالبصرة، وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي - وهو من أصحابه - يعوده، فلما رأى سعة
داره قال:

مَا كُنْتُ تَصْنَعُ بِسَعَةِ هَذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا؟ أَمَا أَنْتَ إِلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ كُنْتَ أُخَوِّجُ؟!
وَبَلَى إِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ: تَقْرَى فِيهَا الضَّيْفَ، وَتَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ، وَتُظْلِعُ مِنْهَا
الْحُقُوقَ مَطَالِعَهَا، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ.

فقال له العلاء: يا أمير المؤمنين، أشكو إليك أخى عاصم بن زياد. قال: وما له؟
قال: لبس العباءة وتخلي عن الدنيا. قال: على به، فلما جاء قال:

يَا عُدَيَّ نَفْسِي لَقَدْ اسْتَهَامَ بِكَ الْخَيْبُ، أَمَا رَحِمْتَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ، أَتَرَى اللَّهَ أَحَلَ
لَكَ الطَّيِّبَاتِ وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا؟ أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ!

قال: يا أمير المؤمنين، هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة ماكلك! قال:

وَيُحَكِّكَ، إِنِّي لَسْتُ كَأَنَّكَ، إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيَّ أَيْمَةَ الْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ
بِضَعْفَةِ النَّاسِ كَيْلًا يَتَّبِعَ بِالْفَقِيرِ فَقْرَهُ.

اقول: استفهامة للعلاء في معرض التوبيخ لما ان ذلك ينافي الزهد في الدنيا. و
قوله: ويلى، الى آخره هداية له الى وجوب استعمالها في مرضاة الله بعد التفريط في
بنائها. ومطالع الحقوق مصارفها الشرعية. وقوله: على به ينوب مناب فعل الأمرى:
ائتوني به. وعدى¹ تصغير عدو ونهيه له عما فعل لانه لم يكن على وجهه، بل فهم منه انه
عن جهل وهوى، واستلزام ترك حقوق تلزمه شرعا لأهله وولده. والهيام: الذهاب في التيه.
واستهام بك الخبيث اى: طلب منك الشيطان الهنام وزينه لك. وقوله: فكيف بك
اى: فكيف بك هذه الحال، وانت القدوة: جوابه عليه السلام بالفرق بينهما.

٢٠٠ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقد سأله سائل عن أحاديث البدع، وعمّا فى أيدي الناس من اختلاف الخبر فقال
مرزوقية تصغير مري عليه السلام:

إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقًّا وَبَاطِلًا، وَصِدْقًا وَكَذِبًا، وَنَاسِخًا وَمَنْسُوخًا، وَعَامًّا وَخَاصًّا،
وَمُحَكَّمًا وَمُتَشَابِهًا، وَحِفْظًا وَوَهْمًا. وَلَقَدْ كَذَبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ
سَلَّمَ، عَلَى عَهْدِهِ حَتَّى قَامَ خَطِيبًا، فَقَالَ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».
وَأِنَّمَا أَنَا كَ بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ:

رَجُلٌ مُتَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلْإِيمَانِ، مُتَّصِعٌ بِالْإِسْلَامِ، لَا يَتَأْتَمُّ وَلَا يَتَحَرَّجُ يَكْذِبُ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، مُتَعَمِّدًا؛ فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُتَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا
مِنْهُ، وَلَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ، وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: رَأَاهُ، وَ
سَمِعَ مِنْهُ، وَلَقِفَ عَنْهُ فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ، وَقَدْ أَخْبَرَكَ اللَّهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ،
وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ، ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ - عَلَيْهِ وَآلِهِ السَّلَامُ - فَتَقَرَّبُوا إِلَى أَيْمَةِ الضَّلَالَةِ،

١ - في نسخة ش: وعدى نفسه تصغير. ٢ - صحيح مسلم ١/١٠، الغدير ٥/٣٧٨.

وَالدُّعَاةَ إِلَى التَّارِبِ الزُّورِ وَالْبُهْتَانِ، فَوَلَّوهُمْ الْأَعْمَالَ، وَجَعَلُوهُمْ حُكَّامًا عَلَى رِقَابِ النَّاسِ،
 وَأَكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْمُلُوكِ وَالدُّنْيَا إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ، فَهَذَا أَحَدُ الْأَرْبَعَةِ.
 وَرَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ شَيْئًا لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَوَهِمَ فِيهِ وَلَمْ يَتَّعَمِدْ كَذِبًا،
 فَهُوَ فِي يَدَيْهِ وَيُرْوَاهُ وَيَعْمَلُ بِهِ، وَيَقُولُ: أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
 وَسَلَّم، فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهَمَ فِيهِ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ، وَلَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ كَذَلِكَ لَرَفَضَهُ!
 وَرَجُلٌ ثَالِثٌ: سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ شَيْئًا يَأْمُرُ بِهِ ثُمَّ نَهَى عَنْهُ وَهُوَ
 لَا يَعْلَمُ، أَوْ سَمِعَهُ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، فَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ، وَلَمْ
 يَحْفَظِ النَّاسِخَ، فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ، وَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ
 لَرَفَضُوهُ.

وَآخِرُ رَابِعٌ: لَمْ يَكْذِبْ عَلَى اللَّهِ، وَلَا عَلَى رَسُولِهِ، مُبِغِضٌ لِلْكَذِبِ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ؛ وَ
 تَعْظِيمًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَمْ يَهَمْ، بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى وَجْهِهِ، فَجَاءَ بِهِ
 عَلَى مَا سَمِعَهُ: لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ؛ فَحَفِظَ النَّاسِخَ فَعَمِلَ بِهِ، وَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ فَجَنَّبَ
 عَنْهُ، وَعَرَفَ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ، فَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ، وَعَرَفَ الْمُتَشَابِهَ وَمُحْكَمَهُ.
 وَقَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، الْكَلَامُ لَهُ وَجْهَانِ: فَكَلَامٌ
 خَاصٌّ، وَكَلَامٌ عَامٌّ، فَيَسْمَعُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ مَا عَنَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِهِ، وَلَا مَا عَنَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم، فَيَحْمِلُهُ السَّامِعُ، وَيُوجِّهُهُ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاهُ، وَمَا قُصِدَ بِهِ، وَ
 مَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ، وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ وَ
 يَسْتَفْهِمُهُ، حَتَّى إِنْ كَانُوا لَيُجِيبُونَ أَنْ يَجِيءَ الْأَعْرَابِيُّ وَالطَّارِيءُ فَيَسْأَلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
 حَتَّى يَسْمَعُوا وَكَانَ لَا يَمُرُّبِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ إِلَّا سَأَلْتُ عَنْهُ وَحَفِظْتُهُ، فَهَذِهِ وُجُوهٌ مَا عَلَيْهِ
 النَّاسُ فِي اخْتِلَافِهِمْ، وَعَلَلِهِمْ فِي رِوَايَاتِهِمْ.

اقول: احاديث البدع: الأحاديث المسرعة بعد الرسول صلى الله عليه وآله،
 والمكذوبة عليه. والذي ترتكب منها البدع وهي: محدثات الامور في الدين بما لاحجة
 شرعية فيه. والحفظ: ما حفظ عنه عليه السلام. والوهم: ما غلط فيه فتوهم مثلا انه عام
 والمراد به الخصوص: او انه ثابت وهو منسوخ، ووجه الحصر في قسمة رجال الحديث،

ان الناقل له المنتسب الى الاسلام، اما منافق، اولاً؟ والثانى: اما ان يكون قدوهم فيه اولاً؟ والثالث اما ان يكون قد عرف ما يتعلق به من شرائط الرواية او لا يكون. ودل على الحصر بقوله: ليس لهم خامس و اشار الى الاول بقوله: رجل منافق، الى قوله: فهذا احد الاربعة. ويتصنع بالاسلام يتزين به ويتحلى به فى عيون أهله. ولايتأثم: لايعترف بالاثم اولاً يحجم عنه. ووجه الشبهة فى قبول قوله: ظاهر الاسلام وصحبة الرسول عليه السلام. وخبر الله تعالى عن المنافقين كقوله: (ان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار) الآية^١ ونحوها. و وصفهم بالكذب فى قوله تعالى: (والله يشهد ان المنافقين لكاذبون)^٢ وائمة الضلال: بنوامية. و اشار الى الثانى بقوله: ورجل سمع منى، الى قوله: لرفضه والى الثالث بقوله: ورجل ثالث، الى قوله: لرفضوه. والى الرابع بقوله: وآخر رابع الى قوله: ومحكمه وهو ظاهر.

٢٠١ - وَ مِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

وَ كَانَ مِنْ أَقْبَادِ جَبْرُوتِهِ، وَ بَدِيعِ لَطَائِفِ صِنْعَتِهِ؛ أَنْ جَعَلَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ الزَّاجِرِ الْمُتْرَاكِمِ الْمُتَعَاصِفِ يَبَسًا جَامِدًا، ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ أَطْبَاقًا، فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمَوَاتٍ بَعْدَ أَرْتِاقِهَا، فَاسْتَمْسَكَتْ بِأَمْرِهِ، وَ قَامَتْ عَلَى حَدِّهِ، وَ أَرَسَى أَرْضًا يَحْمِلُهَا الْأَخْضَرُ الْمُتَعَجِّجُ، وَالْقَمَمَقَامُ الْمُسَخَّرُ، قَدْ ذَلَّ لِأَمْرِهِ، وَ أَدْعَنَ لِهَيْبَتِهِ، وَ وَقَفَ الْجَارِي مِنْهُ لِحَشِيَّتِهِ، وَ جَبَلَ جَلَامِيدَهَا، وَ نُشُوزَ مُتُونِهَا وَ أَطْوَادِهَا، فَأَرَسَاهَا فِي مَرَاسِيهَا، وَ أَلْزَمَهَا قَرَارَتَهَا. فَمَضَتْ رُؤُسُهَا فِي الْهَوَاءِ، وَ رَسَتْ أَصُولُهَا فِي الْمَاءِ، فَانْهَدَ جِبَالُهَا عَنْ سُهُولِهَا، وَ أَسَاخَ قَوَاعِدُهَا فِي مُتُونِ أَقْطَارِهَا وَ مَوَاضِعِ أَنْصَابِهَا، فَأَشْهَقَ قِلَالُهَا، وَ أَطَالَ أَنْشَارُهَا، وَ جَعَلَهَا لِلْأَرْضِ عِمَادًا، وَ أَرَزَهَا فِيهَا أَوْتَادًا، فَسَكَّنَتْ عَلَى حَرَكَتِهَا مِنْ أَنْ تَمِيدَ بِأَهْلِهَا، أَوْ تَسِيخَ بِحِمْلِهَا، أَوْ تَنْزُولَ عَنْ مَوَاضِعِهَا. فَسُبْحَانَ مَنْ أَمْسَكَهَا بَعْدَ مَوْجَانِ مِيَاهِهَا، وَ أَجْمَدَهَا بَعْدَ رُطُوبَةِ أَكْنَافِهَا، فَجَعَلَهَا لِخَلْقِهِ مِهَادًا، وَ بَسَطَهَا لَهُمْ فِرَاشًا! فَوْقَ بَحْرِ لُجِّي رَاكِدٍ لَا يَجْرِي، وَ قَائِمٍ لَا يَسْرِي، تُكْرِكِرُهُ الرِّيَّاحُ

١ - سورة النساء / ١٤٥.

٢ - سورة المنافقون / ١.

الْعَوَاصِفُ. وَتَمَخُّضُهُ الْغَمَامُ الدَّوَارِفُ (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى).

اقول: اشارها هنا الى ان اصل الاجرام السماوية والأرضية: هو الماء. ووصف كيفية تكونها عنه، وقد مر ذلك في الخطبة الأولى. وتعاصفه تراذ أمواجه. واليبس الجامد الأرض وحده هو ما مضى به لها من النهاية. والضمير في يحملها لليبس. والمتعجر: السيل كثير الماء. والقمقام: البحر. وجبل: خلق. وجمليدها: صخورها. وانهد: رفع. واساخ: ادخل. وانصابها: جمع نصب وهو لما انتصب منها. والانشار: جمع نشز وهو العوالى منها. وارزها: غرزها. وروى مخففا اي: اثبتها. واكنافها: اقطارها. وتكرره: تردده وتصرفه. والفصل واضح، وبالله التوفيق.

٢٠٢ - وَمِنْ حُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

اللَّهُمَّ أَيَّمَا عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا الْعَادِلَةَ غَيْرَ الْجَائِرَةَ، وَالْمُضْلِحَةَ فِي الدِّينِ
وَالدُّنْيَا غَيْرَ الْمُفْسِدَةَ فَأَبَى بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إِلَّا النُّكُوصَ عَنْ نُصْرَتِكَ، وَالْإِبْطَاءَ عَنِ إِغْرَازِ دِينِكَ؛
فَأِنَّا نَسْتَشْهَدُكَ عَلَيْهِ بِأَكْبَرِ الشَّاهِدِينَ شَهَادَةً، وَنَسْتَشْهَدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَنْ أَسْكَنَتْهُ أَرْضُكَ
وَسَمَوَاتِكَ، ثُمَّ أَنْتَ بَعْدَ الْمُغْنَى عَنْ نُصْرِهِ، وَالْآخِذُ لَهُ بِدَنْبِهِ.

اقول: الفصل استنفار لأصحابه الى الجهاد بدعاء الله، واستشهاده على المتقاعدين عن صوته تخويفا وجذبا بذلك الى نصره الدين. والنكوص: الرجوع.

٢٠٣ - وَمِنْ حُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ عَنِ شَبِّهِ الْمَخْلُوقِينَ، الْغَالِبِ لِمَقَالِ الْوَاصِفِينَ، الظَّاهِرِ بِعَجَائِبِ
تَدْبِيرِهِ لِلنَّاطِرِينَ، الْبَاطِنِ بِجَلَالِ عِزَّتِهِ عَنِ فِكْرِ الْمُتَوَهِّمِينَ، الْعَالِمِ بِبَلَاءِ اكْتِسَابِ، وَلَا
أَزْدِيَادِ، وَلَا عِلْمِ مُسْتَفَادِ، الْمُقَدَّرِ لِجَمِيعِ الْأُمُورِ بِأَرْوِيَّةٍ وَلَا ضَمِيرِ، الَّذِي لَا تَغْشَاهُ الظُّلْمُ،

وَلَا يَسْتَضِيءُ بِالْأَنْوَارِ، وَلَا يَرَهْقُهُ لَيْلٌ، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ نَهَارٌ، لَيْسَ إِدْرَاكُهُ بِالْأَبْصَارِ، وَلَا
عِلْمُهُ بِالْأَخْبَارِ.

اقول: غلبه لمقال الواصفين: امتناعه بكمال ذاته وصفاته عن احاطة و صفهم به. و
بطونه: خفاؤه عن تعلق الفكر به لجلالته ونزاهته عن مناسبة من شأنه كذلك، والمقدر:
الموجد، والرؤية: الفكر. والضمير: ما اضم من عزم و ارادة ونحوهما. ويرهقه: يدركه.
وظاهر تقدس علم الله تعالى وتنزه ذاته عن الأسباب واللواحق المذكورة. وإنما لم يكن
علمنا له بالاخبار لان الاخبار انما يصدق اذا اسندت الى محسوس، تعالى الله عن ذلك .

ومنها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

أَرْسَلَهُ بِالضِّيَاءِ، وَقَدَّمَهُ فِي الإِضْطِفَاءِ، فَرَتَّقَ بِهِ الْمَفَاتِقَ، وَسَاوَرِيهِ الْمُغَالِبَ وَذَلَّلَ بِهِ
الصُّعُوبَةَ، وَسَهَّلَ بِهِ الْحُزُونََ، حَتَّى سَرَّحَ الضَّلَالَ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ.

اقول: اراد بالمفاتيح: امور العالم المتفرقة، ورتقها نظامها به. والمساورة: المغالبة.
والصعوبة: صعوبة المشركين. والحزونة حزونة طريق الله. و سرح الضلال عن يمين و
شمال: طرح رذيلتي الافراط والتفريط عن قوى النفس العاقلة كالقاء جنبتي الحمل عن
ظهر الدابة. وهو من لطيف الاستعارة.

٢٠٤ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَدْلٌ عَدَلٌ، وَ حَكْمٌ فَصَلٌ، وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ سَيِّدُ عِبَادِهِ كَلَّمَا
نَسَخَ اللهُ الخَلْقَ فِرْقَتَيْنِ، جَعَلَهُ فِي خَيْرِهِمَا، لَمْ يُسْهِمَ فِيهِ غَايِرٌ، وَلَا ضَرَبَ فِيهِ فَاجِرٌ.
أَلَا وَإِنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَ لِلْخَيْرِ أَهْلًا، وَ لِلْحَقِّ دَعَائِمَ، وَ لِلطَّاعَةِ عِصْمًا، وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَ كُلِّ
طَاعَةٍ عَوْنًا مِنَ اللهِ: يَقُولُ عَلَى الأَلْسِنَةِ، وَ يُثَبِّتُ الأَقْيَدَةَ، فِيهِ كِفَاءٌ لِمُكْتَفٍ، وَ شِفَاءٌ
لِمُسْتَفٍ.

وَأَعْلَمُوا أَنَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُسْتَخْفِظِينَ عِلْمَهُ، يَصُونُونَ مَصُونَهُ، وَيُفَجِّرُونَ عُيُونَهُ، يَتَوَاصَلُونَ
 بِالْوَلَايَةِ، وَيَتَسَلَّقُونَ بِالْمَحَبَّةِ، وَيَتَسَاقُونَ بِكَأْسِ رَوِيَّةٍ، وَيَصُدُّرُونَ بِرِيَّةٍ، لَا تَشُوبُهُمُ الرِّيَّةُ،
 وَلَا تُشْرِعُ فِيهِمُ الْغَيْبَةُ، عَلَى ذَلِكَ عَقَدَ خَلْقَهُمْ وَأَخْلَاقَهُمْ، فَعَلَيْهِ يَتَحَابُّونَ، وَبِهِ يَتَوَاصَلُونَ،
 فَكَانُوا كَتَفَاضِلِ الْبَدْرِ يُتَّقَى، فَيُؤَخَذُ مِنْهُ وَيُلْقَى، قَدْ مَيَّرَهُ التَّخْلِيسُ، وَهَذَبَهُ التَّمْحِيسُ،
 فَلْيَقْبَلِ أَمْرًا كَرَامَةً بِقَبُولِهَا، وَلْيَحْذَرْ قَارِعَةً قَبْلَ حُلُولِهَا، وَلْيَنْظُرْ أَمْرًا فِي قَصِيرِ أَيَّامِهِ، وَقَلِيلِ
 مُقَامِهِ، فِي مَنَزِلٍ حَتَّى يَسْتَبْدِلَ بِهِ مَنَزِلًا، فَلْيَضْمَعْ لِمُتَحَوِّلِهِ، وَمَعَارِفِ مُنْتَقَلِهِ، فَطَوَّبَى لِمَنْ لِيذَى
 قَلْبٍ سَلِيمٍ أَطَاعَ مَنْ يَهْدِيهِ، وَتَجَنَّبَ مَنْ يُرْدِيهِ وَأَصَابَ سَبِيلَ السَّلَامَةِ بِبَصَرٍ مَنْ بَصَرَهُ،
 وَطَاعَةَ هَادٍ أَمْرَهُ، وَبَادَرَ الْهُدَى قَبْلَ أَنْ تُغْلَقَ أَبْوَابُهُ، وَتُقَطَعَ أَسْبَابُهُ، وَاسْتَفْتَحَ التَّوْبَةَ، وَ
 أَمَاطَ الْحَوْبَةَ. فَقَدْ أُقِيمَ عَلَى الطَّرِيقِ، وَهُدِيَ نَهْجَ السَّبِيلِ.

اقول: نسخ الخلق: نقلهم عن أصولهم بالتناسل، واراد كلما اوجد فرقتين من الخلق
 عن اصولهما جعله في خيرهما كما قال صلى الله عليه وآله: (انا محمد بن عبد الله بن
 عبدالمطلب ان الله خلق الخلق فجعلنى في خيرهم، ثم جعلهم فرقتين، فجعلنى فى
 خيرهم، ثم جعلهم قبائل، فجعلنى فى خيرهم، ثم جعلهم بيوتا، فجعلنى فى خيرهم، فانا
 خيركم بيتا و خيركم نفسا). ولم يسهم فيه عاهر: اى: لم يكن للزنا فيه شرك كما قال
 صلى الله عليه وآله: لم يزل ينقلنى الله تعالى من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات.
 وقوله: عصما، اى: قوما و ادلة يعتصم بها ويلجأ اليها فى المعونة على الطاعة. وقوله: يقول
 الى قوله الافئدة: تفصيل لوجوه المعونة، والضمير فى يقول: الله، او للعون مجازا. وقوله:
 على الألسنة: كما فى القرآن الكريم. وتشبيته للأفسدة، اى: على محبته وطاعته،
 تذكيره تعالى. ولطائف موعظته و وعده و وعيده فى كتابه العزيز كما قال: (الابذكر الله
 تطمئن القلوب^١) و ما فيه الكفاية هو ذلك العون. والولاية بالكسر: الاسم من الولي واصله
 القرب، وبالفتح: مصدر و اراد انهم يتواصلون فى قربتهم من الله و تجمعهم محبته. و
 استعار لفظ الكأس الروية، والرية الفعلة من الرى و اراد انهم لا يعترفون الا عن فائدة. و
 قوله: على ذلك اى على ما عدد من مكارم الاخلاق فى صفات عباد الله، و لا تشوبهم

الريبة، اى: لا يتداخلهم شك في الدين بنفاق او فى صحبتهم. وقوله: فكانوا كتفاضل
 البدر، اى: كانوا فى الناس كالقدر المتفاضل، ويفيدانهم افضل من غيرهم مع تفاضلهم.
 ونبه على وجه الشبه بقوله: ينتقى، الى قوله: التمحيص وهو الاختيار. والكرامة: نصيحتة
 فى طاعة ربه اى: الحسن التام. والقارعة: الشديدة من شدائد الدهر. ومعارف انتقاله:
 المواضع التى يعلم انتقاله اليها. وسليم: لم يتدنس بالعقائد الباطلة ومن يهديه: ائمة
 الدين، ومن يرديه: ائمة الضلال فى مهاوى الهلاك. والحوبة: الأثم. وبالله التوفيق.

٢٠٥ - وَمِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَام

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُضْبِعْ بِي مَيْتًا وَلَا سَقِيمًا، وَلَا مَضْرُوبًا عَلَى عُرُوقِي بِسُوءٍ وَلَا
 مَاخُودًا بِأَسْوَأِ عَمَلِي، وَلَا مَقْطُوعًا ذَابِرِي، وَلَا مُرْتَدًّا عَن دِينِي، وَلَا مُتَكِرًّا لِرَبِّي، وَلَا
 مُسْتَوْحِشًا مِنِّ إِيْمَانِي، وَلَا مُلْتَبِسًا عَقْلِي، وَلَا مُعَذَّبًا بِعَذَابِ الْأُمَمِ مِن قَبْلِي. أَصْبَحْتُ عَبْدًا
 مَمْلُوكًا ظَالِمًا لِنَفْسِي، لَكَ الْحُجَّةَ عَلَيَّ وَلَا حُجَّةَ لِي. لَا أُسْتَطِيعُ أَنْ أَخَذَ إِلَّا مَا أَعْظَيْتَنِي، وَلَا
 أَنْفَى إِلَّا مَا وَقَيْتَنِي.

مرکز تحقیقات کتب و تاریخ اسلام

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَقِرَ فِي غِنَاكَ، أَوْ أَضِلَّ فِي هُدَاكَ، أَوْ أَضَامَ فِي سُلْطَانِكَ،
 أَوْ أَضْطَهَدَ وَالْأَمْرُ لَكَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ نَفْسِي أَوَّلَ كَرِيمَةٍ تَنْتَزِعُهَا مِن كَرَامَتِي، وَأَوَّلَ وَدِيعَةٍ تَرْتَجِعُهَا مِن وَدَائِعِ
 نِعْمِكَ عِنْدِي.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَذْهَبَ عَن قَوْلِكَ، أَوْ نُفْتَنَ عَن دِينِكَ، أَوْ تَتَابَعِ بِنَا أَهْوَاؤَنَا دُونَ
 الْهُدَى الَّذِي جَاءَ مِن عِنْدِكَ.

اقول: الذابِر: الظهر. والدابِر: بقية الرجل من ولده ونسله. والإلتباس: الإختلاط. و
 كرائمه: قواه و اعضاءه التى تكرم عليه، واراد متعني بجميع قواى و جوارحى سليمة الى
 آخر عمرى، لان انتزاع النفس قبل جميع الكرائم يستلزم بقاؤها سليمة من الآفات الى
 حين الممات، ونحوه قول الرسول صلى الله عليه وآله (اللهم متعني بسمعى وبصرى و

٢٠٦ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

خطبها بصفين

أَمَا بَعْدُ؛ فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا بِلَايَةِ أَمْرِكُمْ، وَلَكُمْ عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لِي عَلَيْكُمْ، فَالْحَقُّ أَوْسَعُ الْأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ، وَأَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ، لَا يَجْرِي لِأَحَدٍ إِلَّا جَرَى عَلَيْهِ، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ إِلَّا جَرَى لَهُ. وَلَوْ كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يَجْرِيَ لَهُ وَلَا يَجْرِيَ عَلَيْهِ لَكَانَ ذَلِكَ خَالِصًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْفِهِ؛ لِقُدْرَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَلِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ، وَلَكِنَّهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةَ الثَّوَابِ تَفْضُلًا مِنْهُ وَتَوْسَعًا بِمَا هُوَ مِنَ الْمَزِيدِ أَهْلُهُ.

ثُمَّ جَعَلَ - سُبْحَانَهُ - مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقًا أَفْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ، فَجَعَلَهَا تَنَكَّافًا فِي وُجُوهِهَا، وَيُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَلَا يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ. وَأَعْظَمُ مَا أَفْتَرَضَ - سُبْحَانَهُ - مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالِيِّ عَلَى الرَّعِيَّةِ، وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِيِّ، فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - لِكُلِّ عَلَى كُلِّ، فَجَعَلَهَا نِظَامًا لِأَلْفَتِهِمْ، وَعِزًّا لِدِينِهِمْ فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ الْوَلَاةِ، وَلَا يَصْلُحُ الْوَلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ، فَإِذَا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِيِّ حَقَّهُ، وَأَدَّى الْوَالِيُّ إِلَيْهَا حَقَّهَا؛ عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ، وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ، وَأَعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ، وَجَرَتْ عَلَى أَذْلَالِهَا السُّنَنُ، فَصَلَحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ، وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ، وَبَيَّسَتْ مَظَالِمُ الْأَعْدَاءِ. وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالْيَهَا، أَوْ أَجْحَفَ الْوَالِيُّ بِرَعِيَّتِهِ؛ اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ، وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ، وَكَثُرَ الْإِذْغَالُ فِي الدِّينِ، وَتَرَكَّتْ مَحَاجُّ السُّنَنِ، فَعَمِلَ بِالْهَوَى، وَغَطَلَتِ الْأَحْكَامُ وَكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ، فَلَا يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقِّ عُظَلِّ، وَلَا لِعَظِيمِ بَاطِلِ فُعِلَ!! فَهَنَالِكَ تَذَلُّ الْأَبْرَارِ وَتُعِزُّ الْأَشْرَارِ، وَتَعْظُمُ تَبَعَاتُ اللَّهِ عِنْدَ الْعِبَادِ، فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِي ذَلِكَ وَحُسْنِ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ؛ فَلَيْسَ أَحَدٌ - وَإِنْ أَشْتَدَّ عَلَى رِضَا اللَّهِ حِرْصُهُ، وَطَالَ فِي الْعَمَلِ اجْتِهَادُهُ - بِبَالِغِ حَقِيقَةِ مَا اللَّهُ أَهْلُهُ مِنَ الطَّاعَةِ [لَهُ] وَلَكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ النَّصِيحَةَ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ، وَالتَّعَاوُنَ عَلَى إِقَامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ،

وَلَيْسَ أَمْرُو- وَإِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مَثْرَلَتُهُ، وَتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ- بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ عَلَى مَا حَمَلَهُ اللَّهُ مِنْ حَقِّهِ، وَلَا أَمْرُو- وَإِنْ صَغُرَتْهُ النَّفُوسُ، وَاقْتَحَمَتْهُ الْعُيُونُ- بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَى ذَلِكَ، أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ.

فأجابه عليه السلام رجل من أصحابه بكلام طويل يكثر فيه الثناء عليه و يذكر سمعه و طاعته له، فقال عليه السلام:

إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظُمَ جَلَالُ اللَّهِ فِي نَفْسِهِ، وَجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ، أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ- لِعِظَمِ ذَلِكَ- كُلُّ مَا سِوَاهُ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ لَمَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَلَطَفَ إِحْسَانُهُ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ لَمْ تَعْظُمْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا أَرْدَادَ حَقِّ اللَّهِ عَلَيْهِ عِظَمًا، وَإِنَّ مِنْ أَسْخَفِ حَالَاتِ الْوُلَاةِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ الْفَخْرِ، وَيُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى الْكِبَرِ، وَقَدْ كَرِهَتْ أَنْ يَكُونَ جَالٌ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أَحِبُّ الْإِظْرَاءَ، وَأَسْتِمَاعَ الثَّنَاءِ، وَلَسْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ- كَذَلِكَ، وَلَوْ كُنْتُ أَحِبُّ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ لَتَرَكْتُهُ أَنْحِطَاطًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعِظَمَةِ وَالْكَبَرِيَاءِ، وَرَبَّمَا اسْتَحْلَى النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلَاءِ، فَلَا تُشْنُوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ لِإِخْرَاجِي نَفْسِي إِلَى اللَّهِ وَالْيَكْمُ مِنَ التَّقِيَّةِ فِي حُقُوقِ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدَائِهَا، وَفَرَائِضَ لَا بُدَّ مِنْ إِمْضَائِهَا، فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلِّمُونِي بِهِ الْجَبَابِرَةُ، وَلَا تَحْفَظُوا مِنِّي بِمَا يُحْفَظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ، وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ، وَلَا تَظُنُّوا بِي اسْتِثْقَالَ فِي حَقِّ قِيلَ لِي، وَلَا الِئْتِمَاسَ إِعْظَامَ لِنَفْسِي؛ فَإِنَّهُ مَنْ اسْتَثْقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوْ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا عَلَيْهِ أَثْقَلَ، فَلَا تَكْفُوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقِّ، أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلِ؛ فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُحْطِيَءَ، وَلَا آمَنُ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي إِلَّا أَنْ يَكْفِيَ اللَّهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي؛ فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبِّ لَارَبِّ غَيْرُهُ: يَمْلِكُ مِنَّا مَا لَا نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا، وَأَخْرَجَنَا مِنَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ، فَأَبْدَلْنَا بَعْدَ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى، وَأَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَى.

اقول: انما كان الحق في التواصف أوسع منه في التناصف، لان القول أسهل وأيسر كلفة من العمل. و معالم العدل: مظانه. واذلالها: وجوهها و طرقها. و اجحف به: ذهب بأصله. و الادغال: الإفساد. و المحاج الطرق الواضحة. و علل النفوس: شبهاتها في

مخالفة الحق. وقوله: فعليكم بالتناصح في ذلك اى: في حفظ حق الوالى على رعيته و
 حقهم عليه. وقوله: وليس امرؤ الى قوله من حقه، اى: انه وان بلغ المرء اعظم درجات
 طاعة الله، فهو محتاج ان يعان عليها و ليست درجته تلك بأرفع من ان يعان على ما حملة
 الله تعالى منها، وذلك ان تكليف الله تعالى بطاعته بحسب وسع المكلف والوسع
 فى الطاعة: قد يكون مشروطا بمعونة الغير فيها فلا يستغنى احد عنه. وقوله: ولا امرؤ الى
 قوله: او يعان عليه، اى: انه لا ينبغي ان يحتقر احد عن الاستعانة به فى طاعة الله و ان
 اقتحمته النفوس اى: استصغرت، فانه ليس بدون ان يعين على طاعة الله و لو بقبول الصدقة
 مثلا و غرضه من ذلك اتفاق الكلمة والاتحاد فى الدين، واسخف: اضعف. و صالح
 الناس: اكثرهم. وقوله: وربما، الى قوله البلاء: اى: ربما استحل من ابلى بلاء حسنا
 ان يمدح و احب أن يشنى عليه بعد بلائه. واللام فى قوله: لأخرجى متعلق بقوله: كرهت
 و اراد ان غرضى من طاعتى اخراجى نفسى من بقية حقوق الله الواجبة على له و لكم
 بأمره، فكأنه قال: و اذا كانت طاعتى اداء ما وجب على فكيف استحق به ثناء.
 والبادرة: سرعة الغضب و ما يتحفظ به عند اهل البادرة كترك المسارة مثلا فى مجالس
 الملوك، اجلالا لهم و خوفا منهم. و ما كنا فيه هو: ضلال الجاهلية. و ما صلحنا عليه
 اى: الاسلام والهدى.

٢٠٧ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ، فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَجِمِي وَأَكْفَأُوا إِنَائِي، وَأَجْمَعُوا
 عَلَى مُتَارَعَتِي حَقًّا كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي، وَقَالُوا أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَفِي الْحَقِّ
 أَنْ تُنْتَعَهُ، فَاصْبِرْ مَغْمُومًا، أَوْمِتْ مُتَأَسِّفًا، فَتَنْظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ، وَلَا ذَائِبٌ،
 وَلَا مُسَاعِدٌ، إِلَّا أَهْلَ بَيْتِي فَضَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَدَى، وَجَرَعْتُ رِيْقِي
 عَلَى الشَّجَى، وَصَبَّرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمْرٍ مِنَ الْعَلَقِمِ، وَالْمَ لِلْقَلْبِ مِنْ حَزِّ الشَّفَارِ.
 قال الرضى: وقد مضى هذا الكلام فى أثناء خطبة متقدمة إلا أنى كررته ههنا
 لاختلاف الروايتين.

أقول: استعديك: اطلب عدواك أى: معونتك. و كفات الاناء: كبيته لوجهه، و هو كناية عن قلبهم لأمره و تغييرهم للخلافة عنه و هو الحق الذى كان اولى به. والرافد: المعين. وضننت: بخلت. والشجى: ما يعرض فى الحلق من عظم وغيره، و هو كناية عن الغم والتألم الحاصل له. والعلقم: شجرمر. و قدمر تفسير مثله.

منها فى ذكر السائرين إلى البصرة لحربه عليه السلام:
 فَقَدِمُوا عَلَى عُمَالِي وَخُزَانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي فِي يَدِي وَعَلَى أَهْلِ مِصْرٍ كُلِّهِمْ
 فِي طَاعَتِي وَعَلَى بَيْعَتِي، فَشَتَّتُوا كَلِمَتَهُمْ، وَأَفْسَدُوا عَلَيَّ جَمَاعَتَهُمْ، وَوَثَبُوا عَلَيَّ
 شِيعَتِي، فَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ غَدْرًا، وَطَائِفَةً مِنْهُمْ عَضُوا عَلَيَّ أَسْيَافِهِمْ، فَضَارَبُوا بِهَا حَتَّى لَقُوا
 اللَّهَ صَادِقِينَ.

أقول: عضوا على اسيافهم اي لرموها، وقد اشرنا الى طرف من حال السائرين الى البصرة لحربه فى الاصل و سبق بيان هذا الفصل مشروحا.

مرکز تحقیقات کتب و تاریخ علوم اسلامی
 ۲۰۸ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما مر بطلحة و عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد و هما قتيلان يوم الجمل

لَقَدْ أَضْبَحَ أَبُو مُحَمَّدٍ بِهَذَا الْمَكَانِ غَرِيبًا! أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ قُرَيْشُ
 قَتَلَى تَحْتَ بَطُونِ الْكَوَاكِبِ، أَدْرَكْتُ وَتَرِي مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَأَفَلَتْنِي أَعْيَانُ بَنِي جُمَحٍ،
 لَقَدْ أَتَلَعُوا أَعْنَاقَهُمْ إِلَى أَمْرٍ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَهُ، فَوَقَّصُوا دُونَهُ.

أقول: كان طلحة والزبير من بنى عبد مناف من قبل الام. و جمع قبيلة و كان فى زمنه عليه السلام منهم: عبدالله بن صفوان بن امية بن خلف، و عبد الرحمان بن صفوان. و قيل: كان مروان بن الحكم، منهم اخذ اسيرا يوم الجمل، و استشفع بالحسن الى ابيه

عليهما السلام. و روى اغيار بالغين المعجمة اى: جهلائهم، و بالمهملة: جمع غير، و غير القوم سيدهم. و اتلعوا اعناقهم: رفعوها و مدها كالمتطلعين، و هو كناية عن تناولهم الى امر الخلافة. و وقصوا: كسرت اعناقهم. و بالله التوفيق.

٢٠٩ - وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَدْ أَحْيَا عَقْلَهُ، وَأَمَاتَ نَفْسَهُ، حَتَّى دَقَّ جَلِيلُهُ، وَلَطَفَ غَلِيظُهُ، وَبَرَقَ لَهُ لَامِعٌ كَثِيرُ الْبَرْقِ، فَأَبَانَ لَهُ الطَّرِيقَ، وَسَلَكَ بِهِ السَّبِيلَ، وَتَدَاغَعَتْهُ الْأَبْوَابُ إِلَى بَابِ السَّلَامَةِ، وَدَارِ الْإِقَامَةِ، وَثَبَّتَتْ رِجْلَاهُ بِظِمَانِيَّةِ بَدَنِهِ فِي قَرَارِ الْأَمْنِ وَالرَّاحَةِ، بِمَا اسْتَعْمَلَ قَلْبُهُ، وَأَرْضَى رَبَّهُ.

اقول: يشير الى وصف العارف فأحيى عقله بالرياضة التامة، و تحصيل الكمالات العلمية والعملية و تكميل قوته بهما. و اماتته نفسه اى: الامارة بالسوء بتطويعها لعقله و كسرها بالعبادة و الزهد الحقيقى. و استعار وصف الامارة لقطعها عما يخصها من المشتهايات التى هى مادة حياتها من حيث هى نفس اقارة. و كنى بجليله عن بدنه و دقته لانقطاع مادة توسعه فى المشتهايات. و غليظه: اما بدنه او طباعه و قواه فانها يلطف بالرياضة بعد غلظها و قساوتها. و اشار باللام الى ما يعرض للسالك عند بلوغ الارادة و الرياضة حدًا ما من الخلسات الى الجانب الأعلى، من ظهور أنوار الهية لذيدة شبيهة بالبرق فى سرعة لمعانه و اختفائه، و تلك اللوامع مسماة فى عرف المجردين بالأوقات. و هذه اللوامع فى مبدأ الامر تعرض قليلا فاذا امعن فى الارتياض كثرت، فاشار باللامع الى نفس ذلك النور، و بكثرة بروقه الى كثرة عروضه له بعد الامعان فى الرياضة. و قوله: فأبان له الطريق اى: اظهر له ذلك اللمعان طريق الحق الى الله تعالى، و كان سببا لسلوكه فى سبيله اليه، و تدافعت الابواب اى: ابواب الرياضة من الزهد و العبادة و غيرهما. و وجه التدافع هاهنا انتقاله من باب الى باب منها، و من عبادة الى اخرى. فكأنها تدافعه. و باب السلامة هو الباب الذى يلقى فيه السلامة من الانحراف عن الصراط المستقيم، بمعرفة ان تلك هى الطريق و يشبه ان يكون هو الوقت. و قوله: و ثبتت رجلاه، الى قوله: و الراحة فى قرار

الامن: اشارة الى درجة اعلى، ويسمى طمأنينة، وذلك ان السالك مادام في مرتبة الوقت فانه يعرض له عند لمعان تلك البروق في سره اضطراب و انزعاج يحس به جليسه لان النفس اذا فاجأها امر عظيم انزعجت له، فاذا كثرت تلك الغواشى الفتها فصارت بحيث لا تنزعج عنها بل تسكن اليها وتطمئن عندها، لثبوت قدم عقلها في درجة اعلى من درجات الجنة التى هى قرار الامن والراحة من عذاب الله. وقوله: بما استعمل: متعلق بثبتت اى: بسبب هذا. وبالله التوفيق.

٢١٠ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
قاله بعد تلاوته: (الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر)

يَالَهُ مَرَامًا مَا أَبْعَدَهُ، وَزُورًا مَا أَغْفَلَهُ، وَخَطَرًا مَا أَفْطَعَهُ، لَقَدْ اسْتَخَلَّوْا مِنْهُمْ أَيْ مَدَّكَرٍ، وَتَنَاوَشُوهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ!! أَفَبِمَصَارِعِ آتَانِهِمْ يَفْخَرُونَ أَمْ بَعْدِيدِ الْهَلْكِ يَتَكَاثِرُونَ؟! يَرْتَجِعُونَ مِنْهُمْ أَجْسَادًا خَوْثًا، وَحَرَكَاتٍ سَكَنًا، وَلَآنَ يَكُونُوا عِبْرًا أَحَقُّ مِنْ أَنْ يَكُونُوا مُفْتَخِرًا، وَلَآنَ يَهَيِّطُوا بِهِمْ جَنَابَ ذِلَّةِ أَحْجَى مِنْ أَنْ يَقُومُوا بِهِمْ مَقَامَ عِزَّةٍ!! لَقَدْ نَظَرُوا إِلَيْهِمْ بِأَبْصَارِ الْعِشْوَةِ، وَضَرَبُوا مِنْهُمْ فِي عَمْرَةٍ جَهَالَةٍ، وَلَوْ اسْتَنْطَقُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ تِلْكَ الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ، وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ؛ لَقَالَتْ ذَهَبُوا فِي الْأَرْضِ ضَلَالًا، وَذَهَبْتُمْ فِي أَعْقَابِهِمْ جُهَالًا، تَطَاوَنَ فِي هَامِهِمْ، وَتَشْتَشِبُونَ فِي أَجْسَادِهِمْ وَتَرْتَمُونَ فِيْمَا لَفْظُوا، وَتَسْكُنُونَ فِيْمَا خَرَبُوا، وَإِنَّمَا الْأَيَّامُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ بَوَاكٍ وَنَوَائِحُ عَلَيْكُمْ.

أُولَئِكَ سَلَفُ غَايَتِكُمْ، وَفِرَاطُ مَنَاهِلِكُمْ، الَّذِينَ كَانَتْ لَهُمْ مَقَاوِمُ الْعِزِّ، وَحَلَبَاتُ الْفَخْرِ، مُلُوكًا وَسُوقًا، سَلَكَوا فِي بُطُونِ الْبَرْزَخِ سَبِيلًا، سُلْطَتِ الْأَرْضُ عَلَيْهِمْ فِيهِ، فَأَكَلَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ، وَشَرِبَتْ مِنْ دِمَائِهِمْ، فَأَضْبَحُوا فِي فِجَواتِ قُبُورِهِمْ جَمَادًا لَا يَنْمُونَ، وَضِمَارًا لَا يُوجَدُونَ، لَا يُفْرِغُهُمْ وَرُودُ الْأَهْوَالِ، وَلَا يَحْزَنُهُمْ تَتَكَرُّرُ الْأَحْوَالِ، وَلَا يَحْفِلُونَ بِالرَّوَاغِفِ، وَلَا يَأْدَنُونَ لِلْقَوَاصِفِ، غُيِّبَا لَا يَنْتَظِرُونَ، وَشُهُودًا لَا يَحْضُرُونَ، وَإِنَّمَا كَانُوا جَمِيعًا فَتَشْتَوَا، وَالْآفَا فَاْفْتَرَقُوا، وَمَا عَنْ طُولِ عَهْدِهِمْ وَلَا بَعْدِ مَحَلِّهِمْ عَمِيَّتْ أَخْبَارُهُمْ، وَصَمَّتْ دِيَارُهُمْ،

وَلَكِنَّهُمْ سُقُوا كَأَسَا بَدَّئْتَهُمْ بِالنُّطْقِ خَرَسًا وَبِالسَّمْعِ صَمَمًا، وَبِالْحَرَكَاتِ سُكُونًا فَكَانَتْهُمْ فِي
 أَرْتَجَالِ الصَّفَةِ صَرَعَى سُبَاتٍ، حَيْرَانٌ لَا يَتَأَنُّونَ، وَأَجْبَاءُ لَا يَتَرَاوِرُونَ، بَلِيَّتٌ بَيْنَهُمْ عُرَى
 التَّعَارُفِ، وَأَنْقَطَعَتْ مِنْهُمْ أَسْبَابُ الْإِخَاءِ، فَكُلُّهُمْ وَحِيدٌ وَهُمْ جَمِيعٌ، وَبِجَانِبِ الْهَجْرِ وَهُمْ
 أَخِلَاءٌ، لَا يَتَعَارَفُونَ لَيْلٍ صَبَاحًا، وَلَا لَيْتَهَارٍ مَسَاءً، أَيْ الْجَدِيدَيْنِ ظَعَنُوا فِيهِ كَانَ عَلَيْهِمْ
 سَرْمَدًا، شَاهَدُوا مِنْ أخطَارِ دَارِهِمْ أَفْطَحَ مِمَّا خَافُوا، وَرَأَوْا مِنْ آيَاتِهَا أَعْظَمَ مِمَّا قَدَّرُوا، فَكَلَّمْنَا
 الْغَايَتَيْنِ مُدَّتْ لَهُمْ إِلَى مَبَاةٍ، فَأَتَتْ مَبَالِغَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، فَلَوْ كَانُوا يَنْطِقُونَ بِهَا لَعَيُوا
 بِصِفَةِ مَا شَاهَدُوا وَمَا عَايَنُوا، وَلَئِنْ عَمِيَتْ آثَارُهُمْ، وَأَنْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُمْ؛ لَقَدَّرَ جَعَتْ فِيهِمْ
 أَبْصَارُ الْعَيْبِ، وَسَمِعَتْ عَنْهُمْ آذَانُ الْعُقُولِ، وَتَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ جِهَاتِ النُّطْقِ، فَقَالُوا: كَلَّحَتْ
 الْوُجُوهُ التَّوَاضِرُ، وَخَوَتِ الْأَجْسَامُ التَّوَاعِمُ، وَلَبِسْنَا أَهْدَامَ الْبَلَى، وَتَكَاءَ دَنَا ضَيْقُ الْمَضْجَعِ،
 وَتَوَارَتْنَا الْوَحْشَةَ، وَتَهَكَّمَتْ عَلَيْنَا الرُّبُوعُ الصُّمُوتُ، فَانْمَحَتْ مَحَاسِنُ أَجْسَادِنَا، وَتَنَكَّرَتْ
 مَعَارِفُ صُورِنَا، وَظَالَتْ فِي مَسَاكِينِ الْوَحْشَةِ إِقَامَتُنَا، وَلَمْ نَجِدْ مِنْ كَرْبٍ فَرَجًا، وَلَا مِنْ ضَيْقٍ
 مُتَسَعًا! فَلَوْ مَثَلْتَهُمْ بِعَقْلِكَ، أَوْ كَشِفْتَ عَنْهُمْ مَخْجُوبَ الْعِظَاءِ لَكَ، وَقَدِ أَرْتَسَخَتْ أَسْمَاعُهُمْ
 بِالْهَوَامِ فَاسْتَكَّتْ، وَآكَتْحَلَتْ أَبْصَارُهُمْ بِالشَّرَابِ فَخَسَفَتْ، وَتَقَطَّعَتِ الْأَلْسِنَةُ فِي أَفْوَاهِهِمْ
 بَعْدَ ذَلَالَتِهَا، وَهَمَدَتِ الْقُلُوبُ فِي ضُبُورِهِمْ بَعْدَ تَقَطُّعِهَا، وَعَاثَ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْهُمْ
 جَدِيدٌ بَلَى سَمَّجَهَا، وَسَهَّلَ طُرُقَ الْآفَةِ إِلَيْهَا، مُسْتَسَلِمَاتٌ فَلَا أَيْدٍ تَدْفَعُ، وَلَا قُلُوبَ تَجْزَعُ؛
 لَرَأَيْتُ أَشْجَانَ قُلُوبٍ، وَأَقْدَاءَ عُيُونٍ، لَهُمْ مِنْ كُلِّ فِطَاعَةٍ صِفَةٌ حَالٍ لَا تَنْتَقِلُ، وَغَمْرَةٌ
 لَا تَنْجَلِي، وَكَمْ أَكَلَتِ الْأَرْضُ مِنْ عَزِيزٍ جَسَدٍ، وَأَبِيقٍ لَوْنٍ، كَانَ فِي الدُّنْيَا غَدِيٌّ تَرَفٍ،
 وَرَبِيبٌ شَرَفٍ، يَتَعَلَّلُ بِالسُّرُورِ فِي سَاعَةِ حُزْنِهِ، وَيَفْرَعُ إِلَى السَّلْوَةِ إِنْ مُصِيبَةٌ نَزَلَتْ بِهِ، ضَنًّا
 بِغَضَارَةِ عَيْشِهِ، وَشَحَاحَةً بِلَهْوِهِ وَلَعِبِهِ؟! قَبِينَا هُوَ يَضْحَكُ إِلَى الدُّنْيَا وَتَضْحَكُ الدُّنْيَا إِلَيْهِ
 فِي ظِلِّ عَيْشِ غُفُولٍ، إِذْ وَطِئَ الدَّهْرُ بِهِ حَسَكُهُ وَنَقَضَتِ الْأَيَّامُ قُوَاهُ وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ الْحُتُوفُ
 مِنْ كَثَبٍ فَخَالَطَهُ بَثٌّ لَا يَعْرِفُهُ، وَنَجَى هَمٌّ مَا كَانَ يَجِدُهُ، وَتَوَلَّدَتْ فِيهِ فِتْرَاتٌ عِلَلٍ آنَسَ مَا
 كَانَ بِصِحَّتِهِ، فَفَرَعَ إِلَى مَا كَانَ عَوْدُهُ الْأَطْبَاءُ مِنْ تَسْكِينِ الْحَارِّ بِالْقَارِّ، وَتَحْرِيكِ الْبَارِدِ
 بِالْحَارِّ، فَلَمْ يُظْفِيْءَ بِيَارِدٍ إِلَّا ثَوْرَ حَرَارَةٍ، وَلَا حَرَكَ بِحَارٍ إِلَّا هَيْجَ بُرُودَةٍ، وَلَا أَعْتَدَلَ بِمُمَازِجٍ
 لَيْتَكَ الطَّبَائِعُ إِلَّا أَمَدَ مِنْهَا كُلَّ ذَاتٍ دَاءٍ، حَتَّى فَتَرَ مُعَلَّلُهُ، وَذَهَلَ مُمَرِّضُهُ، وَتَعَايَا أَهْلُهُ بِصِفَةِ
 دَائِهِ، وَخَرِسُوا عَنْ جَوَابِ السَّائِلِينَ عَنْهُ، وَتَنَازَعُوا دُونَهُ شَجِيَّ خَبَرٍ يَكْتُمُونَهُ: فَقَائِلٌ هُوَ

لِمَا بِهِ، وَمَمَّنْ لَهُمْ إِيَابَ عَافِيَتِهِ، وَمُصَبِّرٌ لَهُمْ عَلَى فَقْدِهِ، يُذَكِّرُهُمْ أَسَى الْمَاضِيْنَ مِنْ قَبْلِهِ. فَبَيِّنَمَا هُوَ كَذَلِكَ عَلَى جَنَاحٍ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا، وَتَرْكِ الْأَحِبَّةِ؛ إِذْ عَرَّضَ لَهُ عَارِضٌ مِنْ غُصْبِهِ فَتَحَيَّرَتْ نَوَافِدُ فِطْنَتِهِ، وَيَبَسَتْ رُطُوبَةُ لِسَانِهِ فَكَمَّ مِنْ مُهِمٍّ مِنْ جَوَابِهِ عَرَفَهُ فَعَيَّ عَنْ رَدِّهِ، وَدُعَاءِ مُؤَلِّمٍ لِقَلْبِهِ سَمِعَهُ فَتَصَامَ عَنْهُ: مِنْ كَبِيرٍ كَانَ يُعَظَّمُهُ، أَوْ صَغِيرٍ كَانَ يَرَحِمُهُ، وَإِنَّ يَلْمُوتِ لَعَمْرَاتٍ هِيَ أَفْطَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَعْرَقَ بِصِفَةٍ، أَوْ تَعْتَدِلَ عَلَى قُلُوبِ أَهْلِ الدُّنْيَا.

أقول: اللام في قوله ياله: لام الجر في المستغاث له، والمنادى محذوف. والمرام: المتعجب من بعده هو التكاثر اذ لا يتناهى والزور: المتعجب من غفلته هم زائروا المقابر، والخطر: المتعجب من فظاعته اى: شدته، هو خطر تلك الغفلة في الآخرة. والمذكر محل التذكير من الأموات والاعتبار بهم من آثارهم او حالهم الحاضرة. واستحلوا منهم اى: اتخذوا الاحياء من الاموات تخلية ذكر احوالهم دأبهم. و اى مذكر: استفهام على سبيل التعجب من ذلك المذكر في قوة افادته للعبارة. وتناوشوهم اى: تناولوهم من جهة بعيدة، وهى افتخار كل بأبيه، وقبيلته، ومكائرتة بالماضين من قومه الذين هم بعد الموت أبعد الناس عنه فى انفسهم و كما لا يتهم. واحججى: اولى بالحججى وهو العقل. ومقام الذلة مقام الاعتبار بهم، ومقام العزة مقام الافتخار بهم. و ابصار العشوة الابصار العاشية، والعشوة ركوب الامر على جهل، و اضافة الابصار اليها اضافة الموصوف الى الصفة. ويرتعون فيما لفظوا، اى يتمتعون فيما تركوه وراء ظهورهم من متاع الدنيا. والايام البواكى عليهم ايام الحياة. و سلف غايتكم و فراط مناهلكم اى: الذين سبقوكم اليها. والمناهل: الموارد. و مقاوم: جمع مقام لان ألفه منقلبة عن واو. و حلبات الفخر: جماعاته. و ملوكا: حال. والبرزخ: الحائل بين الشيئين و هو هنا ما بين الدنيا و الآخرة. و الفجوة: المتسع من الارض. و الضمار: الغائب الذى لا يرجى اياه. و يأذنون: يسمعون. و الآفا: جمع اليف. و عميت اخبارهم: انقطع اثرها. و صممت ديارهم: لم يسمع بها صوت، و هما مجازان فى الاسناد. و السبات: النوم. و قوله: فكلتا الغايتين اى: غاية المؤمنين و الكافرين و هما السعادة و الشقاوة. مدت اى: ضرب لها اجل ينتهون فيه الى مباءة: وهى المرجع، اما الجنة و اما النار فأت ذلك المرجع مبالغ الخوف و الرجاء عظمة. و الكلوح: تكشرفى

عبوس. والاهدام: جمع هدم وهو الثوب البالى. وتكادنا: شق علينا. وتهكمت: تهذمت. والاشجان الاحزان. وغضارة العيش: طيبه. ووطىء الدهر به حسكه كالمثل يضرب لمن يقع فى الشدائد. والبث: الهم، وآنس: حال وما: بمعنى المدة. وبصحته: متعلق بآنس اى: انس اوقاته بصحته. والقار: البارد. والأسى: جمع اسوة وهى الاقتداء. وعتدل على عقول اهل الدنيا اى: يستقيم تصورهما لهم. وباقى الفصل واضح، وباللله التوفيق.

٢١١ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاله عند تلاوته: (رِجَالٌ لَا تُلْهِبُهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ)

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الذِّكْرَ جَلَاءً لِلْقُلُوبِ، تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ، وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعِشْوَةِ، وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعَانَدَةِ، وَمَا بَرِحَ لِلَّهِ - عَزَّتْ الْأَوَةُ - فِي الْبُرْهَةِ بَعْدَ الْبُرْهَةِ وَفِي أَرْزَامِ الْفَتَرَاتِ عِبَادًا نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ، وَكَلَمَهُمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ، فَاسْتَضَبُّوا بِنُورِ يَقْظَةٍ فِي الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ وَالْأَفْسِدَةِ يُذَكِّرُونَ بِأَيَّامِ اللَّهِ، وَيُخَوِّفُونَ مَقَامَهُ، بِمَنْزِلَةِ الْأَدِلَّةِ فِي الْفَلَوَاتِ، مَنْ أَخَذَ الْقَصْدَ حَمِدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ، وَبَشَرُوهُ بِالتَّجَارَةِ، وَمَنْ أَخَذَ يَمِينًا وَشِمَالًا ذَمُّوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ وَحَدَّرُوهُ مِنَ الْهَلَكَةِ، وَكَانُوا كَذَلِكَ مَصَابِيحَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ، وَأَدِلَّةَ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ، وَإِنَّ لِلذِّكْرِ لِأَهْلًا أَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلًا، فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْهُ: يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ، وَيَهْتَفُونَ بِالزَّوْجِرِ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فِي أَسْمَاعِ الْغَافِلِينَ، وَيَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ وَيَأْتَمِرُونَ بِهِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ، فَكَأَنَّمَا قَطَعُوا الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ وَهُمْ فِيهَا فَشَاهَدُوا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ، فَكَأَنَّمَا أَظْلَعُوا غُيُوبَ أَهْلِ الْبَرَزِخِ فِي طُولِ الْإِقَامَةِ فِيهِ، وَحَقَّقَتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا، فَكَشَفُوا غِظَاءَ ذَلِكَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا حَتَّى كَانَتْهُمْ يَرُونَ مَا لَا يَرَى النَّاسُ، وَيَسْمَعُونَ مَا لَا يَسْمَعُونَ. فَلَوْ مَثَلْتُهُمْ لِعَقْلِكَ فِي مَقَاوِمِهِمُ الْمُحْمُودَةِ، وَمَجَالِسِهِمُ الْمَشْهُودَةِ، وَقَدْ نَشَرُوا دَوَابِينَ أَعْمَالِهِمْ، وَفَرَعُوا لِمَحَاسِبِهِمْ أَنْفُسِهِمْ عَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ أَمَرُوا بِهَا فَقَصَرُوا عَنْهَا، أَوْ نَهَوْا عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيهَا، وَحَمَلُوا ثِقَلَ أَوْزَارِهِمْ ظُهُورَهُمْ، فَضَعُفُوا عَنِ الْإِسْتِقْلَالِ بِهَا،

فَتَشَجُّوا نَشِيَجًا، وَتَجَاوَبُوا نَجِيَبًا، يَعْجُونَ إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ مَقَارِمِ نَدَمٍ وَأَعْتِرَافِي؛ لَرَأَيْتَ أَغْلَامَ هُدًى، وَمَصَابِيحَ دُجَى قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ، وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَفُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَأُعِدَّتْ لَهُمْ مَقَاعِدُ الْكَرَامَاتِ، فِي مَقَامٍ أَطَّلَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ فَرَضِي سَعِيهِمْ، وَحَمِدَ مَقَامَهُمْ، يَتَنَسَّمُونَ بِدُعَائِهِ رَوْحَ التَّجَاوُزِ، رَهَائِنُ فَاقَةِ إِلَى فَضْلِهِ، وَأَسَارَى ذِلَّةٍ لِعَظَمَتِهِ، جَرَحَ طَوْلُ الْأَسَى قُلُوبَهُمْ، وَطَوْلُ الْبُكَاءِ عُيُونَهُمْ، لِكُلِّ بَابٍ رَغْبَةٌ إِلَى اللَّهِ مِنْهُمْ يَدٌ قَارِعَةٌ، يَسْأَلُونَ مَنْ لَا تَضِيقُ لَدَيْهِ الْمَنَادِحُ، وَلَا يَخِيبُ عَلَيْهِ الرَّاغِبُونَ، فَحَاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ؛ فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ الْأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ غَيْرُكَ .

اقول: الذكر: هو القرآن الكريم، وقيل: هو ذكر الله مطلقًا. والمنتفع به ما كان قلبيا مع دوامه فإنه بذلك يستلزم محبة المذكور، والاعراض عما سواه. واستعار لفظ الجلاء: لازالة كل ما سوى المذكور عن لوح القلب بالذكر وتسمع به وتبصر اى: ما تدرك، مما ينبغى ان يسمع من المواعظ ويبصر من العبر بعد وقره بالجهل وعشوته. والوقره: الصمم. والعشوة: ظلمة العين، والبرهة: المدة الطويلة. وذلت عقولهم انفسهم الناطقة وتكليمهم: بالافاضة والالهام ونور اليقظة فى الاسماع اضاءة عقولهم: بالفوائد المسموعة وفى الأبصار اضاءتها من قبل العبر المبصرة. وفى الافئدة: ادراكها للمعقولات وتكلمها بها والقصد لزوم الفضيلة فى القوى العقلية والنفسانية. واليمين والشمال: الانحراف عنها الى جانبى الافراط والتفريط منها. وقوله: وحققت القيامة عليهم عدايتها اى: بطول ذكرهم للأخرة ينزل الموعود عندهم من امور القيامة منزلة الواقع المحقق. و مقاوم: جمع مقام وهو مقامهم بين يدي ربهم فى خلواتهم به. والنشيج: الغصص بالبكاء دون التحيب. والعج: رفع الصوت. والسكينة: مرتبة للسالكين سبق ذكرها. والتنسم انتظار النسيم. والفاقة: الفقر وكنى بالايدي القارعة عن الدعوات فى طلب ما يرغب الى الله فيه من افاضته العالية. والمنادح: جمع مندح وهو المتسع. والفصل من افصح العبارات. واغررها مقاصدها.

٢١٢ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاله عند تلاوته: (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ)

أَذْحَضُ مَسْئُولٍ حُجَّةً، وَأَقْطَعُ مُعْتَرٍ مَعْدِرَةً، لَقَدْ أَبْرَحَ جَهَالَةً بِنَفْسِهِ.

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ، مَا جَرَّكَ عَلَى ذَنْبِكَ، وَمَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ، وَمَا آتَاكَ بِهَلَكَةِ نَفْسِكَ؟
 أَمَا مِنْ دَائِكَ بُلُوكَ، أَمْ لَيْسَ مِنْ نَوْمِكَ يَقِظَةٌ؟ أَمَا تَرْحَمُ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَرْحَمُ مِنْ غَيْرِكَ؟
 فَرُبَّمَا تَرَى الضَّاحِيَ مِنْ لِحْرِ الشَّمْسِ فَتُظِلُّهُ، أَوْ تَرَى الْمُبْتَلَى بِالْأَمِّ يُمِضُ جَسَدَهُ، فَتُبْكِي
 رَحْمَةً لَهُ، فَمَا صَبَّرَكَ عَلَى دَائِكَ، وَجَلَدَكَ عَلَى مُصَابِكَ، وَعَزَّالَكَ عَنِ الْبُكَاءِ عَلَى نَفْسِكَ وَهِيَ
 أَعَزُّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكَ؟ وَكَيْفَ لَا يُوقِظُكَ خَوْفُ بَيَاتِ نِقْمَةٍ، وَقَدْ تَوَرَّطْتَ بِمَعَاصِيهِ مَذَارِجِ
 سَطَوَاتِهِ، فَتَدَاوَى مِنْ دَاءِ الْفُسْرَةِ فِي قَلْبِكَ بِعَزِيمَةٍ، وَمِنْ كَرَى الْعَفْلَةِ فِي نَاطِرِكَ بِيقِظَةٍ، وَكُنْ
 لِلَّهِ مُطِيعًا، وَبِذِكْرِهِ آتِسًا، وَتَمَثَّلْ فِي حَالِ تَوَلِّيكَ عَنْهُ إِقْبَالَهُ عَلَيْكَ: يَدْعُوكَ إِلَى عَفْوِهِ،
 وَيَتَغَمَّدُكَ بِفَضْلِهِ، وَأَنْتَ مُتَوَلِّ عَنَّهُ إِلَى غَيْرِهِ، فَتَعَالَى مِنْ قَوِيٍّ مَا أَكْرَمَهُ، وَتَوَاضَعْتَ مِنْ
 ضَعِيفٍ مَا أَجْرَأَكَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، وَأَنْتَ فِي كَنْفِ سِرِّهِ مُقِيمٌ، وَفِي سَعَةِ فَضْلِهِ مُتَقَلِّبٌ، فَلَمْ
 يَمْنَعَكَ فَضْلُهُ، وَلَمْ يَهْتِكْ عَنْكَ سِرَّهُ، بَلْ لَمْ تَخُلْ مِنْ لُظْفِهِ مَظْرَفَ عَيْنٍ فِي نِعْمَةٍ يُحْدِثُهَا
 لَكَ، أَوْ سَيِّئَةٍ يَسْتُرُهَا عَلَيْكَ، أَوْ بَلِيَّةٍ يَصْرِفُهَا عَنْكَ!! فَمَا ظَنُّكَ بِهِ لَوْ أَطَعْتَهُ، وَأَيُّمَ اللَّهُ لَوْ أَنَّ هَذِهِ
 الصِّفَّةَ كَانَتْ فِي مُتَفَقِّحِينَ فِي الْقُوَّةِ، مُتَوَازِنِينَ فِي الْقُدْرَةِ؛ لَكُنْتَ أَوَّلَ حَاكِمٍ عَلَى نَفْسِكَ
 بِذَمِيمِ الْأَخْلَاقِ، وَمَسَاوِي الْأَعْمَالِ. وَحَقًّا أَقُولُ مَا الدُّنْيَا غَرَّتَكَ، وَلَكِنْ بِهَا أَغْتَرَرْتَ، وَلَقَدْ
 كَاشَفْتُكَ الْعِظَاتُ، وَأَذْنُكَ عَلَى سِوَاءٍ، وَلَهِيَ بِمَا تَعِدُّكَ مِنْ نُزُولِ الْبَلَاءِ بِجِسْمِكَ،
 وَالنَّقْصِ فِي قُوَّتِكَ؛ أَصْدَقُ وَأَوْفَى مِنْ أَنْ تُكْذِبَكَ، أَوْ تَغُرَّكَ، وَلَرُبَّ نَاصِحٍ لَهَا عِنْدَكَ
 مُتَّهَمٌ، وَصَادِقٍ مِنْ خَبَرِهَا مُكْذَبٌ، وَلَيْنَ تَعَرَّفْتَهَا فِي الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ، وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ؛
 لَتَجِدَنَّهَا مِنْ حُسْنِ تَذْكِيرِكَ، وَبِلَاغِ مَوْعِظَتِكَ، بِمَحَلَّةِ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ، وَالشَّجِيعِ بِكَ، وَلِنِعْمَ
 دَارٌ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِهَا دَارًا، وَمَحَلٌّ مَنْ لَمْ يُوَظَّنْهَا مَحَلًّا! وَإِنَّ السُّعْدَاءَ بِالدُّنْيَا عُدَا
 هُمْ الْهَارِبُونَ مِنْهَا الْيَوْمَ.

إِذَا رَجَعْتَ الرَّاجِفَةَ، وَحَقَّتْ بِجَلَالِهَا الْقِيَامَةُ، وَلَحِقَ بِكُلِّ مَنَسَلِكٍ أَهْلُهُ وَبِكُلِّ مَعْبُودٍ

عَبَدَتُهُ، وَبِكُلِّ مُطَاعٍ أَهْلُ طَاعَتِهِ، فَلَمْ يُجْزَفِي عَدْلِهِ وَقَسَطِهِ يَوْمَئِذٍ خَرَقُ بَصْرِ فِي الْهَوَاءِ،
وَلَا هَمْسُ قَدَمٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا بِحَقِّهِ. فَكَمْ حُجَّةٍ يَوْمَ ذَلِكَ دَاحِضَةٌ، وَعَلَائِقُ عُذْرٍ مُنْقَطِعَةٌ،
فَتَحَرَّ مِنْ أَمْرِكَ مَا يَقُومُ بِهِ عُذْرُكَ، وَتَثَبَّتْ بِهِ حُجَّتُكَ، وَخُذْ مَا يَبْقَى لَكَ مِمَّا لَا تَبْقَى لَهُ،
وَتَيَسَّرْ لِسْفَرِكَ، وَشِمُّ بَرَقِ النَّجَاةِ، وَأَرْحَلْ مَطَايَا التَّشْمِيرِ.

اقول: دحض الحجة: بطلانها. وأبرج جهالة بنفسه: بالغ في تحصيل جهالتها و
اعجبه ذلك. و لما كانت الهلكة في الآخرة بمحبة الدنيا وباطلها، و كان الانسان شديد
الانس بها صدق تعجبه من أنسه بهلكة نفسه. والبلول: الصحة. والضاحي: البارز. و
قوله: فربما. الى قوله: رحمة له في قوة ضمير احتج به على وجوب رحمته لنفسه، و تقدير
كبراه و كل من يرحم غيره فاولى ان يرحم نفسه من بلاء يقع فيه. والجلد: القوة.
والمدرج: الطرق. والتمثل: التصور. وتعمده قصده. وقوله: وايم الله الى قوله الاعمال:
اي لو كان هذا الوصف المذكور من اقبال الله عليك، و ادبارك عنه، و وصف مثلين
من الناس في القوة والقدرة والمنزلة وانت المسمى منهما لكان فيما ينبغي لك من الحياء
والانفة ان تكون اول حاكم على نفسك بتقصيرها و قبح اعمالها، و انما تغره الدنيا اذا
لم يخلق في العناية الالهية كذلك و غروره بهاظنه ان المقصود منها هي لذاتها الحاضرة،
و مكاشفاتها بالعظات ظهور ما ينبغي الاتعاظ به من الغير والتصاريف اللازمة لها،
و آذنتك على سواء اي: اعلمتك على عدل منها تصاريفها اذ كان ذلك مقتضى خلقها
بعدل من الله و حكمة، و تعرفها اعتبار تصاريفها. و محلة الشفيق: منزلته و قد اضاف اسم
نعم. و يئس هنا الى ما آيس فيه الالف واللام كقوله فنعم: صاحب قوم لاسلاح لهم. و
جمع بين اسم الجنس والنكرة التي تبدل منه و قد جاء مثله: فنعم الزاد زاد ابيك زادا.
والراجفة قيل: هي النفخة الاولى في الصور. و جلائلها: احوالها العظيمة جمع جليلة.
و المنسك: محل العبادة، و هو اشارة الى لحوق كل نفس يوم القيامة بمعبودها و مقصدها
في الدنيا و ما احبته فيها، كما قال صلى الله عليه و آله: (لواحب احدكم حجراً لحشر
معه). و خرق البصر في الهواء: لمحاه. و تيسر لسفره: استعداده بالرياضة للسفر الى
الآخرة، و ان يشم برق النجاة اي: يوجه بصر عقله الى استلامه انوار الهداية المنجية.

وَاللَّهِ لَأَنَّ أَبِيئْتِ عَلَيَّ حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّدًا، وَأَجْرَفِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّدًا أَحَبُّ إِلَيَّ
 مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِمًا لِبَعْضِ الْعِبَادِ، وَغَاصِبًا لِمَنْ مِنْ الْحُطَّامِ،
 وَكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَدًا لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى الْبَلَى قَوْلُهَا، وَيَطْوِي فِي الثَّرَى حُلُولُهَا؟!
 وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلًا، وَقَدْ أَمْلَقَ حَتَّى اسْتَمَّا حَنِي مِنْ بَرِّكُمْ صَاعًا، وَرَأَيْتُ صَبِيَانَهُ
 شُعْتَ الشُّعُورِ، غُبَرَ الْأَلْوَانِ مِنْ فَقْرِهِمْ، كَأَنَّمَا سُودَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ؛ وَعَا وَدَنِي مُوَكَّدًا،
 وَكَرَّرَ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدَّدًا؛ فَأَضْغَيْتُ إِلَيْهِ سَمْعِي فَظَنُّنِي أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي، وَأَتَّبِعُ قِيَادَهُ، مُفَارِقًا
 ظَرِيقَتِي؛ فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً، ثُمَّ أَذْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا، فَضَجَّ صَجِيحَ ذِي دَنْفٍ مِنْ
 أَلْمِهَا، وَكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مَيْسِمِهَا. فَقُلْتُ لَهُ: تَكِلْكَ الثَّوَاكِلُ يَا عَقِيلُ، أَتَنْنُ مِنْ حَدِيدَةٍ
 أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلْعَبِي، وَتَجْرُنِي إِلَى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِعَضْبِهِ؟ أَتَنْنُ مِنَ الْأَذَى وَلَا أَيْنُ
 مِنْ لَظِي؟! وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ طَارِقُ طَرَفِنَا بِمَلْفُوفَةٍ فِي وَعَائِهَا، وَمَعْجُونَةٍ شَنِتُّهَا، كَأَنَّمَا
 عُجِنَتْ بِرِيْقِ حَيَّةٍ أَوْقَيْتُهَا، فَقُلْتُ: أَصَلَةٌ، أَمْ زَكَاةٌ، أَمْ صَدَقَةٌ؟؟؟ فَذَلِكَ مُحْرَمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ
 الْبَيْتِ، فَقَالَ: لَأَذَا وَلَا ذَاكَ، وَلَكِنَّهَا هَدِيَّةٌ، فَقُلْتُ: هَبْلِكَ الْهَبُولُ، أَعَنْ دِينَ اللَّهِ أَتَيْتَنِي
 لِتَخَذَ عَيْنِي؟ أَمْخَبَّطُ، أَمْ دُوجِئِي، أَمْ تَهْجُرِي؟ وَاللَّهِ لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ
 أَفْلَاكِهَا عَلَيَّ أَنْ أَعْصِيَ اللَّهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جِلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُ، وَإِنْ دُنِيَاكُمْ عِنْدِي
 لِأَهْوَى مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمٍ جَرَادَةٍ تَقْضُمُهَا، مَا لِعَلِيَّ وَلِنَعِيمٍ يَفْتَنِي، وَلَذَّةٍ لَا تَبْقَى نَعُودًا بِاللَّهِ مِنْ
 سُبَاتِ الْعَقْلِ، وَقُبْحِ الزَّلْلِ، وَبِهِ نَسْتَعِينُ.

اقول: السعدان: نبت. والمُصَفَّد: الموثوق غللاً. والقفول: الرجوع من السفر.
 والاستماحة: طلب المنح وهو العطاء. والعِظْلِم: شجر يصبغ به، قيل هو النيل. وميسمها:
 اثرها، وانسانها اي الذي احماها والاضافة تكفى فيها بأدنى سبب. واعجب من ذلك
 اي: من عقيل. والطارق: الآتى ليلاً. والملفوفة: هدية اتى بها قيل: كانت شيئاً من حلوا
 العسل. وشننتها: ابغضتها، وشبهاها في بغضه لها بما عُجِنَ بالسَّم، وذلك لما تصوّره من
 ارادة مهديها بها من الميل معه في امرٍ دنيويّ يستلزم الظلم. وهبلته الهبول: ثكلته

الثواكل. والخباط: داء كالجنون وليس به. والمختبط: الذى يطلب معروفك من غير سابق معرفة له معك. والجنة: الجنون. والهجر: الهديان. وجلب الشعيرة: قشرها. و غرض الفصل التبرى من الظلم، و ذلك يشبه ان يكون لما فهم من صاحب الهدية ان يلتمس منه امرًا يستلزم ظلم احد فأيسسه بهذا القول من ذلك، والله اعلم.

٢١٤ - وَمِنْ دُعَائِهِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

اللَّهُمَّ صُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ، وَلَا تَبْدُلْ جَاهِي بِالْإِقْتَارِ، فَاسْتَرْزِقْ طَالِبِي رِزْقِكَ، وَأَسْتَعِظْ شِرَارَ خَلْقِكَ، وَأُبْتَلَى بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي، وَأَفْتَنَّ بِدَمِّ مَنْ مَتَعَنِي، وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ كُلِّهِ وَلِيُّ الْأَعْظَاءِ وَالْمَنْعِ (إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

اقول: الغنى المطلوب لمثله عليه السلام هو: ما دفع الحاجة حسب الاقتصاد، والفنائة، والجاه المطلوب هو ما اعان على طاعة الله ورفع عن رذيلة المهانة لا ما يريد به الفخر من المباهاة الدنيوية. والفصل ظاهر.

٢١٥ - وَمِنْ حُطْبَةِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

دَارَ بِالْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ، وَبِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ، لَا تَدُومُ أَحْوَالُهَا، وَلَا تَسْلَمُ نَزَالُهَا، أَحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ، وَتَارَاتٌ مُتَصَرِّفَةٌ، الْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ، وَالْأَمَانُ فِيهَا مَعْدُومٌ، وَإِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدَفَةٌ، تَرْمِيهِمْ بِسَهَامِهَا، وَتَفْنِيهِمْ بِحِمَامِهَا. وَأَعْلَمُوا، عِبَادَ اللَّهِ؛ أَنْكُمْ وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلٍ مَنْ قَدْ مَضَى قَبْلَكُمْ، مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ، مِنْكُمْ أَعْمَارًا وَأَعْمَرَ دِيَارًا، وَأَبْعَدَ آثَارًا، أَصْبَحَتْ أَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةً، وَرِيَاحُهُمْ رَاكِدَةً، وَأَجْسَادُهُمْ بَالِيَةً، وَدِيَارُهُمْ خَالِيَةً، وَآثَارُهُمْ عَافِيَةً، فَاسْتَبَدُّوا بِالْقُصُورِ الْمُشِيدَةِ، وَالتَّمَارِقِ الْمُمَهَّدَةِ، الصُّخُورِ وَالْأَحْجَارِ الْمُسْتَدَّةِ، وَالْقُبُورِ اللَّاطِئَةِ الْمُلْحَدَةِ، الَّتِي قَدُّبُنِي بِالْخَرَابِ فِتَاؤُهَا، وَشِيدَ بِالتَّرَابِ بِنَاؤُهَا، فَمَحَلُّهَا مُقْتَرِبٌ، وَسَاكِنُهَا مُغْتَرِبٌ، بَيْنَ

أَهْلٍ مَحَلَّةٍ مُوحِشِينَ، وَأَهْلٍ فَرَاغٍ مُتَشَاعِلِينَ، لَا يَسْتَأْذِنُونَ بِالْأَوْطَانِ، وَلَا يَتَوَاصَلُونَ تَوَاصُلَ الْجِيرَانِ، عَلَى مَا بَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ الْجَوَارِ، وَدُنُو الدَّارِ، وَكَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَزَاوُرٌ وَقَدْ طَحَنَهُمْ بِكَلْكَلِهِ الْبَلَى، وَأَكَلْتَهُمُ الْجَنَادِلُ وَالثَّرَى؟ وَكَأَن قَدْ صِرْتُمْ إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ، وَأَزْتَهَنْكُمْ ذَلِكَ الْمَضْجَعُ، وَضَمَّكُمْ ذَلِكَ الْمُسْتَوْدَعُ، فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ تَنَاهَتْ بِكُمْ الْأُمُورُ وَبُعْثِرَتْ الْقُبُورُ؟ (هَذَا لَكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مُوَلِّيهُمْ الْحَقُّ، وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ)!

اقول: حاصل الفصل النفير عن الدنيا بذكر معايبها. والجذب بذلك الى استعمالها على الوجه المطلوب لله من وجودها. ولفظ الغدر: مستعار لزينتها الظاهرة المستعقبة للهلاك في الآخرة. والتارة: المرة. والمستهدفة اى: جعلت هدفا وهو الغرض. وابد آثارا، اى: ابعد ان ينال او يقدر على مثلها لعظمتها. وركود رياحهم: كناية عن سكون احوالهم و خمول ذكرهم. والنمارق: جمع نمرق، ونمرقة، وهى وسادة صغيرة. والواو: فى وساكنها يشبه ان يكون للحال. والكلكل: الصدر وهو مستعار. والبعثرة: النباش والتفريق. وتبلو: تختبر.

مركز تحقيقات كميوتير علوم اسلامی

٢١٦ - وَمِنْ دُعَائِهِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

اللَّهُمَّ إِنَّكَ آتَسُ الْآيِسِينَ لِأَوْلِيَائِكَ، وَأَخْضَرُهُمْ بِالْكِفَايَةِ لِلْمُسْتَوْكِلِينَ عَسَلِيكَ، تُشَاهِدُهُمْ فِي سَرَائِرِهِمْ، وَتَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ فِي ضَمَائِرِهِمْ، وَتَعْلَمُ مَبْلَغَ بَصَائِرِهِمْ، فَأَسْرَارُهُمْ لَكَ مَكْشُوفَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ إِلَيْكَ مَلْهُوفَةٌ، إِنْ أَوْحَشْتَهُمُ الْغُرْبَةَ آنَسَهُمْ ذِكْرُكَ، وَإِنْ صَبَّتْ عَلَيْهِمُ الْمَصَائِبُ لَجَأُوا إِلَى الْإِسْتِجَارَةِ بِكَ عِلْمًا بِأَنَّ أَرْمَةَ الْأُمُورِ بِيَدِكَ، وَمَصَادِرُهَا عَنْ قَضَائِكَ.

اللَّهُمَّ إِنْ فَهَيْتُ عَنْ مَسْأَلَتِي، أَوْ عَمِيَّتْ عَنْ طِلْبَتِي، فَذُلِّي عَلَى مَصَالِحِي، وَخُذْ بِقَلْبِي إِلَى مَرَاشِدِي، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِشُكْرٍ مِنْ هِدَايَاتِكَ، وَلَا بِيَدْعٍ مِنْ كِفَايَاتِكَ.

اللَّهُمَّ احْمِلْنِي عَلَى عَفْوِكَ، وَلَا تَحْمِلْنِي عَلَى عَدْلِكَ.

أقول: إنما كان تعالى آنس الأنسين لأوليائه لانقطاعهم اليه عمّن سواه. ولهف القلوب^١ تحسرها على الوصول اليه. والغربة الموحشة لهم: غربتهم في الدنيا اذا كان مقصدهم الأصلي هو حضرة القدس. والفهاهة العي. والعمّة: التحير.

٢١٧ - وَمَنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

لِلَّهِ بِلَاءٌ فُلَانٌ، فَقَدْ قَوْمَ الْأَوْدِ، وَدَاوَى الْعَمَدَ، أَقَامَ السُّنَّةَ، وَخَلَفَ الْفِتْنَةَ، ذَهَبَ نَفْسِي الثُّوبِ، قَلِيلَ الْعَيْبِ، أَصَابَ خَيْرَهَا، وَسَبَقَ شَرَّهَا، أَدَى إِلَى اللَّهِ طَاعَتَهُ، وَأَتَقَاهُ بِحَقِّهِ، رَحَلَ وَتَرَكَهُمْ فِي طُرُقٍ مُتَشَعِّبَةٍ: لَا يَهْتَدِي فِيهَا الضَّالُّ، وَلَا يَسْتَيْقِنُ الْمُهْتَدِي.

أقول: يقال لله بلاء فلان، كما يقال لله دره، والله أبوه، وهي كلمة مدح، قيل: اراد به عمراً وقيل: بعض الصحابة ممن جاهد في دين الله. والأود: الإعوجاج. والعمد: مرض يأخذ الابل في اسنمتها، وهو مستعار للأمراض القلوب ومداواتها بالزواجر القولية والفعلية. ونقاء ثوبه: كناية عن طهارته من المطاعن، والضمير في خيرها وشرها: للخلافة وان لم يجز ذكرها لكونها معهودة او لتقدم ذكرها. والطرق المتشعبة: طرق الفتنة.

٢١٨ - وَمَنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

في وصف بيعته بالخلافة، وقد تقدم مثله بألفاظ مختلفة

وَبَسَطْتُمْ يَدِي فَكَفَفْتُمَهَا، وَمَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُمَهَا، ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ عَلَيَّ تَدَاكَ الْإِبِلِ الْهَيْمِ عَلَى حِيَاضِهَا يَوْمَ وُرُودِهَا، حَتَّى انْقَطَعَتِ النَّعْلُ، وَسَقَطَ الرِّدَاءُ، وَوُطِئَ الضَّعِيفُ، وَبَلَغَ

١ - في ش: قلوبهم.

٢ - عبارات الخطبة والفاظ الكلام تدل بصراحة ان المقصود لم يكن عمر... وتكذيبها الخطبة الشقشقية التي

تحامل الامام عليه السلام فيها على عمر...

مِنْ سُرُورِ النَّاسِ بِبَيْعَتِهِمْ إِيَّائِي أَنْ ابْتَهَجَ بِهَا الصَّغِيرُ، وَهَدَجَ إِلَيْهَا الْكَبِيرُ، وَتَحَامَلَ نَحْوَهَا
الْعَلِيلُ، وَحَسَرَتْ إِلَيْهَا الْكِعَابُ!

اقول: التذالك: الازدحام. والهيم: العطاش. والهدج: مشية الشيخ وهو مشى في
ارتعاش، والتحامل: تكلف المشى مع مشقة، وحسرت: كشفت وجهها. والكعاب:
بالفتح التي نهد ثديها. والفصل احتجاج على من خالفه من البغاة وهو في قوة صغرى
ضمير، تقدير كبراه و كل ما فعلتم به ذلك فليس لكم ان تختلفوا عليه من بعد وتكنثوا بيعته.

٢١٩ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ، وَذَخِيرَةُ مَعَادٍ، وَعِشْقُ مِنْ كُلِّ مَلَكَةٍ، وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ
هَلَكَةٍ، بِهَا يَنْجَحُ الطَّالِبُ، وَيَنْجُو الْهَارِبُ، وَتُنَالُ الرَّغَائِبُ، فَاعْمَلُوا وَالْعَمَلُ يُرْفَعُ، وَالتَّوْبَةُ
تَنْفَعُ، وَالِدُّعَاءُ يُسْمَعُ، وَالْحَالُ هَادِيَةٌ، وَالْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ، وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ عُمْرًا نَاكِسًا، أَوْ
مَرَضًا حَابِسًا، أَوْ مَوْتًا خَالِسًا؛ فَإِنَّ الْمَوْتَ هَادِمٌ لِنَدَائِكُمْ، وَمُكَدِّرٌ شَهَوَاتِكُمْ، وَمُبَاعِدٌ
طِبَائِكُمْ، زَائِرٌ غَيْرُ مَحْبُوبٍ، وَقَرْنٌ غَيْرُ مَغْلُوبٍ، وَوَائِرٌ غَيْرُ مَطْلُوبٍ، قَدْ أَعْلَقْتُكُمْ حَبَائِلَهُ،
وَتَكَنَّفْتُكُمْ غَوَائِلَهُ، وَأَقْصَدْتُكُمْ مَعَابِلَهُ، وَعَظَّمْتُ فِيكُمْ سَطْوَتَهُ، وَتَتَابَعَتْ عَلَيْكُمْ عَدْوَتُهُ،
وَقَلَّتْ عَنْكُمْ نَبْوَتُهُ، فَيُوشِكُ أَنْ تَغْشَاكُمْ دَوَاجِي ظُلْمِهِ، وَاحْتِدَامُ عِلْلِهِ، وَحَنَادِسُ عَمْرَاتِهِ،
وَعَوَاشِي سَكَرَاتِهِ، وَأَلِيمُ إِزْهَاقِهِ، وَدُجُوبُ إِطْبَاقِهِ، وَجُشُوبَةُ مَذَاقِهِ، فَكُنْ قَدْ أَتَاكُمْ بَغْتَةً،
فَأَسَكَّتْ نَجِيَّتَكُمْ، وَفَرَّقَ نَدِيَّتَكُمْ، وَعَفَى آثَارَكُمْ، وَعَظَّلَ دِيَارَكُمْ، وَبَعَثَ وُرَائِكُمْ بِقَسْمُونَ
تُرَائِكُمْ، بَيْنَ حَمِيمٍ خَاصٍّ لَمْ يَنْفَعِ، وَقَرِيبٍ مَخْزُونٍ لَمْ يَمْنَعِ، وَآخِرَ شَامِتٍ لَمْ يَجْزَعْ،
فَعَلَيْكُمْ بِالْجِدِّ وَالْإِجْتِهَادِ، وَالتَّأَهُبِ وَالِاسْتِعْدَادِ، وَالتَّرْوُدِ فِي مَثَرِ الزَّادِ، وَلَا تَغْرَبِكُمُ الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا كَمَا غَرَّتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ، وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ، الَّذِينَ اخْتَلَبُوا
دِرَّتَهَا، وَأَصَابُوا غِرَّتَهَا، وَأَفْتَوْا عِدَّتَهَا، وَأَخْلَقُوا جِدَّتَهَا، أَصْبَحَتْ مَسَاكِينُهُمْ أَجْدَاثًا، وَأَمْوَالُهُمْ
مِيرَاثًا، لَا يَعْرِفُونَ مَنْ أَنَاهُمْ، وَلَا يَحْفَلُونَ مَنْ بَكَاهُمْ، وَلَا يُجِيبُونَ مَنْ دَعَاهُمْ، فَاخْذَرُوا

١ - جاء الكلام هذا بصورة مفصلة في كتاب (المعيار والموازنة) ص ٥٠.

الدُّنْيَا؛ فَإِنَّهَا غَدَارَةٌ غَرَارَةٌ خَدُوعٌ، مُعْطِيَةٌ مُنْوعٌ، مُلْبِسَةٌ نَزُوعٌ، لَا يَدُومُ رِخَاؤُهَا، وَلَا يَنْقَضِي عَتَاؤُهَا، وَلَا يَرْكُدُ بِلَاؤُهَا.

اقول: السداد: استقامة العبد على طريق الله الى جنته، والتقوى مفتاح ذلك، وفي لزومها عتق للعبد من ملكات السوء وهلكات الآخرة والمطالب في الدنيا والآخرة. والهارب اي: من عذاب الله. والاقلام: اقلام الكرام الكاتبين. وعمرا ناكسا، اي: رادا ان طال بصاحبه الى الضعف والعجز عن العمل كقوله تعالى: (وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ) ^١ وقوله: (وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمْرِ) الآية ^٢. والخالس: المختطف. والطيّات: جمع طيّة بالكسر، وهي منزل السفر. والوتر: الحقد والغضب. والتكتف: الاحاطة. والفوائل: المصائب. والمعابل: جمع معبلة بكسر الميم، وهي نصل طويل عريض. وعدوته: ظلمه. ونبا السيف اذا لم يؤثر في الضربة. ودواجي ظلمه: مظلمات سحابه. والاحتدام: شدة الحدة. وارهاقه: اعجاله. والجشوبة: بالجيم غلظ الطعام. والنجى: القوم يتناجون. والندى: القوم يجتمعون في النادي وهو مجتمعهم. ومنزل الزاد الدنيا اذ هي منزل زاد الآخرة. وغرتها: مستعار لأيام السلامة فيها. ويحفلون: يبالون. وركد: سكن.

منها في صفة الزهاد.

كَانُوا قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا، فَكَانُوا فِيهَا كَمَنْ لَيْسَ مِنْهَا: عَمِلُوا فِيهَا بِمَا يُبْصِرُونَ، وَبَادَرُوا فِيهَا مَا يَخْذَرُونَ، تَقَلَّبُ أَيْدَانُهُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِي أَهْلِ الْآخِرَةِ، يَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُعْظَمُونَ مَوْتَ أَجْسَادِهِمْ، وَهُمْ أَشَدُّ إِعْظَامًا لِمَوْتِ قُلُوبِ أَحْيَائِهِمْ.

اقول: الاشارة الى بعض اصحابه الذين درجوا قبله و كونهم من الدنيا بأبدانهم و مشاركتهم الضرورية لأهلها، وليسوا من أهلها بقلوبهم، لاستغراقها في محبة الله و مطالعة

١ - سورة يس / ٦٨.

٢ - سورة النحل / ٧٠. سورة الحج / ٥.

انوار كبريائه، وعملهم بما يبصرون اى: من انوار العلم القائدة لهم فى سبيل الله، و مبادرتهم فى الدنيا لما يحذرون مسارعتهم الى الأعمال الصالحة دفعا لما يحذرون من عذاب الآخرة. وقوله: تقلب، الى قوله: الآخرة اى: تنقلب. والمراد ان دأبهم معايشة اهل الآخرة العاملين لهادون غيرهم. ويحتمل ان يريد أنهم مع سائر الناس بسأبدانهم كما سبق. والناس اهل الآخرة باعتبار مصيرهم اليها. وبين ظهرانيتهم: بفتح النون اى بينهم. وقوله: يرون، الى آخره: فرق بينهم، وبين اهل الدنيا اذ كانوا لا يرون وراء كمال اجسادهم كمالا. فهم يُعظمون موتها، واما الزهاد فيها فهم اشد اعظاما لموت قلوب احيائهم اذ لا يرون كمالا فوق كمال القلوب.

٢٢٠ - وَمَنْ حُطِبَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

خطبها بنى قار، وهو متوجه إلى البصرة، ذكرها الواقدي فى كتاب الجمل

فَصَدَعَ بِمَا أَمْرَبَهُ، وَبَلَغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ، فَلَمَّ اللَّهُ بِهِ الصَّدْعَ، وَرَتَّقَ بِهِ الْفُتْقَ، وَأَلَّفَ بَيْنَ ذَوَى الْأَرْحَامِ، بَعْدَ الْعَدَاوَةِ الْوَاعِرَةِ فِي الصُّدُورِ، وَالضَّغَائِنِ الْقَادِحَةِ فِي الْقُلُوبِ.

أقول: الفصل من مباحث الرسول صلى الله عليه وآله. وصدع: اى شق بأمر الله عصا الكفر. ولم الله به ما انصدع به من عصا المسلمين، ورتق به: ما كان مفتقا من امورهم. والواغرة: ذات الوغرة وهى شدة حرارة الصدور واضغانها.

٢٢١ - وَمَنْ كَلَامَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كلم به عبد الله بن زمعة، وهو من شيعة، وذلك أنه قدم عليه فى خلافته يطلب منه مالا، فقال عليه السلام:

إِنَّ هَذَا الْمَالَ لَيْسَ لِي وَلَا لَكَ، وَإِنَّمَا هُوَ قِسِيٌّ لِلْمُسْلِمِينَ، وَجَلِبُ أَسْيَافِهِمْ، فَإِنْ

١ - الدررمة ١٤١/٥. تأسيس الشيعة / ٢٤٣.

شَرِكْتُهُمْ فِي حَرْبِهِمْ كَانَ لَكَ مِثْلُ حَظِّهِمْ، وَإِلَّا فَجَنَآةُ أَيْدِيهِمْ لَا تَكُونُ لِغَيْرِ أَفْوَاهِهِمْ.
أقول: زمعة بفتح الميم. والجلب: المجلوب وروى بالخاء. وجناة الثمر: ما يجنى منه.

٢٢٢ - وَمَنْ كَلَامٌ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

أَلَا إِنَّ اللِّسَانَ بَضْعَةٌ مِنَ الْإِنْسَانِ، فَلَا يُسْعِدُهُ الْقَوْلُ إِذَا امْتَنَعَ، وَلَا يُمَهِّلُهُ النَّطْقُ إِذَا اتَّسَعَ، وَإِنَّا لَا لِمَرَاءِ الْكَلَامِ، وَفِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ، وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ عُصُونُهُ.
وَاعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّكُمْ فِي زَمَانِ الْقَائِلِ فِيهِ بِالْحَقِّ قَلِيلٌ، وَاللِّسَانُ عَنِ الصِّدْقِ كَلِيلٌ، وَاللَّازِمُ لِلْحَقِّ ذَلِيلٌ، أَهْلُهُ مُعْتَكِفُونَ عَلَى الْعِضْيَانِ، مُضْطَلِحُونَ عَلَى الْإِذْهَانِ فَتَاهُمْ عَارِمٌ، وَشَائِبُهُمْ آئِمٌ، وَعَالِمُهُمْ مُتَافِقٌ، وَقَارِيَهُمْ مُمَازِقٌ، لَا يُعْظَمُ صَغِيرُهُمْ كَبِيرُهُمْ، وَلَا يَعُولُ غَنِيَّهُمْ فَقِيرُهُمْ.



أقول: روى في سبب هذا الكلام، أنه عليه السلام امر ابن اخته جعدة بن هبيرة المخزومي يوماً أن يخطب، فصعد المنبر فحصر، فقام - عليه السلام - فصعد المنبر فخطب خطبة طويلة منها هذا الفصل. والبضعة: القطعة. والضمير في يسعه ويمهله: للسان. وفي امتنع واتسع: للإنسان، والمعنى: إن اللسان لما كان آلة للإنسان فإذا امتنع الإنسان من القول النفساني، امتنع اللسان عن النطق، وإذا اتسع ذهنه بالمعاني، واستحصرها أمكنه القول اللساني ولم يمهل النطق من الحركة به. وتهدلت: تدلت. والاذهان: المصانعة. والعارم: الشرس سيء الخلق. والممازق: الذي يمزج الود ولا يخلصه، وهو نوع من النفاق.

٢٢٣ - وَمَنْ كَلَامٌ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

روى أبو محمد اليماني عن أحمد بن قتيبة عن عبد الله بن يزيد عن مالك بن دحية قال: كنا عند أمير المؤمنين عليه السلام وقد ذكر عنه اختلاف الناس فقال:

إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَبَادِي طِينِهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِلَقَةً مِنْ سَبَخِ أَرْضٍ وَعَذْبَهَا، وَحَزْنِ
 تُرْبَةٍ وَسَهْلَهَا، فَهُمْ عَلَى حَسَبِ قُرْبِ أَرْضِهِمْ يَتَّقَارِبُونَ، وَعَلَى قَدْرِ اخْتِلَافِهَا يَتَفَاوَتُونَ، فَتَأْمُ
 الرِّوَاءِ، نَاقِصُ الْعَقْلِ، وَمَادُّ الْقَامَةِ، قَصِيرُ الْهَيْمَةِ، وَزَاكِي الْعَمَلِ، قَبِيحُ الْمُنْظَرِ، وَقَرِيبُ
 الْقَعْرِ، بَعِيدُ السَّبْرِ، وَمَعْرُوفُ الضَّرِيئَةِ، مُتَكَرُّ الْجَلِيئَةِ، وَتَائِيَةُ الْقَلْبِ، مُتَفَرِّقُ اللَّبِّ، وَظَلِيْقُ
 اللِّسَانِ، حَدِيدُ الْجَنَانِ.

اقول: الفصل اشارة الى السبب المادى لاختلاف الناس فى الصور والاخلاق.
 والطين: اشارة الى ما ذكره من التربة الممتزجة من السبخ، والعذب، والحزن، والسهل: و
 هى الجزء الارضى فى الأبدان البشرية، وإنما خصصه بالذكر دون سائر العناصر، لأنه
 الجزء الأرضى فيها كما علمت فى الخطبة الاولى، وظاهر ان لتلك التربة بحسب ما
 يغلب عليها من الكيفيات المذكورة أثراً عظيماً فى اختلاف الصور والاخلاق، ففى
 الاغلب فيمن يتولد فى البلاد السبخة ان يكون مزاجه حاراً يابساً. وبحسب ذلك تكون
 نحافة بدنه و سرعة نزقه و ما يتبع ذلك من ذميم الاخلاق او حميدها، و كذلك من عذبت
 تربته كان الأغلب عليه لطف الصورة و حسن الأخلاق. والفلقة: القطعة. وقوله: فتأم
 الرواء الى آخره: كالتفصيل لهم فى تفاوتهم، وذكر اقسامها خمسة. والرواء: المنظر
 الحسن. والسبر: اختبار الباطن. و قريب القعر: كناية عن القصر. وقيل: لبعض الحكماء
 حين سئل ما بال القصير من الناس ادهى واحذق؟ قال: لقرب قلبه من دماغه. و كأنه
 اراد ان القلب لما كان مبدأ الحار الغريزى، و كانت الاعراض النفسانية من الفطنة
 والذكاء والفهم والاقدام والوقاحة وحسن الظن وجودة الرجاء والنشاط ورجولية الاخلاق
 وقلة الكسل وقلة الانفعال عن الاشياء كل ذلك يدل على الحرارة، و توفرها و اضداد ذلك
 يدل على البرودة لاجرم كان قرب القلب من الدماغ فى القصر، لكونه سبباً لتوفر الحرارة
 فى الدماغ، وجودة استعداد القوى النفسانية فيه سبباً لتلك الاعراض المذكورة، وكان بعده
 منه فى الطويل سبباً لقلة الحرارة فيه و ضعف استعداد القوى النفسانية لتلك الاعراض.
 والضريبة الخلق. والجلبية ما يجلبه الانسان و يتكلفه. و بالله التوفيق.

٢٢٤ - وَمَنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وهو بلى غسل رسول الله صلى الله عليه وآله ونجهيزه

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَقَدْ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ النَّبُوَّةِ وَالْأَنْبَاءِ،
وَأَخْبَارِ السَّمَاءِ، خَصَّصْتَ حَتَّى صِرْتَ مُسَلِّيًا عَمَّنْ سِوَاكَ، وَعَمَّمْتَ حَتَّى صَارَ النَّاسُ فِيكَ سَوَاءً.
وَلَوْلَا أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالنَّصْبِ، وَنَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ؛ لَأَنْقَدْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّؤْنِ، وَلَكَانَ
الدَّاءُ مُمَاطِلًا، وَالْكَمَدُ مُخَالِفًا، وَقَلَّا لَكَ، وَلَكِنَّهُ مَا لَا يُمْلِكُ رَدَّهُ، وَلَا يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ، بِأَبِي
أَنْتَ وَأُمِّي، أَدُكْرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ.

أقول: بأبي أنت وأمي: متعلق بمحذوف تقديره أفديك. ومن النبوة والأنباء: بيان
الغير. وروى عوض الانبياء الأنبياء أى: الخبر. ومن على هذا بيان: لما انقطع. و
خصصت أى: فى مصيبتك من حيث أنها عظيمة لا يصاب الناس بمثلها، فذلك كان
مسلية لهم عن غيرها. وماء الشؤن: الدموع، والشؤن متصل قطع الرأس مع المشعوب
بعضها مع بعض، والعرب تزعم أن الدموع تنزل منها. وقيل: الشؤن عرقان ينحدران
من الرأس الى الحاجبين ثم الى العينين. ومما طلة الداء: ملازمة الحزن كأنه لملازمته
مع من شأنه المفارقة مماطل فيها، والمخالف: الملازم. وضمير التثنية فى قلاً لانفاذ ماء
الشؤن ولما طلة الحزن وفى ولكنه لموته، والبال: القلب أى: اجعلنا ممن تباليه و
تعتنى به.

٢٢٥ - وَمَنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَاعْلَمُوا وَأَنْتُمْ فِي نَفْسِ الْبَقَاءِ، وَالصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ، وَالتَّوْبَةُ مَبْسُوطَةٌ، وَالْمُدْبِرُ يُدْعَى،
وَالْمُسَىءُ يُرْجَى قَبْلَ أَنْ يَخْمَدَ الْعَمَلُ، وَيَنْقَطِعَ الْمَهْلُ، وَيَنْقَضَى الْأَجَلُ، وَيُسَدَّ بَابُ
التَّوْبَةِ، وَتَضَعَدُ الْمَلَائِكَةُ.

فَأَخَذَ أَمْرًا مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ، وَأَخَذَ مِنْ حَيِّ لَمِيَّتِ، وَمِنْ فَا نِ لِبَاقِي، وَمِنْ ذَاهِبِ

لَدَائِمٍ، أَمْرٌو خَافَ اللهُ، وَهُوَ مُعَمَّرٌ إِلَى أَجَلِهِ، وَمَنْظُورٌ إِلَى عَمَلِهِ، أَمْرٌو أَلْجَمَ نَفْسَهُ بِلِجَامِهَا، وَزَمَّهَا بِزِمَامِهَا، فَأَمْسَكَهَا بِلِجَامِهَا عَنْ مَعَاصِيِ اللهِ، وَقَادَهَا بِزِمَامِهَا إِلَى طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى.

اقول: في نفس البقاء اى: في سعة منه. والصحف صحف الأعمال. والمدير اى: عن طاعة الله. واستعار لفظ الجمود: لوقوف العمل كالماء يجمد بعد جريانه. وقوله: فأخذ امرؤ في صورة الخبر اى: فليأخذ امرؤ من نفسه الامارة بكسرهما، ومنعها عن مشتبهاتها، و ميولها الطبيعية لنفسه العاقلة. ويحتمل أن يريد بالنفس الاولى: البدن والأخذ منه بالعبادة، كالصلاة، والصيام وذلك كمال لنفسه العاقلة، وذخرها في الآخرة. قوله: وأخذ من حتى لميت اى: فكذلك فليأخذ المدير من نفسه باعتبار ما هو حتى في الدنيا لنفسه باعتبار ما هو ميت لا يمكنه ذلك، وكذلك فليأخذ حتى من فان وهو دنياه لباقي و دائم وهو أخراه. وقوله: امرؤ الى آخره: كالجواب لسائل سأل عن ذلك المرء، الأخذ من نفسه لنفسه فكأنه قال: هو امرؤ خاف الله و امرؤ كذا، ومنظور الى عمله اى: ملتفت اليه من الله كقوله تعالى: (فَيَنْظُرْ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) واستعار لفظ اللجام والذمام: للتعوى.

مركز تحقيقات علوم قرآنية
٢٢٦ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُدْرِكُهُ الشَّوَاهِدُ، وَلَا تَحْوِيهِ الْمَشَاهِدُ، وَلَا تَرَاهُ النَّوَظِرُ، وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَابِرُ، الدَّالُّ عَلَى قِدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ، وَبِحُدُوثِ خَلْقِهِ عَلَى وُجُودِهِ، وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ؛ الَّذِي صَدَقَ فِي مِيعَادِهِ، وَارْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ، وَقَامَ بِالْقِسْطِ فِي خَلْقِهِ، وَعَدَلَ عَلَيْهِمْ فِي حُكْمِهِ، مُسْتَشْهِدٌ بِحُدُوثِ الْأَشْيَاءِ عَلَى أَرْزَاقِهِ، وَبِمَا وَسَمَّهَا بِهِ مِنَ الْعَجْزِ عَلَى قُدْرَتِهِ، وَبِمَا اضْطَرَّهَا إِلَيْهِ مِنَ الْفَنَاءِ عَلَى دَوَامِهِ. وَاجِدٌ لَا يَبْعُدُ، دَائِمٌ لَا يَأْمَدُ، وَقَائِمٌ لَا يَعْمَدُ. تَتَلَقَّاهُ الْأَذْهَانُ لَا بِمُشَاعِرَةٍ، وَتَشْهَدُ لَهُ الْمَرَائِي لَا بِمُحَاضِرَةٍ. لَمْ تُحِظْ بِهِ الْأَوْهَامُ بَلْ تَجَلَّى لَهَا وَبِهَا امْتَنَعَ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا حَاكَمَهَا لَيْسَ بِإِذَى كَبِيرٍ امْتَدَّتْ بِهِ النَّهَائِيَاتُ فَكَبَّرَتْهُ تَجْسِيمًا، وَلَا بِإِذَى عَظِيمٍ تَنَاهَتْ بِهِ الْغَايَاتُ فَعَظَّمَتْهُ تَجْسِيمًا، بَلْ كَبَّرَ شَأْنًا، وَعَظَّمَ سُلْطَانًا.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الصَّفِيُّ وَأَمِينُهُ الرَّضِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ،
 أَرْسَلَهُ بِوُجُوبِ الْحُجَجِ، وَظُهُورِ الْفَلَجِ، وَإِيضًا الْمُنْهَجِ، فَبَلَغَ الرَّسَالََةَ صَادِعًا بِهَا، وَحَمَلَ
 عَلَى الْمَحَبَّةِ دَالًّا عَلَيْهَا، وَأَقَامَ أَغْلَامَ الْإِهْتِدَاءِ، وَمَسَارَ الضِّيَاءِ، وَجَعَلَ أَمْرَاسَ الْإِسْلَامِ
 مَتِينَةً، وَعُرَى الْإِيمَانِ وَثِيقَةً.

اقول : اراد بالشواهد: الخواص لكونها تشهد ما تدركه و تحضر عنده. والمشاهد:
 المحاضر والمجالس. وقوله: الدالّ على قدمه الى قوله: لاشبيه له: قد سبقت الاشارة الى
 الاعتبارات المذكورة فى قوله (الحمد لله الدالّ على وجوده بخلقه) وكذلك باقى
 الاعتبارات كالاستدلال بعجز الخلق على قدرته، وبفنائهم على دوامه و كونه قائما
 لا يعتمد اى ثابت الوجود، من غير سبب يستند اليه، وتلقى الاذهان له لا بمشاعرة،
 اى ليس له من طريق الحواس اذ ليس بمحسوس بل بالعقول الصرفة وشهادة
 المرئى له لا بمحاضرة شهادة النواظر بوجوده فى آثار قدرته من غير حضور معه. ويحتمل
 ان يريد بالمرئى: نفس الاثار التى ترى فيها فأنها شاهدة بوجود شهادة المعلول بوجود
 علته، و تحليه للاوهام بها ظهوره لها فى صورة وجودها، و وجود مدركاتها من جهة ما هو
 صانعها و موجدتها، اذ كانت الاوهام عند اعتبارها لاحوال نفسها معترفة بحاجتها الى
 موجد و مقيم، ومساعدة للعقول فى حكمها بذلك، وان كان ادراكها على وجه جزئى
 فكانت مشاهدة له بحسب ما طبعت عليه و بقدر امكانها، و هو متحل لها كذلك. والباء
 فى بها: للسببية اذ وجودها هو السبب المادى فى تحليه لها. ويحتمل ان يكون بمعنى فى
 اى: فى وجودها و معنى بل هاهنا بعد سلب الاحاطة به، ان الاوهام لم تكن ادراكها له
 على وجه الاحاطة به، بل على الوجه المذكور والممكن من تحليه لها. وقوله: وبها امتنع
 منها، اى بخلقها قاصرة عن ادراك المعانى الكلية المجردة كانت مبدأ لامتناعه من
 ادراكها له، و محاكمته لها اليها جعلها حكما بينها وبينه عند رجوعها من توجهها فى
 طلبه منجذبة خلف العقول، حسيرة معترفة بانه لا يمكن ادراكه. وقيل: اراد بالاهوام:
 العقول. وقوله: بها امتنع، اى: بالعقول ونظرها علم انها لا تدركه، واليها حاكمها، اى:
 جعل العقول المدعية انها تحيط به و تدركه كالخصوم ثم حاكمها الى العقول السليمة

فحكمت له العقول السليمة على المدعية لما ليست أهلاً له. أو أنه جعل تلك المدعية هي الحاكمة على نفسها بعد اجتهادها في طلبه، واعترافها بالعجز عن ادراكه، ووجوب الحجج، أي: الحجج الواجبة على الخلق. والفلج: الفوز. والنار: الاعلام. والأمراس جمع مرس بفتح الراء وهي الحبل. وبالله التوفيق.

منها: في صفة عجيب خلق أصناف من الحيوانات:

وَلَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ الْقُدْرَةِ، وَجَسِيمِ الثَّمَةِ؛ لَرَجَعُوا إِلَى الطَّرِيقِ، وَخَافُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ، وَلَكِنَّ الْقُلُوبَ عَلِيلَةٌ، وَالْأَبْصَارَ مَدْخُولَةٌ! أَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى صَغِيرٍ مَا خَلَقَ كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ، وَأَتَقَنَ تَرْكِيبَهُ، وَفَلَقَ لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ، وَسَوَّى لَهُ الْعَظْمَ وَالْبَشْرَ؟
 أَنْظُرُوا إِلَى الثَّمَلَةِ فِي صِغَرِ جُثَّتِهَا، وَلَطَافَةِ هَيْئَتِهَا، لَا تَكَادُ تُنَالُ بِلَحْظِ الْبَصَرِ، وَلَا بِمُسْتَدْرَكِ الْفِكْرِ، كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا، وَصَبَّتْ عَلَى رِزْقِهَا! تَنْقُلُ الْحَبَّةَ إِلَى جُحْرِهَا، وَتَعُدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا؛ تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِيُرْدِهَا، وَفِي وُرْدِهَا لِصَدْرِهَا، مَكْفُولَةٌ بِرِزْقِهَا، مَرْزُوقَةٌ بِوَفْقِهَا؛ لَا يُغْفَلُهَا الْمَثَانُ، وَلَا تَحْرِمُهَا الدِّيَانُ، وَلَوْ فِي الصَّفَا الْيَابِسِ، وَالْحَجَرِ الْجَامِسِ، وَلَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا، فِي غُلُوبِهَا وَسُفْلِهَا، وَمَا فِي الْجَوْفِ مِنْ شَرَايِيفَ بَطْنِهَا، وَمَا فِي الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وَأُذُنِهَا؛ لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَبًا، وَلَقَيْتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَبًا، فَتَعَالَى الَّذِي أَقَامَهَا عَلَى قَوَائِمِهَا؛ وَبَتَّاهَا عَلَى دَعَائِمِهَا! لَمْ يَشْرَكْهُ فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ، وَلَمْ يُعِنِّهُ فِي خَلْقِهَا قَائِدٌ. وَلَوْ ضَرَبْتَ فِي مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لِتَبْلُغَ غَايَاتِهِ مَا دَلَّكَ الدَّلَالَةُ إِلَّا عَلَى أَنَّ فَاطِرَ الثَّمَلَةِ هُوَ فَاطِرُ النَّخْلَةِ، لِذَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ، وَغَايِضِ اخْتِلَافِ كُلِّ حَيٍّ!! وَمَا الْجَلِيلُ وَاللَّطِيفُ، وَالثَّقِيلُ وَالْخَفِيفُ، وَالْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ؛ فِي خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاءٌ!! وَكَذَلِكَ السَّمَاءُ وَالْهَوَاءُ، وَالرِّيَّاحُ وَالْمَاءُ فَانظُرْ إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَالنَّبَاتِ وَالشَّجَرِ، وَالْمَاءِ وَالْحَجَرِ، وَاخْتِلَافِ هَذَا اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَتَفَجُّرِ هَذِهِ الْبِحَارِ، وَكَثْرَةِ هَذِهِ الْجِبَالِ، وَطُولِ هَذِهِ الْقِلَالِ، وَتَفَرُّقِ هَذِهِ اللُّغَاتِ، وَالْأَلْسُنِ الْمُخْتَلِفَاتِ، فَالْوَيْلُ لِمَنْ أَنْكَرَ الْمُقَدَّرَ، وَجَحَدَ الْمُدَبَّرَ. زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ؛ وَلَا لِاخْتِلَافِ سُورِهِمْ صَانِعٌ! وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلَى حُجَّةٍ فِيمَا ادَّعَوْا؛ وَلَا تَحْقِيقٍ لِمَا أُوعُوا، وَهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بِنَانٍ؛ أَوْ جِنَايَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ؟

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي الْجَرَادَةِ إِذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْرًا وَوَيْنِ، وَأَسْرَجَ لَهَا حَدَقَتَيْنِ قَمْرًا
 أَوْيْنِ، وَجَعَلَ لَهَا السَّمْعَ الْخَفِيَّ، وَفَتَحَ لَهَا الْفَمَ السَّوِيَّ، وَجَعَلَ لَهَا الْحِسَّ الْقَوِيَّ، وَنَابَتَيْنِ
 بِهِمَا تَقْرِضُ وَمُنْجَلَيْنِ بِهِمَا تَقْبِضُ، يَرْهَبُهَا الزَّرَّاعُ فِي زَرْعِهِمْ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ذَبَّهَا، وَلَوْ أُجْلَبُوا
 بِجَمْعِهِمْ، حَتَّى تَرِدَ الْحَرَّةُ فِي نَزَوَاتِهَا، وَتَقْضِي مِنْهُ شَهَوَاتِهَا! وَخَلَقَهَا كُلُّهُ لَا يَكُونُ إِصْبَعًا مُسْتَدِيقَةً.
 فَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا، وَيُعَقِّرُ لَهُ خَدًّا
 وَوَجْهًا، وَيُلْقِي إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ سِلْمًا وَضَعْفًا، وَيُعْطِي لَهُ الْقِيَادَ رَهْبَةً وَخَوْفًا. فَالطَّيْرُ مُسَخَّرَةٌ
 لِأَمْرِهِ، أَحْصَى عَدَدَ الرَّيشِ مِنْهَا وَالنَّفْسِ، وَأَرْسَى قَوَائِمَهَا عَلَى النَّدَى وَالسَّيْبِ، وَقَدَّرَ
 أَقْوَاتَهَا، وَأَحْصَى أَجْناسَهَا: فَهَذَا غُرَابٌ، وَهَذَا عُقَابٌ، وَهَذَا حَمَامٌ، وَهَذَا نَعَامٌ، دَعَا كُلَّ
 طَائِرٍ بِاسْمِهِ، وَكَفَلَ لَهُ بَرِزْقَهُ، وَأَنْشَأَ السَّحَابَ الثَّقَالَ فَأَهْظَلَ دِيمَهَا، وَعَدَّدَ قَسَمَهَا فَبَلَّ
 الْأَرْضَ بَعْدَ جُفُوفِهَا، وَأَخْرَجَ نَبْتَهَا بَعْدَ جُدُوبِهَا.

اقول: علة القلوب مرض الجهل. ومدخولة: معيوبة. وعيبها كونها لا يدرك العبر
 ولا ينتفع بها. والبشر: الجلد. ونقل الجاحظ من عجائب النملة أنها: يتخرف في الصيف
 للشتاء فيقدم في حال المهلة ولا تضيع اوقات الفرصة، ويبلغ من صحة تميزها والنظر في
 عاقبة امرها أن تخاف على الحبوب التي ادخرتها للشتاء ان تعفن وتُسوس في بطن
 الارض فتخرجها الى ظهرها لتشرها، وتعيد اليها جفافها ويضربها النسيم فينفى عنها
 العفن والفساد، وربما تختار في الاكثر ان يكون ذلك العمل ليلا ليكون اخفى و
 في القمر لانها فيه ابصر، فان كان مكانها نديًا وخافت ان تنبت الحبة نقرت موضع
 القطمير من وسطها لعلمها انها من ذلك الموضع تنبت وربما فلقت الحبة بنصفين.

فأما ان كان الحب من الكزبرة فأنها تفلقه ارباعا لان انصاف حب الكزبرة ينبت
 من بين جمع الحب. قال: ونقل الى من اثق به انه احتفريت النمل، فوجد الحبوب
 التي جمعها كل نوع وحده. قال: ووجدنا في بعضها ان بعض الحبوب فوق بعض وبينها
 فواصل حائلة من التبن ونحوه. والجامس: الجامد، والشراسيف: اطراف الاضلاع
 المحتوية على البطن، ودعائمها ما يقوم في بدنها مقام العظام والاعصاب ونحوها. وقوله:

لدقيق تفصيل كل شى الى قوله حتى: اشارة الى اوسط الحجّة على ما ادّعاه من اشراك النملة على صغرها، والنخلة فى طولها وعظمتها فى الاستناد الى صانع واحد حكيم، و تقرير الحجّة أنّ فى النملة والنخلة تفصيلا لطيفا دقيقا، واختلاف شكل وهىة و مقدار ووجوها من الحكمة و كل ما اشتمل على ذلك فله صانع مدبّر حكيم خصّصه بهادون غيره، فينتج أنّهما يشتركان فى الحاجة الى صانع مدبّر حكيم خصّص كلاً منهما بما يشتمل عليه، وهذه الحجّة هى المسمّاة فى عرف المتكلّمين بالاستدلال بامكان الصفات. وقوله: و ما الجليل الى قوله سواء: اشارة الى أنّ كل المخلوقات وان اختلفت صفاتها ومقاديرها لا تفاوت فيها بالنظر الى قدرته، و كمالها بين ان يفيض عنها صورة الحقير منها كالنملة، او العظيم منها كالنخلة بل التفاوت من جانب القابل.

وقوله: و كذلك السماء الى آخره اى: أنّ الجميع متشابه فى الحاجة الى الصانع الحكيم، وهو المخصص لكلّ بكماله اللائق به اذ ليس ذلك للجسميّة ولا للوازمها لتشابهها فى الجميع، ولا لعوارضها لانّ الكلام فى الاختصاص بذلك العارض كالكلام فى الاختصاص بالصفة ويلزم التسلسل، فبقى ان يكون لامر خارج عنها وهو المدبّر الحكيم. و اشار بالجاحدين: الذين زعموا الزعم المذكور الى جماعة من العرب انكروا الخالق والبعث، وقالوا: بالدهر: المضى كما حكى الله تعالى عنهم: (مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَىٰ وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ) ^١ و قياس انفسهم على النبات من باب التمثيل والاصل فيه النبات. و الفرع انفسهم، والحكم هو ما توهموه من كونهم بلا صانع، والجامع هو ما يشتركون فيه مع النبات من الموت والحياة او نحوه و جوابهم منع الحكم المذكور، والتنبية على ما هو معلوم بالضرورة من أنّ كل صنعة فلها صانع، و كل جناية فلها جان. قوله: وان شئت قلت فى الجرادة، الى قوله: مستدقة: تنبيه آخر على وجود الصانع الحكيم فى وجود الجرادة، و حدقه قمراء اى: مضيئة. والسوى: المعتدل. و اراد بحسها قوتها الوهميّة. واجلبوا: اجمعوا. والنزوات: الوثبات. و تعفير الخد: تمريغه فى العفرو هو التراب. و ارسى قوائمها: اثبتها و ارساها فى الندى كطير الماء. و اراد بالجنس: اللغوى وهو يصدق على النوع والصنف فى المصطلح العلمى. و استعار وصف الدعاء هنا: لحكم

١ - سورة الجاثية / ٢٤.

القدرة الالهية على كل منها بالدخول في الوجود، وهو كقوله تعالى: (فَقَالَ لَهَا وَيِلَآءُضِرْ
أَتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ)!. والفصل من افصح العبارات.

٢٢٧ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في التوحيد، وتجمع هذه الخطبة من أصول العلم ما لا تجمعه خطبة

مَا وَحَدَّهُ مِنْ كَيْفِهِ؛ وَلَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مِنْ مَثَلِهِ، وَلَا إِيَّاهُ عَنَى مَنْ شَبَّهَهُ، وَلَا صَمَدَهُ
مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَتَوَهَّمَهُ. كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ؛ وَكُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُوكٌ؛ فَاعِلٌ
لَا بِاضْطِرَابِ آلِهِ، مُقَدَّرٌ لَا بِحَوْلِ فِكْرَةٍ؛ غَنَى لَا بِاسْتِفَادَةٍ. لَا تَضْحَبُهُ الْأَوْقَاتُ، وَلَا تَرْفُدُهُ
الْأَدْوَاتُ، سَبَقَ الْأَوْقَاتُ كَوْنَهُ، وَالْعَدَمُ وَجُودَهُ، وَالْإِبْتِدَاءُ أَزْلُهُ.

بِشَّعِيرِهِ الْمَشَاعِرَ عُرِفَ أَنْ لَا مَشْعَرَلَهُ وَبِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ الْأُمُورِ عُرِفَ أَنْ لَا ضِدْلَهُ، وَ
بِمُقَارِنَتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَا قَرِينَ لَهُ؛ صَادَّ النُّورَ بِالظُّلْمَةِ، وَالْوُضُوحَ بِالْبُهْمَةِ، وَالْجُمُودَ
بِالْبَلَلِ، وَالْحَرُورَ بِالصَّرْدِ. مُؤَلَّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا، مُقَارِنٌ بَيْنَ مُتَبَايِنَاتِهَا، مُقَرَّبٌ بَيْنَ
مُتَبَاعِدَاتِهَا، مُفَرَّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا. لَا يُشْمَلُ بِحَدِّ وَلَا يُحَسَّبُ بِعَدِّ؛ وَإِنَّمَا تَحُدُّ الْأَدْوَاتُ
أَنْفُسَهَا، وَتُشِيرُ الْآلَاتُ إِلَى نَظَائِرِهَا.

مَنْعَتَهَا مِنْذُ الْقِدَمِيَّةِ؛ وَحَمَّتْهَا قَدِ الْأَزْلِيَّةِ؛ وَجَنَّبَتْهَا لَوْلَا التَّكْمِلَةُ، بِهَا تَجَلَّى صَانِعُهَا
لِلْعُقُولِ، وَبِهَا أَمْتَنَعَ عَنِ نَظَرِ الْعُيُونِ، لَا يَجْرِي عَلَيْهِ السُّكُونُ وَالْحَرَكَةُ وَكَيْفَ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا
هُوَ أَجْرَاهُ، وَيَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ أَبْدَاهُ، وَيُحَدِّثُ فِيهِ مَا هُوَ أَحَدَثُهُ؟! إِذَا لَتَقَاوَتَتْ ذَاتُهُ، وَكَتَجَرَّأَ
كُنْهُهُ، وَلَا مَتَنَعَ مِنَ الْأَزْلِ مَعْنَاهُ وَلَكَانَ لَهُ وَرَاءَهُ إِذْ وَجِدَ لَهُ أَمَامَهُ! وَلَا لَتَمَسَ التَّمَامَ إِذْ لَزِمَهُ
النَّقْصَانُ! وَإِذَا لَقَامَتْ آيَةُ الْمَصْنُوعِ فِيهِ، وَلَتَحَوَّلَ دَلِيلًا بَعْدَ أَنْ كَانَ مَدْلُولًا عَلَيْهِ، وَخَرَجَ
بِسُلْطَانِ الْإِمْتِنَاعِ مِنْ أَنْ يُؤَثَّرَ فِيهِ مَا يُؤَثَّرُ فِي غَيْرِهِ.

الَّذِي لَا يَحُولُ، وَلَا يَزُولُ، وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْأُقُولُ؛ وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْلُودًا، وَلَمْ يُوَلَدْ
فَيَصِيرَ مَخْدُودًا. جَلَّ عَنِ اتِّخَاذِ الْأَبْنَاءِ، وَظَهَرَ عَنِ مُلَامَسَةِ النِّسَاءِ؛ لَا تَنَالُهُ الْأَوْهَامُ
فَتَقْدَرُهُ؛ وَلَا تَتَوَهَّمُهُ الْفِطْنُ فَتَصَوِّرُهُ؛ وَلَا تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ فَتَحْسُهُ، وَلَا تَلْمِسُهُ الْأَيْدِي فَتَمَسَّهُ.

لَا يَتَغَيَّرُ بِحَالٍ، وَلَا يَتَبَدَّلُ بِالْأَحْوَالِ، وَلَا تُبْلِيهِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ، وَلَا يُغَيِّرُهُ الضِّيَاءُ وَالظَّلَامُ، وَلَا يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَجْزَاءِ، وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالْأَعْضَاءِ، وَلَا بَعَرَضٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ، وَلَا بِالْغَيْرِيَّةِ وَالْأَبْعَاضِ، وَلَا يُقَالُ لَهُ حَدٌّ وَلَا نِهَايَةٌ، وَلَا انْقِطَاعٌ وَلَا غَايَةٌ. وَلَا أَنَّ الْأَشْيَاءَ تَحْوِيهِ، فَتُقَلِّهُ أَوْ تُهْوِيهِ، أَوْ أَنَّ شَيْئًا يَحْمِلُهُ فِيمِيسَلَهُ أَوْ يَعْدِلُهُ. لَيْسَ فِي الْأَشْيَاءِ بِوَالِحٍ، وَلَا عَنْهَا بِخَارِجٍ. يُخْبِرُ لَا بِلِسَانٍ وَلَهَوَاتٍ، وَيَسْمَعُ لَا بِخُرُوقٍ وَأَدْوَاتٍ. يَقُولُ وَلَا يَلْفِظُ، وَ يَحْفَظُ وَلَا يَتَحَفَّظُ، وَيُرِيدُ وَلَا يُضْمِرُ، يُحِبُّ وَيَرْضَى مِنْ غَيْرِ رِقَّةٍ، وَيُبْغِضُ وَيَغْضَبُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ. يَقُولُ لِمَنْ أَرَادَ كَوْنَهُ («كُنْ» فَيَكُونُ!) لَا بِصَوْتٍ يَقْرَعُ، وَلَا بِبِنْدَاءٍ يُسْمَعُ، وَإِنَّمَا كَلَامُهُ - سُبْحَانَهُ - فِعْلٌ مِثْلُ أَنْشَأَهُ، وَمِثْلُهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ كَائِنًا، وَلَوْ كَانَ قَدِيمًا لَكَانَ إِلَهَا ثَانِيًا.

لَا يُقَالُ كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ فَتَجْرِي عَلَيْهِ الصِّفَاتُ الْمُحَدَّثَاتُ وَلَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ فَضْلٌ، وَلَا لَهُ عَلَيْهَا فَضْلٌ، فَيَسْتَوِي الصَّانِعُ وَالْمَصْنُوعُ، وَيَتَكَافَأُ الْمُبْتَدِعُ وَالْبَدِيعُ. خَلَقَ الْخَلَائِقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ، وَلَمْ يَشْتَعِنْ عَلَى خَلْقِهَا بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَأَنْشَأَ الْأَرْضَ فَأَمْسَكَهَا مِنْ غَيْرِ اسْتِعَالٍ، وَأَرْسَاهَا عَلَى غَيْرِ قَرَارٍ، وَأَقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِمٍ، وَرَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعَائِمٍ، وَحَصَّنَهَا مِنَ الْأَوْدِ وَالْإِعْوِجَاجِ، وَمَتَّعَهَا مِنَ التَّهَافُتِ وَالْانْفِرَاجِ، أَرْسَى أَوْ تَادَهَا، وَضَرَبَ أَسْدَادَهَا، وَاسْتَفَاضَ عُيُونَهَا، وَخَدَّ أَوْدِيَّتَهَا، فَلَمْ يَهِنْ مَا بَنَاهُ، وَلَا ضَعُفَ مَا قَوَّاهُ.

هُوَ الظَّاهِرُ عَلَيْهَا بِسُلْطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَهُوَ الْبَاطِنُ لَهَا بِعِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ، وَالْعَالِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا بِجَلَالِهِ وَعِزَّتِهِ، لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ مِنْهَا طَلَبَهُ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فَيْغْلِبُهُ، وَلَا يَقْوَمُهُ السَّرِيعُ مِنْهَا فَيَسْبِقُهُ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى ذِي مَالٍ فَيَرْزُقُهُ. خَضَعَتِ الْأَشْيَاءُ لَهُ، وَذَلَّتْ مُسْتَكِينَةً لِعَظَمَتِهِ، لَا تَسْتَطِيعُ الْهَرَبَ مِنْ سُلْطَانِهِ إِلَى غَيْرِهِ فَتَمْتَنِعَ مِنْ نَفْعِهِ وَضَرِّهِ، وَلَا كُفُولَهُ فَيُكَافِئُهُ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ فَيَسَاوِيَهُ هُوَ الْمُنْفَى لَهَا بَعْدَ وُجُودِهَا، حَتَّى يَصِيرَ مَوْجُودُهَا كَمَفْقُودِهَا.

وَلَيْسَ فِتَاءُ الدُّنْيَا بَعْدَ ابْتِدَاعِهَا، بِأَعْجَبَ مِنْ إِنْشَائِهَا وَاخْتِرَاعِهَا! وَكَيْفَ وَلَوْ اجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا مِنْ طَيْرِهَا وَبَهَائِمِهَا، وَمَا كَانَ مِنْ مُرَاجِحِهَا وَسَائِمِهَا، وَأَصْنَافِ أَسْنَاخِهَا وَأَجْنَاسِهَا، وَمُتَبَلِّدَةِ أُمَمِهَا وَأَكْيَاسِهَا، عَلَى إِحْدَاثِ بَعْضَةِ مَا قَدَرَتْ عَلَى إِحْدَاثِهَا، وَلَا عَرَفَتْ كَيْفَ السَّبِيلِ إِلَى إِيجَادِهَا، وَلَتَحَيَّرَتْ عَقُولُهَا فِي عِلْمِ ذَلِكَ وَتَاهَتْ،

وَعَجَزَتْ قُوَاهَا وَتَنَاهَتْ، وَرَجَعَتْ خَاسِئَةً حَسِيرَةً عَارِفَةً بِأَنَّهَا مَقْهُورَةٌ، مُقِرَّةٌ بِالْعَجْزِ عَنِ
إِنْشَائِهَا، مُدْعِنَةٌ بِالضَّعْفِ عَنِ إِفْتَائِهَا.

وَإِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - يَعُودُ بَعْدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَحَدُّهُ لَا شَيْءَ مَعَهُ: كَمَا كَانَ قَبْلَ آبْتِدَائِهَا،
كَذَلِكَ يَكُونُ بَعْدَ فَنَائِهَا، بِأَوْقَاتٍ وَلَا مَكَانٍ، وَلَا حِينٍ وَلَا زَمَانَ، عُدِمَتْ عِنْدَ ذَلِكَ الْآجَالُ
وَالْأَوْقَاتُ، وَزَالَتِ السُّنُونُ وَالسَّاعَاتُ، فَلَأَشَىءَ إِلَّا الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ الَّذِي إِلَيْهِ مَصِيرُ جَمِيعِ
الْأُمُورِ. بِأَنَّ قُدْرَةَ مِثْلِهَا كَانَتْ آبْتِدَاءُ خَلْقِهَا، وَبِغَيْرِ أَمْتِنَاعٍ مِثْلِهَا كَانَتْ فَنَائُهَا، وَلَوْ قَدَّرَتْ عَلَى
الْإِمْتِنَاعِ دَامَ بَقَاؤُهَا. لَمْ يَتَكَأَدْهُ صُنْعُ شَيْءٍ مِنْهَا إِذْ صَنَعَهُ، وَلَمْ يُوَدِّهِ مِنْهَا خَلْقُ مَا خَلَقَهُ وَ
بَرَأَهُ، وَلَمْ يُكَوِّنْهَا لِتَشْدِيدِ سُلْطَانِ، وَلَا لِخَوْفٍ مِنْ زَوَالٍ وَنُقْصَانٍ، وَلَا لِإِسْتِعَانَةٍ بِهَا عَلَى
نَيْدِ مُكَائِرٍ، وَلَا لِإِحْتِرَازِهَا مِنْ ضِدِّ مُشَاوِرٍ، وَلَا لِإِلْزَادِهَا فِي مُلْكِهِ، وَلَا لِإِمْكَاتَرَةٍ
وَشَرِيكِ فِي شَرِكِهِ؛ وَلَا لِوَحْشَةٍ كَانَتْ مِنْهُ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَأْنِسَ إِلَيْهَا. ثُمَّ هُوَ يُفْنِيهَا بَعْدَ
تَكْوِينِهَا، لَا لِسَامٍ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي تَضْرِيْفِهَا وَتَدْبِيرِهَا، وَلَا لِإِرَاحَةٍ وَأَصْلَةٍ إِلَيْهِ، وَلَا لِثِقَلِ
شَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهِ. لَمْ يُيَمَلِّهِ طُولُ بَقَائِهَا فَيَدْعُوهُ إِلَى سُرْعَةِ إِفْتَائِهَا؛ لَكِنَّهُ - سُبْحَانَهُ - دَبَّرَهَا
بِلُطْفِهِ، وَآمَسَكَهَا بِأَمْرِهِ، وَآتَقَنَهَا بِقُدْرَتِهِ، ثُمَّ يُعِيدُهَا بَعْدَ الْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهَا، وَلَا
أَسْتِعَانَةٍ بِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهَا، وَلَا لِإِنْصِرَافٍ مِنْ حَالٍ وَحْشَةٍ إِلَى حَالٍ أَسْتَيْتَسَّاسٍ، وَلَا مِنْ
حَالٍ جَهْلٍ وَغَمٍّ إِلَى عِلْمٍ وَالتَّيْمَاسِ، وَلَا مِنْ فَقْرٍ وَحَاجَةٍ إِلَى غِنَى وَكَثْرَةٍ، وَلَا مِنْ ذُلِّ
وَضَعْفٍ إِلَى عِزٍّ وَقُدْرَةٍ.

اقول الكيفية في اللغة: الصفة، والحال التي عليها الشيء، وفي الاصطلاح العلمي:

هيئة قارة في المحل لا يوجب اعتبار وجودها فيه نسبة الى امر خارج عنه. ولا قسمة في ذاته
ولانسبة واقعة في اجزائه، وبرهان منافاة الكيفية للتوحيد ما مر في الخطبة الاولى في
قوله: (فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ومن قرنه فقد تناه) وظاهر ان من تناه لم يوحد.
قوله: ولا حقيقته اصاب من مثله، اي: اثبت مثلا وبرهانه ان المثل للشيء هوالمشارك له
اقا في ذاته او في بعض اجزائها، او في صفة خارجة عنها، وهو تعالى لا شريك له في
ذاته و الا لاحتاج الى مميّز من خارج لا يكون مقتضى ذاته، والا لكان مشتركا غير مميز
له بل مقتضى علة اخرى فيكون واجب الوجود محتاجا فيما يميّزه عن غيره الى غيره، هذا

خلف ولا شريك له في بعض الاجزاء والا لكان مركبًا فكان ممكنا هذا خلف، ولا في
 صفة خارجة عن ذاته اذا ثبت انه لا صفة له وراء ذاته. و كذلك قوله: ولا آياه عنى من
 شبهه. و صمدهاى قصده و قد سبق فى الخطبة الاولى: امتناع الاشارة العقلية و الوهمية
 اليه، فمن اشار اليه، فقد اشار الى غيره فلم يتحقق قصده آياه و مدار هذه الاشارات على
 انه تعالى غير معلوم الذات بالكنه. و قوله: كل معروف بنفسه مصنوع: شروع فى البرهان
 على ذلك، و هو صغرى ضمير تقدير كبراه و كل ما هو مصنوع فهو ليس باله العالم ينتج
 كل معروف بنفسه فهو ليس باله العالم، و ينعكس بعكس النقيض الى كل ما هو اله
 العالم فهو غير معروف بنفسه فتجعله كبرى، و يضم اليه صغرى صادقة هى قولنا انه تعالى
 اله العالم فينتج انه تعالى غير معروف بنفسه. و اما بيان صغرى الضمير فهو ان الحقيقة
 انما نعلمها بأجزائها، و كل ذى جزء فهو مركب فله مركب فهو مصنوع. و قوله: و كل قائم
 فى سواه معلول: تنزيه له عن حاجته الى المحل، و هو صغرى ضمير كالذى قبله، و ان
 شئت فهذه الجملة فى قوة شرطية متصلة هى صغرى ضمير ايضا تقديرها لو كان قائما فى
 سواء لكان معلولا، و يستثنى نقيض لازمها لينتج انه ليس بقائم فى سواه، و بيان
 الملازمة: ان القائم بغيره محتاج الى الغير فكان معلولا له و لما يقيمه فيه كما علم فى
 مظانه، و كونه مقدرا كونه معطيا لكل مستحق مقدار ما يستحقه و يقبله من كمال الوجود،
 ولواحقه من أجل و رزق و نحوهما. و غناه تعالى عدم حاجته الى غيره و لا باستفادة تنزيه
 له عن غنى غيره و لا تصحبه الاوقات اى: ليس هو بذى وقت يقارنه و يحل فيه، و ترفده:
 تعينه. و لما كان كل مسبوق بالعدم ممكنا كان ما ليس بممكن غير مسبوق بالعدم،
 فكان تعالى سابق الوجود على كل عدم لغيره و الابتداء اذله اى: سبقت ازليته ابتداء
 العالم. و قوله: بتشعيره الى قوله له: لان المشاعر ان كانت له من غيره كان محتاجا الى
 غيره هذا خلف، و ان كانت من ذاته، فان كانت من كمال الكهيته كان موجدا لها من
 حيث هو فاقد كمالا، فكان ناقصا بذاته هذا خلف، و ان لم يكن كذلك كان اثباتها له
 نقصا لان الزيادة على الكمال نقصان. و كذلك قوله: بمضادته الى قوله له: اذ لو كان
 له ضد لكان خالقا لضده و لنفسه وهو محال، و كذلك تنزيهه عن مقارنة الغير، بمقارنته
 بين الأشياء، و كذا مضادته بين الاشياء خلقة لها على طبائعها المتضادة، والوضح

والسوضح: البياض: والبهمة: السواد. والحرور: الحرارة. والضرذ: البرد. وتفريقه بين متدانياتها، بالفناء كما جمع بين متعادياتها بالتركيب والمزج. ولا يشملها حد اى: لايحيط به نهاية، ولا يدخل في حساب المعدودات وقد سبق بيانه. والادوات: الآلات كالحواس ونحوها. وقوله: منعتها، الى قوله: التكملة: يعود الضمير الى الآلات، ومحلّ منذ، وقد: ولولا: الرفع بالفاعلية، والمراد ان اطلاق لفظ منذ على الآلات كما يقال هذه الآلة وجدت منذ كذا، يمنع كونها قديمة اذ كان وضعها لابتداء الزمان، ولذلك قد يفيد تقريب الماضي من الحال، كقولك: قد وجدت هذه الآلة وقت كذا. ولا شئ من الازليّ بقريب من الحال، وكذلك اطلاق لفظ لولا عند النظر الى الآلات المستحسنة، كما يقال: ما احسن هذا لولا كذا، فيدلّ بها على امتناع كماله لوجود نقصان فيه: وانما اشار الى نقصانها وحدثها، ليعلم أنّها في أبعد بعيد على تقديره وتحديدته.

وقوله: بها، الى قوله: العقول، اى: بوجودها المحكم المتقن على ان لها صانعاً حكيماً. وقوله: بها الى قوله: العيون اى: بإيجادها، وخلقها بحيث تدرك بحسّ البصر، علم أنّه تعالى ليس مثلها، وهو كقوله: بتشعيره الى قوله: لا مشعر له. وقيل: اراد ان وجودها لما كان سبباً لكمال عقولنا، وكمال عقولنا سبباً لعلمنا بأنّه لا يرى بحسّ البصر كانت هي اسبابا في العلم بأنّه لا يرى. وقوله. اذن لتفاوتت ذاته، الى قوله: في غيره: بيان لعدم جريان الحركة والسكون عليه من سبعة اوجه في قياسات استثنائية اتحد مقدّم المتّصلات فيها، وتعددت تواليها، وتقديره في الاوّل لوجرت الحركة والسكون عليه لتفاوتت ذاته، ومعنى التفاوت: التغير والنقصان بتعاقب الحركة والسكون عليه، والملازمة هنا ظاهرة وفي الثاني أنّ كل متحرك جسم و كل جسم فله جزء. وفي الثالث أنّ كلّ متحرك جسم و كلّ جسم فليس له من ذاته استحقاق الوجود فضلاً عن استحقاق الازلية التي معناها عدم اولية الوجود، فلو كان تعالى متحركاً او ساكناً، لم يكن لمعناه و حقيقته ازلية بل ان كانت له فمن غيره. وفي الرابع أنّ لو كان متحركاً لكان له أمام يتحرك اليه وكل ماله أمام فله وراء. وفي الخامس، أنّ لو كان متحركاً لالتمس التمام بحركته اذ الحركة لا بد ان تكون نحو غاية مطلوبة للمتحرك هي كمال له فيكون ناقصاً بذاته. وفي السادس أنّ لو كان كذلك لكان جسماً وفيه آثار الصنع وآياته. وفي السابع أنّ لو كان

يتحوّل دليلاً لكون جسمه مصنوعاً يستدلّ به على صنعه وبطلان اللوازم في هذه الأقيسة السبعة ظاهر، فالملزوم وهوكون ممّا يجرى عليه الحركة والسكون باطل. وقوله: وخرج بسُلطان الامتناع، الى قوله: غيره: عطف على قوله امتنع وقيل: على قوله تجلّى اى: بها تجلّى للعقول وخرج بسُلطان امتناع كونه مثلاً لها، اى: بكونه واجب الوجود، عن ان يكون ممكناً فيقبل اثر غيره، ولا يحول، اى: لا يتغير من حال الى حال. والافول: الغيبة بعد الظهور، ولوجاز عليه، لما كان محجوباً لابراهيم عليه السلام حيث قال: (لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ)^١ وقوله: فيكون محدوداً، اى: بالحلّ الخارج عنه، وكونه تعالى لا يوصف بعرض اذ لا صفة له تزيد على ذاته وقد مرّ بيانه. ولأن محل الاعراض الجواهر وهو تعالى ليس بجوهر، فلا يوصف بالأعراض. وقوله: فيقله، ويميله منصوبان باضماران، وعليه نسخة الرضى عليه الرحمة بخطه.

وروى مرفوعين على العطف واخباره تعالى يعود الى خلقه الكلام في لسان النبي صلى الله عليه وآله على وفق ما تصوّره من المعنى كما سنفسره عليه السلام به، وسماعه يعود الى علمه بالمسموعات، وحفظه يعود الى علمه بما في الفعل من الحكمة، والمصلحة، وهو المعروف بالداعي. ومحبته ارادة هي مبدأ فعلها ويقرب منه الرضا وهو منه تعالى علمه بطاعة العبد له، وبغضه: يعود الى كراهته وهي علمه بعدم استحقاق العبد الثواب. والغضب: يعود الى علمه بعصيانه، وهو منزّه عن المتعارف من ثوران النفس عن تصوّر المؤدّى المستلزم للمشقة: وقوله: لا بصوت يقرع اى: ليس بذى حاسة سمع يقرعها الصوت وكذلك لا صوت له يسمع، ومن تفسيره عليه السلام لكلام الله استدلّت المعتزلة على كونه محدثاً ومثله، اى: صورته في ذهن النبي، ولسانه عليه السلام. وقيل: مثله لجبريل عليه السلام في اللوح المحفوظ. ووجه الملازمة^٢ لقوله: ولو كان قديماً لكان الهاً ثانياً: انه لو كان قديماً لكان واجب الوجود بذاته لأنه لو كان ممكناً، لكان صفة له تعالى قائمة بذاته لامتناع قيام صفة الشئ بغيره فهي ان كانت معتبرة في كمال الهيته، كان ناقصاً بذاته هذا خلف، وان لم يكن كانت زائدة على كماله اللائق به والزيادة سفلى

١ - سورة الانعام / ٧٦.

٢ - في نسخة ش: في قوله.

الكمال نقصان، فثبت أنه لو كان كلامه قديماً لكان واجب الوجود لذاته فكان ألقاها ثانياً و قد ثبت أنه واحد، و خلا: سبق.

و ارساها: اثبتها، والأود: الاعوجاج. والتهافت: السقوط. والاسداد: جمع سد وهو كل ما حجز بين الشيئين. والكفو: المثل. وقوله: و ليس فناء الدنيا، الى قوله: و اختراعها: تنبيه على فساد قول من زعم أن العالم لا يفنى. و مفهومه أن الانشاء اعجب و اصعب، وجه التنبيه قوله: و كيف ولو اجتمع الى قوله افناءها، و كيف يكون الافناء اعجب من الانشاء والحال ما ذكرنا. و مراحها: ما يراح من مرابطها. و سائمها: ما ارسل منها للرعى. و اسناخها: اصولها.

فان قلت: كيف تقر العقول بالضعف عن افناء البعوضة من امكان ذلك و سهولته؟ قلت: ان العبد اذا نظر الى نفسه بالنسبة الى قدرة الصانع جئت عظمته و جد نفسه عاجزة عن كل شئ، الا بأذن منه و معونة، وانه ليس له الا الاعداد لحدوث ما ينسب اليه من الآثار فأما نفس وجود الأثر فمن واجب الكل، و ايضا فانه تعالى كما خلق للعبد قدرة على النفع و الضر، كذلك خلق للبعوضة قدرة على الامتناع و الهرب من ضوره بالطيران بل على ان تؤذيه فلا يتمكن من دفعها عن نفسه فكيف يستسهل العاقل افناؤها من غير معونة من صانعها. و خاسئة ذليلة. و تكاد: الأمر شق عليه. و آداه: أثقله. و المثارون: المواثب. و باقى الاعتبارات له تعالى ظاهرة، و قد مر في اثناء الكلام بيانها، و ما ينسب عليها، و بالله التوفيق.

٢٢٨ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يختص بذكر الملاحم

أَلَا يَا بِي وَ أُمِّي هُمْ مِنْ عِدَّةٍ، أَسْمَاؤُهُمْ فِي السَّمَاءِ مَعْرُوفَةٌ، وَ فِي الْأَرْضِ مَجْهُولَةٌ، أَلَا فَتَوَقَّعُوا مَا يَكُونُ مِنْ إِذْبَارِ أُمُورِكُمْ، وَأَنْقِطَاعِ وَضِلِّكُمْ، وَاسْتِعْمَالِ صِغَارِكُمْ. ذَلِكَ حَيْثُ تَكُونُ ضَرْبَةُ السَّيْفِ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَهْوَنَ مِنَ الدَّرْهِمِ مِنْ جِلِّهِ، ذَلِكَ حَيْثُ يَكُونُ الْمُعْطَى أَعْظَمَ أَجْرًا مِنَ الْمُعْطَى، ذَلِكَ حَيْثُ تَسْكُرُونَ مِنْ غَيْرِ شَرَابٍ بَلْ مِنَ النَّعْمَةِ وَالنَّعِيمِ، وَتَحْلِفُونَ مِنْ غَيْرِ أَضْطِرَارٍ، وَتَكْذِبُونَ مِنْ غَيْرِ إِخْرَاجٍ، وَذَلِكَ إِذَا عَضَّكُمْ الْبَلَاءُ

كَمَا يَعْضُ الْقَتَبُ غَارِبَ الْبَعِيرِ، مَا أَطْوَلَ هَذَا الْعَنَاءَ، وَأَبْعَدَ هَذَا الرَّجَاءَ.

أَيُّهَا النَّاسُ، أَلْقُوا هَذِهِ الْأَزِمَةَ الَّتِي تَحْمِلُ ظُهُورُهَا الْأَثْقَالَ مِنْ أَيْدِيكُمْ، وَلَا تَصَدَّعُوا عَلَى سُلْطَانِكُمْ فَتَدْمُوا غَيْبَ فِعَالِكُمْ، وَلَا تَفْتَحِمُوا مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ قُورِنَارِ الْفِتْنَةِ، وَأَمِيطُوا عَنْ سَنَنِهَا، وَخَلُّوا قَصْدَ السَّبِيلِ لَهَا، فَقَدْ لَعَمْرِي - يَهْلِكُ فِي لَهْبِهَا الْمُؤْمِنُ، وَيَسْلَمُ فِيهَا غَيْرُ الْمُسْلِمِ.

إِنَّمَا مَثَلِي بَيْنَكُمْ مَثَلُ السَّرَاحِ فِي الظُّلْمَةِ لِيَسْتَضِيَ بِهِ مَنْ وَلَجَهَا؛ فَاسْمَعُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَعَوُوا، وَأَخْضِرُوا آذَانَ قُلُوبِكُمْ تَفْهَمُوا.

أقول: هم مبتدأ، خبره مقدم، وهو: إشارة الى بعض اولياء الله فيما يستقبل من زمانه عليه السلام، و معرفة اسمائهم في السماء كناية عن علو درجاتهم عند الله، وفي الملائكة الأعلى وجهلهم في الارض: كناية عن خمول ذكرهم بين أهلها كما هو شأن أكثر الاولياء. وقوله: الا فتوقعوا: انذار بما يكون بعده من الفتن بدولة بنى امية وغيرها المستلزمة لادبار امورهم الصالحة وانقطاع وصلهم، وهي الانتظامات الحاصلة بسبب اتفاق كلمتهم في وجوده عليه السلام، واستعمال اراذلهم في تدبير امورهم. وقوله: ذلك الى قوله: البعير: إشارة الى اربع علامات لوقوع ما اندر به:

احداها: تعذر الدرهم الحلال على المؤمن وقلته الى الغاية المذكورة.

الثانية ان يكون المعطى اعظم اجراً من المعطى، إقماً لأن أكثر اموال المعطين حينئذ مشوبة بالحرام، او تقصد فيها الرياء فيقل اجره ويكون المعطى فقيراً ذا عيال، فإذا أخذ لسد خلته كان اعظم اجراً ممن يعطيه.

الثالثة استعار وصف السكر: لغفلته في نعمة الدنيا عما ينبغي، ويلزم ذلك اليمين الباطلة من غير ضرورة بل غفلة عن عظمة الله، والكذب من غير إحراج، اي: من غير ضرورة تضيق الاعذار بل تصير ملكة وخلقاً.

الرابعة عض بلاء الفتن لهم. وقوله: ما اطول، الى قوله: الرجاء: كلام منقطع عما قبله فكأنه قال ذلك، اذا عضكم البلاء حتى تقولوا ما اطول التعب الذي نحن فيه، وما ابعد الرجاء للخلاص منه، هو بقيام المنتظر من الائمة عليهم السلام. ويحتمل ان يكون

متصلاً ويكون كلاماً له مستأنفاً في معنى التوبيخ على الحرص في الدنيا أي: ما أطول هذا العناء اللاحق لكم في طلبها، وما أبعد هذا الرجاء الذي ترجونه منها! ويحتمل أن يريد بالعناء الطويل: عناه في جذبهم إلى الله، وبالرجاء: رجاء لصلاحهم. واستعار لفظ الأزمة: للآراء الفاسدة المتبعة وللأهواء القائدة إلى المآثم. ولفظ الظهور: لأنفسهم. ولفظ الأثقال: للمآثم المثقلة للنفوس العاقلة عن النهوض إلى حضائر القدس. والتصدع التفرق. وغب كل شئ عاقبته، واقتحامهم: لما يستقبل من نار الفتنة بتصدعهم عنه إذ افتراق الآراء سبب لظهور العدو عليهم، وقيام الفتنة به والاماطة والميظ: التنحي وتلك الاماطة بالعدول عن الآراء الفاسدة والتفرق عنها.

وقوله: لعمرى، إلى قوله: المسلم: من كراماته عليه السلام، فإن الدائرة في فتنة بنى أمية عليهم اللعنة كانت على من لزم دينه واشتغل بعبادة ربه وخاصة من أهل البيت وذرية الرسول صلى الله عليه وآله، وكانت الغلبة للمنافقين ومن تقرب إلى قلوبهم بالكذب على الله وعلى رسوله. ولجها: دخلها، وبالله التوفيق.

٢٢٩ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَوْصِيكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - بِتَقْوَى اللَّهِ، وَكَثْرَةِ حَمْدِهِ عَلَى آيَاتِهِ إِلَيْكُمْ، وَنِعْمَائِهِ عَلَيْكُمْ، وَبَلَايِهِ لَدَيْكُمْ. فَكُمْ حَصَّكُمْ بِنِعْمَةٍ، وَتَدَارَكَكُمْ بِرَحْمَةٍ! أَغْوَرُّكُمْ لَهُ فَسَّرَكُمْ، وَتَعَرَّضْتُمْ لِأَخْذِهِ فَأَمْهَلَكُمْ، وَأَوْصِيكُمْ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَأَقْلَالِ الْغَفْلَةِ عَنْهُ، وَكَيْفَ غَفَلْتُمْ عَمَّا لَيْسَ يُغْفَلُكُمْ، وَظَمَعْتُمْ فِيمَنْ لَيْسَ يُمَهِّلُكُمْ؟ فَكَيْفَى وَأَعْظَا بِمَوْتِي عَايَيْتُمُوهُمْ، حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ، وَأَنْزَلُوا فِيهَا غَيْرَ نَازِلِينَ! فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا عُمَّارًا، وَكَأَنَّ الْآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ دَارًا، أَوْحَشُوا مَا كَانُوا يُوطِنُونَ، وَأَوْظَنُوا مَا كَانُوا يُوجِسُونَ، وَأَشْغَلُوا بِمَا فَارَقُوا وَأَضَاعُوا مَا إِلَيْهِ انْتَقَلُوا، لَأَعْنُ قَبِيحٌ يَسْتَطِيعُونَ انْتِقَالَ، وَلَا فِي حَسَنَةٍ يَسْتَطِيعُونَ أَرْذِيَادًا! أَنْسُوا بِاللُّدُنْيَا فَعَرَّتْهُمْ وَوَثِقُوا بِهَا فَصَرَعَتْهُمْ. فَسَابِقُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - إِلَى مَنَازِلِكُمُ الَّتِي أُمِرْتُمْ أَنْ تَعْمُرُوهَا، وَالَّتِي رُغِبْتُمْ فِيهَا، وَدُعِيتُمْ إِلَيْهَا؛ وَأَسْتَيْتُمُوا نَعَمَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَتِهِ، وَالْمُجَانَبَةِ لِمَعْصِيَتِهِ؛ فَإِنَّ غَدًا مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ، مَا أَسْرَعَ السَّاعَاتِ فِي الْيَوْمِ، وَأَسْرَعَ

الأيام في الشهور، وأسرع الشهور في السنة، وأسرع السنين في العمر!

أقول: استعمار وصف الاعوار وهو: ابداء العورة لظهارهم معاصي الله، ومكارهه التي ينبغي الاستحياء منها. وما فارقوا من احوال الدنيا وما اليه انتقلوا من الآخرة، والمنازل التي امر وابعمارتها: منازل الأبرار التي عمارتها بطاعة الله والفصل واضح وبالله التوفيق.

٢٣٠ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَمِنَ الْإِيمَانِ مَا يَكُونُ ثَابِتًا مُسْتَقِرًّا فِي الْقُلُوبِ، وَمِنْهُ مَا يَكُونُ عَوَارِي بَيْنَ الْقُلُوبِ وَالصُّدُورِ إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ، فَإِذَا كَانَتْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ مِنْ أَحَدٍ فَقِفُوهُ حَتَّى يَحْضُرَهُ الْمَوْتُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقَعُ حَدُّ الْبَرَاءَةِ. وَالْهَجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَى حَدِّهَا الْأَوَّلِ. مَا كَانَ لِلَّهِ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ حَاجَةٌ مِنْ مُسْتَسْرِّ الْأُمَّةِ وَمُعَلِّنِهَا، لَا يَقَعُ اسْمُ الْهَجْرَةِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ الْحُجَّةِ فِي الْأَرْضِ؛ فَمَنْ عَرَفَهَا وَأَقْرَبَهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ، وَلَا يَقَعُ اسْمُ الْإِسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ وَوَعَاها قَلْبُهُ.

مرکز تحقیق و ترویج علوم و معارف اسلامی

إِنَّ أَمْرًا صَعِبٌ مُسْتَضْعَبٌ، لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ ائْتَمَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ، وَلَا يَبْعِي حَدِيثَنَا إِلَّا صُدُورٌ أَمِينَةٌ، وَأَخْلَامٌ رَزِينَةٌ. أَيُّهَا النَّاسُ، سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي! فَلَنَا بِطَرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطَرُقِ الْأَرْضِ، قَبْلَ أَنْ تَشْفَرَ بِرِجْلِهَا فِتْنَةٌ تَطَأُ فِي خِطَايِهَا، وَتَذْهَبُ بِأَخْلَامِ قَوْمِهَا.

أقول: قسم عليه السلام الإيمان إلى قسمين، ووجه الحصر فيهما أن الإيمان لما كان عبارة عن التصديق بوجود الصانع وصفاته، وصدق رسوله فيما جاء به، فتلك الاعتقادات ان بلغت حد الملكات في النفوس فهي الإيمان الثابت المستقر في القلب، وان لم تبلغ ذلك بل كانت حالات في معرض التغيير والانتقال فهي العواري. واستعمار لفظها باعتبار كونها في معرض الزوال كالعارية التي هي في معرض الاسترجاع، وكونها بين القلوب والصدور: كناية عن عدم استقرارها في جواهر النفوس. وقيل: اراد بالمستقر:

الايمان باخلاصٍ وتغيره ما كان على وجه النفاق، اذ كان ذلك لعرض ثم يزول فاذا كانت لكم الى قوله براءة معناه: اذا اردتم التبري من احد من اهل الكتاب فقفوه الى حال الموت ولا تبادروا الى البراءة منه، فان اعظم الكبائر الكفر وجائز من الكافر ان يسلم، فاذا بلغ منتهى الحياة ولم يقلع جاز حينئذ البراءة منه. وقيل: وهذه البراءة هي المطلقة اذ يجوز لنا ان نبرء من الفاسق في حياته براءةً مشروطةً بالإصرار عليها.

وقوله: والهجرة قائمة على حدّها الاوّل، اي: لسا كانت حقيقة الهجرة لغة ترك منزل الى آخر لم يكن تخصيصها بهجرة الرسول صلى الله عليه وآله من مكة الى المدينة، و من تبعه مخرجاً لها عن اخذها اللغو، واذا كان كذلك كان مراده من بقائها على حدّها الاوّل، صدقها على من هاجر اليه والى الائمة من اهل بيته في طلب دين الله لصدقها على من هاجر الى الرسول عليه السلام. وفي معناها ترك الباطل الى الحق كقوله تعالى: (ومن يهاجر في سبيل الله) الآية^١. وقوله صلى الله عليه وآله: المهاجر من هاجر ما حرم الله عليه. ولان المقصود من الهجرة ليس الا اقتباس الدين، وتعرف كيفية سبيل الله وهذا المقصود حاصل من يقوم مقام الرسول صلى الله عليه وآله، بحيث لا فرق بين النبوة والامامة، ولا مدخل لاحد هذين الوصفين في تخصيص مسمى الهجرة بمن قصد الرسول، دون من قصد الائمة عليهم السلام، فان قلت: فقد قال صلى الله عليه وآله: لا هجرة بعد الفتح^٢ حتى شفع عمه العباس في نعيم بن مسعود الأشجعي أن يستثنيه فاستثناه.

قلت: يحمل ذلك على انه لا هجرة من مكة بعد فتحها الى المدينة توفيقاً بين الدليلين، و سلب الخاص لا يستلزم سلب العام. و مقصوده عليه السلام من هذه الكلمة، الدعوة الى الدين و اقتباسه منه، و من اهل بيته عليهم السلام.

وقوله: ما كان لله، الى قوله: ومعانيها، فما: بمعنى المدّة اي: والهجرة قائمة على حدّها الاوّل مهما كان لله في اهل الأرض ممن أسردينه او أظهره حاجةً. واستعار لفظ الحاجة: لطلبه تعالى العبادة بالأوامر والنواهي. ويحتمل ان يكون ما: نافية والكلمة وما قبلها وما بعدها، و هو قوله: ولا يقع اسم الهجرة، الى قوله: قبله كلمات ملتقطة متقطعة. والحجة في الأرض: هو امام الوقت، ومقتضى الكلام ان اطلاق اسم الهجرة على طالب الدين مشروطة

٢ - صحيح مسلم ١٤٨٧/٣. الجامع الصغير ٧٥٢/٢.

١ سورة النساء / ١٠٠.

بمعرفة عين الامام وقصده. ويحتمل. ان يكون الشرط معرفته بالاخبار دون المشاهدة، ويكون اطلاق اسم الهجرة على طالب الدين كأطلاقه على من ترك الحرام في قوله عليه السلام: (المهاجر من هاجر ما حرم الله عليه). وقوله: ولا يصدق الى قوله: قلبه بالحجة: قول الامام وله مفهومان. احدهما ان من بلغت الأحكام من الامام فوعاها، وفهمها، وامكنه العمل بها لم يصدق عليه اسم المستضعف كما صدق على من ذكر الله تعالى بقوله: (الآ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان) الآية^١. حتى يكون معذورا في ترك التفهم الاخبار والعمل بها، بل يؤخذ على ترك العمل ويعاقب وان لم يكلف النهوض والمهاجرة اليه في طلب الدين كما قال تعالى: (ان الذين توفيتهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة) الآية^٢. وقوله: ان امرنا صعب مستصعب: فأمرهم شأنهم ومالهم من الكمال الخارج عن كمال غيرهم كالقدرة على ما يخرج عن وسع غيرهم، والحديث من الأمور الغيبية كالوقائع المستقبلية لزمانه التي وقعت وفق اخباره فان هذا الشأن صعب في نفسه لا يقدر عليه الا الانبياء، و اوصياء الانبياء، ومستصعب الفهم على الخلق معجوز عن حمل ما يلقي منه من الاشارات، ولا يحتمله الا نفس عبد امتحن الله قلبه للايمان فعرف كمالهم، وكيفية صدور هذه الغرائب عنهم ولم يستنكر ذلك ويتعجب منه ويتلقاه بالتكذيب، كما فعل ذلك جماعة من جهال اصحابه بل يتلقى ما يصدر عنهم بالإيمان به، و اولئك هم اصحاب الصدور الأمينة، والاحلام الرزينة. واجمع الناس على انه لم يقل احد من الصحابة: سلوني غير على عليه السلام^٣. واراد بطرق السماء: وجوه الهداية الى معرفة منازل سكان السموات من الملائكة الأعلى، ومراتبهم من حضرة الربوبية وعلمه بما هناك اتم من علمه بطرق الأرض بمقدار اتصاله بالملائكة الأعلى، وانقطاعه عن الدنيا، وهذا اعتم من قول من قال اراد انه اعلم بالدين وقوانينه منه بالدنيا وأحوالها. والفتنة: فتنة بنى امية. و كنى بشفر رجلها: عن خلوتك الفتنة من مدبر يديرها، ويحفظ نظام الدين يومئذ. واستعار وصف الناقة المرسل خطامها فهي: تخبط فيه، و كنى به عن وقوع تلك الفتنة على غير نظام بل يقتل

١ - سورة النساء / ٩٨.

٢ - سورة النساء / ٩٧.

٣ - الغدير ٤٤/٢ وج ١٩٤٤١٩٣٤١٤٨/٦ وج ١٠٧/٧ وج ٣٥١/١٠.

فيها المؤمن البريء، ويتمتع فيها المنافق الشقي. ويذهب بأحلام قومها أي: يستخف ذوى العقول فيخوضون فيها، ويسرعون اليها لغفلتهم فيها عن وجه الحق. وبالله التوفيق.

٢٣١ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

أَحْمَدُهُ شُكْرًا لِإِنْعَامِهِ، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى وَظَائِفِ حُقُوقِهِ. عَزِيزُ الْجُنْدِ، عَظِيمُ الْمَجْدِ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ دَعَا إِلَى طَاعَتِهِ، وَقَاهَرَ أَعْدَاءَهُ جَهَادًا عَلَى دِينِهِ. لَا يَتَّبِعُهُ عَنِ ذَلِكَ أَجْتِمَاعٌ عَلَى تَكْذِيبِهِ، وَالْتِمَاسِ لِإِظْفَاءِ نُورِهِ. فَاعْتَصِمُوا بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّ لَهَا حَبْلًا وَثِيقًا عُرْوَتَهُ، وَمَعْقِلًا مَنِيعًا ذِرْوَتَهُ، وَبَادِرُوا الْمَوْتَ وَعَمْرَاتِهِ. وَأَمْهَدُوا لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ، وَأَعِدُّوا لَهُ قَبْلَ نُزُولِهِ: فَإِنَّ الْغَايَةَ الْقِيَامَةَ وَكَفَى بِذَلِكَ وَأَعْظَا لِمَنْ عَقَلَ، وَمُعْتَبَرًا لِمَنْ جَهَلَ. وَقَبْلَ بُلُوغِ الْغَايَةِ مَا تَعْلَمُونَ مِنْ ضِيقِ الْأَرْقَامِ، وَشِدَّةِ الْإِبْلَاسِ، وَهَوْلِ الْمُطَّلَعِ، وَرَوْعَاتِ الْفَرْعِ، وَآخْتِلَافِ الْأَصْلَاحِ، وَاسْتِكَائِ الْأَسْمَاعِ، وَظُلْمَةِ اللَّخْدِ، وَخِيفَةِ الْوَعْدِ، وَعَمِّ الضَّرِيحِ، وَرَذَمِ الصَّفِيحِ. فَاللَّهُ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ!، فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَى سَنَنِ، وَأَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ فِي قَرْنٍ، وَكَأَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا، وَأَرْفَتْ بِأَفْرَاطِهَا، وَوَقَفَتْ بِكُمْ عَلَى صِرَاطِهَا. وَكَأَنَّهَا قَدْ أَشْرَفَتْ بِزَلَالِهَا، وَأَنَاخَتْ بِكَلَالِهَا، وَأَنْصَرَمَتِ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا، وَأَخْرَجَتْهُمْ مِنْ حِضْنِهَا، فَكَانَتْ كَيَوْمِ مَضَى، أَوْ شَهْرٍ أَنْقَضَى، وَصَارَ جَدِيدُهَا رَأً، وَسَمِينُهَا غَشًّا، فِي مَوْقِفِ ضَنْكِ الْمَقَامِ، وَأُمُورٍ مُشْتَبِهَةٍ عِظَامٍ، وَنَارٍ شَدِيدٍ كَلْبِهَا، عَالٍ لَجْبِهَا، سَاطِعٍ لَهْبِهَا، مُتَغَيِّظٍ زَفِيرِهَا، مُتَأَجِّجٍ سَعِيرِهَا؛ بَعِيدِ خُمُودِهَا، ذَاكِ وَقُودِهَا، مُخِيفِ وَعِيدِهَا، عَمِّ قَرَارِهَا، مُظْلِمَةِ أَقْطَارِهَا، حَامِيَةِ قُدُورِهَا، فَطِيعَةِ أُمُورِهَا (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا) قَدْ أَمِنَ الْعَذَابُ، وَأَنْقَطَعَ الْعِتَابُ، وَرُخِزُوا عَنِ النَّارِ، وَأَظْمَأَتْ بِهِمُ الدَّانُ وَرَضُوا الْمَثْوَى وَالْقَرَارَ، الَّذِينَ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا زَاكِيَةً، وَأَعْيُنُهُمْ بَاكِيَةً، وَكَانَ لَيْلُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ نَهَارًا تَخَشُّعًا وَاسْتِغْفَارًا، وَكَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلًا تَوَحُّشًا وَأَنْقِطَاعًا، فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُمُ الْجَنَّةَ مَأْبَا، وَالْجَزَاءَ ثَوَابًا، وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا، فِي مُلْكٍ دَائِمٍ، وَنَعِيمٍ قَائِمٍ. فَارْعَوْا - عِبَادَ اللَّهِ - مَا بَرِعَائِيهِ يَفُوزُ فَائِزُكُمْ، وَبِإِضَاعَتِيهِ يَخْسِرُ مُبْطِلُكُمْ وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ

بِأَعْمَالِكُمْ فَإِنَّكُمْ مُرْتَهِنُونَ بِمَا أَسْلَفْتُمْ، وَمَدِينُونَ بِمَا قَدَّمْتُمْ، وَكَأَنَّ قَدْ نَزَلَ بِكُمْ الْمَخُوفُ فَلَا رَجْعَةَ تَتَّالُونَ، وَلَا عَشْرَةَ تُقَالُونَ. اسْتَعْمَلْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ، وَعَفَاغَتًا وَعَنْكُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ، الزَّمُوا الْأَرْضَ، وَاصْبِرُوا عَلَى الْبَلَاءِ، وَلَا تُحَرِّكُوا بِأَيْدِيكُمْ وَسُيُوفِكُمْ فِي هَوَى السِّنْتِكُمْ، وَلَا تَسْتَعْجِلُوا بِمَا لَمْ يُعَجِّلْهُ اللَّهُ لَكُمْ، فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ وَهُوَ عَلَى مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ وَحَقِّ رَسُولِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ مَاتَ شَهِيدًا وَوَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَاسْتَوْجِبَ ثَوَابَ مَا نَوَى مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ، وَقَامَتِ النَّيَّةُ مَقَامَ إِضْلَاتِهِ لِسَيْفِهِ، وَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مُدَّةً وَأَجَلًا.

اقول: استعار لفظ الحبل والعروة: لما يتمسك به من التقوى، ويعتصم به من النار. والمعقل: الملجأ كالجبل. وامهدوا له: اجعلوا له مهادًا من التقوى. والارماس: القبور. والإبلاس: الانكسار والحزن. والمطلع: موضع الاطلاع وهو منازل الآخرة. ومحفل القيامة واختلاف الاضلاع: كناية عن ضغطة القبر المستلزمة لذلك. والصفيح: حجارة يردم بها القبر ويسده. والسنن: القصد، واران على سنن واحد وهو طريق الآخرة. وفي قرن اي: مقترنين. والقرن: الحبل يقرن به البعيران. واشراط الساعة: علاماتها. وازفت: دنت. افراطها: مقدماتها. واستعار لفظ الكلاكل وهي: الصدور لا ثقالتها، ولفظ الحصن: لحصونهم فيها، واشتمالها على منافعهم فهي: كالآم الحاضنة لهم. والرث: الخلق. والغث: الهزيل. والضنك: الضيق. والكلب: الشر. واللجب: الصوت. والساطع: المرتفع. وذاك: مشتعل، والزمرة: الجماعة. ومبادرة الآجال بالأعمال: مسابقتها بها، استعدادا لتسهيل الموت. ومدينون: مجزؤون.

وقوله: الزموا الأرض الى آخره قيل: هو خطاب خاص لمن يكون بعده من اصحابه، ولزوم الارض: كناية عن الصبر على المكاره، والثبات في زمن الفتنة، وعدم النهوض والجهاد ما لم يقم لهم قائم بحق. والباء في بأيديكم: على المكاره. وهوى السنتكم: اراد بهم السب والشتم. ولا تحركوا ايديكم وسيوفكم والسنتكم بهواها ولا تعجلوا بما لم يعجله الله لكم من الجهاد قبل ظهور امام عادل. وقوله: فانه من مات الى قوله بسيفه: بيانا لحكمهم في زمن عدم قيام الامام العادل بعده لطلب الأمر. وتنبيه على ثمره الصبر. وهو:

ان من مات منهم على فراشه مع معرفته بحق الله، وحق رسوله، واهل بيته، والاعتراف بكونهم ائمة الحق، والافتداء بهم، لحق بدرجة الشهداء، ووقع اجره على الله بذلك، و قام صبره على المكاره ونيته انه من انصار الحق واهله مقام جهاده بسيفه في استحقاق الأجر. وقوله: فان لكل شئ مدة وأجلاً: تنبيه على ان لجهادهم وقتا يجب فيه، ولعدوهم مدة ودولة لا يجوز لهم القيام فيها مع غير امام حق. هذا هو المتبادر الى الفهم من الكلام والله اعلم.

٢٣٢ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْفَاشِي حَمْدُهُ، وَالْغَالِبِ جُنْدُهُ، وَالْمُتَعَالَى جَدُّهُ، أَحْمَدُهُ عَلَى نِعْمِهِ التَّوَامِ، وَالْآلِيهِ الْعِظَامِ، الَّذِي عَظَّمَ جِلْمُهُ فَعَقَا، وَعَدَلَ فِي كُلِّ مَا قَضَى، وَعَلِمَ مَا يَمْضِي وَمَا مَضَى، مُبْتَدِعِ الْخَلَائِقِ بِعِلْمِهِ، وَمُنْشِئِهِمْ بِحُكْمِهِ بِلَا اِفْتِدَاءٍ وَلَا تَعْلِيمٍ، وَلَا اخْتِذَاءٍ لِمِثَالِ صَانِعِ حَكِيمٍ، وَلَا إِصَابَةِ خَطَا، وَلَا حَضْرَةَ مَلَأَ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ابْتَعَثَهُ وَالنَّاسُ يَضْرِبُونَ فِي غَمْرَةٍ، وَيَمْوَجُونَ فِي حَيْرَةٍ. قَدْ قَادَتْهُمْ أَرْمَةُ الْحَيْنِ، وَاسْتَغْلَقَتْ عَلَى أَفْيِدَتِهِمْ أَقْفَالُ الرَّيْنِ.

مرکز تحقیقات کتب و تاریخ علوم اسلامی

أَوْصِيَكُمْ - عِبَادَ اللَّهِ - بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا حَقٌّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ، وَالْمُوجِبَةُ عَلَى اللَّهِ حَقِّكُمْ، وَأَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهَا بِاللَّهِ وَتَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى اللَّهِ؛ فَإِنَّ التَّقْوَى فِي الْيَوْمِ الْحِرْزُ وَالْجَنَّةُ، وَفِي غَدِ الطَّرِيقُ إِلَى الْجَنَّةِ: مَسْلِكُهَا وَاصِحٌّ، وَسَالِكُهَا رَابِحٌ، وَمُسْتَوْدَعُهَا حَافِظٌ، لَمْ تَبْرَحْ عَارِضَةً نَفْسَهَا عَلَى الْأُمَمِ الْمَاضِينَ وَالْغَابِرِينَ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا غَدًا إِذَا أَعَادَ اللَّهُ مَا أَبَدَى. وَأَخَذَ مَا أَعْطَى. وَسَأَلَ عَمَّا أَسَدَى. فَمَا أَقَلَّ مَنْ قَبَلَهَا وَحَمَلَهَا حَقَّ حَمْلِهَا: أَوْلَيْكَ الْأَقْلُونَ عَدْدًا. وَهُمْ أَهْلُ صِفَةِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - إِذْ يَقُولُ: (وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ)! فَأَهْطِعُوا بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَيْهَا، وَاصْبِرُوا بِجِدِّكُمْ عَلَيْهَا، وَاعْتَاظُوهَا مِنْ كُلِّ سَلْفٍ خَلْفًا، وَمِنْ كُلِّ مُخَالِفٍ مُوَافِقًا، أَنْ يَقْطَعُوا بِهَا نَوْمَكُمْ، وَأَقْطَعُوا بِهَا يَوْمَكُمْ، وَأَشْعِرُوا قُلُوبَكُمْ، وَأَرْحَضُوا بِهَا دُنُوبَكُمْ. وَدَاوُوا بِهَا الْأَسْقَامَ، وَبَادِرُوا بِهَا الْحِمَامَ، وَاعْتَبِرُوا بِمَنْ أَضَاعَهَا، وَلَا تَعْتَبِرَنَّ بِكُمْ مَنْ أَطَاعَهَا. أَلَا وَصُونُوهَا وَتَصَوُّبُوهَا بِهَا. وَكُونُوا عَنِ الدُّنْيَا نَزَاهًا، وَإِلَى الْآخِرَةِ وُلاَهَا،

وَلَا تَضَعُوا مَنْ رَفَعْتَهُ التَّقْوَى، وَلَا تَرْفَعُوا مَنْ رَفَعْتَهُ الدُّنْيَا، وَلَا تَشِيْمُوا بَارِقَهَا، وَلَا تَسْتَمِعُوا نَاطِقَهَا، وَلَا تُجِيبُوا نَاعِقَهَا، وَلَا تَسْتَضِيئُوا بِإِشْرَاقِهَا، وَلَا تُفْتَتُوا بِأَغْلَاقِهَا؛ فَإِنَّ بَرَقَهَا خَالِبٌ، وَنُطْقَهَا كَاذِبٌ، وَأَمْوَالُهَا مَخْرُوبَةٌ، وَأَغْلَاقُهَا مَسْلُوبَةٌ، أَلَا وَهِيَ الْمُتَصَدِّقَةُ الْعَنُونُ، وَالْجَامِحَةُ الْحَرُونُ، وَالْمَائِنَةُ الْخَوُونُ وَالْجَحُودُ الْكَنُودُ، وَالْعَنُودُ الصَّدُودُ، وَالْحَيُودُ الْمَيُودُ: حَالُهَا أَنْتِقَالٌ، وَوِطْأَتُهَا زَلْزَالٌ، وَعِزُّهَا ذُلٌّ، وَجِدُّهَا هَزَلٌ، وَعُلُوُّهَا سُفْلٌ، دَارُ حَرْبٍ وَسَلْبٍ، وَنَهَبٍ وَعَظْبٍ، أَهْلُهَا عَلَى سَاقٍ وَسِيَّاقٍ، وَلِحَاقٍ وَفِرَاقٍ. قَدْ تَحَيَّرَتْ مَذَاهِبُهَا، وَأَعْجَزَتْ مَهَارِبُهَا. وَخَابَتْ مَطَالِبُهَا، فَأَسْلَمَتْهُمْ الْمَعَاقِلُ، وَلَفَظَتْهُمْ الْمَنَازِلُ، وَأَغْيَسَتْهُمْ الْمَحَاوِلُ، فَمِنْ نَاجٍ مَعْقُورٍ، وَلَحْمٍ مَجْزُورٍ، وَسِلْوٍ مَذْبُوحٍ وَدَمٍ مَسْفُوحٍ، وَعَاضَ عَلَى يَدَيْهِ، وَصَافِقَ بِكَفَيْهِ، وَمُرْتَفِقٍ بِخَدَيْهِ، وَزَارَ عَلَى رَأْيِهِ، وَرَاجِعَ عَنْ عِزِّهِ، وَقَدْ أَذْبَرَتِ الْحِيَلَةَ، وَأَقْبَلَتِ الْغِيْلَةَ، وَلَا تَ جِئْنَ مَنَاصٍ، وَهَيْهَاتَ، ثُمَّ هَيْهَاتَ!! قَدْ فَاتَ مَافَاتَ، وَذَهَبَ مَا ذَهَبَ، وَمَضَتِ الدُّنْيَا لِحَالِ بَالِيهَا (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ).

أقول: الفاشى: المنتشر. والجيد: العظمة. والغمرة: غلبة الجهل. والحين بالفتح: الهلاك. والرين: غطاء الجهل، وتغلبة الذنوب المعظمة لأعين البصائر. واستعار لفظ الاقفال: للجهل والذنوب. وتستعينوا بها على الله اى: على نيل ثوابه، ودفع عقابه، و كونها فى اليوم حرزا و جنة اى: فى الحياة الدنيا لقوله تعالى: (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) الآية^٢ وغداى: يوم القيامة. ومستودعها: بالفتح من أودعها، وقبلها، وحافظ اى: لها و لنفسه من التورط فى الآثام و عذاب الله و عرضها لنفسها: كونها للأخذ والاقتناء. واسدى: ارسل معروفه. واهطعوا بأسماعكم: اسرعوا بها. واكظوا اى: داوموا وواظبوا عليها، و روى باللام اى: الزموا. واشعروها قلوبكم اى: اجعلوها شعارا لازمالها. وارضضوا اى: اغسلوا. والوله: التحير من شدة الوجد. وشيم البرق: انتظار ان يمطر سحابه والطمع فى ذلك. واستعار لفظ البارق: لما يلوح من اطماعها، و كنى بناطقها: عن مادحها. و ما كشف ريبتها من قول او فعل اوزينة اومتاع. و بسماعه: عن الاصفاء اليه والميل نحوه. وناعقها: الداعى اليها. واستعار لفظ الاشراق: للآراء الهادية الى وجوه

تحصيلها، ووصف الاستضاءة لا تباع تلك الآراء. ويحتمل ان يريد بإشراقها: زينتها التي تبهج بها، والاستضاءة بذلك: ابتهاج به. واعلاقتها: ما يعدّ فيها نفيسا. والخلب: الذى لامطر معه.

وقوله: فإنّ برقها، الى قوله: مسلوبة: فى قوّة صغرى ضمير، يقربه عنها تعليلا لتلك المناهى، وتقدير كبراه: وكلما كان كذلك فلا ينبغى ان يلتفت اليه. والمحروب: المأخوذ بأجمعه. والمتصدية: المستعرضة. والعنون: الذّابة المتقدمة فى السير. والعنون: كثيرة العنن وهو الاعتراض. قال بعض الشارحين: استعار لها وصف المرأة الفاجرة التى من شأنها التعرّض للرجال لتخدعهم عن انفسهم. ويحتمل ان يكون استعار: لوصف الذّابة يمشى عرض الطريق، والدنيا باعتبار كثرة تعثراتها وتقلباتها، وجريها على غير قانون يحفظ فيه. واستعار لفظ الجموح والحزون: لها، باعتبار عدم انقيادها وعدم القدرة على تصريفها عند الحاجة اليها. والمائة: الخائنة الكاذبة. والكنود: الكفور للنعمة. والعنود: المائلة عن القصد، وكذلك الحيود: كثيرة الحيد وهو الميل. والميود: المتمايلة. والحرب بفتح الحاء: سلب المال. والسلب: ما يسلب الانسان من ثوب وغيره. وعلى ساق: كناية عن عدم استقرارهم فيها. وقيل: الساق: الشدة. والسياق: نزع الروح، والسياق: مصدر ساقه سياقا، وهو ايضا: كناية عن الأمر الشديد. واللحاق اى: بالماضين. وفراق اى: لها. وتحيّر مذاهبها: عدم الاهتداء الى طرق خيرها، ودفع شرّها. واسد الحيرة الى المذاهب مجازاً اى: تحيّر أهلها فى مذاهبها. وكذلك اعجزت مهاربها اى: اعجزت من طلبها فى مهاربها. والمحاول: جمع محالة وهى الحيلة. وقوله فمن ناح الى قوله عن عزمه: تقسيم لاهلها باعتبار ما يرميهم به من مصائبها. والشلو: العضو من اللحم بعد الذبح، واشلاء الانسان: اعضاؤه المتفرقة فى البلى. والغيلة: للاخذ على غرة. والعضّ على اليدين: كناية عن الندم فى الآخرة. والمرتفق بخديته: جاعل مرفقيه تحت خديه ندماً. وزاد على رأيه اى: فى تفريطه، وراجع عن عزمه فى ذلك، والمناص: مصدر قولك ناص نوصا اى: فرّواغ. ولات: حرف سلب، شبه ليس، واضر فيها اسم الفاعل ولا يستعمل الآ مع حين وقد تحذف حين. والبال: القلب. والضمير فى مضت: للدنيا. وبالله التوفيق.

٢٣٣ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

تسمى القاصعة

وهي تَتَضَمَّنُ ذَمَّ ابليس على استكباره وتركه السجود لآدم - عليه السلام - وأنه أول من أظهر العصبية وتبع الحمية وتحذير الناس من سلوك طريقته ومن الناس من يُسَمِّي هذه الخطبة «القاصعة»

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَبَسَ الْعِزَّ وَالْكَبْرِيَاءَ، وَاخْتَارَهُمَا لِتَفْسِيهِ دُونَ خَلْقِهِ؛ وَجَعَلَهُمَا جِمَى وَحَرَمًا عَلَى غَيْرِهِ، وَاصْطَفَاهُمَا لِجَلَالِهِ، وَجَعَلَ اللَّعْنَةَ عَلَى مَنْ نَازَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ. ثُمَّ اخْتَبَرَ بِذَلِكَ مَلَائِكَتَهُ الْمُقْرَبِينَ؛ لِيَمِيزَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَهُوَ الْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ وَمَخْجُوبَاتِ الْغُيُوبِ. (إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ، فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ) اعْتَرَضَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَافْتَخَرَ عَلَى آدَمَ بِخَلْقِهِ، وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأُضْلِيهِ، فَعَدَّوْا اللَّهَ إِمَامًا الْمُتَعَصِّبِينَ، وَسَلَفَ الْمُسْتَكْبِرِينَ، الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصْبِيَّةِ، وَنَازَعَ اللَّهَ رِذَاءَ الْجَبَرِيَّةِ؛ وَادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ، وَخَلَعَ قِنَاعَ التَّذَلُّلِ.

أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغُرَ اللَّهُ بِتَكْبِيرِهِ؟ وَوَضَعَهُ اللَّهُ بِتَرْفَعِهِ؟ فَجَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا مَذْخُورًا، وَأَعَدَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ سَعِيرًا.

وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ الْأَبْصَارَ ضِيَاؤُهُ، وَيَبْهَرُ الْعُقُولَ رُؤَاؤُهُ، وَطِيبُ يَأْخُذُ الْأَنْفَاسَ عَرْفُهُ لَفَعَلَ، وَلَوْ فَعَلَ لَظَلَّتْ لَهُ الْأَعْتَاقُ خَاضِعَةً، وَلَخَفَّتِ الْبُلُوبُ فِيهِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - أَبْتَلَى خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَضْلَهُ تَمِييزًا بِالِاخْتِبَارِ لَهُمْ، وَنَفْيًا لِلِاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ، وَإِعَادًا لِلْخِيَلَاءِ مِنْهُمْ.

فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ بِإِبْلِيسَ؛ إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ، وَجَهَدَهُ الْجَهِيدَ، وَكَانَ قَدْ عَبَدَ اللَّهَ سِتَّةَ آلَافِ سَنَةٍ لَا يُدْرَى أَمِنْ سِنِي الدُّنْيَا أَمْ سِنِي الْآخِرَةِ - عَنْ كِبَرِ سَاعَةِ وَاحِدَةٍ، فَمَنْ بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَى اللَّهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ؟ كَلَّا! مَا كَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِيَدْخَلَ

الْجَنَّةَ بَشْرًا بَأْمَرٍ أُخْرِجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكًا، إِنَّ حُكْمَهُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ لَوَاحِدٌ، وَمَا بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ فِي إِبَاحَةِ حِمِّي حَرَمَهُ عَلَى الْعَالَمِينَ.

فَاخْذَرُوا عَدُوَّ اللَّهِ، أَنْ يُعَدِّدَ لَكُمْ بَدَائِهِ، وَأَنْ يَسْتَفِزَّكُمْ بِبَدَائِهِ، وَأَنْ يُجَلِّبَ عَلَيْكُمْ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ، فَلَعْمَرِي لَقَدْ فَوَّقَ لَكُمْ سَهْمَ الْوَعِيدِ، وَأَغْرَقَ لَكُمْ بِالتَّرْعِ الشَّدِيدِ، وَرَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ، وَقَالَ: (رَبِّ بِمَا أَعُوذُ لِي لَا أُرِيَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أَعُوذِيَهُمْ أَجْمَعِينَ)؛ قَذَفَا بِغَيْبٍ بَعِيدٍ، وَرَجَمَا بظَنِّ مُصِيبٍ، صَدَقَهُ بِهِ أَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ، وَإِخْوَانُ الْعَصِيَّةِ، وَفُرْسَانُ الْكِبْرِ وَالْجَاهِلِيَّةِ، حَتَّى إِذَا انْقَادَتْ لَهُ الْجَامِحَةُ مِنْكُمْ، وَأَسْتَحْكَمَتِ الظَّمَاعِيَّةُ مِنْهُ فِيكُمْ، فَتَجَمَّتِ الْحَالُ مِنَ السَّرِّ الْخَفِيِّ إِلَى الْأَمْرِ الْجَلِيِّ؛ اسْتَفْحَلَ سُلْطَانُهُ عَلَيْكُمْ، وَذَلَفَ بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ، فَأَفْحَمُواكُمْ وَلَجَاتِ الدَّلِّ، وَأَحْلَوْكُمْ وَرَطَّاتِ الْقَتْلِ، وَأَوْطَأَوْكُمْ إِسْحَانَ الْجِرَاحَةِ: طَفْنَا فِي عُيُونِكُمْ وَحَزَا فِي حُلُوقِكُمْ، وَذَقْنَا لِمَتَاخِرِكُمْ، وَقَصَدْنَا لِمَقَاتِلِكُمْ، وَسَوَقْنَا بِخَزَائِمِ الْقَهْرِ إِلَى النَّارِ الْمُعَدَّةِ لَكُمْ، فَأَصْبَحَ أَعْظَمَ فِي دِينِكُمْ جَرْحًا، وَأَوْرَى فِي دُنْيَاكُمْ قَدْحًا، مِنَ الَّذِينَ أَصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِينَ، وَعَلَيْهِمْ مُتَأَلِّبِينَ؛ فَاجْعَلُوا عَلَيْهِ حَدَّكُمْ وَلَهُ جَدَّكُمْ! فَلَعْمَرُ اللَّهُ لَقَدْ فَحَرَ عَلَى أَضْلِكُمْ، وَوَقَعَ فِي حَسْبِكُمْ، وَذَفَعَ فِي نَسْبِكُمْ؛ وَأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ عَلَيْكُمْ، وَقَصَدَ بِرَجْلِهِ سَبِيلَكُمْ: يَفْتَنِيصُوكُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ، وَيَضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُلَّ بَنَانٍ، لَا تَمْتَنِعُونَ بِحِيلَةٍ، وَلَا تَدْفَعُونَ بِعَزِيمَةٍ فِي حَوْمَةٍ ذُلٍّ؛ وَحَلَقَةَ ضَيْقٍ، وَعَرَضَةَ مَوْتٍ، وَجَوْلَةَ بَلَاءٍ. فَأُظْفِقُوا مَا كَمَنَّ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ الْعَصِيَّةِ، وَأَحْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ؛ فَإِنَّمَا تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَنَخَوَاتِهِ، وَنَزَعَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ، وَأَعْتَمِدُوا وَضَعَ التَّدْلِيلِ عَلَى رُءُوسِكُمْ، وَالْقَاءَ التَّعَزُّزِ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ، وَخَلَعَ التَّكْبَرِ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ، وَاتَّخِذُوا التَّوَاضِعَ مَسْلَحَةً، بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ: إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ فَإِنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ جُنُودًا وَأَعْوَانًا، وَرَجُلًا وَفُرْسَانًا. وَلَا تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَى ابْنِ أُمِّهِ مِنْ غَيْرِ مَا فَضَّلَ جَعَلَهُ اللَّهُ فِيهِ سِوَى مَا أَحَقَّتِ الْعِظَمَةُ بِنَفْسِهِ مِنْ عَدَاوَةِ الْحَسَدِ، وَقَدَحَتِ الْحَمِيَّةُ فِي قَلْبِهِ مِنْ نَارِ الْغَضَبِ، وَنَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي أَنْفِهِ مِنْ رِيحِ الْكِبْرِ الَّذِي أَغْشَاهُ اللَّهُ بِهِ التَّدَامَةَ، وَالزَّمَهُ آثَامَ الْقَاتِلِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

أَلَا وَقَدْ أَمَعْتُمْ فِي الْبَغْيِ، وَأَفْسَدْتُمْ فِي الْأَرْضِ، مُصَارِحَةً لِلَّهِ بِالْمُنَاصِبَةِ، وَمُبَارَزَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْمُحَارَبَةِ! فَاللَّهُ اللَّهُ فِي كِبْرِ الْحَمِيَّةِ، وَفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ؛ فَإِنَّهُ مَلَاقِحُ الشَّنَانِ، وَمَتَافِخُ

الشَّيْطَانِ، الَّتِي خَدَعَ بِهَا الْأُمَّمَ الْمَاضِيَةَ، وَالْقُرُونَ الْخَالِيَةَ، حَتَّى أَعْتَقُوا فِي حَنَادِسِ جَهَالَتِهِ! وَمَهَاوِي ضَلَالَتِهِ، ذُلًّا عَلَى سِيَاقِهِ سُلُوسًا فِي قِيَادِهِ، أَمْرًا تَشَابَهَتْ الْقُلُوبُ فِيهِ، وَتَتَابَعَتْ الْقُرُونَ عَلَيْهِ، وَكَبِيرًا تَضَايَقَتْ الصُّدُورُ بِهِ إِلَّا فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكِبْرَائِكُمْ الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ، وَتَرَفَّقُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ، وَالْقَوَا الْهَجِيئَةَ عَلَى رَبِّهِمْ، وَجَاحَدُوا اللَّهَ عَلَى مَا صَنَعَ بِهِمْ، مُكَابِرَةً لِقَضَائِهِ، وَمُعَالَبَةً لِآيَاتِهِ!! فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أُسَاسِ الْعَصْبِيَّةِ، وَدَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ، وَسُيُوفُ اغْتِرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَكُونُوا لِنَعْمِهِ عَلَيْكُمْ أَضْدَادًا، وَلَا لِفُضْلِهِ عِنْدَكُمْ حُسَادًا!! وَلَا تُطِيعُوا الْأَدْعِيَاءَ الَّذِينَ شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدْرَهُمْ، وَخَلَطْتُمْ بِصِحَّتِكُمْ مَرَضَهُمْ، وَأَدْخَلْتُمْ فِي حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ؛ وَهُمْ أُسَاسُ الْفُسُوقِ، وَأَخْلَاسُ الْعُقُوقِ؛ اتَّخَذَهُمْ إِبْلِيسُ مَطَايَا ضَلَالٍ، وَجُنُودًا بِهِمْ يَصُولُ عَلَى النَّاسِ، وَتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ اسْتِزَاقًا لِعُقُولِكُمْ، وَدُخُولًا فِي عُيُونِكُمْ، وَنَفْسًا فِي أَسْمَاعِكُمْ؛ فَجَعَلَكُمْ مَرْمَى نَبْلِهِ، وَمَوْطِيءَ قَدَمِهِ، وَمَأْخِذِيدهِ.

اقول: القمص: ابتلاع الماء والجرة. وقصعه قصعاً: صغره وحقره. وقيل: فى معنى تسميتها بذلك: أنه عليه السلام خطب بها أهل الكوفة على ناقه وهى تقمص بجرتها فسميت خطبة القاصعة. وقيل: بل لأن فيها قصع إبليس وتحقيره.

و اعلم ان مدار هذه الخطبة على النهى عن الكبر، والفخر، وما يلزمه من التفرقة والفتنة و وصف الابليس: مستعار لوصفه تعالى بالعز والكبريا، واختياره تعالى لهما يعود الى استحقاقه لهما بالذات اذ الممكن لا يليق به التغرر والتكبر من حيث هو ممكن محتاج، و خلقه من نور خلقه شفافا او خلقه مجرداً عن علائق المواد، اى: لو اراد خلقه كذلك لكان مقدوراً له: فلم يخلقه من طين ظلمانى كثيف. والخيلاء: الكبر، وقد اشرنا فى الخطبة الاولى الى قصة آدم وهى واضحة هنا. والاحباط: الابطال. وجهده: اجتهاده. وقد صرح عليه السلام: ان ابليس كان من الملائكة. وقد اشرنا فى الخطبة الاولى الى وجه الجمع بين ذلك وبين قوله تعالى: (الا ابليس كان من الجن) ^١ والهوادة: الصلح. وقوله فمن ذا الذى يسلم على الله اى: يرجع اليه سالماً. و محل ان يعيدكم: نصب على البدل من عدو الله. وخيله ورجله: كناية عن اعوانه الضالين

المضلين. واستعار لفظ السهم: لما توعدهم به من التزین والوسوسة، ومكانه القريب: ما اشار اليه الخبر النبوي: (ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم). وقوله صلى الله عليه وآله: (لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماوات) والغيب: ما غاب عنه فلم يعلمه ففقد بحكم بعيد عن علمه، وهو: الاغواء والاعراف في النزاع استيفاء مد السهم، فان قلت: فلم قال، غير مصيب مع ان ابليس صدق ظنه في اغواء الناس كما قال تعالى: (ولقد صدق الى قوله المؤمنين)؟^٢ اجيب من وجهين: احدهما انه ظن ان اغوائهم يكون منه و كان منهم اختيارا لانهم احبوا العمى على الهدى، فغفوا عن الطريق وكان ظنه في نسبة ذلك اليه غير مصيب، وانما صدقوه في وقوع الغواية منهم وفق ظنه. الثاني: ان حكمه بانه يغوى الخلق اجمعين حكم فاسد عن ظن غير مصيب. واما استثناءه للمخلصين: فكان تصديقا لقوله تعالى (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان^٣) لاعتنا ظن منه لذلك، والحمية المذمومة والعصية في الباطل. واستعار لفظ الجامعة: للنفوس التي تقوى على ابليس ثم تلين له. وقوله فنجمت الى قوله الحال، اى: فظهرت الحال التي كان يرومها منكم و يظنها فيكم وهي الغواية من القوة الى الفعل. والطماعية: الطمع. وولف: مشى ودنا. واقحموكم: ادخلوكم. والولجات: جمع ولجة بالفتح، موضع كالكهف ونحوه تستتر به المارة من المطر وغيره. والورطة: الارض المطمئنة لا طريق فيها. وانتصب طعنا وما بعده على المصادر عن افعالها المقدرة. والخزائم: جمع خزامة بالكسر وهي حلقة من شعريكون فى انف البعير يشد بها الزمام. والمناصبة: المعادة. والتآلب: الاجتماع. وخذهم بأسهم وسطوتهم. والرفع فى النسب: كناية عن الوقوع فيه. وحومة الشئ: معظمه وما استدار منه على كثرة. والمسوحة: قوم ذو سلاح يحفظون الثغر. و اراد بالمتكبر على ابن امه، قابيل حين قتل اخاه هابيل عن حسد و كبر.

قيل: وانما قال ابن امه دون ابيه لان الوالد الحق هو الام، واما الأب فلم يصدر منه غير النطفة التى ليست بولد بل جزءا ماديا له. وقوله: والذمة آثام القاتلين اشارة الى قوله تعالى: (من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل^٤) الى قوله تعالى (جميعا) اى: يكونوا

٢ - سورة سبأ/ ٢٠.

١ - الجامع الصغير ١/ ٣١١. صحيح مسلم ٤/ ١٧١٢.

٤ - سورة المائدة/ ٣٢.

٣ - سورة الحجر/ ٤٢. سورة الاسراء/ ٦٥.

اثمه وعقابه في الشدة كأثم قاتل الناس جميعا وعقابه. وقول الرسول عليه السلام: (من سن سنة سيئة فعلية وزرها ووزر من يعمل بها الى يوم القيامة) او قابيل اول من سن القتل، فلا جرم لزمه آثام القاتلين الى يوم القيامة. والشنآن العداوة. والمصارحة: المكاشفة. والملاقح: جمع ملقح بفتح الميم وهو الفحل. والشنآن: البغضاء. واعنق البعير في السير مدعنته وخطوه. والحنادس: جمع حندس بالكسر وهو الليل شديد الظلمة. والهجينه: الفعل القبيح. والاعتزاء: الانتساب الى أب او قبيلة كقولهم بآل فلان. و استعار لفظ الاضداد لمن يكفر نعمة الله باعتبار بعدها عنه ومفارقة اياها بذلك. و لفظ الحساد اذ كافر النعمة كأنه يطردها عنه بكفرانه لها حاسد. ويحتمل ان يكون نهيا عن حسد الغير. وقوله وشربتم بصفوكم كدرهم اي: فرجتهم اكدار فتنتهم و ردائلهم بما صفى من دينكم، وخلص فشربتموه و وصف الشرب مستعار. و كذلك قوله: و خلطتم بصحتكم مرضهم اي: بخالص ايمانكم و دينكم نفاقهم و ردائلهم. والحلس: كساء رقيق تحت بردته^١ و استعار لفظه لهم باعتبار ملازمتهم للعقوق كملازمة الحلس لظهر البعير و نصب استراقا على المفعول له اوعلى المصدر. و اراد ينطق على السنتهم: بما يخدعكم به من جهة عقولكم، بالوهميات الكاذبة التي تشبه البديهيات. والعاديات: التي يخدع بها العقل و من جهة ابصاركم كالوسوسة بالمبصرات و تزيتها و من جهة اسماعكم كترين الجواذب السمعية الى الدنيا.

الثاني، في الأمر بالاعتبار بحال الماضين: وما اصاب الامم المتكبرين، و بحال الانبياء و فضلهم في التواضع و حال اختبار الله المتواضعين من خلقه نصبها بيتا لعبادته و ذلك قوله:

فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الْأُمَّمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَ صَوْلَاتِهِ، وَ وَقَائِعِهِ
 وَمَثَلَاتِهِ، وَ اتَّعِظُوا بِمَثَاوِي خُدُودِهِمْ، وَ مَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ.
 وَ اسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ لَوَاقِحِ الْكِبْرِ، كَمَا تَسْتَعِيدُونَ مِنْ ظَوَارِقِ الدَّهْرِ؛ فَلَوْ رَخَّصَ اللَّهُ
 فِي الْكِبْرِ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِيهِ لِحَاصَةِ أَنْبِيَائِهِ وَ مَلَائِكَتِهِ، وَ لَكِنَّ اللَّهَ كَرَّهَ إِلَيْهِمُ
 التَّكَاْبُرَ، وَ رَضِيَ لَهُمُ التَّوَاضُعَ، فَالْصَّقُوا بِالْأَرْضِ خُدُودَهُمْ وَ عَفَّرُوا فِي التَّرَابِ وُجُوهَهُمْ،

١ - صحيح مسلم ٧٠٥/٢ و ج ٢٠٥٩/٤ . ٢ - في نسخة ش: تحت القتب.

وَخَفَضُوا أَجْحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَكَانُوا أَقْوَامًا مُسْتَضْعَفِينَ، وَقَدْ اخْتَبَرَهُمُ اللَّهُ بِالْمَحْمَصَةِ،
وَابْتَلَاهُمْ بِالْمَجْهَدَةِ، وَامْتَحَنَهُمْ بِالْمَخَاوِفِ، وَمَحَصَّهُمْ بِالْمَكَارِهِ، فَلَا تَعْتَبِرُوا الرِّضَا
وَالسُّخْطَ بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ جَهْلًا بِمَوَاقِعِ الْفِتْنَةِ، وَالِاخْتِبَارِ فِي مَوَاضِعِ الْغِنَى وَالِإِقْتِدَارِ، وَقَدْ قَالَ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (أَيُخْسَبُونَ أَنَّمَا نُنِذِرُهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ نُسَارِعِ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ، بَلْ
لَا يَشْعُرُونَ) فَإِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ، بِأَوْلِيَائِهِ الْمُسْتَضْعَفِينَ
فِي أَعْيُنِهِمْ.

وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عَلَى فِرْعَوْنَ وَعَلَيْهِمَا
مَذَارِغُ الصُّوفِ وَبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ فَشَرَطَا لَهُ إِنْ أَسْلَمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ وَدَوَامَ عِزِّهِ فَقَالَ: «أَلَا
تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَيْنِ يَشْرُطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ وَبَقَاءَ الْمُلْكِ وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ
وَالذُّلِّ، فَهَلَّا أَلْقَى عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ؟!» إِعْظَامًا لِلذَّهَبِ وَجَمْعِيهِ، وَاحْتِقَارًا لِلصُّوفِ
وَلَبْسِهِ. وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذُّهْبَانِ، وَمَعَادِنَ
الْعِيقَانِ، وَمَغَارِسَ الْجَنَانِ، وَأَنْ يَخْشُرَ مَعَهُمْ طَيْرَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الْأَرْضِ لَفَعَلَ؛ وَلَوْ فَعَلَ
لَسَقَطَ الْبَلَاءُ، وَبَطَلَ الْجَزَاءُ، وَأَصْحَلَتِ الْأَنْبَاءُ، وَلَمَّا وَجِبَ لِلْقَابِلِينَ الْجُورُ الْمُبْتَلِينَ،
وَلَا أَسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُخْسِنِينَ، وَلَا لَزِمَتِ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيهَا، وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ
جَعَلَ رُسُلَهُ أُولَى قُوَّةٍ فِي غَزَائِمِهِمْ وَضَعْفَةٍ فِيمَا تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ، مَعَ قِتَاعِيهِ
تَمَلُّ الْقُلُوبِ وَالْعُيُونِ غِنَى، وَخِصَاصَةِ تَمَلُّ الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ أَدَى.

وَلَوْ كَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ، وَعِزَّةٍ لَا تُضَامُ، وَمُلْكٍ تَمْتَدُّ نَحْوَهُ أَعْنَاقُ
الرِّجَالِ، وَتُشَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ الرِّحَالِ؛ لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الْإِعْتِبَارِ، وَأَبْعَدَ لَهُمْ
فِي الْإِسْتِكْبَارِ، وَلَا مَنُوعَ عَنْ رَهْبَةِ قَاهِرَةٍ لَهُمْ، أَوْ رَغْبَةِ مَاثِلَةٍ بِهِمْ، فَكَانَتِ النَّيَاتُ مُشْتَرَكَةً،
وَالْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً، وَلَكِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الْإِتْبَاعُ لِرُسُلِهِ، وَالتَّصْدِيقُ بِكُتُبِهِ،
وَالْخُشُوعُ لِوَجْهِهِ، وَالِإِسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ، وَالِإِسْتِسْلَامُ لِطَاعَتِهِ؛ أُمُورًا لَهُ خَاصَّةٌ لَا يَشُوبُهَا مِنْ
غَيْرِهَا شَائِبَةٌ وَكُلَّمَا كَانَتِ الْبَلْوَى وَالِإِحْتِبَارُ أَعْظَمُ، كَانَتِ الْمَثُوبَةُ وَالْجَزَاءُ أَجْزَلَ.

أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ اخْتَبَرَ الْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، إِلَى الْآخِرِينَ
مِنْ هَذَا الْعَالَمِ بِأَحْبَارٍ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَا تَسْمَعُ وَلَا تُبْصِرُ فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلَهُ

لِلنَّاسِ قِيَامًا ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَارِ بَقَاعِ الْأَرْضِ حَجْرًا، وَأَقْلَّ نَتَائِقِ الْأَرْضِ مَدْرًا. وَأَضْيَقَ بَطُونِ الْأُودِيَةِ قَطْرًا: بَيْنَ جِبَالٍ خَشِنَةٍ، وَرِمَالِ دَمِيثَةٍ، وَغُيُونِ وَشَلَّةٍ، وَفُرَى مُنْقَطِعَةٍ، لَا يَزْكُوبُهَا خُفٌّ، وَلَا حَافِرٌ وَلَا ظِلْفٌ، ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ وَوَلَدَهُ، أَنْ يَتَّخِذُوا أَعْظَافَهُمْ نَحْوَهُ، فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجِعِ أَسْفَارِهِمْ، وَغَايَةً لِمُلْقَى رِحَالِهِمْ. تَهْوَى إِلَيْهِ ثِمَارُ الْأَفِيدَةِ مِنْ مَفَاوِزِ قَفَارِ سَحِيْقَةٍ، وَمَهَاوِي فِجَاجِ غَمِيْقَةٍ، وَجَزَائِرِ بَحَارِ مُنْقَطِعَةٍ، حَتَّى يَهْرُؤُوا مَتَا كَيْبَهُمْ ذُلًّا يُهَلَّلُونَ لِلَّهِ حَوْلَهُ، وَيَرْمُلُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ شَعْنًا غُبْرًا لَهُ، قَدْ نَبَذُوا السَّرَابِيلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَشَوَّهُوا بِإِعْفَاءِ الشُّعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ، أَتِيْلَاءَ عَظِيمًا، وَآمِتْحَانًا شَدِيدًا، وَآخْتِيَارًا مُبِينًا، وَتَمَحِيصًا بَلِيغًا، جَعَلَهُ اللَّهُ سَبَبًا لِرَحْمَتِهِ، وَوُضْلَةً إِلَى جَنَّتِهِ. وَلَوْ أَرَادَ -سُبْحَانَهُ- أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ، وَمَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ، بَيْنَ جَنَاتٍ وَأَنْهَارٍ، وَسَهْلٍ وَقَرَارٍ، جَمَّ الْأَشْجَارُ، دَانَى الثَّمَارِ، مُلْتَفَّ الْبُنَى، مُتَّصِلِ الْقُوى، بَيْنَ بُرَّةِ سَمْرَاءَ، وَرَوْضَةِ خَضْرَاءَ، وَأَرْيَافِ مَحْدِقَةٍ، وَعِرَاصِ مُغْدِقَةٍ، وَرِيَاضِ نَاصِرَةٍ، وَطُرُقِ غَامِرَةٍ؛ لَكَانَ قَدْ صَغُرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ الْبَلَاءِ، وَ لَوْ كَانَ الْإِسَاسُ الْمَحْمُوكُ عَلَيْهَا، وَالْأَحْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا بَيْنَ زُمُرْدَةِ خَضْرَاءَ، وَيَاقُوتَةِ حَمْرَاءَ، وَنُورٍ وَضِيَاءٍ؛ لَخَفَّتْ ذَلِكَ مُسَارِعَةَ الشَّكِّ فِي الصُّدُورِ، وَلَوْضَعَ مُجَاهِدَةً إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ، وَلَنَفَى مُعْتَلِجَ الرَّيْبِ مِنَ النَّاسِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ وَ يَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ، وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ، إِخْرَاجًا لِلتَّكْبُرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَإِسْكَانًا لِلتَّذَلُّلِ فِي نَفُوسِهِمْ، وَليَجْعَلَ ذَلِكَ أَبْوَابًا فَتْحًا إِلَى فَضْلِهِ، وَأَسْبَابًا ذُلًّا لِعَقُوبِهِ.

فَاللهُ اللَّهُ فِي عَاجِلِ الْبَغْيِ، وَآجِلِ وَخَامَةِ الظُّلْمِ، وَسُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبْرِ؛ فَإِنَّهَا مَضِيْدَةٌ إِبْلِيسَ الْعَظْمَى، وَمَكِيدَتُهُ الْكُبْرَى، الَّتِي تُسَاوِرُ قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوِرَةَ السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ، فَمَا تُكْدِي أَبَدًا، وَلَا تُشْوِي أَحَدًا: لَا عَالِمًا لِعِلْمِهِ، وَلَا مُقْلًا فِي طِمْرِهِ، وَعَنْ ذَلِكَ مَا حَرَسَ اللَّهُ عِبَادَةَ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَوَاتِ وَالزَّكَّوَاتِ، وَمُجَاهِدَةَ الصِّيَامِ فِي الْأَيَّامِ الْمَفْرُوضَاتِ، تَشْكِينًا لِأَطْرَافِهِمْ، وَتَخْشِيْعًا لِأَبْصَارِهِمْ، وَتَذَلِيلًا لِنَفُوسِهِمْ، وَتَخْفِيضًا لِقُلُوبِهِمْ، وَإِذْهَابًا لِلْخُيَلَاءِ عَنْهُمْ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَغْيِيرِ عِتَاقِ الْوُجُوهِ بِالتُّرَابِ تَوَاضُعًا، وَالتِّصَاقِ كَرَائِمِ الْجَوَارِحِ بِالْأَرْضِ تَصَاغُرًا، وَلُحُوقِ الْبُطُونِ مِنَ الصِّيَامِ تَذَلُّلًا، مَعَ مَا فِي الزَّكَاةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ الْأَرْضِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ إِلَى أَهْلِ الْمَسْكَنَةِ وَالْفَقْرِ. انظُرُوا إِلَى مَا فِي هَذِهِ الْأَفْعَالِ مِنْ قَمْعِ نَوَاجِمِ الْفَخْرِ وَقَدْحِ طَوَالِحِ الْكِبْرِ.

وَلَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا وَجَدْتُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ يَتَعَصَّبُ لِسَيِّءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِلَّا عَنْ عِلَّةٍ
تَحْتَمِلُ تَمْوِيَةَ الْجُهْلَاءِ، أَوْ حُجَّةَ تَلِيْطِ بَعْضِ السُّفَهَاءِ، غَيْرُكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ تَتَعَصَّبُونَ لِأَمْرِ
لَا يُعْرِفُ لَهُ سَبَبٌ وَلَا عِلَّةٌ: أَمَا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَى آدَمَ لِأَضْلِهِ، وَطَعَنَ عَلَيْهِ فِي خَلْقَتِهِ.
فَقَالَ: (أَنَا نَارِي وَأَنْتَ طِينِي) وَأَمَا الْأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتَرَفِّةِ الْأُمَمِ، فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ مَوَاقِعِ النِّعَمِ؛
فَقَالُوا: (نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا، وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ).

فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنَ الْعَصْبِيَّةِ فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَمَحَامِدِ الْأَفْعَالِ، وَ
مَحَاسِنِ الْأُمُورِ الَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا الْمُجْدَاءُ وَالنُّجْدَاءُ مِنْ بِيُوتَاتِ الْعَرَبِ وَ
يَعَاسِبِ الْقَبَائِلِ، بِالْأَخْلَاقِ الرَّغِيْبَةِ، وَالْأَخْلَامِ الْعَظِيْمَةِ، وَالْأَخْطَارِ الْجَلِيْلَةِ، وَالْآثَارِ
الْمَحْمُودَةِ. فَتَعَصَّبُوا لِخِلَالِ الْحَمْدِ: مِنَ الْحِفْظِ لِلْجَوَارِ وَالْوَفَاءِ بِالذَّمَامِ، وَالطَّاعَةِ لِلْبِرِّ،
وَالْمَعْفِيَةِ لِلْكِبْرِ، وَالْأَخْذِ بِالْفَضْلِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْبَغْيِ، وَالْإِعْظَامِ لِلْقَتْلِ، وَالْإِنْصَافِ
لِلْخَلْقِ، وَالْكَظْمِ لِلغَيْظِ، وَاجْتِنَابِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ.

وَأَخَذُوا مَا نَزَلَ بِالْأُمَّةِ قَبْلَكُمْ مِنَ الْمَثَلَاتِ، بِسُوءِ الْأَفْعَالِ، وَذَمِيمِ الْأَعْمَالِ،
فَتَذَكَّرُوا فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ، وَأَخَذُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ فَإِذَا تَفَكَّرْتُمْ فِي تَفَاوُتِ
حَالِيهِمْ، فَالزَّمُوا كُلَّ أَمْرٍ لَزِمَتِ الْعِزَّةُ بِهِ شَأْنَهُمْ، وَزَاخَتِ الْأَعْدَاءُ لَهُ عَنْهُمْ، وَمَدَّتِ الْعَافِيَةُ
فِيهِ بِهِمْ، وَأَنْقَادَتِ النِّعْمَةُ لَهُ مَعَهُمْ، وَوَصَلَتِ الْكِرَامَةُ عَلَيْهِ حَبْلُهُمْ مِنَ الْاجْتِنَابِ لِلْفُرْقَةِ،
وَاللُّزُومِ لِلْأُلْفَةِ وَالْتِحَاضِ عَلَيْهَا، وَالتَّوَاصِي بِهَا، وَاجْتِنِيُوا كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِشْرَتَهُمْ وَأَوْهَنَ
مُنْتَهُمُ: مِنْ تَضَاعُنِ الْقُلُوبِ، وَتَشَاحُنِ الصُّدُورِ، وَتَدَابُرِ النُّفُوسِ، وَتَخَاذُلِ الْأَيْدِي، وَتَدَبَّرُوا
أَحْوَالَ الْمَاضِيْنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ: كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ التَّمْجِيصِ وَالْبَلَاءِ؟ أَلَمْ يَكُونُوا
أَثْقَلَ الْخَلَائِقِ أَغْبَاءً، وَأَجْهَدَ الْعِبَادِ بَلَاءً، وَأَضْيَقَ أَهْلَ الدُّنْيَا حَالًا؟ اتَّخَذَتْهُمْ الْفِرَاعِيَّةُ
عَبِيدًا، فَسَامُوهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ، وَجَرَّعُوهُمْ الْمُرَارَ، فَلَمْ تَبْرَحِ الْحَالُ بِهِمْ فِي ذَلِكَ الْهَلَكَةِ، وَ
قَهْرِ الْغَلْبَةِ: لَا يَجِدُونَ حِيلَةً فِي امْتِنَاعِ، وَلَا سَبِيلًا إِلَى دِفَاعِ، حَتَّى إِذَا رَأَى اللَّهُ جِدَّ الصَّبْرِ
مِنْهُمْ عَلَى الْأَذَى فِي مَحَبَّتِهِ، وَالِاخْتِمَالَ لِلْمَكْرُوهِ مِنْ خَوْفِهِ؛ جَعَلَ لَهُمْ مِنْ مَضَائِقِ الْبَلَاءِ
فَرَجًا: فَأَبْدَلَهُمُ الْعِزَّ مَكَانَ الذُّلِّ، وَالْأَمْنَ مَكَانَ الْخَوْفِ، فَصَارُوا مُلُوكًا حُكَّامًا، وَأَيْمَةً
أَعْلَامًا، وَبَلَغَتِ الْكِرَامَةُ مِنْ اللَّهِ لَهُمْ مَا لَمْ تَبْلُغِ الْآمَالُ إِلَيْهِ بِهِمْ.

فَانظُرُوا كَيْفَ كَانُوا حَيْثُ كَانَتِ الْأَمْلَاءُ مُجْتَمِعَةً، وَالْأَهْوَاءُ مُتَّفِقَةً، وَالْقُلُوبُ

مُعْتَدِلَةٌ، وَالْأَيْدِي مُتْرَادِفَةٌ، وَالسُّيُوفُ مُتَنَاصِرَةٌ، وَالْبَصَائِرُ نَافِذَةٌ وَالْعَرَائِمُ وَاحِدَةٌ؟! أَلَمْ يَكُونُوا
أَرْبَابًا فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِينَ، وَمُلُوكًا عَلَى رِقَابِ الْعَالَمِينَ؟؟ فَانظُرُوا إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِي
آخِرِ أُمُورِهِمْ، حِينَ وَقَعَتِ الْفُرْقَةُ، وَتَشَتَّتِ الْأَلْفَةُ، وَاخْتَلَقَتِ الْكَلِمَةُ وَالْأَفِيدَةُ، وَتَشَعَّبُوا
مُخْتَلِفِينَ، وَتَفَرَّقُوا مُتَحَارِبِينَ، قَدْ خَلَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِيَّاسَ كِرَامَتِهِ، وَسَلَبَهُمْ غَضَارَةَ نِعْمَتِهِ، وَ
بَقِيَ قِصَصُ أَخْبَارِهِمْ فِيكُمْ عِبْرَةً لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنْكُمْ.

وَاعْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَنِي إِسْحَاقَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - فَمَا أَشَدَّ
اغْتِدَالَ الْأَحْوَالِ، وَأَقْرَبَ اشْتِبَاءَ الْأَمْثَالِ!!!

تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشْتِيهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ، لِيَأْتِيَ كَانِتِ الْأَكَاسِرَةِ وَالْقِيَاصِرَةَ أَرْبَابًا لَهُمْ
يَحْتَازُونَهُمْ عَنْ رِيفِ الْأَفَاقِ، وَبَحْرِ الْعِرَاقِ، وَخُضْرَةِ الدُّنْيَا، إِلَى مَنَابِتِ الشَّيْخِ، وَمَهَا فِي
الرَّيْحِ، وَنَكِدِ الْمَعَاشِ، فَتَرْكُوهُمْ غَالَةً مَسَاكِينَ إِخْوَانَ دَبْرٍ وَوَبْرٍ، أَذَلَّ الْأُمَمِ دَارًا، وَأَجْدَبَهُمْ
قَرَارًا، لَا يَأْوُونَ إِلَى جَنَاحِ دَعْوَةٍ يَعْتَصِمُونَ بِهَا، وَلَا إِلَى ظِلِّ أَلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلَى عِزِّهَا،
فَالْأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ، وَالْأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ، وَالكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ، فِي بَلَاءِ أَزْلِ، وَأَطْبَاقِ جَهْلِ مِنْ
بَنَاتِ مَوْءُودَةٍ، وَأَصْنَامِ مَعْبُودَةٍ، وَأَرْحَامِ مَقْطُوعَةٍ، وَغَارَاتِ مَشُونَةٍ.

فَانظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا، فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِمْ طَاعَتَهُمْ،
وَجَمَعَ عَلَى دَعْوَتِهِ أَلْفَتَهُمْ، كَيْفَ نَشَرَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كِرَامَتِهَا، وَأَسَالَتْ لَهُمْ
جَدَاوِلَ نَعِيمِهَا، وَالتَّفَّتِ الْمِلَّةُ بِهِمْ فِي عَوَائِدِ بَرَكَتِهَا، فَأُضْبِحُوا فِي نِعْمَتِهَا غَرِقِينَ، وَفِي خُضْرَةِ
عَيْشِهَا فَكِيهِينَ؟! قَدْ تَرَبَّعَتِ الْأُمُورُ بِهِمْ فِي ظِلِّ سُلْطَانِ قَاهِرٍ، وَآوَتْهُمْ الْحَالُ إِلَى كَنْفِ
عِزِّ غَالِبٍ، وَتَعَطَّفَتِ الْأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِي دُرَى مُلْكٍ ثَابِتٍ، فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَى الْعَالَمِينَ، وَ
مُلُوكٌ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِينَ: يَمْلِكُونَ الْأُمُورَ عَلَى مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ، وَيُضْمِنُونَ
الْأَحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ يُضْمِنُهَا فِيهِمْ، لَا تُغْمَزُ لَهُمْ قَنَاءٌ، وَلَا تُقَرَّعُ لَهُمْ صَفَاءَةٌ!!

أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ؛ وَتَلَمَّتُمْ حِضْنَ اللَّهِ الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ
بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَإِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - قَدْ أَمَّنَّ عَلَى جَمَاعَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ
حَبْلِ هَذِهِ الْأَلْفَةِ: الَّتِي يَنْتَقِلُونَ فِي ظِلِّهَا، وَيَأْوُونَ إِلَى كَنْفِهَا - بِنِعْمَةٍ لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ
مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيَمَةً: لِإِنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنِ، وَأَجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ.

وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهَجْرَةِ أَغْرَابًا، وَبَعْدَ الْمَوْلَاةِ أَحْزَابًا، مَا تَتَعَلَّقُونَ

مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا بِاسْمِهِ، وَلَا تَعْرِفُونَ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا رَسْمَهُ!!

تَقُولُونَ «النَّارَ وَلَا الْعَارَ» كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِيُوا الْإِسْلَامَ عَلَى وَجْهِهِ أَنْتَهَاكَ
لِحَرِيمِهِ، وَنَقْضًا لِمِيثَاقِهِ، الَّذِي وَضَعَهُ اللَّهُ لَكُمْ حَرَمًا فِي أَرْضِهِ، وَأَمْنَا بَيْنَ خَلْقِهِ، وَإِنَّكُمْ
إِنْ لَجَأْتُمْ إِلَى غَيْرِهِ حَارَبَكُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ، ثُمَّ لَا جَبْرَائِيلَ وَلَا مِيكَائِيلَ وَلَا مُهَاجِرُونَ وَلَا
أَنْصَارَ يَنْصُرُونَكُمْ، إِلَّا الْمُقَارَعَةَ بِالسَّيْفِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ.

وَإِنَّ عِنْدَكُمْ الْأَمْثَالَ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَقَوَارِعِهِ، وَأَيَّامِهِ وَقَائِعِهِ، فَلَا تَسْتَبْطُوا وَعِيدَهُ
جَهْلًا بِأَخْذِهِ، وَتَهَاوُنًا بِبَطْشِهِ، وَيَأْسًا مِنْ بَأْسِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ- لَمْ يَلْعَنِ الْقَرْنَ الْمَاضِيَ
بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا لِتَرْكِهِمُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَلَعَنَ اللَّهُ السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ
الْمَعْاصِي، وَالْحُكَمَاءَ لِتَرْكِ التَّنَاضُحِ، أَلَا وَقَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ الْإِسْلَامِ، وَعَظَلْتُمْ حُدُودَهُ،
وَأَمْتُمْ أَحْكَامَهُ.

اقول: المثالات: العقوبات. والمثوى: المقام. ولواقح الكبرياء ما يلحقه
من الشبهات والتخييلات الفاسدة. والمخمصة: المجاعة. والمجهدة: المشقة.
والتمحيص: الاختبار. والاقطار: الفقر. والاساورة: جمع اسوار وهو السوار. والعقيان
خالص الذهب. والانبياء: اخبار السماء. والبلاء الذي كان يسقط بلاء المتكبرين
بالمستضعفين من اولياء الله اذ لامستضعف اذن، وكذلك يسقط بلاء الانبياء بالفقر والصبر
على اذى المتكبرين. و كذلك جزاء العبادات والطاعات بسقوط البلاء بها، اولانها اذن
يكون عن رهبة فيسقط جزاؤها الاخرى، وبحسب ذلك كان ينقطع خبر السماء
من الوحي لان الدنيا والآخرة ضربتان. والانبياء عليهم السلام وان كانوا افضل الخلق الا
انهم محتاجون الى الرياضة بالزهد والاعراض عن الدنيا في نزول الوحي عليهم، كما
هو المشهور من حالهم عليهم السلام. والمنقول عن نبينا صلى الله عليه وآله من فطام نفسه
عن الدنيا وطيباتها مشهور متواتر. و كذلك لا يكون لقائل كلام الانبياء اجر المبتلين بهم
في حال ما هم بسرى الفقر والمسكنة. و كان لا يستحق المؤمنون ثواب المحسنين الى
انفسهم بمجاهدة الشيطان عنها، لان ايمانهم يومئذ يكون عن رغبة اورهبة. او ثواب
المحسنين الى الانبياء بالايواء والنصر لهم حين البعثة. ولا لزمنا الاسماء معانيها اي

لا يكون حقائق فيها مثلا من كان يسمى مؤمنا لا يكون هذا اللفظ حقيقة فيه اذ هو حقيقة في الايمان الخالص القلبي، وهو غير موجود الا باللسان عن رهبة او رغبة. وكذلك من سمى مسلما او زاهدا اونيا لارتفاع كل ذلك. والخصاصة: الجوع. وقوله لكان ذلك اهون على الخلق في الاعتبار اي: ان الانبياء اذا كانوا بزى الملوك كان اعتبار الناس بحالهم ورجوعهم اليه اسهل، و كانوا ابعد من الاستكبار عليهم مما اذا كانوا بزى الفقير. والنيات مشتركة اي: خالصة لله بل لرغبة او رغبة، ولا كانت حسناتهم في انفسهم و في الانبياء خالصة بل منقسمة بحسب النيات المختلفة. والوعر: الصعب. والنتائق: جمع نتيقة وهي البقاع المرتفعة، واراد مكة. و كنى بتبعها عن شهرتها وعلوها بالنسبة الى ما استسفل عنها من البلاد. وقيامها اي: مقيما لأحوال الناس في الآخرة. او بحال اهل مكة باجتماع الناس اليه، والقطر: الجانب. والدمثة: اللينة. والوشلة: قليلة الماء. وثنى الاعطاف: كناية عن التوجه والرجوع الى البيت. والمثابة المرجع. والمنتجع اسم المفعول من الانتجاع وهو طلب الماء والكلاء. وتهوى اليه ثمار الافئدة اي: تسقط ثمار كل شئ كما قال: يجبي اليه ثمرات كل شئ وهو اضافها الى الافئدة باعتبار انها مجلوبة اليها. والمفاوز: الفلوات. والسحيفة: البعده. والفجاج: الطرق الواسعة. ووصف تلك الطرق بالعمق باعتبار بعدها عن سائر البلاد العالية منحدره. وهزنا كبهم: حركاتهم في السعي والطواف ونحوهما. والاهلال رفع الصوت بالتلبية. والرمل: الهرولة. والشعث: تفرق الحال. والسراويل: القمصان. والمشاعر: مواضع المناسك. والارياض: جمع ريف بالكسر، وهي الارض ذات الزرع والخصب. والمحدقة: المحيطة. والمغدة: كثيرة الماء والخصب. ومصارعة الشك في الصدور: هو التشكك في ان التكليف بقصد هذه الأحجار حق او باطل. والمعتلج: اسم الفاعل او المفعول على الروايتين من الاعتلاج وهو مغالبة الشك لليقين، والاعتلاج: المصارعة والغلبة. وفتحها: مفتوحة موسعة، وذلك: سهلة. ووخامة الظلم: سوء عاقبته. والمساورة: الموائبة. والضمير في قوله فانها: يعود الى الجملة من البغي والظلم والكبر. وقيل: الى الكبر فقط. وانما انثه باعتبار جعله آياه مصيدة. و مساورة السموم القاتلة اي: للطبيعة الحيوانية. واكدى الحافر: اذا عجز ولم يؤثر في الارض. واكدت المطالب اعجزت. واشوت الضربة يشوى: اخطأت المقتل.

فمناقاتها للتكبر ظاهرة. واما الزكاة فلأنها شكر النعمة المالية و شكر النعم ينافي التكبر عن طاعته. واما الصيام فلما فيه مصابرة الجوع والعطش في الايام الصائفة طاعة لله. وتذلا نه وذلك ينافي التكبر عن طاعته ايضا. وعنائق الوجوه: جمع عتيقة وهي كرائمها و احسانها. ونواجم الفخر بما ظهر منه. والتمويه: التلحين. ويليط: يلتصق. والمجداء: جمع ماجد. والنجداء: اهل النجدة والشجاعة. ويعاسيب القبائل: رؤسائها وامراؤها. و قوله بالاخلاق: متعلق بتفاضلت. والرغبة الشئ: يرغب فيه. وقوله فتذكروا في الخير والشراحوالهم، فحال الخير حين كانوا في طاعة انبيائهم والالفة الجامعة بينهم. و حال الشرا ما انقلبوا اليه عن تلك الحال حتى خالفوا صالح الأعمال و حالفوا ذميم الأفعال. و قوله: من الاجتناب الى قوله والتوصى بها: تفصيل و تفسير للامر الذي لزمتم العزة به حالهم اى: عزت حالهم به وزاحت عنهم اعداؤهم له، ومدت العافية بهم. والباء فى بهم: للظرفية^١. والتحاض: التحاث. والفقرة الواحدة من خرزات الظهر. والتشاحن: التعادى. والتدابير: التقاطع. والذين اتخذتهم الفراعنة عبيدا كيوسف عليه السلام، و كموسى، و هارون، و من آمن معهما من بنى اسرائيل فى مبدأ امرهم، و ابداهم العز بمكان الذل هو ما امتن الله تعالى عليهم به فى قوله (واذ نجيناكم من آل فرعون) الآية^٢. (واذ فرقنا بكم البحر) الآية^٣. واما كونهم ملوكا و حكاما و ائمة و اعلاما: فان موسى و هارون عليهما السلام بعد هلاك فرعون، و رثا، و استقر لهما الملك والدين. و كطالوت، و داود، بعد مجاهدتهما بجالوت كما قال تعالى: (وقتل داود جالوت و آتاه الله الملك والحكمة^٤) الآية.

و كذلك لم يزل الملك والنبوة فى سليمان عليه السلام، و ولده الى الأعرج منهم فانه لم يكن نبيا و قتله ابنه، و كان بخت نصر كاتبه فغضب لذلك و اغتر الإبن حتى قتله و ملك بعده. و نفوذ البصائر: خرقها حجب الشبهات عن الحق و اصله اليه و غضارة النعمة:

١ - فى نسخة ش بزيادة: اوللاستصحاب.

٢ - سورة البقرة / ٤٩.

٣ - سورة البقرة / ٥٠.

٤ - سورة البقرة / ٢٥١.

والظمر: الثوب الخلق. وقوله: لاعالما الى قوله طمرة اى: ان رذيلة الكبر يوثر فى نفس العالم مع علمه والفقير مع فقره، وان كانت حالتها ينافى ذلك. اما العالم فنعلمه. بآته رذيلة ينبغى ان يتجنب، واما الفقير فظاهر.

وقوله: وغير ذلك الى قوله تذليلا: تنبيه على الأمور التي حرس الله بها الصالحين من عباده عن هذه الرذيلة وهى الصلوات، والزكوات، ومجاهدة الصيام المفروض. اما الصلاة طيها. وولد اسماعيل: هم العرب من آل قحطان وآل معد، ومن بنى اسحاق اولاد روم بن عيص بن اسحاق. وبنو اسرائيل اولاد يعقوب بن اسحاق. واستيلاء الاكاسرة والقياصرة على العرب قبل ظهور محمد صلى الله عليه وآله ظاهر. واما حال بنى اسحاق و اسرائيل فنحوما جرى لاولاد روم بن عيص من اختلاف النسطورية، واليعقوبية والملكاتية، حتى كان ذلك سبباً لضعفهم واستيلاء القياصرة عليهم فى الروم وعلى بنى اسرائيل فى الشام، وازعاج بخت نصر، لهم عن بيت المقدس فى المرة الثانية كما اشار اليه تعالى بقوله: (فاذا جاء وعد الآخرة ليسوا وجوههم) الآية. وقد كان عزاهم حين افسدوا المرة الاولى، كما حكى عنهم تعالى بقوله: (لتُفْسِدُنَّ فى الارض مرتين)^٢ فلما تابوا رده عنهم ثم احدثوا الثانية، فبعث الله اليهم ارميا فقام فيهم بوحي الله، فضربوه و قيده و سجنوه فغضب الله لذلك و سلب عليهم بخت نصر ثانيا، فقتل منهم و صلب و احرق و سبا ذراريهم و نساءهم، والذين فروا منهم ارتحلوا الى حدود المدينة، كيهود خيبر و بنى قريظة والنضير و بنى قينقاع. وقوله: فما اشد اعتدال الأحوال اى: تساوى احوالكم بأحوالهم فى لزوم الخير لهم بالالفة والاجتماع. و لزوم الشر بتفرق الكلمة. و مها فى الريح مواضعها اى: حركتها اى هى البرارى والقفار. والنكد. شدة العيش و قلته. و العالة: جمع عائل و هو الفقير والعيلة: الفقر. و استعار لفظ الجناح للدعوة الحاملة لهم. والازل: الشدة. والمؤودة: البنت. وقد كانت العرب تقتل البنات حين يولدن لهم و اليه الاشارة بقوله تعالى: (واذا المؤودة سُئِلَتْ باى ذنب قتلت)^٣. و شن الغارة فرقها. والرسول المبعوث اليهم محمد صلى الله عليه وآله. وقوله: والتقت الى قوله: بركتها اى و اشتملت عليهم فى بركتها.

١ - سورة الاسراء / ٧ .

٢ - سورة الاسراء / ٤ .

٣ - سورة التكويد / ٩ .

والفكاهة: طيب النفس و السرور. وترفعت: تمكّنت. والسلطان القاهر: سلطان الاسلام. و كنى بعدم غمزقاتهم عن قوتهم، وعدم انقهارهم للغير، و كذلك بعدم قرع صفاتهم و نقض الأيدي من حبل الطاعة: كناية عن تركها. و حصن الله: الاسلام. و وبّخهم بصبرورتهم اعرابًا بعد الهجرة لنقصان الاعرابي عن رتبة الصحابة فضلا عن المهاجرين. و الاحزاب الفرق تنقسم لمحاربة الانبياء و اوصيائهم. و لما انقسم هؤلاء الى مارقين، و ناكثين، و قاسطين، و حاربوه كانوا اخوانا. و قولهم: النار و لا العار: كلمة تقرّ لها اهل الكبر و الانفة من احتمال الاذى و الضيم لأنفسهم، او لقولهم في الاستنهاض للفتنة. و النار و العار: منصوبان بفاعلين مضميرين. و كفاتُ الأناء كبيته لوجهه. و قوله فانكم الى قوله: بينكم تحذير من الاعتماد على عز الاسلام من حمية او شجاعة او كثرة قبيلة مع الخروج عن سلطان الدين، و التفرّبه لاستلزام ذلك خذلان الملائكة لهم، و الخروج عن الهجرة و النصره. و نصب جبرئيل و ميكائيل، على أنّهما اسمان ملاحظا فيهما التنكير، و الاستثناء منقطع. و الأمثال التي عندهم: هو ما ضربه الله لهم من الأمثال بالقرون الماضية عند خروجهم عن طاعة انبيائهم، و التفرّق في دينهم و بالله التوفيق.

الثالث في اقتصاصه عليه السلام بحاله في تكليفه، و شرح حاله مع رسول الله صلى الله عليه وآله من أول عمره و التنبيه على موضعه منه، و ذلك قوله:

أَلَا وَقَدْ أَمَرَنِي اللَّهُ بِقِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ وَالتَّكْثِ، وَالفَسَادِ فِي الْأَرْضِ: فَأَمَّا النَّا كِيُونُ فَقَدْ قَاتَلْتُ، وَ أَمَّا الْقَاسِطُونَ فَقَدْ جَاهَدْتُ، وَ أَمَّا الْمَارِقَةُ فَقَدْ دَوَّخْتُ، وَ أَمَّا شَيْطَانُ الرَّذَاهَةِ فَقَدْ كُفَيْتُهُ بِصَعْقَةٍ سُمِعَتْ لَهَا وَجِبَةٌ قَلْبِهِ وَ رَجَّةٌ صَدْرِهِ، وَ بَقِيَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ وَ لَيْنُ أَذِنِ اللَّهِ فِي الْكِرَّةِ عَلَيْهِمْ لِأَدِيلِنِّ مِنْهُمْ، إِلَّا مَا يَتَشَدَّرُ فِي أَطْرَافِ الْبِلَادِ تَشَدُّرًا.

أَنَا وَضَعْتُ فِي الصَّغَرِ بِكَلَا كِلِ الْعَرَبِ، وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ قُرُونِ رَيْبَعَةٍ وَمُضَرَ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ، وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلَيْدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْتُمُنِي فِي فِرَاشِهِ، وَيُمْسِنِي جَسَدَهُ، وَيُسْمِنِي عَرْفَهُ، وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذِبَةً فِي قَوْلٍ، وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ، وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيمًا

أَعْظَمَ مَلَكَ مِنْ مَلَائِكَتِهِ؛ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنِ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ، لَيْلَهُ وَنَهَارُهُ،
وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ أَتْبَاعَ الْفَصِيلِ أَتْرَامَهُ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْمًا، وَيَأْمُرُنِي
بِالْأَقْتِدَاءِ بِهِ، وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُنِي كُلَّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ، فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يُجْمَعْ بَيْتٌ
وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَخَدِيجَةَ، وَأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى
نُورَ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةَ، وَأَشْمُ رِيحَ النُّبُوَّةِ.

وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَتَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذِهِ الرَّتَّةُ؟ فَقَالَ: «هَذَا الشَّيْطَانُ أَيْسَ مِنْ عِبَادَتِهِ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ،
وَتَرَى مَا أَرَى، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيِّ، وَلَكِنَّكَ وَزِيرٌ، وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ». وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، لَمَّا أَتَاهُ الْعَمَلُ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ قَدْ ادَّعَيْتَ عَظِيمًا
لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ، وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْرًا إِنْ أَحْبَبْتَنَا إِلَيْهِ، وَأَرَيْتَنَاهُ عَلِمْنَا أَنَّكَ
نَبِيٌّ وَرَسُولٌ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ. فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: وَمَا
تَسْأَلُونَ؟ قَالُوا: تَدْعُونَنَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ. فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَإِنْ فَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ ذَلِكَ أَتُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ
بِالْحَقِّ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنِّي سَأْرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَفِيضُونَ إِلَى خَيْرٍ،
وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلِيبِ، وَمَنْ يُحْرَبُ الْأَحْزَابِ، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يَا
أَيْتُهَا الشَّجَرَةُ إِنْ كُنْتِ تُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَانْقَلِعِي بِعُرُوقِكَ
حَتَّى تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ. وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَأَنْقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَا وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيُّ
شَدِيدٍ، وَقُضِفَ كَقُضْفِ أَجْنِحَةِ الطَّيْرِ، حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيَّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ
آلِهِ وَسَلَّمَ، مُرْفِقَةً، وَأَلْقَتْ بِغُضْنِهَا الْأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ،
وَبَعْضُ أَعْضَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ
إِلَى ذَلِكَ قَالُوا عُلُوءًا وَاسْتِكْبَارًا: فَمُرَّهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا وَيَبْقَى نِصْفُهَا، فَأَمَرَهَا بِذَلِكَ فَأَقْبَلَ
إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَأَشَدِّهِ دَوِيًّا، فَكَادَتْ تَلْتَفُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ، فَقَالُوا كُفْرًا وَعُتُوءًا: فَمُرْ هَذَا النَّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ، فَأَمَرَهُ، صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَرَجَعَ فَقُلْتُ أَنَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَوَّلُ مَنْ
أَقْرَبَ بَانَ الشَّجَرَةَ فَعَلْتُ مَا فَعَلْتُ بِأَمْرِ اللَّهِ تَصَدِيقًا بِنُبُوتِكَ وَإِجْلَالًا لِكَلِمَتِكَ، فَقَالَ الْقَوْمُ

كُلُّهُمْ: بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ! عَجِيبُ السَّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ، وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هَذَا؟! (يَعْنُونَنِي) وَإِنِّي لَيْمَنْ قَوْمٌ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ: سَيِّمَاهُمْ سَيِّمَاتِ الصَّادِقِينَ، وَكَلَامُهُمْ كَلَامُ الْأَبْرَارِ، عُمَارُ اللَّيْلِ وَمَنَارُ النَّهَارِ، مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ، يُخَيُّونَ سُنَنَ اللَّهِ وَسُنَنَ رَسُولِهِ، لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَلَا يَغْلُونَ وَلَا يَغْلُونَ، وَلَا يُفْسِدُونَ: قُلُوبُهُمْ فِي الْحِجَابِ، وَأَجْسَادُهُمْ فِي الْعَمَلِ.

اقول: اهل البغى: اهل الشام. واهل النكث: أصحاب الجمل، واهل الفساد. والمارقة: الخوارج وتسمية الاولين بغاة لقوله تعالى: (فان بغت احديهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغى) ^١ وَسُمِّيَ النَّاكثُونَ بِذَلِكَ: لِنَكْثِهِمْ بَيْعَتِهِ. واما المارقون: فلقوله صلى الله عليه وآله: لذي الثدية من الخوارج، يخرج من ضيضي هذا، اى: من اصله قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية. واما امرالله تعالى اياه بقتال هذه الفرق، فلما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وآله انه قال: انك ستقاتل بعدى الناكثين والقاسطين والمارقين، وهو اخبار فى معنى الامر، واما الرسول صلى الله عليه وآله من امرربه و يحتمل ان يكون ذلك الامر فى قوله تعالى: (فقاتلوا التي تبغى) وقوله: (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا) ^٢ الآية. ودوخت: قهرت واذلت. الردهة: النقرة تكون فى الجبل يجتمع فيه الماء. واما شيطان الردهة فقيل: اراد به ذاالثدية، وكونه شيطانا باعتبار اغوائه لأصحابه. وازافته الى الردهة لانه وجد قتيلا فى نقرة فيها ماء، بعد قتل الخوارج، واما الصعقة، فقيل: ان ذاالثدية اصابه من خوفه عليه السلام غشى، وقيل: يحتمل ان يريد الشيطان المعهود وهو ان كان لا يرى بحس البصر الا ان الانبياء والأولياء عليهم السلام قد يشاهدون الامور المجردة والمعانى المعقولة كالملائكة والجن، والشيطان، فى صورة محسوسة باستعانة من القوة المتخيّلة والوهمية كما قرّر فى مظانه. فيحتمل ان يقال: انه عليه السلام رأى الشيطان بصورة محسوسة، ولما كان فى مقام العصمة وملكة النصر على الشيطان، وقهره وابعاده سمع من جلاب العزة صيحة العذاب ارسلت على الشيطان، فسمع لها وجيب قلبه ورجة صدره، كما سمع رنّته

٢ - سورة المائدة / ٣٣.

١ - سورة الحجرات / ٩.

فيما يحكيه في آخر الكلام.

وقيل: اراد به شيطانا من شياطين الجن الذين قاتلهم في البئر. و اراد بالردهة: البئر المعهودة والبقية من اهل البغى، ك معاوية، ومن بقى من اصحابه بعد وقائع صفين. و قوله: لأدبيلنّ منهم اى: لأغلبتهم. والادالة: الغلبة. وهذا الحكم منه عليه السلام ثقة بقوله: (ولينصرنّ الله من ينصره) واذن الله اشارة: الى توفيقه لأسباب العود اليهم. والتشدر: التفرق. و استعار لفظ الكلاكل وهى: الصدور لا كابر العرب: ورؤساء القبائل الذين قتلهم فى صدر الاسلام. و وضعت بهم اى: ا وقعت بهم القتل والاذلال. وقيل: الباء زائدة. و لفظ القرون لأكابر ربيعة و مضر، ونواجمها: من ظهر منهم واشتهر. وقوله: و قد علمتم الى آخره: ذكر لفضيلته وقربه من رسول الله صلى الله عليه وآله لغاية طاعته. و كنفه يكنفه اى: ضمّه واحاطه. و الخطللة: السيئة من قول و فعل وأشار بأعظم ملك الى جبرئيل عليه السلام. و حراء بالكسر والمدّ جبل بمكة يذكرو يؤنث. و استعار لفظ النور لما يشاهده بعين بصيرته، من اسرار الوحي والرسالة و علوم التنزيل و دقائق التأويل. و اشرفها على نفسه القدسيّة. و لفظ الريح لما ادركه من ذلك. و اما سماعه لرنة الشيطان فهو انّ نفسه القدسيّة اخذت معنى الشيطان مقرونا بمعنى اليأس من اتباع الناس لأمره والحزن على ذلك. و كسته المتحيّلة صورة حزين صارخ و حطته الى لوح الخيال، فصار مسموع الرنة كما رآه النبي عليه السلام. والقصف: صوت جناح الطائر. و فى قوله: و لقد كنت معه الى قوله يعنوننى: نقل لاربع معجزات للنبي صلى الله عليه وآله، وهو اخباره: انّ السائلين لا يفيئون الى خيراى: لا يرجعون. وانّ منهم من يطرح فى القليب، و هو قليب بدر، فمنهم عتبة، وشيبة، ابناربيعة، و امية بن عبد شمس، و ابوجهل، والوليد بن المغيرة، طرحوا فيه بعد انقضاء الحرب. و من يحزب الاحزاب كأبى سفيان، و عمرو بن عبد ود، و صفوان بن امية، و عكرمة بن ابى جهل.

الثانية اجابة الشجرة لدعائه وهو مشهور فى كتب المحدّثين، و نقله المتكلمون فى معجزاته صلى الله عليه وآله.

الثالثة اجابة نصفها لدعائه مع بقاء نصفها.

الرابعة عود ذلك النصف الى موضعه و سرّه، ما علمت انّ نفوس الانبياء

عليهم السلام لها التصرف في هبولى عالم الكون والفساد، بفعل ما يخرج عن وسيع مثلهم. وخطابه للنبات خطاب من يعقل: مجاز باعتبار اجابته لدعوته، كالعاقل وهذا الخطاب على رأى الاشعرى جائز ان يكون حقيقة اذ لا يجعلون البيئنة شرطاً فى الحياة وإما يتعلق بها من السمع والفهم. واما على رأى المعتزلة فقليل: الخطاب لله فكأنه قال: (اللهم ان كنت صادقاً فى رسالتك فاجعل ما سألت من هذه الشجرة مصدقاً الى) وعدم لومة اللائم فى الله: كناية عن لزوم طاعته، والصديقون هم ملازموا الصدق فى الأقوال والأفعال طاعة لله. وسيماهم: علامتهم، وكلام الأبرار الامر بالمعروف والنهى عن المنكر. والذكر الدائم لمعبودهم، وعمارته المليل قيامهم فيه بالعبادة، وكونهم منارا بالنهار اى: اعلاما باعتبار هدايتهم للخلق الى طريق الحق. والغلول: الخيانة. وقلوبهم فى الجنان اى: يشاهدون بأسرارهم و نفوسهم القدسية ما اعد فيها من الخيرات الباقية وان كانت ابدانهم فى الدنيا مشغولة بعبادة ربهم والعمل له وبالله التوفيق.

٢٣٤ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فى شأن الحكيم، وذم أهل الشام

جُفَاءَ طَعَامٍ، عَبِيدَ أَقْرَامٍ، جُمَعُوا مِنْ كُلِّ أُوْبٍ، وَتَلَقُّوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ، مِمَّنْ يَتَّبَعِي أَنْ يُفَقَّهَ وَيُودَّبَ، وَيُعَلَّمَ وَيُدْرَبَ، وَيُوَلَّى عَلَيْهِ، وَيُوَحَّدَ عَلَى يَدَيْهِ، لَيْسُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَلَا مِنَ الَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ.

الْأَ وَإِنَّ الْقَوْمَ اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا يُحِبُّونَ، وَإِنَّكُمْ اخْتَرْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا تَكْرَهُونَ، وَإِنَّمَا عَهْدُكُمْ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ بِالْأَمْسِ يَقُولُ «إِنَّهَا فِتْنَةٌ فَتَقَطُّوا أَوْتَارَكُمْ، وَشِيمُوا سُيُوفَكُمْ» فَإِنْ كَانَ صَادِقًا، فَقَدْ أَخْطَأَ بِمَسِيرِهِ غَيْرَ مُسْتَكْرَهٍ، وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَقَدْ لَزِمَتْهُ التُّهْمَةُ، فَادْفَعُوا فِي صَدْرِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَخُذُوا مَهَلَّ الْأَيَّامِ، وَحُوطُوا قَوَاصِيَ الْإِسْلَامِ.

أَلَا تَرَوْنَ إِلَى بِلَادِكُمْ تُغْزَى، وَإِلَى صَفَاتِكُمْ تُرْمَى.

أقول: الجفافة: غلاظ الطباع. والطعام: اوغاد الناس و أرادلهم. والاقزام: جمع قزم بفتح الزاء وهو الرذال الذنى من الناس. والاوب: الناحية. والشوب: الخلط. ويدرّب: يعود بالعادات الجميلة: ويولّى عليه ويؤخذ على يديه: كنايةتان عن سفهه ووجوب الحجر عليه. و اراد بالدار: مدينة الرسول صلى الله عليه وآله. وتبوؤها: نزولها اى: ليسوا من الانصار الذين اسلموا بالمدينة قبل الهجرة وابتنوا بها المساجد. وفي بعض النسخ والايمان، ووصفه بكونه متبواً مستعاراً تشبيها له بالمنزل، باعتبار انهم ثبتوا عليه و سكنت قلوبهم اليه. و اراد بالقوم: اهل الشام، والذى اختاره لانفسهم هو عمرو بن العاص فانهم اختاروه للحكومة و ما يحبونه هو النصره على اهل العراق، والذى اختاره اهل العراق هو ابو موسى الاشعري، وكان اقرب القوم بما يكرهون من صرف الأمر عنهم لانحرافه عنه عليه السلام. و قوله: أنها فتنة فالضمير لحرب على عليه السلام لاهل الشام، واصحاب الجمل. و شيموا سيوفكم اى اغمدوها. و مهل الايام: فسحتها لما ينبغي أن يعمل فيها. وحياسة قواصى الاسلام حفظ اطراف بلاده كاطراف الحجاز والعراق والجزيرة، ورمى صفاتهم كناية عن طمع العدو فيهم وايقاع الغارة ببلادهم. و بالله التوفيق.

مركز تحقيقات كويت علوم دينية

٢٣٥ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يذكر فيها آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم

هُم عَيْشُ الْعِلْمِ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ، يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ حِكْمِ مَنطِقِهِمْ: لَا يُخَالِفُونَ الْحَقَّ، وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، هُمْ دَعَائِمُ الْإِسْلَامِ، وَلَا يُجِ الْإِغْتِصَامِ، بِهِمْ عَادَ الْحَقُّ فِي نِصَابِهِ، وَأَنْزَا حَ الْبَاطِلُ عَنْ مَقَامِهِ، وَأَنْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنبَتِهِ، عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلَ وَعَايَةَ وَرِعَايَةَ، لَا عَقْلَ سَمَاعٍ وَرِوَايَةَ، فَإِنَّ رِوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ، وَرِعَايَتُهُ قَلِيلٌ.

اقول: عيش العلم: حياته، ويجوز فيهم بلفظ العيش باعتبار انهم سببه، و كذلك لفظ موت الجهل و اخبار حلمهم عن علمهم: دلالة عليه دلالة الالتزام، لان حلمهم فى مواضعه فهو يستلزم العلم بمواضعه، و كذلك دلالة صمتهم عن حكمتهم لان السكون فى

موضعه حكمة، و علم بما ينبغي من الصمت والقول. و عدم اختلافهم فى الحق: كناية عن كمال علمهم به، و استعار لفظ الدعائم، و لفظ الولايج: جمع وليجة وهى الموضع يعتصم بدخوله، باعتبار أن قيام الاسلام بهم و أن الخلق يعتصمون بالدخول فى طاعتهم و هدايتهم الى الله. و النصاب: الاصل. و بالله التوفيق.

٢٣٦ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

قاله لعبدالله بن عباس- رحمهما الله- وقد جاءه برسالة من عند عثمان وهو محصور يسأله فيها الخروج الى ماله بينبع ليقل هتف الناس بأسمه للخلافه بعد أن كان سأله مثل ذلك من قبل، فقال -عليه السلام:-

يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَنِي جَمَلًا نَاضِحًا بِالْغَرْبِ أَقْبَلُ وَأَدْبَرُ: بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أُخْرَجَ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَقْدَمَ، ثُمَّ هُوَ الْآنَ يَبْعَثُ إِلَيَّ أَنْ أُخْرَجَ، وَاللَّهِ لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آيْمًا.

مركز تحقيق علوم إسلامية

اقول بينبع^١: قرية صغيرة من اعمال المدينة. و الناضح: الجمل يستبقى عليه. و الغرب: الدلو العظيمة. و استعار لفظ الناضح له، و وجه الاستعارة قوله: اقبل و ادبر، و كان بعث اليه ان اخرج الى القوم و كلمهم حتى اخرج اليهم من مظلالمهم.

٢٣٧ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

يحث أصحابه على الجهاد

وَاللَّهُ مُسْتَأْدِيكُمْ شُكْرَهُ، وَمُؤَرِّثِكُمْ أَمْرَهُ، وَمُمْهَلِكُمْ فِي مِضْمَارِ مَحْدُودٍ، لِيَتَنَازَعُوا سَبَقَهُ. فَشُدُّوا عُقَدَ الْمَآزِرِ، وَأَطْوُوا قُضُولَ الْخَوَاصِرِ، لَا تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ وَوَلِيْمَةٌ، مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ، وَأَمْحَى الظُّلَمَ لِتَذَاكِيرِ الْهِمَمِ!!

١ - معجم البلدان ٥ / ٤٤٩.

اقول: استيداء: شكره طلب ادائه على نعمه، وأمره سلطانه فى الارض الذى كان فىمن سلف من اهل طاعته. والمضمار: الموضع والزمان يضمرفيه الخيل للسباق، واستعار لفظه لمدة الحياة الدنيا باعتبار استعدادهم فيها بتقوى الله لغاية السبق اليه، وغاية ذلك الامهال ان يتنازعوا سبقه والسبق والسابقة: ما تسبق اليه من خطر. والضمير فى سبقة، للمضمار اذغايته ذلك، وسبقه هو الجنة واراد بالتنازع: ما يعرض للسالكين من حرص كل امرئ منهم على ان يكون هو الأكمل فى طاعة الله الفائز بقصب السبق اليه، وشد عقد المآزر: كناية عن التشمير والجد فى الطاعة، وطبهم لفضول الخواصر: كناية عن تقليل المآكل والمشارب. والاقتصار على الاقتصاد فى متاع الدنيا. وقوله: لا تجتمع عزيمة ووليمة ما انقضّ النوم لعزائم اليوم مثل، واصله، ان الانسان يعزم فى النهار على المسير بالليل لتقريب المنزل، فاذا جاء الليل نام الى الصباح فينتقض بذلك عزمه، فضربه مثلا لمن يعزم على تحصيل معالى الامور ثم يلزم الأناة فى ذلك، واراد ان حاكم للدعة والراحة من مشقة الجهاد: ينتقض بما تعزمون على تحصيله من السعادة فى الدنيا والآخرة. وكذلك قوله: وامحى الظلم لتدكير الهمم واصله ان الرجل تبعثه همته فى مطالبه على المسير بالليل، فاذا جرت الظلام ادركه الكسل وغلبه حب النوم على ذكر مطالبه و صرفه عنها، فضرب مثلا لمن يدعوه الداعى الى امر ويهتم به، ثم يعرض له ادنى صارف فيصرفه عنه وهو كالتذى قبله. وباللله التوفيق.

٢٣٨ - ومن كلام له عليه السلام

اقتص فيه ذكر ما كان منه بعد هجرة النبى صلى الله عليه وآله، ثم لحاقه به: فَجَعَلْتُ أَتَّبِعُ مَا أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَأَطَأُ ذِكْرَهُ حَتَّى أَنْتَهَيْتُ إِلَى الْعَرَجِ (فى كلام طويل)

قال الشريف: قوله عليه السلام «فأطأ ذكره» من الكلام الذى روى به الى غايتى الإيجاز والفصاحة، أراد انى كنت أعطى خبره، صلى الله عليه وآله وسلم من بدء خروجى الى أن انتهيت الى الموضع، فكنى عن ذلك بهذه الكناية العجيبة.

اقول : الفصل من كلام يحكى فيه حاله فى خروجه من مكة الى المدينة، بعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله^١ اليها. و كان قد تخلف عنه بمكة لقضاء دينه، وما امره به ثم لحق به فجاء المدينة راجلا (قد تورمت قدماه)^٢ وقد نزل على ابي ايوب الانصارى بالمدينة و مأخذه الجهة التى سلكها. والعرج: موضع، واستعار وصف الوطى: لوقوع قدم ذهنه على ذكره، والعلم بخبره صلى الله عليه وآله من الناس فى تلك الطريق. وقيل: اراد بذكره ما ذكره و وصفه من الطريق و حالها. وبالله التوفيق^٣.



- ١ - نسخة ش: عليه السلام.
- ٢ - هذه الجملة غير موجودة في ش.
- ٣ - في نسخة ش بزيادة: والعصمة.

باب المختار من كتب مولانا أمير المؤمنين عليه السلام

إلى أعدائه وأمرائه ببلادهم

ويدخل في ذلك ما اختير من عهوده إلى عماله ووصاياه لاهله واصحابه

١ - من كتاب له عليه السلام

لأهل الكوفة، عند مسيره من المدينة إلى البصرة.

من عبد الله على أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة جبهة الأنصار وستم العرب.
أما بعد؛ فإني أخبركم عن أمر عثمان حتى يكون سمعه كعبيانه؛ إن الناس طعنوا
عليه فكنت رجلاً من المهاجرين الكثير استغتابه، (وأقل عتابه) وكان طلحة والزبير أهون
سيرهما فيه الوجيف، وأرق حداثتهما العنيف، وكان من عائشة فيه فلتة غضب، فأبيح له
قوم فقتلوه، وبأبغى الناس غير مستكرهين ولا مجبرين، بل طائعين مختارين.
وأعلموا أن دار الهجرة قد قلعت بأهلها وقلعوا بها، وجاشت جيش المرجل، وقامت
الفتنة على القطب؛ فأسرعوا إلى أميركم، وبادروا جهاد عدوكم، إن شاء الله.

اقول: الوجيف: ضرب من السير فيه سرعة. والعنف: ضد الرفق. وحال الرجلين
في التحريض على قتل عثمان مشهور في السير. وأما الفتنة من قول عائشة، فروى أنها
كانت تقول: اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً^٢. وأما الغضب الذي وقع بسببه الفتنة من قولها
فالسبب الظاهر هو ما نقمه المسلمون عليه.

١ - في ش بزيادة: ورسائله.

٢ - النهاية ٧٩/٥. قاموس المحيط ٥٩/٤. الغدير ٨٤/٩.

وروى، أنه صعد المنبر يوماً و غصّ المسجد بأهله، فمدّت يدها من وراء الستروفيها
 نعلا رسول الله صلى الله عليه وآله وقميصه، وقالت: هذان نعلا رسول الله (ص) بعدلم
 تبل، وقد بدلت دينه وغيّرت سنته، و اغلظت له فى القول، و اغلظ لها، و كان ذلك من
 اقوى الاسباب للاغراء به. والفلة: البغته من غير ترو. واتيح: قدر. و دارالهجرة: المدينة.
 و قلع المنزل باهله اذا نباهم فلم يصلح لاستيطانهم. والمرجل: القدر. وجيشانها:
 غليانها. و اراد اعلام الكوفة بنهوض اهل المدينة لقتال أصحاب الجمل لينهضوا معهم.

٢ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إليهم، بعد فتح البصرة

وَجَزَاكُمُ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرٍ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ، أَحْسَنَ مَا يَجْزِي الْعَامِلِينَ بِطَاعَتِهِ،
 وَالشَّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ؛ فَقَدْ سَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ، وَدُعَيْتُمْ فَأَجَبْتُمْ.

اقول الكتاب الى اهل الكوفة، والفصل واضح

٣ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

كتبه لشريح بن الحارث قاضيه

روى أن شريح بن الحارث قاضى أمير المؤمنين عليه السلام اشترى على عهده دارا
 بثمانين دينارا فبلغه ذلك، فاستدعاه وقال له: بلغنى انك ابتعت داراً بثمانين دينارا
 وكتبت كتابا و أشهدت [فيه] شهودا، فقال شريح: قد كان ذلك يا أمير المؤمنين؛ قال:
 فنظر إليه نظر مغضب ثم قال له:

يَا شُرَيْحُ، أَمَا سَيَاتِيكَ مَنْ لَا يَنْظُرُ فِي كِتَابِكَ، وَلَا يَسْأَلُكَ عَنْ بَيْتِكَ، حَتَّى يُخْرِجَكَ
 مِنْهَا شَاخِصًا، وَيُسَلِّمَكَ إِلَى قَبْرِكَ خَالِصًا، فَاَنْظُرْ يَا شُرَيْحُ لَا تَكُونُ ابْتَعْتَ هَذِهِ الدَّارَ مِنْ
 غَيْرِ مَالِكَ، أَوْ نَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلَالِكَ! فَإِذَا أَنْتَ قَدْ خَيْرْتَ دَارَ الدُّنْيَا وَدَارَ الْآخِرَةِ!

أَمَا إِنَّكَ لَوْ كُنْتَ أَتَيْتَنِي عِنْدَ شِرَائِكَ مَا اشْتَرَيْتَ لَكْتُبْتُ لَكَ كِتَابًا عَلَى هَذِهِ النُّسْخَةِ، فَلَمْ تَرْتَعِبْ فِي شِرَاءِ هَذِهِ الدَّارِ بِدِرْهَمٍ فَمَا فَوْقُ؛ وَالنُّسْخَةُ هَذِهِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَذَا مَا اشْتَرَى عَبْدٌ ذَلِيلٌ، مِنْ عَبْدٍ قَدْ أُزْعِجَ لِلرَّجِيلِ، اشْتَرَى مِنْهُ دَارًا مِنْ دَارِ الْغُرُورِ مِنْ جَانِبِ الْفَانِسِ، وَخِطَّةَ الْهَالِكِينَ، وَتَجَمَّعَ هَذِهِ الدَّارُ حُدُودَ أَرْبَعَةٍ: الْحَدُّ الْأَوَّلُ: يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الْأَقَاتِ، وَالْحَدُّ الثَّانِي يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الْمُصِيبَاتِ، وَالْحَدُّ الثَّلَاثُ يَنْتَهِي إِلَى الْهَوَى الْمُرْدِي، وَالْحَدُّ الرَّابِعُ يَنْتَهِي إِلَى الشَّيْطَانِ الْمَغْوَى، وَفِيهِ يُشْرَعُ بَابُ هَذِهِ الدَّارِ!! اشْتَرَى هَذَا الْمُغْتَرِّبُ بِالْأَمَلِ، مِنْ هَذَا الْمُزْعَجِ بِالْأَجَلِ، هَذِهِ الدَّارُ بِالْخُرُوجِ مِنْ عِزِّ الْقَتَاعَةِ، وَالذُّخُولِ فِي ذُلِّ الطَّلَبِ وَالضَّرَاعَةِ، فَمَا أَدْرَكَ هَذَا الْمُشْتَرِيَ فِيمَا اشْتَرَى مِنْهُ مِنْ دَرَكٍ فَعَلَى مُبْتَلِيبِ أَجْسَامِ الْمُلُوكِ، وَسَالِبِ نَفُوسِ الْجَبَابِرَةِ، وَمُزِيلِ مُلْكِ الْفَرَاعِنَةِ، مِثْلِ كِسْرَى وَقَيْصَرَ، وَتَبِيعَ وَحَمِيرَ، وَمَنْ جَمَعَ الْمَالَ عَلَى الْمَالِ فَأَكْثَرَ، وَمَنْ بَتَّى وَشَيْدَ، وَزَخْرَفَ وَنَجَّدَ، وَأَذْخَرَ وَأَعْتَقَدَ، وَنَظَرَ بِرَغْمِهِ لِلْوَلَدِ؛ إِشْخَاصُهُمْ جَمِيعًا إِلَى مَوْقِفِ الْعَرِضِ وَالْحِسَابِ، وَمَوْضِعِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، إِذَا وَقَعَ الْأَمْرُ بِفَضْلِ الْقَضَاءِ (وَخَسِرَ هُنَا لِكَ الْمُبْطِلُونَ) أَشْهَدُ عَلَى ذَلِكَ الْعَقْلُ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَسْرِ الْهَوَى، وَسَلِمَ مِنْ عِلَاقِ الدُّنْيَا.

أقول: الشاخص: الداخِل و اراد بمن يأتيه ملك الموت. و حاصل الكتاب التنفير عن الدنيا. و الركون الى فضولها، و فيه نكت:

احداها، و صف المشتري بالعبودية و الذلة كسرا لما يعرض في نفسه، من العجب و الفخر بشراء هذه الدار، و صفة البايع بالميته، تنزيلا لما بالقوة مكان ما بالفعل مجازا للتحذير.

الثانية ، ان قوله من جانب الفانيس الى قوله: الهالكين، ابتداء في التعيين بالأعم و انتهاء بالأخص، كما جرت العادة به في كتب البيع. و الخطئة بالكسر: البقعة يخطئها

الرجل ليبتنى بها.

الثالثة، جعل الحد الاول دواعى الآفات، و اشار به الى ما يلزم الدار لزوما اولاً من كمالاتها الضرورية كالمرأة، و الخادم والذابة وما يلزم ذلك ويلحقهم من الأولاد و الاتباع والقينات وهى: دواعى الآفات لأنَّ كلاً منها فى معرض الآفات.

الرابعة، جعل الحد الثانى دواعى المصيبات، و اشار بها الى الامور المذكورة باعتبار آخر اذ كانت من حيث يلحقها الآفات تدعوا صاحبها الى المصيبات بها.

الخامسة، جعل الحد الثالث ما ينتهى اليه من الهوى المردى. اذ كان اقتناء الدار و كمالاتها فى الدنيا و خوف فواتها و المصيبة بما فيها مرّة بعد اخرى يوجب محبة النفس لها، و الألفة التامة بها، و ذلك هو الهوى المردى فى قرار النار المهلك فيها.

السادسة، جعل الحد الرابع ما ينتهى الى الشيطان المغوى لانه الحد الأبعد الذى ينتهى اليه الهوى المردى، و كونه مغوياً يعود الى جذبه للنفس عن سبيل الله الواضح. و كونه مشرع باب هذه الدار باعتبار كونه مبدأ باغوائه للدخول فى الدواعى الباعثة على شرائها، و اقتناء ما يلزمها فالشيطان كالحد و ما صدر عنه و انفتح بسببه من الدخول فى امر الدار و شرائها.

مركز تحقيقات الكمبيوتر علوم رى

السابعة، جعل الثمن هو الخروج عن عز القناعة و الدخول فى ذل الطلب. و الضراعة. اما خروجه بها عن القناعة فلأنها كانت فضلة فى حقه عن الحاجة الى الخلق. و لما كانت القناعة مستلزمة لأقلية الحاجة الى الخلق المستلزمة لعز القناعة و غناها عنهم، كان الخروج عن ذلك خروجاً الى ذل الطلب الى الناس و الضراعة.

الثامنة، علق الدرك و التبعة اللازمة فى هذا المبيع بملك الموت قطعاً لأمل الدرك، و التبعة، و تذكيراً بالموت لغاية الأمل له. و كنى عنه بمبيلب اجسام الملوك، الى قوله للولد: تنبيهاً على ان المشتري اولى بذلك. و البلبلة: الاضطراب و الاختلاط و افساد الشىء. و كسرى: لقب ملوك الفرس كاسم الجنس، و كذلك قيصر: لملوك الروم، و تبع: لملوك اليمن و حمير: ابوقبيلة فى اليمن و هو حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. و التنجيد: تزيين الارض بالبسط و نحوها. و نظر للولد: فكر فى عاقبته فجمع له.

التاسعة، جعل الشاهد بجميع ما عدده هو العقل المجرد من مشاركة الهوى و النفس

الامارة، وهو كلام فى غاية الشرف والفصاحة.

٤ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى بعض أمراء جيشه

فَإِنْ عَادُوا إِلَى ظِلِّ الطَّاعَةِ فَذَلِكَ الَّذِي نُحِبُّ، وَإِنْ تَوَافَتِ الْأُمُورُ بِالْقَوْمِ إِلَى الشَّقَاقِ
وَالْعِصْيَانِ، فَمَا نَهْدُ بِمَنْ أَطَاعَكَ إِلَى مَنْ عَصَاكَ، وَأَسْتَفِنُ بِمَنْ أَنْقَادَ مَعَكَ عَمَّنْ تَقَاعَسَ
عَنكَ؛ فَإِنَّ الْمُتَكَارَةَ مَغِيبُهُ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِهِ، وَقُعُودُهُ أَغْنَى مِنْ نُهُوضِهِ.

اقول: الفصل من كتاب له الى عثمان بن حنيف، عامله على البصرة حين قدم طلحة
والزبير اليها ونكث معهما جماعة من اهلها، وخرجوا عن الطاعة، واستعار لفظ الظل،
لما يستلزمه الطاعة من الراحة عن متاعب الحرب. وتوافت بهم الامور اى: توافقت اسباب
العصيان والشقاق، حتى تمت علتاها مساو وجبا عنهما. وانهد اى: انهض. وتقاعس:
تأخر وقعد. والمتكارة للشئ: هو الذى يتعاطى كراهيته، ومغيبه خير من محضره لانه
ربما ثبط الناس عن الحرب واقتدوا به فى عدم المنفعة.

٥ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى الأشعث بن قيس، وهو عامله على آذربيجان

وَإِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ، وَلَكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ، وَأَنْتَ مُسْتَرَعَى لِمَنْ فَوْقَكَ .
لَيْسَ لَكَ أَنْ تَفْتَاتَ فِي رَعِيَّةٍ، وَلَا تُخَاطِرَ إِلَّا بِوَيْقَةٍ، وَفِي يَدَيْكَ مَالٌ مِنْ مَالِ اللَّهِ
عَزَّوَجَلَّ، وَأَنْتَ مِنْ خُرَازْمِ حَتَّى تُسَلِّمَهُ إِلَيَّ، وَلَعَلِّي أَنْ لَا أَكُونَ شَرًّا وَلَا تَيْكَ لَكَ وَالسَّلَامُ.

اقول: ليس لك ان تفتات فى رعية، اى: تستبد بحكم فيهم وتسبق اليه دون اذن
ممن استرعاك. والمخاطرة: الاقدام على الامور العظام، والاشراف فيها على الهلاك .

والوثيقة: ما يوثق به في الدين. واتي بلفظ الترجي اطماعا له بعدم الايقاع به، والمواخذة له كي لا يفر الى العدو لانه كان خائفا منه.

وروى انه استقدمه الى الكوفة فلما قدم فتش ثقله، فوجد فيه مائة الف درهم فأخذها فاستشفع بالحسن والحسين عليهما السلام، وبعبدالله بن جعفر، فاطلق له منها ثلاثين الفاً، فقال: لا يكفيني، فقال: لست بزائدك درهما واحداً وما اظنها تحل لك فقال الأشعث: خذ من خدعك ما اعطاك .

٦- وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى معاوية

إِنَّهُ بَايَعَنِي الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ، عَلَيَّ مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ، وَإِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ. فَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَيَّ رَجُلٍ وَسَمَوُهُ إِمَامًا كَانَ ذَلِكَ لِلَّهِ رِضًا؛ فَإِنِ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بَطْنٌ أَوْ بَدْعَةٌ رَدُّهُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ؛ فَإِنِ أَبِي قَاتَلُوهُ عَلَيَّ اتَّبَاعِهِ غَيْرَ مَسْبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَلَاهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى. وَلَعَمْرِي - يَا مُعَاوِيَةَ - لَئِن نَظَرْتُ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ لَتَسْجِدَنِي أَبْرَأُ النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ، وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّي كُنْتُ فِي غُرْلَةٍ عَنْهُ، إِلَّا أَنْ تَتَّجِنِّي، فَتُحْرِنَ مَا بَدَأَكَ؛ وَالسَّلَامُ.

اقول: انما احتج عليه السلام على القوم بالاجماع لاعتقادهم انه لم يكن منصوصا عليه، فلوا احتج بالنص لم يقبل منه ولم يسلم له. و التجتى دعوى الجناية ممن لم يفعلها، وبالله التوفيق.

٧- وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إليه أيضا

أَمَا بَعْدُ؛ فَقَدْ أَتَيْتَنِي مِنْكَ مَوْعِظَةٌ مُوَصَّلَةٌ، وَرِسَالَةٌ مُحَبَّرَةٌ، نَمَّقَتْهَا بِضَلَالِكَ، وَأَمْضَيْتَهَا

بِسُوِّ رَأْيِكَ ! وَكِتَابُ أَمْرِي لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ يُهْدِيهِ، وَلَا قَائِدٌ يُرْشِدُهُ؛ قَدْ دَعَاهُ الْهَوَى فَأَجَابَهُ،
وَقَادَهُ الضَّلَالُ فَاتَّبَعَهُ، فَهَجَرَ لَا عِظًا، وَضَلَّ خَابِطًا وَمِنْ هَذَا الْكِتَابِ: لِأَنَّهَا بَيْعَةٌ وَاحِدَةٌ
لَا يُشْتَأَى فِيهَا النَّظَرُ، وَلَا يُسْتَأْنَفُ فِيهَا الْخِيَارُ؛ الْخَارِجُ مِنْهَا طَاعِنٌ، وَالْمُرَوِّى فِيهَا مُدَاهِنٌ.

اقول: موصلة: ملتقطة من كلام الناس ملفقة لا تتناسب وصولها. ومحبرة: مزينة.
والتمسيق: التزيين بالكتابة. والبصر هنا البصيرة، ويحتمل ان يريد الحس باعتبار عدم
اهتدائه من جهته. والقائد: الهادي فى سبيل. وهجر: هذى وافحش فى منطقه. واللغظ:
الأصوات المختلطة، والخبط: الحركة على غير نظام.

اقول: هذا جواب لفصل ذكره معاوية فى كتابه وصورته: ولعمري ما حجتك على
اهل الشام كحجتك على اهل البصرة، ولا حجتك عليّ كحجتك على طلحة والزبير،
لأنهما بايعاك ولم اباعك، واول الجواب. واما ما ميزت به بين اهل الشام واهل البصرة
وبينك وبين طلحة والزبير، فلعمري ما الأمر فى ذلك الا واحدا لأنها بيعة واحدة الى
آخره.

وفى نسخة لأنها بيعة عامة... وقوله: الخارج منها، الى آخره، قسمة لمن لم يدخل
فى بيعته الى قسمين: لأنه اما خارج عنها، وهو الطاعن فى صحتها، ويجب مجاهدته
لمخالفة سبيل المؤمنين، واما منزوي فى ذلك ومتوقف، وجكمه أنه يداهن وهو نوع
من النفاق، وبالله التوفيق.

٨ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى جرير بن عبدالله البجلي، لما أرسله إلى معاوية

أَمَا بَعْدُ؛ فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَاحْمِلْ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْفَضْلِ، وَخُذْهُ بِالْأَمْرِ الْجَزِيمِ؛ ثُمَّ خَيْرُهُ
بَيْنَ حَرْبٍ مُجَلِيَّةٍ، أَوْ سِلْمٍ مُخْزِيَّةٍ؛ فَإِنْ اخْتَارَ الْحَرْبَ فَاثْبُدْ إِلَيْهِ، وَإِنْ اخْتَارَ السَّلْمَ فَخُذْ
بِيعَتَهُ، وَالسَّلَامُ.

اقول: الفصل فصل الحال معه فى الحرب وغيرها، لان معاوية كان يتلون ايام المهلة ليستعد له فلا يجيبه بجواب فاصل. ومجلبة: تجلى عن الوطن. وسلم مجزية: فيها ذلك. وروى مجزية- بالجيم- اى: كافية. والنبذ: الالقاء وهو كناية عن القاء الوعيد بالحرب او عن إيقاعها.

٩. وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى معاوية

فَارَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا، وَاجْتِيَا حَ أَصْلِنَا، وَهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ، وَفَعَلُوا بِنَا الْأَفَاعِيلَ، وَمَتَّعُونَا الْعَذْبَ، وَأَخْلَسُونَا الْخَوْفَ، وَأَضْطَرُّونَا إِلَى جَبَلٍ وَعَمْرٍ، وَأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ، فَعَزَمَ اللَّهُ لَنَا عَلَى الدَّبِّ عَنِ حَوْرَتِهِ، وَالرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِهِ: مُؤْمِنُنَا يَبْغِي بِذَلِكَ الْأَجْرَ، وَكَافِرُنَا يُحَامِي عَنِ الْأَصْلِ، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خَلَّوْا مِمَّا نَحْنُ فِيهِ بِحِلْفٍ يَمْنَعُهُ، أَوْ عَشِيرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ، فَهُوَ مِنَ الْقَتْلِ بِمَكَانٍ أَمِنٍ.

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَحْمَرَ النَّاسُ، وَأَحْجَمَ النَّاسُ قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ فَوْقَ بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَرَّ الْأَسِنَّةِ وَالسُّيُوفِ، فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَقُتِلَ حَمْرَةُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَقُتِلَ جَعْفَرُ يَوْمَ مُوتَةَ، وَأَرَادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ اسْمَهُ مِثْلَ الَّذِي أَرَادُوا مِنَ الشَّهَادَةِ، وَلَكِنْ آجَالُهُمْ عَجَّلَتْ، وَمَنْيَتُهُ أَجَلَتْ، فَيَا عَجَبًا لِلدَّهْرِ إِذْ صِرْتُ يُقْرَنُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ كَسَابِقَتِي، الَّتِي لَا يُدْلِي أَحَدٌ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يَدَّعِيَ مُدَّعٍ مَا لَا أَعْرِفُهُ، وَلَا أَظُنُّ اللَّهَ يَعْرِفُهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ مِنْ دَفْعِ قَتْلَةِ عُثْمَانَ إِلَيْكَ فَإِنِّي نَظَرْتُ فِي هَذَا الْأَمْرِ فَلَمْ أَرَهُ يَسْعُنِي دَفْعُهُمْ إِلَيْكَ وَلَا إِلَى غَيْرِكَ، وَلَعَمْرِي لَئِنْ لَمْ تَنْزِعْ عَنِّيكَ وَشِقَاقِكَ، لَتَعْرِفَنَّهُمْ عَن قَلِيلٍ يَطْلُبُونَكَ، لَا يُكَلِّفُونَكَ طَلْبَهُمْ فِي بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ، وَلَا جَبَلٍ وَلَا سَهْلٍ، إِلَّا أَنَّهُ طَلَبُ يَسُوءِكَ وَجَدَانُهُ، وَزَوْرٌ لَا يَسْرُكُ لِقِيَانَهُ، وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ.

اقول: حاصل الفصل ذكر فضيلته عليه السلام وبلائه في الاسلام، ليتبين قياس غيره اليه، ولذلك بنى عليه التعجب من مساواته بغيره.

وهموا بنا الهموم، ارادوا بنا: الارادات. وأرادَ بالأفاعيل: الشرور. والعذب: طيب العيش، وقيل: الماء فإن قريشا منعتهم الطعام والشراب. والحلس: كساء رقيق يجعل تحت قتب البعير، فاستعار وصف الاحلاس لاخافتهم. والجبل الوعر: من شعاب مكة، وقد كانت قريش حين فشا الاسلام في القبائل اجتمعت وتعاهدت على ان لا يناكحوا بنى هاشم و بنى عبدالمطلب، ولا يبايعوهم فانحاز هؤلاء الى ابي طالب فدخلوا معه شعبه، وخرج من بنى هاشم ابولهب وظاهرالمشركين، وقطعوا عنهم الميرة، وحصروهم في ذلك الشعب في اول سنة سبع من النبوة وبقوا كذلك ثلاث سنين لا يخرجون الا في الموسم، وعزم الله ارادته الحازمة لهم واختياره ان يذب عن حوزة دينه و حرمة دينه و حرمة دينه، و كافرهم يومئذ كحمزة والعباس و ابي طالب على قول، فانهم كانوا يمنعون عن رسول الله صلى الله عليه وآله حمية لأصلهم وبيتهم و من كان يومئذ قد اسلم من قريش عدا بنى هاشم، و عبدالمطلب كانوا خالين من الخوف و الجهاد، فمنهم من كان له عهد به و حلف مع المشركين يمنعه، و منهم من كان له عشيرة يحفظه، و عبيدة بن الحرث بن عبدالمطلب. و بدر: اسم بئر. و احد: اسم جبل. و مؤته بالضم: اسم ارض بأدنى البلقاء دون دمشق.

و من لوشئت ذكره، يعنى نفسه. و واقعة بدر، واحد، و مؤته، و غيرها من وقائع الرسول صلى الله عليه وآله مع المشركين مشهورة فى التواريخ، و قد نبهنا على خلاصتها فى الاصل^١.

و من لم يَسَعْ بقدمه: كناية عن من لم يماثله فى الجهاد، و السعى فى اقامة الدين. و الإدلاء بالشئ: التقرب به. و قوله: ولا اظن الله يعرفه، كناية عما لا اصل له فان ما لا وجود له لا يعلمه الله موجودا. و اما عدم تسليم قتلة عثمان الى معاوية فلوجوه منها: انه لم يكن وليّ دمه. و منها انه لم يعين قتلته و يدعى عليهم و يحاكمهم الى الامام الحق. و منها انه لما سئل عليه السلام تسليمهم، قال: وهو على المنبر ليقيم قتلة عثمان

١ - الشرح الكبير ٤ / ٣٦٧.

فقام اكثر من عشرة الاف من المهاجرين، و الانصار وغيرهم، و معلوم ان مثل هذا الجمع العظيم لا يتمكن عليه السلام، من اخذهم و تسليمهم الى غيره ولو امكن ذلك مع ان فيهم من شهد النبي صلى الله عليه و آله له بالجنة كعمّار، فربّما اقتضى الاجتهاد ان لا يقتل هذا الجمع العظيم من قواعد الدين برجل واحد احدث احداثا نقموها عليه و قتلوه لأجلها. و الزور الزائرون، و افرد ضميره، نظراً الى افراد اللفظ، و قيل: هو مصدر. و بالله التوفيق.

١٠ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى معاوية

وَ كَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ إِذَا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ جَلَابِيبُ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ دُنْيَا قَدْ تَبَهَّجَتْ
بزِينَتِهَا، وَخَدَعَتْ بِلَذَّتِهَا؛ دَعَاكَ فَأَجَبْتَهَا، وَقَادَتَكَ فَاتَّبَعْتَهَا، وَأَمَرْتَكَ فَأَطَعْتَهَا. وَإِنَّهُ يُوشِكُ
أَنْ يَقِفَكَ وَأَقِفُ عَلَى مَا لَا يُنْجِيكَ مِنْهُ مِحْنٌ، فَأَقْعَسَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ، وَخَذَ الْهَبَةَ الْحِسَابِ،
وَشَمَّرَ لِمَا قَدْ نَزَلَ بِكَ، وَلَا تُمَكِّنِ الْغَوَاةَ مِنْ سَمْعِكَ؛ وَإِلَّا تَفْعَلْ أُعْلِمُكَ مَا أَغْفَلْتَ مِنْ
نَفْسِكَ، فَإِنَّكَ مُتَرَفٌّ قَدْ أَخَذَ الشَّيْطَانُ مِنْكَ مَا أَخَذَهُ، وَبَلَغَ فِيكَ أَمَلُهُ، وَجَرَى مِنْكَ مَجْرَى
الرُّوحِ وَالْدَّمِ. وَمَتَى كُنْتُمْ يَا مُعَاوِيَةَ سَاسَةَ الرَّعِيَّةِ، وَوَلَاةَ أَمْرِ الْأُمَّةِ، بِغَيْرِ قَدَمِ سَابِقٍ،
وَلَا شَرَفِ بَاسِقٍ؛ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ لُزُومِ سَوَابِقِ الشَّقَاءِ! وَأَحْذَرُكَ أَنْ تَكُونَ مُتَمَادِيًا فِي غِرَّةِ
الْأُمْنِيَّةِ، مُخْتَلِفٍ الْعَلَانِيَّةِ وَالسَّرِيرَةِ.

وَقَدْ دَعَوْتُ إِلَى الْحَرْبِ فَدَعَى النَّاسَ جَانِبًا وَآخَرُجُ إِلَى، وَأَغْفِ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْقِتَالِ
لِيُعْلَمَ أَيُّنَا الْمَرِينُ عَلَى قَلْبِهِ، وَالْمُعْظَى عَلَى بَصَرِهِ، فَأَنَا أَبُو حَسَنِ قَاتِلُ جَدِّكَ، وَخَالِكَ
وَأَخِيكَ شَدْخًا يَوْمَ بَدْرٍ، وَذَلِكَ السَّيْفُ مَعِي، وَبِذَلِكَ الْقَلْبِ الْقَى عَدُوِّي! مَا أَسْتَبَدَلْتُ
دِينًا، وَلَا أَسْتَحْدَثْتُ نَبِيًّا؛ وَإِنِّي أَعْلَى الْمِنْهَاجِ الَّذِي تَرَكْتُمُوهُ طَائِعِينَ، وَدَخَلْتُمْ فِيهِ مُكْرَهِينَ.
وَزَعَمْتَ أَنَّكَ جِئْتَ ثَائِرًا بِعُثْمَانَ، وَلَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عُثْمَانَ فَاطْلُبُهُ مِنْ هُنَاكَ
إِنْ كُنْتَ ظَالِمًا، فَكَأَنِّي قَدْرَأَيْتُكَ تَضِجُ مِنَ الْحَرْبِ إِذَا عَضَّكَ ضَجِيجَ الْجِمَالِ بِالْأَثْقَالِ،
وَكَأَنِّي بِجَمَاعَتِكَ تَدْعُونِي - جَزَعًا مِنَ الضَّرْبِ الْمُسْتَبَاحِ، وَالْقَضَاءِ الْوَاقِعِ، وَمَصَارِعَ بَعْدَ
مَصَارِعَ - إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَهِيَ كَافِرَةٌ جَاحِدَةٌ، أَوْ مَبَايَعَةٌ حَائِدَةٌ.

اقول: استعار لفظ الجلابيب، لأغطية الهيئات البدنية من محبة الدنيا وباطلها. والجلباب: الملحفة. وتبهجت: تحسنت. ويوشك اى: يقرب. وما لا ينجومنه: الموت وما بعده من أهوال الآخرة التي هو غافل عنها فى الدنيا. والواقف له اما الله تعالى او يعنى نفسه على سبيل التهديد له بالقتل. واقعس اى: تاخر. والاهبة: الاستعداد. وما نزل به اما الحرب او الموت وما بعده: اقامه للمتوقع مقام الواقع النازل. والمترف: من اطغته النعمة. والباسق: العالى. وسوابق الشقاء: ما سبق منه فى القضاء الالهى، واللوح المحفوظ فى حق كل شقى ولزم وجوده. والامنية: ما تتمناه نفسه وترجوه من الخلافة، واختلاف علانيته وسريته: كناية عن نفاقه. والرین: التغطية. والمرين على قلبه: من غطت عليه الذنوب والهيئات الدنيوية. وجدّه المقتول: هو جدّه لأمه عتبة بن ابى ربيعة ابوهند. وخاله الوليد بن عتبة، واخوه حنظلة بن ابى سفيان، وقتلهم عليه السلام يوم بدر جميعًا. والثائر: الطالب بالدم. والكافرة الجاحدة من اصحاب معاوية: اشارة الى المنافقين منهم.

والمبايعة الحائدة الذين بايعوه وعدلوا عنه. وحاد عن الأمر: عدل عنه، واطلاعه عليه السلام على مصارعهم ودعائهم التى كتب الله قبل وقوع ذلك من آياته، وكرامته.

١١ - وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وصى بها جيشا بعثه إلى العدو

فَإِذَا نَزَلْتُمْ بَعْدُو أَوْ نَزَلَ بِكُمْ فَلْيَكُنْ مُعَسِّكِرُكُمْ فِي قُبُلِ الْأَشْرَافِ، أَوْ سِفَاحِ الْجِبَالِ، أَوْ
أَثْنَاءِ الْأَنْهَارِ؛ كَيْمَّا يَكُونُ لَكُمْ رِذَاءٌ وَدُونُكُمْ مَرَدًّا، وَلَسْتُ كُنْ مُقَاتِلْتُكُمْ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ أَوْ
أَثْنَيْنِ، وَاجْعَلُوا لَكُمْ رُقَبَاءَ فِي صِيَاصِي الْجِبَالِ، وَمَتَاكِبِ الْهَضَابِ؛ لِيَلَّا يَأْتِيَكُمْ الْعَدُوُّ مِنْ
مَكَانٍ مَخَافَةٍ أَوْ أَمْنٍ، وَأَعْلَمُوا أَنَّ مُقَدِّمَةَ الْقَوْمِ عُيُونُهُمْ، وَعُيُونَ الْمُقَدِّمَةِ طَلَائِعُهُمْ، وَإِيَّاكُمْ
وَالْتَفَرُّقَ فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَأَنْزِلُوا جَمِيعًا، وَإِذَا أَرْتَحَلْتُمْ فَارْتَحِلُوا جَمِيعًا، وَإِذَا غَشِيَكُمْ اللَّيْلُ فَاجْعَلُوا
الرِّمَاحَ كَيْفَةً، وَلَا تَدُوقُوا النَّوْمَ إِلَّا غِرَارًا أَوْ مَضْمَضَةً.

أقول: المعسكر بالفتح: موضع العسكر. والاشراف: جمع شرف بالفتح، وهو المكان العالى. وقبلها بضم القاف قدامها. وسفح الجبل أسفله حيث يسيل الماء. واثناء الانهار: منعطفها. والردء: العون فى المقاتلة و فائدة القتال من وجه او اثنين ان القتال من جهات متفرقة يوجب الضعف والتفرق. والرقيب: الحافظ. و صياصى الجبال: اطرافها العالية. والهضاب: الجبال المنبسطة على الأرض. وقوله: واعلموا، الى قوله: طلائعهم: ارشاد الى وجوب التأهب عند رؤية المقدمة او الطليعة وان قلّ عددهم. وكفة بالكسراى: مستديرة. والغرار: النوم القليل، واستعار له لفظ المضمضه، وبالله التوفيق.

١٢ - وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لمعقل بن قيس الرياحى حين أنفذه إلى الشام فى ثلاثة آلاف مُقدِّمة له اتق الله الذى لا بد لك من لقاءه، ولا مُنتهى لك دونه، ولا تُقاتلن إلا من قاتلك، وسِر البردئين، وعوّز بالناس، ورّفقه فى السّير، ولا تسرّ أول الليل، فإن الله جعله سكناً، وقدره مقاماً لا ظعنًا، فأرخ فيه بدنك، وروّح ظهرك، فإذا وقفت حين ينبطح السحر، أوجين ينفجر الفجر؛ فسر على بركة الله، فإذا لقيت العدو فقف من أصحابك وسطاً، ولا تدن من القوم دنو من يريد أن ينشِب الحرب، ولا تباعد منهم تباعد من يهاب البأس، حتى يأتِكَ أمرى، ولا تحمِلنكم شنائهم على قتالهم قبل دعائهم والإغذار إليهم.

أقول: البردئين: الغداة والعشى. والتغويز: القيلولة. وقوله: فاذا وقفت: اشارة الى ماجرت العادة به من وقوف صاحب الجيش وقت السحر لاستعداد اصحابه للسير. و ينبطح: ينبسط و يتسع. و فائدة وقوفه فى الوسط استواءه الى الطرفين فى وصول اوامره اليهما. والشنائ: البغض والعداوة.

١ - التميمى من رجال الكوفة وابطالها وله رياسة وقدم وكان من شيعة على عليه السلام. اعيان الشيعة ٤٨/٨٦ تنقيح المقال ٣/٢٢٩. جمهرة انساب العرب/١٩٩ و ٢٢٨. الغدير ٨/١٢١ وج ٩/٤٧ و ٣٦٨. وقعة صفين/ ١٣٢ و ٣٨١.

١٣ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى أميرين من أمراء جيشه

وَقَدْ أَمَرْتُ عَلَيْكُمَا وَعَلَى مَنْ فِي حَيْزِكُمَا مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْتَرِ، فَاسْمَعَا لَهُ وَأَطِيعَا، وَأَجْعَلَاهُ دِرْعًا وَمِجَنًّا؛ فَإِنَّهُ مِمَّنْ لَا يُخَافُ وَهَيْئُهُ، وَلَا سَقَطَتُهُ، وَلَا بَطْوَهُ عَمَّا الْإِسْرَاعُ إِلَيْهِ أَحْزَمٌ، وَلَا إِسْرَاعُهُ إِلَى مَا الْبُظْءُ عَنْهُ أَمْتَلٌ.

أقول: الأميران هما: زياد بن النضر^١ و شريح بن هانئ^٢ واستعار له لفظ الدرع والمجن باعتبار قوته وضعته لقومه في الحرب. والوهن: الضعف. والسقطة: الزلة في الرأي ونحوه. امثل: أشبه وأولى.

١٤ - وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

لعسكره قبل لقاء العدو بصفين

مركز تحقيق تكملة علوم إسلامي

لَا تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبْدَأُوكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ - بِحَمْدِ اللَّهِ - عَلَى حُجَّةٍ، وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَأُوكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا كَانَتِ الْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ اللَّهِ فَلَا تَقْتُلُوا مُدْبِرًا، وَلَا تُصِيبُوا مُعُورًا، وَلَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ، وَلَا تَهَيِّجُوا النِّسَاءَ بِأَذَى، وَإِنْ شَتَمَنَ أَعْرَاضَكُمْ، وَسَبَّبَنَ أُمَّرَاءَكُمْ؛ فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقَوَى وَالْأَنْفُسِ وَالْعُقُولِ، إِنْ كُنَّا لَنُؤَمِّرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وَإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ الْمَرْأَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِالْفُهْرِ أَوْ الْهَرَاوَةِ، فَيَعِيرُ بِهَا وَعَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ.

١ - ابوالاوبر زياد بن النضر الحارثي ... ويقال ان كنيته: ابوعائشة.

الاصابة ١/ ٥٨١ ترجمة ٢٩٩٢.

٢ - ابوالمقدام شريح بن هانئ بن يزيد بن نهيك الحارثي المقتول سنة ٧٨.

من اصحاب على عليه السلام وامرانه في وقعة الجمل. الاصابة ٢/ ١٦٦ ترجمة ٣٩٧٢.

اقول: المدبر: المولى هاربًا. والمعور: الذى امكن من نفسه. و اعور الفارس: ظهر فيه موضع خلل للضرب فيه. واجهز على الجريح قتله. وقد فرّق عليه السلام، بين هؤلاء البغاة، وبين الكفار بما ذكر من الامور الأربعة و ان اوجب قتالهم وقتلهم. و هجت الشئ و اهجته: اثرته. والفهر: حجر مستطيل املس يسحق به الطيب و نحوه. والهاوة: كالدبوس من الخشب. و العقب: الولد من الذكر والأنثى.

١٥ - و كان يقول عليه السلام

إذا لقي العدو محاربًا:

اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَفْضَتِ الْقُلُوبُ، وَمُدَّتِ الْأَعْنَاقُ، وَشَخَّصَتِ الْأَبْصَارُ، وَنُقِلَتِ الْأَقْدَامُ، وَأَنْضِيَتِ الْأَبْدَانُ.

اللَّهُمَّ قَدْ صَرَخَ مَكْتُومُ الشَّنَائِنِ، وَجَاشَتْ مَرَاجِلُ الْأَضْغَانِ.
اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيِّنَا، وَكَثْرَةَ عَدُوِّنَا، وَتَشْتُّ أَهْوَانِنَا (رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ) *ترجمہ تفسیر علوم اسلامی*

اقول: افضت: وصلت اليك خارجة عن كل شئ. و انضيت: اهزلت فى طاعتك و السفر الى جهاد عدوك . والنضو الجمل، انهكه السير و اضعفه. وصرح: ظهر. الشنائن: العداوة. و استعار لفظ المراجل: للصدور، والقلوب التى هى مظنة الاضغان و الاحقاد باعتبار ثورانها.

١٦ - و كان عليه السلام يقول

لأصحابه عند الحرب

لَا تَشْتَدَنَّ عَلَيْكُمْ قَرَّةٌ بَعْدَهَا كَرَّةٌ، وَلَا جَوْلَةٌ بَعْدَهَا حَمَلَةٌ، وَأَعْطُوا السُّيُوفَ حُقُوقَهَا، وَوَطَّنُوا لِلْجُنُوبِ مَصَارِعَهَا، وَأَدْمُرُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الطَّعْنِ الدَّعْسِيِّ، وَالضَّرْبِ الطَّلْحَفِيِّ،

وَأَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَظْرَدُ لِلْفَشْلِ، فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، مَا أَسْلَمُوا، وَلَكِنْ
أَسْتَسْلَمُوا، وَأَسْرُوا الْكُفْرَ، فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَانًا عَلَيْهِ أَظْهَرُوهُ!!

اقول: الفصل من كلام له عليه السلام بصفين. وقوله: لا تشتدّن، الى قوله حملة،
اي: اذا اتفق لكم ان فرتم مرة ثم عقبتموها بكرة فلا تشتدّن عليكم الفرّة فتستحيوا منها،
فان الكرة كالماحية لها، وفيه تنبيه على الامر بالكرة بعد الفرّة. وكذلك قوله: ولا جولة:
وهي الدورة بعدها حملة. واذمروا اي: حثوا. والدّعسى: ذوالاثر والنكاية في العلم.
والدّعس: الاثر. والظّلحفيّ بكسر الطاء وفتح اللام الشديداً. والنسمة: الانسان.

١٧ - وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى معاوية، جواباً عن كتاب منه إليه

فَأَمَّا ظَلَبُكَ إِلَى الشَّامِ، فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِأَعْطِيكَ الْيَوْمَ مَا مَتَعْتِكَ أَمْسٍ، وَأَمَّا قَوْلُكَ «إِنَّ
الْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتِ الْعَرَبَ إِلَّا حُشَّاشَاتِ أَنْفُسٍ بَقِيَتْ» أَلَا وَمَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ فَإِلَى الْجَنَّةِ،
وَمَنْ أَكَلَهُ الْبَاطِلُ فَإِلَى النَّارِ. وَأَمَّا اسْتِوَاؤُنَا فِي الْحَرْبِ وَالرِّجَالِ فَلَسْتُ بِأَمْضَى عَلَى الشُّكِّ
مِنِّي عَلَى الْيَقِينِ، وَلَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى الْآخِرَةِ. وَأَمَّا
قَوْلُكَ «إِنَّا بَنُو عَبْدٍ مَتَافٍ» فَكَذَلِكَ نَحْنُ، وَلَكِنْ لَيْسَ أُمِّيَّةٌ كَهَاشِمٍ، وَلَا حَرْبٌ كَعَبِيدِ
الْمُظَلِّبِ، وَلَا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي ظَالِبٍ، وَلَا الْمُهَاجِرُ كَالظَّلِيْقِ، وَلَا الصَّرِيْحُ كَاللَّصِيْقِ، وَلَا
الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ، وَلَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ، وَلَيْسَ الْخَلْفُ خَلْفًا يَتَّبِعُ سَلْفًا هَوَى فِي نَارِ
جَهَنَّمَ.

وَفِي أَيْدِينَا بَعْدُ فَضْلُ النُّبُوَّةِ الَّتِي أَدَلَّنَا بِهَا الْعَزِيْزَ، وَنَعَشْنَا بِهَا الدَّلِيْلَ. وَلَمَّا أَدْخَلَ
اللَّهُ الْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجًا، وَأَسْلَمَتْ لَهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ طَوْعًا وَكَرْهًا كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ
إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً عَلَى حِينٍ فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ، وَذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ
فَلَا تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيْبًا، وَلَا عَلَى نَفْسِكَ سَبِيْلًا.

اقول: قد كان معاوية سأل منه عليه السلام أن يعطيه الشام على ان لا يكون له في عنقه بيعة ولا طاعة. والحشاشة: بقية الروح. وقوله: فلست بأمضى، الى قوله: اليقين: يريد ان حركة معاوية في هذا الأمر على شك منه في استحقاقه وطلبه، وهو من ذلك على يقين والشاك في امر ليس بأمضى في طلبه من المتقين له. وباقي الفصل افتخار عليه و فيه انماء الى انه من الطلقاء وقد مر بيانه. والصريح: خالص النسب. واللصيق: الدعوى. والادغال: الفساد و رذالة الاخلاق. ونعشه: رفعه. والفوج: الجماعة الكثيرة، وبالله التوفيق.

١٨ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى عبدالله بن عباس، وهو عامله على البصرة

اعْلَمْ أَنَّ الْبَصْرَةَ مَهْبِطُ إِبْلِيسَ وَمَغْرَسُ الْفِتَنِ فَحَادِثُ أَهْلِهَا بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، وَاخْلُلْ عُقْدَةَ الْخَوْفِ عَنْ قُلُوبِهِمْ.

وَقَدْ بَلَّغَنِي تَنَمُّرُكَ لِيَتَى تَمِيمٍ، وَغَلْظَتُكَ عَلَيْهِمْ؛ وَإِنَّ بَنِي تَمِيمٍ لَمْ يَغِبْ لَهُمْ نَجْمٌ إِلَّا طَلَعَ لَهُمْ آخَرُ، وَإِنَّهُمْ لَمْ يُسَبِّقُوا بُوْغَمٍ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ، وَإِنَّ لَهُمْ بِنَا رَحِمًا مَاسَةً، وَقَرَابَةً خَاصَةً، نَحْرُ مَأْجُورُونَ عَلَى صِلَتِهَا، وَمَأْزُورُونَ عَلَى قَطِيعَتِهَا، فَارْبَعُ أَبَا الْعَبَّاسِ، رَحِمَكَ اللَّهُ- فِيمَا جَرَى عَلَى لِسَانِكَ وَيَدِكَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ؛ فَإِنَّا شَرِيكَانِ فِي ذَلِكَ، وَكُنْ عِنْدَ صَالِحِ ظَنِّي بِكَ؛ وَلَا يَقِيلَنَّ رَأْيِي فِيكَ؛ وَالسَّلَامُ.

اقول: الفصل من كلام طويل... و كونها مهبط ابليس ومغرس الفتن، باعتبار انها منشأ الفتن والآراء المختلفة والأهواء المتبعة التي منشأها ابليس، وانما كان السبب الغالب في ذلك كونها طرفا بعيدا عن مقر الخلفاء و ولاية الامر، فليس لما يقع في نفوس من يطمع بالفساد فيها، و اثاره الفتنة بها من الوسوسة بذلك كاسر قريب، فتسرع فيها الفتن و تكثر. و كان ابن عباس قد اضربني تميم حين ولى امر البصرة، من قبله عليه السلام لما عرفهم به من العداوة يوم الجمل لانهم كانوا من شيعة طلحة والزبير، فحمل عليهم

فأقصاهم وتنكر لهم حتى كان يسميهم شيعة الجمل، وانصار عسكر، وهو اسم الجمل،
وحزب الشيطان، فاشتد ذلك على نفر من شيعة علي عليه السلام، من بني تميم، منهم
حارثة بن قدامة^١ فكتب بذلك الى علي عليه السلام شاكياً من ابن عباس فكتب
عليه السلام الكتاب المذكور.

والتميم: تنكر الاخلاق، واستعار لفظ النجم، لمن يظهر من اشرافهم. والوغم:
الحقد. وماسة قريبة قبل ذلك، لا تصال اسلافهم في الياس بن مضر لأن هاشم بن عبد
مناف بن قصي بن كلاب بن لوي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة
ابن مدركة بن الياس بن مضر. وتميم بن مراد بن طانجة بن الياس بن مضر. واصل
مأزورون موزورون فقلب للتجانس. واربع اي: ارفق وتأن. وفيالة الرأي: ضعفه. وبالله
التوفيق.

١٩ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إِلَى بَعْضِ عَمَالِهِ

مركز تحقيقات كويت للدراسات والبحوث

أَمَا بَعْدُ؛ فَإِنَّ ذَهَابِينَ أَهْلِ بَلَدِكَ شَكُوا مِنْكَ غِلْظَةً وَقَسْوَةً، وَآخِثِقَارًا وَجَفْوَةً؛ وَنَظَرْتُ
فَلَمْ أَرَهُمْ أَهْلًا لِأَنْ يُدْنُوا لِشَرِكِهِمْ، وَلَا أَنْ يُقْصُوا وَيُجْفُوا لِعَهْدِهِمْ، فَالْبَسَ لَهُمْ جَلْبَابًا
مِنَ اللَّيْنِ تَشْوِبُهُ بِظَرْفٍ مِنَ الشَّدَةِ، وَذَاوِلَ لَهُمْ بَيْنَ الْقَسْوَةِ وَالرَّافَةِ، وَأَمْزَجَ لَهُمْ بَيْنَ التَّقْرِيبِ
وَالْإِدْنَاءِ، وَالْإِبْعَادِ وَالْإِقْصَاءِ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

١ - حارثة بن قدامة السعدي التميمي ... احد خواص علي عليه السلام وصاحب السرايا والالوية والميل يوم

صفين. تنقيح المقال ٢٤٩/١.

و ذهب اكثر المورخين ان اسمه جارية بن قدامة بن مالك بن زهير بن حصن بن رزاح بن سعد بن بحير بن
ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي السعدي ... ومن المؤسف ان على ممر الزمن ابدل - جارية
- الى - حارثة واضنه تصحيفاً، وله صحبة ورواية عن الرسول الاقدس (ص) وهو الذي حرق عبدالله بن الحضرمي في
دار سنبل بالبصرة لان معاوية بعث السى الحضرمي ليأخذ له البصرة فوجه علي (ع) اعين بن ضبيعة فقتل فوجّه
جارية بن قدامة فحاصر ابن الحضرمي ثم حرق عليه. الاصابة ٢١٨/١ ترجمه ١٠٥. الاستيعاب ٢٤٥/١ - هامش
الاصابة.. رجال الطوسي / ٣٧.

أقول: الدهقان فارسي معرب. والقسوة: الشدة. والجفاء: ضد البر. واستعار لفظ الجلباب وهو الملحفة لما اشتمل عليه ويتلبس به من اللين والرافة. والادالة: الادارة. وداول بين القسوة والرافة اي: استعمل كلاً منهما مرة. والمنقول أن هؤلاء كانوا مجوساً.

٢٠ - وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى زياد بن أبيه، وهو خليفة عامله عبدالله بن عباس على البصرة، وعبدالله خليفة أمير المؤمنين على البصرة والأهواز و فارس وكرمان.
وَأَنِّي أَقْسِمُ بِاللَّهِ فَسَمَّا صَادِقًا لَيْنٌ بَلَغَنِي أَنَّكَ خُنْتُ مِنْ فَيِّ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا صَغِيرًا
أَوْ كَبِيرًا لِأَشَدَّنَّ عَلَيْكَ شِدَّةً تَدْعُكَ قَلِيلَ الْوَفْرِ، ثَقِيلَ الظَّهْرِ، ضَيَّلَ الْأَمْرَ؛ وَالسَّلَامُ.

أقول: زياد هذا هو: ابن سمية ام ابى بكر، وهو دعى ابى سفيان واول من دعاه بابن أبيه عايشة حين سُئِلَتْ لِمَنْ يُدْعَى. والشدة: الحملة. والوفر: المال. والضئيل: الحقيقير. وثقل الظهر: بالآثام أو بالعائلة. وتدعك اي: تتركك. والمنصوبات الثلاث أحوال ولا يلزم ان يكون تلك الأحوال من شدته عليه السلام، لان الحال لا يلزم ان يكون من فعل الفاعل.

٢١ - وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إليه أيضاً

فَدَعَ الْإِسْرَافَ مُقْتَصِدًا، وَأَذْكَرَ فِي الْيَوْمِ غَدًا، وَأَمْسِكَ مِنَ الْمَالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ،
وَقَدَّمَ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ .
أَتَرْجُو أَنْ يُعْطِيكَ اللَّهُ أَجْرَ الْمُتَوَاضِعِينَ وَأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ؟ وَتَنْظَمُ - وَأَنْتَ
مُتَمَرِّعٌ فِي النَّعِيمِ تَمْنَعُهُ الضَّعِيفُ وَالْأَرْمَلَةُ - أَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ الْمُتَصَدِّقِينَ؟ وَإِنَّمَا الْمَرْءُ
مَجْزِيُّ بِمَا أَسْلَفَ، وَقَادِمٌ عَلَى مَا قَدَّمَ؛ وَالسَّلَامُ.

١ - الغدير ١٠/٢١٦-٢٢٧.

أقول: التمرغ: التقلب. والفصل ظاهر.

٢٢ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى عبد الله بن العباس رحمه الله

وكان عبد الله يقول: ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
كانتفاعى بهذا الكلام.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ الْمَرْءَ قَدْ يَسُرُّهُ دَرَكٌ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ؛ وَيَسُوُّهُ قَوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكَهُ؛
فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نِلْتَ مِنْ آخِرَتِكَ، وَلْيَكُنْ أَسْفُكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْهَا؛ وَمَا نِلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ
فَلَا تُكْثِرْ بِهِ فَرَحًا، وَمَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلَا تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعًا؛ وَلْيَكُنْ هَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ.

أقول: حاصل الفصل بيان ما ينبغي أن يفرح السرى به من الكمالات الآخروية،
ويحزن لفوته منها، وما لا ينبغي له منها في متاع الدنيا وكمالاتها. وقوله: فإن المرء،
إلى قوله: ليدركه، كالمقدمة لذلك أشار فيها إلى أن في طبيعة الإنسان أن يسر بما يدركه
من المطالب، وينسى بما يفوته منها فكانه قال: وإذا كان في طبيعة المرء ذلك فليكن
سرورك بما تنال من الآخرة، وأسفك على ما يفوتك منها دون الدنيا. وفي قوله: ما لم يكن
ليفوته، وما لم يكن ليدركه: تنبيه على أن ما يفوت ويدرك واجب في القضاء الألهي فوته
ودركه: وفائدة ذلك أن لا يشتد الفرح بما ينال من متاع الدنيا، ولا يشتد الأسف على ما
يفوت منها لأن الفرح بما لا بُدَّ من حصوله، والأسف على ما لا بُدَّ من فواته جهل وسفاهة
في العقول، وما نال من آخرته في الدنيا هو الكمالات النفسانية الباقية. والفصل من
لطائف الكتاب.

٢٣ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

قاله قبل موته على سبيل الوصية، لما ضربه ابن ملجم لعنه الله

وَصِيَّتِي لَكُمْ أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا؛ وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَلَا تُضَيِّعُوا

سُنَّتُهُ: أَقِيمُوا هَذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ، وَخَلَاكُمْ ذَمًّا.

أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ، وَالْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ؛ وَغَدًا مُفَارِقُكُمْ! إِنْ أَبَقَ فَنَا وَلِيٌّ دَمِي، وَإِنْ
أَفْسَنَ فَالْفَنَاءُ مِيعَادِي؛ وَإِنْ أَعْفَى فَالْعَفْوِيُّ قُرْبِي، وَهُوَ لَكُمْ حَسَنَةٌ؛ فَاعْفُوا (أَلَا تُجِبُونَ أَنْ
يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ)؟^١

وَاللَّهُ مَا فَجَّأَنِي مِنَ الْمَوْتِ وَارِدُ كَرِهَتُهُ؛ وَلَا ظَالِعٌ أَنْكَرْتُهُ؛ وَمَا كُنْتُ إِلَّا كَقَارِبٍ وَرَدَّ،
وَوَطَّابٍ وَجَدَّ (وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ)^٢.

قال السيد -رضي الله عنه-: وقد مضى بعض هذا الكلام فيما تقدم من الخطب إلا
أنَّ فيه هاهنا زيادةً أوجبت تكريره.

اقول: استعار لفظ العمودين: لتوحيد الله، واتباع سنة رسوله، لقيام الدين بهما.
وقوله: وخلاكم ذم من مصادح العرب. ونبه بقوله: انا، الى قوله: مفارقكم على وجوب
العبرة بحاله. وقوله: وان اعف على تقدير البقاء، فكأنه قال: فانا ولي دمي وان اقتصر
فذاك حقِّي، وان اعف فالعفوي قربة. ولما كان عليه السلام سيّد الأولياء الذين هم
أشدُّ حُبًّا لله وأشوقُّ الى لقاءه، لم يكن وارِدُ الموتِ مكروهاً له ولا مُنكراً عنده بل محبوباً و
مألوفاً. فجاء الأمر: أتاه بغتة، وشبه نفسه في شدة طلبه للقاء الله يومئذ بالقارب وهو
طالب الماء اذا اورده بطالب الواجد لمطلوبه.

٢٤ - وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بِمَا يَعْمَلُ فِي أَمْوَالِهِ، كَتَبَهَا بَعْدَ مَنْصَرَفِهِ مِنْ صَفِّينَ

هَذَا مَا أَمَرَبِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي ظَالِبٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَالِهِ ابْتِغَاءً وَجْهِ اللَّهِ،
لِيُؤَلِّجَهُ الْجَنَّةَ، وَيُعْطِيَهُ بِهِ الْأَمَّةَ.
منها:

وَأَنَّهُ يَقُومُ بِذَلِكَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ: يَأْكُلُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَيُنْفِقُ فِي الْمَعْرُوفِ؛ فَإِنْ

١ - سورة النور/٢٢.

٢ - سورة آل عمران / ١٩٨.

حَدَّثَ بِحَسَنِ حَدِيثٍ، وَحُسَيْنٌ حَتَّى قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ، وَأَصْدَرَهُ مَصْدَرَهُ.
 وَأَنَّ لَيْبِنِي فَاطِمَةَ مِنْ صَدَقَةِ عَلِيٍّ مِثْلَ الَّذِي لَيْبِنِي عَلِيٍّ؛ وَأَنِّي إِنَّمَا جَعَلْتُ الْقِيَامَ بِذَلِكَ
 إِلَى ابْنَتِي فَاطِمَةَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ، وَقُرْبَةً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَتَكَرِيمًا لِحُرْمَتِهِ، وَتَشْرِيفًا لِرُؤُوسِهِ.
 وَيَشْتَرِطُ عَلَيَّ الَّذِي يَجْعَلُهُ إِلَيْهِ أَنْ يَتْرَكَ الْمَالَ عَلَيَّ أَصُولِي، وَيُنْفِقَ مِنْ ثَمَرِهِ حَيْثُ
 أَمْرِي بِهِ وَهَدِي لَهٗ، وَأَنْ لَا يَبِيعَ مِنْ أَوْلَادِي نَخِيلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَوَدْيَةَ، حَتَّى تُشَكَلَ أَرْضُهَا غِرَاسًا.
 وَمَنْ كَانَ مِنْ إِمَائِي اللَّائِي أُطُوفُ عَلَيْهِنَّ لَهَا وَلَدًا أَوْ هِيَ حَامِلٌ فَتُمْسِكُ عَلَيَّ وَلَدَهَا
 وَهِيَ مِنْ حَظِّي؛ فَإِنْ مَاتَ وَلَدُهَا وَهِيَ حَيَّةٌ فَهِيَ عَتِيقَةٌ؛ قَدْ أَفْرَجَ عَنْهَا الرِّقُّ، وَحَرَّرَهَا الْعِتْقُ.

قال السيد- رحمه الله:- قوله عليه السلام في هذه الوصية «أن لا يبيع من نخيلها
 ووديه»: الوديه: الفسيله، وجمعها ودي، وقوله عليه السلام «حتى تشكل أرضها غراساً» هو
 من أفصح الكلام، والمراد به أن الأرض يكثر فيها غراس النخل حتى يراها الناظر على
 غير تلك الصفة التي عرفها بها فيشكل عليه أمرها ويحسبها غيرها.

اقول: يولجه: يدخله. والأمنة: الأمن. والضمير في قوله، مصدره للأمر أي: اخرج
 الحق مخرجه واطلعه مطلعته. وقيل: للحسن، أي: أصدر الحسين الحق مصدر الحسن، و
 كما فعل بالمعروف. والضمير في يشترط لعلِّي، ويحتمل ان يكون للحسين: وفائدة
 النهي عن بيع الفسيل قبل اشكال الارض غراساً: انه محتاج اليه، وان النخلة قبل ان تعلق
 لم يستحكم جذعها فيضربها قلع فسيلها. والطواف هنا: كناية عن النكاح، وكن يومئذ
 ست عشرة أمة. وقوله: فتمسك الى آخره أي: ان ثمنها محسوب من نصيب ولدها، و
 تمسك عليه وقضاه عليه السلام بذلك، وصية يعتق من مات ولدها من أمائه بعد موته بناء
 على مذهبه في بقاء أم الولد على الرق بعد موت سيدها المستولد، ويصح بيعها وهو
 مذهب الامامية، وقول قديم للشافعي، وفي الجديد انها تنعتق بموت سيدها المستولد، و
 لا يجوز بيعها وعليه اتفاق فقهاء الجمهور.

٢٥ - وَمِنْ وَصِيَّةِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات، وإنما ذكرنا هنا جملا منها ليُعلمَ بها أنه كان يقيم عمادَ الحقِّ، ويشرعَ أمثلةَ العدل: في صغيرِ الأمورِ وكبيرِها، ودقيقِها وجليلِها.

إِنظِلُّ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا تُرَوِّعَنَّ مُسْلِمًا، وَلَا تَجْتَازَنَّ عَلَيْهِ كَارِهَا؛ وَلَا تَأْخُذَنَّ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِي مَالِهِ؛ فَإِذَا قَدِمْتَ عَلَى الْحَيِّ فَأَنْزِلْ بِسْمَائِهِمْ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تُحَالِظَ أَبْيَانَهُمْ، ثُمَّ امْضِ إِلَيْهِمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ حَتَّى تَقُومَ بَيْنَهُمْ فَتُسَلِّمْ عَلَيْهِمْ؛ وَلَا تُخْدِجَ بِالتَّحِيَّةِ لَهُمْ، ثُمَّ تَقُولَ: عِبَادَ اللَّهِ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ وَلِيُّ اللَّهِ وَخَلِيفَتُهُ لِأَخْدَمِكُمْ حَقَّ اللَّهِ فِي أَمْوَالِكُمْ؛ فَهَلْ لِلَّهِ فِي أَمْوَالِكُمْ مِنْ حَقِّ فَتُودُّوهُ إِلَى وَلِيِّهِ؟ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: لَا! فَلَا تُرَاجِعْهُ وَإِنْ أَنْعَمَ لَكَ مُنْعِمٌ، فَانظِلُّ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخِيفَهُ وَتُوَعِدَهُ، أَوْ تَغْسِفَهُ، أَوْ تَرْهَقَهُ! فَخُذْ مَا أَعْطَاكَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ؛ فَإِنْ كَانَ لَهُ مَاشِيَةٌ أَوْ إِبِلٌ فَلَا تَدْخُلْهَا إِلَّا بِإِذْنِهِ؛ فَإِنْ أَكْثَرَهَا لَهُ؛ فَإِذَا أَتَيْتَهَا فَلَا تَدْخُلْ عَلَيْهَا دُخُولَ مُتَسَلِّطٍ عَلَيْهِ وَلَا عَنِيفٍ بِهِ، وَلَا تُتَفَرَّنَ بِهِمَّةً وَلَا تُفْرِعَنَّهَا، وَلَا تُسَوِّءَنَّ صَاحِبَهَا فِيهَا وَأَصْدِعِ الْمَالَ صَدْعَيْنِ ثُمَّ خَيْرَهُ؛ فَإِذَا اخْتَارَ فَلَا تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ، ثُمَّ اصْدِعِ الْبَاقِيَ صَدْعَيْنِ، ثُمَّ خَيْرَهُ؛ فَإِذَا اخْتَارَ فَلَا تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَبْقَى مَا فِيهِ وَفَاءٌ لِحَقِّ اللَّهِ فِي مَالِهِ، فَاقْبِضْ حَقَّ اللَّهِ مِنْهُ، فَإِنْ اسْتَقَالَكَ فَأَقِلَّهُ، ثُمَّ اخْلِطْهُمَا، ثُمَّ اصْنَعْ مِثْلَ الَّذِي صَنَعْتَ أَوَّلًا حَتَّى تَأْخُذَ حَقَّ اللَّهِ فِي مَالِهِ. وَلَا تَأْخُذَنَّ عَوْدًا، وَلَا هَرَمَةً، وَلَا مَكْسُورَةً، وَلَا مَهْلُوسَةً، وَلَا ذَاتَ عَوَارٍ، وَلَا تَأْمَنَنَّ عَلَيْهَا إِلَّا مَنْ تَثِقُ بِدِينِهِ رَافِقًا بِمَالِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يُوصِلَهُ إِلَى وَلِيِّهِمْ فَيَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ، وَلَا تُوَكَّلْ بِهَا إِلَّا نَاصِحًا شَفِيقًا وَأَمِينًا حَفِيزًا، غَيْرَ مُعْتَفٍ وَلَا مُجْحِفٍ وَلَا مُلْغِبٍ وَلَا مُشْعِبٍ، ثُمَّ أَخَذِرْ إِلَيْنَا مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ، نُصَيِّرُهُ حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ؛ فَإِذَا أَخَذَهَا أَمِينُكَ فَأَوْعِزْ إِلَيْهِ أَنْ لَا يَحُولَ بَيْنَ نَاقَةِ وَبَيْنَ فَصِيلِهَا، وَلَا يُمَصِّرَ لَبَنَهَا فَيَضُرَّ ذَلِكَ بَوْلِهَا وَلَا يَجْهَدَنَّهَا رُكُوبًا، وَلْيَعْدِلْ بَيْنَ صَوَاحِبَاتِهَا فِي ذَلِكَ وَبَيْنَهَا، وَلْيُرْفَعْ عَلَى اللَّأْغِبِ، وَلْيَسْتَأْنِ بِالنَّقَبِ وَالظَّالِعِ، وَلْيُورِدْهَا مَا تَمُرُّ بِهِ مِنَ الْعُدْرِ، وَلَا يَعْدِلْ بِهَا عَنْ نَبْتِ الْأَرْضِ إِلَى جَوَادِّ الطَّرْقِ، وَلْيُرَوِّحْهَا فِي السَّاعَاتِ، وَلْيُمَهِّلْهَا عِنْدَ النَّظَافِ وَالْأَعْشَابِ، حَتَّى تَأْتِيَنَا، بِإِذْنِ اللَّهِ، بُدْنًا مُنْقِيَاتٍ، غَيْرِ مُتَعَبَاتٍ وَلَا مَجْهُودَاتٍ، لِنَقْسِمَهَا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ

أَعْظَمُ لِأَجْرِكَ ، وَأَقْرَبُ لِرُشْدِكَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

اقول: الروح: الفزع. ولا يختارون عليه اى: لا تطلب خيار ماله. ولا تخذج التحية اى: لا تنقضها. وانعم قال نعم. والعسف: الأخذ بشدة. والإرهاق تكليف العسر. و اصدع المال اقسمة. والعود: الممسّن من الإبل أسن من الباذل. وكذلك الهرمة: عالية السن. والمكسورة: التى انكسرت احدى قوائمها. والمهلوسة: المسلوقة والهلاس: السل. والعوار بالفتح -: العيب. وقد يضم. والمجحف: الذى يعنف بالمال فى سوقه فيذهب بلحمه. والملغب: المتعب. و اوعزاليه بكذا امره به. والمصرأ: حلب كل ما فى الضرع من اللبن. والنقب: البعير ترقأ خفافه. والغدر: جمع غدیر: الماء. والساعات: جمع ساعة مصدر قولك : ساعت الناقة اذا هملت تسوع سوعاً وساعة اى: بوجودها الراحة فى سوءها بالصبر والتأنى عليها فى المرعى. والنطاف: المياه القليلة. والبدن: السمان. والمنقيات: التى صارت من سمنها ذات نقي. وهو مَخُّ العظام وشحم العين. ومقاصد الوصية ظاهرة، وبالله التوفيق.

مركز تحيتا تكوير علوم رسول
٢٦ - وَمِنْ عَهْدٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى بعض عماله، وقد بعته على الصدقة

أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ فى سَرَائِرِ أَمْرِهِ وَخَفِيَّاتِ عَمَلِهِ، حَيْثُ لَا شَاهِدَ غَيْرُهُ، وَلَا وَكَيْلَ دُونَهُ.
وَأَمْرُهُ أَنْ لَا يَعْمَلَ بِشَيْءٍ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ فِيمَا ظَهَرَ فَيُخَالِفَ إِلَى غَيْرِهِ فِيمَا أُسْرَ، وَمَنْ لَمْ يَخْتَلِفْ سِرَّهُ وَعَلَانِيَتَهُ وَفِعْلُهُ وَمَقَالَتُهُ؛ فَقَدْ آذَى الْأَمَانَةَ، وَأَخْلَصَ الْعِبَادَةَ. وَأَمْرُهُ أَنْ لَا يَجْبَهُهُمْ، وَلَا يَعْضَهُمْ، وَلَا يَرْتَعِبَ عَنْهُمْ تَفْضُلًا بِالْأَمَارَةِ عَلَيْهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ الْإِخْوَانُ فى الدِّينِ، وَالْأَعْوَانُ عَلَى اسْتِخْرَاجِ الْحُقُوقِ.
وَإِنَّ لَكَ فى هَذِهِ الصَّدَقَةِ نَصِيبًا مَفْرُوضًا، وَحَقًّا مَعْلُومًا، وَشُرْكَاءَ أَهْلِ مَسْكَنَتِكَ،

١ - فى هامش ش هكذا: مصرت الشاة اذا حلبت جميع ما كان فى ضرعها.

وَضَعْفَاءَ ذَوِي فَاقَةٍ؛ وَإِنَّا مُوقِفُكَ حَقَّكَ فَوَفِّهِمْ حُقُوقَهُمْ! وَالْأَتْفَعَلُ فَإِنَّكَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ خُصُومًا
يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ وَبُؤْسًا لِمَنْ خَضَمَهُ عِنْدَ اللَّهِ الْفُقَرَاءُ، وَالْمَسَاكِينُ، وَالسَّائِلُونَ، وَالْمَدْفُوعُونَ،
وَالْغَارِمُ، وَابْنُ السَّبِيلِ!! وَمَنْ اسْتَهَانَ بِالْأَمَانَةِ، وَرَتَعَ فِي الْخِيَانَةِ، وَلَمْ يُنَزِّهْ نَفْسَهُ وَدِينَهُ عَنْهَا؛
فَقَدْ أَحَلَّ بِنَفْسِهِ فِي الدُّنْيَا الذُّلَّ وَالْجِزْيَ، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَذَلُّ وَأَخْرَى؛ وَإِنَّ أَعْظَمَ الْخِيَانَةِ
خِيَانَةُ الْأُمَّةِ، وَأَفْظَعَ الْغِشِّ غِشُّ الْأَيْمَةِ؛ وَالسَّلَامُ.

اقول: الضمير في قوله: أمره، يعود الى المعهود اليه. وقوله: وأمره، الى قوله: فيما
اسراى: لا يخالف بين ظاهر عمله في طاعة الله وبين باطنه. وعَضَهُ عَضَاهُ: رماه
بالبهتان والكذب. ولا يرغب عنهم اى: لا ينقبض عنهم ويرفع عليهم. وقوله: فانهم،
الى قوله: الحقوق صغرى ضمير نبه فيها على وجوب الانتهاء عن المنهيات المذكورة، و
تقدير كبراه، و كل من كان كذلك فلا يجوز ان يفعل به ذلك. وشركاؤه: المستحقون
للصدقة. والبؤس: الشدة. والفقير: من له بُلْعَةٌ من العيش لا تكفيه. والمسكين: هو الذى
لا شئ له. والمدفوعون: قيل: هم السائلون لدفعهم عند السؤال، وقيل: هم العاملون عليها
باعتبار انهم يدفعون الى الجباية او يدفعهم المسئول، هل عليه زكاة ام لا عن نفسه؟ والغارم:
من لزمه الدين فى غير معصية. وابن السبيل هو المنقطع به فى السفر يُعْطَى من الصدقة و
ان كان غنياً فى بلده. و افظع الغش: اشده. وباللله التوفيق.

٢٧ - وَمَنْ عَهْدٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى محمد بن أبى بكر، رضى الله عنه حين قلده مصر

فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ، وَالْإِنِّ لَهُمْ جَانِبُكَ، وَأَبْسُظْ لَهُمْ وَجْهَكَ، وَآسِ بَيْنَهُمْ
فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظَرَةِ، حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْعُظْمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ، وَلَا يَتَأَسَّ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ
عَلَيْهِمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُسَائِلُكُمْ مَعَشَرَ عِبَادِهِ عَنِ الصَّغِيرَةِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَالْكَبِيرَةِ؛ وَالظَّاهِرَةَ
وَالْمُسْتُورَةَ: فَإِنْ يُعَدِّبْ فَأَنْتُمْ أَظْلَمُ؛ وَإِنْ يَغْفُ فَهُوَ أَكْرَمُ.

وَأَعْلَمُوا، عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدُّنْيَا وَآجِلِ الْآخِرَةِ، فَشَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا

فِي دُنْيَاهُمْ، وَلَمْ يُشَارِكْهُمْ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي آخِرَتِهِمْ: سَكَنُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا سُكِنَتْ،
 وَأَكَلُوهَا بِأَفْضَلِ مَا أُمِكِلَتْ، فَحَظُّوا مِنَ الدُّنْيَا بِمَا حَظِيَ بِهِ الْمُشْرَفُونَ، وَأَخَذُوا مِنْهَا مَا أَخَذَهُ
 الْجَبَابِرَةُ الْمُتَكَبِّرُونَ؛ ثُمَّ انْقَلَبُوا عَنْهَا بِالزَّادِ الْمُبْلَغِ، وَالْمَشْجَرِ الرَّابِحِ: أَصَابُوا لَذَّةَ زُهْدِ الدُّنْيَا
 فِي دُنْيَاهُمْ، وَتَيَقَّنُوا أَنَّهُمْ حَيْرَانُ اللَّهِ عِدَا فِي آخِرَتِهِمْ، لَا تَرُدُّ لَهُمْ دَعْوَةَ، وَلَا يَنْقُصُ لَهُمْ
 نَصِيبٌ مِنْ لَذَّةِ، فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ الْمَوْتَ وَقُرْبَهُ، وَأَعِدُّوا لَهُ عِدَّتَهُ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي بِأَمْرٍ عَظِيمٍ،
 وَخَطْبٍ جَلِيلٍ: بِخَيْرٍ لَا يَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَدًا، أَوْ شَرٍّ لَا يَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَدًا! فَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى
 الْجَنَّةِ مِنْ عَامِلِيهَا، وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى النَّارِ مِنَ عَامِلِيهَا؟ وَأَنْتُمْ طُرْدَاءُ الْمَوْتِ: إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ
 أَخَذَكُمْ، وَإِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَذْرَكَكُمْ، وَهُوَ أَلْزَمُ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ! الْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ،
 وَالذُّنْيَا تُظَوِّي مِنْ خَلْفِكُمْ، فَاحْذَرُوا نَارًا قَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَحَرُّهَا شَدِيدٌ، وَعَدَابُهَا جَدِيدٌ: ذَارَ
 لَيْسَ فِيهَا رَحْمَةٌ، وَلَا تُسْمَعُ فِيهَا دَعْوَةٌ، وَلَا تُفْرَجُ فِيهَا كُرْبَةٌ، وَإِنْ أَسْتَظَعْتُمْ أَنْ يَشْتَدَّ
 خَوْفُكُمْ مِنَ اللَّهِ، وَأَنْ يَحْسُنَ ظَنُّكُمْ بِهِ؛ فَاجْتَمِعُوا بَيْنَهُمَا، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِنْ مَا يَكُونُ حُسْنُ ظَنِّهِ
 بِرَبِّهِ عَلَى قَدْرِ خَوْفِهِ مِنْ رَبِّهِ، وَإِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ ظَنًّا بِاللَّهِ أَشَدَّهُمْ خَوْفًا لِلَّهِ
 وَأَعْلَمَ، يَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، أَنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ أَكْبَرُ أَكْبَرِ أَجْنَادِي فِي نَفْسِي: أَهْلَ مِصْرَ،
 فَأَنْتَ مَحْقُوقٌ أَنْ تُخَالِفَ عَلَى نَفْسِكَ، وَأَنْ تُتَفَاحَ عَنْ دِينِكَ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَّا سَاعَةٌ مِنَ
 الدَّهْرِ، وَلَا تُسَخِّطِ اللَّهَ بِرِضَا أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ؛ فَإِنَّ فِي اللَّهِ خَلْفًا مِنْ غَيْرِهِ، وَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ
 خَلْفٌ فِي غَيْرِهِ.

صَلَّى الصَّلَاةَ لِيُوقِتَهَا الْمُؤَقَّتِ لَهَا، وَلَا تُعَجَّلَ وَقْتَهَا لِفِرَاقٍ، وَلَا تُؤَخَّرَ عَنْ وَقْتِهَا
 لِإِسْتِغَالٍ، وَأَعْلَمَ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكَ تَبِعَ لِصَلَاتِكَ.

أقول: خفض الجناح: كناية عن التواضع، وبسط الوجه: كناية عن البشاشة
 والطلاقة، والضمير في عليهم للضعفاء وقيل: للعظماء. وقوله: ذهبوا، الى قوله: الآخرة
 اي: حصلوا على ذلك. وقوله: بأفضل ما سكنت وبأفضل ما اكلت: اي: استعملوها
 على الوجه الذي ينبغي لهم، والذي امروا باستعمالها عليه وذلك هو أفضل الوجوه. والزاد
 المبلغ: وهو التقوى واستعار لها لفظ المتجر. وعامل الجنة: العامل لها. واستعار وصف
 الطي لتقضى احوال الدنيا و ايامها التي يقطعها الانسان و عذابها جديد كقوله تعالى:

(كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا) ^١ وروى وعذابها جديد، هو كقوله تعالى: (وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ) ^٢ ونحوه. وقوله بينهما أى: بين شدة الخوف وحسن الظن به. واعلم أنه عليه السلام لم يجعل احدهما علة للآخر بل اشار الى ملازمتها لانهما معلولا علة واحدة، وهى معرفة الله تعالى، وقبولهما للشدة والضعف بحسب قبولهما فى نفس العبد الآ ان كلاً منهما يستند الى اعتبار من المعرفة خاص يكون مبدأ قريباً له، اما فى حُسنِ الظنِّ والرجاء، فان يلحظ العبد من ربه صفات رحمة وجوده، ورافته ووعده، واما فى الخوف فان يلحظ منه اوصاف عظمته وبأسه وسطوته، وصولته ووعيده، و بحسب اشتدادِ تصوّر تلك الاعتبارات يكون اشتداد الخوف وكوازمه من انقباض الجوارح عن المعاصى، ونحول الابدان وغير ذلك. وتخالف على نفسك أى: الامارة بالسوء فى هواها: والمنافحة: المضاربة والمخاصمة. والخلف: العوض، وانما كان كل عمل له تبعاً لصلاته لأنها عمود الدين، قال رسول الله صلى الله عليه وآله «أول ما يحاسب به العبد الصلاة فمن تمت صلاته سهل عليه غيرها من العبادات، ومن نقصت صلاته فإنه يحاسب عليها وعلى غيرها» ^١.



مرکز تحقیقات فقهی و حقوقی
وَمِنْ هَذَا الْعَهْدِ اَيْضًا

فَإِنَّهُ لَأَسْوَأُ: إِمَامُ الْهُدَى، وَإِمَامُ الرَّدَى؛ وَوَلِيُّ النَّبِيِّ، وَعَدُوُّ النَّبِيِّ. وَلَقَدْ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «إِنِّي لَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِنًا وَلَا مُشْرِكًا: أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَمْتَنِعُهُ اللَّهُ بِإِيْمَانِهِ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْتَمِعُهُ اللَّهُ بِشِرْكِهِ، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مُتَافِقِ الْجَنَانِ عَالِمِ اللِّسَانِ: يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ، وَيَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ» ^٢.

اقول: اشار بامام الهدى، وولى النبى الى نفسه، وبامام الردى وعدو النبى، الى معاوية تنفيراً عنه. ويقمعه: يقهره ويذله. وعلم اللسان قول الحق الذى يعرفونه.

٢ - سورة الحج / ٢١.

١ - سورة النساء / ٥٦.

٢ - سفينة البحار ٢/٦٠٦ بالفاظ مختلفة. صحيح مسلم ١/٧٨.

١ - الجامع الصغير ١/٤٣٦.

أَمَا بَعْدُ، فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ تَذَكُّرُ فِيهِ اضْطِفَاءَ اللَّهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِدِينِهِ؛ وَتَأْيِيدَهُ إِتْيَاهُ بِسَمْنِ أَيْدِهِ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَقَدْ خَبَأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَبًا إِذْ طَفِيفَتْ تُخْبِرُنَا بِبِلَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَنَا، وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَبِيِّنَا، فَكُنْتُ فِي ذَلِكَ كَتَائِفِ التَّمْرِ إِلَى هَجْرٍ، أَوْ دَاعِي مُسَدِّدِهِ إِلَى النَّضَالِ، وَزَعَمْتُ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الْأِسْلَامِ فُلَانٌ وَفُلَانٌ! فَذَكَرْتُ أَمْرًا إِنْ تَمَّ اعْتَزَلَكَ كُلُّهُ، وَإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ ثَلْمُهُ، وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلَ وَالْمَفْضُولَ، وَالسَّائِسَ وَالْمَسُوسَ، وَمَا لِلطُّلُقَاءِ وَأَبْنَاءِ الطُّلُقَاءِ، وَالتَّمْيِيزِيَيْنِ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، وَتَرْتِيبِ دَرَجَاتِهِمْ، وَتَعْرِيفِ طَبَقَاتِهِمْ؟ هَيْهَاتَ! لَقَدْ حَنَّ قِدْحَ لَيْسَ مِنْهَا، وَطَفِيقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا، أَلَا تَرَبُّعُ، أَيُّهَا الْإِنْسَانُ؟ عَلَى ظَلْعِكَ، وَتَعْرِفُ قُصُورَ دَرْعِكَ، وَتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَخْرَكَ الْقَدْرُ! فَمَا عَلَيْكَ غَلْبَةُ الْمَغْلُوبِ وَلَا ظَفْرُ الظَّافِرِ! وَإِنَّكَ لَذَهَابٌ فِي النَّبِيِّ، رَوَاعٌ عَنِ الْقَصْدِ، أَلَا تَرَى - غَيْرُ مُخْبِرٍ لَكَ، وَلَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أُحَدِّثُ - أَنَّ قَوْمًا اسْتَشْهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَلِكُلِّ فَضْلٍ! حَتَّى إِذَا اسْتَشْهَدَ شَهِيدُنَا قِيلَ «سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ» وَخَصَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ؟ أَوَلَا تَرَى أَنَّ قَوْمًا قَطَعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِكُلِّ فَضْلٍ! حَتَّى إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا مَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ قِيلَ: «الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ، وَذُو الْجَنَاحَيْنِ» وَلَوْلَا مَا نَهَى اللَّهُ مِنْ تَرْكِيَةِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ لَذَكَرَ ذَاكِرُ فَضَائِلِ جَمَّةٍ، تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا تَمُجُّهَا آذَانُ السَّامِعِينَ. فَدَعُ عَنكَ مَنْ مَالَتْ بِهِ الرَّمِيَّةُ، فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبَّنَا، وَالنَّاسُ بَعْدَ صَنَائِعِ لَنَا، لَمْ يَمْنَعْنَا قَدِيمَ عِزَّنَا، وَلَا عَادِيَّ طَوْلَنَا عَلَى قَوْمِكَ أَنْ خَلَطْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا فَتَكْحَنَّا وَأَنْكَحْنَا فِعْلَ الْأَكْفَاءِ، وَلَسْتُمْ هُنَاكَ! وَأَنْتَى يَكُونُ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَمِنَّا النَّبِيُّ وَمِنْكُمْ الْمَكْدُبُ؟ وَمِنَّا أَسَدُ اللَّهِ، وَمِنْكُمْ أَسَدُ الْأَخْلَافِ، وَمِنَّا سَيِّدُ أَشْبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمِنْكُمْ صَبِيَّةُ النَّارِ، وَمِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، وَمِنْكُمْ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ؟ فِي كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وَعَلَيْكُمْ فَاِسْلَامُنَا قَدْ سُمِعَ، وَجَاهِلِيَّتُنَا لَا تُدْفَعُ، وَكِتَابُ اللَّهِ يَجْمَعُ لَنَا مَا شَدَّ عَنَّا وَهُوَ قَوْلُهُ: (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ)

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا، وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ) ^١ فَتَحْنُ مَرَّةً أَوْلَى بِالْقِرَابَةِ، وَتَارَةً أَوْلَى بِالطَّاعَةِ. وَلَمَّا أَحْتَجَّ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى الْأَنْصَارِ يَوْمَ السَّقِيفَةِ بِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَلَجُوا عَلَيْهِمْ، فَإِنْ يَكُنِ الْفَلَجُ بِهِ فَالْحَقُّ لَنَاذُونِكُمْ، وَإِنْ يَكُنْ بغيرِهِ فَالْأَنْصَارُ عَلَى دَعْوَاهُمْ! وَرَعَمْتُ أَنِّي لِكُلِّ الْخُلَفَاءِ حَسَدْتُ؛ وَعَلَى كُلِّهِمْ بَغَيْتُ! فَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلَيْسَ الْجَنَايَةُ عَلَيْكَ فَيَكُونُ الْعُدْرُ إِلَيْكَ.

* وَتِلْكَ شَكَاةُ ظَاهِرُ عَنْكَ عَارُهَا *

وَقُلْتُ: «إِنِّي كُنْتُ أَقَادُ كَمَا يُقَادُ الْجَمَلُ الْمَخْشُوشُ حَتَّى ابْتَايَعُ، وَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتِ، وَأَنْ تَفْضَحَ فَافْتَضَحْتِ! وَمَا عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضَةٍ فِي أَنْ يَكُونَ مَظْلُومًا، مَا لَمْ يَكُنْ شَاكًا فِي دِينِهِ، وَلَا مُرْتَابًا بِسِقِينِهِ، وَهَذِهِ حُجَّتِي إِلَى غَيْرِكَ قَضْدَهَا، وَلِكِنِّي أَطَلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَمَحَ مِنْ ذِكْرِهَا.

ثُمَّ ذَكَرْتُ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِ عُثْمَانَ، فَلَمَّ أَنْ تُجَابَ عَنْ هَذِهِ لِرَجِيمِكَ مِنْهُ، فَأَيُّنَا كَانَ أَعْدَى لَهُ، وَأَهْدَى إِلَى مَقَاتِلِهِ، أَمِنْ بَدَلٍ لَهُ نُصْرَتُهُ فَاسْتَفَعَدَهُ وَاسْتَكْفَهُ؟ أَمِنْ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاحَى عَنْهُ، وَبَثَّ الْمَنُونِ إِلَيْهِ، حَتَّى أَنَّى قَدْرُهُ عَلَيْهِ؟! كَلَّا وَاللَّهِ: (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ، وَالْقَائِلِينَ لِأَخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا) ^٢.

وَمَا كُنْتُ لِأَعْتَذِرَ مِنْ أَنِّي كُنْتُ أَنْقِمُ عَلَيْهِ أَحْدَاثًا، فَإِنْ كَانَ الذَّنْبُ إِلَيْهِ إِرْشَادِي وَهِدَايَتِي لَهُ، قَرُبْتُ مَلُومٌ لِأَذْنَبَ لَهُ.

* وَقَدْ يَسْتَفِيدُ الظَّنَّةَ الْمُتَنَصِّحُ * (إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) ^٣.

وَذَكَرْتُ أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَلَا لِأَصْحَابِي [عِنْدَكَ] إِلَّا السَّيْفُ! فَلَقَدْ أَضْحَكْتُ بَعْدَ اسْتِعْبَارِ! مَتَى أَلْفَيْتُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَنِ الْأَعْدَاءِ نَاكِلِينَ، وَبِالسَّيْفِ مُخَوِّفِينَ * لَبِثْتُ قَلِيلًا يَلْحَقُ

١ - سورة آل عمران / ٦٨.

٢ - سورة هود / ٨٨.

٣ - سورة الاحزاب / ١٨.

الْهَيْجَا حَمَلٌ * فَسَيَطْلُبُكَ مَنْ تَطْلُبُ، وَيَقْرُبُ مِنْكَ مَا تَسْتَبِعِدُّ، وَأَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكُ فِي جَحْفَلٍ
مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالْتَابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ، سَاطِعٍ قَتَامُهُمْ، مُتَسَرِّبِلِينَ
سَرَابِيلَ الْمَوْتِ، أَحَبُّ اللَّقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ، قَدْ صَحِبْتُهُمْ ذُرِّيَّةَ بَدْرِيَّةٍ، وَسُيُوفَ هَاشِمِيَّةٍ،
قَدْ عَرَفْتُ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا فِي أُخْيِكَ وَخَالِكَ وَجَدَّكَ وَأَهْلِكَ (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ) ٣.

اقول: طفق: مثل أخذ وجعل. وقوله: كناقل التمر الى هجر، وداعى مسدده الى
النضال، مثلان يضربان لمن يحمل الشى الى معدنه، لينتفع به فيه، وهو اولى ان يؤخذ
عنه. و اراد ان الاخبار ببلاء الله عندنا ونعمته علينا ينبغي ان يؤخذ عتاً ولا يلىق ان تخبرنا
انت به. و هجراً: مدينة بالبحرين. والنضال: المراماة و اصله ان يدعو الانسان استاده
فى الرمى، و مسدده فيه الى المراماة، و هو اولى بأن يدعو الى ذلك.

وقد كان معاوية فى كتابه ذكر درجات الصحابة، فى فضلهم حسب ترتيبهم
فى الخلافة فاقضى ذلك تفضيلهم عليه فأجابه بقوله: و ذكرت الى آخره. و التلم: الكسر
و النقصان. و اما كونه طليقا و ابن طليق: فالمنقول ان رسول الله صلى الله عليه و آله حين
فتح مكة قال: يا معشر قريش ماترون انى فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، اخ كريم، و ابن اخ
كريم، قال: اذهبوا فانتم الطلقاء، و كان فيهم معاوية، و ابوسفيان. ٢ وقوله: حنّ قدح
ليس منها: فاصله ان احد قداح الميسر اذا كان ليس من جوهر باقى القداح، ثم اجاله
المفيض خرج له صوت يخالف اصواتها، فيعرف به انه ليس من جملتها، فضرَبَ مثلاً
لمن يمدح و يفتخر بقوم و ينسب فيهم مع انه ليس منهم، و ليس من متقدميهم
فى الفضل. و قوله: فطفق، الى قوله: لها: مثل آخر يضرب لمن يحكم فى قوم من ارادهم
و ليس للحكم بأهل. و الا تبرع اى: تقف و تترفق بنفسك. و الظلع: العرج. و الذرع:
بسط اليد، و استعار لفظ الظلع لقصوره عن رتبة السابقين كالظالع. و قصور ذرعه: كناية عن
عجزه عن تناول تلك المرتبة. و التيه: الضلال. و شهيدهم عمه حمزة بن عبدالمطلب
رضى الله عنه، و خصه بسبعين تكبيرة فى اربع عشر صلاة. و الذى قطعت يداه منهم اخوه

٣ - سورة هود/ ٨٣.

٢ - فتوح البلدان/ ٥٥. النهاية فى الحديث ٣/ ١٣٦.

١ - معجم البلدان ٥/ ٣٩٣.

جعفر بن ابى طالب عليه السلام، و سَمَّاه رسول الله صلى الله عليه وآله، ذالجنّاحين،
بذلك الاعتبار و الطيّار فى الجنة. وذاكر يعنى نفسه. و لا تمجها اى: لا يلقبها.

و قوله: من مالت به الرميّة: كالمثل يضرب لمن تميل به عن الحق اغراضه الباطلة.
والرميّة: الصيد يرمى و اصل المثل انّ الرجل يقصد قصداً فيعرض له الصيد فيتبعه فيميل
به عن قصده الأصلي. و الصنيعة: الحسنة. و قوله: و الناس بعد صنائع لنا: اذ كان كل
فعل و شرف للعرب فهم مبدؤه. و قوله: و ائى يكون ذلك كذلك، اى: و كيف يكونون
اكفا لنا. و المكذب: ابوجهل. و اسد الله: حمزة بن عبد المطلب. و أسد الأحلاف: هو اسد
ابن عبد العزى. و الأحلاف: هم عبد مناف و زهرة و اسد، و تيم، و الحرث بن فهر، و سموا
الاحلاف، لتحالفهم على محاربة بنى قصى فى امر ازاده بهم. و صبية النار قيل: هم
صبية عقبة بن ابى معيط حيث قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: لك و لهم النار. و خير
نساء العالمين فاطمة عليها السلام. و حمالة الحطب: امّ جميل بنت حرب عمة معاوية،
كانت تحمل حزم الشوك فتثرتها فى طريق النبي صلى الله عليه وآله و قوله: و جاهليّتكم
لا تدفع شرفنا و فضلنا فيها. و قوله: يجمع لنا ما شذعتنا اى: من هذا الامر، وهو احتجاج
بالكتاب العزيز على اوليته من غيره، بأمر الخلافة و وجه الاحتجاج بالآية الاولى، انه من
اخصّ اولى الأرحام برسول الله^١ و كل من كان كذلك فهو أولى به، و بالقيام مقامه.

و الثانية انه كان اقرب الخلق الى اتباع الرسول عليه السلام، و أول من آمن به
و صدّقه: و افضل من أخذ عنه الحكمة و كل من كان كذلك فهو أولى بمقامه و منصبه.
و الفلج: الفوز و الظفر. و حجّة قريش على الانصار قوله صلى الله عليه وآله: الأئمة من
قريش. و الفلج به اى: بالرسول عليه السلام، و تقدير الحجّة انّ غلبة قريش للانصار ان
كان بالرسول عليه السلام و قريش منه، فنحن أولى بذلك لكوننا أقرب منه اليه، و ان كان
بغير ذلك فدعوى الانصار فى الإمامة قائم اذ لم يكن فى الخبر ما يدلّ على بطلانها. و
قوله: و تلك شكاة ظاهر عنك عارها: مثل يضرب لمن ينكر امراً لا يلزمه انكاره، و البيت
لابى ذؤيب^٢ و اوله: و عيبرها الواشون ائى أحبّها.

١ - الغدير ٣/٢٢٠ امير المؤمنين عليه السلام اول من آمن و صلى .

٢ - ابو ذؤيب الهذلي ... شاعر مخضرم خرج مع عبد الله بن ابى سرح لفتح افريقيا على عهد عثمان بن عفان و

و ظاهر: زائل. و المخشوش: الذى جعل فى أنفه خشاش و هى خشبة تدخل فى أنف البعير ليقاد بها. والغضاضة: الذلة و المنقصة. و كون ما ذكره معاوية من ذلك فضيحة له باعتبار أنه لم يفرق بين ما يمدح به ويدم: و لأنه على تقدير ان يكون بيعته للأئمة قبله كرها، و هو افضل الناس أو من فضلائهم لا ينعقد الاجماع بدونه فتكون خلافتهم مدخولة فيكون ذلك طعناً فيهم، و فى ولاية من قبلهم و هو فضيحة. و قوله: الى غيرك قصدها اي: الى الذين ظلموا. و سنح: عرض و خطر. و اعدى عليه اشد عدوانا. و مقاتله وجوه قتله و معائبه التى قتل بها.

و قد كان عليه السلام عرض نصرته له عليه، فقال: لا اريد نصرتك و لكن اقعد عنى لتهمة اياه بالمشاركة فى أمره، و قد كان قد استصرخ بمعاوية فما زال يعده و يتأخر عنه الى ان قتل. و قوله: قرب ملوم لا ذنب له مثل، لا كثم بن صيفى^١ يضرب لمن ظهر للناس منه امرًا نكروهُ عليه، و هم لا يعرفون حجته و عذره فيه. و كذلك قوله: و قد يستفيد الظنة المتتضح: يضرب مثلاً لمن يُبالغ فى التصحیح حتى يُتهم أنه غاش فضربه لِتُفسِه في نصحته لعثمان و صدر البيت:

و كم سُقتُ فى آثارِكُم من نصيحَتِكُم تَكوتِرُ طومرُ سدي.....
والظنة: التهمة. و قوله: اضحكت بعد أستعبار: كناية عن أبلغ العجب اذ كان الضحك بعد البكاء انما يكون من عجب بالغ. و ألفيت: وجدت. و النكول: التأخر جبنًا. و قوله: فلبث قليلاً يلحق الهيجا حمل: مثل يضرب للوعيد بالحرب قاله حمل بن بدر^٢ فى بعض وقائعه. و الأرقال: ضرب من السير السريع. و الجحفل: الجيش العظيم. و الساطع: المرتفع. و القتام: الغبار. و استعار لفظ السرابيل، و هى: القمصان إما للدروع او لِعِدَّة الحرب الجارية مجرى الأكفان. و قد سبق ذكر اخيه و خاله وجده، و بالله التوفيق.

توفى فى مصر..

١ - اكثم بن صيفى بن رباح بن الحارث بن مخاشن بن معاوية بن شريف بن جروة بن اسيد بن عمرو بن تميم التميمى... الحكيم المشهور عاش ثلاثمائة و ثلاثين سنة. و عاش ابوه صيفى مائتين و سبعين سنة. الاصابة ١١٠/١ ترجمة ٤٨٥. مجمع الامثال ٢٩٩/١.

٢ - المعارف/ ٨٣، ٦٠٧ ط ٢.

٢٩ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى أهل البصرة

وَقَدْ كَانَ مِنْ أَنْتِشَارِ حَبْلِكُمْ وَشِقَاقِكُمْ مَا لَمْ تَغْبُوا عَنْهُ، فَعَفَوْتُ عَنْ مُجْرِمِكُمْ،
وَرَفَعْتُ السَّيْفَ عَنْ مُدْبِرِكُمْ، وَقَبِلْتُ مِنْ مُسْبِلِكُمْ، فَإِنْ خَطَّتْ بِكُمْ الْأُمُورُ الْمُزْدِيَّةَ، وَسَفَهُ
الْأَرَاءِ الْجَائِرَةَ إِلَى مُنَابَذَتِي وَخِلَافِي، فَهَذَا أَنَاذًا قَدْ قَرَّبْتُ جِيَادِي، وَرَحَلْتُ رِكَابِي، وَلَيْتُنَّ
الْجَائِئُونَ إِلَى الْمَسِيرِ إِلَيْكُمْ لَا وَقَعَنَّ بِكُمْ وَقَعَةٌ لَا يَكُونُ يَوْمَ الْجَمَلِ إِلَيْهَا إِلَّا كَلَعَقَةٍ لَاعِقٍ،
مَعَ أَنِّي عَارِفٌ لِذِي الطَّاعَةِ مِنْكُمْ فَضْلَهُ، وَلِذِي النَّصِيحَةِ حَقَّهُ، غَيْرُ مُتَجَاوِزٍ مُتَّهَمًا إِلَى
بَرِيءٍ، وَلَا نَاكِثًا إِلَى وَفِيٍّ.

اقول: كنى بانتشار حبلهم عن تفرقهم عنه، ونكثهم لبيعتهم. وتغبوا عنه: لم يفتنوا
له، يقال: غيبت عن الشيء وغيبته اذا جهلته ولم يفتن له. والمردية: المهلكة.
والمنازدة: المخالفة. وكنى بتقريب جياده ورحيل ركابه عن استعداده للكرّة عليهم. و
شبهه وقعّة الجمل بالنسبة الى الوقعة التي توعدّهم بها باللعقة في الحقارة. وبالله التوفيق.

٣٠ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى معاوية

فَاتَّقِ اللَّهَ فِيمَا لَدَيْكَ، وَأَنْظُرْ فِي حَقِّهِ عَلَيْكَ، وَأَرْجِعْ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا لَا تُعَدَّرُ بِجَهَالَتِهِ،
فَإِنَّ لِلطَّاعَةِ أَعْلَامًا وَاضِحَةً، وَسُبُلًا نَبِيْرَةً، وَمَحَجَّةً نَهَجَةً، وَغَايَةً مُطْلَبَةً، يَرُدُّهَا الْأَكْيَاسُ،
وَيُخَالِفُهَا الْأُنْكَاسُ، مَنْ نَكَّبَ عَنْهَا جَارَعَ عَنِ الْحَقِّ وَخَبَطَ فِي التِّيهِ، وَغَيَّرَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ، وَأَحَلَّ
بِهِ نِقْمَتَهُ، فَتَنَّفَسَكَ نَفْسَكَ، فَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكَ سَبِيلَكَ، وَحَيْثُ تَسَاهَتَ بِكَ أُمُورُكَ فَقَدْ
أَجْرَيْتَ إِلَى غَايَةِ خُسْرٍ، وَمَحَلَّةٍ كُفْرٍ، وَإِنَّ نَفْسَكَ قَدْ أَوْلَجَتْكَ شَرًّا، وَأَقْحَمَتْكَ غِيًّا،
وَأَوْرَدَتْكَ الْمَهَالِكَ، وَأَوْعَرَتْ عَلَيْكَ الْمَسَالِكَ.

اقول: مالديه هو: أموال المسلمين وبلادهم، وما لا تعذر بجهالته هو: وجوب طاعة الله، وطاعة رسوله، وطاعة أئمة الحق من بعده. والمحجة: الطريق الواضح. ومطلبة بتشديد الطاء وفتح اللام: مطلوبة جدًا. واعلام: طاعة الله والكتاب والسنة وأئمة الحق، وهى: السبل النيرة والطريق المضيئة، وغايتها المطلوبة الحصول على السعادة الباقية الأخروية. والاكياس: العقلاء. والانكاس جمع نكس بكسر النون وهو: الدنى من الرجال. ونكب: عدل. والتهيه: الضلال. وسبيله: سبيل الطاعة المأمور بسلوكها. و قوله: وحيث، الى قوله: ومحلة كفر فى حيث معنى الشرط وجوابه، فقدوا المراد: ائى موضع ومقام، وصلت تلك امورك واعمالك اليه فقد وصلت فيه الى غاية خسر، ومحلّة كُفِر ائى غاية مستلزمة للخسر فى الآخرة، يقال: اجرى الى غاية كذا اذا قصدها وسعى اليها. وأولجته نفسه شراً، اي: أدخلته نفسه الاقارة بالسوء فى شر الدنيا والآخرة، وهو مخالفة طاعة الله ورسوله وامام الحق. وروى أولججتك واقحمتك: ادخلتك. والغى: الجهل. و اراد بالمهالك: الشبهات المردية. و اوعرت: صعبت ومبدأ جميع ذلك هو النفس الاقارة بالسوء، وبالله التوفيق.

مركز تحقيقات علوم راسمى
٣١ - وَمَنْ وَصِيَّ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

للحسن بن على عليهما السلام، كتبها إليه بحاضرين منصرفاً من صفين

مِنَ الْوَالِدِ الْفَانِ، الْمُقَرَّرِ لِلزَّمَانِ، الْمُذْبِرِ الْعُمْرِ، الْمُسْتَسْلِمِ لِلدَّهْرِ، الدَّامِ لِلدُّنْيَا، السَّاكِنِ مَسَاكِنَ الْمَوْتَى، وَالظَّاعِنِ عَنْهَا غَدًا، إِلَى الْمَوْلُودِ الْمُؤَمَّلِ مَا لَا يُدْرِكُ، السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ، غَرَضِ الْأَسْقَامِ، وَرَهِيئَةِ الْأَيَّامِ، وَرَمِيَةِ الْمَصَائِبِ، وَعَبْدِ الدُّنْيَا، وَ تَاجِرِ الْغُرُورِ، وَغَرِيمِ الْمَتَايَا، وَ أَسِيرِ الْمَوْتِ، وَ حَلِيفِ الْهُمُومِ، وَقَرِينِ الْأَحْزَانِ، وَنُضْبِ الْآفَاتِ، وَصَرِيحِ الشَّهَوَاتِ، وَخَلِيفَةِ الْأَمْوَاتِ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ فِيمَا تَبَيَّنَتْ مِنْ إِذْبَارِ الدُّنْيَا عَنِّي، وَجُمُوحِ الدَّهْرِ عَلَيَّ، وَإِقْبَالِ الْآخِرَةِ إِلَيَّ، مَا يَزْعُمُنِي عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَايَ، وَالْإِهْتِمَامِ بِمَا وَرَائِي غَيْرَ أَنِّي حَيْثُ تَفَرَّدَ بِي - دُونَ

١ - اسم بلدة فى نواحى صفين. معجم البلدان ٢/٢٠٦.

هُمُومِ النَّاسِ - هَمُّ نَفْسِي، فَصَدَفَنِي رَأْيِي، وَصَرَفَنِي عَنِ هَوَائِي، وَصَرَّحَ لِي مَخْضُ أَمْرِي، فَأَقْضَى بِي إِلَى جِدِّ لَا يَكُونُ فِيهِ لَعِبٌ، وَصِدْقٍ لَا يَشُوبُهُ كَذِبٌ، وَوَجَدْتُكَ بَعْضِي، بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي، حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي، وَكَأَنَّ الْمَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَغْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي، فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا مُسْتَظْهِراً بِهِ إِنْ أَنَا بَقِيْتُ لَكَ أَوْ فَيِّتُ .
فَأَنَّى أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ أَي بُنْيَ وَلُزُومِ أَمْرِهِ، وَعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ، وَالِإِعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ، وَأَيُّ سَبَبٍ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبِ بَيْنِكَ وَبَيْنَ اللَّهِ إِنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِهِ؟؟

أَخِي قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَآمِنَهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ، وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ، وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ، وَبَصِّرْهُ فَجَائِعِ الدُّنْيَا، وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ، وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ، وَأَعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ، وَذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الْأَوَّلِينَ، وَسِرِّ فِي دِيَارِهِمْ وَآثَارِهِمْ، فَانظُرْ فِيَمَا فَعَلُوا، وَعَمَّا انْتَقَلُوا، وَأَيَّنَ حَلُّوا وَنَزَلُوا، فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ قَدْ انْتَقَلُوا عَنِ الْأَحْبَةِ وَحَلُّوا دِيَارَ الْغُرْبَةِ، وَكَأَنَّكَ عَنِ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ، فَأُضْلِعْ مَثْوَاكَ، وَلَا تَبِعْ آجِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ، وَدَعِ الْقَوْلَ فِيَمَا لَا تَعْرِفُ، وَالْخِطَابَ فِيَمَا لَمْ تُكَلِّفْ وَأَمْسِكْ عَنِ طَرِيقِ إِذَا خَفَتْ ضَلَالَتُهُ؛ فَإِنَّ الْكَفَّ عِنْدَ حَيْرَةِ الضَّلَالِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الْأَهْوَالِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنُ مِنْ أَهْلِهِ، وَأَنْكِرِ الْمُنْكَرَ بِيَدِكَ وَلِسَانِكَ، وَبَايِنَ مَنْ فَعَلَهُ بِجَهْدِكَ، وَجَاهِدْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَلَا تَأْخُذْكَ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ، وَخُضِ الْغَمْرَاتِ لِلْحَقِّ حَيْثُ كَانَ، وَتَفَقَّهْ فِي الدِّينِ، وَعَوِّذْ نَفْسَكَ التَّصَبُّرَ عَلَى الْمَكْرُوهِ، وَنِعْمَ الْخُلُقُ التَّصَبُّرُ، وَالْجِيءُ نَفْسَكَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا إِلَى إِلَهِكَ فَإِنَّكَ تَلْجِئُهَا إِلَى كَهْفِ حَرِيرِزٍ، وَمَنَاجِيعِ عَزِيرِزٍ، وَأَخْلِصْ فِي الْمَسْأَلَةِ لِرَبِّكَ فَإِنَّ بِيَدِهِ الْعَطَاءَ وَالْحِرْمَانَ، وَكَثِيرًا لِالِاسْتِخَارَةِ وَتَفْهَمُ وَصِيَّتِي، وَلَا تَذْهَبَنَّ عَنْهَا صَفْحاً، فَإِنَّ خَيْرَ الْقَوْلِ مَا نَفَعُ، وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَلَا يُنْتَفَعُ بِعِلْمٍ لَا يَحِقُّ تَعَلُّمُهُ.

أَيُّ بُنْيَ؛ إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُنِي قَدْ بَلَغْتُ سِنًا، وَرَأَيْتُنِي أُرْدَادُ وَهْنًا؛ بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ، وَأُورِدْتُ خِصَالاً مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجَلِي دُونَ أَنْ أَقْضِيَ إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي، وَأَنْ أَنْقُصَ فِي رَأْيِي كَمَا نَقَّضْتُ فِي جِسْمِي، أَوْ يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَى، أَوْ فِتْنِ الدُّنْيَا، فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ الثُّفُورِ، وَإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدِيثِ كَالْأَرْضِ الْخَالِيَةِ: مَا الْقِيَّ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبْلَهُ، فَبَادَرْتُكَ بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ قَبْلَكَ وَيَشْتَغَلَ لُبُّكَ؛ لِتَسْتَقْبِلَ بِجِدِّ رَأْيِكَ

مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُعِيَّتُهُ وَتَجْرِبَتُهُ، فَتَكُونُ قَدْ كُفِيَتْ مَوْوَنَةُ الظَّلَبِ، وَ
عُوفِيَتْ مِنْ عِلَاجِ التَّجْرِبَةِ، فَأَتَاكَ مِنْ ذَلِكَ مَا قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ، وَأَسْتَبَانَ لَكَ مَا رُبَّمَا أَظْلَمَ
عَلَيْنَا مِنْهُ.

أَيُّ بُعِيٍّ؛ إِنِّي - وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمَرْتُ عُمَرَمَنْ كَانَ قَبْلِي - فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ،
وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ، وَسِرْتُ فِي آثَارِهِمْ، حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ، بَلْ كَأَنِّي بِمَا أَنْتَهَى
إِلَى مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمَرْتُ مَعَ أَوْلِيهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ مِنْ كَدْرِهِ، وَنَفْعَهُ مِنْ
ضَرَرِهِ، فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَهُ وَتَوَخَّيْتُ لَكَ جَمِيلَهُ، وَصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ،
وَرَأَيْتُ - حَيْثُ عَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِي الْوَالِدَ الشَّفِيقَ، وَاجْتَمَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَدَبِكَ - أَنْ
يَكُونَ ذَلِكَ وَأَنْتَ مُقْبِلُ الْعُمُرِ، وَمُقْتَبِلُ الدَّهْرِ ذُو بِيَّةٍ سَلِيمَةٍ وَنَفْسٍ صَافِيَةٍ، وَأَنْ أَبْتَدِيكَ
بِتَعْلِيمِ كِتَابِ اللَّهِ وَتَأْوِيلِهِ، وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَأَحْكَامِهِ، وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، لَا أَجَاوِزُ ذَلِكَ
بِكَ إِلَى غَيْرِهِ، ثُمَّ أَشْفَقْتُ أَنْ يَلْتَبَسَ عَلَيْكَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَأَرَائِهِمْ
مِثْلَ الَّذِي أَلْتَبَسَ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ إِحْكَامُ ذَلِكَ عَلَيَّ مَا كَرِهْتُ مِنْ تَنْبِيهِكَ لَهُ أَحَبُّ
إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِكَ إِلَيَّ أَمْرًا لَا آمَنُ عَلَيْكَ فِيهِ الْهَلَكَةَ، وَرَجَوْتُ أَنْ يُوفِّقَكَ اللَّهُ لِرُشْدِكَ، وَأَنْ
يَهْدِيكَ لِقَضِيكَ، فَعَهَدْتُ إِلَيْكَ وَصِيَّتِي هَلِيهِ.

وَاعْلَمْ، يَا بُعِيٍّ، أَنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِي، تَقْوَى اللَّهِ وَالْإِقْتِصَارُ عَلَى
مَا قَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالْأَخْذُ بِمَا مَضَى عَلَيْهِ الْأَوْلُونَ مِنْ آبَائِكَ وَالصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ؛
فَإِنَّهُمْ لَمْ يَدْعُوا أَنْ نَظَرُوا لِأَنْفُسِهِمْ كَمَا أَنْتَ نَاطِرٌ، وَفَكَّرُوا كَمَا أَنْتَ مُفَكِّرٌ، ثُمَّ رَدَّاهُمْ آخِرُ
ذَلِكَ إِلَى الْأَخْذِ بِمَا عَرَفُوا وَالْإِمْسَاكِ عَمَّا لَمْ يُكَلِّفُوا، فَإِنَّ أَبْتَ نَفْسِكَ أَنْ تَقْبَلَ ذَلِكَ دُونَ
أَنْ تَعْلَمَ كَمَا عَلِمُوا فَلْيَكُنْ ظَلْبُكَ ذَلِكَ بِتَفْهَمٍ وَتَعْلَمٍ، لَا بِتَوَرُّطِ الشُّبُهَاتِ، وَغُلُوِّ
الْخُصُومَاتِ وَأَبْدَأْ - قَبْلَ نَظْرِكَ فِي ذَلِكَ - بِالِاسْتِعَانَةِ بِالْهَيْكِ، وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِي تَوْفِيقِكَ، وَ
تَرْكِ كُلِّ شَائِبَةٍ أَوْ لَجْثِكَ فِي شُبُهَةٍ؛ أَوْ اسْلَمْتِكَ إِلَى ضَلَالَةٍ؛ فَإِذَا اتَّقَيْتَ أَنْ قَدْ صَفَا قَلْبُكَ
فَخَشَعْ، وَتَمَّ رَأْيُكَ فَاجْتَمِعْ، وَكَانَ هَمُّكَ فِي ذَلِكَ هَمًّا وَاحِدًا؛ فَانظُرْ فِيمَا فَسَرْتُ لَكَ؛ وَ
إِنْ أَنْتَ لَمْ يَجْتَمِعْ لَكَ مَا تُحِبُّ مِنْ نَفْسِكَ وَفِرَاحِ نَظْرِكَ وَفِكْرِكَ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا تَخْبِطُ
الْعُشْوَاءَ، وَتَتَوَرَّطُ الظُّلْمَاءَ، وَلَيْسَ ظَالِبُ الدِّينِ مَنْ خَبِطَ أَوْ خَلَطَ! وَالْإِمْسَاكِ عَنِ ذَلِكَ
أَمْتَلُ.

فَتَفَهَّمَهُمْ، يَا بُنَيَّ، وَصَيَّيْتِي؛ وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ مَالِكَ الْمَوْتِ هُوَ مَالِكُ الْحَيَاةِ، وَأَنَّ الْخَالِقَ هُوَ الْمُمَيِّتُ، وَأَنَّ الْمُفْنِي هُوَ الْمُعِيدُ، وَأَنَّ الْمُبْتَلَى هُوَ الْمُعَافَى، وَأَنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ لِتَسْتَقِيرَ إِلَّا عَلَى مَا جَعَلَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ النِّعْمَاءِ، وَالْإِبْتِلَاءِ وَالْجَزَاءِ فِي الْمَعَادِ، أَوْ مَا شَاءَ مِمَّا لَا نَعْلَمُ. فَإِنَّ أَشْكَلَ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ عَلَى جَهَالَتِكَ بِهِ، فَإِنَّكَ أَوْلَى مَا خُلِقْتَ خُلِقْتَ جَاهِلًا ثُمَّ عُلِّمْتَ، وَمَا أَكْثَرَ مَا تَجْهَلُ مِنَ الْأَمْرِ، وَيَتَحَيَّرُ فِيهِ رَأْيُكَ، وَيَضِلُّ فِيهِ بَصَرُكَ، ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَاعْتَصِمِ بِالَّذِي خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ وَسَوَّاكَ، وَلْيَكُنْ لَهُ تَعَبُّدُكَ، وَإِلَيْهِ رَغْبَتُكَ، وَمِنْهُ شَفَقَتُكَ.

وَأَعْلَمَهُمْ، يَا بُنَيَّ، أَنَّ أَحَدًا لَمْ يُنْبِئْ عَنِ اللَّهِ كَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ الرَّسُولُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَارْضَ بِهِ رَأْيِدَا، وَإِلَى التَّجَاةِ قَائِدَا، فَإِنِّي لَمْ أَلِكْ نَصِيحَةً، وَإِنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ فِي النَّظَرِ لِنَفْسِكَ - وَإِنْ أَجْتَهَدْتَ - مَبْلَغَ نَظَرِي لَكَ.

وَأَعْلَمَهُمْ، يَا بُنَيَّ، أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكَ لَأَتَتْكَ رُسُلُهُ، وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِيهِ، وَلَعَرَفْتَ أفعالَهُ وَصِفَاتِيهِ، وَلَكِنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ! كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ، لَا يُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ، وَلَا يَزُوكُ أَبَدًا، وَلَمْ يَزَلْ، أَوْلَى قَبْلَ الْأَشْيَاءِ بِأَوْلِيَّتِي، وَآخِرُ بَعْدَ الْأَشْيَاءِ بِأَنْهَائِي. عَظُمَ عَنِّي أَنْ تَثْبُتَ رُبُوبِيَّتُهُ بِأَحَاطَةِ قَلْبِ أَوْ بَصَرِي، فَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ فَافْعَلْ كَمَا يَتَّبِعِي لِمِثْلِكَ أَنْ يَفْعَلَهُ فِي صِغَرِ حَظَرِهِ، وَقَلَّةِ مَقْدَرَتِهِ، وَكَثْرَةِ عَجْزِهِ، وَعَظِيمِ حَاجَتِهِ إِلَى رَبِّهِ، فِي طَلَبِ طَاعَتِي، وَالرَّهْبَةِ مِنْ عُقُوبَتِي، وَالشَّفَقَةِ مِنْ سُخْطِي؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَأْمُرْكَ إِلَّا بِالْحَسَنِ، وَلَمْ يَنْهَكَ إِلَّا عَنِ قَبِيحٍ.

أقول: أطلق لفظ الفانى عليه مجازًا اطلاقا لاسم الغاية على ذى الغاية، واستعار له لفظ الرهينة باعتبار أن الانسان مربوط الوجود بالأيام كالرهن لما عليه. والرمية: الغرض والهدف. و لفظ التاجر: باعتبار بذله لنفسه فى تحصيل الدنيا و اضافه الى الغرور: اضافة المسبب الى السبب، اذ الغفلة هى مبدأ ذلك. و لفظ الغريم: باعتبار طلب الموت له كالمتقاضى. والنصب: المنسوب. واستعار لفظ الجموح للدهر: باعتبار اختلاف تصرفاته، وعدم جريانه على قانون يحفظ كالجموح من الخيل. ويزعنى: يمنعنى. و محض أمره: خالصه، اي: انكشف له انه راحل الى الآخرة، و انه لابد من لزوم الأمر الذى ينبغى له. و وجدتكَ بعضى، اي: بمنزلة بعضى كقوله:

وَأَمَّا أَوْلَادُنَا بَيْنَنَا أَكْبَادُنَا تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ^١

و كَلِّي اِي: قائما مقام كَلِّي. و عبارة عني كان هو خليفته، والقائم مقامه في علمه و فضائله، و أكد قربه منه، و تنزيله منزلة نفسه بذكر الغائتين. و كذلك استعار لفظ الحبل: لما يتمسك به من دين الله الموصل اليه، و قلبه الذي يحييه نفسه العاقلة. و احيائها بالعلم والحكمة، والذي يميتها هي نفسه الامارة بالسوء. و اماتها: كسرهما عن ميولها المخالفة لآراء العقل بترك الدنيا والاعراض عنها، و تطويعها بذلك. و يحتمل أن يريد به النفس العاقلة ايضا، و اماتها: قطعها عن متابعة هواها و تقويته باليقين اِي: من ضعف الجهل، للسهبوس الى افق عليين، و تقريره بالفناء: حمله على الاقرار به و ذلك بأدامة ذكره و كثرة اخطاره بالبال. و اراد بالإمساك عن طريق يخاف ضلالتة التوقف عند الشبهات. و الغمرات: الشدائد. و الاستخارة: الطلب الى الله ان يختير له فيما يأتي. و يذره صفحا اِي: معرضا. و العلم الذي لا يحق تعلمه اِي: لا ينبغي، كالعلوم التي لا تجدي نفعاً في الآخرة كالسحر و التكهن و نحوهما. و الوهن: الضعف من الكبر و كان عليه السلام جاوز الستين، و خصالا: مفعولا به. و بادرتها: سابقتها و سارعتها. و أفضى: أوصل. و ضعف الرأي في الكبر لضعف القوى النفسانية، و الارواح الحاملة لها و عجزها عن التصرف في طلب الآراء الصالحة، و سبق غلبات الهوى، لأن الصبي اذا لم يؤخذ بالآداب في حداته و لم تُرض قواه بمطاوعة عقله كان بصدد أن تميل به القوى الحيوانية الى مشتبهاته، و تنجذب في قياد هواه و تصرفه عن الوجهة الحقيقية فيكون حينئذ كالصعب النفور من البهائم في عسر تصريفه على حسب المنفعة.

و قوله: و أذاك من ذلك، اِي: من العلم التجريبي ما كنا نأتيه و نطلبه. و عدت اِي: صرت. و نخيلة: خلاصته و مختاره. و اجمعت: صممت عزمي. و قوله: ثم اشفقت، عطف على رأيت اِي: كنت رأيت أن أقصر بك على ذلك، و لا اتجاوزه بك الى غيره من العلوم العقلية، ثم خفت ان يلبس عليك ما اختلف الناس فيه، من اهوائهم و آرائهم مثل ما التبس عليهم فكان أحكام ذلك اِي ما اختلف الناس فيه، من المسائل العقلية الالهية التي تكثر التباس الحق فيها بالباطل، و تكتنفها الشبهات المغلطة التي هي منشأ

١ - التمثيل والمحاضرة/ ٤٦٠.

فساد العقائد، والهلاك بها فى الآخرة، واحكام ذلك ببيان وجه البرهان فيه. واولجتك ادخلتك و اراد خَبِطَ العشواء فحذف المضاف. ونَبَّهه بقوله: واعلم، الى قوله: المعاد، على جملة من صفات الله تعالى و افعاله التى يتوهم تضادها، والتناهى استنادها الى مبدأ واحد، اما الصفات فأشار الى انها ليست بمتضادة، وإنَّ مبدئها واحدٌ، وقد اشرنا فى الخطب السابقة الى كيفية وصفه تعالى بالاعتبارات المتعددة.

و اما الأفعال فهو انه تعالى، لما خلق الدنيا لم يكن خلقها واستقرار وجودها الأعلى ما خلقها عليه من سائر ما يُعَدُّ نعمةً، وابتلاءً، ثم لزوم الجزاء فى المعاد لنفوس المبتلين، والمُنعم عليهم بحسب طاعتهم ومعصيتهم فى النعماء، والابتلاء و كذلك خلقه لها على ما شاء مما لا يعلم وجه الحكمة فيه الا هو، اذ ثبت فى اصول الحكمة ان المقصود من العناية الالهية بالذات انما هو الخير. و اما الشرور الواقعة فى الوجود فبالعرض من حيث انه لا يمكن نزع الخير وتجريده عما يُعَدُّ شرًا، مثلاً كون النار ناراً منتفعاً بها انما يكون بكونها محرقة، و هو باعتبار احراق بيت الناسك مثلاً شر، و كون الماء منتفعاً به انما هو من حيث هو سيال من شأنه ان يعرق و هو باعتبار اغراقه شر، ولما كان الخير اغلب فى الوجود و كانت الشرور اموراً لازمةً لم يجر ترك الخير الكثير لأجلها، لان تركه لوجود شر قليل ينافى الحكمة وذلك معنى قوله: والدنيا لم تكن تستقر الا على ما جعلها الله عليه مما عدده، اى لم يكن يمكن خلقها الا على ما فيها من خير مقصود بالذات، و شر لازم له. و لزوم الجزاء على السببية، و عقاب النفوس فى المعاد عليها من الشرور اللازمة لما حصلت عليه من الهيئات البدنية، والملكات الرديّة فى الدنيا، و شفقتك: خوفك. و استعار و صف^١ الرائد للنبي صلى الله عليه وآله، ملاحظَةً: لِشَبَّهِهِ فى استعلام اخبار السماء بالرائد فى استعلامه بالكلاء والماء، و لم آلك نصيحة اى: لم أقصّر فى نصيحتك، و نصيحة تمييز.

وقوله: و اعلم يا بنى، الى قوله: عن قبيح: اشارة الى الحجّة على وحدانية الصانع تعالى، و على جملة من صفاته اما الحجّة على وحدانيته فهى مقدم الشرطية فيه. قوله: لو كان لربك شريك، و تاليها قوله: لأنتك رسله الى قوله: و صفاته، و ينتج باستثناء

١- فى ش: لفظ الرائد.

نقائض اقسام التالى نقيض المقدم، بيان الملازمة انه لو كان له شريك لكان شريكه الصالح لشركته إلهًا، مستجمعًا لجميع شرائط الألهيّة والاّ لم يصلح لها، لكن من لوازم الألهيّة امور:

احدها، الحكمة فى وجوب بعثة الرسل الى الخلق لما علمت من وجوب البعثة.

الثانية، أن تكون آثار مملكه وسلطانه و صفات أفعاليه ظاهرة مشاهدة.

الثالثة، أن تُعرف أفعاله و صفات ذاته، لكن هذه اللوازم باطلة.

أما الاوّل، فلأنه لم يأتنا رسول ذو معجزة¹ يدلنا على الثانى ويخبرنا عنه. و

أما الثانى، والثالث، فلأن آثار الملك، والسلطان، ومجرد الأفعال انما يدل على فاعل

حكيم قادر، اما على تعدد الفاعلين فلا، وكذلك صفات الألهيّة المكتسبة لنا

من الأفعال، كالعلم والقدرة والارادة وغيرها، انما تدل على صانع موصوف بها، فأما

التعدد فلا، فاذن القول بان له شريكاً قول باطل. وأما الصفات فظاهرة، و اشار بقوله عظم:

الى قوله: او بصر، الى نزاهة صفات الربوبية عن احاطة العقول والابصار بها. والشفقة:

الخوف، وباقى الفصل واضح. وبالله التوفيق.

مركز تحقيقات كميونر علوم اسلامی

يَا بُنَيَّ؛ إِنِّي قَدْ أَنْبَأْتُكَ عَنِ الدُّنْيَا وَحَالِهَا، وَزَوَالِهَا وَانْتِقَالِهَا، وَأَنْبَأْتُكَ عَنِ الآخِرَةِ
وَمَا أُعِدُّ لِأَهْلِهَا فِيهَا، وَضَرَبْتُ لَكَ فِيهِمَا الْأَمْثَالَ لِتَعْتَبِرَ بِهَا، وَتَحذُو عَلَيْهَا! إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ
خَبَرَ الدُّنْيَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفَرُوا نَبَابِهِمْ مَنَزِلَ جَدِيدٍ فَأَمَّوْا مَنَزِلًا خَصِيبًا، وَجَنَابًا مَرِيعًا،
فَاخْتَمَلُوا وَعَشَاءَ الطَّرِيقِ، وَفِرَاقَ الصَّدِيقِ، وَخُشُونَةَ السَّفَرِ، وَجُشُونَةَ المَطْعَمِ، لِيَأْتُوا سَعَةً
دَارِهِمْ وَمَنَزِلَ قَرَارِهِمْ، فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَلْمًا، وَلَا يَرَوْنَ نَفَقَةً مَغْرَمًا، وَلَا
شَيْءَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنَزِلِهِمْ، وَأَذْنَاهُمْ مِنْ مَحَلِّهِمْ. وَمَثَلُ مَنْ اغْتَرَبَ بِهَا كَمَثَلِ
قَوْمٍ كَانُوا بِمَنَزِلٍ خَصِيبٍ فَتَبَا بِهِمْ إِلَى مَنَزِلٍ جَدِيدٍ؛ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِمْ وَلَا أَفْظَعَ
عِنْدَهُمْ مِنْ مَفَارِقَةٍ مَا كَانُوا فِيهِ إِلَى مَا يَهْجُمُونَ عَلَيْهِ وَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ!

يَا بُنَيَّ، أَجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَانًا فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأُحِبُّ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ
لِنَفْسِكَ، وَأَكْرَهُ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وَلَا تُظْلِمُ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وَأُحْسِنُ كَمَا تُحِبُّ أَنْ

١ - نسخة ش: رسول معجزة.

يُحَسِّنَ إِلَيْكَ ، وَاسْتَقْبِحَ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُ مِنْ غَيْرِكَ ، وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ ، وَلَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ ، وَإِنْ قُلْتَ مَا تَعْلَمُ وَلَا تَقُلْ مَا لَا تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ .

وَأَعْلَمْ أَنَّ الْإِعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ ، وَآفَةُ الْأَلْبَابِ ؛ فَاسْمِعْ فِي كَدْحِكَ ، وَلَا تَكُنْ خَازِنًا لِغَيْرِكَ ، وَإِذَا أَنْتَ لَهْدِيَتْ لِقُضْدِكَ فَكُنْ أَخْشَعَ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ .

وَأَعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ طَرِيقًا ذَامِسَافَةٍ بَعِيدَةٍ ، وَمَشَقَّةَ شَدِيدَةٍ . وَأَنَّهُ لَاغْنَى لَكَ فِيهِ عَنْ حُسْنِ الْإِرْتِيَادِ ، وَقَدَّرَ بِلَاغِكَ مِنَ الزَّادِ مَعَ خِفَّةِ الظَّهْرِ فَلَا تَحْمِلَنَّ عَلَى ظَهْرِكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ فَيَكُونَ ثِقْلُ ذَلِكَ وَبَالًا عَلَيْكَ . وَإِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَيُؤَافِيكَ بِهِ غَدًا حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَاغْتَنِمْهُ وَحَمَلْهُ إِثَاءً ، وَأَكْثِرْ مِنْ تَرْوِيدِهِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ ، فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلَا تَجِدُهُ ، وَاعْتَنِمِ مَنْ اسْتَقْرَضَكَ فِي حَالِ غِنَاكَ لِيَجْعَلَ قَضَاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُشْرَتِكَ .

وَأَعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةٌ كَثُودًا ، الْمُخِيفُ فِيهَا أَحْسَنُ حَالًا مِنَ الْمُثْقِلِ وَالْبَطِيءِ عَلَيْهَا أَقْبَحُ حَالًا مِنَ الْمُسْرِعِ ، وَأَنْ مَهَبْتَكَ بِهَا لَا مَحَالَةَ عَلَى جَنَّةٍ أَوْ عَلَى نَارٍ ، فَارْتَدِ لِنَفْسِكَ قَبْلَ نُزُولِكَ ، وَوَطِئِ الْمَنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ ، فَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ ، وَلَا إِلَى الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ .

مرکز تحقیق و ترویج علوم و معارف اسلامی

وَأَعْلَمْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ أِذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ ، وَتَكْفَلَ لَكَ بِالْإِجَابَةِ ، وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيكَ ، وَتَسْتَرْجِمَهُ لِيَرْحَمَكَ ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُهُ عَنْكَ ، وَلَمْ يُلْجِئِكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ . وَلَمْ يَمْنَعَكَ مِنْ التَّوْبَةِ ، وَلَمْ يُعَيِّرِكَ بِالْإِنَابَةِ ، وَلَمْ يُعَاجِلْكَ بِالنَّقْمَةِ ، وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الْفَضِيحَةُ بِكَ أَوْلَى ، وَلَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ الْإِنَابَةِ ، وَلَمْ يُتَاقَشْكَ بِالْجَرِيمَةِ ، وَلَمْ يُؤْتِسِّكْ مِنَ الرَّحْمَةِ ، بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ عَنِ الذَّنْبِ حَسَنَةً ، وَحَسَبَ سَيِّئِكَ وَاحِدَةً وَحَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشْرًا ، وَفَتَحَ لَكَ بَابَ الْمَتَابِ ، وَبَابَ الْأُسْتَعْتَابِ ، فَإِذَا نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاءَكَ ، وَإِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ ، فَأَفْضِيَتْ إِلَيْهِ بِحَاجَتِكَ ، وَأَبْشَرَتْهُ ذَاتُ نَفْسِكَ ، وَشَكَّوَتْ إِلَيْهِ هُمُومَكَ ، وَاسْتَكْشَفَتْهُ كُرُوبَكَ ، وَاسْتَعْتَمَتْهُ عَلَى أُمُورِكَ ، وَسَأَلَتْهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى إِعْطَائِهِ غَيْرُهُ ؛ مِنْ زِيَادَةِ الْأَعْمَارِ ، وَصِحَّةِ الْأَبْدَانِ ، وَسَعَةِ الْأَرْزَاقِ . ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ بِمَا أِذِنَ لَكَ فِيهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ ، فَمَتَى شِئْتَ اسْتَفْتَحْتَ بِالْدُّعَاءِ أَبْوَابَ نِعْمَتِهِ ، وَاسْتَمْطَرْتَ شَائِبَ

رَحْمَتِهِ، فَلَا يُقْنِطَنَّكَ إِبْطَاءُ إِجَابَتِهِ، فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ النَّيَّةِ، وَرُبَّمَا انْحَرَتْ عَنْكَ الْإِجَابَةُ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَكْبَرَ لِأَجْرِ السَّائِلِ، وَأَجْزَلَ لِعَطَاءِ الْآمِلِ، وَرُبَّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلَا تُؤْتَاهُ، وَأُوتِيتَ خَيْرًا مِنْهُ عَاجِلًا أَوْ آجِلًا، أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ، فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ ظَلَمْتَهُ فِيهِ هَلَكَ دِينُكَ لَوْ أُوتِيْتَهُ. فَلْتَكُنْ مَسْأَلَتَكَ فِيمَا يَبْقَى لَكَ جَمَالُهُ، وَيُبْقَى عَنْكَ وَبَالُهُ، وَالْمَالُ لَا يَبْقَى لَكَ، وَلَا تَبْقَى لَهُ.

اقول: تحذو: تقتدى، وجذبه عن الدنيا الى الآخرة بتمثيلين: فالأول ذكر حال من خبر الدنيا وزوالها، وخبر الآخرة وبقاؤها، ومثلهم بحال قوم سفر اى: مسافرين، فارقوا منزلا جديبا الى منزل خصيب، ووجه التمثيل ان النفوس البشرية لما كانت الحكمة فى هبوطها الى هذا العالم، ومقارنتها لهذه الهياكل المظلمة فى دار الغربة ومحل الوحشة من عالمها، هو ان تحصل بواسطتها الكمالات العقلية ثم ترجع بعد الكمال طاهرة عن علايقها وهيئاتها الرذيلة كانت كل نفس لزم الصراط المستقيم، وحفظت العهد المأخوذ عليها فى المدة المضروبة لها، ناظرة بعين الاعتبار ان الدنيا كالمنزل المجذب لخلوه عن المطاعم الحقيقية، فهو لذلك غير صالح للاستيطان، وان الآخرة كالمنزل المخصب: المربع للفناء ذى الكلاء والماء، من وصل اليه مستقيما على طريق الحق فاز بالمقاصد السنية واللذات الباقية فكانت فى الدنيا فى طريق السفر، وقطع منازل سبيل الله والاستعداد للوصول الى بهجة حضرته الشريفة، محتملة وثناء السفر اى: مشقته. وجشوبة المطعم اى: غلظه قصدا الى سعة الدار لا تجد لذلك الماء، ولا احب اليها منه لكونه وسيلة الى مطلوبها الأعظم.

و أما التمثيل الثانى؛ فذكر حال اهل الدنيا الذين قادتهم نفوسهم الامارة بالسوء اليها فغفلوا عما ورائها ونسوا عهد ربهم، ومثلهم بحال قوم كانوا فى منزل خصيب فنيا بهم الى منزل جديب، والمنزل الخصيب هنا الدنيا لانها محل سعادة اهلها ولذاتهم، والمنزل الجديب هو الآخرة اذ لم يكونوا قد استعدوا ولدرك السعادة فيها، ووجه التمثيل هو فى ذلك من الشر العظيم، والحكم اللازم له هو ما ذكره من انه ليس شئ اكره اليهم، الى قوله اليه: ومضادة الاعجاب للصواب مضادة الرذيلة للفضيلة. و كونه آفة الألباب

باعتبار أنه من الأمراض النفسانية المهلكة في الآخرة كما سبق بيانه. والكذب: الكسب، والسعى فيه أي: فيما ينبغي منه وهو كسب الفضائل. وخزنة لغيره: كناية عن رذيلة البخل: واستعار لفظ الطريق: لما يستقبله الإنسان من احوال الدنيا ويعبر عنها الى الآخرة، و احوالها مسافر الى الله. و اشار بطولها وشدتها الى عسر النجاة والسلامة من خطرها، اذ كان ذلك انما يكون بلزوم القصد فيها والثبات على صراط الله المستقيم، فبالحرى ان يكون ذامسافة بعيدة ومشقة شديدة، وانه لاغناء فيه عن حسن الارتياح ما يطلب ما يقوم مقام الكلاً و الماء من الكمالات العقلية الموصلة الى الغاية الحقيقية. والزاد: هو التقوى. وخفة الظهر أي: من الرذائل والآثام. والوبال: الهلاك. و اشار بتجميل الفقراء الزاد الى ما يحصل له من ثواب الصدقة عليهم، و المواساة لهم و كذلك ثواب القرض. و استعار لفظ العقبة الكؤود أي: شاقة المصعد للطريق الى الآخرة، باعتبار ما فيها من الصعود والارتقاء في درجات الكمال بالفضائل، عن مهابط الرذائل، و وصفها بالمشقة باعتبار ما فيها من العسر و كثرة الموانع. والمخف أي: من ثقل الآثام. والمبطن أي: عن اقتناص الفضائل. و ارتده أي: الطلب. و اذنه تعالى في الدعاء و تكفله بالاجابة في قوله تعالى: (ادعوني استجب لكم) ١.

والانابة: الرجوع. و نزع عن الذنب: خرج منه. و افضت: وصلت. و البث: النشر والكشف. و ذات نفسك: حاجتك. و الشايب جمع شوبوب و هي: الدفعة من المطر. و يقنطك: يؤيسك. و الفصل من الطف التأديب و الاستدراج الى طاعة الله و محبته و هو واضح، و بالله التوفيق.

وَأَعْلَمَ أَنَّكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلْآخِرَةِ لَا لِلدُّنْيَا، وَلِلْفَتَاءِ لَا لِلْبَقَاءِ، وَلِلْمَوْتِ لَا لِلْحَيَاةِ
وَأَنَّكَ فِي مَنْزِلِ قُلْعَةٍ، وَدَارِ بُلْعَةٍ، وَطَرِيقٍ إِلَى الْآخِرَةِ، وَأَنَّكَ ظَرِيدُ الْمَوْتِ الَّذِي لَا يَنْجُوا
مِنْهُ هَارِبُهُ، وَلَا يَفُوتُهُ ظَالِبُهُ، وَلَا بُدَّ أَنَّهُ مُدْرِكُهُ فُكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ أَنْ يُدْرِكَكَ وَأَنْتَ عَلَى
حَالِ سَيِّئَةٍ قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مِنْهَا بِالتَّوْبَةِ فَيَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ، فَإِذَا أَنْتَ
قَدْ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ.

يَا بَنِيَّ؛ أَكْثَرُ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ، وَذِكْرٍ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ، وَتُقْضَى بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَأْتِيكَ وَقَدْ أَخَذَتْ مِنْهُ جِذْرَكَ، وَشَدَّدَتْ لَهُ أَرْكَ، وَلَا يَأْتِيكَ بَعْتَهُ فَيَبْهَرَكَ! وَإِيَّاكَ أَنْ تَعْتَرِبَ مَا تَرَى مِنْ إِخْلَادِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا، وَتَكَالِبَهُمْ عَلَيْهَا؛ فَقَدْ نَبَأَ اللَّهُ عَنْهَا، وَنَعَتْ لَكَ نَفْسَهَا؛ وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا؛ فَإِنَّمَا أَهْلُهَا كِلَابٌ عَاوِيَةٌ، وَسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ، يَهْرُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَيَأْكُلُ عَزِيزُهَا ذَلِيلَهَا، وَيَقْهَرُ كَبِيرُهَا صَغِيرَهَا، نَعَمَ مَعْقَلَةٌ، وَآخَرَى مُهْمَلَةٌ قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَهَا، وَرَكِبَتْ مَجْهُولَهَا، سُرُوحٌ عَاهِيَةٌ، بَوَادٍ وَعُثٍ! لَيْسَ لَهَا رَاعٌ يُقِيمُهَا، وَلَا مُسَيِّمٌ يُسَيِّمُهَا! سَلَكَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا طَرِيقَ الْعَمَى، وَأَخَذَتْ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ مَنَارِ الْهُدَى، فَتَاهُوا فِي حَيْرَتِهَا، وَغَرِقُوا فِي نِعْمَتِهَا، وَأَتَّخَذُوا رِبًّا فَلَعِبَتْ بِهِمْ وَلَعِبُوا بِهَا وَنَسُوا مَا وَرَاءَهَا!!
رُويْدَا يُسْفِرُ الظَّلَامُ كَانَ قَدْ وَرَدَتِ الْأُظْعَانُ! يُوشِكُ مَنْ أَسْرَعَ أَنْ يَلْحَقَ.

وَأَعْلَمُ يَا بَنِيَّ أَنْ مَنْ كَانَتْ مَطِيئَتُهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ فَانَّهُ يُسَارِبُهُ وَإِنْ كَانَ وَاقِفًا، وَيَقْطَعُ الْمَسَافَةَ وَإِنْ كَانَ مُقِيمًا وَادِعًا.

وَأَعْلَمُ يَقِينًا أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمْلَكَ، وَلَنْ تَعُدَّوْ أَحْلَكَ، وَأَنَّكَ فِي سَبِيلٍ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، فَخَفِضْ فِي الطَّلَبِ، وَأَجْمِلْ فِي الْمُكْتَسَبِ؛ فَإِنَّهُ رَبُّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرْبٍ، فَلَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمَرْزُوقٍ، وَلَا كُلُّ مُجْمِلٍ بِمَخْرُومٍ، وَأَكْرَمُ نَفْسِكَ عَنْ كُلِّ ذَنِيَّةٍ وَإِنْ سَاقَتْكَ إِلَى الرَّغَائِبِ؛ فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْدُلُ مِنْ نَفْسِكَ عِوَضًا، وَلَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرًّا، وَمَا خَيْرٌ خَيْرٍ لَا يُنَالُ إِلَّا بِشَرٍّ، وَيُسْرٍ لَا يُنَالُ إِلَّا بِعُسْرٍ!

وَإِيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا الظَّمْعِ، فَتُورِدَكَ مَتَاهِلَ الْهَآكَةِ، وَإِنْ أَسْتَظَعْتَ أَنْ لَا يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ ذُو نِعْمَةٍ فَافْعَلْ، فَإِنَّكَ مُدْرِكٌ قِسْمِكَ، وَآخِذٌ سَهْمِكَ! وَإِنَّ الْيَسِيرَ مِنَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - أَعْظَمُ وَأَكْرَمُ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ وَإِنْ كَانَ كُلُّ مِنْهُ.

وَتَلَافِيكَ مَا فَرَطَ مِنْ صَمْتِكَ أَيْسَرُ مِنْ إِذْرَاكِكَ مَا فَاتَ مِنْ مَنَاطِقِكَ، وَحِفْظُ مَا فِي الْوِعَاءِ بِشَدِّ الْوِكَاءِ، وَحِفْظُ مَا فِي يَدَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طَلَبِ مَا فِي يَدِ غَيْرِكَ. وَمَرَارَةُ الْيَأْسِ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَبِ إِلَى النَّاسِ، وَالْحِرْفَةُ مَعَ الْعِفَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْفُجُورِ، وَالْمَرْءُ أَحْفَظُ لِنَفْسِهِ. وَرُبُّ سَاعٍ فِيمَا يَضُرُّهُ! مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ، وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ! قَارِنِ أَهْلَ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ، وَبَايِنِ أَهْلَ الشَّرِّ تَبَيَّنْ عَنْهُمْ! بِسْطِ الطَّعَامِ الْحَرَامِ، وَظُلْمِ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْمِ. إِذَا كَانَ الرَّفْقُ خُرْقًا كَانَ الْخُرْقُ رِفْقًا. رُبَّمَا كَانَ الدَّوَاءُ دَاءً وَالِدَاءُ دَوَاءً، وَرُبَّمَا نَصَحَ غَيْرُ

النَّاصِحِ وَعَشْرَ الْمُسْتَنْصَحِ. وَإِيَّاكَ وَاتِّكَالَكَ عَلَى الْمُنَى فَإِنَّهَا بَضَائِعُ النَّوْكَى، وَالْعَقْلُ حِفْظُ
التَّجَارِبِ. وَخَيْرُ مَا جَرَّبْتَ مَا وَعَظْتَكَ! بَادِرِ الْفُرْصَةَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ غُصَّةً. لَيْسَ كُلُّ ظَالِمٍ
يُصِيبُ، وَلَا كُلُّ غَائِبٍ يُوُوبُ، وَمِنَ الْفَسَادِ إِضَاعَةُ الزَّادِ، وَمَفْتَسِدَةُ الْمَعَادِ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ عَاقِبَةٌ،
سَوْفَ يَأْتِيكَ مَا قَدَّرَ لَكَ، التَّاجِرُ مُخَاطِرٌ! وَرُبَّ يَسِيرٍ أَنْمَى مِنْ كَثِيرٍ، وَلَا خَيْرَ فِي مُعِينٍ
مُهِينٍ، وَلَا فِي صَدِيقٍ ظَنِينٍ، سَاهِلِ الدَّهْرَ مَا ذَلَّ لَكَ قَعُودُهُ، وَلَا تُخَاطِرْ بِشَيْءٍ إِذْ رَجَاءُ أَكْثَرَ
مِنْهُ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَجْمَعَ بِكَ مَطِيئَةَ اللَّجَاجِ! أَحْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أُخِيكَ - عِنْدَ صَرْمِهِ - عَلَى
الصَّلَةِ، وَعِنْدَ صُدُودِهِ عَلَى اللَّطْفِ وَالْمُقَارَبَةِ، وَعِنْدَ جُمُودِهِ عَلَى الْبَدْلِ، وَعِنْدَ تَبَاغِيهِ عَلَى
الدُّنُو، وَعِنْدَ شِدَّتِيهِ عَلَى اللَّيْنِ وَعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَى الْعُدْرِ؛ حَتَّى كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ، وَكَأَنَّهُ ذُو نِعْمَةٍ
عَلَيْكَ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَضَعَ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ بِغَيْرِ أَهْلِيهِ؛ لَا تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ
صَدِيقِكَ صَدِيقًا فَتُعَادِيَ صَدِيقَكَ، وَأَمْحَضْ أَخَاكَ النَّصِيحَةَ حَسَنَةً كَانَتْ أَوْ قَبِيحَةً،
وَتَجَرَّعِ الْغَيْظَ فَإِنَّ لَمْ أَرْجُرْهُ أَحْلَى مِنْهَا عَاقِبَةٌ وَلَا أَلَذَّ مَغْبَةٌ، وَلَنْ لِمَنْ غَالَظَكَ، فَإِنَّهُ
يُوشِكُ أَنْ يَلِينَنَّ لَكَ، وَجُدْ عَلَى عَدُوِّكَ بِالْفَضْلِ فَإِنَّهُ أَحْلَى الظَّفَرَيْنِ وَإِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةً
أَخِيكَ فَاسْتَبِقْ لَهُ مِنْ نَفْسِكَ بَقِيَّةً يَرْجِعُ إِلَيْهَا إِنْ بَدَأَهُ ذَلِكَ يَوْمًا مآ، وَمَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْرًا
فَصَدَّقَ ظَنَّهُ، وَلَا تُضَيِّعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ اتِّكَالًا عَلَى مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بَأَخٍ مَنْ
أَضَعْتَ حَقَّهُ، وَلَا يَكُنْ أَهْلَكَ أَشْقَى الْخَلْقِ بِكَ، وَلَا تَرْغَبَنَّ فِيمَنْ زَهَدَ عَنْكَ، وَلَا يَكُونَنَّ
أَخُوكَ عَلَى مُقَاطَعَتِكَ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى صِلَتِهِ، وَلَا يَكُونَنَّ عَلَى الْإِسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى
الْإِحْسَانِ، وَلَا يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ ظُلْمٌ مَنْ ظَلَمَكَ؛ فَإِنَّهُ يَسْعَى فِي مَضْرَّتِهِ وَنَفْعِكَ، وَلَيْسَ جَزَاءُ
مَنْ سَرَكَ أَنْ تَسُوَّهُ.

وَأَعْلَمُ، يَا بَنِيَّ، أَنَّ الرِّزْقَ رِزْقَانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ، فَإِنَّ أُنْتَ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ .
مَا أَقْبَحَ الْخُصُوعَ عِنْدَ الْحَاجَةِ وَالْجَفَاءَ عِنْدَ الْغِنَى. إِنَّ لَكَ مِنْ ذُنُوبِكَ مَا أَصْلَحَتْ بِهِ
مَثْوَاكَ؛ وَإِنْ جَزِعْتَ عَلَى مَا تَفَلَّتْ مِنْ يَدَيْكَ، فَاجْزَعْ عَلَى كُلِّ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ. اسْتَيْدَكَ
عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ بِمَا قَدْ كَانَ فَإِنَّ الْأُمُورَ أَشْبَاهُ، وَلَا تَكُونَنَّ مِمَّنْ لَا تَشْفَعُهُ الْعِظَةُ إِلَّا إِذَا
بَالَغَتْ فِي إِبْلَامِهِ؛ فَإِنَّ الْعَاقِلَ يَتَّعِظُ بِالْآذَابِ، وَالْبَهَائِمَ لَا تَتَّعِظُ إِلَّا بِالضَّرْبِ. إِطْرَحْ عَنْكَ
وَأَرِدَاتِ الْهُمُومِ بِعَزَائِمِ الصَّبْرِ وَحُسْنِ الْيَقِينِ؛ مَنْ تَرَكَ الْقَصْدَ جَارًا؛ وَالصَّاحِبُ مُنَاسِبًا،

وَالصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ، وَالْهَوَى شَرِيكَ الْعَتَاءِ، رَبٌّ قَرِيبٌ أَبْعَدُ مِنْ بَعِيدٍ، وَرُبٌّ بَعِيدٌ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ؛ وَالْغَرِيبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ. مَنْ تَعَدَّى الْحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ، وَمَنْ أَقْتَصَرَ عَلَى قَدْرِهِ كَانَ أَبْقَى لَهُ. وَأَوْثَقُ سَبَبٍ أَخَذْتَ بِهِ سَبَبٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ، وَمَنْ لَمْ يُبَالِكْ فَهُوَ عَدُوُّكَ، قَدْ يَكُونُ الْيَأْسُ إِذْرَاكًا إِذَا كَانَ الظَّمْعُ هَلَاكًا. لَيْسَ كُلُّ عَوْرَةٍ تَظْهَرُ، وَلَا كُلُّ فُرْصَةٍ تُصَابُ، وَرُبَّمَا أَخْطَأَ الْبَصِيرُ قَضْدَهُ، وَأَصَابَ الْأَعْمَى رُشْدَهُ. أَخْرَ الشَّرَّ فَإِنَّكَ إِذَا شِئْتَ تَعَجَّلْتَهُ، وَقَطِيعَةُ الْجَاهِلِ تَعْدِلُ صِلَةَ الْعَاقِلِ. مَنْ أَمِنَ الزَّمَانَ خَانَهُ، وَمَنْ أَعْظَمَهُ أَهَانَهُ! لَيْسَ كُلُّ مَنْ رَمَى أَصَابَ، إِذَا تَغَيَّرَ السُّلْطَانُ تَغَيَّرَ الزَّمَانُ، سَلَّ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ، وَعَنِ الْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ. إِيَّاكَ أَنْ تَذْكَرَ مِنَ الْكَلَامِ مَا كَانَ مُضْحِكًا، وَإِنْ حَكَيْتَ ذَلِكَ عَنْ غَيْرِكَ، وَإِيَّاكَ وَمُشَاوَرَةَ النِّسَاءِ؛ فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَفْنٍ وَعَزْمُهُنَّ إِلَى وَهْنٍ، وَأَكْفَفَ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ؛ فَإِنَّ شِدَّةَ الْحِجَابِ أَبْقَى عَلَيْهِنَّ، وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ إِدْخَالِكَ مَنْ لَا يُوثِقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ، وَإِنْ اسْتَظَفْتَ أَنْ لَا يَعْرِفَنَّ غَيْرَكَ فَأَفْعَلْ، وَلَا تَمْلِكِ الْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رَيْحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرْمَانَةٍ، وَلَا تَعُدِّ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا، وَلَا تُظْمِعْهَا فِي أَنْ تُشْفَعَ لغيرها، وَإِيَّاكَ وَالتَّغَايُرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ غَيْرَةٍ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ إِلَى السَّقَمِ، وَالتَّرِييبَةَ إِلَى الرَّئِيبِ، وَآجَعَلْ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ خَدَمِكَ عَمَلًا تَأْخُذُهُ بِهِ، فَإِنَّهُ أُخْرَى أَنْ لَا يَتَوَاكَلُوا فِي خِدْمَتِكَ، وَأَكْرِمْ عَشِيرَتَكَ فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ الَّذِي بِهِ تَطِيرُ، وَأَصْلُكَ الَّذِي إِلَيْهِ تَصِيرُ، وَبِذَلِكَ الَّتِي بِهَا تَصُولُ.

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ وَدُنْيَاكَ، وَأَسْأَلُهُ خَيْرَ الْقَضَاءِ لَكَ فِي الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ، وَالْدُنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

اقول: اشار بالأمور التي خلق لها الى غاياته. ومنزل قلعة: لا يصلح للاستيطان، والدنيا دار بلغة: باعتبار ان الواجب في استعمالها قدرالضرورة التي يتبلغ بها الى الآخرة، دون الاستكثار منها اذ كانت طريقا اليها. واستعار لفظ الطريد: باعتبار طلب الموت له كالطريدة من الصيد. والازر: القوة. وبهره: غلبه وأتعبه. والاخلاد الى الشئ: السكون اليه. والتكالب: التواثب. والمساوي: العيوب. والضراوة: تعود الصيد والجرأة عليه. و اشار بقوله: فإنما اهلها الى قوله: صغيرها الى اهل الدنيا: باعتبار قواهم الغضبية و

اتباعها. وبقوله: نعم معقلة، الى قوله: ورآها الى اهلها: باعتبار اتباعهم لقواهم الشهوية، ثم قسم هؤلاء قسمين فاستعار لفظ المعقلة: للذين تمسكوا منهم بظواهر الشريعة وتقيّدوا بها عن الاسترسال الظاهر في الشهوات المحرمة في الدين، وان لم يعقلوا اسرار الشريعة فهم: كالنعم التي عقلها راعيها، واستعار لفظ المَهْمَلَة: للذين استرسلوا في اتباع شهواتهم مطلقاً وخرجوا عن طاعة امامهم. وقوله: عقولها قيل: اراد عقلها فاشبع الضمة قلبها واواً للمناسبة بين القرينتين. والمجهول والمجهل: المفازة التي لا اعلام بها. وواد وعث: لا يثبت به خُفٌّ ولا حافرٌ لكثرة سهولته. والمسيم: الراعى. و اراد بالعمى: الجهل. ورويدًا اي: أمهل. واستعار لفظ الظلام: لحجب الابدان وظلمات هيأتها الحاجة لأبصار البصائر عن ادراك امور الآخرة، وهو وعيد بالموت وما بعده. وكتى بالاطعان عن المسافرين الى الله، و كأن المخففة من الثقيلة وتفيد تقريب المستقبل من الامور يوشك من اسرع ان يلحق: ترغيب في اسراع السير في مراتب القربة الى الله تعالى، بذكر الغاية وهي اللحق بمراتب السابقين ويحتمل ان يكون من تمام الوعيد بالموت وقربه، اذ الناس في حد الاسراع اليه على مطيئ الليل، والنهار، ومن كان كذلك قربت لحوقه بمن سبقه. والوادع، ذوالدعة ولا يبلغ أمله لأن الآمال لا تزال تتجدد. ولا تعد اي: لا تتجاوز. وخفض: سهل على نفسك. والاجمال في الاكتساب: ان يكون على وجه جميل، وهو الوجه الذي ينبغي. والحرب: سلب المال. ونهيه عن التعبد للغير: يستلزم النهي عن سببه وهو الطمع.

وقوله: فانك، الى قوله عرضاً: صغرى ضمير، بين فيه علة الامر باكرام نفسه وتقدير كبراه، و كلّ من كان كذلك فواجب عليه ان لا يبذل نفسه في الدنيا ويكرمها عنها. والوجيف: ضرب من السير فيه سرعة. واستعار لفظ المطايا للاطماع ووصف الوجيف لها: باعتبار هجومها بالانسان على الهلاك الاخرى. واستعار لها لفظ المناهل وهي: الشرائع وموارد الشرب. وقسمة المدرك له هو: ما قسمه الله له من رزق وغيره، في كتابه المبين، و لوجه المحفوظ. وقوله: وتلافيك اي: تداركك الى قوله الوكاء: ارشاد الى حفظ اللسان وضبطه عمّا لا ينبغي من القول. وقوله: وحفظ ما في يدك الى قوله: غيرك: ارشاد الى الاقتصاد في المال، وترك الاسراف، لما يستلزمه من الحاجة

الى الغير. والحرفة: ضيق الرزق. واهجر قال الهجر، وهو: الفحش فى المنطق. وقوله: المرء احفظ لسره: اخبار فى معنى الأمر. وفى قوله احفظ: تنبيه على الفرق بين حفظ الانسان لسر نفسه وبين ايداعه الغير، وكذلك من تفكر ابصر. وقوله: اذ كان الرفق الى قوله: رفقا، اى: اذا كان استعمال الرفق وهو اللين فى بعض المواضع، كالخرق وهو العنف فى كونه مفسداً ومفوتاً للغرض كون استعمال الخرق فى ذلك الموضوع كاستعمال الرفق فى استلزامه المصلحة غالباً، فكان اولى من الرفق فى ذلك الموضوع ونحوه قول ابى الطيب^١:

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلى مضرّ كوضع السيف فى موضع الندى وهو: اخبار فى معنى النهى عن وضع كلّ منهما فى موضع الآخر، وربّما يفهم منه معنى آخر، وهو: انه اذ استعمل الرفق فى موضع الخرق لزم ذلك ان يستعمل الخرق فى غير موضعه وهو موضع الرفق، وذلك مما لا ينبغى. وقوله: ربّما كان الى قوله دواء: تنبيه على ان فعل بعض الامور قد يُعتقدُ مصلحةً وهو مفسدة، وفعلٌ بعضٍ بالعكس، ونحوه قول المتنبى:

وربّما صحّت الأجساد بالعلل
فربّما تكوّن علوم ردى

والنوكى: الحمقى وقوله: والعقل حفظ التجارب: رسم للعقل العملى، ببعض كمالاته وصفاته. واما خصّ العلوم التجريبية: لانها أصل عظيم فيما ينبغى ان يفعل، والعقل قد يراد به قوّة النفس، وقد يراد به المصدر، وهو فعل تلك القوّة وهو محتمل الارادة هاهنا. والفرصة: وقت امكان العمل للآخرة. والغصة: هو ما يلحق من ألم الندم بعد فوت الفرصة. والمهين: الضعيف. والظنين: المتهم. وقوله: ساهل الدهر، الى قوله: قعوده: كمساهلته الجريان معه بقدر مقتضاه من دون تشدّد وتسخط عليه، ولفظ القعود: مستعار للوقت الذى تتيسر فيه الأمور، وكذلك وصف الذلّة باعتبار سهولة المطالب فيه، وخصّ القعود: باعتبار انه فى مظنة النفار براكبه، والزمان فى مظنة التغير.

وقوله: احمل، الى قوله غير أهله: امره ان يلزم نفسه ويحملها فى حقّ صديقه الاهل للصنعة، على ان يقابل رذائله المعدودة بما يضادها من الفضائل. والصرم: القطيعة.

١ - ابوالطيب احمد بن الحسين بن الحسن بن عبدالصمد المتنبى الجعدي الكندى ٣٠٣ - ٣٥٤.

والجمود: ضدّ البذل. و امحض اى: اخلص. وحسنة او قبيحة اى: فى نظر المنصوح.
والمغبة: العاقبة. والمغالطة: المخاشئة. وما بينك وبينه، اى: من المودة. وقوله: فانه
ليس لك الى قوله: حقه، صغرى ضمير نقرّبه عن اضاعة حق الأخ، اى: أنّك اذا اضعت
حقّه لا بدّ ان يفارقك، ونفعه على تقدير كونه مطلوباً حصوله على ثواب الصّابرين
فى الآخرة.

والرزق المطلوب: ما كان مبدؤه الحرص فى الدنيا، والرزق الطالب للانسان
هو المقدّر له، وفيه تنبيه على الاجمال فى طلب الرزق. والجفاوة: قسوة القلب. ومثواه:
موضع اقامته من الآخرة. وعزائم الصبر: ما جزمت منه. وحسن اليقين اى: بالله تعالى، و
هو ان يعلم يقيناً أنّ كل صادر فى الوجود فعلى وفق الحكمة الالهية، ولازم لها. وجار:
دخل فى رذيلة الجور وهو الانحراف عن فضيلة العدل، وروى بالحاء. ولفظ المناسب:
مستعار للصاحب باعتبار منفعته وقربه كالنسيب والصديق اى: الخالص فى صداقته. و
شريك العمى اى: فى كونهما لا يهتدى معهما الى ما ينبغى من المصلحة. وضيق
المذهب: المتعدّى باعتبار أنّ الغالب على الخلق اتباع اكثر الحق، والمتعدّى عنه: مأخوذ
بالأقوال الدامة والافعال الرادعة مضيق عليه بها مذهبه، وحيث سلك من الباطل. ومن
لا يبالك اى: لا يهتمّ بأمرك عند حاجتك اليه، واستعار له لفظ العدو: باعتبار
عدم المبالاة كالعدوّ. وقوله: وقد يكون، الى قوله: هلاكاً أي: اذا كان الطمع فى امر
يؤدى الى الهلاك كان اليأس منه ادراكاً للنجاة. وقوله: ليس كل عورة، الى قوله:
رشده: تنبيه على أنّ من الامور الممكنة، والغرض ما يفعل الطالب البصير بالامور عن وجه
طلبه، فلا يصيبه ويهتدى له الأعمى الجاهل بما ينبغى. والعورة: كالفرصة واعور: الفارس
اذا بدامنه موضع للضرب. وقوله: ومن اعظمه اهانة: فاعظامه من حيث أنّه مشتمل على
خيرات الدنيا ولذاتها بالصحة والشباب والأمن ونحو ذلك، وبذلك الاعتبار، يكرم
ويستعظم، واما لزوم اهانة من يستعظمه، فلاستلزام اعظامه الركون اليه، والاشتغال بما
فيه من اللذات. ثم أنّ الزمان بعد ذلك يكر (يدور) عليه بمقتضى طباعه فيزيل ما كان
فيه من لذّة وخير، ويبدّله بالعزة هواناً وباللذّة الما. وقوله: اذا تغير السلطان اى: فى نيّته
وفعله تغير الزمان، وذلك ان الزمان انما يحمّد او يذمّ بحسب ما يقع فيه من خير وشر.

وظاهر ان تغير السلطان من احدهما الى الآخر يستلزم وقوع ما تغير اليه فى وقت وقوعه، وبحسب ذلك يكون تغير الزمان ونسبته الى الخير او الشر الواقع بعد ان لم يكن، و السابق الى الفهم من التغير هو التغير من الخير الى الشر.

والافن بالسكون: النقص والضعف، وما جاوز نفسها: هو ما عدا ما يحل لها تملكه فى عرف الشريعة، واستعار لها لفظ الريحانة: باعتبار ان الغرض بها اللذة والاستمتاع، وكرامة نفسها بما يجب من كسوة ونحوها. والصحيحة: البريئة من الفساد. وغيره الرجل على البريئة و اشعارها بتهمتها بالفساد ربما يودى الى فسادها، لأنها ربما تستقبح ذلك فى اول الأمر ويعظم عليها ذكره فاذا تكررت المواجهة به هان عليها، وصار فى قوة اغرائها به. والريب: الشك. و اخرى: اولى ويتواكلوا اى: تكل كل منهم الأمر الى صاحبه. و اليه تصير اى: ترجع. واكثر المقاصد فى هذه الوصية واضحة غنية عن الشرح والاستقصاء فيها مذكور فى الاصل، وبالله التوفيق.

٣٢ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

مُرْتَجِيًا إِلَى مَعَاوِيَةَ

وَأَرَدَيْتَ جَيْلًا مِنَ النَّاسِ كَثِيرًا: خَدَعْتَهُمْ بِغَيْبِكَ، وَأَلْقَيْتَهُمْ فِي مَوْجٍ بَحْرِيٍّ، تَغْشَاهُمُ الظُّلُمَاتُ، وَتَتَلَاظِمُ بِهِمُ الشُّبُهَاتُ، فَجَاوَزُوا عَنْ وَجْهِتِهِمْ، وَنَكَصُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ، وَتَوَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ، وَعَوَّلُوا عَلَى أَحْسَابِهِمْ، إِلَّا مَنْ فَاءَ مِنْ أَهْلِ الْبَصَائِرِ؛ فَإِنَّهُمْ فَارَقُوكَ بَعْدَ مَعْرِفَتِكَ، وَهَرَبُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ مُوَارِثَتِكَ؛ إِذْ حَمَلْتَهُمْ عَلَى الصَّعْبِ، وَعَدَلْتَ بِهِمْ عَنِ الْقَصْدِ، فَاتَّقِ اللَّهَ يَا مَعَاوِيَةُ فِي نَفْسِكَ، وَجَادِبِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ؛ فَإِنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ عَنْكَ، وَالْآخِرَةُ قَرِيبَةٌ مِنْكَ، وَالسَّلَامُ.

اقول: أرديت: أهلكت. والجيل: الصنف. والغى: الضلال. واستعار لفظ الموج: للشبهات التى ألقاها معاوية الى الناس كشبهة قتل عثمان وشبهة التحكيم. و لفظ الظلمات لتلك الشبهة: باعتبار عدم اهتداء الخلق فيها الى تخلص الحق. و حاروا:

عدلوا. ونكصوا: رجعوا. وعولوا: اعتمدوا أحسابهم ما يفخرون به من مال واصل. وفاء: رجع، ومعرفتك اى معرفتهم: بك. والموازرة: المعاونة. واستعار لفظ الصعب من الإبل ونحوه: لما حملهم عليه من مخالفة الحق، والبغى على الامام العادل.

٣٣ - وَمَنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى قثم بن العباس، وهو عامله على مكة

أَمَا بَعْدُ؛ فَإِنَّ عَيْنِي بِالْمَغْرِبِ، كَتَبَ إِلَيَّ يُعَلِّمُنِي أَنَّهُ وُجَّهٌ إِلَى الْمَوْسِمِ أَنْتَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، الْعُمَى الْقُلُوبِ، الصَّمَّ الْأَسْمَاعِ، الْكُمَةَ الْأَبْصَارِ، الَّذِينَ يَلْتَمِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، وَيُطِيعُونَ الْمَخْلُوقَ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ، وَيَحْتَلِبُونَ الدُّنْيَا دَرَّهَا بِالَّذِينَ، وَيَشْتَرُونَ عَاجِلَهَا بِأَجْلِ الْأَبْرَارِ الْمُتَّقِينَ، وَلَنْ يَفُوزَ بِالْخَيْرِ إِلَّا عَامِلُهُ، وَلَا يُجْزَى جَزَاءَ الشَّرِّ إِلَّا فَاعِلُهُ، فَأَقِمْ عَلَى مَا فِي يَدَيْكَ قِيَامَ الْحَازِمِ الصَّلِيبِ، وَالنَّاصِحِ اللَّيْبِ، التَّابِعِ لِسُلْطَانِهِ الْمُطِيعِ لِأَمَامِهِ، وَإِيَّاكَ وَمَا يُعْتَدِرُ مِنْهُ، وَلَا تَكُنْ عِنْدَ النَّعْمَاءِ نَطْرًا، وَلَا عِنْدَ الْبِئْسَاءِ فَيْشَلًا

مركز تحقيقات كويت علوم إسلامية

اقول: العين: الجاسوس. و اراد بالمغرب: الشام، لأنها من الحدود المغربية. والموجه للقوم: هو معاوية. والموسم: موسم الحج. وقوله العمى، الى قوله: الأبصار، اشارة: الى شدة غفلتهم عن الله تعالى، وعن امور الآخرة. والحق: هو ما يطلبونه من دم عثمان، والباطل: وجه طلبهم له. وشبهتهم فيه. ودرها: بدل من الدنيا. والفضل: الضعف والجبين. ومقاصد الكتاب واستعاراته ظاهرة.

١ - قثم بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم اخو عبدالله بن العباس... أمه ام الفضل. و كان يُشبهُ رسول الله (ص). الاصابة ٢٢٦/٣. الاستيعاب ٢٧٥/٣ - هامش الاصابة - وفيه مات بسمرقند.

٣٤ - وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى محمد بن أبي بكر، لما بلغه توجده من عزله بالأشتر عن مصر ثم توفى الأشتر في توجده
إلى مصر قبل وصوله إليها

أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ بَلَّغْنِي مَوْجِدَتِكَ مِنْ تَشْرِيحِ الْأَشْتَرِ إِلَى عَمَلِكَ، وَإِنِّي لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ
اسْتِبْطَاءً لَكَ فِي الْجُهْدِ، وَلَا أزدِيَادًا لَكَ فِي الْجِدِّ، وَلَوْ تَزَعْتُ مَا تَحْتَ يَدِكَ مِنْ سُلْطَانِكَ
لَوَلِيَّتِكَ مَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكَ مَوُونَةً، وَأَعْجَبُ إِلَيْكَ وَلايَةً. إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي كُنْتُ وَلِيَّتُهُ أَمْرَ مِصْرَ
كَانَ رَجُلًا لَنَا نَاصِحًا وَعَلَى عَدُوِّنَا شَدِيدًا نَاقِمًا فَرَحِمَهُ اللَّهُ فَلَقَدْ اسْتَكْمَلَ أَيَّامَهُ، وَلَا قَى
جَمَامَهُ، وَنَحْرُ عَنْهُ رَاضُونَ، أَوْلَاةُ اللَّهِ رِضْوَانَهُ، وَضَاعَفَ الثَّوَابَ لَهُ، فَأَصْحِرْ لِعَدُوِّكَ،
وَأَمْضِ عَلَى بَصِيرَتِكَ، وَشَمِّرْ لِحَرْبٍ مَنْ حَارَبَكَ، (وَأَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ) وَأَكْثِرِ الْأُسْتِعَانَةَ
بِاللَّهِ يَكْفِيكَ مَا أَهَمَّكَ، وَيُعِينِكَ عَلَى مَا نَزَلَ بِكَ، وَالسَّلَامُ.

اقول: الموجدة: ما يجده الانسان. والجهد: الاجتهاد. وأعجب: أحب. واصحر
اي: اظهروا برز. وبصيرته: علمه وثيقته انه على الحق وان خصمه على الباطل. والتشمير
كناية عن الاستعداد.

٣٥ - وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى عبدالله بن العباس، بعد مقتل محمد بن أبي بكر

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ مِصْرَ قَدْ افْتَتِحَتْ وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ اسْتُشْهِدَ، فَعِنْدَ اللَّهِ
نَحْتِسِبُهُ وَلَكِنَّا نَاصِحًا، وَعَامِلًا كَادِحًا، وَسَيِّفًا قَاطِعًا، وَرَمْحًا دَافِعًا؛ وَقَدْ كُنْتُ حَثَّتُ النَّاسَ
عَلَى لِحَاقِهِ، وَأَمَرْتُهُمْ بِغِيَاثِهِ قَبْلَ الْوَقْعَةِ؛ وَدَعَوْتُهُمْ سِرًّا وَجَهْرًا، وَعَوْدًا وَبَدَأًا: فَمِنْهُمْ الْآتِي
كَارَهَا، وَمِنْهُمْ الْمُعْتَلُّ كَاذِبًا، وَمِنْهُمْ الْقَاعِدُ خَاذِلًا. أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ فَرَجًا عَاجِلًا،
فَوَاللَّهِ لَوْلَا ظَمْعِي عِنْدَ لِقَائِي عَدُوِّي فِي الشَّهَادَةِ، وَتَوَطُّبِي نَفْسِي عَلَى الْمَنِيِّ؛ لَأَخْبَبْتُ أَنْ
لَا أَبْقَى مَعَ هَؤُلَاءِ يَوْمًا وَاحِدًا، وَلَا أَلْتَقِيَ بِهِمْ أَبَدًا.

اقول: احتسب بكذا عند الله: اطلب به. الحسبة بالكسر وهي: الأجر في الرزية به. واستشهد: كانه استحضر الى الله بالقتل. وكونه ولدًا: باعتبارانه كان ربيبًا له عليه السلام. واهه اسماء بنت عميس الخثعمية، كانت تحت جعفر بن ابي طالب رضع فولدت له محمدًا وعونا، وعبدالله، بالحبشة حين هاجرت معه اليها. وتزوجها بعد قتله ابوبكر فولدت له محمدًا هذا. ثم تزوجها بعد وفاته على عليه السلام، فولدت له يحيى. والكدح: السعي. واستعار لمحمد لفظ السيف والركن باعتبار فائدته كفائدتها. وباقي الفصل واضح، وبالله التوفيق.

٣٦ - وَمَنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى عقيل بن أبي طالب، في ذكر جيش انفذه إلى بعض الأعداء وهو جواب كتاب كتبه إليه أخوه عقيل بن ابي طالب - رحمه الله -

فَسَرَّحْتُ إِلَيْهِ جَيْشًا كَثِيفًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ شَمَّرَ هَارِبًا، وَنَكَّصَ نَادِمًا، فَلَحِقُوهُ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، وَقَدْ طَفَلَتِ الشَّمْسُ لِلْإِيَابِ؛ فَاقْتَتَلُوا شَيْئًا كَلًّا وَلَا؛ فَمَا كَانَ إِلَّا كَمَوْقِفِ سَاعَةٍ حَتَّى نَجَا جَرِيضًا بَعْدَ مَا أُخِذَ مِنْهُ بِالْمُخْتَقِ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ غَيْرُ الرَّمَقِ، فَلَأْيًا بِلَأْيٍ مَا نَجَا. فَدَعَّ عَنكَ قُرَيْشًا وَتَرَكَاضَهُمْ فِي الضَّلَالِ وَتَجَوَّأَهُمْ فِي الشَّقَاقِ، وَجَمَّاحَهُمْ فِي النَّيِّهِ؛ فَانْتَهَمُوا عَلَى حَرْبِي كَمَا جَمَّاعَهُمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَبْلِي؛ فَجَزَتْ قُرَيْشًا عَنِّي الْجَوَارِي؛ فَقَدْ قَطَعُوا رَجِمِي، وَسَلَبُونِي سُلْطَانَ ابْنِ أُمِّي.

وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ مِنْ رَأْيِي فِي الْقِتَالِ، فَإِنَّ رَأْيِي قِتَالُ الْمُجَلِّينَ حَتَّى أَلْقَى اللَّهُ، لَا يَزِيدُنِي كَثْرَةُ النَّاسِ حَوْلِي عِزَّةً، وَلَا تَفَرُّقُهُمْ عَنِّي وَخَشَةً، وَلَا تَحْسَبَنَّ ابْنَ أَبِيكَ - وَلَوْ أَسْلَمَهُ النَّاسُ - مُتَضَرِّعًا مُتَخَشِّعًا، وَلَا مُقِرًّا لِلضَّمِّ وَاهِنًا، وَلَا سَلِيسَ الزَّمَامِ لِلْقَائِدِ، وَلَا وَطِيءَ الظَّهْرِ لِلرَّاكِبِ الْمُتَقَعِّدِ، وَلَكِنَّهُ كَمَا قَالَ أَخُو بَنِي سُلَيْمٍ:-

فَإِنْ تَسْأَلِينِي: كَيْفَ أَنْتَ؟ فَأَنْبِي
صَبُورٌ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ صَلِيبُ
يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ تُرَى بِي كَابَةٌ
فَيْشَمَّتْ عَادٍ أَوْ يُسَاءَ حَبِيبُ

اقول: طفلت الشمس بالشديد: مالت للمغيب. وآبت: لغة في غابت. وكلا ولا:

لفظان قصيران عندالسمع سريعا الانقطاع، كنى بهما عما كان سريعا من الفعل لمشابهته
فى قصرالزمان لهما، ونحوه قول ابن هانى المغربى^١.

واسرع فى العين من لحظة واقصر فى السمع من لا ولا
والموقف: هنا مصدر. والجريض: المغموم الذى يبتلع ريقه على غصة من الحزن.
والمختق بالتشديد: هو من العنق موضع الخنق بالكسر. والرمق: بقية النفس. واللاي:
الشدة وهو مصدر حذف عامله، وما: مصدرية فى موضع الرفع فاعلا لفعل المصدر اى:
فلأى لأيا نجاؤه اى: اشتد وعسر. وقوله بلاى تأكيدا اى: لأيا متصلا بلاى. والتركاى
مبالغة فى الركض، واستعاره: لجرى اذهانهم فى الضلال عن سبيل الله. وكذلك
لفظ التجوال والجماح. وابن امه يعنى رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنهما ابنا فاطمة
بنت عمر بن عمران بن عائذ بن مخزوم^٢، ام عبدالله، وابى طالب. والمحلين: الذين احلوا
ذمة الله ونقضوا عهده. والوهن: الضعف.

٣٧ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى معاوية

فَسُبْحَانَ اللَّهِ!! مَا أَشَدَّ لُزُومَكَ لِلْأَهْوَاءِ الْمُتَبَدِّعَةِ، وَالْحَيْرَةَ الْمُتَّبِعَةَ، مَعَ تَضْيِيعِ
الْحَقَائِقِ، وَأَطْرَاحِ الْوَثَائِقِ، الَّتِي هِيَ لِلَّهِ طَلِبَةٌ، وَعَلَى عِبَادِهِ حُجَّةٌ فَأَمَّا إِكْثَارُكَ الْجِجَاجَ فِي
عُثْمَانَ وَقَتْلَتِهِ فَإِنَّكَ إِنَّمَا نَصَرْتَ عُثْمَانَ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَكَ، وَخَذَلْتَهُ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَهُ.

اقول: اراد بالحقائق: ما هو حق فى نفس الأمر ينبغى اتباعه من العقائد، كاعتقاد
إمامته الحقّة واتباعه. وقوله: حيث كان النصر لك، اى: الآن وانت منصور تنتصر له.

١ - ابوالقاسم / ابوالحسن محمد بن هانى الازدي الاندلسي المتوفى ٣٦٢. وجاء انه قتل على التشيع وولائه
الخالص. وفيات الاعيان ٤/٤٢١. معجم الادباء ١٩/٩٢.

٢ - جمهرة انساب العرب/١٥ و١٤، الفصول الفخرية/٨٣. وقد جاء الكتاب بصورة مفصلة فى الغارات ٢/٤٣١.

٣٨ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام
إلى أهل مصر، لما ولى عليهم الأشرحه الله

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ غَضِبُوا لِلَّهِ حِينَ عُصِيَ فِي أَرْضِهِ، وَذُهِبَ
بِحَقِّهِ، فَضْرَبَ الْجَوْرُ سُرَادِقَهُ عَلَى الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ، وَالْمُقِيمِ وَالظَّاعِنِ، فَلَا مَعْرُوفَ يُسْتَرَاخُ
إِلَيْهِ، وَلَا مُنْكَرٌ يُتَنَاهَى عَنْهُ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَا يَتَأَمُّ الْخَوْفِ، وَلَا يَتَكَلُّ عَنْ
الْأَعْدَاءِ سَاعَاتِ الرَّوْعِ، أَشَدَّ عَلَى الْفُجَّارِ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ، وَهُوَ مَالِكُ بَنُ الْحَارِثِ
أَخُو مَذْحِجٍ، فَاسْمَعُوا لَهُ، وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ فِيمَا طَابَقَ الْحَقُّ؛ فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ لَا كَلِيلُ
الظُّبَةِ، وَلَا نَابِي الضَّرِيَّةِ، فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فَانْفِرُوا، وَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تُقِيمُوا فَاقِيمُوا، فَإِنَّهُ
لَا يُقَدِّمُ وَلَا يُحْجِمُ، وَلَا يُؤَخِّرُ وَلَا يُقَدِّمُ، إِلَّا عَنْ أَمْرِي. وَقَدْ آتَرْتُكُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِي لِتُصِيحَّتِهِ
لَكُمْ وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ عَلَى عَدُوِّكُمْ.



أقول: السرادق: البيت من القطن وهو مستعار لما امتد من جور الظالمين وعم.
والروع: الفزع. وينكل بالضم: يرجع. ومذحج كمسجد: ابو قبيلة من اليمن، وهو:
مذحج بن جابر بن مالك بن ثقلان بن سبأ. والظبة بالتخفيف: حد السيف. ونبا السيف
عن الضربة اذا لم يقطعها، وهو: كناية عن صرامته وقوة بأسه. والاحجام: التأخر.
والشكيمة الحديدية المعترضة في فم الفرس، وكنى بشدتها: عن شدة وطأته على العدو.

٣٩ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى عمرو بن العاص

فَإِنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبَعًا لِذُنُوبِ أَمْرِي؛ ظَاهِرِ عَيْهِ، مَهْتُوكِ سِرِّهِ. يَشِينُ الْكَرِيمَ
بِمَجْلِسِهِ، وَيُسْفَهُ الْحَلِيمَ بِخُلَاطَتِهِ، فَاتَّبَعْتَ أَثَرَهُ وَطَلَبْتَ فَضْلَهُ اتِّبَاعَ الْكَلْبِ لِلضَّرْعَامِ: يَلُودُ
إِلَى مَخَالِبِهِ، وَيَتَتَبَرُّ مَا يُلْقَى إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِ قَرِيصَتِهِ، فَأَذْهَبَتْ ذُنُوبُكَ وَآخِرَتُكَ! وَلَوْ بِالْحَقِّ

أَخَذْتُ أَدْرَكْتَ مَا طَلَبْتُ، فَإِنْ يُمَكِّنِي اللَّهُ مِنْكَ وَمِنْ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَجْزِكُمَا بِمَا قَدَّمْتُمَا، وَإِنْ تُعْجِزَانِي وَتَبْقِيَا فَمَا أَمَامَكُمَا شَرٌّ لَكُمَا؛ وَالسَّلَامُ.

اقول: كون دينه تبعًا لدنيا معاوية لتبعه إياه بطعمة مصر، وما اعطاه من مال. وكون مجلسه يسفه الحلِيم؛ لان دأبه، وبنى اميّه، شتم بنى هاشم، والتعرض بذكر اكابر الصحابة وذلك مما يسفه الحلِيم عن الثبات على سماعه. والضرغام: الاسد، ووجه التشبيه ظاهر. والذي امامها: ما يلقيه من عذاب الآخرة، وهو شر لقلوبه تعالى: (ولعذاب الآخرة اشد وابقى) ٢.

(ومن كتاب له - عليه السلام - الى بعض عماله)

أما بعد فقد بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت ربك وعصيت إمامك وأخزيت أمانتك .
بلغني أنك جرذت الأرض فأخذت ما تحت قدميك وأكلت ما تحت يديك، فأرفع إلي حسابك، وأعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس.
اقول: أخزيت أمانتك: أهنتها. وجرذت الارض: قشرتها وهو كناية عن أحديه جمع المال.

٤٠ - وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى بعض عماله

أما بعد، فإنني كنت أشركتك في أماني، وجعلتك شعارى وبطاني؛ ولم يكن في أهلى رجل أوثق منك فى نفسى لمواساى وموازرتى، وأداء الأمانة إالى؛ فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب؛ والعدو قد حرب؛ وأمانة الناس قد خزيت، وهذه الأمة قد فتكت وشغرت؛ قلبت لابن عمك ظهر المجر، ففارقته مع المفارقين، وخذلتة مع الخاذلين،

٢ - سورة طه / ١٢٧.

١ - فى ش: يستغز.

وَحُثُّهُ مَعَ الْخَائِنِينَ فَلَا أَبْنَ عَمَّكَ آسَيْتَ، وَلَا الْأَمَانَةَ أَدَيْتَ، وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنِ اللَّهُ تَرِيدُ بِجِهَادِكَ وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّكَ؛ وَكَأَنَّكَ إِنَّمَا كُنْتَ تَكِيدُ هَذِهِ الْأُمَّةَ عَنْ دُنْيَاهُمْ، وَتَتَوَى غِرَّتَهُمْ عَنْ فَيْبِهِمْ، فَلَمَّا أُمَكَّتْكَ الشَّدَّةُ فِي خِيَانَةِ الْأُمَّةِ أَسْرَعْتَ الْكُرَّةَ، وَعَاجَلْتَ الْوَيْبَةَ، وَأَخْتَطَفْتَ مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمُ الْمَصُونَةَ لِأَرْوَامِهِمْ وَأَيْتَامِهِمْ أَخْتِطَافَ الذُّبِّ الْأَرْزَلِ دَامِيَةَ الْمِعْزَى الْكَسِيرَةَ؛ فَحَمَلْتَهُ إِلَى الْحِجَازِ رَجِيبَ الصَّدْرِ بِحَمْلِهِ غَيْرِ مُتَأَمِّنٍ مِنْ أَخِيهِ كَأَنَّكَ - لَا أَبَا لِيغَيْرِكَ - حَدَرْتَ إِلَى أَهْلِكَ تُرَائِكَ مِنْ أَبِيكَ وَأُمَّكَ فَسُبْحَانَ اللَّهِ! أَمَا تُؤْمِنُ بِالْمَعَادِ؟ أَوْ مَا تَخَافُ مِنْ نِقَاشِ الْحِسَابِ؟ أَيُّهَا الْمَعْدُودُ - كَانَ - عِنْدَنَا مِنْ دَوَى الْأَلْبَابِ كَيْفَ تُسَيِّغُ شَرَابًا وَطَعَامًا وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ حَرَامًا وَتَشْرَبُ حَرَامًا؟ وَتَبْتَاعُ الْإِمَاءَ وَتَتَكَيِّحُ النَّسَاءَ مِنْ مَالِ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ الَّذِينَ أَهَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْأَمْوَالُ وَأَخْرَزَبِهِمْ هَذِهِ الْبِلَادُ!! فَاتَّقِ اللَّهَ وَارْزُدْ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَمْوَالَهُمْ؛ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أُمَكَّنِي اللَّهُ مِنْكَ لَا تُعْذِرَنَّ إِلَى اللَّهِ فِيكَ، وَلَا تُضْرِبَنَّ بِسَيْفِي الَّذِي مَا ضَرَبْتُ بِهِ أَحَدًا إِلَّا دَخَلَ النَّارَ! وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَعَلَا مِثْلَ الَّذِي فَعَلْتَ مَا كَانَتْ لَهُمَا عِنْدِي هَوَادَةٌ، وَلَا ظَفِيرًا مِثْلَ بَارَادَةٍ، حَتَّى آخِذَ الْحَقِّ مِنْهُمَا، وَأَزِيحَ الْبَاطِلَ عَنْ مَظْلَمَتَيْهِمَا؛ وَأُقْسِمُ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ: مَا سُرْنِي أَنْ مَا أَخَذْتُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ حَلَالَ لِي أَتْرُكُهُ مِيرَاثًا لِمَنْ بَعْدِي، فَضَحَّ رُؤْيِدًا فَكَأَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ الْمَدَى، وَدَفِنْتَ تَحْتَ الثَّرَى، وَعَرَضْتَ عَلَيْكَ أَعْمَالُكَ بِالْمَحَلِّ الَّذِي يُنَادِي الظَّالِمُ فِيهِ بِالْحَسْرَةِ، وَيَسْمَى الْمُضِيغُ الرَّجْعَةَ، وَلَا تَجِيَنَّ مَنَاصِرَ.

أقول: المروي أن الكتاب إلى عبد الله بن العباس كما هو في بعض النسخ، حين كان واليًا له على البصرة. وamanته: هي ولاية أمور المسلمين. والشعار: ما يلي الجسد من الثياب، واستعار له لفظه باعتبار قربه منه. وبطانته خاصته. واما موازنة: المعاونة. وكلب الزمان: شدته. وحرب العدو: اشتد غضبه. وخزيت الامانة: هانت وذلت. والفتك: القتل على غرة. وشغرت: تفرقت. وقوله: قلبت، الى قوله: ظهر المجن: مثل يضرب لمن يكون مع اخيه فيتغير عنه ويقاتله. واصله ان الترس انما يقاقل به الرجل ويعطى ظهره في الحرب، فكنى به عن: تغيره عليه وخروجه عن امر، ولم يكن على بيته

من ربه اى: على ثقة من وعده ووعيده ويقين من ذلك . وغرتهم غفلتكم . والشدة: الحملة . والازل خفيف الوركين ، ووجه التشبيه سرعة الاخذ، ورحب الصدر كناية عن الفرح والسرور به، ونقاش الحساب استقصاؤه وادخل حسابه له فى الفضلاء فى خبر كان: تنبيهًا على أنه لم يبق عنده كذلك . وآفاه: جعله فيا، والفى: الغنيمة . والهوادة: المصالحة والمصانعة . وقوله فضح رويدا: كلمة يؤمر بها للتؤدة، واصلها الرجل يطعم ابله ضحى ويثيرها مسرعا للسير، فلا يشبعها فيقال: ضح رويدا اى: مهلا . والمدى: الغاية و هى الموت وما بعده . المناص: المهرب والمخلص، والنوص: التخلص . وشبهوا لات بليس، واضمروا فيها اسم الفاعل، وقد جاءت مرفوعة على أنها اسمها، ولا يستعمل لات إلا مع حين، وقيل: التاء زائدة كهى فى ثمت، وربت . ومعانى الكتاب ظاهرة، و بالله التوفيق .

٤١ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى عمر بن أبى سلمة المخزومى، وكان عامله على البحرين
فعرله، واستعمل نعمان بن عجلان الزرقى مكانه

أَمَا بَعْدُ، فَإِنِّى قَدْ وُلِّيتُ نَعْمَانَ بْنَ عَجْلَانَ الزُّرْقَى عَلَى الْبَحْرَيْنِ، وَنَزَعْتُ يَدَكَ بِلَا
ذَمِّ [لَكَ] وَلَا تَثْرِيْبٍ عَلَيْكَ؛ فَلَقَدْ أَحْسَنْتَ الْوِلَايَةَ، وَأَدَيْتَ الْأَمَانَةَ فَأَقْبِلْ غَيْرَ ظَنِينٍ، وَلَا
مَلُومٍ، وَلَا مُتَّهَمٍ، وَلَا مَأْتُومٍ. فَلَقَدْ أَرَدْتُ الْمَسِيرَ إِلَى ظَلَمَةِ أَهْلِ الشَّامِ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ تَشْهَدَ
مَعِى؛ فَإِنَّكَ مِمَّنْ اسْتَظْهَرُ بِهِ عَلَى جِهَادِ الْعَدُوِّ، وَإِقَامَةِ عَمُودِ الدِّينِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

اقول: هذا كان ريبًا لرسول الله صلى الله عليه وآله، و امه ام سلمة، و ابوه ابوسلمة
ابن عبد الاسد من بنى مخزوم . والنعمان بن عجلان، من سادات الانصار من بنى زريق .
والتثريب: التعنيف . والظنين: المتهم .

٤٢ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى مصقلة بن هبيرة الشيباني، وهو عامله على أردشير خرة

بَلَّغْنِي عَنْكَ أَمْرًا إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ إِلَهَكَ، وَأَغَضَبْتَ إِمَامَكَ : أَنْتَ تَقْسِمُ
فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِي حَازَتْهُ رِمَاحُهُمْ وَخُيُولُهُمْ، وَأَرِيقتَ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ، فِيمَنْ أَعْتَمَكَ مِنْ
أَعْرَابِ قَوْمِكَ . فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأ النَّسَمَةَ، لَئِنْ كَانَ ذَلِكَ حَقًّا لَتَجِدَنَّ بِكَ عَلَيَّ
هَوَانًا، وَلَتَخِفَّنَّ عِنْدِي مِيزَانًا، فَلَا تَسْتَهِنِ بِحَقِّ رَبِّكَ، وَلَا تُضْلِحِ دُنْيَاكَ بِمَحْقِ دِينِكَ ؛
فَتَكُونَنَّ مِنَ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا .

أَلَا وَإِنَّ حَقَّ مَنْ قَبْلَكَ وَقَبَلْنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي قِسْمَةِ هَذَا الْفَيْءِ سَوَاءٌ : يَرِدُونَ
عِنْدِي عَلَيْهِ، وَيَصُدُّونَ عَنْهُ . وَالسَّلَامُ .

اقول: اعتماك: اختارك للطلب. وخفة ميزانه: صغر منزلته عنده. وميزانا: تمييز.

٤٣ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى زياد بن ابيه، وقد بلغه أن معاوية كتب إليه يريد خديعته بأستلحافه

وَقَدْ عَرَفْتُ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْكَ يَسْتَرْلُ لُبَّكَ، وَيَسْتَفِلُّ غَرْبَكَ ؛ فَاخْذَرَهُ ؛ فَإِنَّمَا
هُوَ الشَّيْطَانُ : يَأْتِي الْمُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ؛ لِيَقْتَحِمَ
عَفْلَتَهُ، وَيَسْتَلِبَ غِرَّتَهُ .

وَقَدْ كَانَ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَلْتُهُ مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ، وَنَزَعَةٌ
مِنْ نَزَعَاتِ الشَّيْطَانِ : لَا يَثْبُتُ بِهَا نَسَبٌ، وَلَا يُسْتَحَقُّ بِهَا إِرْثٌ، وَالْمُتَعَلِّقُ بِهَا كَالْوَاغِلِ
الْمُدْفَعِ، وَالنَّوْطِ الْمُدْبَذِبِ .

فلما قرأ زياد الكتاب قال: شهد بها ورب الكعبة، ولم تزل في نفسه حتى ادعاه

معاويه. قال السيد- رحمه الله-: قوله- عليه السلام- «الواغل»: هو الذى يهجم على الشرب يشرب معهم، وليس منهم، فلا يزال مُدْفَعاً محاجزاً. و «النوط المذبذب»: هو ما يناط برجل الراكب من قعب أوقدح أو ما أشبه ذلك، فهو أبداً يتقلقل اذا حثَّ ظهره واستعجل سيره.

اقول: زياد هذا هو دعوى ابي سفيان، وولاه على عليه السلام فارس، فضبطها وحماها فكتب اليه معاوية يخدعه باستلحاقه أخاه فعلم عليه السلام بذلك فكتب اليه الكتاب.

وغرب السيف: حده. والاستفلال: طلب الفل، وهو الثلم وهو كناية عن كسر قوته فى نصح على عليه السلام، واتيانه من الجهات الأربع: كناية عن تمام حيلته فى الخدعة. قال سفيان الثورى رحمه الله: ما من صباح إلا ويقعد الشيطان على اربعة مراصد، من بين يدي، فيقول: لا تخف (فإن الله غفورٌ رحيمٌ) فاقراً وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى^١. ومن خلفي فيخونني الضيعة على مُخْلَفِي فأقرء: وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها^٢. ومن قبل يميني فيأتيني من جهةِ الثناء فاقراً: والعاقبة للمتقين^٣. ومن قبل شمالي فيأتيني من قبل الشهوات فاقراً: وحيل بينهم وبين ما يشتهون^٤.

و اما الفلته من ابي سفيان فى ادعائه اياه فهو: ما روى انه تكلم يوماً بحضرة عمر فأعجب الحاضرين كلامه، فقال عمرو بن العاص: لله ابوه لو كان قرشياً لساق العرب بعصاه، فقال ابوسفيان: والله انه لقرشى ولو عرفته لعرفت انه من خير اهلك، فقال: ومن ابوه؟ فقال: انا والله وضعت فى رحم امه، فقال: هلا تستلحقه؟ قال: اخاف هذا العَبْرَ الجالس ان يخرق على اهابى يعنى عمر. وحديث النفس الوسوسة و كونها نزعة من نزعات الشيطان: باعتبار انها على غير وجه شرعى وفيها اقرار بالزنا. وشبه المتوغل فى

١ - سورة طه / ٨٢.

٢ - سورة هود / ٦.

٣ - سورة القصص / ٨٣.

٤ - سورة سبأ / ٥٤.

هذا النسب اى: الداخل فيه بامعان بالواغل، ووجه الشبه كونه لايزال مدفعا عنه، كما يدفع الواغل عن الشراب و كذلك تشبيهه بالنوط المذبذب، باعتبار أنه لا يستقر بنسبه. والتذبذب التحرك والتردد.

٤٤ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى عثمان بن حنيف الأنصارى، وهو عامله على البصرة
وقد بلغه أنه دُعِيَ إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها

أَمَا بَعْدُ يَا أَبْنَ حُنَيْفٍ: فَقَدْ بَلَّغْنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ فِئْتِةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إِلَى مَادِيَةٍ فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا تُسْتَظَابُ لَكَ الْأَلْوَانُ، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ! وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ عَائِلُهُمْ مَجْفُوءٌ، وَغَنِيَّتُهُمْ مَدْعُوءٌ؛ فَاَنْظُرْ إِلَى مَا تَقْضَمُهُ مِنْ هَذَا الْمَقْضَمِ، فَمَا أَشَبَّهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظَةُ؛ وَمَا أَتَقَنَّتَ بِطِيبِ وُجُوهِهِ فَنَلَّ مِنْهُ.

أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَامًا يُقْتَدَى بِهِ وَيَسْتَضِيءُ بِشُورِ عِلْمِهِ، أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدْ اِكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطَمَرِنِيهِ، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصِيهِ، أَلَا وَإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَكِنْ أَعْيُنُونِي بِوَرَعٍ وَأَجْتِهَادٍ، وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ. فَوَاللَّهِ مَا كَثُرَتْ مِنْ دُنْيَاكُمْ تَبْرًا وَلَا أَدْخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفَرًا، وَلَا أَعْدَدْتُ لِيَالِي تَوْبِي طِمْرًا. بَلَى؟ كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَدَكِّ مِنْ كُلِّ مَا أَظْلَمَهُ السَّمَاءُ، فَسَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ، وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ آخَرِينَ. وَنِعْمَ الْحَكَمُ لِلَّهِ! وَمَا أَصْنَعُ بِفَدِّكَ وَغَيْرِ فَدِّكَ وَالنَّفْسُ مَظَانُّهَا فِي غَدِّ جَدَّتْ؟ تَنْقَطِعُ فِي ظُلْمَتِهِ آثَارُهَا وَتَغِيْبُ أَخْبَارُهَا، وَحُفْرَةٌ لُوْزِيْدَةٍ فِي فُسْحَتِهَا، وَأَوْسَعَتْ يَدَا حَافِرِهَا لِأَضْغَطِهَا الْحَجْرُ وَالْمَدْرُ، وَسَدَّ فُرْجَهَا التَّرَابُ الْمُتْرَاكِمُ، وَإِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الْأَكْبَرِ، وَتَنْبِتَ عَلَى جَوَانِبِ الْمَزَلَقِ، وَلَوْ شِئْتُ لَأَهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفَى هَذَا الْعَسَلِ وَلُبَابِ هَذَا الْقَمْحِ، وَنَسَائِجِ هَذَا الْقَرِّ، وَلَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَيَقُوْدَنِي جَشَعِي إِلَى تَخْسِيرِ الْأَطْعِمَةِ، وَلَعَلَّ بِالْحِجَارِ أَوْ الْيَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ، وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالسَّبِيحِ!! أَوْ أُبَيْتَ مِبْطَانًا وَحَوْلِي بَطُونٌ غَرْمِي، وَأَكْبَادٌ حَرْمِي!! أَوْ أَكُونُ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَبَيْتَ بِيْطْنَةَ وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحِنُّ إِلَى الْقِدَا!

أَفْنَعُ مِنْ نَفْسِي بَأَنْ يُقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا أَشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ؟ أَوْ أَكُونُ أَسْوَأَ لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ، فَمَا خُلِقْتُ لِشِغْلِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ هَمُّهَا عَلْفُهَا، أَوْ الْمُرْسَلَةِ شُغْلُهَا تَقْمُّمُهَا، تَكْتَرِشُ مِنْ أَغْلَافِهَا، وَتَلْهُوَعَمَّا يُرَادُ بِهَا، أَوْ أَتْرِكَ سُدَى وَأَهْمَلَ غَابِثًا، أَوْ لُجْرَ حَبْلِ الضَّلَالَةِ، أَوْ أَغْتَسِفَ طَرِيقَ الْمَتَاهَةِ. وَكَأَنِّي بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ: «إِذَا كَانَ هَذَا قُوتُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَدْ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ عَنْ قِتَالِ الْأَقْرَانِ وَ مُتَازَلَةِ الشُّجْعَانِ»؟! أَلَا وَإِنَّ الشَّجَرَةَ الْبَرِيَّةَ أَضْلَبُ عُودًا، وَالرَّوَابِعُ الْخَضِرَةَ أَرْقُ جُلُودًا، وَالنَّبَاتَاتُ الْبَدْوِيَّةُ أَقْوَى وَقُودًا وَأَبْطَأُ خُمُودًا! وَأَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ كَالصَّنُومِ مِنَ الصَّنُوءِ، وَالذَّرَاعُ مِنَ الْعَصْدِ. وَاللَّهُ لَوُ تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَا وَلَّيْتُ عَنْهَا، وَلَوْ أَمَكَّنَتِ الْفُرَصُ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا. وَمَسَاجِدُهُ فِي أَنْ أُظْهِرَ الْأَرْضَ مِنْ هَذَا الشَّخْصِ الْمَعْكُوسِ، وَالْجِسْمِ الْمَرْكُوسِ حَتَّى تَخْرُجَ الْمَدْرَةُ مِنْ بَيْنِ حَبِّ الْحَصِيدِ.

إِلَيْكَ عَنِّي يَا ذُنَيْبًا فَحَبْلُكَ عَلَى غَارِبِكَ، قَدِ انْسَلَّتْ مِنْ مَخَالِبِكَ، وَأَقَلَّتْ مِنْ حَبَائِلِكَ، وَاجْتَنَبْتُ الدَّهَابَ فِي مَدَاحِصِكَ. أَيْنَ الْقَوْمُ الَّذِينَ غَرَزْتَهُمْ بِمَدَاعِيكَ؟ أَيْنَ الْأُمَمُ الَّذِينَ فَتَشْتَهُمْ بِزِخَارِفِكَ؟ هَاهُمْ رَهَائِنُ الْقُبُورِ، وَمَضَامِينُ اللُّحُودِ! وَاللَّهُ لَوْ كُنْتُ شَخْصًا مَرِيئًا، وَقَالِيَا حِسِيًّا؛ لَأَقَمْتُ عَلَيْكَ حُدُودَ اللَّهِ فِي عِبَادِ غَرَزْتَهُمْ بِالْأَمَانِي، وَأُمَمِ الْقَيْتِيهِمْ فِي الْمَهَاوِي، وَمُلُوكِ أَسْلَمْتِيهِمْ إِلَى التَّلْفِ وَأُورَدْتَهُمْ مَوَارِدَ الْبَلَاءِ؛ إِذْ لَا وَرْدَ وَلَا صَدْرَ. هَيْهَاتَ مَنْ وَطِئَ دَحْضِكَ زَلِقَ، وَمَنْ رَكِبَ لُجْبَكَ غَرِقَ، وَمَنْ آزُرَّ عَنْ جِبَالِكَ وَفَّقَ، وَالسَّالِمُ مِنْكَ لَا يُبَالِي إِنْ ضَاقَ بِهِ مَتَاخُهُ، وَالذُّنْيَا عِنْدَهُ كَيَوْمِ حَانَ انْسِلَاخُهُ.

أُعْزِبِي عَنِّي؛ فَوَاللَّهِ لَا أَذِلُّ لَكَ فَتَسْتَدْلِينِي، وَلَا أَسْلُسُ لَكَ فَتَقُودِينِي؛ وَأَيْمُ اللَّهِ يَمِينًا بَرَّةً أَسْتَشْنِي فِيهَا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ. لِأَرُوضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهَشُّ مَعَهَا إِلَى الْقُرْصِ إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ مَطْعُومًا، وَتَقْنَعُ بِالْمَلْحِ مَا دُومًا؛ وَلَا دَعَنَّ مُقْلَتِي كَعَيْنِ مَاءٍ نَضَبَ مَعِينُهَا مُسْتَفْرَغَةً دُمُوعُهَا. أَتَمْتَلِي السَّائِمَةَ مِنْ رَغِيهَا فَتَبْرُكُ؟ وَتَشْبَعُ الرَّيْبِيضَةَ مِنْ عُشْبِهَا فَتَرِيضُ؟ وَيَأْكُلُ عَلِيٌّ مِنْ زَاوِيهِ فَيَهْجَعُ؟ قَرَّتْ إِذَا عَيْنُهُ إِذَا افْتَدَى بَعْدَ السَّنِينَ الْمُتَطَاوَلَةَ بِالْبَهِيمَةِ الْهَامِلَةِ، وَالسَّائِمَةَ الْمَرْعِيَّةَ!

طُوبَى لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلَى رَبِّهَا فَرَضَهَا؛ وَعَرَّكَتْ بِجَنْبِهَا بُوَسَّهَا؛ وَهَجَرَتْ فِي اللَّيْلِ

عُمُضَهَا، حَتَّى إِذَا غَلَبَ الْكُرَى عَلَيْهَا أَفْتَرَشَتْ أَرْضَهَا، وَتَوَسَّدَتْ كَفَّهَا؛ فِي مَعْشَرِ أَشْهَرِ
 عُيُونِهِمْ خَوْفٌ مَعَادِيهِمْ، وَتَجَافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ وَهَمَّهَمَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شِفَاهُهُمْ،
 وَتَقَشَّعَتْ بِطُولِ اسْتِغْفَارِهِمْ ذُنُوبُهُمْ (أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) ١ .
 فَاتَّقِ اللَّهَ يَا أَبْنِ حَنِيفٍ، وَلْتَكُنْكَ أَقْرَابُكَ؛ لِيَكُونَ مِنَ النَّارِ خَلَاصُكَ .

اقول: المأدبة بالضم: الطعام يدعى اليه، و العائل: الفقير. والقضم: الأكل. وعلمه
 اى: علم حله و حرامه. والظمر: الثوب الخلق و طمراه: كانا عمامة و مدرعة قد استحيا
 من راقعها. و قرصاه: كانا من شعير غير منخول. و اراد بالورع هنا: الكف عن المحارم.
 والوفر: المال الكثير. وفدك: قرية كانت لرسول الله عليه و آله خاصة صالح اهلها على
 النصف بعد فتح خيبر، و اجماع الشيعة على انه اعطاها فاطمة عليها السلام فى حياته^٢
 فلما ولى ابوبكر الخلافة، عزم على اخذها منها فارسلت اليه تطلب ميراثها من رسول
 صلى الله عليه وآله، و يقول: انه اعطاني فدكا فى حياته، و استشهدت على ذلك عليا و ام
 ايمن، فشهدا لها بها، فأجابها عن الميراث بخبر رواه و هو (نحن معاشر الانبياء لانورث ما
 تركناه فهو صدقة) و عن دعوى فدك انها لم تكن للنبى صلى الله عليه وآله، و انما كانت
 مالا للمسلمين فى يده يحمل به الرجال و ينفقه فى سبيل الله و انا اليه، كما كان يليه فلما
 بلغها ذلك لاثت و اقبلت فى لمة من حفدتها، و نساء قومها تطأ فى ذبولها حتى دخلت
 عليه و معه، جل المهاجرين و الانصار، فضربت بينها و بينهم قطيفة، ثم انت انة اجهش
 لها القوم بالبكاء، ثم امهلت طويلا حتى سكتوا من فورتهم ثم خطبت خطبة طويلة^٣ ذكرنا
 مختصرا منها فى الأصل، تشتمل على توبيخ الجماعة و تقصيرهم فى حقها، ثم رجعت
 الى بيتها، و اقسمت ان لا تكلم ابابكر، و لتدعون الله عليه^٤، و لم تزل كذلك حتى
 حضرتها الوفاة، فاوصت ان لا يصلى عليها، فصلى ء ايها العباس و دفنت ليلا^٥ و اشار

١ - سورة المجادلة / ٢٢ .

٢ - الغدير ٧ / ١٩٤ .

٣ - السقيفة و فدك / ٩٨ . شرح ابن ابى الحديد ١٦ / ٢١١ . كشف الغمة ١ / ٤٨١ .

٤ - الامامة و السياسة ١ / ١٤ . اعلام النساء ٣ / ١٢١٥ .

٥ - الغدير ٧ / ١٩١ .

بالنفوس التي سخت عنها الى بنى هاشم. وقوله: وانما هي، اي: وانما همتي و حاجتي نفسي، ورياضتها ورياضة النفس مأخوذة من رياضة البهيمة، وهي منعها عن الاقدام على حركات غير صالحة لصاحبها.

فالقوة الحيوانية التي هي مبدأ الادراكات والافعال، اذا لم تكن مطيعة للقوة العاقلة كانت بمنزلة بهيمة لم ترض فهي تتبع الشهوة تارة، والغضب اخرى. وتستخدم القوة العاقلة في تحصيل مراداتها فتكون هي اقامة، والعاقلة مؤتمرة. اما اذا راضتها القوة العاقلة حتى صارت مؤتمرة لها متمرنة على ما يقتضيه العقل العملي، تأتمر بأمره وتنتهي بنهيه كانت العاقلة مطمئنة لا تفعل افعالا مختلفة المبادئ، وكانت باقى القوى مسالمة لها، اذا عرفت ذلك فنقول: لما كان الغرض الاقصى من رياضة الانسان نفسه انما هو نيل الكمال الحقيقي، ولا بد له من استعداد، وكان ذلك الاستعداد موقوفا على زوال الموانع الخارجية والداخلية، كانت للرياضة اغراض ثلاثة:

احدها، حذف كل محبوب ومرغوب عدا الحق سبحانه عن القصد، وهو حذف الموانع الخارجية.

والثاني، تطويع النفس الامارة بالنفس المطمئنة فينجذب التخيل، والتوهم عن الجانب السفلى الى العلوى ويتبعهما سائر القوى فتزول الدواعي الحيوانية، وهو حذف الموانع الداخلية.

والثالث، توجيه السر الى الجنة العالية لتلقى السوانح الالهية واقتناصها. ويعين على الاول الزهد الحقيقي، وهو الاعراض عن متاع الدنيا، وطيباتها بالقلب. وعلى الثاني العبادة المشفوعة بالفكر فى ملكوت السماوات والارض، وعظمة الله سبحانه والأعمال الصالحة المنوية لوجهه خالصا، وعبر عن هذه الأمور المعينة بالتقوى التي يروض نفسه بها. ونبه على بعض لوازم الغاية، بقوله: لتأتى، الى قوله المزلق: وهو الصراط المستقيم. والقمح: الحنطة والجشع: اشد الحرص على الطعام. والمبيطان عظيم البطن من كثرة الأكل. وغرثى: جائعة، وكبد حرى: عطشى. وجشوبة العيش: غلظه. التقمم: تتبع القمامة وهي الكناساة. والاكراش: ملاء الكرش. وسدى اي: مهملا. والمتاهة: موضع التيه والحيرة. والروائع: الاشجار التي تروع بنضارتها. والغدية التي لا يسقيها الا المطر.

وشبه نفسه من رسول الله صلى الله عليه وآله بالصنوم من الصنوم، وهما: النخلتان
يجمعهما اصل واحد، وهو وجه الشبه. وكذلك تشبيهه منه بالذراع من العضد ووجه الشبه
كونه ذراعاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله في المعاونة والمعاوضة كالذراع. وتظاهرت:
تعاونت. وقوله: لسارعت اليها اي: حين القتال لكفرهم وعداوتهم للحق، وقبح العفو
عنهم حينئذ. و اشار بالشخص المعكوس والجسم المنكوس: الى معاوية، وجعله مجرد
جسم كأنه خال عن النفس الانسانية، لا تباعه الكمالات الجسمانية دون العقلية. و كونه
منكوساً ومعكوساً: باعتبار التفاته عن الامور العالية وانتكاسه عن تلقي الكمالات
الروحانية، وانعكاس وجه عقله عن القبلة الحقيقية الى تحصيل الدنيا والعناية بها. واستعار
لفظ المدرة: له وحبّ الحصيد للمؤمنين، ووجه المشابهة: أنه يخلص المؤمنين من وجوده
بينهم، لئلا يفسد عقائدهم ويستغويهم كما يفعل اهل البيادر من تصفية غلاتهم من المدر
وغيره. واستعار لفظ المداحض وهي المزالق لطرق تحصيلها التي هي مظنة الزلق،
والوقوع في الرذائل المهلكة. و لفظ المضامين للموتى: ملاحظة لشبههم في اللحد بالأجنة
في بطون امهاتهم. وازور أخذ جانباً واعزبي: ابعدي. وهش الى كذا: انطلق وجهه
بشراً به. والهشاشة: طلاقة الوجه. وسلمس بالفتح: يسلمس بالكسر، سهل قياده. والمعين:
الماء الجاري. والربيضة: الجماعة الرابضة من الغنم. وقوله: وعركت بجانبها بؤسها: كناية
عن الصبر على الشدائد، يقال: عرك فلان بجانبه الاذى: اذا اغضى عمن يؤذيه وصبر
عليه. واستعار وصف التقشع: لزوال الذنوب عن لوح النفس ملاحظة لشبهه بالسحاب
المنجاب عن وجه السماء. وبالله التوفيق.

٤٥ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى بعض عماله

أَمَا بَعْدُ؛ فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ، وَأَقْمَعُ بِهِ نَحْوَةَ الْأَثِيمِ وَأَسُدُّ بِهِ
لَهَاءَ الثُّغْرِ الْمَخُوفِ. فَاسْتَعِينِ بِاللَّهِ عَلَى مَا أَمَّكَ، وَأَخْلِطِ الشَّدَّةَ بِضَعْفِ مِنَ اللَّيْنِ، وَأَرْفُقْ

١ - في ش: فرعاً.

مَا كَانَ الرَّفْقُ أَرْفَقَ، وَأَعْتَزِمُ بِالشَّدَةِ حِينَ لَا يُغْنِي عَنْكَ إِلَّا الشَّدَةُ، وَأَخْفِضُ لِلرَّعِيَّةِ جَنَاحَكَ، وَأَبْسُطُ لَهُمْ وَجْهَكَ، وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ، وَآسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظَرَةِ، وَالْإِشَارَةِ وَالتَّحِيَّةِ، حَتَّى لَا يَظْمَعَ الْعُظْمَاءُ فِي حَيْفِكَ، وَلَا يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ.

اقول: النخوة: الكبر. والأثيم: الآثم. ولفظ اللهاة: مستعار للشعر لحاجته الى من يسده ويمنعه كالحيوان المفترس وهو تجريد للاستعارة. والضغث: النصيب من الشيء. واعتزم الرجل الطريق مضى فيه لا ينثنى، و اراد ان كل امر لا يغنيك فيه الا الشدة فامض فيه بالشدة. وآس: اى سؤ.

٤٦ - وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

للحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم لعنه الله

أَوْصِيكُمْمَّا بَتَّقُوا اللَّهَ، وَأَنْ لَا تَبْغِيَا الدُّنْيَا وَإِنْ بَغَيْتُمْمَا، وَلَا تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا زُورِي عَنْكُمْمَا، وَقُولَا بِالْحَقِّ، وَأَعْمَلَا لِلْآخِرِ، وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَضَمًا وَلِلْمَظْلُومِ عَوْنًا.
أَوْصِيكُمْمَا، وَجَمِيعَ وِلْدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي، بَتَّقُوا اللَّهَ، وَنَظِمِ أَمْرَكُمْ، وَصَلِّحِ ذَاتَ بَيْنِكُمْ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمْمَا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «صَلِّحِ ذَاتَ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ» اللَّهُ اللَّهُ فِي الْإِيْتَامِ؛ فَلَا تُغْبُوا أَفْوَاهَهُمْ، وَلَا يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ، وَاللَّهُ اللَّهُ فِي جِيرَانِكُمْ؛ فَإِنَّهُمْ وَصِيَّةُ نَبِيِّكُمْ، مَا زَالَ يُوصِي بِهِمْ حَتَّى ظَنَّنَا أَنَّهُ سَيُورَثُهُمْ، وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ؛ لَا يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ، وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الصَّلَاةِ؛ فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ، وَاللَّهُ اللَّهُ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ؛ لَا تَخْلُوهُ مَا بَقِيْتُمْ؛ فَإِنَّهُ إِنْ تَرِكَ لَمْ تَنَظَرُوا، وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَالسِّيْتِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ وَعَلَيْكُمْمَّا بِالتَّوَاصُلِ وَالتَّبَادُلِ، وَإِيَّاكُمْمَّا وَالتَّدَابُرَ وَالتَّقَاطُعَ، لَا تَشْرِكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالتَّنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ فَيُؤَلَّى عَلَيْكُمْمَّا شِرَارُكُمْ ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ ثُمَّ قَالَ:

يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أَلْفِيَنَّكُمْ تَخُوضُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ حَوْضًا تَقُولُونَ: قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، أَلَا! لَا تَقْتُلُنَّ بِي إِلَّا قَاتِلِي.

أَنْظُرُوا إِذَا أَنَا مَيْتُ مِنْ ضَرْبَتِهِ هُدِيهِ فَأَضْرِبُوهُ ضَرْبَةً بِضَرْبَتِي، وَلَا يُمَثَّلُ بِالرَّجُلِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِيَّاكُمْ وَالْمُثَلَّةَ، وَلَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ»^١.

اقول: بغيت كذا: اردته. وزوى: غيب. وذات البين: كناية عن الحالة الموجبة للافتراق. واغباب افواههم: ان يطعموهم يوما ويتركوهم يوما. والمناظرة: المراقبة اى: لم تُراقبوا من الله ومن الخلق لإهما لكم أمر دينكم، وبيت ربكم: اذ فى المحافظة عليه عز بالله، واعتصام به، يوجب مراعاة الخلق. والتدابير: التقاطع والتعاضد. والفيتة: وجدته. وخوض الدماء: كناية عن كثرة القتل.

٤٧ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى معاوية

وَإِنَّ الْبَغْيَ وَالزُّورَ يُوتَغَانِ الْمَرْءَ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَيُؤَدِّيَانِ خَلْلَهُ عِنْدَ مَنْ يَعْيبُهُ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّكَ غَيْرُ مُدْرِكٍ مَا قُضِيَ فَوَاتُهُ، وَقَدْ رَامَ أَقْوَامٌ أَمْرًا بِغَيْرِ الْحَقِّ فَتَأَوَّلُوا عَلَى اللَّهِ فَأَكْذَبَهُمْ؛ فَاخْذَرْ يَوْمًا يَغْتَبِطُ فِيهِ مَنْ أَحْمَدَ عَاقِبَةَ عَمَلِهِ، وَيَتَنَدَّمُ مَنْ أَمَكَّنَ الشَّيْطَانَ مِنْ قِيَادِهِ فَلَمْ يُجَازِبْهُ.

وَقَدْ دَعَوْتَنَا إِلَى حُكْمِ الْقُرْآنِ وَنَسْتُ مِنْ أَهْلِهِ وَنَسْنَا إِيَّاكَ أَجَبْنَا، وَلَكِنَّا أَجَبْنَا الْقُرْآنَ فِي حُكْمِهِ، وَالسَّلَامُ.

اقول: الوتغ: بالتحريك الهلاك. ويوتغانه: يهلكانه. وما قضى فواته: هونصرة عثمان التى كانت تنبغى فى حياته ولا يمكن دركها بعد فواتها المقضى. ويحتمل ان يريد الامال الدنيوية التى لا تدرك. والذين راموا غير الحق: اصحاب الجمل. وتأولهم على الله: اظهارهم للتمسك فى حربهم بما دل عليه القرآن الكريم، من الامر بالمعروف

١ - النهاية ٤/٢٩٤.

والنهي عن المنكر في الطلب بدم عثمان. و اكداب الله لهم: بدم الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه، و وعيدهم اذ نقضوا بيعته عليه السلام. و قيل: بنصره عليهم. و قيل: تأولهم على الله تمسكهم بقوله: (اطيعوا الله و اطيعوا الرسول و اولى الامر منكم) ^١ و تسميتهم لمن نصبوه من قبلهم اميراً اولى الامر فاكذبهم الله بكونهم ظالمين بغاة. و يغتبط: يسر. و روى تغبط اى: يتمنى الناس مثل حاله. و قد مضى ذكر التحكيم.

٤٨ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى غيره

أَمَا بَعْدُ؛ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَشْغَلَةٌ عَنْ غَيْرِهَا؛ وَ لَمْ يُصِبْ صَاحِبُهَا مِنْهَا شَيْئاً إِلَّا فَتَحَتْ لَهُ حِرْصاً عَلَيْهَا، وَ لَهَجَ بِهَا، وَ لَنْ يَسْتَفْنِي صَاحِبُهَا بِمَا نَالَ فِيهَا عَمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ مِنْهَا، وَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ فِرَاقٌ مَا جَمَعَ، وَ نَقْضٌ مَا أَبْرَمَ! وَ لَوْ اغْتَبَرْتُ بِمَا مَضَى حَفِظْتُ مَا بَقِيَ؛ وَ السَّلَامُ.

اقول: اللهج بالفتح: الحرص الشديد. و حاصل الكتاب: التنفير عن الدنيا بذكر معاييبها. و ما أبرم اى: احكم من امورها. و حفظت ما بقى اى: من العمر، كى لا يضيع فى الباطل.

٤٩ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى امرائه على الجيوش

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَصْحَابِ الْمَسَاحِجِ:
أَمَا بَعْدُ؛ فَإِنَّ حَقًّا عَلَى الْوَالِي أَنْ لَا يُغَيِّرَهُ عَلَى رَعِيَّتِهِ فَضْلٌ نَالَ، وَلَا طَوْلٌ خُصَّ بِهِ،
وَأَنْ يَرِيدَهُ مَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ مِنْ نِعَمِهِ دُنُوًّا مِنْ عِبَادِهِ، وَ عَظْفًا عَلَى إِخْوَانِهِ.
أَلَا وَ إِنَّ لَكُمْ عِيْدِي أَنْ لَا أُحْتَجِّزَ دُونَكُمْ سِرًّا إِلَّا فِي حَرْبٍ، وَلَا أُطَوَّى دُونَكُمْ أَمْرًا

١ - سورة النساء / ٥٩.

إِلَّا فِي حُكْمٍ، وَلَا أُؤَخِّرْ لَكُمْ حَقًّا عَن مَّحَلِّهِ، وَلَا أَقِفَ بِهِ دُونَ مَقْطَعِهِ. وَأَنْ تَكُونُوا عِنْدِي فِي الْحَقِّ سَوَاءً؛ فَإِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ وَجَبَتْ لَكُمْ النِّعْمَةُ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ الطَّاعَةُ؛ وَأَنْ لَا تَتَكَبَّرُوا عَن دَعْوَةٍ، وَلَا تَفَرِّطُوا فِي صَلَاحٍ، وَأَنْ تَخُوضُوا الْغَمَرَاتِ إِلَى الْحَقِّ، فَإِنَّ أَنْتُمْ لَمْ تَسْتَقِيمُوا [إِلَى] عَلَيَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِمَّنْ أَعْوَجَّ مِنْكُمْ، ثُمَّ أُعْظِمُ لَهُ الْعُقُوبَةَ وَلَا يَجِدُ عِنْدِي فِيهَا رُحْمَةً، فَخُذُوا هَذَا مِنْ أَمْرَائِكُمْ، وَأَعْظُوهُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مَا يُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ أَمْرَكُمْ ١.

اقول: احتجز: امنع واحفظ. واستثنى الحرب، لأن الاعلام بها مظنة المفسدة من بعضهم، اما لكرهتهم لها اولخوف انتشار الحال الى العدو، فتكون سبب حذره وتأهبه، ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا اراد حرب قوم ورى بالسفر الى جهة اخرى. وكذلك استثنى الحكم لأن احكام الله لا مشورة في امضائها وتركها، والذي لا يقف به دون مقطعه كالحكام المتعلقة بالمتخاصمين، فانه لم يكن يقف فيها دون فصلها مراقبة لأحد منهما. والغمرات: الشدائد.

مركز تحقيقات كويت علوم إسلامية

٥٠ - وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إِلَى عَمَالِهِ عَلَى الْخَرَاجِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلَيَّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَصْحَابِ الْخَرَاجِ:
أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَخْذَرْ مَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ لَمْ يُقَدِّمْ لِنَفْسِهِ مَا يُخْرِزُهَا. وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا كَلَّفْتُمْ يَسِيرٌ، وَأَنَّ ثَوَابَهُ كَثِيرٌ. وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيمَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ عِقَابٌ يُخَافُ لَكَانَ فِي ثَوَابِ اجْتِنَابِهِ مَا لَا عُذْرَ فِي تَرْكِ طَلْبِهِ. فَأَنْصِفُوا النَّاسَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَأَضْبِرُوا لِحَوَائِجِهِمْ فَإِنَّكُمْ خُزَّانُ الرَّعِيَّةِ، وَوَكَلَاءُ الْأُمَّةِ، وَسُقْرَاءُ الْأَيْمَةِ. وَلَا تَحْسَبُوا أَحَدًا عَن حَاجَتِهِ، وَلَا تَحْسَبُوهُ عَن طَلِبَتِهِ، وَلَا تَسْبِعَنَّ لِلنَّاسِ فِي الْخَرَاجِ كِسْفَةَ شِتَاءٍ وَلَا صَيْفٍ وَلَا ذَابَّةً يَغْتَمِلُونَ عَلَيْهَا، وَلَا عَبْدًا، وَلَا تَضْرِبَنَّ أَحَدًا سَوْطًا لِمَكَانٍ دَرَاهِمٍ، وَ

لَا تَمَسُّنَّ مَانَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ مُصَلٍِّ وَلَا مُعَاهِدٍ إِلَّا أَنْ تَجِدُوا فَرَسًا أَوْ سِلَاحًا يُعَدَى بِهِ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَدَعَ ذَلِكَ فِي أَيْدِي أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ فَيَكُونَ شَوْكَةً عَلَيْهِ، وَلَا تَدَّخِرُوا أَنْفُسَكُمْ نَصِيحَةً، وَلَا الْجُنْدَ حُسْنَ سِيرَةٍ وَلَا الرَّعِيَّةَ مَعُونَةً، وَلَا دِينَ اللَّهِ قُوَّةً، وَأَبْلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا اسْتَوْجَبَ عَلَيْكُمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ، سُبْحَانَهُ، قَدِ اصْطَنَعَ عِنْدَنَا وَعِنْدَكُمْ أَنْ نَشْكُرَهُ بِجُهْدِنَا، وَأَنْ نَنْصُرَهُ بِمَا بَلَغَتْ قُوَّتُنَا، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

اقول: السفراء: الرسل. وتحشموا اي: تفضبوا وتخجلوا. والمصلى: المسلم. والمعاهد: الذمى. والشوكة: القوة. والضمير في عليهم: لأهل الاسلام. وأبلوا أى: اعطوا، يقال: ابلته معروفًا اي: اعطيته. وقوله: اصطنع، الى قوله: ان نشكره اي: جعل شكرنا له صنيعه عندنا، ووفقنا لذلك. وقيل: اراد لأن نشكره.

٥١ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إِلَى أَمْرَاءِ الْبِلَادِ فِي مَعْنَى الصَّلَاةِ

مَرْحَمَةُ تَكْوِينِ عِلْمِ رَسُوْلِي

أَمَّا بَعْدُ، فَصَلُّوا بِالنَّاسِ الظُّهَرَ حِينَ تَفِيءُ الشَّمْسُ مِثْلَ مَرَبِضِ الْعُزْرِ، وَصَلُّوا بِهِمُ الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ بِيضَاءُ حَيَّةٌ فِي عُضُومِ النَّهَارِ حِينَ يُسَارُ فِيهَا فَرَسَخَانِ، وَصَلُّوا بِهِمُ الْمَغْرِبَ حِينَ يُفْطِرُ الصَّائِمُ وَيَدْفَعُ الْحَاجَّ، وَصَلُّوا بِهِمُ الْعِشَاءَ حِينَ يَتَوَارَى الشَّفَقُ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ، وَصَلُّوا بِهِمُ الْغَدَاةَ وَالرَّجُلُ يَعْرِفُ وَجْهَ صَاحِبِهِ، وَصَلُّوا بِهِمُ صَلَاةَ أَوْعَفِهِمْ وَلَا تَكُونُوا فِتْنَيْنِ.

اقول: في الشمس: رجوعها عن القيام وزوالها. وبيضاء: لم تصفر للمغيب. والعضو هاهنا: القطعة. والضمير في قوله فيها: اما للشمس او للعضو باعتبار كونه قطعة. ويدفع الحاج اي: يفيض من عرفات، ولشهرة هاتين العلامتين عرف الوقت بهما. و يتوارى الشفق اي: من المغرب. و صلاة اضعفهم: كناية عن الصلاة الخفيفة التي يقدر على القيام بها الشيخ الهم والضعيف. و فتانين أى: بإطالة الصلاة والقراءة فانها تشبه الابتلاء بالأمر الشاق المعجز للضعفاء عن صلاة الجماعة ولزومها.

٥٢ - وَمِنْ عَهْدِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

كتبه للأشتر النخعي رحمه الله، لما ولاه على مصر و أعمالها
حين اضطرب أمر محمد بن أبي بكر، وهو أطول عهد
كتبه وأجمعه للمحاسن^١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَذَا مَا أَمَرِيهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْترِ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ،
حِينَ وُلِّاهُ مِصْرَ: جِبَايَةَ خَرَاجِهَا، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا، وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا، وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا.
أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَإِثَارِ طَاعَتِهِ، وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرِيهِ فِي كِتَابِيهِ: مِنْ فَرَائِضِهِ، وَسُنَنِهِ،
الَّتِي لَا يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا، وَلَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا، وَأَنْ يَنْصُرَ اللَّهَ
سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ وَيَدِهِ وَلِسَانِهِ؛ فَإِنَّهُ، جَلَّ إِسْمُهُ، قَدْ تَكْفَّلَ بِنَصْرٍ مِنْ نَصْرِهِ، وَإِعْزَازٍ مِنْ أَعْزِهِ.
وَأَمْرُهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَيَرْعَى عِنْدَ الْجَمَحَاتِ؛ فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَارَةٌ بِالسُّوءِ،
إِلَّا مَا رَجَمَ اللَّهُ.

مرکز تحقیق و ترویج علوم و معارف اسلامی

ثُمَّ أَعْلَمَ، يَا مَالِكُ أَنْتَى قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا ذُولُ قَبْلِكَ مِنْ عَدَلٍ
وَجُورٍ، وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوَلَاةِ قَبْلَكَ،
وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ، وَإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللَّهُ لَهُمْ
عَلَى أَلْسِنِ عِبَادِهِ، فَلْيَكُنْ أَحَبُّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَاْمَلِكْ هَوَاكَ وَشَحَّ
بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ فَإِنَّ الشَّحَّ بِالنَّفْسِ الْإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ. وَأَشْعِرْ
قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا ضَارِيًا تَعْتَنِيهِمْ
أَكْلَهُمْ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخُ لَكَ فِي الدِّينِ، أَوْ نَظِيرُ لَكَ فِي الْخَلْقِ، يَفْرُطُ مِنْهُمْ الزَّلْلُ،
وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ، وَيُوتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَا. فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ
مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ،

١ - تصدى الى شرحه ونقله الى سائر اللغات نفر من اعلام العلم والادب. الذريعة ٤/١١٨ وج ١٣/٣٧٣.

وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلَا آتِ لَكَ بِنِقْمَتِهِ، وَلَا غِنَىٰ بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَلَا تَنْدَمَنَّ عَلَىٰ عَفْوِهِ، وَلَا تَبْجَحَنَّ بِعُفُوبِهِ، وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَىٰ بَادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مَنُذُوحَةً، وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ أَمْرٌ فَأُطَاعَ فَإِنَّ ذَلِكَ إِذْغَالٌ فِي الْقَلْبِ، وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ، وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغَيْبِ. وَإِذَا أَحَدْتَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أَبْهَةً أَوْ مَخِيلَةً فَانظُرْ إِلَىٰ عِظَمِ مُلْكِ اللَّهِ فَوْقَكَ وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَىٰ مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يُظَا مِنْ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ، وَيَكْفُ عَنْكَ مِنْ غَرَبِكَ، وَيَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا غَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ.

إِيَّاكَ وَ مُسَامَاةَ اللَّهِ فِي عَظَمَتِهِ وَالتَّشْبَهُ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ.

أَنْصِفِ اللَّهَ وَ أَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَ مِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَ مَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ؛ فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمُ! وَ مَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصَمَهُ دُونَ عِبَادِهِ، وَ مَنْ خَاصَمَهُ اللَّهُ أَذْخَصَ حُجَّتَهُ وَ كَانَ اللَّهُ حَرْبًا حَتَّىٰ يَنْزِعَ وَيَتُوبَ وَ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَىٰ إِلَىٰ تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ وَ تَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةِ عُلَىٰ ظُلْمٍ، فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُضْطَهَّدِينَ وَ هُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ.

مرکز تحقیق و ترویج علوم اسلامی

وَ لِيَكُنْ أَحَبُّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَ أَعَمَّهَا فِي الْعَدْلِ وَ أَجْمَعَهَا لِرِضَا الرَّعِيَّةِ؛ فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بَرِيضًا الْخَاصَّةِ وَ إِنْ سُخِطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَا الْعَامَّةِ. وَ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَىٰ الْوَالِيِّ مَوْوَنَةً فِي الرِّخَاءِ وَ أَقْلَ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبِلَاءِ، وَ أَكْرَهَ لِلِانْتِصَافِ، وَ أَسْأَلَ بِالِإِلْحَافِ، وَ أَقْلَ شُكْرًا عِنْدَ الْإِعْطَاءِ، وَ أَبْطَأَ عُذْرًا عِنْدَ الْمَنِّعِ، وَ أَضْعَفَ صَبْرًا عِنْدَ مُلِمَاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ وَ إِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ وَ جَمَاعُ الْمُسْلِمِينَ. وَ الْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ الْعَامَّةِ مِنَ الْأُمَّةِ، فَلْيَكُنْ صَعُوكَ لَهُمْ، وَ مَيْلُكَ مَعَهُمْ.

وَ لِيَكُنْ أَبْعَدُ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ وَ أَشْتَأَهُمْ عِنْدَكَ أَطْلَبَهُمْ لِمَعَايِبِ النَّاسِ؛ فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوبًا الْوَالِيُّ أَحَقُّ مِنْ سِتْرِهَا، فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ، وَ اللَّهُ يَحْكُمُ عَلَىٰ مَا غَابَ عَنْكَ، فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَظَعْتَ يَسْتُرِ اللَّهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سِتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ. أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ، وَ اقْطَعْ عَزَاكَ سَبَبَ كُلِّ وَثْرِ، وَ تَغَابَ عَنِ كُلِّ مَا لَا يَبِصِحُ لَكَ، وَ لَا تَعْجَلَنَّ إِلَىٰ تَصْدِيقِ سَاعٍ؛ فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ وَ إِنْ تَشَبَهَ بِالنَّاصِحِينَ.

وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بِخَيْلًا يَعْذِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ وَيَعِدُّكَ الْفَقْرَ، وَلَا جَبَانًا يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ، وَلَا حَرِيصًا يُرَيِّنُ لَكَ الشَّرَّ بِالْجَوْرِ، فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ!

إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلْأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزَيْرًا، وَمَنْ شَرِكَهُمْ فِي الْإِثَامِ فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بَطَانَةً؛ فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الْأَثَمَةِ، وَإِخْوَانُ الظُّلْمَةِ، وَأَنْتَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلْفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَاذِهِمْ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ مِمَّنْ لَمْ يُعَاوَنُ ظَالِمًا عَلَى ظُلْمِهِ وَلَا آثِمًا عَلَى إِثْمِهِ: أَوْلِيكَ أَحْفُ عَلَيْكَ مَوُونَةٌ، وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةٌ، وَأَحْسَى عَلَيْكَ عَظْفًا، وَأَقْلُّ لِغَيْرِكَ إِفْئًا، فَاتَّخِذْ أَوْلِيكَ خَاصَّةً لِخَلْوَاتِكَ وَحَفَلَاتِكَ، ثُمَّ لِيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلُهُمْ بِمُرَّ الْحَقِّ لَكَ وَأَقْلَهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ وَأَقْعًا ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ. وَالصَّقُّ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصِّدْقِ، ثُمَّ رُضُّهُمْ عَلَى أَنْ لَا يُظْرُوكَ وَلَا يَتَّبِحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْإِظْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ وَتُدْنِي مِنَ الْعِزَّةِ.

وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةِ سَوَاءٍ؛ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَرْهِيدًا لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ، وَتَدْرِيبًا لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ! وَالزِّمُّ كَلَامٌ مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ. وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ رَاجِعٍ بِرِعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ وَتَخْفِيفِهِ الْمُوُونَاتِ عَلَيْهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قِبَلَهُمْ؛ فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرِعِيَّتِكَ، فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَبًا طَوِيلًا وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسَنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسَنَ بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ. وَلَا تَنْقُضْ سُنَّةَ صَالِحَةٍ عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هُدْيِهِ الْأُمَّةِ، وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الْأَلْفَةُ، وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ؛ وَلَا تُعْدِثَنَّ سُنَّةَ تَضْرِبُ شَيْءٌ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السُّنَنِ فَيَكُونَ الْأَجْرُ لِمَنْ سَنَّهَا، وَالْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا.

وَأكْثَرُ مَدَارَسَةِ الْعُلَمَاءِ، وَمُتَافَتَةِ الْحُكَمَاءِ فِي تَثْبِيْتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرٌ بِبِلَادِكَ، وَإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ.

أقول: النخع: قبيلة من مذحج. و جبوة: بدل من مصر. ويزعها: يكفها اي؛ يروض نفسه الامارة بتطويعها للعقل. و استعار لها وصف الجماع: باعتبار خروجها عن طاعة

العقل، فلا يملكها كالفرس الجموح. ورسم الشح بالنفس: بانه الانصاف منها، وهو تعريف له ببعض لوازمه اذ كان الانصاف منها ملازماً للضمة بها عن عذاب الله. ويفرط: يسبق. و اراد بالعلل التي تعرض لهم الامور المشغلة الصارفة لهم عما ينبغي من اجراء اوامر الوالى على وجوهها. وقوله: ويؤتى على أيديهم: كناية عن كونهم غير معصومين بل هم متعن يخطى، وتؤتى الناس أو انفسهم على أيديهم فى خطائهم وعمدهم، فيدخل عليهم الزلات. واستكفاك امرهم: طلب منك كفاية امورهم والقيام بها. وابتلاك: اختبرك بهم. واستعار لفظ الحرب لمقابلة الله بالمعصية. ولا يدى لك أي: لا قوة لك. والتبجح: اظهار السرور والبجح بسكون الجيم، السرور والفرح. والبادرة: حدة الغضب. والمندوحة: السعة. والادغال: الافساد، و كنى به عن رذيلة الكبر والعجب ونحوهما. والنهك: وهو الضعف. والغير جمع غيره وهى: الاسم من التغير والاشارة الى قوله: تعالى: (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم^١) والأبته: العظم. والخيلاء: الكبر. والطماح: العلو، واصله ارتفاع البصر. وغربه: جدته. وعزب غاب. والمسامة: مفاعلة من التمو. والجبروت: اشد الكبر. والمختال: ذوالخيلاء. و حجة داحضة: باطلة. ويجحف برضا العامة اى: يذهب بأصله. والاحاف: شدة الميل والسؤال. و ابطأ عذرا اى: اعذارا ومسامحة. وجماع المسلمين: جماعتهم. والصغو: الميل. و اشنأهم: ابغضهم. والعورة: القبيحة تبدو من الرجل. والوتر: الحقد. والتغابى: التجاهل. ويزين لك الشره بالجور اذ الحريص فى تحصيل المال وجمعه انما يشير بما يلائم خلقه فيخرج بالمشار عليه الى رذيلة الشره والجور، والباء: للاستصحاب. والغريزة الخلق والطبيعة، و بيان كون الثلاثة عن مبدأ هو: سوء الظن بالله، ان سوء الظن ينشأ عن عدم معرفته تعالى بما هو اهله. فالجاهل به لا يعرفه من جهة ما هو جواد فيأض بالخيرات لمن استعد لذلك، فيسوء ظنه به ولا يثق به، بأنه مخلوق عليه عوض ما يبذله فيمنعه ذلك مع ملاحظة الفقر عن البذل ويقوى نفسه الامارة فى الحرص.

واما الجبان: فيجهله من جهة لطفه بعباده و عنايته بهم، ولا يعلم سر القدر فى الآجال فيسوء ظنه بانه لا يحفظ من التلف، ويتصور الهلاك فيمنعه ذلك عن الاقدام

١ - سورة الرعد/ آية ١١.

في الحرب و يلزمه رذيلة الجبن. والبطانة: خاصة الرجل. والآصار: ائقال الآثام جمع اصر وهو الثقل. وعطفا مصدر أحنى، اى: معنى قوله: واحنى عطفا اى: واحنى حنواً فجعل عطفاً: بدل حنوا مصدر من غير اللفظ. وحفلا تك جمع حفلة بالكسر وهى: الجماعة اوهى حفلة وهى: الخلوة، والظهور فى الجماعات. وقوله: واقعاً الى قوله: حيث وقع اى: واقعا ذلك القول منه، والنصيحة وقلة المساعدة حيث وقع من هواك سواء كان موافقاً له او مخالفاً. والاطراء: المدح الكثير. والزهو: الكبر. والتدريب: التعويد. وقوله: والزم كلاماً: الزم نفسه اى: من مقابلة الاحسان او الاسائة بمثلها. والنصب: التعب. والمناقشة: المحادثة، وبالله التوفيق.

الفصل الثانى: فى التنبيه على طبقات الناس ووضع كل فى موضعه اللائق به فى الحكمة المدنية، والاشارة الى كل طبقة بالاخرى والى من يستصلح من كل صنف، و يكون أهلاً لتلك المرتبة وذلك قوله:

وَاعْلَمَ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لَا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ، وَلَا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ: فَمِنْهَا جُنُودُ اللَّهِ، وَمِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، وَمِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ وَمِنْهَا عُمَّالُ الْإِنصَافِ وَالرَّفْقِ، وَمِنْهَا أَهْلُ الْجِزْيَةِ وَالْخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الدِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ، وَمِنْهَا التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصَّنَاعَاتِ، وَمِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوَى الْحَاجَةِ وَالْمَسْكِنَةِ، وَكُلٌّ قَدْ سَمِيَ لَهُ اللَّهُ سَهْمَهُ. وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ فَرِيضَتَهُ فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - عَهْدًا مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظًا.

فَالجُنُودُ، بِإِذْنِ اللَّهِ، حُصُونُ الرَّعِيَّةِ، وَزَيْنُ الْوَلَاةِ، وَعِزُّ الدِّينِ، وَسُبُلُ الْأَمْنِ، وَلَيْسَ تَقُومُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِهِمْ، ثُمَّ لِاقْوَامِ لِلجُنُودِ إِلَّا بِمَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْخَرَاجِ الَّذِي يَقْوُونَ بِهِ فِي جِهَادِ عَدُوِّهِمْ، وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا يُصْلِحُهُمْ، وَيَكُونُ مِنْ وِرَاءِ حَاجَتِهِمْ، ثُمَّ لِاقْوَامِ لِهَذَيْنِ الصَّنَفَيْنِ إِلَّا بِالصَّنْفِ الثَّالِثِ مِنَ الْقُضَاةِ وَالْعُمَّالِ وَالْكَتَّابِ، لِمَا يُحْكِمُونَ مِنَ الْمَعَاقِدِ وَيَجْمَعُونَ مِنَ الْمَنَافِعِ، وَيُؤْتَمِنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الْأُمُورِ وَعَوَامِّهَا وَلَا قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعًا إِلَّا بِالتُّجَّارِ وَذَوَى الصَّنَاعَاتِ فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِهِمْ وَيُقَيِّسُونَ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ، وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرْفِقِ بِأَيْدِيهِمْ - إِلَّا يَبْتِغِيهِ رَفَقٌ غَيْرُهُمْ. ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ

وَالْمَسْكَنَةِ الَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ وَمَعُونَتُهُمْ وَفِي اللَّهِ لِكُلِّ سَعَةٍ، وَ لِكُلِّ عَلَى الْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُضْلِحُهُ. فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ اللَّهُ وَلِرَسُولِهِ وَإِلَى مَا مَكَ، وَأَنْقَاهُمْ جَبِيًّا، وَأَفْضَلَهُمْ حِلْمًا: مِمَّنْ يُنْطِيءُ عَنِ الْغَضَبِ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُذْرِ، وَيَرَأْفُ بِالضَّعْفَاءِ، وَيَتَّبِعُ عَلَى الْأَقْوِيَاءِ وَمِمَّنْ لَا يُبِيرُهُ الْعُنْفُ، وَلَا يَقْعُدُهُ بِالضَّعْفِ.

ثُمَّ الصَّقِ بِذَوِي الْأَحْسَابِ وَأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَالسَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ ثُمَّ أَهْلِ التَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالسَّخَاءِ وَالسَّمَاخَةِ؛ فَإِنَّهُمْ جِمَاعٌ مِنَ الْكَرِيمِ، وَشُعْبٌ مِنَ الْعُرْفِ، ثُمَّ تَفَقَّدُ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُهُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدَيْهِمَا، وَلَا يَتَفَقَّمَنَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتَهُمْ بِهِ وَلَا تَحْقِرَنَّ لُطْفًا تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ وَإِنْ قَلَّ، فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَى بَذْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ. وَلَا تَدْعُ تَفَقَّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمْ اتِّكَالًا عَلَى جَسِيمِهَا؛ فَإِنَّ لِلْيَسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعًا يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَلِلْجَسِيمِ مَوْضِعًا لَا يَسْتَفْتُونَ عَنْهُ.

وَلْيَكُنْ آثَرُ رُؤُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَأَسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ؛ وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَّتِهِ، بِمَا يَسْعُهُمْ وَيَسْعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ، حَتَّى يُكَونَ هُمُومًا وَوَأَحْدَافِي جِهَادِ الْعَدُوِّ؛ فَإِنَّ عَظْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ؛ وَإِنْ أَفْضَلَ قُرَّةَ عَيْنِ الْوَلَاةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلَادِ، وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ، وَإِنَّهُ لَا تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلَّا بِسَلَامَةِ صُدُورِهِمْ، وَلَا تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلَّا بِحَيْطِيَّتِهِمْ عَلَى وِلَاةِ أُمُورِهِمْ وَقِلَّةِ اسْتِثْقَالِ دُولِهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِئْطَاءِ انْقِطَاعِ مَدَّتِهِمْ؛ فَافْسَحْ فِي آمَالِهِمْ وَوَأَصِلْ فِي حُسْنِ الشَّنَاءِ عَلَيْهِمْ وَتَعْدِيدِ مَا أَبْلَى ذُؤُوبَ الْبَلَاءِ مِنْهُمْ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أَعْمَالِهِمْ تَهْزُ الشُّجَاعَ، وَتُحَرِّضُ النَّكِيلَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ. ثُمَّ أَعْرِفْ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَى، وَلَا تُضَيِّفَنَّ بَلَاءَ أَمْرٍ إِلَى غَيْرِهِ، وَلَا تُقْصِرَنَّ بِهِ ذُؤُنَ غَايَةِ بَلَائِهِ، وَلَا يَدْعُونَكَ شَرَفُ أَمْرٍ إِلَى أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ صَغِيرًا، وَلَا ضَعْفُ أَمْرٍ إِلَى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ عَظِيمًا.

وَأَرُدُّ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الْخُطُوبِ وَيَشْتَبِيهِ عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ؛ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) فَالرُّدُّ إِلَى اللَّهِ: الْأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ، وَالرُّدُّ إِلَى الرَّسُولِ: الْأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمُفْرَقَةِ.

ثُمَّ اخْتَرْنَا لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ مِمَّنْ لَا تَضِيقُ بِهِ الْأُمُورُ،
وَلَا تُنَجِّكُهُ الْخُصُومُ، وَلَا يَتِمَادَى فِي الزَّلَّةِ، وَلَا يَحْضُرُ مِنَ الْفَىءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ،
وَلَا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى ظَمْعٍ، وَلَا يَكْتَفِي بِأَذْنَى فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ؛ وَأَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ،
وَأَخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ، وَأَقْلَهُمْ تَبَرُّمًا بِمُرَاجَعَةِ الْخُصْمِ، وَأَضْبَرَهُمْ عَلَى تَكْشُفِ الْأُمُورِ،
وَأَضْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّضَاحِ الْحُكْمِ؛ مِمَّنْ لَا يَزِدُّهُ إِطْرَاءٌ، وَلَا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ، وَأَوْلَيْكَ قَلِيلٌ، ثُمَّ
أَكْثَرُ تَعَاهُدِ قَضَائِهِ، وَأَفْسَحُ لَهُ فِي الْبَدْلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ، وَتَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ،
وَأَعْطِيهِ مِنَ الْمُنْزَلَةِ لَدَيْكَ مَا لَا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ لِتَأْمَنَ بِذَلِكَ أَغْتِيَالَ الرَّجَالَ لَهُ
عِنْدَكَ، فَانظُرْ فِي ذَلِكَ نَظْرًا بَلِيغًا؛ فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيرًا فِي أَيْدِي الْأَشْرَارِ: يُعْمَلُ
فِيهِ بِالْهَوَى، وَتُطَلَّبُ بِهِ الدُّنْيَا.

ثُمَّ انظُرْ فِي أُمُورِ عَمَّا لِكَ فَاسْتَعْمِلَهُمْ اخْتِبَارًا، وَلَا تَوَلَّهِمْ مُحَابَاةً وَأَثَرَةً؛ فَإِنَّهُمْ جِمَاعٌ مِنْ
شُعَبِ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ؛ وَتَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ وَالْحَيَاءِ مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَالْقَدَمِ
فِي الْإِسْلَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقًا، وَأَصْحُ أَعْرَاضًا؛ وَأَقْلُ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَافًا،
وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ نَظْرًا. ثُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِمُ الْأُزْرَاقَ فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِضْلَاحِ
أَنْفُسِهِمْ، وَغِنَى لَهُمْ عَنِ تَنَاوُلِ مَا تَخْتِ أَيْدِيهِمْ، وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ تَلَمَّسُوا
أَمَانَتَكَ. ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ وَابْتَعِثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقِ وَالْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ؛ فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ
فِي السَّرِّ لِأُمُورِهِمْ عُذُودٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْأَمَانَةِ وَالرَّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ وَتَحَفُّظِ مِنَ الْأَعْوَانِ فَإِنَّ
أَحَدَ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَةٍ اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ، عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ أَكْتَفَيْتَ بِذَلِكَ
شَاهِدًا فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ، وَأَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ، ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ
الْمَدْلَةِ، وَوَسَّمْتَهُ بِالْخِيَانَةِ، وَقَلَّدْتَهُ عَارَ التُّهْمَةِ.

وَ تَفَقَّدْ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُضْلِحُ أَهْلَهُ؛ فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ وَصَلَاحِهِمْ صَلَاحًا لِمَنْ سِوَاهُمْ؛
وَلَا صَلَاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ؛ لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخَرَاجِ وَأَهْلِيهِ. وَلْيَكُنْ
نَظْرُكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظْرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخَرَاجِ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُدْرِكُ إِلَّا
بِالْعِمَارَةِ، وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ الْبِلَادَ وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلَّا
قَلِيلًا؛ فَإِنَّ شَكْوًا ثِقَلًا أَوْ عِلَّةً أَوْ انْقِطَاعَ شَرِبٍ أَوْ بَالَةً أَوْ إِحَالَةَ أَرْضٍ انْغَمَرَتْهَا غَرَقٌ أَوْ أَجْحَفَ
بِهَا عَظْشٌ خَفَّفَتْ عَنْهُمْ بِمَا تَرْجُونَ أَنْ يَصْلِحَ بِهِ أَمْرُهُمْ. وَلَا يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّفَتْ بِهِ

الْمَوُونَةَ عَنْهُمْ فَإِنَّهُ دُخِرَ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عِمَارَةِ بِلَادِكَ ، وَتَزْيِينِ وَلَا يَتِيكَ ، مَعَ اسْتِجْلَابِكَ حُسْنَ ثَنَائِهِمْ ، وَتَبَجُّحِكَ بِاسْتِيفَاضَةِ الْعَدْلِ فِيهِمْ مُعْتَمِدًا فَضْلَ قُوَّتِهِمْ بِمَا دَخَرْتَ عِنْدَهُمْ مِنْ إِجْمَامِكَ لَهُمْ وَالثَّقَّةَ مِنْهُمْ بِمَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ فِي رِفْقِكَ بِهِمْ ، فَرُبَّمَا حَدَّثَ مِنَ الْأُمُورِ مَا إِذَا عَوَّلْتَ فِيهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدِ اخْتِمَالُوهُ طِيبَةً أَنْفُسِهِمْ بِهِ ؛ فَإِنَّ الْعُمَرَانَ مُحْتَمِلٌ مَا حَمَلْتَهُ ، وَإِنَّمَا يُؤْتِي خَرَابَ الْأَرْضِ مِنْ إِغْوَازِ أَهْلِهَا ، وَإِنَّمَا يُعْوِزُ أَهْلَهَا لِأَشْرَافِ أَنْفُسِ الْوَلَاةِ عَلَى الْجَمْعِ ، وَسُوءِ ظَنِّهِمْ بِالْبَقَاءِ ، وَقَلَّةِ انْتِفَاعِهِمْ بِالْعَبْرِ .

ثُمَّ انظُرْ فِي حَالِ كُتَابِكَ ؛ فَوَلَّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ ؛ وَاخْصُصْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَائِدَكَ وَأَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لِيُجِوهَ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ الْكِرَامَةُ فَيَجْتَرِيءَ بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلَافٍ لَكَ بِحَضْرَةِ مَلَأَ ، وَلَا تَقْصُرُ بِهِ الْغَفْلَةَ عَنْ إِيْرَادِ مُكَاتَبَاتِ عُمَالِكَ عَلَيْكَ وَإِضْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى الصَّوَابِ عَنْكَ فِيمَا يَأْخُذُ لَكَ وَيُعْطَى مِنْكَ ، وَلَا يُضْعِفُ عَقْدًا اعْتَقَدَهُ لَكَ ، وَلَا يَعْجِزُ عَنْ إِطْلَاقِ مَا عُقِدَ عَلَيْكَ ، وَلَا يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِهِ فِي الْأُمُورِ ؛ فَإِنَّ الْجَاهِلَ يَقْدِرُ نَفْسِهِ يَكُونُ يَقْدِرُ غَيْرِهِ أَجْهَلُ ، ثُمَّ لَا يَكُنْ اخْتِيَارُكَ إِيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ وَامْتِنَانَتِكَ وَحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ ؛ فَإِنَّ الرِّجَالَ يَتَعَرَّفُونَ لِفِرَاسَاتِ الْوَلَاةِ بِتَصَنُّعِهِمْ وَحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالْأَمَانَةِ شَيْءٌ ، وَلَكِنْ اخْتَبَرَهُمْ بِمَا وُلُّوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ ؛ فَاعْمِدْ لِأَحْسَنِهِمْ كَانَ فِي الْعَامَّةِ أَثْرًا ، وَأَعْرِفِهِمْ بِالْأَمَانَةِ وَجْهًا ، فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ لِلَّهِ وَلِمَنْ وُلِّيتَ أَمْرَهُ ، وَاجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأْسًا مِنْهُمْ لَا يَقْهَرُهُ كِبَرُهَا ، وَلَا يَتَشَتُّ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا ، وَمَهْمَا كَانَ فِي كُتَابِكَ مِنْ غَيْبٍ فَتَعَابَيْتَ عَنْهُ الزِّمْتَهُ . ثُمَّ اسْتَوْصِرْ بِالتِّجَارِ وَذَوِي الصَّنَاعَاتِ وَأَوْصِرْ بِهِمْ خَيْرًا : الْمُقِيمِ مِنْهُمْ وَالْمُضْطَرِبِ بِمَالِهِ ، وَالْمُتَرَفِّقِ بِبَدَنِهِ ؛ فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ الْمَنَافِعِ ، وَأَسْبَابُ الْمَرَافِقِ وَجَلَابُهَا مِنَ الْمَبَاعِدِ وَالْمَطَارِحِ فِي بَرِّكَ وَبَحْرِكَ وَسَهْلِكَ وَجَبَلِكَ ، وَحَيْثُ لَا يَلْتَمِئُ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا وَلَا يَجْتَرِبُونَ عَلَيْهَا ؛ فَإِنَّهُمْ سَلِيمٌ لَا تُخَافُ بَائِقَتُهُ وَصُلْحٌ لَا تُخْشَى عَائِلَتُهُ ، وَتَفَقَّدُ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ وَفِي حَوَاشِي بِلَادِكَ . وَأَعْلَمُ - مَعَ ذَلِكَ - أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضَيْقًا فَاحِشًا ، وَشُحًّا قَبِيحًا وَاحْتِكَارًا لِلْمَنَافِعِ ، وَتَحَكُّمًا فِي الْبِيَاعَاتِ ، وَذَلِكَ بَابُ مَضَرَّةٍ لِلْعَامَّةِ وَغَيْبُ عَلَى الْوَلَاةِ ؛ فَامْتَنِعْ مِنَ الْإِحْتِكَارِ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، مَنَعَ مِنْهُ ، وَلَيْكُنْ الْبَيْعُ بَيْعًا سَمَحًا : بِمَوَازِينِ عَدْلِ ، وَأَسْعَارٍ لَا تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ ؛

فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ فَتَكَلَّ بِهِ؛ وَعَاقِبُهُ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ.

ثُمَّ اللَّهُ اللَّهُ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ مِنَ الْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَ أَهْلِ الْبُؤْسَى وَالرِّمْسَى فَإِنَّ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعًا وَمُعْتَرًّا؛ وَأَحْفَظُ لِلَّهِ مَا اسْتَحْفَظْتَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ، وَأَجْعَلْ لَهُمْ قِسْمًا مِنْ بَيْتِ مَالِكَ، وَقِسْمًا مِنْ غَلَّاتِ صَوَافِي الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ فَإِنَّ لِلْأَقْصَى؛ مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلْأَذْنَى، وَكُلُّ قَدٍ اسْتُرْعِيَتْ حَقُّهُ؛ فَلَا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطْرُ فَإِنَّكَ لَا تُعْذَرُ بِتَضْيِيعِكَ التَّائِفَةَ لِأَحْكَامِكَ الْكَثِيرِ الْمُهِمِّ، فَلَا تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ، وَتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعُيُونُ وَتَحْقِرُهُ الرِّجَالُ، فَفَرِّغْ لِأَوْلِيكَ ثِقَّتَكَ مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ وَالتَّوَاضُعِ؛ فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ، ثُمَّ اَعْمَلْ فِيهِمْ بِالْإِعْذَارِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ تَلْقَاهُ؛ فَإِنَّ هُوَ لَأَوْلَى مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أَخْرُجْ إِلَى الْإِنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَكُلُّ فَاغْذِرْ إِلَى اللَّهِ فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ، وَتَعَهَّدْ أَهْلَ الْيُثْمِ وَذَوَى الرَّقَّةِ فِي السَّنِّ مِمَّنْ لَا حِيلَةَ لَهُ، وَلَا يَتَّصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ، وَذَلِكَ عَلَى الْوَلَاةِ ثَقِيلٌ وَالْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ، وَقَدْ يُخَفِّفُهُ اللَّهُ عَلَى أَقْوَامٍ ظَلَبُوا الْعَاقِبَةَ فَصَبَرُوا أَنْفُسَهُمْ، وَوَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ اللَّهِ لَهُمْ.

اقول: قسم الناس الى طبقات سبع، لا يصلح بعضها الا بالبعض كما بيته. واهل الذمة: تفسير لاهل الجزية والخراج معا، لان للامام ان يقبل ارض الخراج من سائر المسلمين واهل الذمة. و اراد بالسهم الذي سماه الله لكل منهم: استحقاقه في كتابه إجمالاً من الصدقات: كالفقراء والمساكين وعمال الخراج. والصدقة وحده: الذي وضع الله عليه عهداً منه هو مرتبته ومنزلته من الناس، مثل الجندي له مرتبة ومقام من العمل محدود، أخذ عليه عهد من الله في النصيحة والقيام بطاعة الله فيه وفريضة لزومه للعمل بذلك، وكذلك سائر الطبقات. والمعاهد جمع معقد: مصدر كعقود البياعات والانكحة ونحوها، وأحكامها تعود الى القضاة. وجمع المنافع تعود الى العمال. والضمير في يؤتمنون: يعود الى الصنفين. والمرافق: المنافع، والرفق: المنفعة. والرفد: المعونة ويحق يجب. ونقاء الجيب: كناية عن الامانة. ويستريح الى العذراي: بقبوله. وينبو على الأقوياء اي: يعلو عليهم، ولا يميل ميلهم على من دونهم. لا يثيره العنف اي: لا يكون له عنف فيثيرة، وقيل: لا يثيره عنف الغير. ولا ينزعج منه ولا يقعد به الضعف

اي: لا يكون ضعيفاً يُقعد ضعفه عما ينبغى. والحسب: ما يعدّ من المآثر والمكارم.
والحسب الكفاية. والنجدة: فضيلة تحت الشجاعة. والعرف: المعروف. وتفاقم
الأمر: اشتدّ وصعب. ولطيف امورهم: صغيرها. وجسيمها: عظيمها اي: لا تدع تفقد
حاجاتهم الجزئية اعتماداً على قضائك لحاجتهم الكلية في العطاء العام ونحوه، و
معونته: رزقه. وجدته: غناه. والخلوف: المتخلفون عنهم. وحيطتهم: شفقتهم. والناكل
الراجع: الفار. وَيُضْلِعُكَ: يُثْقِلُكَ. وضاق الامر: اذا لم يقدر عليه. وتمحكه الخصوم:
تغلبه على الحق بالمحك، وهو: اللجاج واللداد. والحصر الوقوف من العمى. والتبرّم
التضجر. ويكشف الأمور: ايضاحها. ويزدهيه الاطراء فيه: كثرة المدح. الزهو: الكبر.
يزيح حيلته: يزيل عذره وما يكون علته في عجزه عن القيام بالقضاء. والاغتيال: الأخذ
على غرة، ويدخل فيه الغيبة ونحوه. والاشرار: الولاة قبله، وقيل: محمد بن ابي بكر.
ولا تولهم محاباة أي: معاطاة. واثرة اي: استبداداً كمن تأخذ من شخص شيئاً و
توليه امرأ، ويستبدّ بذلك دون مشاورة فيه. وجماع من شعب الجور، والخيانة اي: جماعة
منها، اما انهما من شعب الجور: فللخروج بهما عن فضيلة العدل المأمور به شرعا
وهوالتحرّي في طلب الوالى الأصح للعباد والبلاد والأقوم بطاعة الله فيهما. واما انهما
من شعب الخيانة: فلأن من الدين التحري في طلب الوالى الأصح، وهوامانة فعدم
التحرّي في ذلك خروج عنها الى رذيلة الخيانة. والتوخي: طلب القصد. والثلم: الكسر و
كَنَى به عن الخيانة. وحدوه لهم أي: حثه. والضمير في قوله صلاحهم: يعود الى اهل
الخراج. والشرب: النصيب من الماء. والبالّة اليسير من الماء تُبَلُّ به الأرض. واحالة
الأرض: تغيرها عما كانت عليه من الاستواء فلم ينجب زرعها ولم يثمر نخلها. واحجف
بها: ذهب. تبجحك اي: اظهار سرورك وفخرك. ومعتمداً اي: قاصداً. والاجمام:
الراحة. والرفق: ضدّ العنف. والاعواز: الفقر. وسوءظنهم بالبقاء اي: بقاء العمل في
أيديهم. وقوله: ولا يضعف الى قوله الامور اي: يكون ممن اذا عقد لك عقدة امر أحكمها،
و اذا عقد عليك غيرك امرأ قام بحلّه. ولا يدخل في امر الأبعد معرفته به. واستنام الى
الامر: سكن اليه، واعتمد عليه. وقوله: ليس وراء ذلك اي: تصنعهم لفراسة الولاة.
واعمد اي: اقصد. وتغايبت: تغافلتم. والزمته اي: عندالله وفي الآخرة. ولما أوصى

بالتجار و ذوى الصناعات، نبه على ذلك بضميرين صغرى الاول قوله: فإنهم مواد المنافع الى قوله: يجترثون عليها، و ذلك: اشارة الى وجود المنفعة منهم. و صغرى الثانى قوله: فإنهم سلم الى غائلته. و اشار بذلك: الى عدم المضرة منهم. و المترقق ببسندته: طلب المنفعة بصنيعته، و المطارح جمع مطرح وهى: الارض البعيدة. و لا يلتئم الناس لمواضعها و ذلك: كالجبال والبحار. و الضمير فى مواضعها: للمرافق. و البائقة: الداهية. و الغائلة: الشر. و الضيق: البخل. و الاحتكار: حبس المنافع عن الناس عند الحاجة اليها، و ورد النهى الشرعى عن ذلك فى الاجناس التى يعتم نفعها و يكثُر الحاجة اليها، و هى الحنطة و الشعير و التمر و الزبيب و السمن و الملح، و التحكم فى البياعات: ان يبيع على حكمه بمجرّد الهوى من غير رجوع الى شريعة أو عرف. و قارف كذا أى: اكتسبه. و فعله. و الحُكْرَه بالضم: الاسم. البؤس: الشدة. و القانع: السائل يقنع بما يعطى. و المعتر: الذى يتعرض للعطاء من غير سؤال. و الصوافى: جمع صافية وهى أرض الغنيمة. و الأقصى و الأدنى اى: الأبعد عنك و الأدنى منك. و البطر: تجاوز الحد فى الفرح و النشاط. و اراد لا يكن لك بطر بما انت فيه من الأثرة فيشتغل عنهم. و التافه: الشئ القليل. و يشخص همك ترفعه. و تصعير الخد: أمالته. و تقحمه العيون: تزديره. و اعذر الرجل: اذا عذر. و ذوى الرقة فى السن: العاجزون الذين رقت حالهم عن تحصيل المعاش. و لا ينصب للمسألة نفسه اى: حياءً و تعففاً.

الفصل الثالث

فى اوامر و نواهى مصلحية و آداب خلقية و سياسية، بعضها خاصة بنفسه و احوال عباده و بخاصته و عماله الى غير ذلك، و هو قوله:

وَاجْعَلْ لِدَوَى الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْمًا تَفَرِّغْ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ، وَتَجْلِسْ لَهُمْ مَجْلِسًا عَامًّا فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِّلَّهِ الَّذِى خَلَقَكَ، وَتُقْعِدَ عَنْهُمْ جَنْدَكَ وَاعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَيْطِكَ حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَعَبٍ، فَإِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ: (لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لَا يُؤَخِّدُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقَّهُ مِنَ الْقَوَى غَيْرَ مُتَتَعَبٍ) ثُمَّ

١- فى نسخة ش: امالته كبراً. ٢- النهاية فى الحديث ١/١٩٠.

اِحْتِمَالِ الْخُرْقِ مِنْهُمْ وَالْعَيِّ، وَنَحَّ عَنْكَ الضُّيْقَ وَالْاَتْفَ يَبْسُطِ اللهُ عَلَيْكَ بِذَلِكَ اَكْتِنَافَ رَحْمَتِهِ، وَيُوجِبُ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ، وَأَعْطِي مَا أَغْظَيْتَ هَيْبَتًا، وَأَمْتَعِ فِي إِجْمَالٍ وَإِعْذَارًا
 ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لَا بُدَّ لَكَ مِنْ مُبَاشَرَتِهَا: مِنْهَا إِجَابَةُ عُمَّالِكَ بِمَا يَعْجَأُ عَنْهُ كُتَابُكَ، وَمِنْهَا إِضْدَارُ حَاجَاتِ النَّاسِ يَوْمَ وُرُودِهَا عَلَيْكَ بِمَا تَخْرُجُ بِهِ صُدُورُ أَعْوَانِكَ، وَآمُضُ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلُهُ؛ فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ، وَأَجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيتِ، وَأَجْزَلَ تِلْكَ الْأَقْسَامِ وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لِلَّهِ إِذَا صَلَّحَتْ فِيهَا النَّيَّةُ، وَسَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ.
 وَلِيَكُنْ فِي خَاصَّةٍ مَا تُخْلِصُ بِهِ اللهُ دِينَكَ: إِقَامَةُ فَرَائِضِهِ الَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّةٌ فَأَعْطِ اللهُ مِنْ بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ، وَوَفِّ مَا تَقَرَّبْتَ بِهِ إِلَى اللهِ مِنْ ذَلِكَ كَامِلًا غَيْرَ مَثْلُومٍ وَلَا مَنقُوصٍ بَالِغًا مِنْ بَدَنِكَ مَا بَلَغَ، وَإِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ لِلنَّاسِ فَلَا تُكُونَنَّ مُنْقَرًا وَلَا مُضَيِّعًا؛ فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ الْعِلَّةُ وَلَهُ الْحَاجَةُ. وَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حِينَ وَجَّهَنِي إِلَى الْيَمَنِ كَيْفَ أَصَلِّي بِهِمْ؟ فَقَالَ «صَلِّ بِهِمْ كَصَلَاةِ أَضْعَافِهِمْ، وَكُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا»^١.

وَأَمَّا بَعْدُ، فَلَا تُطَوَّلَنَّ اِحْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ؛ فَإِنَّ اِحْتِجَابَ الْوَلَاةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ الضُّيْقِ، وَقَلَّةٌ عِلْمٍ بِالْأُمُورِ، وَالْاِحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا اِحْتَجَبُوا دُونَهُ فَيَضْعُرُ عِنْدَهُمُ الْكَبِيرُ، وَيَعْظُمُ الصَّغِيرُ، وَيَقْبُحُ الْحَسَنُ وَيَخْسُنُ الْقَبِيحُ، وَيُشَابُ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ؛ وَإِنَّمَا الْوَالِي بَشَرٌ لَا يَعْرِفُ مَا تَوَارَى عَنْهُ النَّاسُ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ، وَلَيْسَتْ عَلَى الْحَقِّ سِمَاتٌ تُعْرَفُ بِهَا ضُرُوبُ الصِّدْقِ مِنَ الْكَذِبِ، وَإِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ: إِمَّا أَمْرٌ وَسَخَتْ نَفْسُكَ بِالْبَدْلِ فِي الْحَقِّ فَفِيمَ اِحْتِجَابِكَ مِنْ وَاجِبِ حَقِّ تَعْطِيهِ؟ أَوْ فِعْلٌ كَرِيمٌ تُسَدِّدُهُ، أَوْ مُبْتَلَى بِالْمَنْعِ فَمَا أَسْرَعَ كَفَّ النَّاسِ عَنْ مَسْأَلَتِكَ إِذَا أَيَسُوا مِنْ بَدْلِكَ مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حَاجَاتِ النَّاسِ إِلَيْكَ مِمَّا لَا مَوُونَةَ فِيهِ عَلَيْكَ مِنْ شِكَاةٍ مَظْلَمَةٍ أَوْ طَلَبِ اِنْصَافٍ فِي مَعَامَلَةٍ.

ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وَبِطَانَةً فِيهِمْ اِسْتِشَارًا، وَتَطَاوُلًا، وَقَلَّةً اِنْصَافٍ فِي مَعَامَلَةٍ فَاحْسِنِ مَادَّةَ أَوْلِيكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ وَلَا تُقْطِعَنَّ لِأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِكَ وَحَامَتِكَ قَطِيعَةً وَلَا يَظْمَعَنَّ مِنْكَ فِي اِعْتِقَادِ عُقْدَةٍ تَضْرِبُ مَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ فِي شَرِّبٍ أَوْ عَمَلٍ مُشْتَرِكٍ يَحْمِلُونَ مَوُونَتَهُ عَلَى غَيْرِهِمْ فَيَكُونُ مَهْنَةً ذَلِكَ لَهُمْ دُونَكَ وَعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

١ - الجامع الصغير ٢/٩٦.

وَأَلْزِمَ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، وَكُنْ فِي ذَلِكَ صَابِرًا مُحْتَسِبًا، وَاقِعًا ذَلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وَخَاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ؛ وَابْتِغِ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَثْقُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ؛ فَإِنَّ مَغَبَةَ ذَلِكَ مَحْمُودَةٌ. وَإِنْ ظَنَنْتَ الرَّعِيَّةَ بِكَ حَيْفًا فَأُضْحِرْ لَهُمْ بِعُذْرِكَ، وَاعْدِلْ عَنْكَ ظُنُونَهُمْ بِإِضْحَارِكَ؛ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ رِيَاضَةً مِنْكَ لِتَنْفُسِكَ، وَرِفْقًا بِرَعِيَّتِكَ، وَإِعْذَارًا تَبْلُغُ بِهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيهِمْ عَلَى الْحَقِّ.

وَلَا تَدْفَعَنَّ صُلْحًا دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ وَاللَّهُ فِيهِ رِضَى؛ فَإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَاً لِجُنُودِكَ وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ، وَأَمْنًا لِبِلَادِكَ، وَلَكِنَّ الْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِهِ؛ فَإِنَّ الْعَدُوَّ رُبَّمَا قَارَبَ لِيَتَغَفَّلَ؛ فَخُذْ بِالْحَزْمِ، وَآتِهِمْ فِي ذَلِكَ حُسْنَ الظَّنِّ. وَإِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوِّكَ عَقْدَةً أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً؛ فَحُظِّ عَهْدَكَ بِالْوَفَاءِ، وَارْزُقْ ذِمَّتَكَ بِالْأَمَانَةِ، وَاجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دُونَ مَا أَعْظَيْتَ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ شَيْءٌ النَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ اجْتِمَاعًا مَعَ تَفَرُّقِ أَهْوَانِهِمْ وَتَشْتِتِ آرَائِهِمْ مِنْ تَعْظِيمِ الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ وَقَدْ لَزِمَ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا اسْتَوْبَلُوا مِنْ عَوَاقِبِ الْعُدْرِ؛ فَلَا تُغْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ وَلَا تَخَيْسَنَّ بِعَهْدِكَ وَلَا تَحْتَلِنَنَّ عَدُوِّكَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَجْتَرِي عَلَى اللَّهِ إِلَّا جَاهِلٌ شَقِيٌّ. وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ عَهْدَهُ وَذِمَّتَهُ أَمْنًا أَفْضَاهُ بَيْنَ الْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ، وَحَرِيمًا يَسْكُونُونَ إِلَى مَنَعَتِهِ، وَيَسْتَفِيضُونَ إِلَى جِوَارِهِ؛ فَلَا إِذْغَالَ وَلَا مُدَالَسَةَ وَلَا خِدَاعَ فِيهِ، وَلَا تَعْقِدَ عَقْدًا تُجَوِّزُ فِيهِ الْعِلَلَ، وَلَا تَعَوَّلَنَّ عَلَى لَحْنِ قَوْلٍ بَعْدَ التَّأَكِيدِ وَالتَّوْتِيقِ، وَلَا يَدْعُونَكَ ضَيْقُ أَمْرِ لَزِمَكَ فِيهِ عَهْدُ اللَّهِ إِلَى ظَلَبِ انْفِسَاخِهِ بِغَيْرِ الْحَقِّ؛ فَإِنَّ صَبْرَكَ عَلَى ضَيْقِ أَمْرِ تَرْجُو انْفِرَاجَهُ وَفَضْلَ عَاقِبَتِهِ خَيْرٌ مِنْ غَدْرِ تَخَافُ تَبِعْتَهُ، وَأَنْ تُحِيطَ بِكَ مِنَ اللَّهِ فِيهِ طَلَبَةٌ، فَلَا تَسْتَقِيلَ فِيهَا دُنْيَاكَ وَلَا آخِرَتَكَ.

إِيَّاكَ وَالذَّمَّاءَ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَذْنَى لِنِقْمَةٍ، وَلَا أَعْظَمَ لِنَبِيَّةٍ، وَلَا أُخْرَى بِزَوَالِ نِعْمَةٍ وَأَنْقِطَاعِ مَدَّةٍ؛ مِنْ سَفْكِ الذَّمَّاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ مُبْتَدِيٌّ بِالْحُكْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ الذَّمَّاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَا تُقْوِينَ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُضْعِفُهُ وَيُوهِنُهُ بَلْ يُرِيْلُهُ وَيَنْقُلُهُ، وَلَا عُذْرَ لَكَ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا عِنْدِي فِي قَتْلِ الْعَمِيدِ؛ لِأَنَّ فِيهِ قَوْدَ الْبَدَنِ، وَإِنْ أَبْتُلِيَتْ بِخَطَايَاكَ وَأَفْرَطَ عَلَيْكَ سَوْطُكَ أَوْ سَيْفُكَ أَوْ يَدُكَ بِعُقُوبَةٍ؛ فَإِنَّ فِي الْوَكْزَةِ فَمَا فَوْقَهَا مَقْتَلَةٌ، فَلَا تَظْمَحَنَّ بِكَ نَخْوَةَ سُلْطَانِكَ عَنْ أَنْ تَوَدَّى إِلَى أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ حَقَّهُمْ.

وَإِيَّاكَ وَالْإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ ، وَالثَّقَّةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا ، وَحُبَّ الْأَطْرَاءِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ
أَوْثَقِ فُرْصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ لِيَتَمَحَقَّ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ .

وَإِيَّاكَ وَالْمَنْ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ ، أَوْ التَّرْيِيدَ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ أَوْ أَنْ تَعِدَّهُمْ
فَتُشْبَعُ مَوْعُودَكَ بِخُلْفِكَ ، فَإِنَّ الْمَنْ يُبْطِلُ الْإِحْسَانَ ، وَالْتَّرْيِيدَ يَذْهَبُ بِنُورِ الْحَقِّ ، وَالْخُلْفَ
يُوجِبُ الْمَقْتَّ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) .
وَإِيَّاكَ وَالْعَجَلَةَ بِالْأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا ، أَوِ التَّسْفُطَ فِيهَا عِنْدَ إِمْكَانِهَا ، أَوِ اللَّجَاجَةَ فِيهَا إِذَا
تَنَكَّرَتْ ، أَوِ الْوَهْنَ عَنْهَا إِذَا اسْتَوْضَحَتْ . فَضَعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ ، وَأَوْقِعْ كُلَّ عَمَلٍ مَوْقِعَهُ .

وَإِيَّاكَ وَالْإِسْتِثْنَاءَ بِمَا لِلنَّاسِ فِيهِ أَشْوَةٌ ، وَالتَّغَابِيَّ عَمَّا تُعْنَى بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ لِلْعُيُونِ ؛
فَإِنَّهُ مَا خُودٌ مِنْكَ لِغَيْرِكَ ؛ وَعَمَّا قَلِيلٍ تَنكَشِفُ عَنْكَ أُعْطِيَةُ الْأُمُورِ ، وَيُسْتَصَفُّ مِنْكَ
لِلْمَظْلُومِ ؛ إِمْلِكْ حَمِيَّةَ أَنْفِكَ ، وَسُورَةَ حَدِّكَ ، وَسَطْوَةَ يَدِكَ ، وَغَرْبَ لِسَانِكَ ؛ وَاخْتَرِسْ مِنْ
كُلِّ ذَلِكَ بِكَفِّ الْبَادِرَةِ ، وَتَأْخِيرِ السَّطْوَةِ ، حَتَّى يَسْكُنَ غَضَبُكَ فَتَمْلِكَ الْإِخْتِيَانَ ، وَلَنْ
تُحْكِمَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى تُكْثِرَ هُمُومَكَ بِذِكْرِ الْمَعَادِ إِلَى رَبِّكَ .

وَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضَى لِمَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ حُكُومَةٍ عَادِلَةٍ ، أَوْ سُنَّةٍ فَاضِلَةٍ ، أَوْ
أَثَرٍ عَنِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، أَوْ فَرِيضَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، فَتَقْتَدِيَ بِمَا شَاهَدْتَ
مِمَّا عَمِلْنَا بِهِ فِيهَا ، وَتَجْتَهِدَ لِنَفْسِكَ فِي اتِّبَاعِ مَا عَاهَدْتُ إِلَيْكَ فِي عَهْدِي هَذَا ، وَاسْتَوْثَقْتُ
بِهِ مِنَ الْحُجَّةِ لِنَفْسِي عَلَيْكَ ؛ لِكَيْلَا تَكُونَ لَكَ عِلَّةٌ عِنْدَ تَسْرُعِ نَفْسِكَ إِلَى هَوَاهَا .

وَإِنَّا أَسْأَلُ اللَّهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَى إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ ، أَنْ يُوقِنَنِي وَإِيَّاكَ
لِمَا فِيهِ رِضَاؤُهُ مِنَ الْأَقَامَةِ عَلَى الْعُدْرِ الْوَاضِحِ إِلَيْهِ وَإِلَى خَلْقِهِ ، مَعَ حُسْنِ الشَّأِ فِي الْعِبَادِ ،
وَجَمِيلِ الْأَثَرِ فِي الْبِلَادِ ، وَتَمَامِ النُّعْمَةِ ، وَتَضْعِيفِ الْكِرَامَةِ ، وَأَنْ يَخْتِمَ لِي وَلَكَ بِالسَّعَادَةِ
وَالشَّهَادَةِ ، إِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ . وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الطَّيِّبِينَ
الظَّاهِرِينَ ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

الشَّرَطُ : الْعَلَامَةُ ، وَسُمِّيَ الشَّرْطَةُ بِذَلِكَ ، لِأَعْلَامِهِمْ أَنْفُسَهُمْ بِعَلَامَةِ يَعْرِفُونَ بِهَا .
والتَّقْدِيسُ : التَّطْهِيرُ . وَالْحُرْقُ الْعَنْفُ فِي الْقَوْلِ وَهُوَ ضِدُّ الرِّفْقِ . وَالضِّيْقُ : سُوءُ الْخَلْقِ . وَ
أَكْنَافُ رَحْمَتِهِ : جَوَانِبُهَا وَامُورٌ مَبْتَدَأَ قَدَمَ خَبْرِهِ أَيْ ثَمَّ هُنَاكَ أُمُورٌ وَكُنِيَ بِحَرْجٍ صَدُورٌ

اعوانه: عن عجزهم عن اصدار ما يرد عليهم. وأجزل: أعظم. والجزل: العظيم. وقوله وان كانت كلّها لله، الى قوله والرعية: اشارة الى حسن التدبير في الولاية عن الامام الحق بعباده. ومنقراً أي: يطول الصلاة. والضمير في منهم: للولاية. وقوله فيصغر، الى قوله: القبيح: اشارة الى المفسد اللازمة من الاحتجاب. والضمير في عندهم: للرعية. و صغراً الامراً الكبير: كان يظلم القوي فيصغر الناس حرمة، وكبر الضعيف كان يقع من بعض الضعفاء صغيرة فيعظمها الناس، وكذلك قبح الحسن، وحسن القبيح. والسمات: العلامات. وتلك الأحوال، اشارة الى الاستيثار والتطول وقلة الانصاف^١. والحسم: القطع واسباب تلك الاحوال هو: كما اشار اليه ونهاه عنه من اقطاع القطائع لحاشيته و خاصته وهي قرابته. واعتقاد: العقد، وكنى بها عما يُقتنى من الضياع. والعقدة: الضيعة، والمكان كثير الشجر والنخل. واعتقد الضيعة: اقتناها. ومن لزمه أي: الحق. و محتسباً اي: متقرباً به الى الله تعالى. وقوله: واقعا ذلك، اي: الزام الحق، وحيث وقع اي: من سُخطٍ او رضى منهم، وعاقبه: هو ثواب الآخرة والذكر الجميل^٢.

ومغبة ذلك: عاقبه المذكورة. وأصحر: اظهر. والدعة: الراحة. ولما استوبلوا، اي: لما وجدوه من الوبال في عاقبة الغدر، وهو ونحمتها وسوءها. وخاس بالعهد: نقضه. والختل: الخداع، ونبه على ان الخداع بالمعاهدة والعذر بها جرأة على الله يستلزم الشقاوة، بقوله: فانه الى قوله: شقى، وفيه: تنبيه على ضمير تقدير صغراه فانك بذلك مجتر على الله و تقدير كبراه، وكل مجتر على الله تلزمه الشقاوة الأخروية. وافضا: وسعه وبسطه. و يستفيضون: يندفعون الى جواره ولزومه. والادغال: الافساد. والمدالسة: مفاعلة من التدليس. والعلل: الاحداث المفسدة للعهد ونحوها. ولحن القول: كالتورية، و التعرض فيه. كما ادعاه طلحة في بيعته لعلي عليه السلام. ولا يستقبل ويتلقى الا الخير، و روى يستقبل بالياء اي: لا يكون لك من تلك البيعة اقالة في الدنيا والآخرة. وأحرى: أولى. والقود: قتل القاتل بالمقتول. وأفرط: سبق. والوكزة: مثل الضربة بجمع اليد على الذقن. ولا يطمحن اي: لا ترتفع. والفرصة: امكان الشئ من نفسه. والتزيد: اظهار

١- في ش: الانتصاف.

٢- من كلمة قوله، الى آخر السطر غير موجود في نسخة ش.

الزيادة مع عدمها في معرض الافتخار، ونفر عن المن، و التزيد، والخلف: بضمائر ثلاثة
وتقدير كبرياتها، وكل ما كان كذلك فلا يجوز فعله، ونبه على صغرى الثالث، وهي
قوله: الخلف، الى قوله: الناس، ضمير صفراءه قوله: فان الله سبحانه. الى قوله تفعلون. و
قولهم مالا يفعلون هو الخلف، وتقدير كبراه و كل ما وعد الله المقت على فعله، اوجب فعله
المقت عنده وعند الناس. والعجلة في الامور قبل اوانها. واللجاجة في طلبها اذا تنكرت
اي: لم يُعرف وجه تحصيلها. وتعترت: هو طرف الافراط في طلبها، والتساقط فيها
والقعود عنها عند امكانها، والوهن عنها عند وضوحها. وضع كل أمر موضعه. واسوة اي:
سواء. التغابي: التغافل. ويعنى به اي: ما ينبغي العناية به من رد المظالم الواقعة منك او
بسببك. و اشار باغطية الامور: الى غطاء البدن، وهيئة الحاجة لحقائق الأمور: ان
يدركها بعين بصيرته. وحمية الانف: الغضب والأنفة. وسورة حدته: غضبه وبأسه. وغرب
اللسان: حدته. والبادرة: سرعة السطوة والعقوبة. والعلّة: التعلل بما يشبه الغدر.

واعلم ان مقاصد هذا العهد واضحة بيّنة ولا مزيد على ما اودعه عليه السلام
من الحكمة الخلقية والمدنية والسياسية، وكمالات القوة العملية التي ورثها الأنبياء
والمرسلون اوصياءهم، والحكماء السابقون من بعدهم، وكفى بذلك شرفا وفضلا. وباللّٰه التوفيق.

٥٣ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى طلحة والزبير، مع عمران بن الحصين الخزاعي ذكره أبو جعفر الاسكافي في كتاب
المقامات في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام

أَمَا بَعْدُ؛ فَقَدْ عَلِمْتُمَا وَإِنْ كَتَمْتُمَا أَنِّي لَمْ أُرِدِ النَّاسَ حَتَّىٰ أَرَادُونِي، وَلَمْ أَبَايْغُهُمْ
حَتَّىٰ بَايَعُونِي، وَإِنَّكُمْ مِمَّنْ أَرَادَنِي وَبَايَعَنِي، وَإِنَّ الْعَامَّةَ لَمْ تُبَايَعْنِي لِسُلْطَانِ غَالِبٍ، وَلَا
لِعَرَضٍ حَاضِرٍ، فَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَانِي طَائِعِينَ فَارْجِعَا وَتَوَبَا إِلَى اللَّهِ مِنْ قَرِيبٍ، وَإِنْ كُنْتُمَا
بَايَعْتُمَانِي كَارِهِينِ فَقَدْ جَعَلْتُمَا لِي عَلَيْكُمَا السَّبِيلَ بِإِظْهَارِكُمَا الطَّاعَةَ، وَإِسْرَارِكُمَا
الْمَعْصِيَةَ. وَلَعَمْرِي مَا كُنْتُمَا بِأَحَقَّ الْمُهَاجِرِينَ بِالتَّقِيَّةِ وَالْكِثْمَانِ، وَإِنْ دَفَعْتُكُمَا هَذَا الْأَمْرَ
[مِنْ] قَبْلِ أَنْ تَدْخُلَا فِيهِ كَانَ أَوْسَعَ عَلَيْكُمَا مِنْ خُرُوجِكُمَا مِنْهُ بَعْدَ إِقْرَارِكُمَا بِهِ.

وَقَدْ زَعَمْتُمَا أَنِّي قَتَلْتُ عُثْمَانَ، فَبَيَّنِّي وَبَيَّنَّكُمَا مَنْ تَخَلَّفَ عَنِّي وَعَنْكُمَا مِنْ أَهْلِ
الْمَدِينَةِ؛ ثُمَّ يُلْزَمُ كُلُّ أَمْرٍ بِقَدْرِ مَا أَحْتَمَلُ. فَارْجِعَا أَيُّهَا الشَّيْخَانِ عَنِ رَأْيِكُمَا، فَإِنَّ الْآنَ
أَعْظَمُ أَمْرِكُمَا الْعَارُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَجْتَمِعَ الْعَارُ وَالنَّارُ.

اقول: خزاعة: قبيلة من الازد. والاسكافي: منسوب الى اسكاف^١ رستاق كبير كان
بين النهروان والبصرة. و كتاب المقامات: الذي صَنَّفَهُ الشيخ المذكور في مناقب
امير المؤمنين عليه السلام^٢. وقوله: ثُمَّ يُلْزَمُ كُلُّ أَمْرٍ أَى: من اللائمة والعار بقدر ما احتمل
من الاثم والغدر. والعربُ تُعَيِّرُ بِالْغَدْرِ وَنَقْضِ الْعَهْدِ كَثِيرًا. والمعنى ظاهر، وبالله التوفيق.

٥٤ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى معاوية

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا، وَابْتَلَى فِيهَا أَهْلَهَا؛ لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ
أَحْسَنُ عَمَلًا، وَلَسْنَا لِلدُّنْيَا خُلُقْنَا، وَلَا بِالسَّعْيِ فِيهَا أُمْرُنَا، وَإِنَّمَا وُضِعْنَا فِيهَا لِنُبْتَلَى بِهَا، وَقَدْ
ابْتَلَانِي اللَّهُ بِكَ وَابْتَلَاكَ بِي: فَجَعَلَ أَحَدَنَا حُجَّةً عَلَى الْآخَرِ، فَعَدَوْتَ عَلَيَّ طَلِبَ الدُّنْيَا بِتَأْوِيلِ
الْقُرْآنِ، فَطَلَبْتَنِي بِمَا لَمْ تَجْنِ يَدِي وَلَا لِسَانِي، وَعَصَبْتَهُ أَنْتَ وَأَهْلُ الشَّامِ بِي، وَأَلَبَّ
عَالِمُكُمْ جَاهِلِكُمْ وَقَائِمُكُمْ قَاعِدَكُمْ، فَاتَّقِ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ، وَنَازِعِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ،
وَأَصْرِفْ إِلَى الْآخِرَةِ وَجْهَكَ فَهِيَ طَرِيقُنَا وَطَرِيقُكَ، وَأَحْذَرُ أَنْ يُصِيبَكَ اللَّهُ مِنْهُ بِعَاجِلِ
قَارِعَةٍ تَمَسُّ الْأُضْلَ، وَتَقْطَعُ الدَّابِرَ؛ فَإِنِّي أَوْلَى لَكَ بِاللَّهِ أَلِيَّةً غَيْرَ فَاجِرَةٍ: لَسِنُ جَمْعَتِنِي
وَإِيَّاكَ جَوَامِعُ الْأَقْدَارِ لَا أَرَاكَ بِيَاحَتِكَ (حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ)^٣.

اقول: اراد بالسعى فيها: السعى المذموم في طلبها لنفسها، وقد سبق معنى ابتلاء

١ - معجم البلدان ١/ ١٨١.

٢ - فهرست ابن النديم / ٢١٣.

٣ - سورة الاعراف / ٨٧.

لعباده. ووجه كونه عليه السلام، حجةً على معاوية: دعائه اياه الى طاعة الله، وذلك حجة الله عليه ان يقول يوم القيامة انى كنت من الغافلين. ووجه كون معاوية حجةً عليه: عصيانه لله ومحاربتة اياه، حتى لو قصر فى مقاومته كان ملوماً، فكان معاوية حجةً الله على تقصيره فى طاعته: وعدوت: يحتمل ان يكون من العدو فهو الجرى، او من العدوان، و تأويل القرآن كقوله تعالى: (يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى)^١ وتأويله لذلك: بإدخال نفسه فيه و طلب القصاص لعثمان، وانما دخل بالتأويل: لان الخطاب خاص ممن قتل، وقتل منه، ومعاوية بمعزلٍ عن ذلك، اذا لم يكن وليّ دمه فتأول الآية بالعموم: ليدخل فيها. وما لم تجن يدى، اى: من القتل والمشاركة فيه. وعصيته: علقته. والتأليب: التحريض. والقارعة: الداهية. والدابر المتأخر: من النسل. والاليتة: اليمين. و باحة الدار: ساحتها. وفى وعيده بعدم انفكاكه عنه الى الغاية المذكورة بلاغ فى التخويف والانذار.

٥٥ - وَمِنْ وَصِيَّةِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

وَصَّى بِهَا شُرَيْحُ بْنُ هَانِيٍّ^٢، لَمَّا جَعَلَهُ عَلَى مُقَدَّمَتِهِ إِلَى الشَّامِ

اتَّقِ اللَّهَ فِي كُلِّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ، وَخَفْ عَلَى نَفْسِكَ الدُّنْيَا الْغُرُورَ، وَلَا تَأْمَنْهَا عَلَى حَالٍ، وَأَعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ لَمْ تَرُدَّعْ نَفْسَكَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا تُحِبُّ مَخَافَةَ مَكْرُوهِهِ سَمَتَ بِكَ الْأَهْوَاءُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الضَّرْرِ. فَكُنْ لِنَفْسِكَ مَانِعًا زَادِعًا، وَلِنَزْوَتِكَ عِنْدَ الْحَفِيظَةِ وَأَقِمَّا قَامِعًا.

اقول: لا تأمنها على حال اى: تركز اليها البتة، لانها غرور ونفسه التى أمر بكفها: الامارة بالسوء. والنزوة: الوثبة. والحفيظة: الغضب. والرادع: الذى يردّ الشئ أقبح الرد. والوقم: القهر والاذلال. وكذلك القمع.

١ - سورة البقرة / ١٧٨.

٢ - شريح بن هاني بن يزيد الحارثي الهمداني قتل في سجستان سنة ٥٧٨هـ.

٥٦ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى أهل الكوفة، عند مسيره من المدينة إلى البصرة

أَمَا بَعْدُ؛ فَإِنِّي خَرَجْتُ مِنْ حَيِّ هَذَا، إِمَّا ظَالِمًا، وَإِمَّا مَظْلُومًا، وَإِمَّا بَاغِيًا وَإِمَّا مَبِغِيًا عَلَيْهِ، وَإِنِّي أَدْكُرُ اللَّهَ مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هَذَا، لَمَّا نَفَرَ إِلَيَّ؛ فَإِنْ كُنْتُ مُحْسِنًا أَعَانِي، وَإِنْ كُنْتُ مُسِيئًا اسْتَعْتَبَنِي.

اقول: الحى: القبيلة، وقوله: إِمَّا ظَالِمًا، الى قوله عليه: من باب تجاهل العارف، او لأن اهل الكوفة لم يكن بعد ظهرت لهم القضية ليعرفوا الظالم من المظلوم ومن بلغه: مفعول اول لا ذكر اخر لطوله. ولما مشددة: بمعنى الآ، ومخففه هي «ما» زائدة دخل عليها لام التاكيد، اى: لينفرن الى. وبالله التوفيق.

٥٧ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

كتبه إلى أهل الأمصار، يفتش فيه ماجرى بينه وبين أهل صفين

وَكَانَ بَدَأُ أَمْرِنَا أَنَا الثَّقَيْنَا وَالْقَوْمُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ؛ وَالظَّاهِرُ أَنَّ رَبَّنَا وَاحِدٌ، وَنَبِيَّنَا وَاحِدٌ، وَدَعْوَتَنَا فِي الْإِسْلَامِ وَاحِدَةٌ، وَلَا نَسْتَزِيدُهُمْ فِي الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالتَّصْدِيقِ بِرَسُولِهِ وَلَا يَسْتَزِيدُونَنَا: الْأَمْرُ وَاحِدٌ إِلَّا مَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ، وَنَحْنُ مِنْهُ بَرَاءٌ! فَقُلْنَا: تَعَالَوْا نُدَاوِ مَا لَا يُدْرِكُ الْيَوْمَ بِأَطْفَاءِ الثَّائِرَةِ، وَتَسْكِينِ الْعَامَةِ؛ حَتَّى يَشْتَدَّ الْأَمْرُ وَيَسْتَجْمِعَ فَتَقْوَى عَلَى وَضْعِ الْحَقِّ مَوَاضِعَهُ، فَقَالُوا: بَلْ نُدَاوِيهِ بِالْمُكَابَرَةِ! فَأَبَوْا حَتَّى جَنَحَتِ الْحَرْبُ وَرَكَدَتْ، وَوَقَدَتْ نِيرَانَهَا وَحَمِسَتْ. فَلَمَّا حَصَرَسْنَا وَإِيَّاهُمْ، وَوَضَعَتْ مَخَالِبَهَا فِينَا وَفِيهِمْ، أَجَابُوا عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى الَّذِي دَعَوْنَاهُمْ إِلَيْهِ، فَأَجَبْنَاهُمْ إِلَى مَا دَعَوْا، وَسَارَعْنَاهُمْ إِلَى مَا طَلَبُوا، حَتَّى اسْتَبَانَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ، وَأَنْقَطَعَتْ مِنْهُمْ الْمَعْذِرَةُ. فَمَنْ تَمَّ عَلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ فَهُوَ الَّذِي أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنَ الْهَلَكَةِ، وَمَنْ لَجَّ وَتَمَادَى فَهُوَ الرَّاكِسُ الَّذِي رَانَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ، وَصَارَتْ دَائِرَةُ السُّوءِ عَلَى رَأْسِهِ.

اقول: يروى بدء امرنا اى: مبتدأه. والثائرة: العداوة. وقوله: فقلنا، الى قوله مواضعه: كناية عن دعائه لهم الى حقن الدماء بترك الحرب. وقوله: فقالوا الى قوله المكابرة: كناية عن إبانهم ومخالفتهم له. وجنحت: مالت. وركدت: ثبتت. وحمست: اشتدت. وروى بالشين المعجمة اى: التهبت غضباً. واجابتهم الى ما دعاهم اليه طلبهم للصلح، وحقن الدماء: صبيحة ليلة الهرير كما سبق، واجابته لهم فى رضاه: بالتحكيم و ظهور الحجّة عليهم، برجوعهم الى عين ما كان يدعوهم اليه من حقن الدماء، وفى ذلك انقطاع عذرهم: فى المطالبة بدم عثمان، اذ كان سكوتهم عن دم صحابى لا حق لهم فيه، اسهل من سفك دماء سبعين الفاً من المهاجرين والانصار والتابعين يا احسان. ومن تم على ذلك اى: على الصلح والرضا به، فهو الذى انقذه الله اى: اخلصه من الهلكة. ومن ليج اى: فى انكار الصلح، وتحكيم كتاب الله وتمادى فى ذلك اى: اقام عليه، وهم الخوارج، واستعار لهم لفظ الراكس، وهو: المردود مقلوباً باعتبار انتكاس عقولهم، فى ظلمة الجهل، والشبه الباطلة، بعد استنارتها وظهورها بنور الايمان او انتكاسهم فى العقوبة، والقتل فى الدنيا، والعذاب فى الآخرة كقوله تعالى: (والله أركسهم بما كسبوا)^١ اى ردهم الى عقوبة كفرهم.

٥٨ - وَمَنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى الأسود بن قطيبة صاحب جند حلوان

أَمَا بَعْدُ؛ فَإِنَّ الْوَالِيَّ إِذَا اخْتَلَفَ هَوَاهُ مَنَعَهُ ذَلِكَ كَثِيرًا مِنَ الْعَدْلِ، فَلْيَكُنْ أَمْرُ النَّاسِ عِنْدَكَ فِي الْحَقِّ سَوَاءً؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْجَوْرِ عِوَضٌ مِنَ الْعَدْلِ، فَاجْتَنِبْ مَا تُكْرَهُ أَمْثَالَهُ، وَأَبْتِدْكَ نَفْسَكَ فِيمَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكَ رَاجِيًا ثَوَابَهُ، وَمُتَخَوِّفًا عِقَابَهُ. وَأَعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلِيَّةٍ لَمْ يَفْرُغْ صَاحِبُهَا فِيهَا قَطُّ سَاعَةً إِلَّا كَانَتْ فَرَعْتُهُ عَلَيْهِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّهُ لَنْ يُغْنِيكَ عَنِ الْحَقِّ شَيْءٌ أَبَدًا، وَمِنَ الْحَقِّ عَلَيْكَ حِفْظُ نَفْسِكَ؛ وَالْإِحْتِسَابُ عَلَى الرَّعِيَّةِ بِجُهِدِكَ، فَإِنَّ الَّذِي يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي يَصِلُ بِكَ، وَالسَّلَامُ.

١ - سورة النساء / ٨٨.

أقول: ما تنكر أمثاله: من غيرك ، ولم يفرغ اى: من العمل فى طاعة الله وحفظ نفسك اى: فى الآخرة. والإحتساب على الرعية اى: بالأخذ على أيديهم فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. وقوله: فان الذى الى آخره: صغرى ضمير نبتة به على وجوب الاحتساب، والمعنى، الذى يصل اليك من ثواب العمل بذلك: افضل مما يصل الى الرعية من عدلك، واحسانك اليهم.

٥٩ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى العمال الذين يظأ الجيش عملهم

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَنْ مَرَّبَهُ الْجَيْشُ مِنْ جُبَاةِ الْخَرَاجِ وَعُمَّالِ الْبِلَادِ.

أَمَا بَعْدُ؛ فَإِنِّي قَدْ سَيَّرْتُ جُنُودًا هِيَ مَارَّةٌ بِكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَقَدْ أَوْصَيْتُهُمْ بِمَا يَجِبُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ كَفِّ الْأَذَى وَصَرْفِ الشَّدَى، وَأَنَا أَبْرَأُ إِلَيْكُمْ وَإِلَى ذِمَّتِكُمْ مِنْ مَعْرَةِ الْجَيْشِ إِلَّا مِنْ جَوْعَةِ الْمُضْطَرِّ لَا يَجِدُ عَنْهَا مَذْهَبًا إِلَى شَبْعِهِ فَتَكَلُّوا مَنْ تَنَاولَ مِنْهُمْ شَيْئًا ظُلْمًا عَنْ ظُلْمِهِمْ، وَكُفُّوا أَيْدِي سَفَهَائِكُمْ عَنْ مُضَادَّتِهِمْ وَالتَّعَرُّضِ لَهُمْ فِيمَا اسْتَشْتَيْنَاهُ مِنْهُمْ، وَأَنَا بَيْنَ أَظْهَرِ الْجَيْشِ؛ فَارْفَعُوا إِلَيَّ مَطَالِمَكُمْ وَمَا عَرَائِكُمْ مِمَّا يَغْلِبُكُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَلَا تُطِيقُونَ دَفْعَهُ إِلَّا بِاللَّهِ وَبِي، فَأَنَا أُغَيِّرُهُ بِمَعُونَةِ اللَّهِ تَعَالَى؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

أقول: الشدى: الشرا. ومعرة الجيش: مضرته. ونكلوا: جبنوا وخوفوا، وما استثناه منهم هو جوعه المضطر. وكونه بين اظهر الجيش: كناية عن كونه مرجعا لهم. وعراكم: غشاكم.

٦٠ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى كميل بن زياد النخعي، وهو عامله على هيت، يُنكرُ عليه تزكته دَفَعَ مَنْ بَجَنَازِهِ مِنْ جَيْشِ
الْعَدُوِّ طَالِبًا الْغَارَةَ

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ تَضْيِيعَ الْمَرْءِ مَاوِلِيَّ، وَتَكَلُّفَهُ مَا كُفِيَ، لَعَجْزُ حَاضِرٍ، وَرَأْيُ مُتَبَّرٍ، وَإِنْ
تَعَاطَيْتَكَ الْغَارَةَ عَلَى أَهْلِ قِرْقِيسِيَا، وَتَعَطَيْتَكَ مَسَالِحَكَ الَّتِي وَلَيْتَاكَ، لَيْسَ بِهَا مَنْ يَمْنَعُهَا
وَلَا يَرُدُّ الْجَيْشَ عَنْهَا، لَرَأْيِ شَعَاعٍ؛ فَقَدْ صِرْتَ جِسْرًا لِمَنْ أَرَادَ الْغَارَةَ مِنْ أَعْدَائِكَ عَلَى
أَوْلِيَائِكَ غَيْرِ شَدِيدِ الْمَنْكِبِ وَلَا مَهِيْبِ الْجَانِبِ، وَلَا سَادِ ثُغْرَةٍ، وَلَا كَاسِرِ شَوْكَةٍ، وَلَا مُغْنٍ
عَنْ أَهْلِ مِصْرِهِ، وَلَا مُجْزٍ عَنْ أَمِيرِهِ وَالسَّلَامِ.

اقول: المتبّر: الهالك الفاسد. والشعاع: المتفرق و استعار له لفظ الجسر باعتبار عبور
العدو اليه الى عمله. وشدة المنكب: كناية عن القوة على الدفع. و الثغرة و الثغر: الفرج
من البلدان تحتاج الى السد بالرجال. والشوكة: القوة.

مركز تحقيقات كويتية علوم إسلامية

٦١ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى أهل مصر، مع مالك الأشر كما ولاه إمارتها

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ،
وَمُهَيِّمًا عَلَى الْمُرْسَلِينَ؛ فَلَمَّا مَضَى عَلَيْهِ السَّلَامُ تَنَازَعَ الْمُسْلِمُونَ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ، فَوَاللَّهِ
مَا كَانَ يُلْقَى فِي رُوعِي وَلَا يَخْطُرُ بِيَالِي أَنْ الْعَرَبَ تَزْعِجُ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَلَا أَنَّهُمْ مُنْحَوُّهُ عَنِّي مِنْ بَعْدِهِ! فَمَا رَاعَنِي إِلَّا أَنْثِيَالُ النَّاسِ عَلَى
فُلَانٍ يُبَايِعُونَهُ، فَأَمْسَكْتُ يَدِي حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدَرَجَعَتْ عَنِ الْإِسْلَامِ يَدْعُونَ إِلَى
مَخْقِ دِينِ مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَخَشِيتُ أَنْ لَمْ أَنْصُرِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ أَنْ أَرَى
فِيهِ ثَلَمًا أَوْ هَدْمًا تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ قَوْتِ وَلَايَتِكُمْ الَّتِي إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ
قَلِيلٍ يَنْزُولُ مِنْهَا مَا كَانَ كَمَا يَنْزُولُ السَّرَابُ أَوْ كَمَا يَتَّقَشُّ السَّحَابُ، فَتَهَضَّتْ فِي تِلْكَ

الْأَحْدَاثِ حَتَّى زَاخِ الْبَاطِلِ وَزَهَقَ، وَأَظْمَأَتِ الدِّينُ وَتَنَهَتْهُ.

ومنه: إني وآله لَوَلَّيْتُهُمْ وَاحِدًا وَهُمْ طِلَاعُ الْأَرْضِ كُلِّهَا مَا بَالَيْتُ وَلَا أَسْتَوْحِشْتُ، وَإِنِّي مِنْ ضَلَالِيهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ وَالْهُدَى الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ لَعَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ نَفْسِي وَتَقِينِ مِنْ رَبِّي، وَإِنِّي إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ لَمُشْتَاقٌ، وَلِحُسْنِ ثَوَابِهِ لَمُنْتَظِرٌ رَاحٍ، وَلِكِنِّي آسَى أَنْ يَلِيَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ سُفَهَاؤُهَا وَفُجَارُهَا؛ فَيَتَّخِذُوا مَالَ اللَّهِ ذُولًا، وَعِبَادَهُ خَوْلًا، وَالصَّالِحِينَ حَرْبًا، وَالْفَاسِقِينَ حِزْبًا فَإِنَّ مِنْهُمْ الَّذِي [قَدْ] شَرِبَ فِيكُمْ الْحَرَامَ، وَجُلِدَ حَدًّا فِي الْإِسْلَامِ، وَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُسَلِّمْ حَتَّى رُضِخَتْ لَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ الرِّضَايُخُ، فَلَوْلَا ذَلِكَ مَا أَكْثَرَتْ تَأَلِّبِكُمْ وَتَأَنِّيْبِكُمْ، وَجَمْعَكُمْ وَتَحْرِيبِكُمْ، وَلَتَرَكْتَكُمْ إِذْ أَبَيْتُمْ وَوَيْبْتُمْ.

أَلَا تَرَوْنَ إِلَى أَظْرَافِكُمْ قَدْ انْتَقَصَتْ، وَإِلَى أَمْصَارِكُمْ قَدْ افْتَتِحَتْ، وَإِلَى مِمَّا لِيَكِيكُمْ تُرَوَى، وَإِلَى بِلَادِكُمْ تُغزَى، أَنْفِرُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - إِلَى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ وَلَا تَتَأَقَلُّوا إِلَى الْأَرْضِ فَتَقَرُّوا بِالْخَسْفِ، وَتَبُوءُوا بِالذُّلِّ، وَيَكُونُ نَصِيبُكُمْ الْأَخْسَ، وَإِنَّ أَخَا الْحَرْبِ الْأَرِقُّ، وَمَنْ نَامَ لَمْ يُنَمَّ عَنَّهُ، وَالسَّلَامُ.



اقول: المهيمن: الشاهد. والروع بالضم: القلب و كذلك البال. والانشبال: الانصباب. و فلان هو: ابوبكر. و راجعة الناس الذين رجعوا عن الدين و ارتدوا في خلافته. و المحق: الهلاك. و الثلم: الكسر. و تلك الأحداث و قائع العرب الذين ارتدوا و راح: ذهب. و زهق: اضمحل. و تنهته: اتسع. و طلاع الارض: ملاؤها. و آسى: أحزن. و اراد بالسفهاء و الفجار: بنو امية. و الذول بالضم: جمع دولة بالضم و الفتح. و انما خُصَّصَ الضمُّ بالمال، و الفتح بالحرب، هو: ان يصير المال او الغلبة مرة لهذا، و مرة لذلك. و الخول: العبيد. و الذي شرب فيكم الحرام من بنى امية، هو: المغيرة بن شعبة في عهد عمر حين كان والياً من قبله على الكوفة فانه شرب الخمر، و صلى بالناس سكران و زاد في الركعات، و قاء الخمر في المحراب فشهدوا عليه و جلدوا الحد. و كذلك عتبة بن ابي سفيان جلدته في الخمر خالد بن عبدالله بالطائف. و الرضايخ، جمع رضية و الرضخ و الرضية: العطية. و الذي رُضِخَ له قيل: هو ابوسفيان، و ابنه معاوية، حين كانا من المؤلفة

قلوبهم يستمالون الى نصره الدين بالعطاء، وقيل: هو عمرو بن العاص حين اطعم مصر على حرب علي عليه السلام. والتأليب: الجمع والتحريض. والتأنيب: التعنيف واللوم. ونيتهم: فترتهم، والونى: الفتور والضعف والتباطى عن الامر. وتزوى: تقبض وتجمع. وتقرأوا بالخسف: ترضوا بالذنية والنقصان. تبؤوا: ترجعوا، وباء بكذا: رجع به. والارق: كثير السهر، وهو كناية عن المتيقظ فى الامور المهمة بها.

٦٢ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى أبى موسى الأشعري، وهو عامله على الكوفة، وقد بلغه عنه تشييطه الناس عن الخروج إليه لِمَا نَدَبَهُمْ لِحَرْبِ أَصْحَابِ الْجَمَلِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ

أَمَا بَعْدُ؛ فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ قَوْلٌ هُوَ لَكَ وَعَلَيْكَ، فَإِذَا قَدِمَ رَسُولِي عَلَيْكَ فَارْفَعْ ذَلِكَ، وَأَشَدُّ مِزْرَكَ، وَأَخْرِجْ مِنْ جُحْرِكَ، وَأَنْدَبْ مَنْ مَعَكَ. فَإِنْ حَقَّقْتَ فَأَنْفُدْ، وَإِنْ تَفَشَّلتْ فَاْبَعْدُ! وَإِنَّمُ اللَّهُ لَتُوتِينَ مِنْ حَيْثُ أَنْتَ، وَلَا تُشْرِكْ حَتَّى يُخَلِّطَ زُبْدَكَ بِخَاثِرِكَ، وَذَائِيكَ بِجَامِيدِكَ، وَحَتَّى تُعْجَلَ عَنْ وَعْدَتِكَ، وَتُخَذَّرَ مِنْ أَمَامِكَ كَحَذْرِكَ مِنْ خَلْفِكَ، وَمَا هِيَ بِالْهُوَيْنَا الَّتِي تَرْجُو، وَلَكِنَّهَا الدَّاهِيَةُ الْكُبْرَى يُرَكَّبُ جَمَلُهَا، وَيُدَلُّ صَعْبُهَا، وَيَسْهَلُ جَبَلُهَا. فَاَعْقِلْ عَقْلَكَ، وَأَمْلِكْ أَمْرَكَ وَخُذْنَصِيبَكَ وَحَظَّكَ فَإِنْ كَرِهْتَ، فَتَتَّعْ إِلَى غَيْرِ رَحْبٍ وَلَا فِي نَجَاةٍ، فَبِالْحَرِيِّ لَتُكْفَيْنَ وَأَنْتَ نَائِمٌ حَتَّى لَا يُقَالَ: أَيْنَ فُلَانٌ؟ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مَعَ مُحِقٍّ، وَمَا يُبَالِي مَا صَنَعَ الْمُلْحِدُونَ.

اقول: تُبِّطُهُ عن الامر: أشغله عنه و أقعده. والقول الذى هوله و عليه و هو: تشييطه الناس عن النهوض الى حرب البصرة بقوله: ان ذلك فتنة، وما كان يرويه عن الرسول صلى الله عليه و آله من القعود عن الفتنة و هوله: باعتبار ظاهر الدين و عليه: باعتبار انه تنفير عن طاعة الإمام الحق واجب الطاعة. و خروج عنها بالجهل، و ذلك عائد على فاعله بالمضرة الاخرية و الدنيوية. و رفع ذيله و شد مئزره: كناية عن تشميره فى المسارعة الى امره. و استعار لفظ الحجر لبيته: ملاحظة لشبهه بالثعلب و نحوه. و آندب أى: أبعث. و

قوله: و ان حقت اى: ما نحن فيه من هذا الأمر وصحة وجوب المتابعة فيه فانفذ في ذلك و امض فيه. و ان تفشلت اى: جبت و ضعفت عن معرفة ذلك فابعد عنا و عنه. و قوله: حتى يخلط، الى قوله: بحامدك ، كالمثلين كنى: بهما عن خلط احواله الصافية بالتكدير كعزته بذلته، و سروره بغمه، و سهولة امره بصعوبته.

و القعدة: هيئة القعود، و انما جعل الحذر من خلف اصلا فى التشبيه: لانه المعتاد فى الحذر، و هو كناية عن غاية الخوف.

و قيل: أراد حتى تخاف من الدنيا كخوفك من الآخرة. و قوله: و ما هى بالهويناء، اى: و ما القصة المعهودة بالهيئة السهلة. و قوله: يركب جملها، الى قوله جبلها اى: يركب الجمل فيها و يذل الصعب الداخلى فيها. و استعار لفظ الجبل: للثابت من الرجال، الرابط: الجأش. و يسهل اى: يلين فيها و يذل، كل ذلك، كناية عن شدتها. و عقلك مصدر يقال: فلان عقل عقله اذا رجع نفسه كأنه شعر بشعوره بالشئ، فنصبه اى: اعقل عقلك بهذه الحال العظيمة. و قيل: هو مفعول به. و اعقله مأخوذ من العقال اى: اضبط عقلك و احبسه على معرفة الحق لا تفرقه فيما لا ينبغى. و نصيبه من حظه اى: من طاعة الله. و قوله: بالحرى لتكفين، اى: فبالأجدر و الاولى ان تكفى مؤنة هذا الامر، و انت نائم عن طاعة الله حتى لا يسأل عنك و لا تلتفت اليك. و الضمير فى انه: للامر المدعو اليه. و ألد فى الدين: مال عن الاستقامة فيه. و بالله التوفيق.

٦٣ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى معاوية، جواباً

أَمَا بَعْدُ؛ فَإِنَّا كُنَّا نَحْنُ وَأَنْتُمْ عَلَى مَا ذَكَرْتَ مِنَ الْأُلْفَةِ وَالْجَمَاعَةِ فَفَرَّقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَمْسَ أَنْ آمَنَّا وَكَفَرْتُمْ، وَالْيَوْمَ أَنَا اسْتَقَمْنَا وَفُتِنْتُمْ، وَمَا أَسْلَمَ مُسْلِمُكُمْ إِلَّا كُرْهًا، وَبَعْدَ أَنْ كَانَ أَنْفُ الْإِسْلَامِ كُلُّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حِزْبًا. وَذَكَرْتُ أَنِّي قَتَلْتُ ظَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ، وَشَرَّدْتُ بَعَائِشَةَ وَنَزَلْتُ، الْمِصْرَيْنِ! وَذَلِكَ أَمْرٌ غَيْبَتْ عَنْهُ فَلَا عَلَيْكَ، وَلَا الْعُدْرُ فِيهِ إِلَيْكَ.

١ - راجع رسالة معاوية ... جمهرة رسائل العرب ١/٣٦٦.

وَذَكَرْتَ أَنَّكَ زَائِرِي فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَقَدْ انْقَطَعَتِ الْهَجْرَةُ يَوْمَ أُسِرَ أَخُوكَ ،
فَإِنْ كَانَ فِيكَ عَجَلٌ فَاسْتَرْفِهِ؛ فَإِنِّي إِنْ أَرَزَكَ فَذَلِكَ جَدِيرٌ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ إِنَّمَا بَعَثَنِي لِلتَّقْمَةِ
مِنْكَ ! وَإِنْ تَزُرْنِي فَكَمَا قَالَ أَحُوبَنِي أَسَدٌ:

مُسْتَقْبِلِينَ رِيَّاحَ الصَّيْفِ تَضْرِبُهُمْ بِحَاصِبٍ بَيْنَ أَعْوَارٍ وَجُلُودِ
وَإِنَّكَ - وَاللَّهِ - مَا عَلِمْتُ الْأَغْلَفُ الْقَلْبِ، الْمُقَارِبُ الْعَقْلِ؛ وَالْأَوْلَى أَنْ يُقَالَ لَكَ: إِنَّكَ
رَقِيتَ سُلْمًا أَظْلَعَكَ مَظْلَعَ سُوءٍ عَلَيْكَ لَأَلَّكَ، لِأَنَّكَ نَشَدْتَ غَيْرَ ضَائِلِكَ، وَرَعَيْتَ غَيْرَ
سَائِمَتِكَ، وَظَلَبْتَ أَمْرًا لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَلَا فِي مَعْدِنِهِ، فَمَا أَبْعَدَ قَوْلَكَ مِنْ فِعْلِكَ !! وَقَرِيبٌ مَا
أَشْبَهَتْ مِنْ أَعْمَامٍ وَأَحْوَالٍ حَمَلَتْهُمْ الشَّقَاوَةَ وَتَمَتَّى الْبَاطِلُ عَلَى الْجُحُودِ بِمُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَضُرَّ عَوَامِصَارِعُهُمْ حَيْثُ عَلِمْتَ لَمْ يَدْفَعُوا عَظِيمًا، وَلَمْ يَمْنَعُوا حَرِيمًا بِوَجْهِ
سُيُوفٍ مَا خَلَامِنَهَا الْوَعْيَى، وَلَمْ تَمَاشِهَا الْهُوَيْنَا.

وَقَدْ أَكْثَرْتَ فِي قَتَلَةِ عُثْمَانَ فَادْخُلْ فِيهَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ، ثُمَّ حَاكِمِ الْقَوْمَ إِلَيَّ
أَخِيْلَكَ وَإِيَّاهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَمَّا تِلْكَ الَّتِي تُرِيدُ؛ فَإِنَّهَا خُدْعَةُ الصَّبِيِّ عَنِ اللَّبَنِ
فِي أَوَّلِ الْفِصَالِ؛ وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ. *مرکز تحقیق و ترویج علوم و معارف اسلامی*

اقول: امس: كناية عن بدأ الاسلام. و فنتتم، اي: ابتليتكم بالبغي. و ممن اسلم
كُرْهًا: ابوسفیان كما نبهنا عليه في الاصل^١. و استعار لفظ الانف: لأشراف المسلمين،
باعتبار شرفهم و تقدّمهم كالانف. و التشرید: الإبعاد. و المِضْرَيْنِ: البصرة و الكوفة، و قوله
ولقد انقطعت الهجرة يوم أسراخوك اشارة: الى انهم لم يكونوا من المهاجرين، اذ كان
هو و ابوه و جماعتهم ممن أُخِذَ يوم الفتح، و مَنْ عَلَيْهِم رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله،
فأطلقهم و سمّاهم بالظلقاء، بعد ان اسلموا يومئذٍ كما سبق بيانه.

و قال صلى الله عليه و آله يومئذ: لاهجرة بعد الفتح. و روى اسراخوك و اخوه المأسور
هو: عمرو بن ابي سفيان يوم بدر. و وجه التمثيل بالبيت انه لا حظ مشابهة استقبال معاوية
له باستقبالهم رِيَّاحَ الصَّيْفِ فِي شِدَّةِ حَرِّهَا، وَ حَمَلَهَا لِلْحِصَاةِ فِي وَجْهِهِ مُسْتَقْبِلَهَا، وَ مُشَابَهة
نَفْسِهِ وَ جَمْعِهِ بِرِيَّاحِ الصَّيْفِ الْمَوْصُوفَةِ بِاعْتِبَارِ شِدَّةِ بِأَسْهُمٍ وَ سَطَوْتِهِمْ. وَ اسْتِعَارَ بِحَسَبِ

تلك المشابهة لفظ الرياح المذكورة و أوصافها لهم. والحاصب: الريح الشديدة ترمى بالحصباء. والاغوار: المنخفضة من الارض جمع غورٍ والجُلُود: الحجارة. و اغصصت السيف بفلان اى: جعلته يغص به وهو من المغلوب لان المضروب هو الذى يُغصُّ بالسيف. وقد ذكرنا انه عليه السلام قتل جدّه لأمه، وخاله، واخاه حنظلة يوم بدر. و روى اعضضته بالضاد المعجمة: استعارة. وما: بمعنى الذى. و لفظ الأغلغف: مستعار لقلبه باعتبار كونه مُغشىً بالشبهات والهيئات البدنية الحاجبة له عن ادراك الحق. و فلان مقارب العقل، اى: قليله و ناقصه. و قوله: نشدت الى قوله: سائمتك مثلان: كنى بهما عن طلبه لما ليس له بحق. و قوله: هو طلبه: لما ليس له نحلة عثمان، و فعله و حركاته فى طلب الملك، و ما: مصدرية محلها الرفع بالإبتداء، و قريب خبره مقدما. قيل: فمن اهل الشقاوة، من جهة عُمومته حمالة الحطب. و من جهة خوولته الوليد بن عتبة. و يدخل فى ذلك: عمومة ابويه كشيبة عمّ هندی. و الباطل: الذى كانوا يتمنونونه كالتصرة على محمد عليه السلام، و اقامة امرالشرك. و حيث علمت كبدر و حنين، و غيرها من المواطن. و الوغى: الحرب. و قوله: و لم تماشها الهوينا، اى: لم يلحق ضربها هون و لا سهولة. و ما دخل فيه الناس: هو بيعته عليه السلام و طاعته، و اما تلك التى تريدها: فهى خدعته بتغليبها، و بغية لغاية أن يرضى باقراره على الشام. و بالله التوفيق.

٦٤ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إِلَيْهِ أَيْضاً

أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ آنَ لَكَ أَنْ تَنْتَفِعَ بِاللَّمَجِّ الْبَاصِرِ مِنْ عَيَانِ الْأُمُورِ؛ فَقَدْ سَلَكَتَ مَدَارِجَ
 أُسْلَافِكَ بِإِدْعَائِكَ الْأَبَاطِيلَ، وَإِقْحَامِكَ غُرُورَ الْمَيِّنِ وَالْأَكَاذِيبِ، وَبَانْتِحَالِكَ مَا قَدْ عَلَا
 عَنكَ، وَأَبْتِزَارِكَ لِمَا أَخْتَرْنَ دُونَكَ، فِرَارًا مِنَ الْحَقِّ، وَجُحُودًا لِمَا هُوَ الزَّمُّ لَكَ مِنْ لِحْمِكَ
 وَدَمِكَ: مِمَّا قَدْ وَعَاهُ سَمْعُكَ، وَمَلَى بِهِ صَدْرُكَ، فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ الْمُبِينُ، وَبَعْدَ
 الْبَيَانِ إِلَّا اللَّبْسُ؟ فَاحْذَرِ الشُّبُهَةَ وَأَشْتِمَا لَهَا عَلَى لُبْسَتِهَا؛ فَإِنَّ الْفِتْنَةَ طَالَمَا أَعْدَفَتْ جَلَابِيْبَهَا،
 وَأَعَشَّتِ الْأَبْصَارَ ظَلَمَتُهَا.

وَقَدْ أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ ذُو أَفَانِينَ مِنَ الْقَوْلِ ضَعُفَتْ قُوَاهَا عَنِ السَّلْمِ؛ وَأَسَاطِيرَ لَمْ
يَحْكُهَا مِنْكَ عِلْمٌ وَلَا حِلْمٌ، أَصْبَحَتْ مِنْهَا كَالْخَائِضِ فِي الدَّهَاسِ، وَالْخَابِطِ فِي الدِّيْمَاسِ،
وَتَرَفَّيْتُ إِلَى مَرْقَبَةٍ بَعِيدَةٍ الْمَرَامِ نَارِحَةَ الْأَعْلَامِ، تَقْصُرُ دُونَهَا الْأَنْوُقُ وَيَحَادِي بِهَا الْعَيْوُقُ.
وَ حَاشَ لِلَّهِ أَنْ تَلِيَ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدِي صَدْرًا أَوْ وَرْدًا أَوْ أُجْرِي لَكَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ عَقْدًا
أَوْ عَهْدًا!! فَمِنَ الْآنَ فَتَدَارِكُ نَفْسَكَ وَأَنْظُرْ لَهَا، فَإِنَّكَ إِنْ فَرَّطْتَ حَتَّى يَنْتَهَدَ إِلَيْكَ عِبَادُ اللَّهِ
ارْتَبَجَتْ عَلَيْكَ الْأُمُورُ، وَمُنِعَتْ أَمْرًا هُوَ مِنْكَ الْيَوْمَ مَقْبُولٌ؛ وَالسَّلَامُ.

أقول: استعار لفظ اللحم: الباصر، لادراك عقله بسرعة، من عيان الأمور: متعلق
بتنتفع. والمدارج: المسالك والمذاهب. والإقتحام: الدخول في الشيء بشدة. وانتحل
الشيء: ادّعه لنفسه. وليس له وما علا عنه: هو ما يطلبه من الملك والإمرة. والابتزاز لما
اختزن دونه، هو: استيلاؤه به وغضبه لمال المسلمين الذي من شأنه ان يخزن دونه، وما
هو الزم له هو طاعته عليه السلام. وما وعاه سمعه: من دليل ذلك، وملىء به صدره:
من العلم بوجوبه. واللّبسة: اللابسون بها، ولفظه مستعار لهم: باعتبار دخولهم فيها. و
اغدقت: أرسلت. والأفانين: الاجناس المختلفة. ودم الكتاب من جهة اللفظ بانه:
اقوال مختلفة ملفقة لا يتناسب. وليس لها قوة توجب صلحا او عاطفة. ومن جهة المعنى
بانه: اباطيل غير محكمة النسج لامن جهة العلم ولا من جهة الحلم، لان الكتاب، يشتمل
على خشونة وغلظة مع انه في معرض طلب الصلح. والأساطير جمع اسطوره: و
هي الاباطيل الكذب. والدهاس: المكان السهل اللين كالرمل. والديماس: المكان
شديد الظلمة، وشبهه بالخائض والخابط فيهما، باعتبار انه لا يهتدى لوجه الحق في
مسلكه و حركاته. والمرقبة: موضع عال مشرف يرتفع عليه الراصد. والانوق: الرحم ١.
والعيوق: نجم معروف. واستعار لفظ المرقبة: لولاية المسلمين وخص الرحمة: لانها
يقصد الأماكن العالية الصعبة من رؤس الجبال فتوكر هناك. وتنهد: تنهض. وارتبجت:
اغلقت. وما هو مقبول منه اليوم: التوبة والرجوع الى الطاعة. وبالله التوفيق.

١ - الرحم: طائر من فصيلة النسريات ورتبة الجوارح ويتغذى باللحوم. حياة الحيوان ١/ ٣٦٨.

٦٥ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى عبد الله بن العباس، وقد تقدّم ذكره بخلاف هذه الرواية

أَمَا بَعْدُ؛ فَإِنَّ الْمَرْءَ لَيَفْرَحُ بِالشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيَقُوتَهُ، وَيَحْزَنُ عَلَى الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، فَلَا يَكُنْ أَفْضَلَ مَا نِلْتَ فِي نَفْسِكَ مِنْ دُنْيَاكَ بُلُوعَ لَذَّةٍ أَوْ شِفَاءَ غَيْظٍ، وَلَكِنْ إِظْفَاءَ بَاطِلٍ أَوْ إِحْيَاءَ حَقٍّ!! وَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا قَدَّمْتَ، وَأَسْفُكَ عَلَى مَا خَلَّفْتَ، وَهَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ.

اقول: بما قدّمت اى: لنفسك من الأعمال الصالحة النافعة فى الآخرة. وما خلفت اى: من الدنيا. واسفّه عليه ان يكون أنفقّه فى غير سبيل الله.

٦٦ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى قثم بن العباس - رَحِمَهُ اللهُ - وهو عامله على مكة

مركز تحقيقات علوم اسلامی

أَمَا بَعْدُ؛ فَأَقِمِ لِلنَّاسِ الْحَجَّ، وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ، وَاجْلِسْ لَهُمُ الْعَصْرَيْنِ فَأَقِيتِ الْمُسْتَفْتَى، وَعَلِّمِ الْجَاهِلَ، وَذَكِّرِ الْعَالِمَ؛ وَلَا يَكُنْ لَكَ إِلَى النَّاسِ سَفِيرٌ إِلَّا لِسَانُكَ، وَلَا حَاجِبٌ إِلَّا وَجْهُكَ، وَلَا تَحْجُبَنَّ ذَا حَاجَةٍ عَنْ لِقَائِكَ بِهَا فَإِنَّهَا إِنْ ذِيدَتْ عَنْ أَبْوَابِكَ فَبِى أَوْلَى وَرِدْهَا لَمْ تُحْمَدْ فِيمَا بَعْدُ عَلَى قَضَائِهَا وَأَنْظُرْ إِلَى مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ مِنْ مَالِ اللَّهِ فَاصْرِفْهُ إِلَى مَنْ قَبْلَكَ مِنْ ذَوَى الْعِيَالِ وَالْمَجَاعَةِ مُصِيبًا بِهِ مَوَاضِعَ الْفَاقَةِ وَالْخَلَّاتِ، وَمَا فَضَلَ عَنْ ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ إِلَيْنَا لِنَقْسِمَهُ فِيمَنْ قَبْلَنَا.

وَمُرْ أَهْلَ مَكَّةَ أَنْ لَا يَأْخُذُوا مِنْ سَاكِنِ أَجْرًا، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: (سَوَاءَ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ) فَأَلْعَاكِفُ: الْمُقِيمُ بِهِ، وَالْبَادِى: الَّذِي يَحْجُجُ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ، وَقَفَّقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ لِمَحَابَبِهِ وَالسَّلَامُ.

اقول: أيام الله: كناية عن عقوباته التى نزلت بمن مضى فى الأيام الخالية.

والعصرين: الغداة والعشي. والسفير: الرسول. وزيدت: دفعت وردت. والمفاقر: مواضع الفقر وجوهه. و اضاف مواضع اليه، لِتَغَايِرِ اللَّفْظِينَ.

٦٧ - وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى سلمان الفارسي رحمه الله قبل أيام خلافته

أَمَا بَعْدُ؛ فَإِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسَّهَا قَاتِلٌ سَمَّهَا، فَأَعْرَضَ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا، وَضَعَّ عَنْكَ هُمُومَهَا لِمَا أَيْقَنْتَ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا، وَكُنْ أَنَسَ مَا تَكُونُ بِهَا أَحْذَرَ مَا تَكُونُ مِنْهَا؛ فَإِنَّ صَاحِبَهَا كُلَّمَا أَظْمَأَنَّ فِيهَا إِلَى سُرُورِ أَشْخَصْتَهُ عَنْهُ إِلَى مَحْذُورٍ!

أقول: أنس حال، وما، مصدرية وخبر كان أحذر، اي: كن حال أنسك بها احذر كونك منها. وقوله: فإن صاحبها الى آخره اي: إن سكون صاحبها الى اللذة يستلزم العذاب المحذور في الآخرة، وقد نبهنا عليه مرات.

٦٨ - وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى الحارث الهمداني

وَتَمَسَّكَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ وَأَنْتَصَحَهُ، وَأَجَلَ حَلَاكَهُ، وَحَرَّمَ حَرَامَهُ، وَصَدَّقَ بِمَا سَلَفَ مِنَ الْحَقِّ؛ وَأَعْتَبِرْ بِمَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا مَا بَقِيَ مِنْهَا؛ فَإِنَّ بَعْضَهَا يُشْبِهُ بَعْضًا، وَأَخْرُهَا لِأَحَقُّ بِأَوْلَاهَا! وَكُلُّهَا حَائِلٌ مُفَارِقٌ وَعَظِيمٌ اسْمُ اللَّهِ أَنْ تَذْكُرَهُ إِلَّا عَلَى حَقٍّ، وَأَكْثَرُ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَلَا تَتَمَنَّ الْمَوْتَ إِلَّا بِشَرِّ وَثِيقٍ وَأَحْذَرَ كُلَّ عَمَلٍ يَرْضَاهُ صَاحِبُهُ لِنَفْسِهِ وَيُكْرَهُ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَحْذَرَ كُلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ بِهِ فِي السِّرِّ وَيُسْتَحَى مِنْهُ فِي الْعِلَاقَةِ وَأَحْذَرَ كُلَّ عَمَلٍ إِذَا سُئِلَ عَنْهُ صَاحِبُهُ أَنْكَرَهُ أَوْ أَعْتَدَرَ مِنْهُ. وَلَا تَجْعَلْ عِرْضَكَ غَرَضًا لِيَبَالِ الْقَوْلُ، وَلَا تُحَدِّثِ النَّاسَ بِكُلِّ مَا سَمِعْتَ بِهِ، فَكَفَى بِذَلِكَ كَذِبًا وَلَا تَرُدَّ عَلَى النَّاسِ كُلِّ مَا حَدَّثُوكَ بِهِ فَكَفَى بِذَلِكَ جَهْلًا، وَأَكْظِمِ الْغَيْظَ وَأَحْلُمِ عِنْدَ الْغَضَبِ، وَتَجَاوَزْ عِنْدَ الْمَقْدَرَةِ، وَاصْفَحْ مَعَ الدَّوْلَةِ تَكُنْ لَكَ الْعَاقِبَةُ، وَاسْتَصْلِحْ كُلَّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا اللَّهُ عَلَيْكَ، وَلَا تُضَيِّعَنَّ

نِعْمَةٌ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عِنْدَكَ ، وَلَيَّرَعَلَيْكَ أَثْرُ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ أَفْضَلَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُهُمْ تَقْدِيمَةً مِنْ نَفْسِهِ وَأَهْلِيهِ وَمَالِهِ، فَإِنَّكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ خَيْرٍ يَبْقَى لَكَ دُخْرُهُ، وَمَا تُؤَخَّرُهُ يَكُنْ لِيَغْيِرَكَ خَيْرُهُ، وَأَخَذَرُ صَحَابَةَ مَنْ يَفِيلُ رَأْيُهُ وَيُنْكِرُ عَمَلُهُ، فَإِنَّ الصَّاحِبَ مُعْتَبَرٌ بِصَاحِبِهِ. وَأَسْكُنِ الْأَمْصَارَ الْعِظَامَ فَإِنَّهَا جَمَاعُ الْمُسْلِمِينَ، وَأَخَذَرُ مَنَازِلَ الْغَفْلَةِ وَالْجَفَاءِ وَقِلَّةِ الْأَعْوَانِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَأَقْصُرُ رَأْيَكَ عَلَى مَا يَغْنِيكَ، وَإِيَّاكَ وَمَقَاعِدَ الْأَسْوَاقِ فَإِنَّهَا مَحَاضِرُ الشَّيْطَانِ وَمَعَارِيضُ الْفِتَنِ، وَأَكْثَرُ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى مَنْ فَضَلْتَ عَلَيْهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الشُّكْرِ، وَلَا تُسَافِرْ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ حَتَّى تَشْهَدَ الصَّلَاةَ إِلَّا فَاصِلًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ فِي أَمْرٍ تُعَذِّرُ بِهِ، وَأَطِيعِ اللَّهَ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ فَإِنَّ طَاعَةَ اللَّهِ فَاصِلَةٌ عَلَى مَا سِوَاهَا، وَخَادِعٌ نَفْسَكَ فِي الْعِبَادَةِ، وَأَرْفُقْ بِهَا وَلَا تَقَهَّرْهَا، وَخُذْ عَفْوَهَا وَنَشَاطَهَا إِلَّا مَا كَانَ مَكْتُوبًا عَلَيْكَ مِنَ الْفَرِيضَةِ، فَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ قَضَائِهَا وَتَعَاهِدِهَا عِنْدَ مَحَلِّهَا، وَإِيَّاكَ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ آتِقٌ مِنْ رَبِّكَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا، وَإِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْفُسَّاقِ فَإِنَّ الشَّرَّ بِالشَّرِّ مُلْحَقٌ، وَوَقِّرِ اللَّهَ وَأَحْبِبْ أَحِبَّاءَهُ، وَأَخْذَرِ الْغَضَبَ فَإِنَّهُ جُنْدٌ عَظِيمٌ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ.

اقول: همدان بسكون الدال: قبيلة. وحبل القرآن: مستعار له يتمسك به منه ليتوصل به الى الله. وانتصحه اى: اتخذه ناصحًا. وحائل: اى: زائل مفارق. والشرط الوثيق: طاعة الله وما يرضاه صاحبه لنفسه، ويكرهه لعامة الناس كالاستيثارات بالخيرات وهو كقوله: ارد للناس ما تريد لنفسك و اكره لهم ما تكره لها. واستصلاح نعمة الله و اظهار اثرها بدوام شكرها والاحسان منها الى الغير، واضاعتها بقلّة ذلك والغفلة عنه. والتقدمة من النفس والاهل: استعمالهم فى طاعة الله و عبادته. و صحابة: مصدر كالصحبة. و يفيل رآيه: يَضْعَفُ. و جماع المسلمين: جامعتهم. و كون الاسواق محاضر الشيطان: باعتبار كونها مظان ثوران الشهوة ورؤية موادّها. و فاصلا فى سبيل الله: ذاهبًا فيه. و خادع نفسك اى: اجذب بها الى العباداة بالخديعة دون المقاهرة. و عفوها: ما سهل عليها و نحوه قول النبي صلى الله عليه وآله: (انّ هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، ولا تُبغض فيه الى نفسك عباداة الله، فان المُنبَتَّ، لا أرضاً قطع ولا ظهراً ابقى)١. و استعار الآبق: للخارج

١ - الجامع الصغير ١ / ٣٨٤. النهاية فى غريب الحديث ٥ / ٢٠٩.

عن الطاعة في طلب الدنيا باعتبار خروجه عنها. والتوقير: الإجلال و التعظيم.

٦٩ - وَمَنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى سهل بن حنيف الأنصاري، وهو عامله على المدينة

في معنى قوم من أهلها لحقوا بمعاوية

أَمَا بَعْدُ؛ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالًا مِمَّنْ قَبْلَكَ يَتَسَلَّلُونَ إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَلَا تَأْسَفُ عَلَى مَا يَفُوتُكَ مِنْ عَدَدِهِمْ، وَيَذْهَبُ عَنْكَ مِنْ مَدَدِهِمْ، فَكَفَى لَهُمْ عَيًّْا وَلَكَ مِنْهُمْ شَافِيًّا فِرَارُهُمْ مِنَ الْهُدَى وَالْحَقِّ، وَإِضَاعُهُمْ إِلَى الْعَمَى وَالْجَهْلِ، وَإِنَّمَاهُمْ أَهْلُ دُنْيَا مُقْبِلُونَ عَلَيْهَا، وَمُهْطِعُونَ إِلَيْهَا، وَقَدْ عَرَفُوا الْعَدْلَ وَرَأَوْهُ وَسَمِعُوهُ وَوَعَوْهُ، وَعَلِمُوا أَنَّ النَّاسَ عِنْدَنَا فِي الْحَقِّ أَسْوَةٌ، فَهَرَبُوا إِلَى الْأَثَرَةِ، فَبُعْدًا لَهُمْ وَسُحْقًا!!

إِنَّهُمْ - وَاللَّهِ - لَمْ يَنْفِرُوا مِنْ جَوْرٍ، وَلَمْ يَلْحَقُوا بِعَدْلٍ، وَإِنَّا لَنَنْظِمُ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَنْ يُدَلَّلَ اللَّهُ لَنَا صَعْبَهُ، وَيُسَهَّلَ لَنَا حَزَنَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَالسَّلَامُ.



اقول: التسلل: الذهاب واحدا واحدا. والايضاع: الاسراع. وكذلك الاهطاع.

والإثرة: الاستبداد بالمال ونحوه والسُحق: البُعد، وأحزنه: أشده.

٧٠ - وَمَنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى المنذر بن الجارود العبدى، وقد خان في بعض ما ولاة من أعماله


أَمَا بَعْدُ؛ فَإِنَّ صَلَاحَ أَبِيكَ عَرَّبِي مِنْكَ، وَظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ، وَتَسْلُكُ سَبِيلَهُ، فَإِذَا أَنْتَ فِيمَا رُقِيَ إِلَيَّ عَنْكَ لَا تَدْعُ لِهَوَاكَ انْقِيَادًا، وَلَا تُبْقِي لِآخِرَتِكَ عِتَادًا، تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ آخِرَتِكَ، وَتَصِلُ عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دِينِكَ، وَلَيْنَ كَانَ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ حَقًّا لَجَمَلُ أَهْلِكَ وَشِشْعُ نَعْلِكَ خَيْرٌ مِنْكَ، وَمَنْ كَانَ بِصِفَتِكَ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَدَّ بِهِ نَعْرٌ، أَوْ يَتَّقَدَّ بِهِ أَمْرٌ، أَوْ يُعْلَى لَهُ قَدْرٌ، أَوْ يُشْرَكَ فِي أَمَانَةٍ، أَوْ يُؤْمَنَ عَلَى خِيَانَتِهِ؛ فَأَقْبِلْ إِلَيَّ حِينَ يَصِلُ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

كِتَابِي هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ. (قال السيد الرضى: والمنذر هذا هو الذى قال فيه اميرالمؤمنين عليه السلام- إنه لنظار في عطفه، مختال في برديه، تفال في شراكيه).

اقول: رُقِيَ الي: رُفِعَ. والعتاد: العدة و عمارة الدنيا بخراب الآخرة: استعمالها على الوجه الذى لا ينبغى مما يَسْتَلْزِمُ الغفلةَ عن الآخرة. وترك العمل لها. والشع: سير بين الأصبعين فى التعل العربى. وقوله: أو يُؤْمَنُ على خيانة: أي حال خيانه لأن كلمة على يُفيد الحال.

٧١- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى عبد الله بن العباس

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّكَ لَسْتَ بِسَابِقِ أَجَلِكَ، وَلَا مَرزُوقِ مَالَيْسَ لَكَ، وَأَعْلَمُ بِأَنَّ الدَّهْرَ يَوْمَانِ: يَوْمٌ لَكَ، وَيَوْمٌ عَلَيْكَ. وَأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ دُولٍ، فَمَا كَانَ مِنْهَا لَكَ أَتَاكَ عَلَى ضَعْفِكَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ.  مَرْتَحِيَّتُكَ تَكُونُ بِرُؤْيُكَ

أقول: إنما ذكر الضعف والقوة: ليُعلم استناد الأعمار والأرزاق وغيرها الى مُدَبِّرٍ حكيم، هو مبدأ أسبابها.

٧٢- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى معاوية

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنِّي عَلَى التَّرَدُّدِ فِي جَوَابِكَ، وَالِاسْتِمَاعِ إِلَى كِتَابِكَ لَمَْوْهِنِ رَأْيِي، وَمُخْطِئِي فِرَاسَتِي، وَإِنَّكَ إِذْ تُحَاوِلُنِي الْأُمُورَ، وَتُرَاجِعُنِي السُّطُورَ كَأَلْمُسْتَنْقَلِ النَّائِمِ تَكْذِيبُهُ أَخْلَامُهُ، وَالْمُتَحَيِّرِ الْقَائِمِ يَبْهَظُهُ مَقَامُهُ؛ لَا يَدْرِي أَلَهُ مَا يَأْتِي أَمَ عَلَيْهِ، وَلَسْتَ بِهِ غَيْرَ أَنَّهُ بِكَ شَبِيهٌ، وَأُقْسِمُ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَوْلَا بَعْضُ الْإِسْتِيقَاءِ لَوَصَلَتْ إِلَيْكَ مِنِّي قَوَارِعُ: تَقْرَعُ الْعِظْمَ، وَتَهْلِسُ

اللَّحْمَ! وَأَعْلَمَ أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ تَبَّطَكَ عَنْ أَنْ تُرَاجِعَ أَحْسَنَ أُمُورِكَ ، وَتَأْذَنَ لِمَقَالِ
نَصِيحَتِكَ .

اقول: موهن: مُضْعَف. والسطور: الكتب، و شَبَّهَهُ فِي طَمَعِهِ مِنْهُ بِمَا يَحَاوِلُهُ مِنَ الشَّامِ،
بِالْمُسْتَثْقَلِ فِي نَوْمِهِ. وَوَجْهَ الشَّبْهِ قَوْلُهُ: تَكْذِبُهُ أَحْلَامُهُ. وَارَادَ أَنَّ تَخَيُّلَاتِهِ وَأَمَانِيَهُ لَوْصُولِ
الْأَمْرِ إِلَيْهِ تَخَيُّلَاتٌ كَاذِبَةٌ. وَالسُّطُورُ: نَصَبٌ بِحَذْفِ الْجَارِ. وَكَذَلِكَ شَبَّهَهُ بِالْمُتَحَيِّرِ:
الْقَائِمِ، وَوَجْهَ الشَّبْهِ قَوْلُهُ: يَبْهَظُهُ مَقَامُهُ، أَي: يُتَعَبُّهُ وَيُنْقِلُهُ، إِلَى قَوْلِهِ: عَلَيْهِ. وَارَادَ: أَنَّهُ
مُتَحَيِّرٌ فِي طَلْبِ هَذَا الْأَمْرِ مُجِدِّ فِيهِ، وَقَدْ اتَّبَعَهُ ذَلِكَ مَعَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ عَاقِبَتَهُ بِخَيْرِ هِيَ أَمْ شَرٌّ.
وَقَوْلُهُ: وَ لَسْتُ بِهَذَا الْمَشْبَهَةِ شَبِيهَاً، وَلَكِنَّهُ بِكَ شَبِيهِ، وَجَعَلَهُ هُوَ أَصْلًا فِي التَّشْبِيهِ مَبَالِغَةً.
وَالْقَوَارِعُ: شِدَائِدُ الْحَرْبِ وَأَهْوَالُهُ. وَتَهْلَسُ اللَّحْمُ: تَذْهَبُ بِأَصْلِهِ. وَكَذَلِكَ تَنْهَسُ. وَتَبْطُهُ:
شَغْلُهُ. وَتَأْذَنُ أَي: تَصْفِي بِأَذْنِكَ .

٧٣ - وَمِنْ حَلْفِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كُتِبَ بَيْنَ رَبِيعَةَ وَالْيَمَنِ ، وَنُقِلَ مِنْ خَطِّ هِشَامِ بْنِ الْكَلْبِيِّ

مَرْتَبَةً تَكْوِينًا لِيُحْيِيَ رَسْمَهُ

هَذَا مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْيَمَنِ حَاضِرُهَا وَبَادِيهَا، وَرَبِيعَةُ حَاضِرُهَا وَبَادِيهَا أَنَّهُمْ عَلَى
كِتَابِ اللَّهِ: يَدْعُونَ إِلَيْهِ وَيَأْمُرُونَ بِهِ، وَيُجِيبُونَ مَنْ دَعَا إِلَيْهِ وَأَمْرِيهِ لَا يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا وَلَا
يَرْضَوْنَ بِهِ بَدْلًا، وَأَنَّهُمْ يَدُّ وَاحِدَةً عَلَى مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ وَتَرَكَهُ، أَنْصَارُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ:
دَعْوَتُهُمْ وَاحِدَةٌ، لَا يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ لِمَعْتَبَةٍ غَائِبٍ، وَلَا لِعُضْبٍ غَاضِبٍ، وَلَا لِاسْتِذْلَالِ قَوْمٍ
قَوْمًا وَلَا لِمَسَبَّةِ قَوْمٍ قَوْمًا! عَلَى ذَلِكَ شَاهِدُهُمْ وَغَائِبُهُمْ، وَحَلِيمُهُمْ وَسَفِيهِهِمْ، وَعَالِمُهُمْ،
وَجَاهِلُهُمْ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ إِنَّ عَهْدَ اللَّهِ كَانَ مَسْئُولًا، وَكُتِبَ: عَلَى بِنِ
أَبِي طَالِبٍ.

اقول: حاضرها: بدل من أهل. وقوله: ولا لاستذلال، الى قوله: قوما، اي: لا
ينقضون العهد لمعونة قوم استذلهم قوم، أو أرادهم قوما. وروى لمسبة: من غير مضاف
بالباء، وهو ظاهر.

٧٤ - وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إِلَى مُعَاوِيَةَ فِي أَوَّلِ مَا بُوِيعَ لَهُ

ذِكْرُهُ الْوَاقِدِيُّ فِي كِتَابِ الْجَمَلِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ: -

أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ عَلِمْتُ إِعْذَارِي فِيكُمْ وَإِعْرَاضِي عَنْكُمْ، حَتَّى كَانَ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ وَلَا دَفْعَ لَهُ، وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ. وَالْكَلَامُ كَثِيرٌ، وَقَدْ أَذْبَرْتُ مَا أَذْبَرْتُ، وَأَقْبَلْتُ مَا أَقْبَلْتُ، فَبَايَعُ مَنْ قَبْلَكَ وَأَقْبَلُ إِلَيَّ فِي وَفْدٍ مِنْ أَصْحَابِكَ.

اقول: اعذاره: اظهار عذره الى الله في نصيحة عثمان، و اعراضه عنهم، بعد اليأس من قبول نصيحته، و عجزه عن نصرته. و ما لا بد منه هو قتله الذي وجب في علم الله وقوعه. و طول الحديث في أمره. و من أدبر: اشارة الى اهل الجمل، و يحتمل ان يريد الانشاء اى: دَخَلَ فِي الإِدْبَارِ مِنْ أَذْبَرْتُ عَنِّي. و في الإقبال من اقبل عليّ. و الوفد: الواردون. و يحتمل ان يكون قوله فيكم، و عنكم: لمعاوية و غيره من المسلمين، و اعذاره اليهم بالنصيحة و اداء الامانة، و اعراضه عنهم بترك مُعَاجَلَةِ الْمُسِيءِ بِالْعُقُوبَةِ. و ما لا بد منه، حربُ الناكثين من أصحاب الجمل. و الحديث: شرح قصتهم و شبهتهم طويل. و قد أدبر منهم من أدبر، و أقبل اليه من أقبل.

٧٥ - وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ، عِنْدَ اسْتِخْلَافِهِ إِيَّاهُ عَلَى الْبَصْرَةِ

سَعَى النَّاسَ بِوَجْهِكَ وَ مَجْلِسِكَ وَ حُكْمِكَ، وَ إِيَّاكَ وَالْغَضَبَ فَإِنَّهُ طَيْرَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَ اعْلَمْ أَنَّ مَا قَرَّبَكَ مِنَ اللَّهِ يُبَاعِدُكَ مِنَ النَّارِ، وَ مَا بَاعَدَكَ مِنَ اللَّهِ يُقَرِّبُكَ مِنَ النَّارِ.

١ - في نسخة ش: الوارد.

اقول: سعة الناس بوجهه: كناية عن بشره وطلاقة لهم. وبمجلسه: كناية عن تواضعه ورأفته بهم. والطيبة الاسم من التطير وهو: التشم. واصله الى الشيطان، لانه مبدأ الغضب.

٧٦ - وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لعبدالله بن العباس، لما بعثه للاحتجاج على الخوارج

لَا تُخَاصِمُهُمْ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّ الْقُرْآنَ حَمَلٌ ذُو وُجُوهِ تَقُولُ وَيَقُولُونَ، وَلَكِنْ حَاجِبُهُمْ
بِالسُّنَّةِ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَنْهَا مَحِيصًا.

اقول: إنما كان القرآن حملًا للوجه، لأن أكثر الآيات غير ناصية على المطلوب، بل
محتملة تمكثهم المجادلة^١. والمحيص: المعدل.

٧٧ - وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى أبي موسى الأشعري جواباً في أمر الحكمين
ذَكَرَهُ سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى الْأُمَوِيُّ فِي كِتَابِ الْمَغَازِي^٢

فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ تَغَيَّرَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ حَظِّهِمْ، فَمَالُوا مَعَ الدُّنْيَا وَنَطَقُوا بِالْهَوَى،
وَإِنِّي نَزَلْتُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَنْزِلًا مُعْجِبًا اجْتَمَعَ بِهِ أَقْوَامٌ أَعْجَبَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ، فَإِنِّي أَدَاوِي مِنْهُمْ
قَرَحًا أَخَافُ أَنْ يَكُونَ عَاقِبَتُهُمْ، وَلَيْسَ رَجُلٌ - فَاغْلَمْ - أَحْرَصَ عَلَى جَمَاعَةٍ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

١ - في ش زيادة: باحتمالها.

٢ - الصحيح: يحيى بن سعيد بن أبان الأموي الكوفي المتوفى ١٩٤. وكان حافظاً ثباتاً نبيلاً وهو من التابعين
وله كتاب (المغازي) والغريب أن التصحيف هذا حدث في جميع طبقات كتاب (نهج البلاغة) وشروحه ولم
يتحقق في حاله أحد. تجد ترجمته في:

تاريخ بغداد ١٤/١٣٢. تذكرة الحفاظ ١/٣٢٥. تهذيب التهذيب ١١/٢١٣. خلاصة تذهيب الكمال/ ٣٦٣.

شذرات الذهب ١/٣٤١. طبقات الحفاظ/ ١٣٦. كشف الظنون ١/١٧٤٧. ميزان الاعتدال ٤/٣٨٠.

وَاللَّهُ وَسَلَّمَ، وَالْفَتِيهَا مِنِّي أَبْتَغِي بِذَلِكَ حُسْنَ الثَّوَابِ وَكَرَمَ الْمَاِبِ. وَسَأْفِي بِاللَّذِي وَآيْتُ
عَلَى نَفْسِي، وَإِنْ تَغَيَّرَتْ عَن صَالِحٍ مَا فَارَقْتَنِي عَلَيْهِ، فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَن حُرِمَ نَفْعَ مَا أُوتِيَ
مِنَ الْعَقْلِ، وَالتَّجْرِبَةِ وَإِنِّي لِأَعْبُدُ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ بِبَاطِلٍ. وَأَنْ أَفْسِدَ أَمْرًا قَدْ أَصْلَحَهُ اللَّهُ:
فَدَعُ مَا لَا تَعْرِفُ. فَإِنَّ شِرَارَ النَّاسِ ظَائِرُونَ إِلَيْكَ بِأَقَاوِيلِ السُّوءِ.

اقول: عن كثير من حظهم، اى: الحظ الذي ينبغي لهم من الدين والهدى. والحظ:
النصيب. والأمر: أمر الخلافة. والمنزل المُعجَب: الذي نزله منه حاله التي حصل فيها
مع اصحابه وصارت محلَّ التعجب. وكيف صار محكوماً لهم في قبول الحكومة،
والرُضى بالتحكيم. وقوله: اجتمع به صفة منزل. واستعار لفظ القرع: لما فسد من حاله
معهم. ولفظ العلق: وهو الدَّمُ الغليظ لما يُخَافُ من تفاقمِ أمرهم عن تلك الحال. و آيت:
وعدت. وَأَعْبُدُ: أَسْتَنْكُفُ وَأَنْفَ.

٧٨ - وَمِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
لَمَّا اسْتُخْلِفَ، إِلَى أَمْرَاءِ الْأَجْنَادِ

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّمَا هَلَكَ مَن كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ مَنَعُوا النَّاسَ الْحَقَّ فَاشْتَرَوْهُ، وَأَخَذُوهُمْ
بِالْبَاطِلِ فَاقْتَدَوْهُ.

اقول: اشتروه بمعنى باعوه أي: فباعه الناس وتعضوا عنه بالباطل. فاقصدوه اى:
جعلوه قُدوةً واتبوعاً. وباللَّهِ التوفيق.

باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام
 ويدخل في ذلك المختار من أجوبة مسائله
 والكلام القصير الخارج في سائر أغراضه

١ - قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كُنْ فِي الْفِتْنَةِ كَابْنِ اللَّبُونِ. لَا ظَهْرَ فَيَرْكَبَ، وَلَا ضَرْعَ فَيُخَلِّبَ.

اقول: ابن اللبون: ولد الناقة اذا استكمل سنتين، ودخل في الثالثة. وأراد التشبه في الفتنة بابن اللبون، في عدم انتفاع الظالمين بك بوجه، كما لا نفع فيه بظهور ولا ضرع.

مركز تحقيقات كويتية للعلوم الإسلامية

٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِحْدَى وَعِشْرِينَ كَلِمَةً مِنَ الْأَدَبِ وَالْحِثِّ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَهِيَ قَوْلُهُ:

أَزْرَى بِنَفْسِهِ مَنْ أَسْتَشْعَرَ الظَّمْعَ، وَرَضِيَ بِالذُّكِّ مَنْ كَشَفَ عَنْ ضُرِّهِ، وَهَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ مَنْ أَمَرَ عَلَيْهَا لِسَانَهُ، وَالْبُخْلُ عَارٌ، وَالْجُبْنُ مَنَقَصَةٌ، وَالْفَقْرُ يُخْرِسُ الْفَطِنَ عَنْ حُجَّتِهِ، وَالْمُقِلُّ غَرِيبٌ فِي بَلَدِيَّتِهِ، وَالْعَجْزُ آفَةٌ، وَالصَّبْرُ شَجَاعَةٌ، وَالزُّهْدُ ثَرْوَةٌ، وَالْوَرَعُ جُنَّةٌ، وَنِعْمَ الْقَرِينُ الرِّضَا، وَالْعِلْمُ وَرَاثَةُ كَرِيمَةٍ، وَالْآدَابُ حُلَلٌ مُجَدَّدَةٌ، وَالْفِكْرُ مِرَاةٌ صَافِيَةٌ، وَصَدْرُ الْعَاقِلِ صُنْدُوقُ سِرِّهِ، وَالْبَشَاشَةُ جِبَالَةُ الْمَوَدَّةِ، وَالْإِحْتِمَالُ قَبْرُ الْعُيُوبِ (الْمُسَالَمَةُ خِبَاءُ الْعُيُوبِ)، وَمَنْ رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ كَثُرَ السَّخِطُ عَلَيْهِ، وَالصَّدَقَةُ دَوَاءٌ مَنْجِحٌ، وَأَعْمَالُ الْعِبَادِ فِي عَاجِلِهِمْ نُصَبٌ أَعْيُنُهُمْ فِي آجِلِهِمْ.

١ - شرح المؤلف ابن ميثم البحراني ... مائة كلمة من مجموع كلمات الامام امير المؤمنين عليه السلام، شرحا مبسطا و طبع في كتاب خاص في طهران عام ١٣٩٤ الهجري ويقع في ٢٧٢ صر كما سبق الحديث عنه في المقدمة.

أقول: استشعر الطمع اى: اتخذته شعاراً لقلبه والشعار، ما يلى الجسد من الثياب، فاستعارها هنا لمكان المشابهة، وهى مستلزم لهون النفس والازراء بها عند الناس بحسب الحاجة اليهم و الذلة لهم، و تأمير اللسان: تحكيمه فى القول من غير مراجعة النفس، ونفر عن ذلك بذكر ما يلزمه من سهولة نفسه عليه، لأنه ربّما كان سبب هلاكها فى الدارين كقول الرسول صلى الله عليه وآله: (و هل يكذب الناس على مناخرهم فى النار الا حصايد ألسنتهم). و عار البخل، و نقصان الجبن: باعتبار كونهما رذيلتين. و استعار وصف الخرس عن الفقر: لكونه مذلة يفعل فى النفس قبضاً و فتوراً، و عجزاً عن المقاومة بالحجة كالخرس. و غربة المقل: باعتبار قلة الالتفات اليه. والآفة: النقصان. والصبر شجاعة: باعتبار انه مقاومة النفس الامارة لسلا تنقاد الى قبائح اللذات و ذلك مستلزم لأتم الشجاعة. والزهد: مستلزم لغنى النفس لأنه إعراض عن متاع الدنيا والحاجة اليها، والورع: لزوم الأعمال الجميلة و هو جنة سائرة من عذاب الله.

و استعار لفظ المجددة للأداب: باعتبار دوام زينة المتلبس بها. و لفظ المرأة: لقوة الفكر: باعتبار انتفاشها بصور الاشياء كالمرأة. و لفظ الصندوق: باعتبار حفظه للسّر. و رغب بذكر العقل فى حفظ السّر، و لفظ الحباله للباشاشة فى وجوه الناس: باعتبار استلزامها للمودة كالحباله للصيد. و لفظ القبر للأحتمال: باعتبار ستره للعيوب من صاحبه. و كذلك لفظ الخباء، فى الرواية الثانية. و كثرة الساخط على من رضى عن نفسه: لأنه يرفعها فوق قدرها لاعتقاده كمالها. و الناس يرونه بدون ذلك فيكثر الإنكار عليه، و سخط فعله و استعار لفظ الدواء للصدقة: باعتبار انها حسنة يذهب السيئة التى هى الداء النفسانى، و لأنها تستجلب الهمم، و الأدعية الصالحة لشفاء الامراض البدنية فُتشفى، كما قال صلى الله عليه وآله: (داووا مرضاكم بالصدقة). و كون اعمال العباد نصب أعينهم فى آجلهم: لما علمت ان النفوس تتعش بملكات الخير و الشر لكنها فى أغطية من الأبدان بحجبها عن ادراك الأمور كماهى، فاذا زالت تلك الحجب بالموت ادركت ما فيها من خير و شر، و كانت نصب عيتها مشاهدة لها، كما قال تعالى: (فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ) ١.

٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَعْجَبُوا لِهَذَا الْإِنْسَانِ يَنْظُرُ بِشَحْمٍ، وَيَتَكَلَّمُ بِلَحْمٍ، وَيَسْمَعُ بِعَظْمٍ، وَيَتَنَفَّسُ مِنْ خَرْمٍ!!

٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا أَقْبَلَتِ الدُّنْيَا عَلَى أَحَدٍ أَغَارَتْهُ مَحَاسِنُ غَيْرِهِ وَإِذَا أُدْبِرَتْ عَنْهُ سَلَبَتْهُ مَحَاسِنُ نَفْسِهِ.

يريد: ان اقبال الدنيا: بسبب توافق أسباب الخير فيها لقوم يعدهم للحصول على مثل كمالاتها التي حصلت لمن كان قبلهم مما يعد حسناً. و اذا أدبرت عنهم أعدت لهم لأضداد ذلك و سلبوا ما كان منه حاصلًا لهم. و استعار وصف العارية لتلك الكمالات: باعتبار عدم دوامها.

٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: نَحَايَطُوا النَّاسَ مُخَالَطَةً إِنْ مُتُّمْ مَعَهَا بَكُوا عَلَيْكُمْ، وَإِنْ عِشْتُمْ حَنُوا إِلَيْكُمْ.

اراد المخالطة: بمكارم الاخلاق، فانها يستلزم ما ذكر.

مركز تحقيقات علوم راسدي

٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا قَدَّرْتَ عَلَى عَدُوِّكَ فَاجْعَلِ الْعَفْوَ عَنْهُ شُكْرًا لِلْقُدْرَةِ عَلَيْهِ.

الشكر: هو الاعتراف بالنعمة: والعفو: مستلزم للاعتراف بنعمة القدرة على العدو، فامر بالعفو المستلزم للشكر. و اطلق لفظه على العفو مجازاً: اطلاقاً لإسم اللازم على ملزومه.

٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ اِكْتِسَابِ الْإِخْوَانِ وَأَعْجَزُ مِنْهُ مَنْ ضَيَّعَ مَنْ ظَفِيرِهِ مِنْهُمْ.

أما الأول: فلان اكتساب الاخوان اما يفتقر الى كرم الاخلاق و حسن المعاشرة و هي امور طبيعية في اكثر الناس سهلة عليهم. و اما المضيع لهم اعجز، فلانه لا يفتقر في حفظهم الى كلفة التحصيل، فكان سبب حفظهم اسهل فكان مضيعهم أعجز.

٨- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فِي الَّذِينَ اعْتَزَلُوا الْقِتَالَ مَعَهُ:

خَذَلُوا الْحَقَّ وَلَمْ يَنْصُرُوا الْبَاطِلَ.

والمعنى واضح.

٩- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا وَصَلَتْ إِلَيْكُمْ أَطْرَافُ النَّعْمِ فَلَا تُنْفَرُوا أَقْصَاهَا بِقِلَّةِ الشُّكْرِ.

وهو: تمثيل للنعم بالنعم. واطرافها: اوائلها. واقصاها، ما يأتي بعد ذلك. واستعار

وصف التنفير لا نقطاعها بترك الشكر: لأنه سبب لمزيدها، فانقطاعها بانقطاعه، وفيه تنبيه على لزوم الشكر.

١٠- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ ضَيَّعَهُ الْأَقْرَبُ أُتِيحَ لَهُ الْأَبْعَدُ.

أي من أهله وقومه أتى له الأبعد، أي: قدر لمنفعته ومعونته لوجوب ذلك في

عناية الله تعالى.



١١- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا كُلُّ مَفْتُونٍ يُعَاتَبُ.

أي: ليس كلُّ مُبْتَلَى بِمَعْصِيَةٍ يَنْفَعُ مَعَهُ الْعِتَابُ.

١٢- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: تَذِلُّ الْأُمُورُ لِلْمَقَادِيرِ حَتَّى يَكُونَ الْحَثْفُ فِي التَّدْبِيرِ.

فذللتها: مطاوعتها للقدر بحسب القضاء الألهي. وربما كان الهلاك المفضي منها

مقدراً فيما يعتقدُه الانسان تدبيراً صالحاً لجهله بسر القدر.

١٣- وَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عَنْ قَوْلِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ «غَيَّرُوا

الشَّيْبَ، وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ» فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ

وَالَّذِينَ قُلُّ؛ فَأَمَّا الْآنَ وَقَدْ اتَّسَعَ نِطَاقُهُ، وَضَرَبَ بِجِرَانِهِ فَاْمُرُوْا وَمَا اخْتَارَ.

١- في رواية ان النبي (ص) قال: ان اليهود والنصارى لا يصيبون فخالقوهم. صحيح مسلم ٣/ ١٦٦٣ عن

أبي هريرة.

قد كان الرسول صلى الله عليه وآله نذب الى الخضاب ليرى الكفار المسلمين بعين الشيبة والقوة حيث كانوا قليلين، و كان ينفهم عن تركه بان ذلك يشبه باليهود، ولذلك نبه عليه السلام على المقصود فى قوله: والدين قُلْ. واستعار لفظ النطاق، وهو: شقة طويلة تنجر على الارض اذا البست للاسلام باعتبار عمومه وانبساطه. ولفظ الجران: وهو صدر البعير له، باعتبار تمكنه وثباته. و اشار بقوله: وأمرؤ وما اختار: الى الإباحة بعد النذب.

١٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ جَرَى فِي عَيْنِ أَمَلِهِ عَثَرَ بِأَجَلِهِ.

استعار وصف الجرى: للانذفاع فى الأمل. و وصف العثار للأجل: باعتبار المعقول من قطعه لذلك الاندفاع تنفيراً عن الغفلة والجرى فيه.

١٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَقْبِلُوا ذَوَى الْمُرُوءَاتِ عَثَرَاتِهِمْ، فَمَا يَعْتَرُّ مِنْهُمْ عَائِرٌ إِلَّا وَيَدُّ اللَّهُ بِيَدِهِ يَرْفَعُهُ.

استعار لفظ العثرات: للزلات الواقعة منهم. و لفظ اليد: لعناية الله تعالى وقدرته. و كنى عن تداركه لحاله وتعلق العناية به، بكون يده بيده، ترفعه وترفعه.

١٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قُرْنَتِ الْهَيْبَةُ بِالْخَيْبَةِ، وَالْحَيَاءُ بِالْجِرْمَانِ، وَالْفُرْصَةُ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ فَأَنْتَهزُوا فُرْصَ الْخَيْرِ.

فاقترانهما: عبارة عن ملازمتها غالباً، وهو تنفير عن الهيبة والحياء المذمومين. و انتهز الفرصة: بادروقتها. والفرصة ما أمكن من نفسه.

١٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَتَأَحَقُّ فَإِنْ أُعْطِينَاهُ وَإِلَّا رَكِبْنَا أُعْجَازَ الْإِبْلِ وَإِنْ طَالَ السَّرَى.

قال الرضى: وهذا من لطيف الكلام وفصيحه، ومعناه إنا إن لم نُعط حقنا كنا اذلاء، وذلك أن الرديف يركب عجز البعير كالعبد والأسير ومن يجرى مجراهما.

١٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ.

يريد ان من لم يكن له عمل حسن يرفعه، فَتَأْخَرَسِبْ ذلك^١ عن معالى الرتب، لم يسرع به نسبه وشرف بيته اليها. وروى حسبه، والحسب، ما يُعَدُّ من المآثر.

١٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مِنْ كَفَّارَاتِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ إِغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ وَالتَّنْفِيسُ عَنِ الْمَكْرُوبِ.
فالمهلوف: المظلوم يستغيث. والتنفيس: التفریح.

٢٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا ابْنَ آدَمَ، إِذَا رَأَيْتَ رَبَّكَ سُبْحَانَهُ يُتَابِعُ عَلَيْكَ نِعْمَهُ وَ أَنْتَ تَعْصِيهِ فَاخْذِرْهُ.
تتابع نعم الله على العبد مع معصيته له استدراج منه يوجب حذره.

٢١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئًا إِلَّا ظَهَرَ فِي قَلَّتَاتِ لِسَانِهِ، وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ.
لأن الوجود اللساني، مظهر للوجود الذهني. والتصورات النفسانية مبادئ للامارة الظاهرة كصفرة الوجع، وحمرة الخجل، فالمضمحل لشيء، لا يكاد يضبطه دائماً لغفلة العقل، وقتاً ما، او اشتغاله بمهم آخر عن العناية بحفظ ما اضمحل فينفلت به اللسان ويظهر ما يدل عليه في الوجه، كما يتبين من العداوة والغضب.

٢٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِمْشِ بِدَائِكَ مَا مَشَى بِكَ.
اي: مادام المرض لا ينهضك فلا ينفعك عنه، لأن في التجلّد معاونة للطبيعة على دفعه، ومن الأمراض ما يتحلل بالحركات البدنية.

٢٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَفْضَلُ الزُّهْدِ إِخْفَاءُ الزُّهْدِ.
اخفاؤه: للبعد^٢ عن مخالطة الرياء المفسدة.

١ - في ش هكذا: فيأخر بذلك عن معالى الرتب.

٢ - في ش: لبعده.

٢٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا كُنْتَ فِي إِذْبَارِ وَالْمَوْتُ فِي إِقْبَالٍ فَمَا أَسْرَعَ الْمُلتَقَى .

أراد ما يعقل من إذبار الانسان في قطع منازل العمر عن اوله، ومن وصول فناءه اليه بحسب توجهه اليه .

٢٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْحَدْرُ الْحَدْرُ! فَوَاللَّهِ لَقَدْ سَتَرَ حَتَّى كَانَهُ قَدْ غَفَرَ .

وهو ظاهر .

٢٦ - وَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عَنِ الْإِيمَانِ، فَقَالَ: الْإِيمَانُ عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمٍ: عَلَى

الصَّبْرِ، وَالْيَقِينِ، وَالْعَدْلِ، وَالْجِهَادِ، وَالصَّبْرُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى الشُّوقِ وَالشَّفَقِ، وَالزُّهْدِ، وَالْتَرَقُّبِ: فَمَنْ أَشْتَقَ إِلَى الْجَنَّةِ سَلَاعِنِ الشَّهَوَاتِ، وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ اجْتَنَبَ الْمُحَرَّمَاتِ، وَمَنْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا اسْتَهَانَ بِالمُصِيبَاتِ وَمَنْ ارْتَقَبَ الْمَوْتَ سَارَعَ إِلَى الْخَيْرَاتِ. وَالْيَقِينُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى تَبْصِيرِ الْفِطْنَةِ، وَتَأْوِيلِ الْحِكْمَةِ، وَمَوْعِظَةِ الْعِبْرَةِ، وَسُنَّةِ الْأَوَّلِينَ: فَمَنْ تَبَصَّرَ فِي الْفِطْنَةِ تَبَيَّنَتْ لَهُ الْحِكْمَةُ، وَمَنْ تَبَيَّنَتْ لَهُ الْحِكْمَةُ عَرَفَ الْعِبْرَةَ، وَمَنْ عَرَفَ الْعِبْرَةَ فَكَانَتْ كَانَتْ فِي الْأَوَّلِينَ. وَالْعَدْلُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى غَايِصِ الْفَهْمِ، وَغَوْرِ الْعِلْمِ، وَرُهْرَةِ الْحُكْمِ، وَرَسَاخَةِ الْحِلْمِ: فَمَنْ فَهِمَ عِلْمَ غَوْرِ الْعِلْمِ، وَمَنْ عِلِمَ غَوْرَ الْعِلْمِ صَدَرَ عَنْ شَرَائِعِ الْحُكْمِ، وَمَنْ حَلِمَ لَمْ يُفْرِطْ فِي أَمْرِهِ وَعَاشَرَ فِي النَّاسِ حَمِيدًا. وَالْجِهَادُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالصَّدْقِ فِي الْمَوَاطِنِ، وَشَتَانِ الْفَاسِقِينَ فَمَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ شَدَّ ظُهُورَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَنْ نَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ أَرْغَمَ أَنْوْفَ الْمُنَافِقِينَ، وَمَنْ صَدَقَ فِي الْمَوَاطِنِ قَضَى مَا عَلَيْهِ، وَمَنْ شَنِىءَ الْفَاسِقِينَ وَغَضِبَ لِهَ غَضِبَ اللَّهُ لَهُ وَأَرْضَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وقال عليه السلام: الكُفْرُ عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمٍ: عَلَى التَّعَمُّقِ، وَالتَّنَازُعِ، وَالزُّبَيْغِ،

وَالشَّقَاقِ: فَمَنْ تَعَمَّقَ لَمْ يُنِبْ إِلَى الْحَقِّ، وَمَنْ كَثُرَ نِزَاعُهُ بِالْجَهْلِ دَامَ عَمَاهُ عَنِ الْحَقِّ، وَمَنْ زَاغَ سَاءَتْ عِنْدَهُ الْحَسَنَةُ، وَحَسُنَتْ عِنْدَهُ السَّيِّئَةُ، وَسَكِرَ سُكْرَ الضَّلَالَةِ؛ وَمَنْ شَاقَّ وَعَمَّرَتْ عَلَيْهِ طَرْفُهُ، وَأَغْضَلَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ، وَضَاقَ عَلَيْهِ مَخْرَجُهُ. وَالشُّكُّ عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى التَّمَارِي وَالْهَوْلِ، وَالتَّرَدُّدِ، وَالْإِسْتِسْلَامِ: فَمَنْ جَعَلَ الْمِرَاءَ دَيْدِنًا لَمْ يُضْبِحْ لَيْلُهُ، وَمَنْ هَالَهَ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ نَكَّصَ عَلَى عَقْبِيهِ، وَمَنْ تَرَدَّدَ فِي الرَّيْبِ وَطِئَتْهُ سَنَابِكُ الشَّيَاطِينِ، وَمَنْ

أَسْتَسَلَّمَ لِهَلَكَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ هَلَكًا فِيهِمَا. (وبعد هذا كلام طويل تركنا ذكره خوف الأطلال والخروج عن الغرض المقصود في هذا الباب).

أقول: اراد بالإيمان: الإيمان الكامل، وله اصل وكمالات، اما الأصل فهو: استكمال القوة النظرية للنفس بتصور الامور، والتصديق بالحقائق النظرية، والعمل بقدر الطاقة البشرية، ويسمى حكمة علمية. واما الكمالات فهي: التحلى بالملكات الفاضلة و مكارم الاخلاق، فمنها: استكمال القوة العملية للنفس بملكة العلم، بوجود الفضائل الخلقية، و كيفية اكتسابها و وجود الرذائل النفسانية و كيفية اجتنابها، و تسمى حكمة عملية، و عبر عن هذه الحكمة والتي قبلها باليقين: لانها لا تسمى حكمة، حتى تصير هذه الكمالات ملكة للنفس و يقيناً. ومنها العفة و عبر عنها بالصبر: لانه من لوازمها، و منها الشجاعة و هي: ملكة الإقدام الواجب على الأمور التي تنبغى دفعها و مقاومتها، و عبر عنها بالجهاد: لملازمتها. و منها العدل و هو: ملكة فاضلة ينشأ عن الفضائل الثلاثة المذكورة و يلزمها. واستعار لهذه الأربع لفظ الدعائم: باعتبار قيام الإيمان الكامل بها. ثم نبه على ما يتشعب عن هذه الدعائم من الفضائل، و يكون كالنوع تحتها، فالشوق الى الجنة و الاشفاق من النار و الزهد في الدنيا، و ترقب الموت يلزمها العفة و الصبر عن المحارم، و تبصرة الفطنة و اعمالها، و تأول الحكمة و هو تفسيرها، و استخراج الحقائق ببراهينها. و الإيعاز عن العبر و ملاحظة سنن الأولين حتى يصير كأنه منهم.

شعب اليقين و فروعها، و بعضها كالفرع لبعض، و الفهم الغائض و غور العلم و اقصاه، و هو العلم بالشئ بحقيقته، و نور الحكم اى: الاحكام الصادرة عنه نيرة واضحة، و يحتمل ان يريد بالحكم الحكمة و نورها ان يكون ملكة واضحة. و رساخة الحلم و هو: ان يصير ملكة من شعب العدل و فروعها.

و اعلم، ان فضيلتي جودة الفهم، و غور العلم، و ان كانتا داخلتين تحت الحكمة، و كذلك فضيلة الحلم، داخلة تحت ملكة الشجاعة، إلا ان العدل لما كان فضيلة موجودة في الاصول الثلاثة، كانت في الحقيقة هي و فروعها شعباً للعدل.

و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و الصدق فى المواطن المكروهة. و شتان الفاسقين أي: بغضهم المستلزم لعداوتهم و حربهم و جهادهم فى سبيل الله من

شَعَبِ الشَّجَاعَةِ الْمَعْبَّرِ عَنْهَا بِالْجِهَادِ، وَ لِكُلِّ مِنْ هَذِهِ الْفَضَائِلِ ثَمْرَةٌ، وَ بَعْضُ ثَمَرَاتِهَا ثَمَرَاتٌ لِبَعْضٍ كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ وَ هُوَ ظَاهِرٌ.

وَ أَمَّا الْكُفْرُ، فَهُوَ أَصْلٌ، هُوَ الْجَهْلُ بِالصَّانِعِ. وَ جَحْدُهُ انْكَارُ بَعْضِ رِسَالِهِ وَ مَا عَلِمَ مَجِيئَهُمْ بِهِ، بِالضَّرُورَةِ أَوْ الشَّكِّ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَ مَتَمَّاتٌ هِيَ رِذَائِلُ تَفَوُّتِهِ وَ تَدَعَمِهِ فَمِنْهَا، التَّعَمُّقُ وَ هُوَ الْإِفْرَاطُ فِي طَلْبِ الْحَقِّ، وَ التَّعَسُّفُ فِيهِ بِالْجَهْلِ وَ هُوَ رِذِيلَةُ الْجَوْرِ، وَ نَقَرٌ عَنْهَا بِذِكْرِ ثَمَرَتِهَا، وَ هُوَ عَدَمُ الْإِنَابَةِ إِلَى الْحَقِّ.

ثُمَّ التَّنَازُعُ، وَ هُوَ: رِذِيلَةُ الْإِفْرَاطِ (مِنْ فَضِيلَةِ الْعِلْمِ، وَ يُسَمَّى جَرَبِزَةً)^١ وَ يُعْتَمَدُ الْجَهْلُ الْمُرَكَّبُ، وَ يُلْزَمُهُ دَوَامُ الْعَمَى عَنِ الْحَقِّ.

ثُمَّ الزَّيْعُ وَ هُوَ: رِذِيلَةُ التَّفْرِيطِ مِنْ فَضِيلَةِ الْعِلْمِ، وَ يُسَمَّى غِبَاوَةً، وَ جَهْلًا بَسِيطًا، وَ لِذَلِكَ لُزِمَهُ قَبِيحُ الْحَسَنِ، وَ حَسَنُ الْقَبِيحِ.

ثُمَّ الشَّقَاقُ، وَ يُشَبَّهُ أَنْ يَكُونَ رِذِيلَةُ الْإِفْرَاطِ مِنْ فَضِيلَةِ الشَّجَاعَةِ، وَ يُسَمَّى تَهَوُّرًا وَ يُلْزَمُهَا عَسْرُ لِلْسَّالِكِ عَلَى صَاحِبِهَا وَ ضَيْقُ مَخْرَجِهِ مِنَ الْأُمُورِ، لِأَنَّ مَبْدَأَ سَهُولَةِ الْمَسَالِكِ وَ اتِّسَاعِ الْمَدَاخِلِ وَ الْمَخَارِجِ فِي الْأُمُورِ هُوَ الْحِلْمُ عَنِ النَّاسِ، وَ احْتِمَالُ مَكْرُوهِهِمْ. وَ أَعْضَلُ اشْتَدَّ. وَ أَمَّا الشَّكُّ، فَهُوَ: تَرَدُّدُ الذَّهْنِ فِي اعْتِقَادِ أَحَدِ طَرَفِي النَّقِيضِ، وَ يَتَشَعَّبُ عَنْهُ التَّمَارِيُّ لِأَنَّهُ مَبْدَأٌ لَهُ، وَ نَقَرٌ عَنِ اتِّخَاذِهِ مَلَكَةً بِكَوْنِهِ لَا يَصْبِحُ لِيْلِهِ، وَ كَتَى بِذَلِكَ عَنِ عَدَمِ وَضُوحِ الْحَقِّ لَهُ مِنْ ظُلْمَةِ لَيْلِ الشَّكِّ وَ الْجَهْلِ.

ثُمَّ الْهَوْلُ، لِأَنَّ الشَّكَّ فِي الْأُمُورِ، يَسْتَلْزِمُ الْخَوْفَ مِنَ الْإِقْدَامِ عَلَيْهَا، وَ ثَمَرَتُهُ الرَّجُوعُ عَلَى الْإِعْقَابِ.

ثُمَّ التَّرَدُّدُ فِي الرَّيْبِ إِلَى الْإِنْتِقَالِ مِنْ بَعْضِ جَزَائِيَاتِ الشَّكِّ إِلَى بَعْضِ ذَلِكَ دَابٌّ مِنْ تَعَوُّدِ الشَّكِّ، وَ صَارَ لَهُ مَلَكَةٌ، وَ نَقَرٌ عَنِ ذَلِكَ بِمَا يُلْزَمُ مِمَّا كَتَى عَنْهُ بِوَطْئِ سَنَابِكِ الشَّيَاطِينِ، وَ هُوَ مَلِكُ الْوَهْمِ وَ الْخِيَالِ لِأَرْضِ قَلْبِهِ، حَتَّى يَكُونَ سُلْطَانُ الْعُقُولِ بِمَعزَلٍ عَنِ الْحَزْمِ بِمَا مِنْ شَأْنِهِ الْجَزْمُ بِهِ^٢. وَ اسْتِعَارَ لَفْظَ السَّنَابِكِ جَمْعَ سَنَبِكَةٍ وَ هِيَ^٣ الْإِسْتِسْلَامُ

١ - الْجُمْلَةُ بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ سَاقِطَةٌ فِي نَسْخَةِ ش.

٢ - فِي ش: أَنْ يَجْزَمَ بِهِ.

٣ - فِي ش بِزِيَادَةٍ: وَ هِيَ مَعْرَبٌ وَ مَعْنَاهُ بِالْمَجْمُوعَةِ سَنَبٌ، وَ زَيْدُ الْكَافِ وَالْهَاءُ فِيهِ، وَ الْمُرَادُ بِهِ الْحَافِرُ، أَيْ

لهلكة الدنيا والآخرة، ويلزم عن الشك في امورها لأن الشاك فيها غير عامل لشيء منها، ولا مهتم بأسبابها، وبحسب ذلك يكون استسلامه لما يرد منها عليه، ولزوم هلاكه عن ذلك ظاهر. وبالله التوفيق.

٢٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَاعِلُ الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنْهُ؛ وَفَاعِلُ الشَّرِّ شَرٌّ مِنْهُ.
لأن كلا منهما علة، والعلة أفضل من معلولها، واغوى فيما هي علة فيه.

٢٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كُنْ سَمْحًا وَلَا تَكُنْ مُبَدِّرًا، وَكُنْ مُقَدِّرًا وَلَا تَكُنْ مُقْتَرًا.
فالتبذير: طرف الإفراط من فضيلة السماحة. والتقتير: طرف التفريط منها والتقدير: هو العدل والاستواء عليها.

٢٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَشْرَفُ الْغِنَى تَرْكُ الْمُنَى.
وذلك لملازمته القناعة المستلزمة لغنى النفس، وهو اشرف انواع الغنى. والمنى جمع منية: بمعنى التمنى. مركز تجميع تكملة علوم راسدية

٣٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ أَسْرَعَ إِلَى النَّاسِ بِمَا يَكْرَهُونَ قَالُوا فِيهِ بِمَا لَا يَعْلَمُونَ.
وذلك لغلبة قواهم الغضبية على عقولهم بباعث تصور المكروه منه.

٣١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ أَطَالَ الْأَمَلَ أَسَاءَ الْعَمَلَ.
وذلك لاستلزام طولة الغفلة عن الآخرة والاهتمام بها.

٣٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَقَدْ لَقِيَهُ عِنْدَ مَسِيرِهِ إِلَى الشَّامِ دَهَاقِينَ الْأَنْبِيَاءِ، فَتَرَجَّلُوا لَهُ وَاشْتَدُّوا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي صَنَعْتُمُوهُ؟ فَقَالُوا: خُلِقْنَا مِنْ نِعْمَتِكَ بِهَ أُمَرَاءَنَا، فَقَالَ:

١ - حافر الشياطين ثم الاستسلام...

وَاللَّهُ مَا يَنْتَفِعُ بِهَذَا أَمْرًاؤُكُمْ، وَإِنَّكُمْ لَتَشْقُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ، وَتَشْقُونَ بِهِ فِي آخِرَتِكُمْ، وَمَا أَحْسَرَ الْمَشَقَّةَ وَرَأَاهَا الْعِقَابُ، وَأَرْبَحَ الدَّعَةَ مَعَهَا الْأَمَانُ مِنَ النَّارِ. اشْتَدُوا: عَدَّوْا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالشَّقَاءُ فِي الْآخِرَةِ بِذَلِكَ: لِأَنَّهُ تَعْظِيمٌ لِغَيْرِ اللَّهِ.

٣٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِابْنِهِ الْحَسَنِ:

يَا بُنَيَّ، أَحْفَظْ عَنِّي أَرْبَعًا، وَأَرْبَعًا، لَا يَضُرُّكَ مَا عَمِلْتَ مَعَهُنَّ: إِنْ أَعْتَى الْغِنَى الْعَقْلُ، وَأكْبَرُ الْفَقْرِ الْحُمُقُ، وَأَوْحَشُ الْوَحْشَةِ الْعُجْبُ، وَأكْرَمُ الْحَسَبِ حُسْنُ الْخُلُقِ.

يَا بُنَيَّ، إِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْأَحْمَقِ فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرُّكَ، وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْبَخِيلِ فَإِنَّهُ يَبْعُدُ عَنْكَ أَخْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ، وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْفَاجِرِ فَإِنَّهُ يَبِيعُكَ بِالتَّافِهِ، وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْكَذَّابِ فَإِنَّهُ كَالسَّرَابِ: يُقَرِّبُ عَلَيْكَ الْبَعِيدَ، وَيُبْعِدُ عَلَيْكَ الْقَرِيبَ.

لَمَّا كَانَ الْعَقْلُ أَشْرَفَ مِنَ الْمَالِ، وَأَفْضَلَ، كَانَ الْغِنَى بِهِ أَفْضَلَ أَنْوَاعِ الْغِنَى، وَالْفَقْرُ مِنْهُ بِالْحُمُقِ أَكْثَرَ أَنْوَاعِ الْفَقْرِ. وَأَمَّا الْعُجْبُ بِالنَّفْسِ: فَهُوَ وَمَا يُلْزِمُهُ مِنْ رَذِيلَةِ الْكِبَرِ أَقْوَى الْأَسْبَابِ الْمَوْجِبَةِ لِاسْتِيحَاشِ الْمُحِبِّ مِنَ الْخُلُقِ، لَمَّا يَرَى لِنَفْسِهِ مِنَ الْفَضِيلَةِ عَلَيْهِمْ، وَلَا يَرَى لِنَفْسِهِ قَرِيبًا وَلَا أَهْلًا لِلْمَصَاحِبَةِ، وَبِحَسَبِ ذَلِكَ يَكُونُ نَفَرَتُهُمْ مِنْهُ، وَلِذَلِكَ كَانَ التَّوَاضِعُ مُسْتَلْزِمًا لِنَفْسِهِمْ. وَالْحَسَبُ مَا يَعْدُ مِنَ الْمَآثِرِ، وَاشْرَفُهَا الْكِمَالَاتُ النَّفْسَانِيَّةُ الْبَاقِيَّةُ. وَقَدْ يَخْصُ حَسَنُ الْخُلُقِ فِي الْعَرَفِ بِسَعَةِ الصَّدْرِ وَالتَّوَاضِعِ وَالبِشَاشَةِ. وَالتَّافَهُ: الشَّيْءُ الْقَلِيلُ. وَبَاقِي الْفَصْلِ ظَاهِرٌ.

وَأَمَّا قَالَ: أَرْبَعًا وَأَرْبَعًا لِأَنَّ الْأَرْبَعَ الْأُولَى، مِنْ بَابِ اكْتِسَابِ الْفَضَائِلِ الْخُلُقِيَّةِ، وَالثَّانِيَةِ مِنْ بَابِ الْمَعَامَلَةِ مَعَ الْخُلُقِ. وَقِيلَ: الْأُولَى مِنْ بَابِ الْإِثْبَاتِ، وَالثَّانِيَةِ مِنْ بَابِ النِّفْيِ.

٣٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِأَقْرَبَةِ بِالتَّوَافِلِ إِذَا أَضْرَّتْ بِالْفَرَائِضِ.

فَالْإِضْرَارُ بِالْفَرَائِضِ: تَخْفِيفُهَا، وَتَنْقِيسُ فَضْلِهَا لِلتَّعَبِ، وَالْمَلَالُ مِنَ النَّافِلَةِ، وَأَرَادَ بِنَفْيِ الْقُرْبَةِ: كِمَالِهَا وَفَضِيلَتِهَا.

٣٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِسَانُ الْعَاقِلِ وَرَاءَ قَلْبِهِ، وَقَلْبُ الْأَحْمَقِ وَرَاءَ لِسَانِهِ.

واقول: انه استعار الورا في الموضوعين، لما يعقل من تأخر لفظ العاقل عن رويته، و تأخر رويته الاحمق، وفكره فيما يقول عن بوادر مقاله، من غير مراجعة لعقله، والمعنى ظاهر مما سبق.

قال السيد- رحمه الله:- «وهذا من المعاني العجيبة الشريفة. والمراد به أن العاقل لا يطلق لسانه إلا بعد مشاورة الروية ومؤامرة الفكرة، والأحمق تسبق حذفات لسانه وقلبات كلامه مراجعة فكره وحافضة رأيه، فكأن لسان العاقل تابع لقلبه، وكأن قلب الأحمق تابع للسانه» وقد روي عنه (ع) هذا المعنى بلفظ آخر وهو قوله: «قلب الأحمق في فيه»، ولسان العاقل في قلبه، ومعناهما واحد.

٣٦ - وقال لبعض أصحابه في علة اعتلها: جَعَلَ اللَّهُ مَا كَانَ مِنْ شُكْوَاكَ حَطًّا لِسَيِّئَاتِكَ، فَإِنَّ الْمَرَضَ لَا أُجْرَ فِيهِ، وَلَكِنَّهُ يَحُطُّ السَّيِّئَاتِ وَيَحْتُهَا حَتَّ الْأُورَاقِ. وَإِنَّمَا الْأُجْرُ فِي الْقَوْلِ بِاللِّسَانِ، وَالْعَمَلِ بِالْأَيْدِي وَالْأَقْدَامِ، وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يُدْخِلُ بِصِدْقِ النَّيَّةِ وَالسَّرِيرَةِ الصَّالِحَةِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الْجَنَّةَ.

واقول: ان الأجر والثواب انما يستحقان بالأفعال، والأحوال، لإعدادها النفس لذلك، كما اشار اليه بقوله، وانما الأجر الى قوله: والاقدام. وكنتى بالاقدام: عن القيام بالعبادة والسعي فيها. وكذلك ما يكون كالأفعال من عدمات الملكات كالصوم ونحوه. والمرض: ليس بفعل للعبد ولا ما هو كالفعل. فاما حطة السيئات: فباعتبار كسره لقوتى الشهوة، والغضب اللذين هما مبدء ان للذنوب، ولان من شأنه أن يرجع الانسان فيه الى ربه بالتوبة والخضوع فما كان من السيئات حالات غير متمكنة من جوهر النفس، فإنه يسرع زوالها منها. وما صار ملكة فربما يزول على طول المرض، ودوام الانابة معه الى الله تعالى. ووجه تشبيهه بحت الورق: سقوطه بالكلية. وما ذكره السيد مقتضى مذهب المعتزلة.

قال السيد- رحمه الله:- صَدَقَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِنَّ الْمَرَضَ لَا أُجْرَ فِيهِ، لِأَنَّهُ مِنْ قَبِيلِ مَا يَسْتَحَقُّ عَلَيْهِ الْعَوَضُ، لِأَنَّ الْعَوَضَ يُسْتَحَقُّ عَلَى مَا كَانَ فِي مَقَابِلَةِ فِعْلِ اللَّهِ - تَعَالَى - بِالْعَبْدِ مِنَ الْأَلَامِ وَالْأَمْرَاضِ وَمَا يَجْرِي بِحَرِيٍّ ذَلِكَ، وَالْأُجْرُ وَالثَّوَابُ يُسْتَحَقُّانِ عَلَى مَا كَانَ فِي

مقابلة فعل العبد، فبينهما فرقٌ قد بيّنه -عليه السلام- كما يقتضيه علمُه الثاقب ورأيه الصائب.

٣٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذِكْرِ خَبَابِ بْنِ الْأُرْتِ رَحِمَهُ اللَّهُ : يَرْحَمُ اللَّهُ خَبَابَ بْنِ الْأُرْتِ؛ فَلَقَدْ أَسْلَمَ رَاغِبًا، وَهَاجَرَ ظَائِعًا، وَعَاشَ مُجَاهِدًا. طُوبَى لِمَنْ ذَكَرَ الْمَعَادَ، وَعَمِلَ لِلْحِسَابِ، وَقَنِعَ بِالْكَفَافِ، وَرَضِيَ عَنِ اللَّهِ.

خَبَابُ بَخَاءٌ مَعْجَمَةٌ وَبَاءٌ مَضْعَفَةٌ: كَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، مَاتَ بَعْدَ انْتِصَافِهِ مِنْ صَفِينٍ بِالْكُوفَةِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ قَبِرَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَا.

٣٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَوْ ضَرَبْتُ خَيْشُومَ الْمُؤْمِنِ بِسَيْفِي هَذَا عَلَى أَنْ يُبْغِضَنِي مَا أَبْغَضَنِي، وَلَوْ صَبَبْتُ الدُّنْيَا بِجَمَائِهَا عَلَى الْمُتَنَافِقِ عَلَى أَنْ يُحِبَّنِي مَا أَحَبَّنِي، وَذَلِكَ أَنَّهُ قُضِيَ فَأَنْقَضَى عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ «يَا عَلِيُّ؛ لَا يُبْغِضُكَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يُحِبُّكَ مُتَنَافِقٌ».

الخيشوم: أصل الأنف. والحيمات جمع حمة، وهو: مجتمع الماء من الأرض. و استعار لمجتمع المال.

٣٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: سَيِّئَةٌ تَسُوءُكَ خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ حَسَنَةٍ تُعْجِبُكَ.

أى: تندم عليها وتحزن، وإنما كانت خيرًا. لأن الحزن على السيئة ماحٍ لها. والعجب بالحسنة سيئة باقية مع إحباطها الحسنة.

٤٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَدْرُ الرَّجُلِ عَلَى قَدْرِ هِمَّتِهِ. وَصِدْقُهُ عَلَى قَدْرِ مُرُوءَتِهِ، وَشَجَاعَتُهُ عَلَى قَدْرِ أَنْفَتِهِ، وَعَفَّتُهُ عَلَى قَدْرِ غَيْرَتِهِ.

قدره: منزلته في اعتبار الناس من تعظيم أو احتقار، وهو من لوازم علو هيمته، وهو ان لا يقتصر على بلوغ غاية من الامور التي يزداد بها شرفاً وفضيلة حتى يسمو الى ماوراءها فما هو اعظم، ويلزم ذلك نبهه وتعظيمه. وصغرها ان يقتصر على محقرات الامور و

يقصر عن عليّاتها، وبحسب ذلك تكون قلة قدره. وكذلك المرؤة فضيلة تتعاطى الانسان الأفعال الجميلة، واجتناب ما تعود عليه بالنقص وان كان مباحاً فلذلك لزمه الصدق، وكانت قوته وضعفه بحسب قوتها وضعفها. والانفة: حمية الأنف وثوران الغضب لما يتخيل من مكروه يعرض استنكاراً له واستنكافاً من وقوعه. وظاهر كونه مبدأ للشجاعة والاقدام على الامور. والغيرة نفرة طبيعية تكون عن تخيل مشاركة الغير فى أمر محبوب له، او معتقد لوجوب حفظه، وبحسب قوة تلك النفرة، وتخيّل مشاركة الغير فى أمرٍ يحضه محبوب له، يكون وقوعه عن اتباع شهوته فى الامور المختصة بالغير المحبوبة لهم، وهو معنى العفة.

٤١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الظَّفَرُ بِالْحَزْمِ؛ وَالْحَزْمُ بِإِجَالَةِ الرَّأْيِ، وَالرَّأْيُ بِتَخْصِينِ

الْأَسْرَارِ.

أشار إلى اسباب الظفر القريب، والمتوسط، والبعيد. فالحزم: ان يقدم العمل للحوادث الممكنة قبل وقوعها بما هو أبعد من الغرور، واقرب الى السلامة، وهو السبب الأقرب للظفر بالمطالب. والتوسط وهو: اجالة الرأى وإعماله فى تحصيل الوجه الأحزم وهو: سبب أقرب للحزم. والأبعد وهو: أسرار ما يطلب وهو: سبب أقرب للرأى الصالح، اذ قل ما يتم رأى ويظفر بمطلوب مع ظهور ارادته، ووجه التشبيه ظاهر.

٤٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اخْذَرُوا صَوْلَةَ الْكَرِيمِ إِذَا جَاعَ، وَاللَّيْمِ إِذَا شَبِعَ.

أراد بالكريم: شريف النفس عالي الهمة. وكنتى بجوعه: عن شدة حاجته واستنزام ذلك لشوران حميته، والقاء نفسه فى غلبات الأمور كالولاية على الناس وطلب مجازاتهم، والانتقام منهم فيما اسلفوا معه من قلة الإلتفات اليه، والعناية بحاله. وشبع اللئيم: كناية عن غناه وهو مستلزم لاستمراره على مقتضى طباعه من اللؤم ومؤكده فيه.

٤٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قُلُوبُ الرِّجَالِ وَخَشِيَّةٌ، فَمَنْ تَأَلَّفَهَا أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ.

الوحشة عدم الأنس والألفة عما من شأنه أن يأنس به، ويألف، وجعلها أصلا و

٤٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عَيْبُكَ مَسْتُورٌ مَا أَسْعَدَكَ جَدُّكَ .

الجد: حسن البخت و توافق أسباب المصالح، ومنها: ستر العيوب.

٤٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَوْلَى النَّاسِ بِالْعُقُوبِ أَقْدَرُهُمْ عَلَى الْعُقُوبَةِ.

أما يصدق مع القدرة على العقوبة، فالأقدر عليها هو الأولى أن يسمى عفوًا.

٤٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: السَّخَاءُ مَا كَانَ ابْتِدَاءً؛ فَأَمَّا مَا كَانَ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَحَيَاءٌ وَتَدَنُّمٌ.

السخاء: ملكة بذل المال لمستحقه بقدر ما ينبغي، ابتداءً بباعث النفس، وحسن

المواساة لذوى الحاجة فيه، وبهذا الرسم خرج ما كان عن مسألة وتدنم. والتدنم:

الاستنكاف مما يقع من السائل كالجاف ونحوه.

٤٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا غِنَى كَالْعَقْلِ، وَلَا فَقْرٌ كَالْجَهْلِ، وَلَا مِيرَاثٌ كَالْأَدَبِ، وَلَا

ظَهِيرٌ كَالْمُشَاوَرَةِ.

لفضله على المال. ولا ظهير كالمشاورة: لأنها انفع من القوة، وكثرة العدد.

والظهير المعين.

٤٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الصَّبْرُ صَبْرَانِ: صَبْرٌ عَلَى مَا تَكَرَّرَ، وَصَبْرٌ عَمَّا تُحِبُّ

فالصبر الأول: مقاومة النفس للمكروه الواردة عليها، وثباتها عن الغضب و

عن الانفعال عنها وقد يسمى سعة الصدر. واحتمال المكروه، وهو داخل تحت الشجاعة.

والصبر الثانى: مقاومة النفس لقوتها الشهوية وهو فضيلة تحت العفة.

٤٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْغِنَى فِي الْغُرْبَةِ وَظَنُّ، وَالْفَقْرُ فِي الْوَطَنِ غُرْبَةٌ.

استعار له لفظ الوطن: باعتبار أنه مطية راحته وسكونه اليه، فلا يرى للغربة معه كبير

أثر. و لفظ الغربة للفقر في الوطن: باعتبار ضيق الخلق به و تعسر الامور معه.

٥٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْقَنَاعَةُ مَا لَا يَنْقَدُ.

(قال السيد الرضى: وقد روى بعضهم هذا الكلام عن النبي صلى الله عليه وآله.)
واستعار لفظ المال الموصوف للقناعة باعتبار عدم الحاجة معها.

٥١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْمَالُ مَادَّةُ الشَّهَوَاتِ.

٥٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ حَذَرَكَ كَمَنْ بَشَرَكَ .
اي: من الامر كمن بشرك اي: بالنجاة منه، ووجه الشبه ظاهر.

٥٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اللِّسَانُ سَبْعٌ إِنْ خُلِيَ عَنْهُ عَقَرَ.

و لفظ السبع، و وصف العقر: مستعاران باعتبار ان اهمال اللسان و عدم ضبطه
عن القول بالتفكر سبب للهلاك الاكثري، والاذى الغالب.
مركزية تقيتور علوم

٥٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْمَرْأَةُ عَقْرَبٌ حُلْوَةٌ اللَّبْسَةِ.

و استعار لها لفظ العقرب: لاشتراكهما في الاذى. و كنى بحلاوة لبستها عما فيها
من اللسبة للعقرب، كالللسعة للحية.

٥٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الشَّفِيعُ جَنَاحُ الظَّالِمِ.

باعتبار توصله به الى مراده.

٥٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَهْلُ الدُّنْيَا كَرَكِبٍ يُسَارِبُهُمْ وَهُمْ نِيَامٌ.

هـ [ويوجد بعد هذا القول قولٌ مثبت في نسخة الشيخ محمد عبده وغير مثبت في نسخة المرحوم البحراني
وهو: اذا حُيِّتْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيٌّ بِأَحْسَنِ مِنْهَا، و اذا أُسْدِيتِ الْبِكُ يَدٌ فَكَافَتْهَا بِمَا يُرَبَّى عَلَيْهَا، والفضل مع ذلك للبادي.]

وجه الشبه قوله: يسار بهم: اذ الدنيا طريق لأهلها هم فيها سائرون الى الآخرة.
وكنى بنومهم: عن غفلتهم.

٥٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَقَدْ الْأَجِبَّةُ غُرْبَةٌ.

فاستعار لفظ الغربة لفقد الأجابة: لما يلزمها من الوحشة^١.

٥٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَوْتُ الْحَاجَةِ أَهْوَنُ مِنْ طَلِبِهَا إِلَى غَيْرِ أَهْلِهَا.

يعنى: اللثام لما فى ذلك من فواتها غالبًا وزيادة ذلّ الطلب اليهم.

٥٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تَسْتَجِ مِنْ إِعْطَاءِ الْقَلِيلِ؛ فَإِنَّ الْجِرْمَانَ أَقَلُّ مِنْهُ.

اي: أحقر فى الإعتبار.



٦٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْعَقَافُ زِينَةُ الْفَقْرِ.

لأنه فضيلة تزين بها صاحبها من تقية تكوير علوم رسولى

٦١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا تُرِيدُ فَلَا تُبَلِّ مَا كُنْتَ.

كيف كنت عليها فيه من عدمه او حصول بعضه لأنه غير مقدور لك ، فمبالا تك و
اهتمامك به مضرّة خالصة و سفة.

٦٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تَرَى الْجَاهِلَ إِلَّا مُفْرِطًا أَوْ مُفَرِّطًا.

أي: مرتكبا لأحد طرفى الافراط و التفريط من العدل فى الامور لجهله به.

٦٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا تَمَّ الْعَقْلُ نَقَصَ الْكَلَامُ.

وذلك : لضبط العقل آياه و وزنه له. و الموزون اقل من المكيال و الجزاف.

١ - هذا الشرح بكامله غير موجود فى نسخة ش.

٦٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الدَّهْرُ يُخْلِقُ الأَبْدَانَ، وَيَجَدِّدُ الآمَالَ، وَيُقَرِّبُ المَنِيَّةَ، وَيُبَاعِدُ الأُمِّيَّةَ: مَنْ ظَفِرَ بِهِ نَصَبٌ، وَمَنْ فَاتَهُ تَعَبٌ.

اخلاقه للابدان: اعداده لضعفها وفنائها بتغيراته. وتجديده الآمال بالغرور: بطول البقاء والصحة فيه. وتبعيده للأمنية بحسب تقريبه للمنية. ومن ظفر به اي: بمواتاته وبمساعده بمايراد فيه من متاع الدنيا نصب بها وشقى بحفظها. ومن فاته ذلك منه تعب بعدم ما يحتاج اليه فيه.

٦٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا فَلْيَبْدَأْ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ، وَلْيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِسِيرَتِهِ قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِلِسَانِهِ، وَمُعَلِّمٌ نَفْسِهِ وَمُؤَدِّبُهَا أَحَقُّ بِالْإِجْلَالِ مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ وَمُؤَدِّبِهِمْ.

لان الناس للافعال: اطوع واكثر انفعالا. ومعلم نفسه ومؤدبها: احق بالاجلال من مؤدب الناس ومعلمهم وهو ظاهر.



٦٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: نَفْسُ المُرءِ بِخَطَاةٍ إِلَى أَجَلِهِ.

فاستعار للنفس لفظ الخطا: باعتبار تقريبه ينقصه من غايته وهو الأجل كالخطا المقربة الى غايتها.

٦٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ، وَكُلُّ مُتَوَقِّعٍ آتٍ.

وفيه التنفير عن الدنيا: بالتنبيه على ما يستعقبه من الموت.

٦٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ الأُمُورَ إِذَا أَشْتَبَهَتْ أُعْتَبِرَ آخِرُهَا بِأَوَّلِهَا.

اي: اذا التبتت فى مبادئها بمعرفة وجه الدخول فيها وتعسر، قيس على ذلك آخرها واستدل على انه كذلك فى التعسر فيجب التوقف عنها وعدم التعسف فيها.

٦٩ - وَمَنْ خَبَرَ ضَرَارَ بِنِ ضَمْرَةَ الضُّبَابِيِّ عِنْدَ دَخُولِهِ عَلَى مَعَاوِيَةَ وَمَسَأَلْتَهُ لَهُ

عن أمير المؤمنين، وقال: فأشهد لقد رأيت في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وهو قائم في محرابه قابض على لحيته يتململ يتململ السليم ويبكى بكاء الحزين، ويقول:
 ٦٩ - يَا دُنْيَا يَا دُنْيَا، إِنَّكَ عَنِّي؛ أَبِي تَعَرَّضْتَ؟ أُمِّ إِلَيَّ تَشَوَّقْتِ؟ لَأَحَانَ حِينُكَ هَيْهَاتَ! عُرِّي غَيْرِي، لَأَحَاجَةٌ لِي فِيكَ، قَدْ طَلَّقْتُكَ ثَلَاثًا لَأَرْجِعَنَّ فِيهَا! فَعَيْشُكَ قَصِيرٌ، وَخَطْرُكَ يَسِيرٌ، وَأَمْلُكَ حَقِيرٌ آهٍ مِنْ قِلَّةِ الزَّادِ، وَطُولِ الطَّرِيقِ، وَبُعْدِ السَّفَرِ، وَعَظِيمِ الْمَوْرِدِ! .
 السدول جمع سدل وهو: ما أسبل على الهودج. والتلمل: التقلقل من الألم.
 والسليم: الملسوع. واليك من أسماء الأفعال اي: تنع. ولا حان حينك اي: لا قرب وقتك اي: وقت خديعتك وغرورك الي. وخاطبها خطاب الزوجة المكروهة منافراً لها وهو أغرب والذ. ويسير الخطر، قلة القدر، والفصل ظاهر.

٧٠ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِلسَّائِلِ الشَّامِي لَمَّا سَأَلَهُ: أَكَانَ مَسِيرُنَا إِلَى الشَّامِ بِقَضَائِهِ مِنْ اللَّهِ وَقَدَرٍ؟ بَعْدَ كَلَامٍ طَوِيلٍ هَذَا مَخْتَارَةٌ:

وَيَحَكَ! لَعَلَّكَ ظَنَنْتَ قَضَاءً لَأَزِمًا، وَقَدَرًا حَاتِمًا، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لَبَطَلَ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ، وَسَقَطَ الْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ عِبَادَهُ تَخِيِيرًا، وَنَهَاهُمْ تَحْذِيرًا، وَكَلَّفَ يَسِيرًا، وَلَمْ يُكَلِّفْ عَسِيرًا، وَأَعْطَى عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيرًا، وَلَمْ يُعْصِ مَغْلُوبًا، وَلَمْ يُطْعِ مُكْرَهًا، وَلَمْ يُرْسِلِ الْأَنْبِيَاءَ لِعِبَاءٍ، وَلَمْ يُنْزِلِ الْكِتَابَ لِلْعِبَادِ عَبَثًا، وَلَا خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ٢.

اقول: روى أنه عليه السلام قال في جواب السؤال المذكور: والذي فلق الحبة وبرئ النسمة، ما وطننا موطنًا ولا هبطنا واديًا إلا بقضاء وقدر. فقال السائل: عند الله احتسب، اي: ما ارى لى من الأجر شيئًا. فقال مه ايها الشيخ: لقد اعظم الله اجركم فى مسيركم و انتم سائرون ومنصرفكم، ولم تكونوا فى شىء من حالاتكم مكرهين واليها مضطرين. فقال الشيخ: وكيف والقضاء والقدر ساقانا؟ فقال: ويحك الفصل. والويح: كلمة

١ - الامتيعاب ٢/٤٦٣. حلية الاولياء ١/٨٤. الرياض النضرة ٢/٢١٢.

٢ - سورة ص/٢٧.

ترحم. والحاتم: الواجب. وقوله: ويحك الى قوله حاتماً: بيان لمنشأ وهمه وهو، ما لعله يظنه من تفسير القضاء والقدر، بمعنى العلم الملزم. والايجاد الواجب على وفقه، و استدلال على بطلان ذلك التفسير بقوله: ولو كان، الى قوله الوعيد: وبيان الملازمة ظاهر على طريق المعتزلة وعلى غيرهم. فربما يحتاج الى ايضاح ليس هذا موضعه. وقوله: ان الله سبحانه امر اشارة: الى تفسير القضاء بالامر والحكم كما قال تعالى: (وقضى ربك) الآية. ومعلوم ان امر الله ونهيه: لا ينافي اختيار العبد في فعله وتركه، فلذلك ذكر من لوازم الاختيار والتكليف المقصود من الحكمة امورا عشرة نسقها.

وقد تفسر قوم، القضاء والقدر بمعنى آخر اشرنا اليه في الأصل^٢ وعلى ذلك ايضا لا ينافي الاختيار والتكليف كما بيناه هناك. وقوله: ولم يعص مغلوباً ولم يطع مكرهاً أي: بل فوض فعل العبد اليه، ولو كان العبد مجبراً، كانت الطاعة كرهاً، وبعثة الرسل والكتب لعباً وعبثاً والتالي بأقسامه باطل.

٧١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اخُذِ الْحِكْمَةَ اَلَى كَانَتْ فَإِنَّ الْحِكْمَةَ تَكُونُ فِي صَدْرِ

الْمُنَافِقِ فَتَلْجَلُجُ فِي صَدْرِهِ، حَتَّى تَخْرُجَ فَتَسْكُنَ اِلَى صَوَاحِبِهَا فِي صَدْرِ الْمُؤْمِنِ.
كنى بتلجلجها: عن عدم ثباتها في قلب المنافق لانه ليس مظنة لها، وسكونها الى صوابها في صدر المؤمن عن ثباتها في قلبه لانه أهلها.

٧٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ، فَخُذِ الْحِكْمَةَ وَلَوْ مِنْ أَهْلِ النَّفَاقِ.

فاستعار لفظ الضالة باعتبار ان من شأنه ان يطلبها وينشدها كصاحب الضالة.

٧٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قِيَمَةُ كُلِّ أَمْرٍ مَا يُحْسِنُهُ.

فقيمته: محله عند الناس، والكلمة ظاهرة. و غرضها الترغيب في أعلى ما يكتسب من الكمالات.

١ - سورة الاسراء / ٢٣.

٢ - الشرح الكبير ٥ / ٢٧٨.

٧٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَوْصِيكُمْ بِخَمْسٍ لَوْ ضَرَبْتُمْ إِلَيْهَا آبَاتِ الْإِبْلِ لَكَانَتْ لِيذَلِكَ أَهْلًا: لَا يَرْجُونَ أَحَدًا مِنْكُمْ إِلَّا رَبَّهُ، وَلَا يَخَافُونَ إِلَّا ذَنْبَهُ، وَلَا يَسْتَحِينُ أَحَدٌ إِذَا سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ لَا أَعْلَمُ، وَلَا يَسْتَحِينُ أَحَدٌ إِذَا لَمْ يَعْلَمْ الشَّيْءَ أَنْ يَتَّعَلَّمَهُ، وَعَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْإِيمَانِ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، وَلَا خَيْرَ فِي جَسَدٍ لَازَسَ مَعَهُ، وَلَا فِي إِيمَانٍ لَاصْبِرَ مَعَهُ.

كسى بضرب آباط الأبل: عن الرحلة فى طلبها، وذلك ان الراكب يضرب ابطن راحلته برجليه ليحثها. والفصل ظاهر. واما شبه فضيلة الصبر من الإيمان بالرأس من الجسد، لشرفها وحاجة جميع الفضائل التى هى أجزا الإيمان الكامل الى الصبر على اكتسابها، ثم على البقاء عليها عن الخروج عنها فاشبهت الرأس فى عدم قيام البدن بدونه.

٧٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِرَجُلٍ أَفْرَطَ فِي الشَّيْءِ عَلَيْهِ، وَكَانَ لَهُ مِثْمَهُمَا: أَنَاذُونَ مَا تَقُولُ وَفَوْقَ مَا فِي نَفْسِكَ.



٧٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بَقِيَّةُ السَّيْفِ أَبْقَى عَدَدًا وَأَكْثَرُ وِلْدَانًا.

ولا أرى ذلك: الآ للناية الإلهية ببقاء النوع، وحفظه واقامته بلاخلاف من قتل ممن بقى.

٧٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ تَرَكَ قَوْلَ «لَا أَدْرِي» أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ.

الترك المذكور كناية: عن القول بغير علم. واصابة المقاتل كناية: عن الهلاك الحاصل بسبب القول بالجهل فى الدنيا والآخرة.

٧٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: رَأَى الشَّيْخَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جَلْدِ الْغُلَامِ.

وروي «من مشهد الغلام»

وجلده: قوته. واما خصّ الرأى بالشيخ والجلد بالغلام: لأن كلا منهما مظنة لما خصه به. والرأى الصالح مُقَدَّمٌ على القوة كما قال: الرأى قبل شجاعة الشجعان. ومشهد الغلام حضوره.

٧٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عَجِبْتُ لِمَنْ يَقْنُطُ وَمَعَهُ الْإِسْتِغْفَارُ.

٨٠ - وَحَكَى عَنْهُ أَبُو جَعْفَرٍ

مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ الْبَاقِرِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ:

كَانَ فِي الْأَرْضِ أَمَانَانِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَقَدْ رُفِعَ أَحَدُهُمَا فَذُوقْنَا الْآخَرَ فَتَمَسَّكُوا بِهِ:
أَمَّا الْأَمَانُ الَّذِي رُفِعَ فَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَمَّا الْأَمَانُ الْبَاقِي فَالْإِسْتِغْفَارُ؛
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)١.
القنوط: اليأس. والمعنى واضح.

قال السيد الرضي: وهذا من محاسن الاستخراج ولطائف الاستنباط.

٨١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ أَصْلَحَ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ:

وَمَنْ أَصْلَحَ أَمْرَ آخِرَتِهِ أَصْلَحَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَ دُنْيَا، وَمَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعِظٌ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ حَافِظًا.
أى: بتقواه. لأن بالتقوى صلاح قوتى الشهوة والغضب، اللذين فسادهما بهذا الفساد
بين الناس. لأن الدنيا المطلوبة لمن أصلح امر آخرتة سهلة. وقد تكفلت العناية الالهية
باصلاحها، ولأن مصلح آخرتة معامل للخلق بمكارم الاخلاق، وذلك مستلزم اصلاح دنياه
مع أهلها. ومن كان له فى نفسه واعظ اى: زاجر عن المعاصى باعث على لزوم العدل
فى النفس الامارة التى هى مبدأ الشر، فى الدارين كان عليه من الله حافظ فيهما.

٨٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْفَقِيهُ كُلُّ الْفَقِيهِ مَنْ لَمْ يُقْنَطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَمْ

يُؤْيِسَهُمْ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، وَلَمْ يُؤْمِنْهُمْ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ.

أى: التام فى العمل وذلك أن لكل من النفوس الجاهلة دواء من الموعظة مخصوص
لا تُشفى بغيره. فلبعضها الوعد، ولبعضها الوعيد، ولبعضها البشارة، ولبعضها النذارة.
والفقيه العالم بغرض الحكمة الالهية من الكتاب العزيز يضع كلاً موضعه.

٨٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَوْضَعُ الْعِلْمَ مَا وَقَفَ عَلَى اللِّسَانِ؛ وَأَرْفَعُهُ مَا ظَهَرَ فِي الْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ.

يريد بالعلم الأول: العلم الذي لا عمل معه، وظهوره في الوصف اللساني فقط. وبالثاني: العلم المقرون بالعمل، وهو العلم الراسخ الذي تظهر آثاره في العبادات البدنية على جوارح العبد، ظهور العلة في معلولها، وهو العلم المنتفع به في الآخرة.

٨٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ؛ فَابْتَغُوا لَهَا ظَرَائِفَ الْحِكْمِ.

و ظرائفها: لطائفها و غرايبها المعجبة للنفس اللذيذة لها، وذلك ليكون ابداً في اكتساب الحكمة بنشاط.

٨٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتْنَةِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى فِتْنَةٍ، وَلَكِنْ مَنْ اسْتَعَاذَ فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: (وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ) وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ يَخْتَبِرُهُمْ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ لِيَتَبَيَّنَ السَّاحِظُ لِرِزْقِهِ، وَالرَّاصِيَ بِقِسْمِهِ، وَإِنْ كَانَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمَ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَلَكِنْ لِيُظْهِرَ الْأَفْعَالَ الَّتِي بِهَا يُسْتَحَقُّ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ؛ لِأَنَّ بَعْضَهُمْ يُحِبُّ الذُّكُورَ وَيَكْرَهُ الْإِنَاثَ، وَبَعْضُهُمْ يُحِبُّ تَشْمِيرَ الْمَالِ، وَيَكْرَهُ أَنْثِلَامَ الْحَالِ. قَالَ السَّيِّدُ الرَّضِيُّ: وَهَذَا مِنْ غَرِيبٍ مَا سُمِعَ مِنْهُ فِي التَّفْسِيرِ.

و أقول: مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ: ما يضل بها عن سبيل الله، وهي المستعار منها وهي أخص من مطلق الفتنة، كما اشار اليه عليه السلام.

٨٦ - وَسُئِلُ عَنْ الْخَيْرِ مَا هُوَ؟

فَقَالَ: لَيْسَ الْخَيْرُ أَنْ يَكْثُرَ مَالُكَ، وَوَلَدُكَ وَلَكِنَّ الْخَيْرَ أَنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ وَأَنْ يَعْظَمَ جِلْمُكَ، وَأَنْ تُبَاهِيَ النَّاسَ بِعِبَادَةِ رَبِّكَ؛ فَإِنْ أَحْسَنْتَ حَمِدَتِ اللَّهُ، وَإِنْ أَسَأْتَ اسْتَغْفَرَتْ

الله؛ وَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا لِرَجُلَيْنِ: رَجُلٌ أَذْنَبَ ذُنُوبًا فَهُوَ يَتَذَكَّرُهَا بِالتَّوْبَةِ، وَرَجُلٌ يُسَارِعُ فِي الْخَيْرَاتِ وَلَا يَقِلُّ عَمَلٌ مَعَ التَّقْوَى؛ وَكَيْفَ يَقِلُّ مَا يُتَقَبَّلُ؟

قوله: وَلَا يَقِلُّ عَمَلٌ مَعَ التَّقْوَى أَي: وَرَجُلٌ يُسَارِعُ فِي الْخَيْرَاتِ، وَإِنْ أَتَى مِنْهَا بِالْقَلِيلِ إِذَا كَانَ مُتَّقِيًّا، لِأَنَّ ذَلِكَ مَعَ التَّقْوَى يَقْبَلُهُ اللهُ مِنْهُ. وَيَحْتَمَلُ أَنْ يُرِيدَ بِذَلِكَ: أَنَّ الْمَذْنِبَ وَإِنْ كَانَتْ حَسَنَتُهُ بِالتَّوْبَةِ قَلِيلَةً، بِالنِّسْبَةِ إِلَى حَسَنَاتِ مَنْ سَارَعَ فِي الْخَيْرَاتِ وَسِيقَ إِلَيْهَا، لَكِنَّمَا لَيْسَتْ بِقَلِيلَةٍ عِنْدَ اللهِ إِذْ لَا يَقِلُّ مَا يُتَقَبَّلُهُ.

٨٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِالْأَنْبِيَاءِ أَعْلَمُهُمْ بِمَا جَاءُوا بِهِ، ثُمَّ تَلَا: (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا) ثُمَّ قَالَ: إِنَّ وَلِيَّ مُحَمَّدٍ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَإِنْ بَعُدَتْ لُحْمَتُهُ: وَإِنَّ عَدُوَّ مُحَمَّدٍ مَنْ عَصَى اللَّهَ وَإِنْ قَرَّبَتْ قَرَابَتُهُ! إِنَّمَا جَعَلَ الْآيَةَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّ الْأَعْلَمَ بِمَا جَاءَتْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ أَوْلَى بِهِمْ، لِأَنَّ الْإِتِّبَاعَ مُسْتَلْزَمٌ لِلْعِلْمِ بِمَا جَاءُوا بِهِ، وَالْمُرَادُ بِالْوَلِيِّ الْأَوْلَى: بِاتِّبَاعِهِمْ، وَالْأَخْصَ بِهِمْ.

٨٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَقَدْ سَمِعَ رَجُلًا مِنَ الْحَرُورِيِّ يَتَهَجَّدُ وَيَقْرَأُ فَقَالَ: نَوْمٌ عَلَى يَقِينٍ خَيْرٌ مِنْ صَلَاةٍ فِي شَكٍّ.

الحرورية: فرقة من الخوارج نسبوا الى قرية بالنهروان تعرف بحرورا. و كان اول اجتماعهم بها. و التهجّد: السهر فى العبادة. والشكّ الذى هم فيه، شكهم فى الامام وما يتفرّع على وجوب طاعته، والافتداء به من سائر الاحكام.

٨٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اغْقِلُوا الْخَبَرَ إِذَا سَمِعْتُمُوهُ عَقْلَ رِعَايَةٍ لَاعْقَلَ رِوَايَةٍ؛ فَإِنَّ رِوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ، وَرِعَايَتُهُ قَلِيلٌ. فَعَقْلُ الرِّعَايَةِ: تَدَبُّرُهُ وَتَفْهَمُ مَعْنَاهُ. وَعَقْلُ الرِّوَايَةِ نَقْلُ الْأَفَاظِهِ فَقَطْ.

١ - سورة ال عمران ٦٨.

٢ - معجم البلدان ٢/٢٤٥.

٩٠ - وسمع رجلاً يقول: (إنا لله وإنا إليه راجعون) فقال عليه السلام: إن قولنا (إنا لله) إقرارٌ على أنفسنا بالملك؛ وقولنا (وإنا إليه راجعون) إقرارٌ على أنفسنا بالهلك. والمعنى ظاهر.

٩١ - وَمَدَحَةُ قَوْمٍ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي، وَأَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْهُمْ؛ اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا خَيْرًا مِمَّا يَظُنُّونَ، وَأَغْفِرْ لَنَا مَا لَا يَعْلَمُونَ.

٩٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا يَسْتَقِيمُ قَضَاءُ الْحَوَائِجِ إِلَّا بِثَلَاثٍ: بِاسْتِصْغَارِهَا لِتَعْظُمَ؛ وَبِاسْتِكْتَامِهَا لِتُظْهَرَ؛ وَبِتَعْجِيلِهَا لِتَهْتُ.

اراد باستقامة قضائها كونه على قانون العدل، واستصغاره لما تقضيه منها يدل على علو الهمة والسماحة، وهو مستلزم لعظمتها واشتهارها بين الناس، واستكشافها يدل على بعده عن الرياء، والسمعة، والاستصغار، والاستكتام: يعود في الحقيقة الى ما يقضى به الحاجة. لكن تسمية المحتاج اليه بالحاجة مجاز من باب اطلاق اسم المتعلق على التعلق، فلذلك عادت الضمائر التي لفظ الحوائج. وباقي الكلام ظاهر.

٩٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُقْرَبُ فِيهِ إِلَّا الْمَاحِلُ؛ وَلَا يُظَرَفُ فِيهِ إِلَّا الْفَاجِرُ؛ وَلَا يُضَعَّفُ فِيهِ إِلَّا الْمُنْصِيفُ: يُعْدُونَ الصَّدَقَةَ فِيهِ غُرْمًا؛ وَصِلَةَ الرَّجْمِ مَنًّا؛ وَالْعِبَادَةَ اسْتِطَالَةً عَلَى النَّاسِ! فَعِنْدَ ذَلِكَ يَكُونُ السُّلْطَانُ بِمَشُورَةِ النَّسَاءِ وَإِمَارَةَ الصَّبِيَّانِ وَتَدْبِيرَ الْخِصْيَانِ.

الماحل: الساعي، بالتميمة الى السلطان. والمحل الكيد، ورؤى الماجن وهو: المستهزئ اللّاعب عوض الفاجر. ويضعف: يُعدُّ ضعيفًا عاجزًا. وقيل: يعدّ ضعيف العقل لترك الظلم كان له حقًا يهمله بالانصاف. وعدم التعدي والاستطالة بالعبادة أن يرى صاحبها له على الناس حقًا فيرفع عليهم كالممتن بها.

٩٤ - وَرُؤْيِي عَلَيْهِ إِزَارُ خَلْقٍ مَرْفُوعٍ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: يَخْشَعُ لَهُ الْقَلْبُ،

وَتَذِلُّ بِهِ النَّفْسُ، وَيَقْتَدِي بِهِ الْمُؤْمِنُونَ.

والمعنى ظاهر.

٩٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عَدَوَانِ مُتَقَاوَتَانِ، وَسَبِيلَانِ مُخْتَلِفَانِ:

فَمَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا وَتَوَلَّاهَا أَبْغَضَ الْآخِرَةَ وَعَادَاهَا وَهَمَّا بِمَنْزِلَةِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَمَاشٍ بَيْنَهُمَا: كُلَّمَا قَرَّبَ مِنْ وَاحِدٍ بَعُدَ مِنَ الْآخَرِ؛ وَهَمَّا بَعْدُ ضَرَّتَانِ!

والمعنى ايضا ظاهر.

٩٦ - وعن نوف البكالى، قال: رأيت أمير المؤمنين عليه السلام ذات ليلة وقد

خَرَجَ مِنْ فِرَاشِهِ فَنظَرَ فِي النُّجُومِ فَقَالَ لِي: يَا نَوْفُ، أَرَأَيْدِ أَنْتَ أَمِ رَامِقٌ؟ فَقُلْتُ: بَلِ رَامِقٌ
قَالَ: يَا نَوْفُ.

طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا الرَّاعِبِينَ فِي الْآخِرَةِ؛ أُولَئِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا الْأَرْضَ بَسَاطًا،
وَتُرَابَهَا فِرَاشًا؛ وَمَاءَهَا طِيبًا، وَالْقُرْآنَ شِعَارًا، وَالِدُّعَاءَ دِنَارًا، ثُمَّ قَرَضُوا الدُّنْيَا قَرْضًا عَلَى
مِنْهَاجِ الْمَسِيحِ.

يَانَوْفُ، إِنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَامَ فِي مِثْلِ هَذِهِ السَّاعَةِ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: إِنَّهَا سَاعَةٌ
لَا يَدْعُو فِيهَا عَبْدٌ إِلَّا اسْتُجِيبَ لَهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَشَارًا أَوْ عَرِيقًا أَوْ شُرْطِيًّا، أَوْ صَاحِبَ عَرُطَبَةٍ
(وهي الطنبور) أَوْ صَاحِبَ كُوبَةٍ (وهي الطبل). وقد قيل أيضا: إن العرطبة الطبل والكوبة
الطنبور.

والرامق: الناظر. والعريف: نقيب الشرطة. وعرف الزاهد في الدنيا بسة اوصاف
لغرض معرفتهم والافتداء بهم. واستعار لفظ الشعار للقرآن: باعتبار ملازمتهم له كالشعار
للجسد. ولفظ الدثار للدعاء: باعتبار احتراسهم به من عذاب الله، وقرضهم للدنيا: اكلهم
منها أيسر ما يدفع ضرورتهم. وإنما استثنى المذكورين، لملازمتهم المعصية التي تحجب
نفوسهم عن قبول رحمة الله.

٩٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ اللَّهَ أَقْرَضَ عَلَيْكُمْ الْفَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا وَحَدَّ لَكُمْ

حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا؛ وَنَهَاكُمْ عَنْ أَسْيَاءَ فَلَا تَتَّبِعُوهَا، وَسَكَتَ لَكُمْ عَنْ أَسْيَاءَ وَلَمْ يَدْعَهَا
نَيْيَانًا فَلَا تَتَّكَلَّفُوهَا.

ما سكت عنه كالعلوم التي لم يرد في الشرع التكليف بها، كالبحث عن القضاء
والقدر ونحوه من المسائل.

٩٨- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا يَتْرُكُ النَّاسُ شَيْئًا مِنْ أَمْرٍ دِينِيهِمْ لِاسْتِضْلَاحِ دُنْيَاهُمْ إِلَّا فَتَحَ
اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُوَ أَضْرَمُهُ.

ذلك^١ كمن يخفف عبادته ويؤخرها عن أوقاتها لاشتغاله بإصلاح صنعته أو تجارته.
ولما كان الحرص في كل أمر دنيوي مُعَدًّا لِطَلَبِ الزيادة فيه، والاستكثار منه، وبحسب
ذلك يكون البعد عن الآخرة، كان ذلك بابًا من أبواب طلبها وإصلاحها أشد من تركها،
وأوسع فكان أصعب وأضر.

٩٩- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: رَبِّ عَالِمٍ قَدْ قَتَلَهُ جَهْلُهُ وَعِلْمُهُ مَعَهُ لَا يَنْفَعُهُ.

اراد علماء الرواية دون الدراية. والعلماء بما لانفع فيه من العلوم في الآخرة، كعلم
السحر مثلاً لمن جهل شرائع الاسلام، فتعدى حدًا، اوجب هلاكه في الدنيا، واستلزم
هلاكه في الآخرة مع وجود ذلك العلم معه.

١٠٠- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ عَلِقَ بِنِيَابِ هَذَا الْإِنْسَانِ بَضْعَةٌ هِيَ أَعْجَبُ مَا فِيهِ
وَهُوَ الْقَلْبُ؛ وَلَهُ مَوَادٌّ مِنْ الْحِكْمَةِ وَأَضْدَادٌ مِنْ خِلَافِهَا: فَإِنْ سَنَحَ لَهُ الرَّجَاءُ أَذَلَّهُ الظَّمْعُ،
وَإِنْ هَاجَ بِهِ الظَّمْعُ أَهْلَكَهُ الحِرْصُ، وَإِنْ مَلَكَهُ اليَأْسُ قَتَلَهُ الأَسْفُ، وَإِنْ عَرَضَ لَهُ الغَضَبُ
أَشْتَدَّ بِهِ الغَيْظُ، وَإِنْ أَسْعَدَهُ الرِّضَا نَسِيَ التَّحَفُّظَ، وَإِنْ نَالَهُ الخَوْفُ شَغَلَهُ الحَدْرُ، وَإِنْ اتَّسَعَ لَهُ
الأَمْرُ اسْتَلَبَتْهُ الغِرَّةُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَضَحَّه الجَرْعُ، وَإِنْ أَفَادَ مَالًا أَطْعَاهُ الغِنَى؛ وَإِنْ
عَضَّتْهُ الفَاقَةُ شَغَلَهُ البَلَاءُ، وَإِنْ جَهَدَهُ الجُوعُ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ، وَإِنْ أَفْرَطَ بِهِ الشَّبَعُ كَطَّطَهُ
البِظْنَةُ؛ فَكُلُّ تَقْصِيرٍ بِهِ مُضِرٌّ، وَكُلُّ إِفْرَاطٍ لَهُ مُفْسِدٌ.

١- كلمة ذلك غير موجودة في ش.

اقول: النياط: عِزْفٌ عُلِقَ به القلب. والمواد من الحكمة هي الفضائل الخلقية التي هي مواد كمال النفس، واضدادها، والمخالفة لها هي: ما يصادها من الرذائل، وهي اطراف الافراط والتفريط منها. فالطمع: رذيلة الافراط من فضيلة العدل في الرجاء الذي ينبغي. ونقر عنه بما يلزمه من الذلة ومن الحرص المهلك في الدارين. والياس رذيلة التفريط منه ونقر عنه بما يلزمه من شدة الأسف القاتل. واشتداد الغيظ: طرف الافراط من الغضب المعتدل الملازم للشجاعة، ويُسمى طيشاً. وترك التحفظ رذيلة تلزم الافراط، في رضى الناس^١ بما يحصل عليه من دنياه والاشتغال بالحذر، رذيلة الافراط فيه فيشتغل به الانسان عما ينبغي من الاخذ بالحزم، والعمل للامر المخوف، واستلاب الغرة والغفلة لعقل الأمن حتى لا يفكر في مصلحته، وعاقبة أمنه رذيلة تلزم الافراط في الأمن والجزع بما يلزمه من الفضيحة به رذيلة تلزم التفريط من فضيلة الصبر على المعصية، واحتمال المكاره والطغوب كثرة المال، رذيلة تلزم الافراط في كثرته. والطفو: تجاوز الحد، والاشتغال بالمحنة والبلاء رذيلة التفريط: من فضيلة الصبر على الفقر ولوازمه، وعود الضعف به لازم التفريط من العدل في الأكل. وجهد البطنة: رذيلة تلزم من افراط الشبع من فضيلة القصد فيه.

مركز تحقيق وتطوير علوم إسلامية

١٠١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: نَحْنُ النُّمْرُقَةُ الْوُسْطَى، بِهَا يَلْحَقُ التَّالِي، وَإِلَيْهَا يَرْجِعُ الْغَالِي.

النمرقة: وسادة صغيرة، واستعار لفظها بصفة الوسطى له، ولأهل بيته عليهم السلام: باعتبار كونهم ائمة العدل يَسْتَنِدُ الْخَلْقُ إِلَيْهِمْ، في تدبير معاشهم ومعادهم. ومن حق الامام العادل ان يلحق به التالي اي: المفطر المقصر في الدين. ويرجع اليه الغالي، اي: المفطر المتجاوز في طلبه حد العدل، كما يستند الى الوسادة المتوسطة من على جانبها. وربما كان وصف الوسطى راجعاً الى المستعار له، فلا يدخل في وجه الشبه الا مجرد كونها مستنداً إليها.

١ - في نسخة ش: الانسان.

١٠٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا يُقِيمُ أَمْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِلَّا مَنْ لَا يُصَانِعُ وَلَا يُضَارِعُ، وَلَا يَتَّبِعُ الْمَظَالِمَ.

فالمصانعة: المصالحة بالرشوة ونحوها. والمضارعة، مفاعلة من الصرع، وهو: الذلة كأنّ كلاً منهما يضرع للآخر. واستلزام الامور الثلاثة ليضيع أوامر الله. واللين في اقامة امر دينه ظاهر.

١٠٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَقَدْ تُوفِّي سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ الْأَنْصَارِيُّ بِالْكُوفَةِ بَعْدَ مَرْجِعِهِ مَعَهُ مِنْ صِفِّينَ، وَكَانَ مِنَ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْهِ: لَوْ أَحْبَبْنِي جَبَلٌ لَتَهَافَّتْ.

قال الرضوي «ومعنى ذلك أن المحنة تغلظ عليه فتسرع المصائب إليه ولا يفعل ذلك إلا بالأتقاء الأبرار والمصطفين الأخيار؛ وهذا مثل قوله:

مَنْ أَحَبَّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَلْيَسْتَعِدَّ لِلْفَقْرِ جَلْبَانًا.
وتهافت: سقط قطعة قطعة. وقد يؤول ذلك على معنى آخر ليس هذا موضع ذكره.»

مركز تحقيقات كويت علوم إسلامية

١٠٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

لَأَمَانَ أَعْوَدُ مِنَ الْعَقْلِ، وَلَا وَحْدَةَ أَوْحَشُ مِنَ الْعُجْبِ، وَلَا عَقْلَ كَأَلْتَدْبِيرِ، وَلَا كَرَمَ كَأَلْتَقْوَى، وَلَا قَرِينَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ؛ وَلَا مِيرَاثَ كَأَلْأَدَبِ، وَلَا قَائِدَ كَأَلْتَوْفِيقِ، وَلَا تِجَارَةَ كَأَلْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَلَا رِبْحَ كَأَلثَّوَابِ، وَلَا وَرَعَ كَأَلْوُقُوفِ عِنْدَ الشُّبُهَةِ، وَلَا زُهْدَ كَأَلزُّهْدِ فِي الْحَرَامِ، وَلَا عِلْمَ كَأَلتَّفَكُّرِ، وَلَا عِبَادَةَ كَأَدَاءِ الْفَرَائِضِ، وَلَا إِيْمَانَ كَأَلْحَيَاءِ وَالصَّبْرِ، وَلَا حَسَبَ كَأَلتَّوَاضُعِ، وَلَا شَرَفَ كَأَلْعِلْمِ، وَلَا مَظَاهِرَةَ أَوْثَقُ مِنَ الْمُشَاوَرَةِ.

فقوله: اعود أي: أنفع لصاحبه، واستعار لفظ المال للعقل: لأن بهما الغنى. ولفظ الوحدة للعجب لما يلزمهما من الوحشة فإن المعجب بنفسه يرى الناس دونه فيلزم ذلك عدم الأنس بهم، وعدم التواضع لهم المستلزم للوحشة كما سبق. والتدبير تصرف العقل العملي في المصالح، كما ينبغي فقد يسمى عقلاً وان كان ثمرة العقل. ولما كان التقوى مستلزماً للزهد في الدنيا، وبذل اشرف متاعها بسهولة وطيب نفس، فلا كرم مثله.

والتوفيق: عبارة عن توافق اسباب الشيء و شرائطه العائدة الى حصوله. واستعار لفظ التجارة: للعمل الصالح، وهو اشرف التجارات لاستلزامه اشرف الأرباح، وهو: الثواب الأخرى. والورع فى العرف: الوقوف عن المناهى، ولذلك كان الوقوف عما اشتبه من الامور فى حله، و حرمة، أبلغ اقسام الورع. والزهد فى الحرام: هو الزهد الواجب و كان أفضل افضلية الواجب على الندب. والتفكر علم به تحصل العلوم المكتسبة، فكان أفضل افضلية الأصل على الفروع. و كل فضيلة من اجزاء الايمان الكامل ايمان. والحياء والصبر من اشرفها. ويحتمل ان يريد لايمان: كأيمان كَمَل بالحياء والصبر، والحسب: ما يُعَدُّ من المكارم. والتواضع، من اشرفها و أعظمها استلزاما للخيرات الكثيرة.

١٠٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا اسْتَوَلَى الصَّلَاحُ عَلَى الزَّمَانِ وَأَهْلِيهِ ثُمَّ أَسَاءَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُلٍ لَمْ تَظْهَرْ مِنْهُ خَزِيَةٌ فَقَدْ ظَلَمَ! وَإِذَا اسْتَوَلَى الفَسَادُ عَلَى الزَّمَانِ وَأَهْلِيهِ فَأَحْسَنَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُلٍ فَقَدْ غَرَّرَ.

و روى عوض خزية حوبة اي: اثم، وغرر: اوقع نفسه فى الغرة والغفلة.

مرزوقية تكوثر علوم رضى

١٠٦ - وَقِيلَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَيْفَ نَجِدُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ: كَيْفَ يَكُونُ حَالُ مَنْ يَفْتَنَى بِبِقَائِهِ، وَيَسْقَمُ بِصِحَّتِهِ، وَيُوْتَى مِنْ مَأْمَنِهِ. سببية البقاء للفناء. والصحة للسقم تقريبا اليهما، و كونهما غائبين. والمأمن: هو الدنيا. و انما يوتى المرء يدخل عليه ما يكره منها.

١٠٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَمَغْرُورٍ بِالسُّرِّ عَلَيْهِ؛ وَمَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ! وَمَا ابْتَلَى اللَّهُ أَحَدًا بِمِثْلِ الْإِمْلَاءِ لَهُ. المستدرج: المأخوذ على غرة. والمفتون: المبتلى. والإملاء: الإمهال.

١٠٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هَلَاكَ فِي رَجُلَانِ؛ مُجِبُّ غَالٍ، وَمُبْغِضُ قَالَ! قال: الغلو فى محبته: طرف افراط، و بغضه: طرف تفريط منها، وهما: رذيلتان

يستلزمان النفاق بل الكفر و الهلاك به فى الآخرة. أما المحبُّ الغالى: فيجعله إلهاً. و
أما المُبغِضُ القالى: فبتكفيره له كالخوارج.

١٠٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِضَاعَةُ الْفُرْصَةِ غُصَّةٌ.
فالفرصة: ما امكن من نفسه.

١١٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسُّهَا وَالسُّمُّ النَّاقِعُ فِي
جَوْفِهَا: يَهْوَى إِلَيْهَا الْغَيْرُ الْجَاهِلُ، وَيَحْذَرُهَا ذُو اللَّبِّ الْعَاقِلُ!
وجه التمثيل: انّ لذة الدنيا و طيبها، يشبه لين المس من الحية، وما يحصل
من لذاتها من الهيئات الرديّة المتمكّنة من جوهر النفس التى يحصل بها التعذيب
فى الآخرة. يشبه سمّها و هوى الجاهل اليها: ميله الى ما فى ظاهرها من اللين واللذة: و
حذر العاقل منها، لمعرفته بها.



١١١ - وَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عَنْ قُرَيْشٍ فَقَالَ: أَمَّا بَنُو مَخْزُومٍ فَرِيحَانَةٌ قُرَيْشٍ نَجِبَةٌ
حَدِيثٌ رِجَالِهِمْ، وَالنِّكَاحُ فِي نِسَائِهِمْ، وَأَمَّا بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ؛ فَأَبْعَدُهَا رَأْيًا، وَأَمْتَعَهَا لِمَا
وَرَاءَ ظُهُورِهَا، وَأَمَّا نَحْنُ فَأَبْذَلُ لِمَا فِي أَيْدِينَا، وَأَسْمَحُ عِنْدَ الْمَوْتِ بِنُفُوسِنَا، وَهُمْ أَكْثَرُ
وَأَمَكْرُ وَأَنْكَرُ، وَنَحْنُ أَفْصَحُ وَأَنْصَحُ وَأَصْبَحُ.

بنو مخزوم: بطن من قريش. قيل: كان لمخزوم ريح كالخزامى، و لون كلونه
وهما، غالبان فى ولده، ولذلك سُمى هذا البطن: بريحانة قريش. وقيل: كان فى
رجالهم كيس و فى نساءهم لطف و تصنع للرجال. و بعد الرأى كناية: عن جودته و قوته.
يقال: فلان بعيد الرأى اذا كان يرى المصلحة على بعد. و كونهم امنع لِمَا وراء ظهورهم
كناية: عن الحميّة. وانكر: اكثر نكرًا. والنكر: المنكر. و أصبح أحسن و جوهًا أو اطلق
وجوها، و أشد بشاشة.

١١٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: شَتَانُ مَا بَيْنَ عَمَلَيْنِ: عَمَلٌ تَذْهَبُ لَدُنْهُ وَتَبْقَى تَبِعَتُهُ، وَ عَمَلٌ تَذْهَبُ مَوُونَتُهُ وَتَبْقَى أُجْرُهُ.

فالعمل الأول: العمل للدنيا، والثاني، العمل للآخرة.

١١٣ - وَتَبِعَ جَنَازَةً فَسَمِعَ رَجُلًا يَضْحَكُ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا كُتِبَ، وَكَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا وَجِبَ، وَكَأَنَّ الَّذِي نَرَى مِنَ الْأَمْوَاتِ سَفْرٌ عَمَّا قَلِيلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ! نُبُوهُمُ أَجْدَانُهُمْ، وَنَأْكُلُ تُرَاتِهِمْ؛ كَأَنَّا مُخَلَّدُونَ بَعْدَهُمْ قَدْ نَسِينَا كُلَّ وَاعِظَةٍ، وَرُمِينَا بِكُلِّ جَائِحَةٍ!! طُوبَى لِمَنْ ذَكَ فِي نَفْسِهِ، وَظَابَّ كَسْبُهُ؛ وَصَلَحَتْ سَرِيرَتُهُ، وَحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ؛ وَأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ، وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ لِسَانِهِ، وَوَسِعَتْهُ السُّنَّةُ وَلَمْ يُنْسَبْ إِلَى الْبِدْعَةِ. «قال الرضی: أقول: ومن الناس من ينسب هذا الكلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.»

وجه التشبيهات: قلة اهتمام الناس بالموت لغفلتهم وعدم اعتبارهم بمن يموت. وتبوا المكان: أخذ منه. والجائحة: الداهية. والكلام واضح.

١١٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: غَيْرَةُ الرَّجُلِ إِيْمَانٌ، وَغَيْرَةُ الْمَرْأَةِ كُفْرٌ.

وذلك أن غيرة الرجل: انكار لما أسخط الله. وغيرة المرأة: انكار لما أحبه ورضيه.

١١٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تُسَبِّحَنَّ الْإِسْلَامَ نِسْبَةً لَمْ يَنْسُبْهَا أَحَدٌ قَبْلِي: الْإِسْلَامُ هُوَ التَّسْلِيمُ؛ وَالتَّسْلِيمُ هُوَ الْيَقِينُ؛ وَالْيَقِينُ هُوَ التَّصْديقُ؛ وَالتَّصْديقُ هُوَ الْإِقْرَارُ؛ وَالْإِقْرَارُ هُوَ الْأَدَاءُ، وَالْأَدَاءُ هُوَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ.

هذه النسبة بالتعريف، أشبه منها بالقياس. فعرف الإسلام: بأنه التسليم لله، والدخول في طاعته وهو تفسير لفظ بلفظ أعرف منه. والتسليم بأنه اليقين، وتعريف بلازم مساوٍ. إذ التسليم الحق: إنما يكون عن تيقن بين تسليم له، واستحقاقه التسليم، واليقين بأنه التصديق أي: التصديق الجازم المطابق البرهاني، فذكر جنسه ونبه بذلك على حده اورسمة.

والتصديق بأنه: الاقرار بالله ورسله، وما جاؤا به من البيّنات وهو: تعريف بلفظ اعرف. والاقرار: بأنه الأداء أى: اداء ما أقرب به من واجب الطاعات وهو: تعريف بخاصية له. و الاداء: بأنه العمل لله وهو: تعريف بلفظ اعرف، وآلت النسبة الى تعريف الاسلام بالعمل، وهو: تعريف له ببعض خواصه.

١١٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عَجِبْتُ لِلْبَخِيلِ يَسْتَعْجِلُ الْفَقْرَ الَّذِي مِنْهُ هَرَبَ، وَيَفُوتُهُ الْغِنَى الَّذِي إِتَاهُ طَلَبَ، فَيَعِيشُ فِي الدُّنْيَا عَيْشَ الْفُقَرَاءِ، وَيُحَاسِبُ فِي الْآخِرَةِ حِسَابَ الْأَغْنِيَاءِ، وَعَجِبْتُ لِلْمُتَكَبِّرِ الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ نُظْفَةً وَيَكُونُ غَدًا جِيفَةً، وَعَجِبْتُ لِمَنْ شَكَ فِي اللَّهِ وَهُوَ يَرَى خَلْقَ اللَّهِ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ نَسِيَ الْمَوْتَ وَهُوَ يَرَى الْمَوْتَى، وَعَجِبْتُ لِمَنْ أَنْكَرَ النَّشْأَةَ الْآخِرَى وَهُوَ يَرَى النَّشْأَةَ الْأُولَى، وَعَجِبْتُ لِمَا مَرَّ دَارَ الْفِتْنَاءِ وَتَارَكَ دَارَ الْبَقَاءِ!!!

استعجال البخيل الفقر: لعدم انتفاعه في يده من مال حتى كأنه فقير. وذكر عليه السلام، محل العجب من هؤلاء الاربعة تنفيراً عنهم، وهو ظاهر.

مركز تحقيقات الكمبيوتر علوم إسلامي

١١٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ قَصَرَ فِي الْعَمَلِ أَتْبَلَى بِالْهَمِّ، وَلَا حَاجَةَ لِلَّهِ فِيمَنْ لَيْسَ لِلَّهِ فِي مَالِهِ وَنَفْسِهِ نَصِيبٌ. أراد العمل لله و ذلك: ان المقصر فيه يكون غالب أحواله في طلب الدنيا التي لا تقف طلبها، والابتلاء بالهم من لوازم ذلك الطلب. وفي المشهور: خذ من الدنيا: ما شئت و من الهم ضعفه^١.

١١٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: تَوَقَّأُ الْبَرْدَ فِي أَوَّلِهِ، وَتَلَقَّوهُ فِي آخِرِهِ فَإِنَّهُ يَفْعَلُ فِي الْأَبْدَانِ كِفَعْلِهِ فِي الْأَشْجَارِ: أَوَّلُهُ يُحْرِقُ وَآخِرُهُ يُورِقُ. اما توقيه في اوله: فلان البرد الخريفى يرد على ابدان قد استعدت لفعله بحرارة الصيف و ييسه، و ما يستلزمه من التخلخل و كثرة التحلل^٢ فلذلك: يكون قهره للفاعل

١- في ش: ضعفه. ٢- في ش هكذا: و ما يستلزمه من التحلل.

الطبيعي، و ضعف الحار الغريزي و حدوث ما يحدث عن اجتماع البرد و اليبس، اللذين هما طبيعة الموت من ضمور الأبدان و ضعفها و انحسار الاوراق. و اما تلقية في آخره و هو، آخر الشتاء، و اول من الربيع: فلاشتراك الزمانين في الرطوبة التي هي مادة الحياة، و انكسار سؤرة برد الشتاء، بحرارة الربيع و اعتداله فيقوى لذلك الحار الغريزي، و تنتعش الأبدان، و يكون بذلك، نموها و قوتها، و ظهور الاوراق و الثمار.

١١٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عِظْمُ الْخَالِقِ عِنْدَكَ يُصَغَّرُ الْمَخْلُوقَ فِي عَيْنِكَ.

هذا امر، و جده اولياء الله. و قيل لبعضهم: فلان زاهد، فقال: فيماذا؟ فقيل: في الدنيا، فقال: الدنيا لا تزن عند الله، جناح بعوضة فكيف يعتبر الزهد فيها؟ و الزهد انما يكون في شىء، و الدنيا عندي لا شىء، و ذلك لما وجد من عظمة الله تعالى.

١٢٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

وَقَدْ رَجَعُ مِنْ صَقْبِنَ فَأَشْرَفَ عَلَى الْقُبُورِ بِظَاهِرِ الْكُوفَةِ:

يَا أَهْلَ الدِّيَارِ الْمُوَحِّشَةِ، وَالْمَحَاكِّ الْمُقْفِرَةِ، وَالْقُبُورِ الْمُظْلِمَةِ؛ يَا أَهْلَ الشَّرْبَةِ، يَا أَهْلَ الْغُرْبَةِ يَا أَهْلَ الْوَحْدَةِ، يَا أَهْلَ الْوَحْشَةِ؛ أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ سَابِقٌ، وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ لَاحِقٌ؛ أَمَّا الدُّورُ فَقَدْ سُكِنَتْ، وَأَمَّا الْأَزْوَاجُ فَقَدْ نُكِحَتْ؛ وَأَمَّا الْأَمْوَالُ فَقَدْ قُسِمَتْ. هَذَا خَبْرٌ مَا عِنْدَنَا فَمَا خَبْرٌ مَا عِنْدَكُمْ؟

ثم التفت إلى أصحابه فقال: أما لو أدن لهم في الكلام لأخبروكم أن خير الزاد التقوى.

أقول: الفرط: الذي يتقدم الواردة فيهيء الارشاء و الدلاء. و خاطبهم عليه السلام خطاب من يسمع اقامة لحالهم المعهودة مقام اشخاصهم الموجودة. و الفصل من أبلغ المواعظ و التذكير، بأمر الآخرة و هو واضح.

١٢١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

وقد سمع رجلا يذم الدنيا:

أَيُّهَا الدَّامُ لِلدُّنْيَا الْمُعْتَرِبُ بِغُرُورِهَا الْمُخْدُوعُ بِأَبَاطِيلِهَا! أَتَغْتَرُّ بِالدُّنْيَا ثُمَّ تَذُمَّهَا؛ أَنْتَ الْمُتَجَرِّمُ عَلَيْهَا أَمْ هِيَ الْمُتَجَرِّمَةُ عَلَيْكَ؟ مَتَى اسْتَهْوَتْكَ أَمْ مَتَى غَرَّتْكَ؟ أِبِمَصَارِعِ آبَائِكَ مِنَ الْبَلَى؟ أَمْ بِمَصَاجِعِ أُمَّهَاتِكَ تَحْتَ الثَّرَى؟! كَمْ عَلَلَّتْ بِكَفَيْكَ؟ وَكَمْ مَرَّضَتْ بِيَدَيْكَ؟ تَبْغِي لَهُمُ الشِّفَاءَ، وَتَسْتَوْصِفُ لَهُمُ الْأَطِبَّاءَ، غَدَاةً لَا يُعْنِي عَنْهُمْ دَوَاؤُكَ، وَلَا يُجِدِي عَلَيْهِمْ بُكَاءُكَ، وَلَمْ يَنْفَعِ أَحَدَهُمْ إِشْفَاؤُكَ وَلَمْ تُشْعَفْ بِطَلْبَتِكَ، وَلَمْ تَدْفَعْ عَنْهُ بِقُوَّتِكَ! وَقَدْ مَثَلَتْ لَكَ بِالدُّنْيَا نَفْسَكَ! وَبِمَضْرَعِهِ مَضْرَعَكَ. إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَقَهَا، وَدَارُ عَافِيَةٍ لِمَنْ فَهِمَ عَنْهَا، وَدَارُ غِنَى لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا، وَدَارُ مَوْعِظَةٍ لِمَنْ اتَّعَظَ بِهَا، مَسْجِدُ أَحِبَّاءِ اللَّهِ، وَمُصَلَى مَلَائِكَةِ اللَّهِ وَمَهْبِطُ وَحْيِ اللَّهِ، وَمَتَجَرُّ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، أَكْتَسَبُوا فِيهَا الرَّحْمَةَ، وَرَبِحُوا فِيهَا الْجَنَّةَ، فَمَنْ ذَا يَذُمَّهَا وَقَدْ آذَنْتَ بَيْنِيهَا، وَنَادَتْ بِفِرَاقِهَا، وَنَعَتْ نَفْسَهَا وَأَهْلَهَا فَمَثَلَتْ لَهُمْ بِيَلَابِهَا الْبَلَاءَ، وَشَوَّقَتْهُمْ بِسُرُورِهَا إِلَى السُّرُورِ؟! رَاحَتْ بِعَافِيَةٍ، وَابْتَكَّرَتْ بِفَجِيعَةٍ؛ تَرْهَبِيًا وَتَرْغِيبِيًا، وَتَخْوِيفًا وَتَحْذِيرًا، فَذَمَّتْهَا رِجَالُ غَدَاةِ النَّدَامَةِ، وَحَمِدَهَا آخِرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ ذَكَرْتَهُمُ الدُّنْيَا فَتَذَكَّرُوا؛ وَحَدَّثْتَهُمْ فَصَدَّقُوا، وَعَظْتَهُمْ فَاتَّعَظُوا.

قوله: بمصارع آبائك: استفهام استهزاء. ومثلت: صورت. وتصديق من صدقها:

اعترافه بتغيرها وزوالها. وما مثلت به نفسه. ودار عافية لمن أي: عذاب الله لمن فهم عنها ما اخبرت به من عظاتها وعبرها. وآذنت: أعلمت. والبلاء والسرور: بلاء الآخرة وسرورها، إذ كان كل ما في هذا العالم فهو صور ومثال لما في عالم الغيب، ونسخة منه يعتبر به. وغداة الندامة حين الموت.

١٢٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ لِلَّهِ مَلَكًا يُنَادِي فِي كُلِّ يَوْمٍ: لِدُوا لِلْمَوْتِ، وَأَبْنُوا

لِلْخَرَابِ، وَأَجْمَعُوا لِلْفَنَاءِ.

أشار إلى غايات الدنيا على وفق ما علم من القضاء الإلهي.

١٢٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الدُّنْيَا دَارٌ مَمَرٌ إِلَى دَارٍ مَقَرٍّ، وَالنَّاسُ فِيهَا رَجُلَانِ: رَجُلٌ

بَاعَ فِيهَا نَفْسَهُ فَأَوْبَقَهَا، وَرَجُلٌ ابْتَاعَ نَفْسَهُ فَأَعْتَقَهَا.

أو بقها: اهلكها في الآخرة، بما باعها به من متاع الدنيا. واعتقها: بما شراها به من ذلك بالزهد فيه، وانفاقه في سبيل الله.

١٢٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا يَكُونُ الصَّدِيقُ صَدِيقًا حَتَّى يَحْفَظَ أَخَاهُ فِي ثَلَاثِ:

فِي نَكْبَتِهِ، وَغَيْبَتِهِ، وَوَفَاتِهِ.

اراد: الصديق الحق.

١٢٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعًا لَمْ يُحْرَمَ أَرْبَعًا: مَنْ أُعْطِيَ الدُّعَاءَ لَمْ-

يُحْرَمَ الإِجَابَةَ، وَمَنْ أُعْطِيَ التَّوْبَةَ لَمْ يُحْرَمِ القَبُولَ، وَمَنْ أُعْطِيَ الإِسْتِغْفَارَ لَمْ يُحْرَمِ المَغْفِرَةَ، وَمَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ لَمْ يُحْرَمِ الزِّيَادَةَ.

وَتَصَدِيقٌ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، قَالَ اللَّهُ فِي الدُّعَاءِ: (أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) وَقَالَ

فِي الإِسْتِغْفَارِ: (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا) وَقَالَ

فِي الشُّكْرِ: (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) وَقَالَ فِي التَّوْبَةِ: (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ

السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ، فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)؛

تحتاج الامور الأربعة في استلزامها للامور الأربعة: الى الاستعداد التام بالاخلاص فيها.

١٢٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الصَّلَاةُ قُرْبَانٌ كُلُّ تَقِيٍّ، وَالْحَجُّ جِهَادٌ كُلُّ ضَعِيفٍ،

وَلِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ وَزَكَاةُ البَدَنِ الصِّيَامُ، وَجِهَادُ المَرْأَةِ حُسْنُ التَّبَعْلِ.

التبعل: معاشره البعل.

١٢٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اسْتَزِلُّوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ.

اي: استعدوا لنزوله بالصدقة. من أيقن بالخلف جاد بالعطية.

٢ - سورة النساء / ١١٠.

٤ - سورة النساء / ١٧.

١ - سورة غافر / ٦٠.

٣ - سورة ابراهيم / ٧.

١٢٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: تَنْزِلُ الْمَعُونَةُ عَلَى قَدْرِ الْمُؤْنَةِ.
وذلك لتكفل العناية الالهية بالأرزاق.

١٢٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا أَعَالَ مَنْ أَقْتَصَدَ.
العيلة: الفقر، والاقتصاد: الإنفاق بقدر الحاجة.

١٣٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَلَّةُ الْعِيَالِ أَحَدُ الْيَسَارَيْنِ، وَالتَّوَدُّدُ نِصْفُ الْعَقْلِ، وَالْهَمُّ
نِصْفُ الْهَرَمِ.

أراد بالعقل: العقل العملي، ولفظه مجاز في تصرفاته. ولما كان الانسان محتاجا
في اصلاح معاشه الى غيره، و كان عقله في معاملته للخلق اما على وجه التودد و ما يلزمه
من جميل المعاشرة و المسامحة و الترغيب، و اما على ضد ذلك من القهر و الغلبة كان
التودد. و في معناه نصف تصرف العقل في تدبير امر معاشه. و لما كان الهرم اما طبيعيا
و اما بسبب من خارج، و هو: الهَمُّ و الحزن، و الخوف المستلزم له، فهو اذن: قسيم
للمسبب الطبيعي، و قسم من اسباب الهرم كالنصف له فاستعار له لفظ النصف، و اراد
نصف سبب الهرم.

١٣١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَنْزِلُ الصَّبْرُ عَلَى قَدْرِ الْمُصِيبَةِ، وَمَنْ ضَرَبَ يَدَهُ عَلَى
فِيخْدَيْهِ عِنْدَ مُصِيبَتِهِ حَبِطَ أَجْرُهُ.

نزول الصبر من سماء الجود الالهي بسبب الاستعداد بالمصيبة و لواحقها له. و حبط
أجره بطل على الصبر. و قيل: ثوابه السابق ايضا، و هو بعيد.

١٣٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالظَّمَا،
وَكَمْ مِنْ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ وَالْعَنَاءُ، حَبْدًا نَوْمِ الْأَكْيَاسِ وَإِفْطَارُهُمْ.

أراد صوم الجاهلين بأسرار العبادة، و سهرهم فيها لأخلالهم غالبا بشرائطها الحققة و
توجيهها الى من هي له. و الكيس هو: الذي يستعمل ذكره و فطنته في طريق الخير، و

يضع الاشياء مواضعها فيسهر، وينام فى مواضع السهر والنوم و على وجهيهما.

١٣٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: سُوسُوا إِيمَانَكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَحَصَّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ،
وَأَذْفَعُوا أَمْوَاجَ الْبَلَاءِ بِالذُّعَاءِ.

سوسوا، اي: املكوا، ذلك ان الصدقة من كمال الايمان الشام، فحفظه لا يكون بدونها. و لفظ الأمواج مستعار للحوادث المتواترة.

١٣٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

لكميل بن زياد النخعي رحمه الله قال كميل: أخذ بيدي أمير المؤمنين عليه السلام فأخرجني إلى الجبان، فلما أضحرت نفس الصعداء؛ ثم قال:
يَا كَمَيْلُ إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ، فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا، فَاحْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ: النَّاسُ
ثَلَاثَةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَيَّ سَبِيلَ نَجَاةٍ، وَهَمَّجٌ رَعَاعٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ يَمِيلُونَ مَعَ
كُلِّ رِيحٍ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ.
يَا كَمَيْلُ؛ الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ، الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ، وَالْمَالُ تَنْقُصُهُ
التَّفَقُّةُ وَالْعِلْمُ يَزْكُوا عَلَى الْإِنْفَاقِ، وَصَنِيعُ الْمَالِ يَزُولُ بِزَوَالِهِ.
يَا كَمَيْلُ؛ الْعِلْمُ دِينٌ يُدَانُ بِهِ، بِهِ يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ الطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ وَجَمِيلَ
الْآخِرَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، وَالْعِلْمُ حَاكِمٌ وَالْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ.

يَا كَمَيْلُ؛ هَلَكَ خُزَانُ الْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءُ وَالْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ: أَعْيَانُهُمْ
مَفْقُودَةٌ، وَأَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ. هَا إِنَّ هَهُنَا لَعِلْمًا جَمًّا (وَ أَسَارَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَدِهِ إِلَى
صَدْرِهِ) لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً! بَلَى أَصَبْتُ لَقِينًا غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ مُسْتَعْمِلًا آلَةَ الدِّينِ لِلدُّنْيَا
مُسْتَظْهِرًا بِنِعْمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَبِحُجَجِهِ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، أَوْ مُنْقَادًا لِحَمَلَةِ الْحَقِّ لَا بَصِيرَةَ لَهُمْ
فِي أَحْتَائِهِ، يَنْقِدُحُ الشُّكُّ فِي قَلْبِهِ لِأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شُبْهَةٍ. أَلَا لَأَذَا وَلَا ذَاكَ! أَوْ مَنُهِومًا
بِاللَّذَّةِ سَلِيسِ الْقِيَادِ لِلشُّهُوةِ، أَوْ مُغْرَمًا بِالْجَمْعِ وَالْإِدْخَارِ، لَيْسَا مِنْ رُعَاةِ الدِّينِ فِي شَيْءٍ،
أَقْرَبُ شَيْءٍ شَبَّهَا بِهِمَا الْأَنْعَامُ السَّائِمَةُ! كَذَلِكَ يَمُوتُ الْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيهِ.

اللَّهُمَّ بَلَى! لَا تَخْلُوا الْأَرْضَ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ: إِمَّا ظَاهِرًا مَشْهُورًا، أَوْ خَائِفًا مَغْمُورًا

لَيْلًا تَبْطَلُ حُجَجَ اللَّهِ وَبَيِّنَاتُهُ. وَكَمْ ذَاوَ أَيْنَ أَوْلِيكَ أَوْلِيكَ - وَاللَّهُ - الْأَقْلُونَ عَدَدًا، وَالْأَعْظَمُونَ قَدْرًا. بِهِمْ يَحْفَظُ اللَّهُ حُجَجَهُ وَبَيِّنَاتِهِ حَتَّى يُودِعُوهَا نُظْرَاءَهُمْ، وَيَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ، هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الْبَصِيرَةِ، وَبَاشَرُوا رُوحَ الْيَقِينِ؛ وَاسْتَلَّ نَوْمًا اسْتَوْعَرَهُ الْمُتْرَفُونَ، وَأَنَسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ، وَصَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانِ أَرْوَاحِهَا مُعَلَّقَةٌ بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى أَوْلِيكَ خُلُقَاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، وَالِدُّعَاةُ إِلَى دِينِهِ آه آه شَوْقًا إِلَى رُؤْيَتِهِمْ! إِنصَرِفْ إِذَا شِئْتَ.

اقول: الجبَّان: الصحراء. والصعداء: نوع من التنقيس يصعده الملتهف^١ الحزين. ووجه قسمة الناس أنهم عالم أو ليس، وغير العالم اما طالب له أو ليس. والرباني: من علم علم الربويَّة، والنسبة على غير قياس، وزيدت الألف والنون: للمبالغة في النسبة. واستعار لفظ الهمج وهو: ذباب صغار للعوام باعتبار حقارتهم. والرعا: الأحداث والعوام. وكتى بميلهم مع كل ربح عن ضعفهم عن التماسك في مذهب واحد. واستعار لفظ الركن الوثيق: للاعتقادات الحقَّة البرهانية. وصنيع المال: الإحسان به، والطاعة المكتسبة به: طاعة الخلق لصاحبه، واطاعته لله تعالى فإن الطاعة بلا علم، لأصل لها. والعلم حاكم: باعتبار أن تحصيل المال وتصريفه إنما يكون بالعلم بوجوه الحركة، والسعى، والمصارف. واللقين: سريع الفهم، والمنقاد لحملة الحق هو المقلد. وأشار بعدم بصيرته: الى عدم علمه بالبرهان والحجة. والاحناء: الجوانب. وقوله: الا لا اذا ولا ذاك، اي: ليسا من حملة العلم الذي أطلب. والمنهوم باللذة والشره فيها، والحريص عليها. وقوله: كذلك اي: تشابه تلك الأحوال من عدم من يصلح للعلم، وحملة وجود من لا يصلح له موت العلم بموت حامله، و اراد بالظاهر: ممن يقوم بحجة الله من عساه يتمكن من اظهار العلم والعمل به من اولياء الله. وبالخائف المغمور: من لم يتمكن من ذلك.

قالت الامامية: هذا تصريح بوجود الإمامة في كل زمان التكليف، وان الامام قائم بحجة الله على خلقه ويجب وجوده بمقتضى الحكمة، وهو اما ان يكون ظاهرًا معروفًا بين الناس، كالذين سبقوا الى الإحسان، ووصلوا الى المحل الأعلى من الائمة الاثنى عشر ومن ولده العترة عليهم السلام، واما أن يكون خائفًا مستورًا لكثرة اعدائه وقلَّة المخلصين من اوليائه، كالحجة المنتظر. وقوله: وكم ذا: استبطاء لظهوره. واستطالة

١- في ش: الملتهف.

المدّة غيبته. و تبرّم من امتداد دولة الظالمين. و قوله: ابن هم: استقلال لعدد ائمة الدين،
 و قوله: هجم بهم، الى قوله: البصيرة، اى: فاجاءهم و دخل على عقولهم دفعة لأن
 -لوههم، لمدنية حدسية. و قيل ذلك على المقلوب، اى: هجمت بهم عقولهم على حقيقة
 العلم، و باشروا روح اليقين اى: وجدوا لذته. و ما استوعر المترفون، اى: ما استصعبوه من
 خشوبة السطعم، و خشونة المضجع والملبس، و مصابرة الصيام و السهر و ما استوحش
 منه الجاهلون هو الامور المذكورة. و قوله: معلقة بالمحل الأعلى اى: عاشقة لما شاهدته
 من جمال حضرة الربوبية، وصحبة الملائ الأعلى من الملائكة.

١٣٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْمَرْءُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ.

فاستعار لفظ المخبوء لئ: باعتبار انه لا يظهر مقداره حتى يتكلم فيعرف كالمخبوء.

١٣٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هَلْكَ أَمْرٌ لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَهُ.

و ذلك لأن من لم يعرف قدره في مظنه ان يتجاوزه فتلعب به السنة الناس و أيديهم

مركز تحقيقات تكملة علوم اسلامی

حتى يهلك .

١٣٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِرَجُلٍ سَأَلَهُ أَنْ يَعِظَهُ:

لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الْآخِرَةَ بغيرِ الْعَمَلِ، وَ يُرَجِي التَّوْبَةَ بِطُولِ الْأَمَلِ، يَقُولُ فِي الدُّنْيَا يَقُولُ
 الزَّاهِدِينَ، وَ يَعْمَلُ فِيهَا بِعَمَلِ الرَّاغِبِينَ، إِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْبَعْ، وَإِنْ مُنِعَ مِنْهَا لَمْ يَقْنَعْ،
 يَعْجِزُ عَنْ شُكْرِ مَا أُوتِيَ، وَ يَبْتَغِي الزِّيَادَةَ فِيمَا بَقِيَ، يَنْتَهِي وَلَا يَنْتَهِي، وَ يَأْمُرُ بِمَا لَا يَأْتِي،
 يُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَا يَعْمَلُ عَمَلَهُمْ، وَ يُبْغِضُ الْمُذْنِبِينَ وَ هُوَ أَحَدُهُمْ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ لِكثْرَةِ
 دُنُوبِهِ، وَ يُقِيمُ عَلَى مَا يَكْرَهُ الْمَوْتَ لَهُ، إِنْ سَقِمَ ظَلَّ نَادِمًا، وَإِنْ صَحَّ أَمِنَ لَاهِيًا، يُعْجَبُ
 بِنَفْسِهِ إِذَا عُوْفِيَ، وَ يَقْسُطُ إِذَا ابْتُلِيَ، إِنْ أَصَابَهُ بَلَاءٌ دَعَا مُضْطَرًّا، وَإِنْ نَالَهُ رَخَاءٌ أَعْرَضَ مُغْتَرًّا،
 تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلَى مَا تَنْظُنُّ، وَ لَا يَغْلِبُهَا عَلَى مَا يَسْتَيْقِنُّ، يَخَافُ عَلَى غَيْرِهِ بِأَذْنَى مِنْ ذَنْبِهِ،
 وَ يَرْجُو لِنَفْسِهِ بِأَكْثَرٍ مِنْ عَمَلِهِ، إِنْ أَسْتَعْنَى بِطَرَفَيْنِ، وَإِنْ أَفْتَقَرَ قَيْظَ وَ وَهَنَ، يُقْصَرُ إِذَا
 عَمِلَ، وَ يَبَالِغُ إِذَا سَأَلَ، إِنْ عَرَضَتْ لَهُ شَهْوَةٌ أَسْلَفَتِ الْمَعْصِيَةَ، وَ سَوَّفَتِ التَّوْبَةَ، وَإِنْ عَرَّتُهُ

مِخْنَةٌ أَنْفَرَجَ عَنْ شَرَائِطِ الْمِلَّةِ، يَصِفُ الْعِبْرَةَ وَلَا يَتَّعِبُ، وَيُبَالِغُ فِي الْمَوْعِظَةِ وَلَا يَتَّعِظُ، فَهُوَ بِالْقَوْلِ مُدِلٌّ، وَمِنَ الْعَمَلِ مُقِلٌّ، يُتَافَسُ فِيمَا يَفْنَى، وَيُسَامِعُ فِيمَا يَبْقَى، يَرَى الْغَنَمَ مَغْرَمًا، وَالْغَرَمَ مَغْنَمًا، يَخْشَى الْمَوْتَ، وَلَا يُتَادِرُ الْفَوْتَ. يَسْتَعْظِمُ مِنْ مَعْصِيَةِ غَيْرِهِ مَا يَسْتَقِيلُ أَكْثَرُ مِنْهُ مِنْ نَفْسِهِ، وَيَسْتَكْثِرُ مِنْ طَاعَتِهِ مَا يَحْقِرُهُ مِنْ طَاعَةِ غَيْرِهِ، فَهُوَ عَلَى النَّاسِ طَاعِنٌ، وَلِنَفْسِهِ مُدَاهِنٌ، اللَّهُوَمَعَ الْأَغْنِيَاءِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الذُّكْرِ مَعَ الْفُقَرَاءِ، يَحْكُمُ عَلَى غَيْرِهِ لِنَفْسِهِ، وَلَا يَحْكُمُ عَلَيْهَا لِغَيْرِهِ، يُرْشِدُ غَيْرَهُ وَيُغْوِي نَفْسَهُ. فَهُوَ يُطَاعُ وَيَعْصَى، وَيَسْتَوْفَى وَلَا يُوفَى، وَ يَخْشَى الْخَلْقَ فِي غَيْرِ رَبِّهِ، وَلَا يَخْشَى رَبَّهُ فِي خَلْقِهِ.

قال السيد الرضى: ولو لم يكن في هذا الكتاب الا هذا الكلام لكفى به موعظة ناجعة، وحكمة بالغة، وبصيرة لمبصر، وعبرة لناظر مُفَكِّر.

وأقول: يَرَجِيهَا: يُؤَخِّرُهَا. وروى بالزاي المعجمة أي: يدفعها. وقوله: يغلبه نفسه على ما يظن أي: من مطامع الدنيا ولا يغلبها على ما يستيقن، أي: من ثواب الآخرة ولا يغلبها على ذلك، أي: على العمل به. وانفراجه عن شرائط الملة عند نزول المحنة به: خروجه عن فضيلة الصبر عليها. ورؤيته المغنم مغرمًا، كالانفاق في سبيل الله. والغرم مغنمًا، كالانفاق في معصيته. وَيُغْوِي نَفْسَهُ أَي: لا يسلك بها سبيل الحق. والكلام من شريف الحكمة والموعظة الحسنة، واكثره ظاهر.

١٣٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِكُلِّ أَمْرٍ عَاقِبَةٌ حُلْوَةٌ أَوْ مُرَّةٌ.

اشارالى غايته الخيرية والشرية، كالجنة ولذاتها، والنار بعذابها. واستعار كلفظي الحلوة والمرّة، للذيد، والمكروه.

١٣٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِكُلِّ مُقْبِلٍ إِذْبَانٌ، وَمَا أَذْبَرَ كَانَ لَمْ يَكُنْ.

وهو تزهد: في متاع الدنيا وفنائها.

١٤٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا يَعْدَمُ الصَّبُورُ الظَّفَرَ وَإِنْ طَالَ بِهِ الزَّمَانُ.

١٤١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الرَّاضِي بِفِعْلِ قَوْمٍ كَالدَّاحِلِ فِيهِ مَعَهُمْ، وَعَلَى كُلِّ دَاحِلٍ فِي بَاطِلٍ إِثْمَانٍ: إِثْمُ الْعَمَلِ بِهِ، وَإِثْمُ الرِّضَا بِهِ.
وهو ظاهر.

١٤٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اَعْتَصِمُوا بِالذَّمِّ فِي أَوْتَادِهَا.

الذم: العهود، والعقود، والأيمان. واستعار لفظ الأوتاد لشرايطها: باعتبار أنها سبب حفظها كالوتد لما يحفظ به. و اراد امتنعوا بالمحافظة عليها ولزوم الوفاء بها، من عذاب الله.

١٤٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عَلَيْكُمْ بِطَاعَةِ مَنْ لَا تُعْذَرُونَ بِجَهَالَتِهِ.

يريد طاعة الله تعالى. وقيل: ائمة الخلق ايضا، اذ لا يُعذر الخلق في الجهل بهم لتعلم قوانين الدين منهم.



١٤٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَدْ بَصَّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ، وَقَدْ هَدَيْتُمْ إِنْ أَهْتَدَيْتُمْ، وَأَسْمِعْتُمْ إِنْ أَسْمَعْتُمْ.

اي قد بصرتم سبيل الرشاد، وهديتم اليها، وأسمعتكم الدلالة عليها.

١٤٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: غَائِبٌ أَخَاكَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَارْتَدَّدَ شَرُّهُ بِالْإِنْعَامِ عَلَيْهِ.

١٤٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ مَوَاضِعَ التُّهْمَةِ فَلَا يَلُومَنَّ مَنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ.

لانه هو السبب في اساءة الظن به.

١٤٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

مَنْ مَلَكَ أَمْتًا، وَمَنْ أَسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ، وَمَنْ شَاوَرَ الرَّجَالَ شَارَكَهَا فِي عُقُولِهَا. استبدَّ اراد ان شأن الملوک الاستبداد بالامور دون الناس. ومن استبدَّ برأى هلك، اذ كان الاستبداد بالرأى مظنة الخطأ وما يلزمه من الهلك. ومن شاور الرجال، شاركها في عقولها لاستنتاجه الراى الأصلح منها فكانت قد حصَل على مثل ما حصل جميعهم عليه من العقل.

١٤٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَتْ الْخَيْرَةُ بِيَدِهِ.

اى: فى اذاعته و كتمانہ، وهو ترغيب فى كتمان السر.

١٤٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْفَقْرُ الْمَوْتُ الْأَكْبَرُ.

استعار له لفظ الموت: باعتبار انقطاع النفع بمتاع الدنيا معه كالموت، و كونه أكبر: باعتبار تضاعف آلامه فى الحياة، وراحة الميت بموته^١.

مرکز تحقیق کتب و ترمیم و نشر کتب

١٥٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ قَضَى حَقَّ مَنْ لَا يَقْضِي حَقَّهُ فَقَدْ عَبَدَهُ.

وذلك لأن قضاءك لحق من لا يقضى حقك من الإخوان ليس طلب نفع منه لك، ولا دفع مضرة الغير عنك، بل لأنه هو لرهبته منه وهى يُشبه العبادة.

١٥١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ.

وذلك كالتقرب بالوضوء بالماء المغصوب. والصلاة فى الدار المغصوبة. والنفى هنا لذات الطاعة الشرعية كما هو مذهب أهل البيت عليهم السلام. وعند الشافعى يحمل على نفي الفضيلة.

١٥٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا يُعَابُ الْمَرْءُ بِتَأْخِيرِ حَقِّهِ إِنَّمَا يُعَابُ مَنْ أَخَذَ مَا لَيْسَ لَهُ.

١ - فى ش: وراحة الموت بموته.

لأنّ الأول حق. والثاني ظلم، وهو من أقوى الرذائل، وأكبر العيوب.

١٥٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْإِعْجَابُ يَمْتَعُ مِنَ الْإِزْدِيَادِ.
وذلك لتصور المعجب بنفسه لكماله فيمنعه من التكمّل.

١٥٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْأَمْرُ قَرِيبٌ، وَالْإِصْطِحَابُ قَلِيلٌ.
اي: أمر الله وهو الموت. والإصطحاب قليل اي: فى الدنيا.

١٥٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَدْ أَضَاءَ الصُّبْحُ لِيَذَى عَيْنَيْنِ.
استعار لفظ الصبح: لسبيل الله. ووصف الضياء: لوضوحها، ولفظ العينين: للعقل.
وهو كالمثل ونحوه قوله تعالى: (انّ فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب) الآية.

١٥٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: تَرَكَ الذَّنْبَ أَهْوَنُ مِنْ طَلَبِ التَّوْبَةِ.

١٥٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَمِ مِنْ أَكْلَةٍ مَتَّعَتْ أَكْلَاتٍ!

يضرب مثلا لمن يفعل فعلاً فيحرم به ما كان معتاداً له من منفعة ولذة.

١٥٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: النَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا.

وذلك لاعتقاد اكثر الجهال ان تصوراتهم، واعتقاداتهم الوهمية هى الحق، وليس بعد الحق الا الضلال الذى ينبغى أن يُعادى ويُجانب. ويتأكد عداوتهم للعلم، وأهله بغبطتهم لهم، وفخر العلماء عليهم واحتقارهم إياهم.

١٥٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ اسْتَقْبَلَ وُجُوهَ الْآرَاءِ عَرَفَ مَوَاقِعَ الْخَطَأِ.

فاستقبالها: تصفحها و استقرأؤها و هو مستلزم لمعرفة الخطأ من الصواب و مظنة لذلك .

١٦٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ أَحَدٌ سَنَّانَ الْغَضَبِ لِلَّهِ قَوِيٌّ عَلَى قَتْلِ
أَشِدَّاءِ الْبَاطِلِ .

لأن الغاضب لله يشتد بعزته التي هي أقوى من عزة الباطل، و المتهمسك بالأقوى
أقوى، و بذلك كان قتله عليه السلام لجبابرة العرب .

١٦١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا هَبْتَ أَمْرًا فَفَعَّ فِيهِ، فَإِنَّ شِدَّةَ تَوَقُّيهِ أَكْبَرُ مِمَّا
تَخَافُ مِنْهُ .

١٦٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: آلَةُ الرَّيَاسَةِ سَعَةُ الصَّدْرِ .

سعة الصدر فضيلة تحت الشجاعة، وهي: ان لا يدع الانسان قوة التجلّد عند ورود
الأحداث المهمة عليه، و اعتلاجها، و لا يحاراً و يُدهش فيما يرد عليه منها، و هي من
لوازم الرياسة الحقّة، فعرّفها بها .

١٦٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَرْجُرِ الْمُسِيءَ بِثَوَابِ الْمُحْسِنِ .

لأنّ تصوّر المسيء جزء المحسن بإحسانه، يجذبه الى الإحسان و يزجره
عن الإساءة .

١٦٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَخْصِدِ الشَّرَّ مِنْ صَدْرِ غَيْرِكَ بِقَلْعِهِ مِنْ صَدْرِكَ .

لأنّ نيّة الشرّ للغير تظهر اماراتها في فلتات القول، و صفحات الوجه، و ذلك
مبدء التغير نيّة الغير، و اضماره المقابلة بالشر فكان عدّمها بعدّمها .

١٦٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اللَّجَاجَةُ تَسُلُّ الرَّأْيَ.

اي: تأخذه وتذهبُ به، وذلك ان الانسان قد يلج في طلب الشئ مع الرأى فى تحصيله التائى فيكون اللجاج فيه سبباً مفوّتاً للرأى الأصلى فيه، وهو مفوّت للمطلوب غالباً.

١٦٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الظَّمْعُ رِقٌّ مُؤَبَّدٌ.

فاستعار له لفظ الرق: لاستلزامه التعبد للمطموع فيه و طاعته كالرق.

١٦٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ثَمَرَةُ الْحَزْمِ السَّلَامَةُ، وَثَمَرَةُ التَّفْرِيطِ النَّدَامَةُ.

فالحزم: هو تقديم العمل للحوادث بما هو أقرب الى السلامة منها. والتفريط:

اضاعته.

١٦٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا خَيْرَ فِي الصَّمْتِ عَنِ الْحُكْمِ؛ كَمَا أَنَّهُ لَا خَيْرَ

فِي الْقَوْلِ بِالْجَهْلِ.

لما كانت فضيلة القول هوالنطق بالحكمة، كان السكوت عنها رذيلة تضادها ولا

خير فيها.

١٦٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا اخْتَلَفَتْ دَعْوَتَانِ إِلَّا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا ضَلَالَةً.

فالدعوة اما الى حق، او الى غيره، وهوالباطل، ولا واسطة بينهما، وهذا يؤيد

المنقول عنه، وعن اهل بيته عليهم السلام ان الحق فى جهة، وانه ليس كل مجتهد

مصيباً.

١٧٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا شَكَّكَتُ فِي الْحَقِّ مُذْ أُرِيْتُهُ.

وذلك لقوة استعداده للعلم ووضوحه له.

١٧١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ؛ وَلَا ضَلَلْتُ وَلَا ضُلِّ بِى .

١٧٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِلظَّالِمِ الْبَادِي غَدَا بِكَفِّهِ عَضَّةٌ!
احترز بالبادى عن المجازى للظلم بمثله. و كنى بعض كفه عن الندامة.

١٧٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الرَّجِيلُ وَشِيكٌ .

اى: قربت الى الآخرة.

١٧٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ .

اى: من ظهر ونصب نفسه لاظهار الحق هلك عند الجهال، لضعف الحق عندهم وحبهم للباطل، وقد مر بيانه.

١٧٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ لَمْ يُنَجِّهِ الصَّبْرُ أَهْلَكَهُ الْجَزَعُ .

اى: من لم يصبر فينجو بصبره من اثم الجزع والهلاك به فى الآخرة اوفى الدنيا، هلك به.

١٧٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَأَعَجَبَاهُ أَتَكُونُ الْخِلَافَةَ بِالصَّحَابَةِ وَلَا تَكُونُ بِالصَّحَابَةِ

وَالْقَرَابَةِ؟

قال الرضى: وروى عنه عليه السلام شعر فى هذا المعنى وهو

فَإِنْ كُنْتُ بِالشُّورَى مَلَكَتْ أُمُورَهُمْ فَكَيْفَ بِهَذَا وَالْمُشِيرُونَ غُيِّبُ؟!
وَإِنْ كُنْتُ بِالقُرْبَى حَجَجْتُ خَصِيمَهُمْ فَغَيْرُكَ أَوْلَى بِالتَّبِئِ وَأَقْرَبُ

روى هذا عنه عند بيعة عثمان، وهو صورة جواب لما كان يسمعه من تعليق استحقاق عثمان للخلافة تارة بالشورى، وتارة بأنه من الصحابة. وفيه اشارة الى انه عليه السلام اولى بها من غيره، لاجتماع الصحابة والقراة فيه.

١٧٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّمَا الْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَظِلُ فِيهِ الْمَتَايَا، وَنَهَبٌ

تَبَادِرُهُ الْمَصَائِبُ، وَمَعَ كُلِّ جُرْعَةٍ شَرَقٌ، وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ وَلَا يَتَاكُ الْعَبْدُ نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقِ أُخْرَى، وَلَا يَسْتَقْبِلُ يَوْمًا مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا بِفِرَاقِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ. فَتَحْنُ أَعْوَانُ الْمُنُونِ وَأَنْفُسُنَا نَضِبُ الْحُتُوفِ فَمِنْ أَيْنَ نَرْجُو الْبَقَاءَ وَهَذَا اللَّيْلُ وَالتَّهَارُ لَمْ يَرْفَعَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَسْرَعَا الْكُرَّةَ فِي هَدْمِ مَا بَنَيْنَا، وَتَفْرِيقِ مَا جَمَعْنَا؟!!

استعار لفظ الانتضال وهو الرمي : لرمى الانسان بالأمراض والأعراض. ونهب بمعنى : منهوب. و كنى بالشرق والغصص : عن شوب لذات الدنيا بالتكدير، وعدم خلوصها. والنعمة في الحقيقة هي : اللذة وما يكون وسيلة اليها نعمة بالعرض، ولا يكاد يحصل للنفس في الدنيا لذتان معاً، بل ان كانتا فاحداهما بعد زوال الاخرى. وكذلك ما يتعدّد من النعم المتعارفة غالباً، اذ طبيعة الدنيا ومتاعها التقضى والتجدد. ونحن أعوان المنون على انفسنا: باعتبار ان كل نفس وحركة فهي مقربة للانسان الى اجله فكأنه ساع الى اجله.



١٧٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا أَبْنَ آدَمَ مَا كَسَبْتَ فَوْقَ قُوَّتِكَ فَأَنْتَ فِيهِ خَازِنٌ

لِغَيْرِكَ .

مركز تحقيقات الكمبيوتر علوم إسلامي

أراد بغيره: الحادث او الوارث.

١٧٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ لِلْقُلُوبِ شَهْوَةً وَإِقْبَالًَ وَإِدْبَارًا فَأَتْوَهَا مِنْ قِبَلِ شَهْوَتِهَا وَإِقْبَالِهَا، فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا أُكْرِهَ عَمِيَ .

أراد بالإدبار: النفرة والملال. واستعار وصف العمى له: باعتبار عدم ادراكه مع النفرة والملال، وذلك لوقوف القوى المدركة عن المطلوب لكلال او ملال.

١٨٠ - وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: مَتَى أَشْفَى غَيْظِي إِذَا غَضِبْتُ؟ أَجِبْنِ أَعْجَزُ عَنِ الْإِنْتِقَامِ فَيُقَالُ لِي لَوْ صَبَرْتُ؟ أَمْ حِينَ أَقْدِرُ عَلَيْهِ فَيُقَالُ لِي لَوْ عَفَوْتُ .

نفر عن رذيلة: شفاء الغيظ و ارادته بما يلزمه من لائمة الخلق على الإحتراق والقلق عند المعجز. وعلى ايقاع العقوبة وترك فضيلة العفو عند القدرة.

١٨١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَقَدِمَرِ بِقَدْرِ عَلِيٍّ مَرْبَلَةٌ: هَذَا مَا بَخِلَ بِهِ الْبَاخِلُونَ. وَ
رَوَى فِي خَبَرِ آخِرَانِهِ قَالَ: هَذَا مَا كُنْتُمْ تَتَنَافَسُونَ فِيهِ بِالْأَمْسِ.
اشار الى الغاية: اقامة لها مقام ذى الغاية.

١٨٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَمْ يَذْهَبْ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ.
اى: لا يعد ما ذهب من مالك بأفة تُفيدك موعظةً ذاهبًا لوجود منفعته وهى العبرة به.

١٨٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَمَا سَمِعَ قَوْلَ الْخَوَارِجِ «لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ»: كَلِمَةٌ حَقٌّ
يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ.
وقد مر بيانه.

١٨٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فِي صِفَةِ الْغَوْغَاءِ: هُمُ الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا غَلَبُوا، وَإِذَا
تَفَرَّقُوا لَمْ يُعْرِفُوا، (وقيل: بل قال عليه السلام): هُمُ الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا ضَرُّوا، وَإِذَا تَفَرَّقُوا
نَفَعُوا، فقيل: قد عرفنا مَضْرَّةَ اجْتِمَاعِهِمْ فَمَا مَنَفَعَةُ افْتِرَاقِهِمْ؟ فقال: يَرْجِعُ أَصْحَابُ الْيَمِينِ
إِلَى مِهْنَتِهِمْ، فَيَنْتَفِعُ النَّاسُ بِهِمْ كَرُجُوعِ الْبِنَاءِ إِلَى بِنَائِهِ، وَالنَّسَاجِ إِلَى مَنَسَجِهِ، وَالْخَبَّازِ
إِلَى مَخْبَرِهِ.
والمهنة: الحرفة والصناعة.

١٨٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَأَتَى بَجَانٍ وَمَعَهُ غَوْغَاءٌ، فَقَالَ: لَا مَرَحَبًا بِوُجُوهِ لَا تُرَى
إِلَّا عِنْدَ كُلِّ سَوَاءٍ.
اراد لا يرى مجتمعة فى الغالب الا كذلك، والسوء فعلة من السوء وهى: القبيحة.

١٨٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ مَلَكَينِ يَحْفَظَانِيهِ، فَإِذَا جَاءَ الْقَدْرُ خَلَّتَا
بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَإِنَّ الْأَجَلَ جُنَّةٌ حَصِيْبَةٌ.
استعار لفظ الجنة وهى: الدرع للأجل.

١٨٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وَقَدْ قَالَ لَهُ طَلْحَةُ وَالزَّبِيرُ: نَبَايَعُكَ عَلِيٌّ أَنَا شُرَكَاءُكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ): لَا، وَلَكِنَّكُمَا شَرِيكَايَ فِي الْقُوَّةِ وَالْإِسْتِعَانَةِ، وَعَوْنَانِ عَلَيَّ الْعَجْزِ وَالْأُودِ.
والأود: الاعوجاج.

١٨٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِنْ قُلْتُمْ سَمِعَ، وَإِنْ أَضْمَرْتُمْ عَلِمَ، وَبَادِرُوا الْمَوْتَ الَّذِي إِنْ هَرَبْتُمْ [مِنْهُ] أَذْرَكَكُمْ، وَإِنْ أَقَمْتُمْ أَخَذَكُمْ، وَإِنْ نَسِيتُمْوهُ ذَكَرَكُمْ.
والمعنى ظاهر.

١٨٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا يُزْهِدَنَّكَ فِي الْمَعْرُوفِ مَنْ لَا يَشْكُرُهُ لَكَ، فَقَدْ يَشْكُرُكَ عَلَيْهِ مَنْ لَا يَسْتَمْتِعُ بِشَيْءٍ مِنْهُ، وَقَدْ تَدْرِكُ مِنْ شُكْرِ الشَّاكِرِ أَكْثَرَ مِمَّا أَضَاعَ الْكَافِرُ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ.

نَبَهَ عَلِيٌّ تَرْكَ الزَّهْدِ فِي الْمَعْرُوفِ، بِثَلَاثَةِ ضَمَائِرٍ، صَغْرَى الْأَوَّلِ قَوْلُهُ: فَقَدْ يَشْكُرُكَ إِلَى قَوْلِهِ، مِنْهُ. وَصَغْرَى الثَّانِي قَوْلُهُ: وَقَدْ تَدْرِكُ، إِلَى قَوْلِهِ: الْكَافِرُ. وَنَبَهَ عَلِيٌّ الصَّغْرَى الثَّلَاثَةَ، بِقَوْلِهِ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ. وَتَقْدِيرُ الْكَبِيرِ فِي الْأَوَّلِ وَكُلِّ مَا يَشْكُرُكَ عَلَيْهِ مَنْ لَا يَسْتَمْتِعُ بِشَيْءٍ مِنْهُ فَوَاجِبٌ أَنْ لَا يَزْهَدَكَ فِيهِ مَنْ لَا يَشْكُرُكَ. وَتَقْدِيرُهَا فِي الثَّانِي، وَكُلِّ مَا قَد تَدْرِكُ مِنْ شُكْرِ الشَّاكِرِ فِيهِ أَكْثَرَ مِمَّا أَضَاعَهُ الْكَافِرُ فَلَا يَجُوزُ الزَّهْدُ فِيهِ، وَإِرَادَةُ الْكَافِرِ النِّعْمَةَ وَتَقْدِيرُهَا فِي الثَّلَاثَةِ وَكُلِّ مَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ فَوَاجِبٌ أَنْ يَفْعَلَ مَا لِأَجَلِهِ أَحَبَّهُ وَلَا يَزْهَدُ فِيهِ.

١٩٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كُلُّ وَعَاءٍ يَضِيقُ بِمَا جُعِلَ فِيهِ إِلَّا وَعَاءَ الْعِلْمِ فَإِنَّهُ يَتَّسِعُ.

وَذَلِكَ أَنَّ الْأَوْعِيَةَ الْمَحْسُوسَةَ: مِظَنَّةٌ أَنْ يَضِيقَ بِمَا يَوْضَعُ فِيهَا لِتَنْهَايَةِ اتِّسَاعِهَا. وَالْأَوْعِيَةَ الْمَعْقُولَةَ: كَالنَّفُوسِ غَيْرِ مِتْنَاهِيَةِ الْقُوَّةِ وَالْقَبُولِ، فَهِيَ غَيْرُ مِتْنَاهِيَةِ الْإِتْسَاعِ لِادْرَاكِ الْأَشْيَاءِ وَحِفْظِهَا وَلَفْظِ وَعَاءِ الْعِلْمِ: مُسْتَعَارٌ لَهَا.

١٩١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَوْلُ عِيُوضِ الْحَلِيمِ مِنْ حِلْمِهِ أَنَّ النَّاسَ أَنْصَارُهُ عَلَى الْجَاهِلِ.

أراد بالعوّض: جزاءه على حلمه، او عوض ما يفوته من لذّة الانتقام بسبب الحكم ويكون التقدير اول عوض الحليم الحاصل من حلمه.

١٩٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنْ لَمْ تَكُنْ حَلِيمًا فَتَحَلَّمْ، فَإِنَّهُ قَلٌّ مَنْ تَشَبَّهُ بِقَوْمٍ إِلَّا وَ أَوْشَكَ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ.

التحلّم تعود الحلم، لأن أكثر مبادئ الملكات الخلقية حالات مكتسبة.

١٩٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ رَبِحَ، وَمَنْ غَفَلَ عَنْهَا خَسِرَ، وَمَنْ خَافَ أَمِنَ، وَمَنْ أَعْتَبَرَ أَبْصَرَ، وَمَنْ أَبْصَرَ فَهِمَ، وَمَنْ فَهِمَ عَلِمَ.

محاسبة النفس على عملها: الاحتراز من الخسران بالتفريط، ومخافة عذاب الله يستلزم العمل له، والاعتبار الفكر في مواقع العبرة، وهو مستلزم لرؤية الطريق الحق الى الله، وذلك مستلزم لفهم منازلها ومراحلها، وآفاتها وهو مستلزم للعلم بغاياتها ومقاصدها.

١٩٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَتَعْطِفَنَّ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بَعْدَ شِمَاسِهَا عَظْفَ الضَّرُوسِ عَلَى وَلَدِهَا. وَتَلَا عَقِيبَ ذَلِكَ: (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ)!

شماس: الذّابة نفاها. والضروس: الناقة تعضّ حالها لتبقى لبنها لولدها لفرط شفقتها عليه.

١٩٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اتَّقُوا اللَّهَ تَقِيَّةً مَنْ شَمَرَ تَجْرِيدًا وَجَدَّ تَشْمِيرًا؛ وَأَكْمَشَ

فِي مَهْلٍ وَبَادَرَ عَنُ وَجَلٍ، وَنَظَرَ فِي كَرَّةِ الْمُوْتَلِ، وَعَاقِبَةَ الْمَصْدَرِ وَمَعْبَةَ الْمَرْجِعِ.
 أي: اسرع الى العمل في مهلة الحياة. وبادر اليه عن وجل من خوف الله. وفكر في
 كَرَّةِ الْمُوْتَلِ أي: الرجعة الى ملجأ الحق ومبدأهم من حضرة الله. وعاقبة المصدر: الذي
 عنه صدر واليه يعود. ومعبة: المرجع عاقبته من خيرا او شر ليعمل لهما.

١٩٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

الْجُودُ حَارِسُ الْأَعْرَاضِ، وَالْعِلْمُ فِدَامُ السَّفِيهِ، وَالْعَفْوُ زَكَاةُ الظَّفَرِ وَالسُّلُوعِ عَوْضُكَ مِمَّنْ
 غَدَرَ، وَالِاسْتِشَارَةُ عَيْنُ الْهَدَايَةِ، وَقَدْ خَاطَرَ مَنْ اسْتَعْنَى بِرَأْيِهِ، وَالصَّبْرُ يُنَاضِلُ الْجِدْثَانَ،
 وَالْجَزَعُ مِنْ أَغْوَانِ الزَّمَانِ، وَأَشْرَفُ الْغِنَى تَرْكُ الْمُنَى، وَكَمْ مِنْ عَقْلِ أُسِيرَ تَحْتَ هَوَى
 أَمِيرٍ، وَمِنْ التَّوْفِيقِ حِفْظُ التَّجْرِبَةِ، وَالْمَوَدَّةُ قَرَابَةٌ مُسْتَفَادَةٌ، وَلَا تَأْمَنَنَّ مَلُولًا.

اقول: استعار لفظ الحارس: للوجود باعتبار حفظه للاعراض من الشتم. و لفظ الفدام:
 وهو ما يوضع في فم الإبريق ليصفي ما فيه، والخرقة التي يشد بها المجوسى فمه للحلم
 عن السفه باعتبار أنه يسكته كالفدام. و لفظ الزكاة: للعقول لاستلزامها الثواب وفيه
 ملاحظة. شبه الظفر: بالمال. وخاطر اشرف على الهلاك لان الاستبداد بالرأى مظنته.
 و لفظ المناضلة: لفائدة الصبر لدفعه الهلاك عن الجزع. واعانة الجزع: للزمان في اعداده
 للهرم والفساد. و اشرف الغنى: غنى النفس بالكمالات النفسانية، وهو مستلزم لترك
 المنى. فأخبر باللازم عن الملزوم. و استعار لفظ الأسير: للعقل لانقياده للهوى الغالب. و
 لفظ الأمير: للهوى. وأخبر عنه بكم لكثرتة، و حفظ التجربة ملازمتها و مداومتها، و لسرعة
 انصراف الملول عن صاحبه و جب ان لا يؤتمن على صداقة و سر، و لا يؤتمن به.

١٩٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عُجِبُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ أَحَدُ حُسَادِ عَقْلِهِ.

فاستعار له لفظ الحاسد: باعتبار أنه يؤثر في منعه من ازدياد الفضيلة وفي تنقيص
 حاله كالحسد.

١ - في ش: ولا يؤتمن به.

١٩٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَغْضِ عَلَى الْقَدَى وَإِلَّا لَمْ تَرْضَ أَبَدًا.
فكنتى بالاغضاء: عن احتمال المكروه و كظم الغيظ ولأن طبيعة الدنيا معجونة
بالمكاره، وجب احتمالها وإلا لدام التعب بالتسخط والغضب.

١٩٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ لَانَ عُودُهُ كَثُفَتْ أَغْصَانُهُ.
وهو كالمثل: يضرب لمن يتواضع للناس فيأفونه، ويحبونه فيكثر بهم، ويقوى
باجتماعهم عليه.

٢٠٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْخِلَافُ يَهْدِمُ الرَّأْيَ.
وذلك عند أن يجتمع الناس على رأى فيخالف فيه بعضهم، فيفسد ما اجتمعوا عليه.

٢٠١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ نَالَ اسْتِظَالَ.
اي: من نال ما من شأنه أن يستظل به من مال اوجاه، وهو كالمثل.

مركز تحقيقات كويتى علوم اسلامية

٢٠٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فِي تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ عِلْمٌ جَوَاهِرِ الرِّجَالِ.
اي: تقلب احوال الدنيا على المرء برفعته بعد اتضاعه وبالعكس، ونزول الشدائد به
يعرف حاله فى طبيعته، وما يلزمها من الاخلاق كالصبر، واحتمال المكروه، وسعة الصدر
واضدادها.

٢٠٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: حَسَدُ الصَّدِيقِ مِنْ سُقْمِ الْمَوَدَّةِ.
لدلالته على ضعفها.

٢٠٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَكْثَرُ مَصَارِعِ الْعُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ الْمَظَامِيعِ.
فاستعار لفظ المصارع: لهوى العقل الى ما يطمع فيه، وانجذابه نحوه بحسب ما يلقى
اليه الوهم والخيال من تخيل الأمور النافعة. و لفظ البروق: لما يلوح من تلك التخييلات.

٢٠٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ الْقَضَاءُ عَلَى الثَّقَةِ بِالظَّنِّ.

اي: من كان عندك ثقة مأمونا لم يكن الحكم عليه بالرديلة لمجرد الظن عدلاً، بل ظلماً لأن العلم بكونه ثقة ارجح، ولأن الأصل كونه ثقة.

٢٠٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بِسِّ الزَّادِ إِلَى الْمَعَادِ، الْعُدْوَانُ عَلَى الْعِبَادِ.

٢٠٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مِنْ أَشْرَفِ أَعْمَالِ الْكَرِيمِ غَفْلَتُهُ عَمَّا يَعْلَمُ.

اي: تغافله.

٢٠٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ كَسَاهُ الْحَيَاءُ ثَوْبَهُ لَمْ يَرِ النَّاسُ عَيْبَهُ.

لاستلزام حياء المرء تركه لما يعاب به. وقوله: لم ير الناس عيبه اي: لم يكن له



عيب يرى وان كان له عيب فهو يتستر به.

٢٠٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بِكَثْرَةِ الصَّنَمِ تَكُونُ الْهَيْبَةُ، وَبِالنَّصْفَةِ يَكْثُرُ

الْمُوَاصِلُونَ، وَبِالْإِفْضَالِ تَعْظُمُ الْأَقْدَارُ، وَبِالتَّوَاضُعِ تَتِمُّ النُّعْمَةُ وَبِالْحَيْمَالِ الْمُؤْنُ يَجِبُ السُّوْدُدُ، وَبِالسَّيْرِ الْعَادِلَةِ يُقْهَرُ الْمُتَاوِيءُ، وَبِالْجَلْمِ عَنِ السَّفِيهِ تَكْثُرُ الْأَنْصَارُ عَلَيْهِ.

اشار عليه السلام، الى سبع فضائل، ورغب فيها بما يستلزمه من الخير، وهي

ظاهرة. وتمام النعمة بكثرة الإخوان، وأهل المودة لأن التواضع نعمة وما يلزمها تمام لها.

والمناوى: المعادي، وقهره لأن الناس مع السيرة العادلة.

٢١٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْعَجَبُ لِعَفْلَةِ الْحَسَادِ عَنْ سَلَامَةِ الْأَجْسَادِ.

لأن العافية أكبر نعم الدنيا فغفلتهم عن الحسد عليها عجب.

٢١١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الطَّامِعُ فِي وُثَاقِ الذُّلِّ.

فاستعار لفظ الوثاق: للطمع المذل باعتبار تقيده به كالوثاق.

٢١٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ، وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ

بِالْأَرْكَانِ.

واراد الإيمان الكامل.

٢١٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ أَصْبَحَ عَلَى الدُّنْيَا حَزِينًا فَقَدْ أَصْبَحَ لِقَضَاءِ اللَّهِ

سَاحِظًا، وَمَنْ أَصْبَحَ يَشْكُو مُصِيبَةً نَزَلَتْ بِهِ فَقَدْ أَصْبَحَ يَشْكُو رَبَّهُ، وَمَنْ أَتَى غَنِيًّا فَتَوَاضَعَ [لَهُ] لِيَغْنَاهُ ذَهَبٌ ثَلَاثًا دِينَيهِ، وَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَهُوَ مِمَّنْ كَانَ يَتَّخِذُ آيَاتِ اللَّهِ هُزُؤًا؛ وَمَنْ لَهَجَ قَلْبُهُ بِحُبِّ الدُّنْيَا التَّاطَ قَلْبُهُ [مِنْهَا] بِثَلَاثٍ: هُمْ لَا يُغْنِيهِ، وَحَرَصَ لَا يَثْرُكُهُ، وَأَمَلٌ لَا يُدْرِكُهُ.

ذكر خمس خصال مذمومة نفر عنها بما يلزمها من الشر، فالحزن على ما فاتت الدنيا يلزمه عدم الرضا بذلك المقضى، وهو مستلزم لسخط القضاء، وشكوى المصيبة يلزمها شكوى المبتلى بها وهو الله تعالى. وذهب ثلثي الدين من المتواضع للغنى لغناه لأن مدار الدين على الحق في الاعتقاد، والقول، والعمل، والمتواضع المذكور خارج عن الحق والعدل في تواضعه بقوله. و فعله، فهو خارج عن ثلثي دينه. وقيل: لأن مداره على كمال النفس بفضيلة الحكمة والعفة والشجاعة. والمتواضع المذكور مضيع لحكمته لوضعه التواضع في غير موضعه، ولعفته لخروجه عنها الى رذيلة الفجور حتى كأنه عابد لغير الله وذلك هدم لثلثي دينه، ودخول النار للقارى: يستلزم كونه لم يتدبر القرآن ولم يعمل به، وكان ذلك كالمستهزئ به غير المعتمد لصدقه. فاستعار له: لفظ المستهزئ. ولهج بالشئ: حرص عليه وأولع به. والتاط: التصق. ولا يغبه اى لا يفارقه يوماً ويأتيه يوماً.

٢١٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَفَى بِالْقَنَاعَةِ مُلْكًا؛ وَبِحُسْنِ الْخُلُقِ نَعِيمًا،

فاستعار لفظ الملك: للقناعة لأن بهما الغنى، والترفع عن الخلق. ولفظ النعيم:

لحسن الخلق للإلتذاذ بهما والراحة معهما.

٢١٥ - وَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: (فَلْتُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً؟) فَقَالَ:

هِيَ الْقَتَاةُ

٢١٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: شَارِكُوا الَّذِي قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ الرَّزْقُ، فَإِنَّهُ أَخْلَقَ لِيَلْعَنِي

وَأَجْدَرُ بِأَقْبَالِ الْحَظِّ.

أخلق واجدراى: اولى لان مشاركته مظنة اقبال حظ شاركه و درورالرزق عليه.

٢١٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) الْعَدْلُ:

الْإِنْصَافُ، وَالْإِحْسَانُ: التَّفَضُّلُ.

وهو تعريف لفظ بلفظ اعرف منه عندالسائل.

٢١٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ يُعْطِ بِالْيَدِ الْقَصِيرَةِ يُعْطِ بِالْيَدِ الطَّوِيلَةِ

كَتَى بِالْيَدِ الطَّوِيلَةِ: عَنِ الْعَطَاءِ الْكَثِيرِ. وَبِالْقَصِيرَةِ: عَنِ الْقَلِيلِ، وَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:

(مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ امْتِثَالِهَا)^٣

٢١٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَابْنَةُ الْحَسَنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ. لَا تَدْعُونَنِي إِلَى مُبَارَاةٍ وَإِنِّي

دُعِيْتُ إِلَيْهَا فَأَجِبْتُ فَإِنَّ الدَّاعِيَ بَاغٍ وَالْبَاغِي مَضْرُوعٌ.

اى: فى مظنة ان يصرع.

٢٢٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: خِيَارُ خِيصَالِ النِّسَاءِ شِرَارُ خِيصَالِ الرِّجَالِ: الزَّهْوُ،

وَالْجُبْنُ، وَالْبُخْلُ؛ فَإِذَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ مَزْهَوَةً لَمْ تُمْكِنْ مِنْ نَفْسِهَا، وَإِذَا كَانَتْ بَخِيلَةً

حَفِظَتْ مَالَهَا وَمَالَ بَعْلِهَا، وَإِذَا كَانَتْ جَبَانَةً فَرِقَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَعْرِضُ لَهَا.

١ - سورة النحل / ٩٧.

٢ - سورة النحل / ٩٠.

٣ - سورة الانعام / ١٦٠.

الزهو: الكبر، والكلام واضح.

٢٢١ - وَقِيلَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام: صف لنا العاقل، فقال عليه السلام: هُوَ الَّذِي يَضَعُ الشَّيْءَ مَوَاضِعَهُ، فَقِيلَ: فصف لنا الجاهل، فقال: قَدْ فَعَلْتُ.
قال السيد الرضى: يعني أن الجاهل هو الذي لا يضع الشيء مواضعه فكان ترك صفته صفة له؛ إذ كان بخلاف وصف العاقل.
واقول: عرّف العاقل بخاصة من خواصه. والجاهل بعدم تلك الخاصية وهو من خواصّ الجاهل.

٢٢٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: وَاللَّهِ لَدُنِّيَاكُمْ هَذِهِ أَهْوَنُ فِي عَيْنِي مِنْ عِرَاقٍ يَخْتَزِرُ فِي يَدٍ مَجْدُومٍ.

عراق جمع عرق، وهو: جمع غريب كتوأم، وتوأم وهو: العظم الذي يُسحت عنه اللحم، وهو في غاية بيان كراهية الدنيا عنده والتنفير عنها.

٢٢٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: إِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ رَغْبَةً فَبِتِلْكَ عِبَادَةُ التُّجَّارِ. وَإِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ رَهْبَةً فَبِتِلْكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ، وَإِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ شُكْرًا فَبِتِلْكَ عِبَادَةُ الْأَحْرَارِ.
والاولى عبادة التجار، لأنهم يستعوضون عنها الثواب. والثانية عبادة العبيد لأن غالبها عن رهبة. والثالثة عبادة العارفين الذين يعبدون الله لله. ولأنه اهل للعبادة وهم الاحرار من رق الرغبة والرهبة.

٢٢٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: الْمَرْأَةُ شَرٌّ كُلُّهَا، وَشَرُّ مَا فِيهَا أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْهَا!
أما أنها من شر ما فيها: قلة الاستغناء عنها. أما أنها شر: فلأن مدارها على مؤونتها وهو شر عاجل وعلى الإلتذاذ بها، والاشتغال عن الله ويلزمه شرّ آجل. وأما ان الحاجة اليها شر من ذلك: فلأنها سبب تلك الشرور. والسبب أقوى من المسبب.

٢٢٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ أَطَاعَ التَّوَانِي ضَيَّعَ الْحُقُوقَ، وَمَنْ أَطَاعَ الْوَأَشِيَّ ضَيَّعَ الصَّدِيقَ.

٢٢٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْحَجَرُ الْغَصِيبُ فِي الدَّارِ رَهْنٌ عَلَى خَرَابِهَا.
(ويروى هذا الكلام عن النبي صلى الله عليه وآله، ولا عجب أن يشبهه الكلامان لأن مُسْتَقَاهُمَا من قليب، ومَفْرَعُهُمَا من ذنوب^١). أقول: استعار لفظ الرهن: للمغصوب لاستلزامه غالبًا خراب بيت الغاصب، كاستلزام الرهن اداء ما عليه من مال.

٢٢٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَوْمُ الْمَظْلُومِ عَلَى الظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الظَّالِمِ عَلَى الْمَظْلُومِ.

فيوم المظلوم: يوم القيامة، وخصه به لأنه يوم انصافه وأخذ حقه فهوله، وكذلك تخصيص يوم الظالم به.



٢٢٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اتَّقِ اللَّهَ بَعْضَ التَّقَى وَإِنْ قَلَّ؛ وَاجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ سِتْرًا وَإِنْ رَقَّ.

لأن التقوى هي الزاد الى الآخرة، ولا يجوز ترك الزاد بالكلية في مثل تلك الطريق. واستعار لفظ الستر: لحدود الله، وجعلها بينه وبين الله حفظها وعدم انتهاكها الموقع في مهاوى الهلاك.

٢٢٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا أَرَدَحَمَ الْجَوَابُ خَفِيَ الصَّوَابُ.

أى: اذا كثرت الأجوبة من جماعة عن مسألة من واحد، خفى الصواب منها لكثرتها واختلاطها، واكثر ما يكون ذلك في المسائل الاجتهادية.

١ - القليب: البئر، وقيل: البئر القديمة. والذنوب: الدلو الكبير، واستعار السيد الرضي -رضي الله عنه- هذا اللفظ للنبي الاقدس (ص) ولامير المؤمنين عليه السلام، لان الامام يستقى ويروى من بئر النبوة والرسالة ويفرغ من دلوها.

٢٣٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ لِي فِي كُلِّ نِعْمَةٍ حَقًّا؛ فَمَنْ أَدَّاهُ زَادَهُ مِنْهَا، وَمَنْ قَصَرَ عَنْهُ خَاطَرَ بِزَوَالِ نِعْمَتِهِ.

فحق الله في النعمة: شكرها الواجب وامتياز وجوده للمزيد منها، وعدمه و هو الكفران لزوالها كما في قوله تعالى: (لئن شكرتم لأزيدنكم) الآية.

٢٣١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا كَثُرَتِ الْمَقْدِرَةُ قَلَّتِ الشَّهْوَةُ.

وذلك لاستشعار قليل القدرة على الشيء خوف فواته، فلا تزال في قلبه دغدغة، وهمية تحمله على شهوته وطلبه. اما كثير القدرة عليه فإنه يأمن قوته فيضعف باعته عليه وتقل شهوته له.

٢٣٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَخَذُوا نِفَارَ النَّعْمِ فَمَا كُلُّ شَارِدٍ بِمَرْدُودٍ.

فاستعار لفظ النفار والشارد: للنعم الزائلة، ملاحظة شبهها بالإبل النافرة. ونبه بالتحذير من ذلك على وجوب تقيدها بالشكر.

مركز تحقيقات الكمبيوتر علوم إسلامي

٢٣٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْكَرَمُ أَغْطَى مِنَ الرَّحِمِ.

اي: الكريم لكرمه على المنعم عليه، اعطف من ذي الرحم على ذي رحمه لأن عاطفة الكريم طبع، و عاطفة ذي الرحم قد تكون تكلفاً.

٢٣٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْرًا فَصَدِّقْ ظَنَّهُ.

اي: بمطابقة فعلك لظنه فيك الحير.

٢٣٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ مَا أَكْرَهْتَ نَفْسَكَ عَلَيْهِ.

وذلك لأن فائدة الأعمال الصالحة تطويع النفس الأمانة بالسوء للنفس العاقلة، وفي اكرامها كسرهما وقهرها، وبحسب ذلك تكون كثرة الفائدة والمنفعة و كان أفضلها

اكرهها. وفي الحديث: أفضل الأعمال احمزها^١ بالزاي المعجمة، اي: اشقها.

٢٣٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عَرَفْتُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِفَسْخِ الْعَزَائِمِ، وَحَلِّ الْعُقُودِ.

ففسخ العزائم: الرجوع عما يعزم عليه. وحل العقود: تغيير ما يعقد عليه الضمير من الأمر. ووجه الاستدلال بها على المعرفة انها تغيرات وخواطر ممكنة محتاجة في طريق وجودها وعدمها الى مرجح ليس هو العبد دفعا للدور والتسلسل. فالمرجح الأول لها هو الله تعالى وهو المطلوب.

٢٣٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَرَارَةُ الدُّنْيَا حَلَاوَةُ الْآخِرَةِ، وَحَلَاوَةُ الدُّنْيَا مَرَارَةُ

الْآخِرَةِ.

فاستعار لفظ المرارة: لمشقة الأعمال الصالحة في الدنيا، ولما يستعقبه اللذة الدنيوية من الألم والعذاب في الآخرة. ولفظ الحلاوة: ولما يستعقبه الأعمال الصالحة من لذة السعادة الآخروية، ولما في متاع الدنيا من اللذة وهو ظاهر.

مرآتية تكوير علوم

٢٣٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَرَضَ اللَّهُ الْإِيمَانَ تَطْهِيرًا مِنَ الشَّرْكِ وَالصَّلَاةَ تَنْزِيهًا

عَنِ الْكِبْرِ، وَالزَّكَاةَ تَسْبِيًا لِلرِّزْقِ، وَالصِّيَامَ ابْتِلَاءً لِإِخْلَاصِ الْخَلْقِ، وَالْحَجَّ تَقَرُّبًا لِلدِّينِ، وَالْجِهَادَ عِزًّا لِلْإِسْلَامِ، وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَضْلِحَةً لِلْعَوَامِّ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ رَدْعًا لِلشُّفَهَاءِ، وَصِلَةَ الرَّجِيمِ مَنَمَةً لِلْعَدَدِ، وَالْقِصَاصَ حَقًّا لِلدِّمَاءِ، وَإِقَامَةَ الْحُدُودِ إِعْظَامًا لِلْمَحَارِمِ، وَتَرَكَ شُرْبِ الْخَمْرِ تَخْصِينًا لِلْعَقْلِ، وَمُجَانَبَةَ السَّرِقَةِ إِجَابًا لِلْعِفَّةِ، وَتَرَكَ الزَّانَا تَخْصِينًا لِلنَّسَبِ، وَتَرَكَ اللَّوَاظِ تَكْثِيرًا لِلنَّسْلِ، وَالشَّهَادَةَ أَسْتِظْهَارًا عَلَى الْمُجَاحِدَاتِ، وَتَرَكَ الْكَذِبَ تَشْرِيفًا لِلصَّدَقِ، وَالسَّلَامَ أَمَانًا مِنَ الْمَخَاوِفِ، وَالْأَمَانَاتِ نِظَامًا لِلْأُمَّةِ، وَالطَّاعَةَ تَعْظِيمًا لِلْإِمَامَةِ.

اقول: الايمان يلزمه الطهارة عن الشرك لما فيه من التصديق بالوحدانية، ويلزم الصلاة التنزيه عن الكبر، لما فيه من التواضع وتسبيبا للرزق، اي: رزق من فرضت لهم

١ - تاج العروس ٢٩/٤. النهاية ١/٤٤٠.

من الاصناف، والاخلاص في الصيام لله لما فيه من المشقة وهجر الملاذ. وتقوية الدين بالحج لما فيه من الاجتماع و اظهار شعائر الله، ومنمأة: للعدد وزيادته في الرحم بصلتهم لما في ذلك من استقامة امر معاشهم. وتشريف الصدق بترك الكذب لما في الصدق من بناء اكثر مصالح العالم في المعاش والمعاد عليه. والامان من المخاوف في السلم لما فيه من الاشعار وسلامة الصدر والامن من اضرار الشرور. وروى الاسلام وهو ظاهر و باقى الاسرار ظاهرة. وقد سبق بيان اسرار اكثرها.

٢٣٩ - وَ كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: أَخْلِفُوا الظَّالِمَ - إِذَا أَرَدْتُمْ يَمِينَهُ - بِأَنَّهُ بَرِيءٌ مِنْ حَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ فَإِنَّهُ إِذَا حَلَفَ بِهَا كَاذِبًا غُوجِلَ [العُقُوبَةُ]، وَإِذَا حَلَفَ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَمْ يُعَاجِلْ؛ لِأَنَّهُ قَدْ وَحَدَّ اللَّهُ تَعَالَى.

٢٤٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا ابْنَ آدَمَ؛ كُنْ وَصِيَّ نَفْسِكَ فِي مَالِكَ، وَاعْمَلْ فِيهِ مَا تَوَثَّرُ أَنْ يُعْمَلَ فِيهِ مِنْ بَعْدِكَ .
 اى: ضع مالك فى مواضعه المأمور بوضعه فيه شرعاً من القربات وغيرها، وذلك ما يختار أن يعمل فيه من بعده.

٢٤١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْجِدَّةُ ضَرْبٌ مِنَ الْجُنُونِ، لِأَنَّ صَاحِبَهَا يَتَدَمُّ، فَإِنْ لَمْ يَتَدَمَّ فُجُونُهُ مُسْتَحْكَمٌ.
 استعار للجدة وهى: الافراط فى الغضب لفظ الجنون لاستلزامها الخروج فى هذه القوة عن طاعة العقل فيما ينبغى ان يعمل.

٢٤٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: صِحَّةُ الْجَسَدِ، مِنْ قِلَّةِ الْحَسَدِ.
 اى: ان الحسد قد يؤثر فى فساد الجسد، فكانت قلته من شرائط صحته وأسبابها.

٢٤٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِكَمِيلِ بْنِ زِيَادِ النَّخَعِيِّ: يَا كَمَيْلُ، مُرَّ أَهْلَكَ

أَنْ يَرُوحُوا فِي كَسْبِ الْمَكَارِمِ، وَيُدْلِجُوا فِي حَاجَةٍ مِنْ هَوْنَائِمٍ؛ فَوَالَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ
الْأَصْوَاتَ مَا مِنْ أَحَدٍ أَوْدَعَ قَلْبًا سُرُورًا إِلَّا وَخَلَقَ اللَّهُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ السُّرُورِ لُطْفًا؛ فَإِذَا نَزَلَتْ
بِهِ نَائِبَةٌ جَرَى إِلَيْهَا كَالْمَاءِ فِي أَنْجِدَارِهِ حَتَّى يَطْرُدَهَا عَنْهُ كَمَا تُطْرَدُ غَرِيبَةُ الْإِبِلِ.

الإدلاج: السير بالليل. و كسى بالنائم: عن غير المتكلف لطلب الحاجة. و اللطف
ما يكون الانسان عنده اقرب الى صلاح الحال. و اشار به: الى ما يستمده المحسن
من الأدعية الصالحة والثناء من المسرور، و ذلك لطف يصلح به حاله عند الله و عند الناس
و يعده لدفع المكان و لنازلة به. و روى النائبة و هي: المصيبة. و شبه طرده لها بطرد غريبة
الابل في قوة الطرد.

٢٤٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا أُمَلِّقْتُمْ فَتَاجِرُوا اللَّهَ بِالصَّدَقَةِ.

فالاملق: الفقر، و متاجرة الله: استفاضة عطائه و ثوابه في الدنيا و الآخرة، بما تيسر
من صدقة الفقير ثقة بقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَحْزَى الْمُتَصَدِّقِينَ) ١.

٢٤٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْوَفَاءُ لِأَهْلِ الْغَدْرِ عِنْدَ اللَّهِ؛ وَالْغَدْرُ بِأَهْلِ الْغَدْرِ وَفَاءٌ

عِنْدَ اللَّهِ.

فاستعار لفظ الغدر: للوفاء الاول لكونهما وضعاً للشئ في غير موضعه. و لفظ الوفاء
الثاني: للغدر لكونهما وضعاً للشئ في موضعه.

قال السيد رحمه الله

فصل نذكر فيه شيئاً من اختيار غريب كلامه

المحتاج إلى التفسير

١ - في حديثه عليه السلام:

فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ ضَرَبَ يَعْسُوبُ الدِّينِ بِذَنبِهِ، فَيَجْتَمِعُونَ إِلَيْهِ كَمَا يَجْتَمِعُ قَرَعُ الْخَرِيفِ.

١ - سورة يوسف / ٨٨.

قال السيد الرضى: اليعسوب: السيد العظيم المالك لأموار الناس يومئذ، والقزع: قطع الغيم التي لاماء فيها. و أقول: قوله ذلك اشارة الى علامات ذكرها فى آخر الزمان، لظهور صاحب الأمر، واستعار له لفظ اليعسوب^٥.

٢ - وفى حديثه عليه السلام:

إِنَّ الْإِيمَانَ يَبْدُو لُمَظَّةً فِي الْقَلْبِ كُلَّمَا أَزْدَادَ الْإِيمَانَ أَزْدَادَتِ اللَّمَظَّةُ.

قال: واللّمظّه مثلُ النكته أو نحوها من البياض. ومنه قيل فرسُ اللَّمَظ إذا كان بِجَحْفَلَيْتِهِ شَيْءٌ مِنَ الْبِياضِ.

و أقول: لفظ اللمظمة مستعار: للتصديق القلبى، و أول ما يقع فى القلب يكون حالة تُشبه النقطة من شعاع الشمس وغيرها لا يزال يزداد حتى يقوى ويتأكد بالبراهين والحجج الى ان يصير ملكة تامة. و الجحفلة من الفرس هى المسمّاة من الانسان شَفَّةً.



٣ - ومن حديثه عليه السلام:

إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَانَ لَهُ الدَّيْنُ الظُّنُونُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُرَكِّبَهُ لِمَا مَضَى إِذَا قَبِضَهُ. فالظنون: الذى لا يعلم صاحبه أَيَقْبِضُهُ من الذى هو عليه أم لا، فكأنه الذى يظن به فمرة يرجوه و مرة لا يرجوه. وهذا من أفصح الكلام؛ و كذلك كل أمر تطلبه ولا تدرى على أى شى أنت منه فهو: ظنون، وعلى ذلك قول الأعشى:

مَا يُجْعَلُ الْجُدُّ الظُّنُونُ الَّذِي
مِثْلَ الْفُرَاتِي إِذَا مَا ظَمَا
جُنِبَ صُوبَ اللَّجْبِ الْمَاطِرِ
يَقْدِفُ بِالْبُوصَى وَالْمَاهِرِ

والجد: البئر. والظنون: التى لا يعلم هل فيها ماء ام لا. واللجب فى قول الأعشى، هو: السحاب المصوّت. والفراتى: الفرات والياء للتأكيد لقولهم، والدهر بالانسان دوارى اى: دوار. ويحتمل ان يريد النهر الفراتى. والبوصى: سفينة صغيرة معروفة. والماهر السابح. و باقى الفصل ظاهر^٥.

^٥ وردت (٦) احاديث فى شرح الشيخ محمد عبده هي غير موجودة فى شرح المرحوم البحرانى.

١ - فى ش: وفى.

٢٤٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَمَا بَلَغَهُ إِغَارَةُ أَصْحَابِ مَعَاوِيَةَ عَلَى الْأَنْبَارِ: فَخَرَجَ

بِنَفْسِهِ مَاشِياً حَتَّى أَتَى النَّخِيلَةَ فَأَدْرَكَهَا النَّاسُ، وَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، نَحْنُ نَكْفِيكَهُمْ، فَقَالَ: مَا تَكْفُونَنِي أَنْفُسَكُمْ فَكَيْفَ تَكْفُونَنِي غَيْرَكُمْ؟ إِنْ كَانَتِ الرَّعَايَا قَبْلِي لَتَشْكُو حَيْفَ رِعَايَتِهَا، وَإِنِّي الْيَوْمَ لِأَشْكُو حَيْفَ رِعَايَتِي، كَأَنِّي الْمَقْوودُ وَهُمْ الْقَادَةُ، أَوِ الْمَوْزُوعُ وَهُمْ الْوَزَعَةُ!

(فلما قال عليه السلام هذا القول في كلام طويل قد ذكرنا مختاره في جملة الخطب، تقدم إليه رجلان من أصحابه فقال أحدهما: إني لا أملك إلا نفسي وأخي فمرنا بأمرك يا أمير المؤمنين نُثِيدَلَهُ) فقال عليه السلام: وَ أَيْنَ تَقَعَانِ مِمَّا أُرِيدُ؟
أقول: هذا الفصل قد مرّ مشروحاً في الخطب.

وقيل إن الحارث بن حوت أتاه عليه السلام فقال: أتراني أُظنُّ أصحابَ الجمل كانوا على ضلالة؟

فقال عليه السلام: يَا حَارِثُ، إِنَّكَ نَظَرْتَ تَحْتَكَ وَلَمْ تَنْظُرْ فَوْقَكَ فَحِرَّتْ! إِنَّكَ لَمْ تَعْرِفِ الْحَقَّ فَتَعَرَّفَ أَهْلُهُ؛ وَلَمْ تَعْرِفِ الْبَاطِلَ فَتَعَرَّفَ مَنْ أَتَاهُ، فقال الحارث: فإني أعتزل مع سعد بن مالك، و عبد الله بن عمر؟ فقال عليه السلام: إِنَّ سَعْدًا وَ عَبْدِ اللَّهِ بَنَ عُمَرَ لَمْ يَنْصُرَا الْحَقَّ وَلَمْ يَخْذُلَا الْبَاطِلَ.

قيل: في قوله: انك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك، اي: نظرت الى شبهة اصحاب الجمل، ولم تنظر الى الحق الذي مع امامك. وفي العرف: ان الحق فوق الباطل، فوقيّة الشرف والفضيلة، و الباطل تحته، تحتيّة الدناءة. وقيل: اراد: نظرت الى الخلق وراقبتهم ولم تنظر الى الله فتعمل له، فَحِرَّتْ اي: لِنَظْرِكَ فِي شُبُهَتِهِمْ اَوْ لِمَرَاقِبَتِكَ اِيَّاهُمْ. وسعد ابن مالك هو: سعد بن ابي وقاص.

٢٤٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: صَاحِبُ السُّلْطَانِ كَرَائِبِ الْأَسَدِ: يُغْبِطُ بِمَوْجِعِهِ، وَهُوَ

أَعْلَمُ بِمَوْضِعِهِ.

ووجه التشبيه: صعوبة المركب و خطره. ونبه عليه بقوله يغبط الى آخره.

٢٤٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَحْسِنُوا فِي عَقِبِ غَيْرِكُمْ تُحْفَظُوا فِي عَقِبِكُمْ.
لأن المجازاة واقعة في الطبيعة. ولأن الذكر الجميل بعد المرء، والمحسن: لعطف
الناس على من يخلفه من ولده واهله.

٢٤٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ كَلَامَ الْحُكَمَاءِ إِذَا كَانَ صَوَابًا كَانَ دَوَاءً، وَإِذَا
كَانَ خَطَأً كَانَ دَاءً.
اراد: داء الجهل ودواؤه من العلم.

٢٥٠ - وَسَأَلَهُ رَجُلٌ أَنْ يَعْرِفَهُ الْإِيمَانَ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا كَانَ الْغَدُ فَأَتِنِي
حَتَّى أَخْبِرَكَ عَلَى أَسْمَاعِ النَّاسِ، فَإِنْ نَسِيتَ مَقَالَتِي حَفِظْتُهَا عَلَيْكَ غَيْرِكَ، فَإِنَّ الْكَلَامَ
كَالشَّارِدَةِ يَنْقُضُهَا هَذَا وَيُخْطِئُهَا هَذَا.

وقد ذكرنا ما أجابه به فيما تقدم من هذا الباب وهو قوله: الايمان على أربع شعب.
وينقضها اي: يدركها ويَجِدُهَا، وهو: وجه الشبه بالشاردة من الإبل. و اراد يحفظه
واحد ولا يضبطه آخر.

مركز تحقيقات علوم اسلامی

٢٥١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا ابْنَ آدَمَ، لَا تَحْمِلْ هَمَّ يَوْمِكَ الَّذِي لَمْ يَأْتِكَ عَلَى
يَوْمِكَ الَّذِي قَدْ أَتَاكَ؛ فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ مِنْ عُمْرِكَ يَأْتِ اللَّهُ فِيهِ بِرِزْقِكَ.

٢٥٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَحْسِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا، عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ
يَوْمًا، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا، عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا.
فحسى فى الموضوعين صغريا ضميرين نبه بهما على وجوب الاعتدال فى المحبة
والبغض.

٢٥٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: النَّاسُ فِي الدُّنْيَا عَامِلَانِ: عَامِلٌ عَمِلَ فِي الدُّنْيَا لِلدُّنْيَا،
قَدْ شَغَلَتْهُ دُنْيَاهُ عَنْ آخِرِيهِ، يَخْشَى عَلَى مَنْ يَخْلُفُهُ الْفَقْرَ وَيَأْمَنُ عَلَى نَفْسِهِ، فَيَفْنِي عُمْرَهُ فِي

مَنْفَعَةٍ غَيْرِهِ، وَ عَامِلٌ عَمِلَ فِي الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا فَجَاءَهُ الَّذِي لَهُ مِنَ الدُّنْيَا بغيرِ عَمَلٍ، فَأَحْرَزَ الْحَظَّيْنِ مَعًا، وَ مَلَكَ الدَّارَيْنِ جَمِيعًا فَأَصْبَحَ وَجِيهًا عِنْدَ اللَّهِ لَا يَسْأَلُ اللَّهُ حَاجَةً فَيَمْنَعُهُ.
 وقوله: يأمنه على نفسه اي: الفقر في الآخرة من الخير النافع فيها.

٢٥٤ - وروى أنه ذكر عند عمر بن الخطاب في ايامه احدى الكعبة و كثرته، فقال قوم: لو اخذته فجهزت به جيوش المسلمين كان اعظم للاجر و ما تصنع الكعبة بالحلي؟ فهم عمر بذلك، و سأل أمير المؤمنين عليه السلام فقال عليه السلام: إن القرآن أنزل على النبي صلى الله عليه و آله و سلم و الأموال أربعة: أموال المسلمين فقسمها بين الورثة في الفرائض، و الفىء فقسمه على مستحقيه، و الخمس فوضعه الله حيث وضعه، و الصدقات فجعلها الله حيث جعلها، و كان حلي الكعبة فيها يومئذ، فتركه الله على حاله، و لم يتركه نسياناً، و لم يخف عليه مكاناً، فأقره حيث أقره الله و رسوله. فقال له عمر: لو لأك لاقتضحنا، و ترك الحلي بحاله.



مكانا: نصب على التمييز، و الفصل واضح.

مرکز تحقیقات کلمه و علوم اسلامی

٢٥٥ - وروى أنه عليه السلام رفع إليه رجلان سرقا من مال الله: أحدهما عبد من مال الله، و الآخر من عرض الناس فقال عليه السلام:
 أمّا هذا فهو من مال الله و لا حدّ عليه، مال الله أكل بعضه بعضاً، و أمّا الآخر فعليه الحدّ فقطع يده.

و عرض الناس: سايرهم و عاقبتهم.

٢٥٦ - و قال عليه السلام: لو قد استوت قدمائى من هذه المداحض لغيرت أشياء. فكتى باستواء قدميه: عن ثباته، و تمكنه من اجراء الاحكام الشرعية: على وجوهها، و استعار لفظ المداحض: للمسائل الاجتهادية، لأنها مزالقة اقدام العقول. و اراد بالأشياء: احكاماً سبقت من الائمة قبله على خلاف ما يراه من الحق.

١ - في ش: عمر بن الخطاب حلى الكعبة.

٢٥٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اعْلَمُوا عِلْمًا يَقِينًا أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِلْعَبِيدِ وَإِنْ عَظُمَتْ حِيلَتُهُ، وَاشْتَدَّتْ طِلْبَتُهُ، وَقَوِيَتْ مَكِيدَتُهُ- أَكْثَرَ مِمَّا سُمِّيَ لَهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، وَلَمْ يَخْلُ بَيْنَ الْعَبِيدِ فِي ضَعْفِهِ وَقَلَّةِ حِيلَتِهِ، وَبَيَّنَّ أَنْ يَتَلَخَّصَ مَا سُمِّيَ لَهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، وَالْعَارِفُ لِهَذَا الْعَامِلُ بِهِ أَعْظَمُ النَّاسِ رَاحَةً فِي مَنَفَعَةٍ، وَالتَّارِكُ لَهُ الشَّاكُّ فِيهِ أَعْظَمُ النَّاسِ شُغْلًا فِي مَضْرَّةٍ؛ وَرَبٌّ مُنْعَمٌ عَلَيْهِ مُسْتَدْرِجٌ بِالنُّعْمَى؛ وَرَبٌّ مُبْتَلَى مَضْجُوعٌ لَهُ بِالْبَلْوَى، فَرِذْ أَيْهَا الْمُسْتَمِيعُ فِي شُكْرِكَ، وَقَصْرٍ مِنْ عَجَلَتِكَ، وَقَفْ عِنْدَ مُنْتَهَى رِزْقِكَ.

فالذكر الحكيم هو: اللوح المحفوظ، فقد قام البرهان على أن ما علم الله تعالى وجوده أو عدمه، واثبته في اللوح المحفوظ وجب معلومه وفق علمه، فلذلك أمر بعلمه يقيناً، ويلزم ذلك اليقين الراحة من الاهتمام به والتعب في طلبه بما لا بد من وصوله إليه من رزق وغيره، ويلزم الشك فيه ما ذكر من كونه أعظم الناس شغلاً أي: باعتبار خلوه شغله عن الفائدة، وبحسب ذلك لزمته المضرة: وقوله: ورب منعم عليه، إلى قوله: البلوى، ترغيب في الاجمال في طلب الرزق، بذكر ما قد يلزم النعمة من استدراج المنعم عليه وهو: الأخذ على غيره. وما قد يلزم الابتلاء بالفقر من الصنع له والالطف بذلك في حقه.

مركز تحقيقات علوم اسلامیہ

٢٥٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تَجْعَلُوا عِلْمَكُمْ جَهْلًا، وَيَقِينَكُمْ شَكًّا إِذَا عَلِمْتُمْ فَأَعْمَلُوا، وَإِذَا تَيْقَنْتُمْ فَأَقْدِمُوا.

فجعلهم علمهم جهلاً وشكاً، أي: في قوتها لتركهم العمل على وفقه. فكأنهم جاهلون بما علموه من حال الآخرة شاكون في ذلك.

٢٥٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ الطَّمَعَ مُورِدٌ غَيْرُ مُصْدِرٍ، وَضَامِنٌ غَيْرُ وَفِيٍّ، وَرُبَّمَا شَرِبَ الْمَاءَ قَبْلَ رِيئِهِ، وَكَلَّمَا عَظُمَ قَدْرُ الشَّيْءِ الْمُتَنَافَسِ فِيهِ عَظُمَتِ الرِّزِيَّةُ لِفَقْدِهِ، وَالْأَمَانِيُّ تَعْمَى أَعْيُنَ الْبَصَائِرِ، وَالْحَظُّ يَأْتِي مَنْ لَا يَأْتِيهِ.

موارد الطامع موارد الذل والهلكة في الآخرة غير مصدر له عنها. واستعار له لفظ الضامن: لوثوق الطامع به كالضامن. وقوله: تعمي أعين البصائر أي: عن ادراك المطالب الحق. والكلام مشتمل على صغريات الضمائر: ستة نفر بها عن الطمع وما

٢٦٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ تَحْسُنَ فِي لَامِعَةِ الْعُيُونِ عَلَائِيَّتِي، وَتَقْبَحَ فِيمَا أَبْطِنُ لَكَ سَرِيرَتِي، مَحَافِظًا عَلَيَّ رِبَاءِ النَّاسِ مِنْ نَفْسِي بِجَمِيعِ مَا أَنْتَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ مِنِّي. فَأَبْدِي لِلنَّاسِ حُسْنَ ظَاهِرِي، وَأَقْضِي إِلَيْكَ بِسُوءِ عَمَلِي، تَقَرُّبًا إِلَى عِبَادِكَ، وَتَبَاغُذًا مِنْ مَرْضَاتِكَ.

فالباء في قوله: بجميع: متعلق برياء او بقوله محافظا. وافضى اليك اي: اصل. والفصل واضح.

٢٦١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا وَالَّذِي أَمْسَيْنَا مِنْهُ فِي غُبْرِ لَيْلَةٍ دَهْمَاءَ تَكْشِيرُ عَنْ يَوْمٍ أَغْرَمًا مَا كَانَ كَذَا وَكَذَا.

فغبر الليل: بقاياها. والدهماء: السوداء. واستعار لفظ الكشر، وهو: التبيسم تبدوا معه الاسنان لأسفارها عن ضوء يومها. والأعتر: الواضح.

مركز تحقيقات كويتية علوم إسلامية

٢٦٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَلِيلٌ تَدْوُمُ عَلَيْهِ أَرْجَى مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُولٍ [مِنْهُ].
فأرجى: اكثر رجاء للنعف.

٢٦٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا أَضْرَبْتَ النَّوَافِلُ بِالْفَرَائِضِ فَارْفُضُوهَا.
وقد مر مثله.

٢٦٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ تَذَكَّرَ بَعْدَ السَّفَرِ اسْتَعَدَّ.
اي: السفر الى الآخرة، والاستعداد بزاد التقوى.

٢٦٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَيْسَتْ الرُّوِيَّةُ كَالْمُعَايِنَةِ مَعَ الْإِبْصَارِ فَقَدْ تَكْذِبُ الْعُيُونُ أَهْلَهَا، وَلَا يَعْشُ الْعَقْلُ مَنْ اسْتَنْصَحَهُ.

واراد: فى العلوم على العقل، دون الحس: لكذبه فى مواضع.

٢٦٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بَيِّنَ الْمَوْعِظَةَ حِجَابٌ مِنَ الْعِزَّةِ.

اى: الغفلة ولفظ الحجاب: مستعار لها.

٢٦٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: جَاهِلُكُمْ مُزْدَادٌ، مُسَوِّفٌ.

[وفى روايه: جاهلكم مزداد، وعالمكم مسوف!]

اى: من الإثم. مسوف اى: بالتوبة.

٢٦٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَطَعَ الْعِلْمُ عُذْرَ الْمُتَعَلِّينَ.

واراد: العلم بالدين وبما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله، من البشارة والندارة

فان ذلك قاطع لمن عصاه^١ يقول: (انا كنا عن هذا غافلين). وكذلك بما جاء

من التنبيهات على دفاين العقول كالعبر بأحوال الماضين، ووجود الصانع وصفاته.

مركز تحقيقات كميونير علوم رسيدي

٢٦٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كُلُّ مَعَاجِلٍ يَسْأَلُ الْإِنْظَارَ، وَكُلُّ مُؤَجَّلٍ يَتَعَلَّلُ

بِالتَّسْوِيفِ.

وهو توبيخ: على ترك العمل للمعاجل والمؤجل.

٢٧٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا قَالَ النَّاسُ لِشَيْءٍ «طُوبَى لَهُ» إِلَّا وَقَدْ خَبَأَ لَهُ الدَّهْرُ

يَوْمَ سُوءٍ.

فاستعار لفظ الخبأ: لما يألفوه فى طبيعة الزمان، من الحوادث المهلكة لسترها عن

افهام الخلق.

٢٧١ - وَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الْقَدْرِ فَقَالَ: ظَرِيقٌ مُظْلِمٌ فَلَا تَسْلُكُوهُ، وَبَحْرٌ عَمِيقٌ

١ - فى نسخة ش: ان يقول.

فَلَا تَلْجُوهُ، وَ سِرُّ اللَّهِ فَلَا تَتَكَلَّفُوهُ.

فاستعار له لفظ الطريق، بوصف المظلم الغموض البحث وتصرف الذهن فيه، وعدم الاهتداء الى الخلق منه. وكذلك لفظ البحر العميق البحث فيه ودقته: و كونه سر الله: باعتبار انه لم يُبِح الخوض فيه، وتكلف البحث عنه.

٢٧٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا أُرْذِلَ اللَّهُ عَبْدًا حَظَرَ عَلَيْهِ الْعِلْمَ.

فاستعار لفظ الحظر وهو: المنع: لعدم توفيقه له، وتعسر اسبابه عليه.

٢٧٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَانَ لِي فِيمَا مَضَى أَخٌ فِي اللَّهِ، وَ كَانَ يُعْظِمُهُ فِي

عَيْنِي صِغَرُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِي، وَ كَانَ خَارِجًا مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ فَلَا يَشْتَهِي مَا لَا يَجِدُ وَلَا يُكْثِرُ إِذَا وَجَدَ؛ وَ كَانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صَامِتًا، فَإِنْ قَالَ بَدَّ الْقَائِلِينَ وَ نَقَعَ الْغَلِيلَ السَّائِلِينَ؛ وَ كَانَ ضَعِيفًا مُسْتَضْعَفًا! فَإِنْ جَاءَ الْجِدُّ فَهُوَ كَيْثُ غَايٍ وَصِلٌ وَادٍ، لَا يُدْلِي بِحُجَّةٍ حَتَّى يَأْتِيَ قَاضِيًا؛ وَ كَانَ لَا يَلُومُ أَحَدًا عَلَيَّ مَا يَجِدُ الْعُدْرَ فِي مِثْلِهِ حَتَّى يَسْمَعَ أَعْتِدَارَهُ؛ وَ كَانَ لَا يَشْكُو وَجَعًا إِلَّا عِنْدَ بُرِّيهِ، وَ كَانَ يَفْعَلُ مَا يَقُولُ وَلَا يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ، وَ كَانَ إِذَا غَلِبَ عَلَيَّ الْكَلَامَ لَمْ يُغْلِبْ عَلَيَّ السُّكُوتَ، وَ كَانَ عَلَيَّ مَا يَسْمَعُ أَحْرَصَ مِنْهُ عَلَيَّ أَنْ يَتَكَلَّمَ، وَ كَانَ إِذَا بَدَّهٗ أَمْرَانِ يَنْظُرُ إِلَيْهِمَا أَقْرَبُ إِلَى الْهَوَىٰ فَخَالَفَهُ، فَعَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْأَخْلَاقِ فَالزَّمُوهَا وَ تَنَافَسُوا فِيهَا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا فَاعْلَمُوا أَنَّ أَخَذَ الْقَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ تَرَكِ الْكَثِيرِ.

قيل: اراد: اباذر الغفاري. وقيل: عثمان بن مظعون. وكنتي بصغر الدنيا في عينه:

عن زهده فيها، وبخروجه عن سلطان بطنه الى قوله: وجد: عن عفته. وبد: غلب.

نقع الغليل: سكن العطش. وهما كنايةتان: عن قول الحكمة في مواضعها بعد طول

السكوت في موضعه. وكنتي بضعفه واستضعافه: عن تواضعه وذلته لله. واستعار له لفظ

الليث والصل في مواطن الحرب: موضع انكار المنكر لسطوته وبأسه فيها. وأدلى

بحجته: ارسلها. وبدهه الأمر: أتاه من غير ترؤ. وكثرة حرصه على الاسماع، تغليباً

للاستفادة على الافادة. والفصل يشتمل على اثنتي عشرة فائدة، وهي واضحة.

٢٧٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَوْلَمْ يَتَوَعَّدِ اللَّهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ لَكَانَ يَجِبُ أَنْ لَا يُعْصَى

شُكْرًا لِنِعْمِهِ.

اراد: فكيف وقد توعد فاولى ان يحب ترك معصيته.

٢٧٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَقَدْ عَزَى الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ عَنِ ابْنِ لَهْ: يَا أَشْعَثُ، إِنْ

تَحَزَنَ عَلَى ابْنِكَ فَقَدْ اسْتَحَقَّتْ مِنْكَ ذَلِكَ الرَّحْمُ؛ وَإِنْ تَصْبِرُ فَيُفِي اللَّهُ مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ خَلْفًا. يَا أَشْعَثُ، إِنْ صَبَرْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَدْرُ وَأَنْتَ مَا جُورُ؛ وَإِنْ جَزِعْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَدْرُ وَأَنْتَ مَا زُورُ، [يَا أَشْعَثُ] إِبْنُكَ سَرَّكَ وَهُوَ بَلَاءٌ وَفِتْنَةٌ وَحَزَنٌ وَهُوَ ثَوَابٌ وَرَحْمَةٌ.

اصل مأزور: الواو فهمز: لمناسبة القرينة الاولى، وهو: بلاء وفتنة لما يلزم الوالد

بسببه من الجبن والبخل والحرص والحزن وغيرها. و ثواب ورحمة: لوالده اذا راعى فيه العدل والفضيلة من الرذائل المذكورة.

٢٧٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عَلَى قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سَاعَةٌ

دُفِنَ:-

إِنَّ الصَّبْرَ لَجَمِيلٌ إِلَّا عَنكَ؛ وَإِنَّ الْجَزَعَ لَقَبِيحٌ إِلَّا عَلَيْكَ؛ وَإِنَّ الْمَصَابَ بِكَ لَجَلِيلٌ؛ وَإِنَّهُ قَبْلَكَ وَبَعْدَكَ لَجَلَلٌ.

فالجلل هو: الأمر الهين، وهو ايضا: الأمر العظيم، وهو من الاضداد. و اراد: ان

المصائب قبل موتك وبعده بمن كان من الناس سهل هين بالنسبة اليك. قيل: اراد: ان المصائب بك قبل موتك عظيم عند الناس، اذا تصوروه ولخوفهم منه، وانه بعدك عظيم لاختلال امر الدين به، والا قول اظهر.

٢٧٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تَصْحَبِ الْمَائِقَ؛ فَإِنَّهُ يَرِيْنُ لَكَ فِعْلَهُ، وَيُودُّ أَنْ تَكُونَ

مِثْلَهُ.

فالمائق: الأحمق، ونفر عنه بضمير صغراه، قوله: فانه، الى آخره.

٢٧٨ - وَقَدْ سُئِلَ عَنْ مَسَافَةٍ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
مَسِيرَةُ يَوْمٍ لِلشَّمْسِ.
وهو جواب واضح مقنع، اذ غرضُ الخطيبِ الأفتاع.

٢٧٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أُصْدِقَاؤُكَ ثَلَاثَةٌ: صَدِيقُكَ، وَصَدِيقُ صَدِيقِكَ، وَعَدُوُّكَ
وَأَعْدَاؤُكَ ثَلَاثَةٌ: عَدُوُّكَ، وَعَدُوُّ صَدِيقِكَ، وَصَدِيقُ عَدُوِّكَ.

اراد: العداوة والصدقة الخالصتين. والحكم بانّ صديق الصديق و عدو العدو صديق:
اكثرى، لاحتمال كون الصديق غير عالم بانّ لصديقه صديقاً، والعدو غير عالم بانّ لعدوه
عدوً أفضلًا ان يصادقه او يعاديه. و كذلك الحكم بانّ عدو الصديق و صديق العدو عدو.

٢٨٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِرَجُلٍ رَأَى يَسْعَى عَلَى عَدُوِّهِ بِمَا فِيهِ إِضْرَارٌ بِنَفْسِهِ: إِنَّمَا
أَنْتَ كَالظَّاعِنِ نَفْسَهُ لِيَقْتُلَ رِدْفَهُ.



٢٨١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا أَكْثَرَ الْعَبْرَ وَأَقْلَّ الْإِعْتِبَارَ!
اراد بالعبر: مواضع الاعتبار.

٢٨٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ بَالَغَ فِي الْخُصُومَةِ أَثِمَ، وَمَنْ قَصَّرَ فِيهَا ظَلِمَ،
وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ مَنْ خَاصَمَ.

نقر عن طرف الافراط والتفريط في المخاصمة، بما يلزمهما من الظلم المستلزم
للإثم ومن الانظام. ونبه على بعد العدل فيها صعوبة الوقوف على حده.
محوه وتكفيره.

٢٨٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا أَهْمَنِي ذَنْبٌ أُمِهُلْتُ بَعْدَهُ حَتَّى أُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ.
وذلك لاستلزامهما محوه وتكفيره.

٢٨٤ - وَسئِلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَيْفَ يَحَاسِبُ اللهُ الخَلْقَ عَلَى كَثْرَتِهِمْ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَمَا يَرْزُقُهُمْ عَلَى كَثْرَتِهِمْ، فَقِيلَ: كَيْفَ يَحَاسِبُهُمْ وَلَا يَرَوْنَهُ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَمَا يَرْزُقُهُمْ وَلَا يَرَوْنَهُ.

اجاب عليه السلام: بما يُفيد الاقناع، والجواب الحق للمسألة: مبنئ على معرفة حقيقة الحساب، و حقيقة المحاسب و معرفة المحاسب، وهى: ثلاث مسائل اصولية صعبة يطول الخوض فيها.

٢٨٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: رَسُوكَ تَرْجَمَانُ عَقْلِكَ، وَكِتَابُكَ أَبْلَغُ مَا يَنْطِقُ عَنْكَ! فاستعار لفظ الترجمان: للرسول: باعتبار: أنه يعبر عن مقدار عقل المرسل وجهله. والكتاب أبلغ ناطق عن الانسان: لضبط مراده فيه دون الألسنة ولمطابقتها نطق المرسل عن نفسه.



٢٨٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا الْمُبْتَلَى الَّذِي قَدْ أَشْتَدَّ بِهِ الْبَلَاءُ بِأَخْوَجِ إِلَى الدُّعَاءِ مِنَ الْمُعَافَى الَّذِي لَا يَأْمُنُ الْبَلَاءَ! *مرکز تحقیقات کلامی و تفسیری علوم اسلامی* ای: أنهما سواء في الحاجة الى الدعاء فذاك لزوال بلائه، وهذا لدوام عافيته.

٢٨٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: النَّاسُ أَبْنَاءُ الدُّنْيَا، وَلَا يُلَامُ الرَّجُلُ عَلَى حُبِّ أُمَّهِ. و لفظ الابن والام: مستعاران باعتبار كونهم فرعاً، و كونها اصلاً.

٢٨٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ الْمِسْكِينَ رَسُولُ اللهِ فَمَنْ مَنَعَهُ فَقَدْ مَنَعَ اللهُ، وَمَنْ أَعْطَاهُ فَقَدْ أَعْطَى اللهُ. باعتبار: أنه لله وبأمره.

٢٨٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا زَنَى غَيُورٌ قَطُّ. ای: البتة لاستلزام الغيرة الحقّة من الزنا تصور الغيور وقوع مثله فى حقّه من الغير،

فيعارض خياله داعيةً فيستقبحه فيكف عنه.

٢٩٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَفَى بِالْأَجْلِ حَارِسًا.

فاستعار لفظ الحارس له: باعتبار ان الانسان محفوظ لوجوده في مدة كالحافظ.

٢٩١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَتَأَمُّ الرَّجُلُ عَلَى الثُّكُلِ وَلَا يَتَأَمُّ عَلَى الْحَرْبِ!!

قال السيد- رحمه الله:- ومعنى ذلك أنه يصبر على قتل الاولاد ولا يصبر على سلب الاموال.

واقول: الحرب سلب الأموال و إنما لم يصبر عليه دون الثكل: لامكان انتزاع المال

واسترجاعه دون من يثكل.

٢٩٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَوَدَّةُ الْآبَاءِ قَرَابَةٌ بَيْنَ الْأَبْنَاءِ وَالْقَرَابَةُ إِلَى الْمَوَدَّةِ أُخْرَجُ

مِنَ الْمَوَدَّةِ إِلَى الْقَرَابَةِ.

فاستعار لفظ القرابة: للاتصال بين الابناء باعتبار قوة المودة، وفضل المودة على

القرابة: لحاجة القرابة اليها دون العكس.

٢٩٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اتَّقُوا ظُنُونَ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى

الْأَسْتِثْمِ.

و ذلك: لصفاء سرائرهم وتلقيهم السوانح الالهية بافكارهم الصافية، و حدوسهم

الصائبة فلا ينطق ألسنتهم الا بالحق عن امارات صادقة.

٢٩٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا يَصْدُقُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَكُونَ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ أَوْثَقَ مِنْهُ

بِمَا فِي يَدِهِ.

فصدق الايمان، هو: اليقين التام بالله. ويلزمه حسن الرجاء له، وصدق التوكل عليه

ويلزمه: ان يكون بما يرزقه^١ اوثق مما في يده.

١- في ش: يرزقه الله.

٢٩٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَأَنْسَ بِنِ مَالِكٍ، وَقَدْ كَانَ بَعَثَهُ إِلَى طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ لَمَّا جَاءَ إِلَى الْبَصْرَةِ يَذَكِّرُهُمَا شَيْئاً مِمَّا سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي مَعْنَاهُمَا، فَلَوَى عَنْ ذَلِكَ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ، فَقَالَ (إِنِّي أَنْسَيْتُ ذَلِكَ الْأَمْرَ) فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ كُنْتُ كَاذِبًا فَضَرَبَكَ اللَّهُ بِهَا بَيْضَاءَ لَامِعَةً لَا تُوَارِيهَا الْعِمَامَةُ.

(يعنى: البرص). فأصاب أنساً هذا الداء فيما بعد في وجهه فكان لا يرى الأمبرقعا).
قيل: ما بعثه به هو ما سمعه من قول الرسول صلى الله عليه وآله لهما: أنكما ستقاتلان علياً وانتما له ظالمان. وبيضاء: في موضع جر بدلا من الضمير في «بها».

٢٩٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ لِقُلُوبِ إِقْبَالًا وَإِدْبَارًا: فَإِذَا أَقْبَلْتَ فَأَحْمِلُوهَا عَلَى النَّوَافِلِ، وَإِذَا أَدْبَرْتَ فَأَقْتَصِرُوا بِهَا عَلَى الْفَرَائِضِ.
خصّ اقبالها بالنوافل: لنشاطها واتساعها فيه، وللفرائض دون إدبارها.

٢٩٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَفِي الْقُرْآنِ نَبَأٌ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبْرٌ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمٌ مَا بَيْنَكُمْ.
فنبأ ما قبلهم: القرون الماضية. وما بعدهم: أحوال القيامة. وحكم ما بينهم: الاحكام الخمسة، وكيفية فصل الحكومات.

٢٩٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: رُدُّوا الْحَجَرَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ؛ فَإِنَّ الشَّرَّ لَا يَدْفَعُهُ إِلَّا الشَّرُّ.
كفى بالحجر: عن الشر وبرده من حيث جاء: عن مقابلة الشر بمثله، وهو مخصوص بشر لا يندفع إلا بالشر.

٢٩٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَكَاتِبُهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَافِعٍ: أَلْقِ دَوَاتَكَ، وَأَطِلْ جِلْفَةَ قَلَمِكَ، وَفَرِّجْ بَيْنَ السُّطُورِ، وَقَرِّمِظْ بَيْنَ الْحُرُوفِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَجْدَرُ بِصَبَاحَةِ الْخَطِّ:

١ - القصة جاءت بطرق متواترة راجع الغدير ١/ ١٩١. المعارف لابن قتيبة / ٢٥١. انساب الاشراف

١/ ٣٦١. خلاصة تهذيب الكمال / ٣٥.

اللق دواتك : اصلحها بالمداد. و جلفة القلم : سنانه.

٣٠٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَا يَعْسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْمَالُ يَعْسُوبُ الْفُجَّارِ.

قال السيد رحمه الله: ومعنى ذلك أن المؤمنين يتبعونني والفجار يتبعون المال كما تتبع النحل يعسوبها وهورئيسها.

٣٠١ - (وقال له بعض اليهود: ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فيه؟) فقال

عليه السلام له: إِنَّمَا اٰخْتَلَفْنَا عَنْهُ لَا فِيهِ، وَلَكِنَّكُمْ مَا جَفَّتْ أَرْجُلُكُمْ مِنَ الْبَحْرِ حَتَّى قُلْتُمْ لِتَبِيِّكُمْ: (أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ فَقَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)!

فاختلفهم عنه اى: عما جاء به من الكتاب و السنة، لعدم معرفة جميعهم بهما لا فيه، اذ لم يشكوا فى نبوته و إنما لزم بنى اسرائيل الشك فى نبوة موسى عليه السلام، لشكهم فى الآله المرسل له.



٣٠٢ - (وقيل له عليه السلام بأى شئ وعليت الأقران؟) فقال عليه السلام:

مَا لَقَيْتُ رَجُلًا إِلَّا أَعَانَنِي عَلَى نَفْسِي.

قال السيد - رحمه الله - يومئذ بذلك الى تمكن هيبته فى القلوب.

٣٠٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لابنه محمد بن الحنفية: يَا بُنَيَّ، إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ

مِنَ الْفَقْرِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ فَإِنَّ الْفَقْرَ مَنَقِصَةٌ لِلدِّينِ مَدْهَشَةٌ لِلْعَقْلِ دَاعِيَةٌ لِلْمَقْتِ.

فتنقيضة للدين: باعتبار الاهتمام بأمر المعاش عنه، و ما يلزم الفقير غير الصابر

من الرذائل، و دهشة العقل به: ضيق الصدر بسببه و الحيرة منه.

٣٠٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لسائل سألته عن مَعْضَلَةٍ: سَلِّ تَفَقُّهَا، وَلَا تَسْأَلْ تَعْتُّهَا؛

فإن الجاهل المتعلم شبيه بالعاليم، وإن العاليم المتعسف شبيه بالجاهل المتعنت.

فالمعضلة: المشكلة. والتعنت: طلب التعنت وهو الأمر الشاق. ولا تسأل تعنتاً اي:
لغير الوجه الذي ينبغي طلب العلم له، كالمجادلة والمغالبة.

٣٠٥ - (وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ، وَقَدْ أَشَارَ عَلَيْهِ فِي شَيْءٍ لَمْ يُوَافِقْ رَأْيَهُ): لَكَ أَنْ تُشِيرَ عَلَيَّ وَأَرَى؛ فَإِنْ عَصَيْتُكَ فَأَطِئْنِي.
رُوى: ان الذى اشار عليه هو: اقرار معاوية على الشام. وتولية طلحة البصرة،
والزبير الكوفة.

٣٠٦ - (وُرِوى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا وَرَدَ الْكُوفَةَ قَادِمًا مِنْ صَفِيْنٍ مَرَّ بِالشُّبَّامِيِّينَ فَسَمِعَ
بِكَاءِ النِّسَاءِ عَلَى قَتْلِ صَفِيْنٍ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ حَرْبُ بْنُ شَرْحَبِيلِ الشُّبَّامِيَّ وَكَانَ مِنْ وَجْهِهِ
قَوْمِهِ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ): أَتَغْلِبُكُمْ نِسَاؤُكُمْ عَلَى مَا أَسْمَعُ؟ أَلَا تَنْهَوْنَهُنَّ عَنْ هَذَا الرَّبِّينِ، (و)
أَقْبَلَ يَمْشِي مَعَهُ وَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَاكِبٌ فَقَالَ لَهُ): أَرْجِعْ فَإِنَّ مَشَى مِثْلِكَ مَعَ مِثْلِي فِثْنَةٌ
لِلْوَالِي وَمَذَلَّةٌ لِلْمُؤْمِنِ.
شَبَّامٌ بِالْكَسْرِ: حَتَّى مِنَ الْعَرَبِ، وَالْفَصْلُ وَاضِحٌ.

٣٠٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَدْ مَرَّ بِقَتْلِ الْخَوَارِجِ يَوْمَ النَّهْرَوَانِ: بُؤْسًا لَكُمْ، لَقَدْ
ضَرَّكُمْ مِنْ غَرِّكُمْ، (فَقِيلَ لَهُ: مِنْ غَرِّهِمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ): الشَّيْطَانُ الْمُضِلُّ وَالْأَنْفُسُ
الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ، غَرَّتْهُمْ بِالْأَمَانِيِّ، وَفَسَحَتْ لَهُمْ بِالْمَعَاصِي، وَوَعَدَتْهُمْ الْإِظْهَارَ فَاقْتَحَمَتْ
بِهِمُ النَّارَ.

فالبؤس: الشدة. والاظهار اي: اظهارهم على من غالبهم. والاقتحام الدخول بسرعة.

٣٠٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اتَّقُوا مَعَاصِيَ اللَّهِ فِي الْخَلَوَاتِ؛ فَإِنَّ الشَّاهِدَ هُوَ الْحَاكِمُ.
اراد: فان الشاهد عليكم بما تعملون، هو الذى يحكم عليكم بجزاء ذلك، وهو
صغرى ضمير نقر به عن المعاصي.

٣٠٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (لَمَا بَلَغَهُ قَتْلُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ): إِنَّ حُزْنَنا عَلَيْهِ عَلَيَّ قَدْرُ سُورِهِمْ بِهِ؛ إِلَّا أَنَّهُمْ نَقَضُوا بَغِيضًا وَنَقَضْنَا حَبِيبًا.
اراد: سرورهم بقتله.

٣١٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْعُمْرُ الَّذِي أَعْذَرَ اللَّهُ فِيهِ إِلَى ابْنِ آدَمَ سِتُونَ سَنَةً.
اعذر اليه: اتاه بالعذر، وهو: امهاله المدة المذكورة التي تمكنه تحصيل زاد التقوى.

٣١١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا ظَفَرَ مَنْ ظَفَرَ الْإِثْمُ بِهِ، وَالْغَالِبُ بِالشَّرِّ مَعْلُوبٌ.
واراد: ظفر الظالم لانه مقهور بالاثم عندالله.

٣١٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَرَضَ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ أَقْوَاتَ الْفُقَرَاءِ: فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مُتَّعَ بِهِ غَنِيٌّ، وَاللَّهُ تَعَالَى سَائِلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ.
واراد: فرض الزكاة.

٣١٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْإِسْتِغْنَاءُ عَنِ الْعُذْرِ أَعَزُّ مِنَ الصَّدَقِ بِهِ.
يريد: ان الاستغناء عن ترك الجريمة اكثر عزة للنفس منه، وان كان صادقاً لما فيه من المذلة.

٣١٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَقَلُّ مَا يَلْزَمُكُمْ لِلَّهِ أَنْ لَا تَسْتَعِيثُوا بِنِعْمِهِ عَلَيَّ مَعَاصِيهِ.
وذلك لان وضع النعمة لك للاستعانة بها على طاعة الله، فلا اقل من ترك المعصية معها.

٣١٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الطَّاعَةَ غَنِيمَةً الْأَكْيَاسِ عِنْدَ تَفْرِيطِ الْعَجْزَةِ.
فالاكياس: الذين استعملوا فطنتهم فيما ينبغي. والعجزة: المقصرون عما ينبغي.

٣١٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: السُّلْطَانُ وَزَعَةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ.

فالوزعة^١: الرّادع، و اراد: السلطان العادل بقرينة اضافته الى الله.

٣١٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صِفَةِ الْمُؤْمِنِ: الْمُؤْمِنُ بِشْرُهُ فِي وَجْهِهِ، وَحُزْنُهُ فِي

قَلْبِهِ، أَوْسَعُ شَيْءٍ فِي صَدْرًا، وَأَذَلُّ شَيْءٍ فِي نَفْسًا، يَكْرَهُ الرِّفْعَةَ، وَيَشْتَأُ السُّمْعَةَ، طَوِيلُ غَمِّهِ، بَعِيدُ هَمِّهِ كَثِيرُ صَمْتُهُ، مَشْغُولٌ وَقْتَهُ، شَكُورٌ صَبُورٌ، مَغْمُورٌ بِفِكْرَتِهِ، ضَمِينٌ بِخَلَّتِيهِ، سَهْلٌ الْخَلِيقَةَ، لَيْسَ الْعَرِيكَةُ! نَفْسُهُ أَضَلُّ مِنَ الصَّلْدِ وَهُوَ أَذَلُّ مِنَ الْعَبْدِ.

اقول: عرفه في معرض المدح بستة عشر وصفاً. و حزنه في قلبه، سعة الصدر:

فضيلة تحت الشجاعة. و ذلة نفسه: تواضعا لله. و كراهته للرفعة: تنزها عن رذيلة الكبر. و طول غمّه: نظراً الى ما بين يديه من الموت و ما بعده بحسب ذلك كان بعد همته في المطالب العالية، و السعادة الباقية. و شغل وقته: بعبادة ربه مغمور بفكرته في ملكوت السماوات و الارض. و ضنّته بخلّته اى: لا يسرع الى صداقة احد، لقلة اخوان الصدق، او لانقطاعه عن الخلق الى الله. و روى: بفتح الخاء اى: يضنُّ بحاجته ان يذكرها لأحد. و الخلة: الحاجة، و كنى بصلابته: عن شجاعته و قوته في الدين.

٣١٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: تَوَرَّى الْعَبْدُ الْأَجَلَ وَ مَصِيرَهُ لِأَبْغَضِ الْأَمَلِ وَ عُرُورَهُ.

فاستعار لفظ مسير الأجل: لسرعة انقضاء الزمان المستلزم للفناء.

٣١٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِكُلِّ أَمْرٍ فِي مَالِهِ شَرِيكَانِ: الْوَارِثُ، وَالْحَوَادِثُ.

٣٢٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الدَّاعِي بِلَا عَمَلٍ كَالرَّامِي بِلَا وَتَرٍ.

اراد: من يدعو الله لمراذه من غير وسيلة اليه من العمل له.

٣٢١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْعِلْمُ عِلْمَانِ: مَطْبُوعٌ وَ مَسْمُوعٌ، وَ لَا يَنْفَعُ الْمَسْمُوعُ إِذَا

١ - في ش هكذا: والوزعة جمع وازع وهو الرادع.

لَمْ يَكُنِ الْمَطْبُوعُ.

و اراد بالمطبوع: ما يعلم بطبيعة العقل من الأصول، كالتوحيد، والعدل.
وبالمسموع: العلوم الشرعية التي هي فرع العقلية. وقيل: اراد بالمطبوع: العلوم
الضرورية، وبالمسموع: المكتسبة، و ظاهر ان المكتسب لا ينتفع به الا ان يستند
الى البرهان ومقدماته اليقينية اذ التقليد غير كاف.

٣٢٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: صَوَابُ الرَّأْيِ بِالذُّوْلِ: يُقْبَلُ بِاقْبَالِهَا، وَيَذْهَبُ بِذَهَابِهَا.
لما كان صواب الرأي^١ بالدولة وتمامها: كان مصاحباً لها وملازماً، ويدلّ ذهابها
على ذهابه: دلالة عدم المعلول على عدم العلة.

٣٢٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْعَفَافُ زِينَةُ الْفَقْرِ، وَالشُّكْرُ زِينَةُ الْغِنَى.

٣٢٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَوْمُ الْعَدَالِ عَلَى الظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الْجَوْرِ عَلَى الْمَظْلُومِ!

٣٢٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْأَقَاوِيلُ مَحْفُوظَةٌ، وَالسَّرَائِرُ مَبْلُوءَةٌ، وَ (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا
كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ) ^١، وَالنَّاسُ مَنقُوصُونَ مَدْخُولُونَ إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ: سَأَلَهُمْ مُتَعَتِّتٌ، وَ مُجِيبُهُمْ
مُتَكَلِّفٌ، يَكَادُ أَفْضَلُهُمْ رَأْيًا يَرُدُّهُ عَنِ فَضْلِ رَأْيِهِ الرِّضَا وَالسُّخْطُ، وَيَكَادُ أَصْلَبُهُمْ عُودًا تَنْكُوهُ
اللَّحْظَةُ، وَتَسْتَجِيلُهُ الْكَلِمَةُ الْوَاحِدَةُ! مَعَاشِرَ النَّاسِ، اتَّقُوا اللَّهَ فَكَمْ مِنْ مُؤْمِلٍ مَا لَا يَبْلُغُهُ، وَبَانَ
مَا لَا يَشْكُنُهُ، وَجَامِعٍ مَا سَوَفَ يَثْرُكُهُ، وَاعْلُهُ مِنْ بَاطِلٍ جَمَعَهُ، وَمِنْ حَقٍّ مَنَعَهُ: أَصَابُهُ
حَرَامًا، وَاحْتَمَلَ بِهِ آثَامًا، فَبَاءَ بِوِزْرِهِ، وَقَدِمَ عَلَى رَبِّهِ آسِيفًا لَاهِفًا، قَدْ (خَسِرَ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةَ، ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) ^٢.

اقول: مبلوءة: مختبرة، مسؤلة يوم القيامة. ومدخولون اي: في عقولهم، دخل وعله.
واصلبهم عوداً اي: في دينه. وتنكوه: تؤثر فيه. و اراد: اللحظة والكلمة ممن يستهويه

٢ - سورة المدثر / ٣٨.

١ - في شر: من اسباب الدولة.

٣ - سورة الحج / ١١.

للدنيا، و تستحيله: تغيره. و باء: رجع. والوزر: ثقل الآثام. واللاهف: المتحسر. والفصل واضح.

٣٢٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مِنَ الْعِصْمَةِ تَعَذُّرُ الْمَعَاصِي.

اي: من أسباب العصمة، لأن العصمة ملكة ترك المعاصي، وقد تحصل عن تعود الترك لعدم الوجدان.

٣٢٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَاءٌ وَجْهَكَ جَامِدٌ يُقْطِرُهُ السُّؤَالُ، فَاَنْظُرْ عِنْدَ مَنْ تُقْطِرُهُ.

فاستعار لفظ ماء الوجه: للحياء. وقيل: كنى به عن العرق، قد يعرض للسان من الحياء عند سؤاله.

٣٢٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الثَّنَاءُ بِأَكْثَرٍ مِنَ الْإِسْتِحْقَاقِ مَلَقٌ، وَالتَّقْصِيرُ

عَنِ الْإِسْتِحْقَاقِ عِيٌّ أَوْ حَسَدٌ.

فالملق: التلطف الشديد بالقول والإفراط في المدح.

مركز تحت كل يوم علوم إسلامي

٣٢٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَشَدُّ الذُّنُوبِ مَا اسْتَهَانَ بِهِ صَاحِبُهُ.

لاستلزامه ذلك مداومته حتى يصير ملكة.

٣٣٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

مَنْ نَظَرَ فِي عَيْبِ نَفْسِهِ اشْتَغَلَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ؛ وَمَنْ رَضِيَ بِرِزْقِ اللَّهِ لَمْ يَحْزَنْ عَلَى مَافَاتِهِ؛ وَمَنْ سَلَّ سَيْفَ الْبَغْيِ قُتِلَ بِهِ؛ وَمَنْ كَابَدَ الْأُمُورَ عَطِبَ؛ وَمَنْ اقْتَحَمَ اللَّجَجَ غَرِقَ؛ وَمَنْ دَخَلَ مَذَاجِلَ السُّوءِ أَثِمَ؛ وَمَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ خَطْوُهُ؛ وَمَنْ كَثُرَ خَطْوُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ؛ وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ؛ وَمَنْ مَاتَ قَلْبُهُ دَخَلَ النَّارَ؛ وَمَنْ نَظَرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ فَأَنْكَرَهَا ثُمَّ رَضِيَهَا لِنَفْسِهِ فَذَلِكَ الْأُخْمَقُ بِعَيْنَيْهِ؛ وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالتَّيْسِيرِ؛ وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا فِيمَا يَغْنِيهِ.

اقول: إنما يشتغل عن عيب غيره: اذا اعتبر نقصان نفسه بعيبها. و كنى بسل سيف البغى: عن القتل ظلماً، وهو مستلزم لمثله لوجوب المجازاة فى الطبيعة، و مكابدة الامور: مقاساتها بالنفس و هى: مظنة العطب والهلاك. و كنى باللجج: عن الامور العظام كالحروب و تدبير الدول. و بالغرق: عن الهلاك بها لانها مظنته. و التهمة فى الدخول مداخل السوء: لانها مظنة ما يتهم به من السوء، و كثرة الخطأ فى كثرة الكلام: لانها مظنة. و كثرة الخطأ يستلزم قلة الحياء: لكثرة مقابلة الناس بما يستحى منه، و تَعَوُّدِهِ حَتَّى يَصِيرُ خُلُقًا. و قلة الورع بقلة الحياء: لانه من الورع فنقصانه بنقصانه، و موت القلب بقلة الورع: لان بالورع، و لزوم الاعمال الجميلة حياة القلب و بعدمها موته. و استعار لعدم الفضائل: لفظ الموت، و الراضى لنفسه بما يُنكره من عيب غيره احمق: لمخالفته الرأى الأصوب فى انكارها. و استلزام ذكر الموت للرضا باليسير من الدنيا: لعلمه للذاكر بعدم الانتفاع بالكثير منها. و بالحسرة اللازمة: لمفارقتها. و لزوم قلة الكلام الا فيما يعنى: للعلم بان الكلام من جملة العمل بدليل، هكذا الكلام من الأعمال، و الاعمال تكتب و تُؤخذ على الفضول منها ينتج أن الكلام يُكتب و يُؤخذ على الفضول منه.

مركز تحقيقات كليات علوم رفسندى

٣٣١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِيَلْظَالِمٍ مِنَ الرِّجَالِ ثَلَاثُ عَلَامَاتٍ: يَظْلِمُ مَنْ فَوْقَهُ بِالْمَعْصِيَةِ، وَمَنْ دُونَهُ بِالْغَلْبَةِ، وَيُظَاهِرُ الْقَوْمَ الظَّالِمَةَ.
اراد بمن فوقه: خالقه و امامه. و المظاهرة: المعاونة.

٣٣٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عِنْدَ تَنَاهِي الشَّدَةِ تَكُونُ الْفُرْجَةُ، وَ عِنْدَ تَضَائِقِ حَلْقِ الْبَلَاءِ يَكُونُ الرَّجَاءُ.

لان تناهى الشدة ان لم يستلزم الخلاص منها، لم تكن قد تناهت و قد فرضت. و كذلك استعار لفظ الحلق: للشدائد على احاطتها بالانسان لا يجد منها مخلصاً كالحلقة.

٣٣٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ: لَا تَجْعَلَنَّ أَكْثَرَ شُغْلِكَ بِأَهْلِكَ وَوَلَدِكَ: فَإِنْ يَكُنْ أَهْلُكَ وَوَلَدُكَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيْعُ أَوْلِيَاءَهُ، وَإِنْ يَكُونُوا أَعْدَاءَ اللَّهِ فَمَا

هَمُّكَ وَشُغْلُكَ بِأَعْدَاءِ اللَّهِ؟!!

اراد شغله بهم: صرف همته كلها، او اكثرها الى مصالحهم الدنيوية، و هو المنهي عنه لصفه عن عبادة الله، دون القدر الضروري من ذلك .

٣٣٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَكْبَرُ الْعَيْبِ أَنْ تَعَيَّبَ مَا فِيكَ مِثْلَهُ.

٣٣٥ - (وَهَذَا بِحَضْرَتِهِ رَجُلٌ رَجُلًا بَغْلَامٌ وَلَدِيَ لَهُ فَقَالَ لَهُ: لِيُهْنِكَ الْفَارِسُ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تَقُلْ ذَلِكَ، وَلَكِنْ قُلْ شَكَرْتُ الْوَاهِبَ، وَبُورِكَ لَكَ فِي الْمَوْهُوبِ، وَبَلَغَ أَشُدَّهُ، وَرُزِقْتَ بَرَّهُ.

وهذا ارشاد الى كيفية التهنئة المندوب اليها شرعاً.

٣٣٦ - (وَبَنَى رَجُلٌ مِنْ عُمَّالِهِ بِنَاءً فَخْمًا) فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَطْلَعَتِ الْوَرِقُ رُءُوسَهَا إِنَّ الْبِنَاءَ يَصِفُ لَكَ الْغِنَى.

فالفخم: العظيم. و كنى بطلوع الورق لرؤسها: عن ظهور اثرها فى البناء.

٣٣٧ - (وَقِيلَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَوْ سُدَّ عَلَى رَجُلٍ بَابُ بَيْتِهِ وَتُرِكَ فِيهِ، مِنْ أَيْنَ كَانَ يَأْتِيهِ رِزْقُهُ؟) فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مِنْ حَيْثُ يَأْتِيهِ أَجَلُهُ.

فنبه على حيثية الرزق: بحيثية الأجل، لاشتراكهما فى مبدء واحد وهو قدرة الصانع تعالى.

٣٣٨ - وَعَزَى قَوْمًا عَنْ مَيِّتٍ مَاتَ لَهُمْ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَيْسَ بِكُمْ بَدَأَ، وَلَا إِلَيْكُمْ أَنْتَهَى؛ وَقَدْ كَانَ صَاحِبُكُمْ هَذَا يُسَافِرُ فَعُدُّوهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَإِنْ قَدِمَ عَلَيْكُمْ وَإِلَّا قَدِمْتُمْ عَلَيْهِ.

عدوه اى: افرضوه كذلك .

٣٣٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَيُّهَا النَّاسُ، لِيَرْكُمُ اللَّهُ مِنَ النَّعْمَةِ وَجَلِيلِينَ كَمَا يَرَاكُمْ مِنَ النَّعْمَةِ فَرَقِينَ! إِنَّهُ مَنْ وَسَّعَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ فَلَمْ يَرِذْلِكَ أَسْتَدْرَاجًا فَقَدْ أَمِنَ مَخُوفًا، وَمَنْ ضَيَّقَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ فَلَمْ يَرِذْلِكَ اخْتِيَارًا فَقَدْ ضَيَّعَ مَأْمُولًا.

فالاستدراج: الأخذ على غرة، وهو إشارة: الى كون النعمة بلاءً يجب مقابلهته بالشكر، كما ان النعمة بلاءٌ يجب مقابلهته بالصبر. والمأمول: الذي ضيَّعه اجرُ الصبر على الاختيار بالفقر وضيَّق ذات اليد.

٣٤٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا أَسْرَى الرَّغْبَةِ أَقْصِرُوا؛ فَإِنَّ الْمُعَرَّجَ عَلَى الدُّنْيَا لَا يَرُوعُهُ مِنْهَا إِلَّا صَرِيْفُ أَنْيَابِ الْجِدْثَانِ. أَيُّهَا النَّاسُ، تَوَلَّوْا مِنْ أَنْفُسِكُمْ تَأْدِيبَهَا، وَأَعْدِلُوا بِهَا عَنْ ضَرَاوَةِ عَادَاتِهَا.

فاستعار لفظ الأسرى: لمن ملكته رغبته في الدنيا. واستعار لفظ صريف الأنياب: لمقدمات الموت من الأمراض المخوفة ونحوها. ولفظ الضراوة وهي: الجرأة؛ على الصيد لجرأة النفس! واقدامها على العادات المضرة في الآخرة.

مرآة الخبير في تزيين علومه

٣٤١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تَنْظُنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجْتَ مِنْ أَحَدٍ سُوءًا وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مُحْتَمَلًا.

وذلك من مكارم الأخلاق: وداخل تحت حسن الظن.

٣٤٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا كَانَتْ لَكَ إِلَى اللَّهِ، سُبْحَانَهُ، حَاجَةٌ فَابْدَأْ بِمَسْأَلَةِ الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ سَلْ حَاجَتَكَ فَإِنَّ اللَّهَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ حَاجَتَيْنِ فَيَقْضِيَ إِحْدَاهُمَا وَيَمْنَعَ الْأُخْرَى.

٣٤٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ ضَنَّ بِعَرَضِهِ فَلْيَدْعِ الْمِرَاءَ.

اي: من بخل بعرضه لان المرء داعية المخاصمة والمسابة، واخذ العرض

١ - في نسخة ش: النفوس.

٣٤٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مِنَ الْخُرْقِ الْمُعَاجِلَةُ قَبْلَ الْإِمْكَانِ وَالْأَنَاةُ بَعْدَ الْفُرْصَةِ.

والخرق: ضد الرفق، وهو التعسف فى الامور والعجلة فيها، هى: طرف الافراط من فضيلة طلبها كما ينبغى . والأناة: طرف التفريط، وهما مذمومان ونفر عنهما بكونهما من الخرق.

٣٤٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تَسْأَلْ عَمَّا لَا يَكُونُ فِيهِ الَّذِي قَدْ كَانَ لَكَ شُغْلٌ.

اى: من احكام الحوادث التى لم تقع. فى الذى قد كان لك شغل، اى: باستنباط مسائلها الكثيرة و احكامها الدقيقة.

٣٤٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

الْفِكْرُ مِرَاةٌ صَافِيَةٌ، وَالْإِعْتِبَارُ مُنْذِرٌ نَاصِحٌ، وَكَفَى أَدَبًا لِنَفْسِكَ تَجَنُّبُكَ مَا كَرِهْتَهُ لِغَيْرِكَ .

فاستعار لفظ المرآة الصافية: للفكر لانتقاش الصور المعقولة، كانتقاش المرآة بالصورة المحسوسة. و لفظ المنذر الناصح: للاعتبار لصدقه فيما يفيد من اليقين بالموت وما بعده.

٣٤٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْعِلْمُ مَقْرُونٌ بِالْعَمَلِ: فَمَنْ عَمِلَ عَمِلَ، وَالْعِلْمُ يَهْتِفُ

بِالْعَمَلِ: فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلَّا أَرْتَحَلَ عَنْهُ.

اى: مقرون به بمقتضى الحكمة الالهية فى كمال النفس الانسانية، لان العلم: كمال القوة النظرية، والعمل: كمال القوة العملية، ولا كمال لها بدونهما. وقوله: فمن علم عمل، اى: لزمه ان يعمل بعلمه والّا لم يكن علمًا. وقيل: لزمه بمقتضى الحكمة ان يعمل بعلمه. واستعار لفظ الهتف وهو النداء: للمعقول من طلب العلم لمقارنة العمل وجذبه الطبيعى الى مقارنته ليكون منهما كمال الانسان. وقوله: فان اجابه والّا ارتحل

عنه، اى: ان لم يقارنه زال لان العمل يؤكد العلم ويصيره ملكة وترك ذلك ينسيه ويستلزم الغفلة عنه، ويزول وهو المراد بالارتحال.

٣٤٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَتَاعُ الدُّنْيَا حُطَامٌ مُوبِيٌّ فَتَجَنَّبُوا مَرَعَاهُ!!
قَلَعْتُهَا أَحْطَى مِنْ طَمَأَيْنَتَيْهَا؛ وَبُلَّغْتُهَا أَزْكَى مِنْ ثَرْوَتَيْهَا.

حُكِمَ عَلَى مُكْثِرِهَا بِالْفَاقَةِ، وَأَعِينَ مَنْ غَنِيَ عَنْهَا بِالرَّاحَةِ. وَمَنْ رَاقَهُ زَبْرُجُهَا
أَغْقَبَتْ نَاطِرِيهِ كَمَهَا، وَمَنْ أَسْتَشَعَرَ الشَّعْفَ بِهَا مَلَأَتْ ضَمِيرَهُ أَشْجَانًا لَهْنٌ رَقْصٌ عَلَى
سُوَيْدَاءِ قَلْبِهِ. هُمْ يَشْعَلُهُ وَهُمْ يَحْزَنُهُ حَتَّى يُؤْخَذَ بِكُظْمِهِ فَيُلْقَى بِالْقَضَاءِ مُنْقَطِعًا أَبْهَرَاهُ، هَيِّنًا عَلَى
اللَّهِ فِتَاؤُهُ، وَعَلَى الْإِخْوَانِ الْفَاؤُهُ؛ وَإِنَّمَا يَنْظُرُ الْمُؤْمِنُ إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنِ الْإِعْتِبَارِ؛ وَيَقْتَاتُ مِنْهَا
بِبَطْنِ الْإِضْطِرَارِ، وَيَسْمَعُ فِيهَا بِأَذِنِ الْمَقْتِ وَالْإِبْغَاضِ إِنْ قِيلَ أَثْرَى قِيلَ أَكْدَى!! وَإِنْ فُرِحَ
لَهُ بِالْبَقَاءِ حُزِنَ عَلَيْهِ بِالْفَنَاءِ! هَذَا وَلَمْ يَأْتِهِمْ يَوْمٌ فِيهِ يُبْلِسُونَ.

اقول: استعار لفظ الحطام لمتاعها. والموبى: المهلك فى الآخرة، بجمعه واقتنائه.
ولفظ مرعاه: لمحلّ تحصيله. والقلعة: الرحلة وعدم الاستقرار. واحطى: انفع، و اراد: ان
عدم الاستقرار فيها انفع من السكون اليها. وازكى: اطهر للنفس، ومن غني عنها اى:
بقناعته وزهده فيها وكمالات نفسه. وقوله: من راقه، الى قوله كمها، اى: من اعجبته
زينتها فاحبها اعمت عين بصيرته عن ادراك ما وراءها من احوال الآخرة. والكمه: العمى
خِلْقَةً. واستشعر الشغف بها اى: اتخذ محببتها شعارًا. والاشجان: الهموم والاحزان.
والرقص: الاضطراب والحركة. و اراد بذلك: حركة الفكر والخيال فى الاهتمام بها
والعمل لها. والكظم: مجرى النفس، والأخذ به: كناية عن الموت. والابهران: عرقان
متعلقان بالقلب. وقوله: ان قيل: اثرى، الى قوله الفناء: وصف لحال الانسان فيها من
تنغيص اللذة وتكدير العيش لمعاقبة المكاره. و اكدى: قلّ خير، وهذا من تمام الكلام
الاول، ووصف حال المؤمن اعتراض بينهما. وقوله: هذا، اى: هذا البلاء ولم يأتهم
يوم القيامة. والابلاس: اليأس من الرحمة.

٣٤٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانُهُ وَصَعَ الثَّوَابَ عَلَى طَاعَتِهِ، وَالْعِقَابَ عَلَى

مَعْصِيَتِهِ؛ ذِيَادَةً لِعِبَادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ، وَحِيَاشَةً لَهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ.
فالزيادة: الدفع والمنع. والحياشة: الجمع.

٣٥٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَى فِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رَسْمُهُ وَمِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا أَسْمُهُ، وَمَسَاجِدُهُمْ يَوْمِيذٍ عَامِرَةٌ مِنَ الْبِنَاءِ، خَرَابٌ مِنَ الْهُدَى، سُكَّانُهَا وَعُمَارُهَا شَرُّ أَهْلِ الْأَرْضِ: مِنْهُمْ تَخْرُجُ الْفِئْتَةُ، وَإِلَيْهِمْ تَأْوِي الْخَطِيئَةُ؛ يَرُدُّونَ مَنْ شَدَّ عَنَّا فِيهَا، وَيَسُوقُونَ مَنْ تَأَخَّرَ عَنَّا إِلَيْهَا، يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: فَبِي حَلَفْتُ لَا أُبْعَثَنَّ إِلَى أَوْلِيكَ فِئْتَةً أَتْرُكُ الْحَلِيمَ فِيهَا حَيْرَانَ وَقَدْ فَعَلَ؛ وَنَحْنُ نَسْتَقِيلُ اللَّهَ عَثْرَةَ الْغَفْلَةِ.

رسم القرآن: أثره وتلاوته. وقوله: وقد فعل: يستلزم أنه أدرك ذلك الزمان واهله، فكيف بزماننا، والفصل واضح.

٣٥١ - وَرُوي أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَلَّمَا أَعْتَدَلَ بِهِ الْمَنْبِرُ إِلَّا قَالَ أَمَامَ حُطْبَتَيْهِ: أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللَّهَ فَمَا خُلِقَ أَمْرٌ وَعَبَثًا فَيَلْهُو؛ وَلَا تَرْكٌ سُدى فَيَلْغُوا؛ وَمَا دُنْيَاةٌ الَّتِي تَحَسَّنَتْ لَهُ بِخَلْفٍ مِنَ الْآخِرَةِ الَّتِي قَبَّحَهَا سُوءُ النَّظَرِ عِنْدَهُ؛ وَمَا الْمَغْرُورُ الَّذِي ظَفِرَ مِنَ الدُّنْيَا بِأَعْلَى هِمَّتِهِ كَمَا الْآخِرِ الَّذِي ظَفِرَ مِنَ الْآخِرَةِ بِأَذْنَى سُهْمَتِهِ.

فالسدى: المهمل. وسهمته: نصيبه. والفصل واضح من افصح العبارات في تفضيل الآخرة على الدنيا.

٣٥٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عَشْرُ كَلِمَاتٍ:

لَا شَرَفَ أَعْلَى مِنَ الْإِسْلَامِ؛ وَلَا عِزَّ أَعَزُّ مِنَ التَّقْوَى؛ وَلَا مَعْقِلَ أَحْصَنُ مِنَ الْوَرَعِ؛ وَلَا شَفِيعَ أَنْجَحُ مِنَ التَّوْبَةِ؛ وَلَا كَنْزَ أَعْنَى مِنَ الْقَنَاعَةِ؛ وَلَا مَالَ أَدْهَبُ لِلْفَاقَةِ مِنَ الرِّضَا بِالْقُوَّةِ؛ وَمَنْ أَقْتَصَرَ عَلَى بُلْغَةِ الْكِفَافِ فَقَدِ انْتَضَمَ الرَّاحَةَ وَتَبَوَّأَ حَفْصَ الدَّعَاةِ؛ وَالرَّغْبَةَ مِفْتَاحَ النَّصَبِ وَمَطِيئَةَ التَّعَبِ؛ وَالْحِرْصُ وَالْكِبْرُ وَالْحَسَدُ دَوَاعٍ إِلَى التَّقَحُّمِ فِي الذُّنُوبِ؛ وَالشَّرُّ جَامِعٌ مَسَاوِي الْعُيُوبِ.

وقال عليه السلام: لا شرف اعلى من الاسلام: وذلك لاستلزامه شرف الدارين. ولا

عزَّ اعزَّ من التقوى: لاستلزامها دوام العزة فيهما. ولا معقل احصن من الورع: للتحرز به عن أشد المخاوف في الآخرة، ومن مدام الرذائل في الدنيا ولوازمها، والورع: لزوم الاعمال الجميلة، والمعقل: الحصن. ولا شفيع انجح من التوبة: لاستلزامها العفو عن المجرم جرماً دون سائر الشفعاء. ولا كنز أغنى من القناعة: لأنها غنى النفس الذي لا حاجة معه. ولا مال اذهب للفاقة من الرضا بالقوت: وهو القناعة او لازمها. ومن اقتصر على بلغة الكفاف فقد انتظم الراحة، اى: البلغة التي تكف عن الناس، وانتظم الراحة: دخل في سلكها. وتبوا خفض الدعة: اتخذ لين الراحة مباءةً ومقاماً. والرغبة مفتاح النصب و مطية التعب: فاستعار لفظ المفتاح والمطية: للرغبة في الدنيا، لكونهما سبباً للمتاعب فيها. والحرص والكبر والحسد، ذواع الى التقحم في الذنوب، اى: الدخول فيها بسرعة. والشر جامع مساوي العيوب: لصدقه على جميعها كالجنس لها.

٣٥٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ: يَا جَابِرُ، قِيَامُ الدُّنْيَا بِأَرْبَعَةٍ: عَالِمٍ مُسْتَعْمِلٍ عِلْمَهُ، وَجَاهِلٍ لَا يَسْتَكْفِ أَنْ يَتَعَلَّمَ، وَجَوَادٍ لَا يَتَخَلُّ بِمَعْرُوفِهِ، وَفَقِيرٍ لَا يَبِيعُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاةٍ؛ فَإِذَا طَبَّحَ الْعَالِمُ عِلْمَهُ اسْتَكْفَى الْجَاهِلُ أَنْ يَتَعَلَّمَ؛ وَإِذَا بَخَلَ الْغَنِيُّ بِمَعْرُوفِهِ بَاعَ الْفَقِيرُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاةٍ. يَا جَابِرُ، مَنْ كَثُرَتْ نِعْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ كَثُرَتْ حَوَائِجُ النَّاسِ إِلَيْهِ؛ فَمَنْ قَامَ لِلَّهِ فِيهَا بِمَا يَجِبُ فِيهَا عَرَّضَهَا لِلدَّوَامِ وَالْبَقَاءِ، وَمَنْ لَمْ يَقُمْ فِيهَا بِمَا يَجِبُ عَرَّضَهَا لِلزَّوَالِ وَالْفَنَاءِ.

فاستعمال علمه: عمله على وفقه. و اشار بقوله: عالم، الى قوله: بدنياه الى ما به قوام الناس وصلاح حالهم فى معاشهم، ومعادهم من الفضائل. و الى ضد ذلك المستلزم حالهم من الرذائل، وقيام العبد بما يجب لله فى نعمته عليه الشكر عليها و صرفها فى مصارفها الشرعية، و عدم قيامه فيها بذلك كفواتها و منعها عن وجوهها.

٣٥٤ - وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ فِي تَأْرِيخِهِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى الْفَقِيهِ - وَكَانَ مِمَّنْ خَرَجَ لِقِتَالِ الْحِجَّاجِ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ - أَنَّهُ قَالَ فِيمَا كَانَ يُحْضِرُ بِهِ النَّاسَ عَلَى الْجِهَادِ: إِنِّي سَمِعْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ يَوْمَ لَقِينَا

أهل الشام:

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ؛ إِنَّهُ مَنْ رَأَى عُذْوَانًا يُعْمَلُ بِهِ وَ مُنْكَرًا يُدْعَى إِلَيْهِ فَأَنْكَرَهُ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ
وَبَرِيَءٌ؛ وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِلِسَانِهِ فَقَدْ أُجِرَ وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ صَاحِبِهِ وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِالسِّيفِ لِتَكُونَ
(كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا) وَ كَلِمَةُ الظَّالِمِينَ هِيَ السُّفْلَى فَذَلِكَ الَّذِي أَصَابَ سَبِيلَ الْهُدَى، وَقَامَ
عَلَى الطَّرِيقِ، وَنَوَّرَ فِي قَلْبِهِ الْيَقِينَ ١.

وقد قال في كلام له - عليه السلام - غير هذا يجرى هذا المجرى.

٣٥٥ - فَمِنْهُمْ الْمُنْكَرُ لِلْمُنْكَرِ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ فَذَلِكَ الْمُسْتَكْمِلُ لِخِصَالِ
الْخَيْرِ، وَمِنْهُمْ الْمُنْكَرُ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَالتَّارِكُ بِيَدِهِ فَذَلِكَ مُتَمَسِّكٌ بِخِصَلَتَيْنِ
مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ وَمُضَيِّعٌ خِصْلَةً؛ وَمِنْهُمْ الْمُنْكَرُ بِقَلْبِهِ وَالتَّارِكُ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ فَذَلِكَ
الَّذِي ضَيَّعَ أَشْرَفَ الْخِصَلَتَيْنِ مِنَ الثَّلَاثِ وَتَمَسَّكَ بِوَاحِدَةٍ، وَمِنْهُمْ تَارِكٌ لِانْكَارِ
الْمُنْكَرِ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَيَدِهِ فَذَلِكَ مَيِّتٌ الْأَخْيَاءِ. وَمَا أَعْمَالُ الْبِرِّ كُلُّهَا وَالْجِهَادُ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ عِنْدَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ إِلَّا كَنْفَثَةٌ فِي بَحْرِ الْجَيِّ، وَإِنَّ الْأَمْرَ
بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَا يَقْرَبَانِ مِنْ أَجْلِ، وَلَا يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ، وَأَفْضَلُ مِنْ
ذَلِكَ كَلِمَةُ عَدْلِ عِنْدَ إِمَامٍ جَائِرٍ.

اقول: الضمير في «انه قال» راجع الى ابن الاشعث. وسلم: برئ من الإثم. و اشار
بقوله: ليكون (كلمة الله هي العليا) الى شرط اصابته سبيل الهدى دون عرض آخر في انكار
المنكر. واستعار لفظ الميت: لتارك الأمر بالمعروف مطلقاً باعتبار خلوه عن جميع
خصال الخير التي يستلزمها. ووجه شبه اعمال البر: بالنفثة كون اعمال البر خزينه تحت الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر، وداخله فيهما وقليلة جداً بالنسبة اليهما كالنفثة
في البحر.

٣٥٦ - (وَ عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ) أَوَّلُ مَا تَغْلِبُونَ
عَلَيْهِ مِنَ الْجِهَادِ الْجِهَادُ بِأَيْدِيكُمْ ثُمَّ بِالسِّيَتِكُمْ ثُمَّ بِقُلُوبِكُمْ، فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ بِقَلْبِهِ مَعْرُوفًا

١ - تاريخ الطبري ٢١/٨ حوادث سنة ٨٣.

وَلَمْ يُنْكِرْ مُنْكَرًا قَلْبَ فُجِعَلِ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ وَأَسْفَلُهُ أَعْلَاهُ.

ومعنى عليهم على الجهاد بقلوبهم: أنهم اذا غلبوا عنه بأيديهم وألسنتهم إلفوا المنكر، واعتادوا الانقهار عن انكاره فزال من قلوبهم، ولم يبق لها انكاره، واستعار وصف القلب: لانتكاس عقله فى مهاوى الرذائل.

٣٥٧- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ الْحَقَّ ثَقِيلٌ مَرِيءٌ، وَإِنَّ الْبَاطِلَ خَفِيفٌ وَبِئْسَ

أى: مهلك عند الله.

٣٥٨- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تَأْمَنَنَّ عَلَى خَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَذَابَ اللَّهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:

(فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ) وَلَا تَيَأَسَنَّ لِشَرِّ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (أَنَّهُ لَا يَيَأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) ٢.

فاستعار لفظ المكر لامهال الله، ثم اخذه على غرة وهو: صورة مكر وخداع.

٣٥٩- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْبَخِيلُ جَامِعٌ لِمَسَاوِي الْعُيُوبِ، وَهُوَ زَمَامٌ يُقَادُّ بِهِ إِلَى كُلِّ سُوءٍ.

وذلك لأنه يستلزم الجهل بمواضع بذل المال ووضعه فيها. والفجور: العبور فى تحصيله عن فضيلة شهوته وهى العفة الى طرف الافراط والجبن، لأن البخيل بماله أبخل بنفسه. والظلم والانظلام وهو ظاهر، وهذه الرذائل الاربع امهات العيوب والرذائل، و تحتها رذائل كثيرة كالانواع لها كالحرص، والحسد والكذب والشرة ودناءة الهمة والغدر والخيانة وقطع الرحم وعدم المواساة، وكلها لوازم البخل وتوابعه، والاستقراء يحقق صدقة عليه السلام.

٣٦٠- وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الرَّزْقُ رِزْقَانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ فَإِنْ لَمْ تَأْتِهِ

أَتَاكَ، فَلَا تَحْمِلْ هَمَّ سَنَتِكَ عَلَى هَمِّ يَوْمِكَ! كَفَاكَ كُلُّ يَوْمٍ عَلَى مَا فِيهِ، فَإِنْ تَكُنِ السَّنَةُ مِنْ عُمْرِكَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَدُّهُ سَيُوتِيكَ فِي كُلِّ غَدٍ جَدِيدٍ مَا قَسَمَ لَكَ، وَإِنْ لَمْ تَكُنِ السَّنَةُ

١- سورة الاعراف/ ٩٩. ٢- سورة يوسف / ٧٨.

مِنْ عُمْرِكَ فَمَا تَصْنَعُ بِالْهَمِّ بِمَا لَيْسَ لَكَ، وَلَنْ يَسْبِقَكَ إِلَى رِزْقِكَ ظَالِبٌ، وَلَنْ يَغْلِبَكَ عَلَيْهِ غَالِبٌ، وَلَنْ يُبْطِئَ عَنْكَ مَا قَدْ قُدِّرَ لَكَ.

وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم من هذا الباب الآتية هاهنا اوضح و اشرح،
فلذلك كررناه على القاعدة المقررة في اول الكتاب. قوله: فيه، اي: في يومك. والفصل
واضح، وقد سبق مثله شرحاً.

٣٦١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: رَبُّ مُسْتَقْبِلِ يَوْمًا لَيْسَ بِمُسْتَدْبِرِهِ، وَمَغْبُوطٌ فِي أَوَّلِ لَيْلِهِ
قَامَتْ بَوَاكِيهِ فِي آخِرِهِ.

٣٦٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْكَلَامُ فِي وِثَاقِكَ مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ بِهِ فَإِذَا تَكَلَّمْتَ بِهِ
صِرْتَ وِثَاقَهُ، فَأَخْزُنْ لِسَانَكَ كَمَا تَخْزُنُ ذَهَبَكَ وَوَرِقَكَ، فَرُبَّ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نِعْمَةً وَجَلَبَتْ
نِقْمَةً.



فالوفاق: الحبل. و لفظه مستعار.

مرکز تحقیق و پژوهش علوم اسلامی

٣٦٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ بَلْ لَا تَقُلْ كُلَّ مَا تَعْلَمُ فَإِنَّ اللَّهَ فَرَضَ
عَلَى جَوَارِحِكَ كُلِّهَا فَرَائِضَ يَحْتَجُّ بِهَا عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
اراد فرض عليك في جوارحك: لان الانسان هو المكلف بالفرض.

٣٦٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِحْذَرُ أَنْ يَرَاكَ اللَّهُ عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ وَيَقْدِكَ عِنْدَ طَاعَتِهِ؛
فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ، وَإِذَا قَوِيَتْ فَأَقْوَعَالَى طَاعَةَ اللَّهِ، وَإِذَا ضَعُفَتْ فَاضْعُفْ عَنْ
مَعْصِيَةِ اللَّهِ.

و هو ظاهر.

٣٦٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
الرُّكُونُ إِلَى الدُّنْيَا مَعَ مَا تَعَايَنَ مِنْهَا جَهْلٌ، وَالتَّقْصِيرُ فِي حُسْنِ الْعَمَلِ إِذَا وَثِقَتْ

بِالثَّوَابِ عَلَيْهِ غَبْنٌ، وَالطَّمَأْنِينَةُ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ قَبْلَ الْإِخْتِبَارِ عَجْزٌ.

اراد بما تعاین منها من التغير والزوال، وجهله بما ينبغى له مع ذلك من الحذر والاستعداد للامور الثابتة الباقية فى الآخرة. والتقصير فى حسن العمل: غبن، لانه ترك خیر كثير لعمل يسیر، والعجز فى الطمأنينة الى كل أحد، اى: عن البحث عمّن ينبغى السكون اليه والنفرة عنه.

۳۶۶ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مِنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ أَنَّهُ لَا يُعْصَى إِلَّا فِيهَا، وَلَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِتَرْكِهَا.

۳۶۷ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ ظَلَبَ شَيْئًا نَالَهُ أَوْ بَعْضَهُ.
اى: غالبًا وفى المعتاد.

۳۶۸ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا خَيْرٌ بِخَيْرٍ بَعْدَهُ النَّارُ، وَمَا شَرٌّ بِشَرٍّ بَعْدَهُ الْجَنَّةُ، وَكُلُّ نَعِيمٍ دُونَ الْجَنَّةِ فَهُوَ مَحْقُورٌ، وَكُلُّ بَلَاءٍ دُونَ النَّارِ عَافِيَةٌ.
اراد: ما خير بعده النار يستحق ان يسمى خيراً، وما شر بعده الجنة ينبغى ان يعدّ شراً.

۳۶۹ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَلَا وَإِنَّ مِنَ الْبَلَاءِ الْفَاقَةَ؛ وَأَشَدُّ مِنَ الْفَاقَةِ مَرَضُ الْبَدَنِ؛ وَأَشَدُّ مِنْ مَرَضِ الْبَدَنِ مَرَضُ الْقَلْبِ. أَلَا وَإِنَّ مِنَ النَّعْمِ سَعَةَ الْمَالِ وَأَفْضَلُ مِنْ سَعَةِ الْمَالِ صِحَّةُ الْبَدَنِ؛ وَأَفْضَلُ مِنْ صِحَّةِ الْبَدَنِ تَقْوَى الْقَلْبِ.
فالتفاوت بين مرض البدن، ومرض القلب: بالردائل بالشدة والضعف بحسب تفاوت غايتهما، وهو الموت المحسوس والموت المعقول: وما يلزمهما من الشدة والعذاب وما يفوت بسببهما من العاقبة والحسية العقلية^۱.

۱- فى ش هكذا: من العاقبة الحسية والعقلية.

٣٧٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِلْمُؤْمِنِ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ: فَسَاعَةٌ يُتَاجَى فِيهَا رَبُّهُ؛ وَسَاعَةٌ يَرُمُّ مَعَاشَهُ؛ وَسَاعَةٌ يُخَلَّى بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ لَدَّتَيْهَا فِيمَا يَحِلُّ وَيَجْمَلُ وَلَيْسَ لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ شَاطِئًا إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: مَرْمَةٌ لِمَعَاشٍ؛ أَوْ خُطْوَةٌ فِي مَعَادٍ، أَوْ لَذَّةٌ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ.

قسم زمان المؤمن الى اقسامه الثلاثة التي ينبغي له بحسب مقتضى الحكمة العملية. ورم المعاش: اصلاحه ويجمل: يحسن. والشاخص: الذهاب من بلد الى بلد.

٣٧١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يَبْصُرَكَ اللَّهُ عَوْرَاتِهَا، وَلَا تَغْفُلْ فَلَسْتَ بِمَغْفُورٍ عَنكَ!

الزهد في الشيء مستلزم لادراك عيوبه: لان حبك الشيء يعمي ويصم.

٣٧٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: تَكَلَّمُوا تُعْرِفُوا؛ فَإِنَّ الْمَرْءَ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ.

وقد مر مفسراً.



٣٧٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: تَخُذْ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَتَاكَ، وَتَوَكَّلْ عَمَّا تَوَلَّى عَنكَ فَإِنَّ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَأَجْمِلْ فِي الطَّلَبِ.

فامر بالقناعة^١ ثم بالاجمال في طلب الدنيا ان لم يكن القناعة وهو طلبها من الوجه الذي ينبغي، وعلى الوجه الجميل الذي ينبغي.

٣٧٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: رَبُّ قَوْلٍ أَنْفَذَ مِنْ صَوْلِ.

اي: قد يبلغ الانسان بالقول ما لا يبلغه بالشدة والصولة، فيكون القول انفذ في غرضه، ويضرب مثلاً للرفق واللين الذي يبلغ به ما لا يبلغ بالعنف^٢.

٣٧٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كُلُّ مُقْتَصِرٍ عَلَيْهِ كَافٍ.

١ - في ش: اولاً.

٢ - هذا الشرح بكامله غير موجود في نسخة ش.

اي: مما يمكن الاقتصار عليه، وفيه جذب الى القناعة.

٣٧٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

الْمَنِيَّةُ وَلَا الدَّنِيَّةُ! وَالتَّقَلُّ وَلَا التَّوَسُّلُ، وَمَنْ لَمْ يُعْطَ قَاعِدًا لَمْ يُعْطَ قَائِمًا. وَالذَّهْرُ يَوْمَانِ: يَوْمٌ لَكَ، وَيَوْمٌ عَلَيْكَ؛ فَإِذَا كَانَ لَكَ فَلَا تَبْطُرْ، وَإِذَا كَانَ عَلَيْكَ فَاصْبِرْ!

وقال عليه السلام: المنية ولا الدنية، اي: تحتل المنية ولا تحتل الدنية. وقيل: المنية مبتدأ دل على خبره، قوله ولا الدنية، اي: اسهل من ركوب الدنية، وهي: الأمر الخسيس يرتكب في طلب الدنيا. والتقلل ولا التوسل اي: الى اهل الدنيا في طلبها. ومن لم يُعط قاعداً لم يُعط قائماً، فكنتى بالعود عن: الطلب السهل، وبالقيام عن: التعسف في الطلب، اي: من لم يرزق بالطلب السهل لم ينفعه التشديد، والتعسف في طلبه، والحكم اكثرى. وقيل: اراد من لم يرزق الشيء في نفس الامر لم تنفعه الحركة فيه. والدهريومان، يوم لك، ويوم عليك، فاذا كان لك فلا تبطر، واذا كان عليك فاصبر. والبطر: تجاوز الحد.

مركز تحقيقات علوم اسلامی

٣٧٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مُقَارَبَةُ النَّاسِ فِي أَخْلَاقِهِمْ أَمْنٌ مِنْ غَوَائِلِهِمْ.

اي: يستلزم الأمن منها. والغائلة: الحقد.

٣٧٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِبَعْضِ مُخَاطَبِيهِ - وَقَدْ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ يُسْتَصَغَرُ مِثْلُهُ عَنْ

قَوْلٍ مِثْلِهَا: - لَقَدْ طَرَّتْ شَكِيرًا، وَهَدَرَتْ سَقْبًا.

قال السيد رحمه الله: والشكير هاهنا: اول ما ينبت من ريش الطائر قبل ان يقوى ويستخفيف. والسقب: الصغير من الإبل ولا يهدر الا بعد أن يستفحل.

واقول: الشكير هو الفرخ قبل النهوض، واستعار لفظي الشكير، والسقب: باعتبار صغر قدره عما تكلم به. ووصف الطيران والهدير له: باعتبار نهوضه الى كلام ليس من شأنه.

٣٧٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ أُوْمَأَ إِلَى مُتَّفَاوِتٍ خَذَلْتُهُ الْحَيْلُ.

اراد بالمتفاوت التي يتعذر اجتماعها ويضعف الوسع عن تحصيلها في العادة. واستعار وصف الخذلان لعدم مواتاة الحيل له فيما يرومه من ذلك.

٣٨٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَقَدْ سُئِلَ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِمْ «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» -

إِنَّا لَا نَمْلِكُ مَعَ اللَّهِ شَيْئاً، وَلَا نَمْلِكُ إِلَّا مَا مَلَكَتْنا فَمَنْ مَلَكَتْنا مَا هُوَ أَمْلِكُ بِهِ مِنَّا كَلَّفْنَا وَمَتَّى أَخَذَهُ مِنَّا وَضَعَ تَكْلِيفَهُ عَلَنا.

٣٨١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - ، وَقَدْ سَمِعَهُ يَرِاجِعُ الْمَغِيرَةَ بْنَ شَعْبَةَ

كَلَاماً: دَعَا يَاعَمَّارُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْخُذْ مِنَ الدِّينِ إِلَّا مَا قَارَبَهُ مِنَ الدُّنْيَا، وَعَلَى عَمْدٍ لَبَسَ عَلَى نَفْسِهِ لِيَجْعَلَ السُّبُهَاتِ عَازِراً لِسَقَطَاتِهِ.

اراد انه لا يعمل من الدين الا بما يستلزم دُنياً ويقرب منها. وسقطاته زلاته.

٣٨٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا أَحْسَنَ تَوَاضَعِ الْأَغْنِيَاءِ لِلْفُقَرَاءِ طَلَبًا لِمَا عِنْدَ اللَّهِ!

وَأَحْسَنُ مِنْهُ تَبَهُ الْفُقَرَاءِ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ اتِّكَالاً عَلَى اللَّهِ.

وفيه تنبيه على ان آتية له موضع يحسن فيه.

٣٨٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا أَسْتَوْدِعَ اللَّهُ أَمْرًا عَقْلاً إِلَّا أَسْتَنْقَذَهُ بِهِ يَوْمَ مَا!

اي: يكون سبباً لخلاصه من بلاءٍ دنيويٍ و اخرويٍ.

٣٨٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ صَارَعَ الْحَقَّ صَرَعَهُ.

فمصارعة الحق: مغالبته، ومقاومته، والحق اكثر اعواناً و اعز انصاراً.

٣٨٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْقَلْبُ مُصْحَفُ الْبَصَرِ.

فاستعار لفظ المصحف: للقلب باعتبار انتقاشه بصور ما ينبغى التكلم به في لوح

الخيال، وادراك الحس المشترك له من باطن فهو كالمصحف يقرأ منه.

٣٨٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: التَّقَى رَيْسُ الْأَخْلَاقِ.

لأفضليته على جميعها باستلزامه السعادة الابدية دون كل فردٍ منها.

٣٨٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تَجْعَلَنَّ ذَرْبَ لِسَانِكَ عَلَى مَنْ أَنْطَقَكَ؛ وَبَلَاغَةَ قَوْلِكَ

عَلَى مَنْ سَدَّدَكَ .

وهو كالمثل يضرب لمن يحصل من الانسان علماً او ادباً، فيستعين بذلك على

مخاصمته. ذرب اللسان: حدته.

٣٨٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَفَاكَ أَدَبًا لِنَفْسِكَ اجْتِنَابُ مَا تَكْرَهُهُ مِنْ غَيْرِكَ .

اراد بما يكرهه من غيره من الرذائل، واجتنابها نعم الأدب، ونفر عنها بكونها

مكروهة له.



مرکز تحقیق و پژوهش علوم اسلامی

٣٨٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ صَبَرَ صَبْرَ الْأَخْرَارِ، وَإِلَّا سَلَ سُلُوكِ الْأَعْمَارِ.

وفى خبر آخر أنه - عليه السلام - قال للأشعث بن قيس معزياً:

إِنْ صَبَرْتَ صَبْرَ الْأَكَارِمِ، وَإِلَّا سَلَوْتَ سُلُوكَ الْبَهَائِمِ.

والاعمار جمع عمر: وهو الجاهل.

٣٩٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فِي صِفَةِ الدُّنْيَا: تَغْرُ وَتَضُرُّ وَتَمُرُّ.

إنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَرْضَهَا ثَوَابًا لِأَوْلِيَائِهِ، وَلَا عِقَابًا لِأَعْدَائِهِ، وَإِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا كَرَّكِبٍ

بَيْنَهُمْ حَلُّوا إِذْ صَاحَ سَائِقُهُمْ فَارْتَحَلُوا.

اراد تضرر لمحبتها، وتغر بزينتها، وتمر بفراقها من المرارة.

٣٩١ - وَقَالَ لابنه الحسن عليه السلام: لَا تُخَلِّفَنَّ وِرَاءَكَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا؛ فَإِنَّكَ

تُخَلِّفُهُ لِأَحَدٍ رَجُلَيْنِ: إِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بَطَاعَةَ اللَّهِ فَسُعِدَ بِمَا شَقِيَتْ بِهِ، وَإِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَكُنْتُ عَوْنًا لَهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ؛ وَلَيْسَ أَحَدٌ هَذَيْنِ حَقِيقًا أَنْ تُؤْتِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ .
(ويروى هذا الكلامُ على وجهٍ آخر وهو)

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الَّذِي فِي يَدِكَ مِنَ الدُّنْيَا قَدْ كَانَ لَهُ أَهْلٌ قَبْلَكَ، وَهُوَ صَائِرٌ إِلَى أَهْلِ بَعْدِكَ؛ وَإِنَّمَا أَنْتَ جَامِعٌ لِأَحَدٍ رَجُلَيْنِ: رَجُلٌ عَمِلَ فِيهَا جَمَعَتَهُ بَطَاعَةَ اللَّهِ فِيهِ فَسُعِدَ بِمَا شَقِيَتْ بِهِ: أَوْ رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَشَقِيَ بِمَا جَمَعَتْ لَهُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ هَذَيْنِ أَهْلًا أَنْ تُؤْتِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ وَلَا أَنْ تَحْمِلَ لَهُ عَلَى ظَهْرِكَ فَارْجُ لِمَنْ قَدْ مَضَى رَحْمَةَ اللَّهِ، وَلِمَنْ بَقِيَ رِزْقَ اللَّهِ.

ويروى هذا الكلام على وجه آخر وهو:

أما بعد: فإن الذي في يديك من الدنيا ...

والفصل من أحسن الآداب في بذل المال.



٣٩٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (لِقَائِلٍ قَالَ بِحَضْرَتِهِ «أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ»): تَكَلِّتُكَ أُمَّكَ أَتَدْرِي مَا الْإِسْتِغْفَارُ؟ الْإِسْتِغْفَارُ دَرَجَةٌ الْعَالِيَيْنِ، وَهُوَ اسْمٌ وَقَعَ عَلَى سِتَّةٍ مَعَانَ: أَوَّلُهَا التَّدَمُّ عَلَى مَا مَضَى، وَالثَّانِي: الْعَزْمُ عَلَى تَرْكِ الْعَوْدِ إِلَيْهِ أَبَدًا، وَالثَّالِثُ: أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ حُقُوقَهُمْ حَتَّى تَلْقَى اللَّهَ أَمْلَسَ لَيْسَ عَلَيْكَ تَبِعَةٌ، وَالرَّابِعُ: أَنْ تَعِمِدَ إِلَى كُلِّ فَرِيضَةٍ عَلَيْكَ ضَمِعَتْهَا فَتُؤَدِّيَ حَقَّهَا، وَالخَامِسُ: أَنْ تَعِمِدَ إِلَى اللَّحْمِ الَّذِي نَبَتْ عَلَى السُّحْتِ فَتُذِيبُهُ بِالْأَخْزَانِ حَتَّى تُلْصِقَ الْجِلْدَ بِالْعَظْمِ وَيَنْشَأَ بَيْنَهُمَا لَحْمٌ جَدِيدٌ، وَالسَّادِسُ: أَنْ تُذِيقَ الْجِسْمَ أَلْمَ الطَّاعَةِ كَمَا أذَقْتَهُ حَلَاوَةَ الْمَعْصِيَةِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَقُولُ: «أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ».

أقول: لما كان الاستغفار هو طلب المغفرة، وكان الطلب بدون التوبة والعمل للمطلوب حمقًا كما أشار إليه فيما قبل، كانت الأمور المذكورة من اللوازم التي ينبغي للاستغفار فعبر بها عنه. واستعار لفظ الأملس: لنقى الصحيفة من الإثم.

٣٩٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْجِلْمُ عَشِيرَةٌ.

فاستعار لفظ العشيرة: باعتبار أنه يحمى صاحبه ويجنبه الأذى ممن يُنافِرُهُ وَيُعَادِيهِ.

٣٩٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مِسْكِينُ ابْنِ آدَمَ: مَكْتُومُ الْأَجَلِ، مَكْنُونُ الْعِلَلِ، مَحْفُوظُ الْعَمَلِ، تَوْلَمُهُ الْبَقَّةُ، وَتَقْتُلُهُ الشَّرْقَةُ، وَتُثَبِّتُهُ الْعَرَقَةُ.
فالعلل الأمراض والأعراض والصفات المذكورة: وجوه المسكنة والضعف.

٣٩٥ - (وَرُوي أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ جَالِسًا فِي أَصْحَابِهِ، فَمَرَّتْ بِهِمْ أَمْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ فَرَمَقَهَا الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ) فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ أَبْصَارَ هَذِهِ الْفُحُولِ ظَوَامِيحٌ، وَإِنَّ ذَلِكَ سَبَبُ هَبَابِهَا، فَإِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى امْرَأَةٍ تُعْجِبُهُ فَلْيَلَامِسْ أَهْلَهُ: فَإِنَّمَا هِيَ امْرَأَةٌ كَامِرَةٌ، (فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ «قَاتَلَهُ اللَّهُ كَافِرًا مَا أَفْقَهَهُ» «فَوَثِبَ الْقَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ»،) فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: رُوَيْدًا إِنَّمَا هُوَ سَبٌّ بِسَبِّ أَوْ عَفْوٌ عَنْ ذَنْبٍ!
والرمق: النظر. وطموح البصر: ارتفاعه. والهييب، والهباب: صوت التيس عند هياجه. والكلام واضح.

٣٩٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَفَاكَ مِنْ عَقْلِكَ مَا أَوْضَحَ لَكَ سَبِيلَ غَيْكَ مِنْ رُشْدِكَ .
فاشار الى غاية العقل العملي .
مركزية تكوير علوم رسول

٣٩٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: افْعَلُوا الْخَيْرَ وَلَا تَحْقِرُوا مِنْهُ شَيْئًا فَإِنَّ صَغِيرَهُ كَبِيرٌ وَقَلِيلُهُ كَثِيرٌ، وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ إِنَّ أَحَدًا أَوْلَى بِفِعْلِ الْخَيْرِ مِنِّي فَيَكُونَ وَاللَّهِ كَذَلِكَ . إِنَّ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَهْلًا فَمَهْمَا تَرَكَتُمُوهُ مِنْهُمَا كَفَا كُمُوهُ أَهْلُهُ.
قوله: فيكون والله كذلك لأن ذلك القول من التارك ربما يكون باعثًا لمن تَوَسَّمت فيه فِعْلُ الخير. ونسبه اليه فيصدق قوله، وظننه بفعله فيكون اولى به منه.

٣٩٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللَّهُ عِلَانِيَتَهُ، وَمَنْ عَمِلَ لِدِينِهِ كَفَاهُ اللَّهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ، وَمَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ كَفَاهُ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ .
لأن احوال الظاهرة كالثمرات والآثار للأحوال الباطنة، وصلاحها، وفسادها تابعان لصلاح الباطن وفساده.

٣٩٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْجِلْمُ غِطَاءٌ سَاتِرٌ، وَالْعَقْلُ حُسَامٌ قَاطِعٌ، فَاسْتُرْ خَلَلَ خَلْقِكَ بِجِلْمِكَ، وَقَاتِلْ هَوَاكَ بِعَقْلِكَ .
فاستعار لفظ الغطاء: للحلم لستره رذائل الاخلاق. ولفظ الحسام: للعقل لقهر النفس الامارة^١ به.

٤٠٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا يَخْتَصُّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ فَيُقِرُّهَا فِي أَيْدِيهِمْ مَا بَدَلُوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ ثُمَّ حَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ.

٤٠١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا يَتَّبِعِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَثِقَ بِخَصَلَتَيْنِ: الْعَافِيَةِ، وَالْغِنَى، بَيْنَمَا تَرَاهُ مُعَافَى إِذْ سَقِمَ، وَبَيْنَمَا تَرَاهُ غَنِيًّا إِذْ أَفْتَقَرَ.
نفر عن الثقة بهما، لاستلزامها الغفلة عن الآخرة بضمير صغراه، قوله بينا تراه الى آخره.

٤٠٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ شَكَا الْحَاجَةَ إِلَى مُؤْمِنٍ فَكَانَتْ شَكَاهَا إِلَى اللَّهِ، وَمَنْ شَكَاهَا إِلَى كَافِرٍ فَكَانَتْ شَكَاهَا إِلَى اللَّهِ.
وذلك ان المؤمن حبيب الله فالشكاية اليه كالشكاية الى الله، وهو في معرض ان يكون وسيلة الى الله في قضاء الحاجة. والكافر عدو الله فالشكاية اليه تشبه شكاية الله الى عدوه، اذ هو مبدأ الحاجة والغنى.

٤٠٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي بَعْضِ الْأَعْيَادِ: إِنَّمَا هُوَ عِيدٌ لِمَنْ قَبَلَ اللَّهُ صِيَامَهُ وَشَكَرَ قِيَامَهُ، وَكُلُّ يَوْمٍ لَا يُعْصَى اللَّهُ فِيهِ فَهُوَ عِيدٌ.

٤٠٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ أَعْظَمَ الْحَسَرَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَسْرَةُ رَجُلٍ كَسَبَ مَالًا

١ - في ش زيادة: بالسوء.

فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ فَوْرَتُهُ رَجُلٌ فَأَنْفَقَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فَدَخَلَ بِهِ الْجَنَّةَ وَدَخَلَ الْأَوَّلُ
بِهِ النَّارَ.

كون ذلك اعظم الحسرات لعدم انتفاعه بماله و عذابه في الآخرة و مشاهدته
لانتفاع غيره به.

٤٠٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ أَخْسَرَ النَّاسِ صَفْقَةً، وَأَخْيَبَهُمْ سَعْيًا رَجُلٌ أَخْلَقَ بَدَنَهُ
فِي طَلَبِ مَالِهِ، وَلَمْ تُسَاعِدْهُ الْمَقَادِيرُ عَلَى إِرَادَتِهِ، فَخَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا بِحَسْرَتِهِ، وَقَدِمَ
عَلَى الْآخِرَةِ بِتَبَعَتِهِ.
وتبعته: آثامه التي يُطلب بها، ويتبع فيها.

٤٠٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الرَّزْقُ رِزْقَانِ: ظَالِبٌ، وَمَطْلُوبٌ، فَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا
طَلَبَهُ الْمَوْتُ حَتَّى يُخْرِجَهُ عَنْهَا، وَمَنْ طَلَبَ الْآخِرَةَ طَلَبَتْهُ الدُّنْيَا حَتَّى يَسْتَوْفِيَ رِزْقَهُ مِنْهَا.
فاستعار لفظ الطالب للرزق لانه لا بد من وصوله، فأشبه الطالب لصاحبه.

٤٠٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ هُمُ الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا إِذَا
نَظَرَ النَّاسُ إِلَى ظَاهِرِهَا، وَأَشْتَقَلُوا بِأَجْلِهَا إِذَا أَشْتَقَلَ النَّاسُ بِعَاجِلِهَا، فَأَمَاتُوا مِنْهَا مَا خَشُوا
أَنْ يُمِيتَهُمْ؛ وَتَرَكَوْا مِنْهَا مَا عَلِمُوا أَنَّهُ سَيَبْرُكُهُمْ وَرَأَوْا أَسْتِكْتَارَ غَيْرِهِمْ مِنْهَا أَسْتِقْلَالًا؛
وَدَرَكَهُمْ لَهَا فَوْتًا، أَعْدَاءُ مَا سَأَلَ النَّاسُ وَسَلِمُ مَا عَادَى النَّاسُ! بِهِمْ عِلْمَ الْكِتَابِ وَبِهِ
عِلْمُوا وَبِهِمْ قَامَ الْكِتَابُ وَهُمْ بِهِ قَامُوا؛ لَا يَرَوْنَ مَرْجُوءًا فَوْقَ مَا يَرْجُونَ وَلَا مَخُوفًا فَوْقَ مَا
يَخَافُونَ.

فميز اولياء الله بعشر صفاتٍ. وباطن الدنيا: حقيقتها. و عرض الحكمة الالهية فيها،
و آجلها: ثواب العمل فيها الموعود في الآخرة. و ما اماتوا منها هو: نفوسهم الامارة التي
خافوا ان تغلب نفوسهم المطمئنة فتهلكها، و استقلالاً اي: من الخير الذي ينبغي طلبه
وفوتاً له. و ما سالم الناس هو، الدنيا، و ما عادوه هي: الآخرة، و به علموا: لاشتهارهم

١- في ش: وبشهادته.

به، وقاموا اى: بما امرهم به.

٤٠٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اذْكُرُوا انْقِطَاعَ اللَّذَّاتِ، وَبَقَاءَ التَّبَعَاتِ.

٤٠٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اُخْبِرْ تَقْلِهِ.

قال السيد رحمه الله: ومن الناس من يروي هذا للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومما يقوى أنه من كلام امير المؤمنين عليه السلام ما حكاه ثعلب عن ابن الاعرابي، قال المأمون: لولا أن علياً قال «اخبر تقله» لقلت: أقله تخبره.
وقلاه: يقليه، وقلية يقلاء: ابغضه. والهاء مزيدة للسكت وهو: كالمثل يضرب لاستلزام اختبار الناس بعضهم، واجتنابهم لما هم عليه من الرذائل وما ينكشفون عنه من قبح البواطن.

٤١٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا كَانَ اللَّهُ لِيَفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ بَابَ الشُّكْرِ وَيُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الزِّيَادَةِ، وَلَا يَفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ بَابَ الدُّعَاءِ وَيُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الْإِجَابَةِ وَلَا يَفْتَحَ لِعَبْدٍ بَابَ التَّوْبَةِ وَيُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الْمَغْفِرَةِ.

فاشار الى استلزام امور ثلاثة، لأمرٍ ثلاثة وتصديقها من القرآن الكريم.

٤١١ - وَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَيُّمَا أَفْضَلُ: الْعَدْلُ، أَوِ الْجُودُ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْعَدْلُ يَضَعُ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا، وَالْجُودُ يُخْرِجُهَا مِنْ جِهَتِهَا، وَالْعَدْلُ سَائِسٌ عَامٌّ، وَالْجُودُ عَارِضٌ خَاصٌّ، فَالْعَدْلُ أَشْرَفُهُمَا وَأَفْضَلُهُمَا.

٤١٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: النَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا.

وقد مر بيانه.

٤١٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الزُّهْدُ كُلُّهُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ: قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ.

(لَكَيْلًا تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ، وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ) وَمَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَى الْمَاضِي وَلَمْ يَفْرَحْ بِالْآتِي، فَقَدْ أَخَذَ الزُّهْدَ بِطَرْفَيْهِ.

اقول: الاعراض عن الدنيا: بترك الأسف عليها، والفرح بها في قوّة خاصّة مركّبة تلزم الزهد عرّفه بها. و كنى بأخذ الزهد بطرفيه عن استكماله بمبدئه و غايته.

٤١٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْوَلَايَاتُ مَضَامِيرُ الرِّجَالِ.

فاستعار لفظ المضامير و هي: الأمكنة التي يضم فيها الخيل للسباق: للولايات لأنها مظنة معرفة خيرهم من شرهم.

٤١٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ.

و هو كالمثل يضرب: لمن يعزم على امر فيغفل عنه، او يتهاون فيه حتى ينتقض عزمه عليه، واصله ان الرجل ينوى السير ليلاً ليتوفّر في نهاره على مسيره، فيغلبه النوم الى الصباح فيفوت وقت العزم و ينتقض في يومه.

مركز تحقيقات كويتية للعلوم الإسلامية

٤١٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَيْسَ بَلَدٌ بِأَحَقَّ بِكَ مِنْ بَلَدٍ، خَيْرُ الْبِلَادِ مَا حَمَلَكَ.

اي: ما حمل مؤنتك و قام بها.

٤١٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وَقَدْ جَاءَهُ نَعْيُ الْأَشْتَرِ رَحِمَهُ اللَّهُ): مَا لِكَ وَ مَا مَا لِكَ

لَوْ كَانَ جَبَلًا لَكَانَ فِنْدًا لَا يَرْتَقِيهِ الْحَافِرُ، وَلَا يُوفِي عَلَيْهِ الظَّائِرُ.

[قال السيد رحمه الله: والفند: المنفرد من الجبال] (وما لك مبتدأ او فاعل اي:

مات مالك. وما استفهامية في معرض التعجب من مالك رحمه الله، وقوته في الدين.

واستعار لفظ «الفند» له: لقوة بأسه وعدم انفعاله عن العدو، و اراد: انه لو كان جبلاً لكان

منفرداً من الجبال^٢) مُسْتَقِيلاً فِي عُلوِّهِ وَرَفَعَتِهِ.

٢ - العبارة بين القوسين غير موجودة في ش.

١ - سورة الحديد/٢٣.

٤١٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَلِيلٌ مَدُومٌ عَلَيْهِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُوءٍ مِنْهُ.
اى: من الامور التى ينبغى ان تفعل.

٤١٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا كَانَ فِي رَجُلٍ خَلَّةٌ رَائِقَةٌ فَانْتَظِرُوا أَخَوَاتِهَا.
والرائقة: المعجبة اى: اذا كان فيه خلق فاضل، فان طبعه مظنة ان يكون فيه امثاله
فيتوقع منه.

٤٢٠ - (وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعَالِبِ بْنِ صَعْصَعَةَ أَبِي الْفَرَزْدَقِ فِي كَلَامٍ دَارَ بَيْنَهُمَا:)
مَا فَعَلْتَ بِإِبْلِكَ الْكَثِيرَةِ؟ قَالَ: دَعَدَعْتُهَا الْحُقُوقُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ذَلِكَ
أَحْمَدُ سُبُلِهَا.
فذعتها بالذال المعجمة مكررة: فرقتها.

٤٢١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ أَلْجَرَ بَغَيْرِ فِقْهِ فَقَدْ أَرْتَطَمَ فِي الرَّبَا.
ارتطم فى ألوجل ونحوه: وقع فيه فلم يتمكن الخلاص. واستعار لفظه: للتاجر
الجاهل لوقوعه فى الربا.

٤٢٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ عَظَّمَ صِغَارَ الْمَصَائِبِ أَبْتَلَاهُ اللَّهُ بِكِبَارِهَا.
لاستعداده بتضجره وتسخطه من قضاء الله لزيادة البلاء.

٤٢٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ شَهَوَاتُهُ.
لعداوتها وتضاد كمالها.

٤٢٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا مَرَحَ أَمْرٌ وَمَرَحَةٌ إِلَّا مَجَّ مِنْ عَقْلِهِ مَجَّةٌ.
فاستعار لفظ المجة لما انتقص من العقل العملى بالمزاح غير المعتدل، فانه يخالف
الرأى الأصلح وهو يؤذن بنقصان الرأى المؤذن بنقصان العقل.

٤٢٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: زُهِدْكَ فِي رَاغِبٍ فِيكَ نُقْصَانُ حَظِّ، وَرَغْبَتُكَ فِي زَاهِدٍ فِيكَ ذُلٌّ نَفْسٍ.
وهو ظاهر.

٤٢٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا لِابْنِ آدَمَ وَالْفَخْرِ: أَوَّلُهُ نُظْفَةٌ. وَآخِرُهُ جِيفَةٌ، لَا يَرْزُقُ نَفْسَهُ، وَلَا يَدْفَعُ حَتْفَهُ.
وقد مر مثله.

٤٢٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْغِنَى وَالْفَقْرُ بَعْدَ الْعَرَضِ عَلَى اللَّهِ.
فالغنى الحقيقي بالثواب، والفقير بعده في الآخرة.

٤٢٨ - (وَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ أَشْعَرِ الشُّعْرَاءِ؟) فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَجْرُوا فِي حَلْبَةٍ تُعْرَفُ الْغَايَةُ عِنْدَ قَصَبَتَيْهَا؛ فَإِنْ كَانَ وَلَا بُدَّ فَالْمَلِكُ الضَّلِيلُ (يريد امرؤ القيس).
اراد انهم لم يقولوا الشعر على نهج واحد، حتى تفاضل بينهم، بل لكل منهم خاصة يجيد فيها، وتنبعث فيها قريحته، فواحد في الرغبة وآخر في الرهبة. ولذلك قيل: اشعر العرب امرؤ القيس اذا ركب، والأعشى اذا رغب. والنابغة اذا رهب. واستعار لفظ الحلبة وهي: القطعة من الخيل يقرن للسباق للطريقة الواحدة. واما حكم لامرئ القيس بذلك لجودة شعره في اكثر حالاته. وسمى ضليلاً: لقوة ضلاليته وفسقه.

٤٢٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَلَا حُرَيْدٌ هَذِهِ اللَّمَازَةُ لِأَهْلِهَا؟ إِنَّهُ لَيْسَ لِأَنْفُسِكُمْ ثَمَنٌ إِلَّا الْجَنَّةُ، فَلَا تَبِيعُوهَا إِلَّا بِهَا.

فاللمازة بضم اللام: بقية الطعام في الفم، واستعار لفظها: للدنيا لحقارتها الى تركها، وثمان النفوس: الجنة في قوله تعالى: (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم) الآية.

٤٣٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عَلَامَةُ الْإِيمَانِ أَنْ تُؤْتِرَ الصَّدَقَ حَيْثُ يَضُرُّكَ عَلَى الْكَذِبِ حَيْثُ يَنْفَعُكَ وَأَنْ لَا يَكُونَ فِي حَدِيثِكَ فَضْلٌ عَنْ عَمَلِكَ وَأَنْ تَتَّقِيَ اللَّهَ فِي حَدِيثِ غَيْرِكَ .

اراد بحديث غيره الحديث في عرضه بغيبة أو سماعها. وقيل: اراد ان يحتاط في الرواية فلا يروى كذباً.

٤٣١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَغْلِبُ الْمِقْدَارُ عَلَى التَّقْدِيرِ حَتَّى تَكُونَ الْآفَةُ فِي التَّدْبِيرِ.

(وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم برواية تخالف هذه الرواية.) والمقدار: القدر، والتقدير تقدير العبد لنفسه وتدبيرها لها، وذلك للجهل بأسرار القدر فربما ظن ما هو آفة وسبب للهلاك مصلحة. وقد سبق شرحه.

٤٣٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْجِلْمُ وَالْأَنَاءُ تَوْعْمَانِ يُنْتِجُهُمَا عُلُوُّ الْهَمَّةِ.

لانهما فضيلتان تحت علو الهمة من فضائل القوة الغضبية تحت الشجاعة. واستعار لها لفظ (التوعمان): لكونهما متلازمين في مرتبة واحدة.

٤٣٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْغِيْبَةُ جُهْدُ الْعَاجِزِ.

لانها اكثر ما تصدر عن لا يقدر على الانتقام فيعدل اليها.

٤٣٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: رَبُّ مَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ.

اي: مبتلى بذلك ليعلم شكره من كفره.

٤٣٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الدُّنْيَا خُلِقَتْ لِغَيْرِهَا، وَلَمْ تُخْلَقْ لِتَنْفِسِهَا.

اي: للاستعداد فيها لثواب الآخرة.

٤٣٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ لِبَنِي أُمَّيَّةَ مُرَوِّدًا يَجْزُونَ فِيهِ، وَلَوْ قَدْ اخْتَلَفُوا فِي مَا

بَيْنَهُمْ ثُمَّ كَادَتْهُمْ الضَّبَاعُ لَغَلَبَتْهُمْ.

قال السيد الرضى - رحمه الله -: والمرود هنا مفعول من الإرواد، وهو الإمهال والانتظار، وهذا من أفصح الكلام واغربه، فكأنه عليه السلام شبه المهله التي هم فيها بالمضمار الذين يجرون فيه إلى الغايه، فاذا بلغوا منقطعها انتقض نظامهم بعدها.
واقول: استعار لفظ المرود: لمدّة دولتهم. وقد استعار لفظ الضباع: للاسقاط والاراذل.

٤٣٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فِي مَدْحِ الْأَنْصَارِ: هُمْ وَاللَّهُ رَبُّوا الْإِسْلَامَ كَمَا يُرَبِّي الْفُلُومَ مَعَ غَنَائِهِمْ بِأَيْدِيهِمُ السَّبَاطِ وَالسِّيْتِهِمُ السَّلَاطِ.
الفلو: المهر، والسباط: السّماح. ويقال: للحاذق في الطعن انه لَبَسَطُ اليدين اى: انه ثقيف. والسلاط: الحداد الفصيحة. ووجه الشبه بتربية الفلو: حسن الرعاية له والقيام فيه.



٤٣٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْعَيْنُ وَكَأُ السَّه.

قال السيد الرضى: وهذه من الاستعارات العجيبة، كأنه يشبه السه بالوعاء، والعين بالوكاء، فاذا اطلق الوكاء لم ينضب الوعاء، وهذا القول في الاشهر الأظهر من كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد رواه قوم لأمير المؤمنين عليه السلام، وذكر ذلك المبرد في كتاب «المقتضب» في باب «اللفظ بالحروف» وقد تكلمنا على هذه الاستعاره في كتابنا الموسوم «مجازات الآثار النبويه».
اقول: انه استعار لفظ الوكاء وهو رباط القرية: باعتبار حفظ الانسان لنفسه في يقظته ان يخرج ربح ونحوها كما يحفظ الوكاء.

٤٣٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فِي كَلَامِ لَهُ: وَوَلِيَهُمْ وَالِ فَأَقَامَ وَاسْتَقَامَ، حَتَّى ضَرَبَ الدِّينُ بِجِرَانِهِ.

١- في ش: للاراذل والاسقاط.

والكلام من خطبة طويلة له أيام خلافته، ذكر فيها قربه من رسول الله صلى الله عليه وآله واختصاصه به الى ان قال (فاختار المسلمون بعده بأرائهم رجلاً منهم فقارب وسدد حسب استطاعته على ضعف وجدّ كانا فيه. ثم وليهم بعده وال فاقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه على عسفٍ، وعجزٍ، كانا فيه. ثم استخلفوا ثالثاً لم يكن يملك امر نفسه شيئاً غلب عليه اهله فقادوه الى اهلهم كما يقود الوليدة البعير المحطوم. ولم يزل الأمر بينه وبين الناس يبعد تارة، ويقرب اخرى حتى نزلوا عليه فقتلوه. ثم جاؤا في مدبّ الدّبا يريدون بيعتي). في كلام طويل.

والجران: مقدّم عنق البعير، وضربه بجرانه: كناية عن استقراره، كناية بالوصف المستعار.

٤٤٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ عَضُوضٌ يَعْضُ الْمُوسِرُ فِيهِ عَلَى مَا فِي يَدَيْهِ وَلَمْ يُؤْمَرْ بِذَلِكَ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: (وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ) اتَّهَدُ فِيهِ الْأَشْرَارُ وَتُسْتَدَلُّ فِيهِ الْأَخْيَارُ، وَيَبَايِعُ الْمُضْطَرُّونَ وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ بَيْعِ الْمُضْطَرِّينَ.

فاستعار لفظ العضوض: لشدة، وعضّ الموسر على ما في يديه: كناية عن بخله. وتنهد: ترتفع.

٤٤١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَهْلِكُ فِي رَجُلَانِ: مُحِبُّ مُظْرٍ، وَبَاهِتٌ مُفْتَرٍ. قال السيد الرضي: وهذا مثل قوله (ع) يهلك في رجلان محبّ غالٍ ومبغض قال والمظري: كثير المدح كالغلاة. والباهت له: المفترى عليه كالخوارج.

٤٤٢ - وَسئِلُ عَنِ التَّوْحِيدِ وَالْعَدْلِ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: التَّوْحِيدُ أَنْ لَا تَتَوَهَّمَهُ، وَالْعَدْلُ أَنْ لَا تَتَّهَمَهُ.

لأن غاية التوحيد ان يُحذف عنه تعالى كل امرٍ اثبتته الوهم كما نُقل عن الباقر عليه السلام: (فكل ما ميزتموه باوهامكم فهو مخلوق مثلكم مردود عليكم) كما مرّ بيانه

فى الخطبة الأولى . والمراد من العدل: اعتقاد جريان العدل فى جميع أفعاله تعالى و أقواله، فلا يفعل قبيحاً ولا يخلّ بواجبٍ ولا يؤثمُ^١ بهما

٤٤٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا خَيْرَ فِى الصَّمْتِ عَنِ الْحُكْمِ، كَمَا أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِى الْقَوْلِ بِالْجَهْلِ.

فالحكم: الحكمة، وقد مرّ مثله.

٤٤٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فِى دَعَاءِ اسْتَسْقَى بِهِ: اللَّهُمَّ اسْقِنَا ذُلَّ السَّحَابِ دُونَ صِعَابِهَا.

قال السيد الرضى: وهذا من الكلام العجيب الفصاحة، وذلك انه عليه السلام شبه السحاب ذوات الرعود والبوارق والرياح والصواعق بالابل الصعاب التي تقمص برحالتها وتقص بركبانها، وشبه السحاب خالية من تلك الروائح بالابل الذلل التي تحتلب طبعه وتقتعد مسمحة.

واقول: انه استعار لفظ الذلل والصعاب: للسحب لمكان المشابهة المذكورة. والتوقص: النزو، وتقارب: الخطو. والروايح: الأمور المخوفة.

٤٤٥ - وَقِيلَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ (لَوْ غَيَّرْتَ شَيْبَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ) فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْخِضَابُ زِينَةٌ وَنَحْنُ قَوْمٌ فِى مُصِيبَةٍ! (يريد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم).

٤٤٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَثُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ: طَالِبُ عِلْمٍ، وَطَالِبُ دُنْيَا. والنهم بالفتح: افراط الشهوة فى الطعام. ولفظه مستعار: لشدة طلب العلم والمال.

٤٤٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَزِيَادِ بْنِ أَبِيهِ (وَقَدْ اسْتَخْلَفَهُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ عَلَى فَارِسٍ وَأَعْمَالِهَا، فِى كَلَامٍ طَوِيلٍ كَانَ بَيْنَهُمَا نَهَاةٌ فِيهِ عَنِ تَقَدُّمِ الْخِرَاجِ): اسْتَعْمِلِ الْعَدْلَ،

١ - فى ش: ولايتهم.

وَآخِذِ الْعَسْفَ وَالْحَيْفَ؛ فَإِنَّ الْعَسْفَ يَعُودُ بِالْجَلَاءِ وَالْحَيْفَ يَدْعُو إِلَى السَّيْفِ.
 اى: يعود بالجلء على الرعية. والحيف يدعو الى السيف اى: الى محاربتهم
 للوالى، او الى هلاكه بسيف غيره.

٤٤٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْجَهْلِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا حَتَّى أَخَذَ عَلَى
 أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يُعَلَّمُوا.

لأن وجوب التعليم على الجاهل مستلزم لوجوب التعليم على العالم فى الحكمة
 الأكهية. وعن النبى صلى الله عليه وآله: (من تعلم علماً فكتمه، أجمه الله يوم القيامة
 بلجام من نار)!

٤٤٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: شَرُّ الْإِخْوَانِ مَنْ تَكَلَّفَ لَهُ.

قال السيد الرضى: لأن التكليف مستلزم للمشقة وهى: شر لازم عن الاخ المتكلف
 له فهو شر الأخوان.

٤٥٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا أَحْتَشَمَ الْمُؤْمِنُ أَخَاهُ فَقَدْ فَارَقَهُ.

قال السيد الرضى: يقال: حشمه واحشمه بمعنى: اغضبه. وقيل: اخجله. واحتشمه
 طلب ذلك له وهو مظنة مفارقتة.

وبالله التوفيق والعصمة. وهو حسبنا ونعم الوكيل.

هذا اختيار (مصباح السالكين) لنهج البلاغة من كلام مولانا و امامنا امير المؤمنين
 على بن ابى طالب عليه السلام. ورجاؤنا فى الله سبحانه اذ وفقنى لتمامه ان يجعله خالصاً
 لوجهه و يسعدنا فى الدارين بمنه و لطفه. و فرغ من اختصاره افقر عباد الله تعالى ميشم بن
 على بن ميشم البحرانى عفا الله عنه فى آخر شوال سنة احدى وثمانين وستمائة (٦٨١)
 بعون الله و حسن توفيقه، والحمد لله كما هو اهله و صلى الله على سيدنا نبى الرحمة محمد

١ - جامع بيان العلم / ٤. سنن ابن ماجة / ١ / ٩٦. النهاية فى غريب الحديث / ٤ / ٢٣٤.

وآله وسلم تسليماً كثيراً...!.



مركز بحوث وتطوير علوم الحاسوب

١ - جاء في آخر نسخة شر هكذا: وبالله التوفيق والعصمة، وهذا آخر اختيار (مصباح السالكين) لنهج البلاغة من كلام مولانا وسيدنا امير المؤمنين عليه افضل الصلاة والسلام والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً، رب ارحم الراحمين.

وقع الفراغ بمنه ولطفه يوم الخميس نصف النهار سادس وعشرين من ربيع الآخر من سنة ستة عشر وسبع مائة (٧١٦) من الهجرة وذلك بالحلّة الفيحاء آمنها الله تعالى من البليات وكتب حسين بن محمد الجرجاني المجاور عفا الله عنه.